منير الخوري عيسى أسعد

تاريخ حمص

القسم الثاني

من
ظهور الاسلام حتى يومنا
سنة ٦٢٢ — ١٩٧٧م

نشرته
مطرانية حمص الأرثوذكسية

تاريخ حمص

الطبعة الأولى

١٩٨٤



الفريق حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

GENERAL HAVEZ ASAD PRESIDENT OF THE SYRIAN ARAB REPUBLIC

إهداء الكتاب

الى أبي العلّامة الخوري عيسى أسعد ،
الذي كان لي معلماً ومرشداً وصديقاً ،
ومن بهديه أحببت بلدي حمص
ووطني سورية
وعروبة قوميتي .
والى حفيدي المنير عمر عيسى الخوري
أهدي هذا الكتاب
اعترافاً بفضل الأب الحبيب
وتنبيهاً للحفيد الغالي
لمتابعة خطى أجداده وآبائه في محبة الوطن المفدّى

منير الخوري

المقدمة الخاصة

الكتاب الذي أضعه بين أيدي أبناء وطني هو تتمة للجزء الأول من تاريخ حمص الذي سبق وأبرزه للوجود والدي العلامة المرحوم الخوري عيسى أسعد وشملت تحقيقاته فيه أحداث مدينة حمص منذ نشأتها حوالي عام ٢٣٠٠ ق. م حتى ظهور الاسلام سنة ٦٢٣م.

وإذ وافاه الأجل رحمه الله قبل إنجاز الجزء الثاني من تاريخ مدينتنا الحبيبة ، رأيت من واجبي إتمام ما بدأ به تحقيقاً لأمنيته الغالية في اطلاع أبناء وطني على تاريخ مدينتهم حتى يأخذ الأحفاد من مجريات أحداثه ما يفتخرون به ويفاخرون.

منير



حمص منذ خمسين عاماً

«كلمات خالدة»

«الانسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته... وما البيت إلَّا الوطن الصغير... فإذا تقدم، اتسع أفق حبه، وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه، فإذا غذّي بالعلم الصحيح، شعر بالحب لمن يجد فيهم صورته الانسانية، وكانت الأرض كلها وطناً له، وهذا هو وطنه الأكبر، وهذا ترتيب طبيعي لا طفرة فيه ولا معدل عنه، ولا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلَّا من عرف وأحب الوطن الكبير، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير، إلَّا من عرف وأحبّ الوطن الصغير».

عبد الحميد بن باديس

حمص

«وسقى الله أرض حمص وحيَّت ... نفحات الرضا خصيب ثراها
هي فردوسي القديم ومنها ... ثمرات الحياة كان جناها».

الشيخ ابراهيم اليازجي

«مشى الزمان وحمص في مواكبه ... فتية العزم بالأمجاد تكتحلُ
وقد تزول عن الأفلاك فتنتها ... وحمص ما برحت في تاجها الشعلُ
تبسمت حقب التاريخ عن بلدٍ ... لو بدلوه بخلد ساءنا البدلُ
مدينة تملأ الدنيا بروعتها ... عرائس الحسن في أعتابها خَوَلُ

نبيه سلامه

فهرست الكتاب

كلمات معبرة خالدة أ صفحة ٧

إهداء الكتاب ب صفحة ٩

المقدمة الخاصة ج ص ١٠

الحقبة الأولى ص ١٩ — ٦٧

لمحة جغرافية عن مدينة حمص ص ١٩ — ٢٣

الفصل الأول : حمص في صدر الاسلام — حمص والعرب — حمص قبيل الاسلام — كلمة عن الفتوحات العربية . ص ٣٥ — ٣٢

الفصل الثاني : فتح حمص . ص ٣٢ ٣٨

الفصل الثالث : حمص في أيام الخلفاء الراشدين (أبو بكر ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب) — أمراء حمص أيام الخلفاء الراشدين — الصحابة في حمص . ص ٣٨ — ٦٧

الحقبة الثانية ص ٦٨ — ١١٧

الفصل الرابع : حمص في أيام بني أمية — الموجز في التاريخ الأموي — الحمصيون والإمام علي — حمص ومعاوية — حمص ويزيد بن معاوية — حمص ومروان بن الحكم — حمص أيام عبد الملك بن مروان — والوليد بن عبد الملك — وسليمان — وعمر بن عبد العزيز — وهشام بن عبد الملك — والوليد بن يزيد — ويزيد الثالث — وابراهيم ابن الوليد — ومروان بن محمد . ص ٦٨ ٨٥

الفصل الخامس : أمراء حمص في زمن الأمويين : «مالك بن هبيرة — عبيد الله بن الحجّاج — أوسط بن اسمعيل — الحصين بن نمير — النعمان بن بشير — خالد بن يزيد — ابان بن عقبة — يزيد بن الحصين — عبد الملك بن القعقاع — العباس بن الوليد — مروان بن عبد الله — أبو محمد السفياني — معاوية بن يزيد بن الحصين — عبد الله بن شجرة — زامل بن عمر — سعيد بن هشام ص ٨٦ — ٩٦

الفصل السادس : مشاهير رجال العلم والقضاء والمحدثين والرواة الحمصيين في زمن الأمويين. ص ٩٧ — ١٠٤

الفصل السابع : شعراء بني أمية وحمص : «كعب بن مالك — ابن مفرغ — أعشى همذان ، النعمان بن بشير ، الأخطل ، — النواصب في حمص — الرحالة الأجانب. ص ١٠٥ — ١١٧

الحقبة الثالثة ص ١١٨ — ١٦١

الفصل الثامن : حمص في زمن العباسيين — شيء عن أصول الشيعة — الخلفاء العباسيون : السفاح — المنصور — المهدي — الهادي — الرشيد — الأمين — المأمون — المعتصم — الواثق — المتوكل — المنتصر — المستعين — المعتز — المهتدي — المعتمد — المعتضد. ص ١١٨ — ١٢٩

الفصل التاسع : حوادث حمص في هذه الحقبة : أبو الورد والسفياني — القيسيون واليمنيون — اسحق بن سليمان — حمص والمتوكل — الفضل بن قارن — حمص أيام آل طولون — القرامطة في حمص. ص ١٢٩ — ١٤٥

الفصل العاشر : أمراء حمص في هذه الحقبة — حمص وبعض الجغرافيين — الشعراء الذين ماسُّوا حمص : «أبو نواس — ديك الجن — أبو تمام — البحتري» . — مشاهير المحدثين والرواة الحمصيين. ص ١٤٥ — ١٦١

الحقبة الرابعة ص ١٦٢ — ١٩٦

الفصل الحادي عشر : حمص في عصر العباسيين الثاني — الدولة الأخشيدية — الدولة الحمدانية — الدولة الفاطمية — الدولة المرداسية. ص ١٦٢ — ١٨١

الفصل الثاني عشر : حمص والعلوم خلال هذه الحقبة — مشاهير المحدثين والرواة — أمراء حمص. ص ١٨١ — ١٨٤

الفصل الثالث عشر : الشعراء الذين ماسُّوا حمص : «أبو فراس — المتنبي — ابن أبي حصينة — أبو العلاء — ابن معمعة الحمصي.» — الجغرافيون : أبو زيد البلخي — الاصطخري - ابن حوقل — المقدسي. ص ١٨٥ — ١٩٦

الحقبة الخامسة ص ١٩٧ — ٢٤٠

العراك بين الشرق والغرب

الفصل الرابع عشر: حمص في عهد السلاجقة — آل طغتكين — زنكي — الصليبيون. ص ١٩٧ — ٢١٧

الفصل الخامس عشر: حمص في أيام الأيوبيين — أمراء حمص — مشاهير الحمصيين — الجغرافيون الذين تحدثوا عن حمص. ص ٢١٨ — ٢٣٣

الفصل السادس عشر: أمراء حمص في الحقبة الخامسة ص ٢٣٣ — ٢٤٠

الحقبة السادسة ص ٢٤١ - ٢٨٦

حمص أيام المماليك

الفصل السابع عشر: دولة المغول — دولة المماليك الجراكسة — الظاهر بيبرس - قلاوون - الأشرف — أمراء عرب حمص — تيمورلنك وحمص — السلطان سليم العثماني. ص ٢٤١ — ٢٦٠

الفصل الثامن عشر: الجغرافيون وحمص — نواب السلطنة في حمص — القصاة. ص ٢٦١ — ٢٧٧

الفصل التاسع عشر: مشاهير الحمصيين خلال هذه الحقبة. ص ٢٧٨ — ٢٨٦

الحقبة السابعة ص ٢٨٧ — ٣٢٣

حمص في العصر العثماني الأول

الفصل العشرون: دور التوسع والتوقف التركي — التقسيمات الإدارية — السلطان سليم والشيعة — الغزالي — حمص وابن عساف — جان بولاد — الحالة الاقتصادية. ص ٢٨٧ — ٢٩٨

الفصل الحادي والعشرون: فخر الدين المعني الكبير — عرب الحيارى — الطاعون والجراد والغلاء — الأمير ملحم الظاهر ومظالم الأتراك. ص ٢٩٩ — ٣١٠

الفصل الثاني والعشرون: **الرحالة الجغرافيون وحمص — حكام حمص — مشاهير الحمصيين في هذه الحقبة.** ص ٣١٠ — ٣٢٣

الحقبة الثامنة ص ٣٢٤ — ٣٦٠

فترة تقهقر الدولة العثمانية

الفصل الثالث والعشرون: أحداث حمص السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال الفترة الأولى من هذه الحقبة. ص ٣٢٤ — ٣٤٧

الفصل الرابع والعشرون: حكام حمص — مشاهير الحمصيين — حالة حمص العامة خلال هذه الحقبة. ص ٣٤٧ — ٣٦٠

الحقبة التاسعة ص ٣٦١ — ٤٠٤

حمص في عصر العثمانيين الذين حاولوا فيه التجدد

الفصل الخامس والعشرون : الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية — ابرهيم باشا المصري ومعركة حمص — حادثة الستين — الأمير مجول المسرب — مدحت باشا في حمص. ص ٣٦١ — ٣٨٦

الفصل السادس والعشرون : الجغرافيون وحمص — مشاهير الحمصيين خلال هذه الحقبة. ص ٣٨٦ — ٤٠٤

الحقبة العاشرة ص ٤٠٥ — ٥٠٦

حمص منذ العصر العثماني الأخير حتى عام ١٩٧٦

الفصل السابع والعشرون : حمص في فترة الحكم العثماني الأخير — حمص في عهد الاستقلال العربي الأول — الملك فيصل — الانتداب الفرنسي — الثورات السورية : ثورة الشيخ صالح العلي — الثورة السورية الكبرى — الشهداء الحمصيون — المجالس النيابية السورية — المعاهدة الفرنسية السورية. ص ٤٠٥ — ٤٤٦

الفصل الثامن والعشرون : الحرب العالمية الثانية وحمص — نواب حمص — الجلاء والاستقلال — القضية الفلسطينية — الانقلابات في سورية — الوحدة السورية المصرية — حمص تلتقي بـ : عبد الناصر ، تيتو ، أمير قطر والبانديت نهرو. انفصال الوحدة — الحكم الرجعي — انتفاضة حزب البعث العربي الاشتراكي واستلام الحكم في سورية. ص ٤٤٦ — ٤٧٢

الفصل التاسع والعشرون : نهضة حمص العلمية والثقافية والاجتماعية — النهضة الاقتصادية والعمرانية. ص ٤٧٣ — ٤٨٨

الفصل الثلاثون : أعلام الحمصيين : ابرهيم اليازجي — ابرهيم الحوراني — مصطفى الحسيني — عبد الحميد الدروبي — عزة الجندي — رزق الله عبود — عبد الحميد الزهراوي — رفيق رزق سلوم — علاء الدين الدروبي ، أنيس سلوم — أبو الخير الجندي — طاهر الأتاسي ، يوسف شاهين — حبيب سلامة — خالد الحكيم — الخوري عيسى أسعد — حنا خباز — عبد الباسط الصوفي — هاشم الأتاسي — وصفي قرنفلي — سامي الدروبي. ص ٤٨٩ — ٥٠٦

الفصل الخاص بحمص المغتربة : ص ٥٠٧ — ٥٣٣

حمص في دنيا الاغتراب

أعلام الحمصيين المغتربين— داود الخوري— بدري فركوح— نسيب عريضة— سلوى سلامة اطلس— ندره حداد— حسني غراب— جبران توماني— داود شكور— نصر سمعان— عبد المسيح حداد— نظير زيتون. ص ٥٠٧ — ٥٣٣

الجداول

الملحق : ١ جـ رقم ١ — يتضمن أسماء الشخصيات الحمصية التي تولت المناصب العالية في الدولة السورية. ص ٥٣٤

جـ رقم ٢ — حكام حمص— «المتصرفون والمحافظون» ص ٥٣٥ — ٥٣٦

جـ رقم ٣ — المفوضون الفرنسيون الساميون ص ٥٣٧

جـ رقم ٤ — المستشارون الفرنسيون في حمص. ص ٥٣٧ — ٥٣٨

الملحق ٢ : بعض المراجع العربية والأجنبية المعتمدة ص ٥٣٩ — ٥٤٣

الملحق ٣ : من كتاب زفرات القلوب للخوري عيسى أسعد ص ٥٤٥ — ٥٧٨

الملحق ٤ : لائحة مطارنة حمص ص ٥٧٩ — ٥٨١

الملحق ٥ : مراجع تاريخ كنيسة حمص ص ٥٨٣ — ٥٩٠

الفهرس العام لكتاب تاريخ حمص بقسميه الأول والثاني ص ٥٩١ — ٥٩٢

لمحة جغرافية عن مدينة حمص

موقعها الجغرافي :

مدينة حمص هي المدينة السورية الثالثة بعد دمشق وحلب ، لها موقع جغرافي ممتاز ؛ تقف من الغرب على نافذة البحر ، وتستقبل من الشرق الصحراء ؛ من جنوبها تلول ووهاد ، ومن شمالها تلول وسهول ، وبين هذا وذاك تتوسط هذه المدينة العظيمة سورية — على خط عرض (٣٤,٧٤) شمال خط الاستواء ، وخط طول (٣٦,٨٥) شرقي غرينوبيتش ، مبنية على هضبة واسعة مسطحة ، مؤلفة من الصخور البازلتية في غربي المدينة المستوطنة فوق الطبقة الحوارية .

حدودها :

يحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث ، سهول فسيحة تكاد تكون عارية من الأشجار والمرتفعات ، إلّا من جهتها الغربية حيث يمر نهر العاصي في واديه المحفوف بالمرتفعات التي هي امتداد للسلسلة اللبنانية الشرقية الواقعة شرقي حفرة الانهدام.

ارتفاعها عن سطح البحر :

ترتفع المدينة عن سطح البحر / ٤٩٥ / متراً . ولها منفذٌ اليه بين جبال العلويين وجبال لبنان الغربية عند وادي خالد ؛ ولذا تهب عليها رياح شديدة في بعض أيام السنة فتثير الغبار .

بحيرة حمص :

يجري نهر العاصي الى غربها بعيد خروجه من بحيرة حمص التي تشكلت بسبب وجود سائل بركاني نزل من جبال العلويين الواقعة غربي حمص وتوضّع فوق الطبقة الحوارية في هذه المنطقة فألّف عتبة قاسية ، صعب على نهر العاصي أن يفتح مجراه فيها بسهولة فتشكل مع الزمن شكل طوبوغرافي ، أشبه بوهدة مغلقة ، ساعدت على خزن المياه ، ثم عملت يد الانسان أيضاً في توسيعها حتى أصبحت بحيرة اصطناعية . ثم أقيم سدّ قديم عند جهة هذه العتبة البازلتية يعود بناؤه الى الألف الثاني قبل الميلاد ، ثم أصلح في عهد الاسكندر المكدوني وتجدّد في زمن الأمبراطور الروماني ديوكلتيان (٢٨٤ — ٣٠٤م) وأصبحت البحيرة خزاناً مهماً ساعد على إرواء قسم كبير من سهول حمص تمتد غربي المدينة ، وشمالها حتى بلدة الرستن وتسمى «بساتين حمص» وفي

عام ١٩٣٨ تم رفع السدّ الذي تصدع وزيد في علوه متران ؛ فأصبحت مساحة البحيرة عشرات من الكيلومترات المربعة وأصبح استيعابها من الماء /٢٠٠/ مليون متر مكعب بعد أن كان /٩٠ مليوناً/ فقط. وعندما تتحقق المشاريع التي قررت الوزارات المختصة في الجمهورية العربية السورية تنفيذها من توسيع للسد وزيادة في علوه، ستستوعب البحيرة ما لا يقل عن /٤٠٠/ مليون متر مكعب من الماء.

وهذه المياه نظمت محمول العاصي وساعدت على إسقاء هضبة (تلبيسة — الرستن) البازلتية ووصلت بواسطة قناة الري الى مدينة حماه.

مساحة المدينة :

تبلغ رقعة المدينة ما يزيد على الثلاثين كيلومتراً مربعاً ؛ وهي آخذة في الازدياد بسبب اتساع وانتشار العمران فيها.

السكان :

يزيد عدد سكان مدينة حمص على /٢٥٧/ ألف نسمة، أكثر من ربع سكانها مسيحيون والباقي مسلمون. ولولا الهجرة لبلغ عددهم أكثر من /٥٠٠/ ألف نسمة. أما وقد انقطعت الهجرة أو كادت في هذه الأيام، فإننا نلمس أن الزيادة مطردة وسريعة.

أهميتها الاقتصادية :

ونظراً لموقع حمص في وسط القطر اسوري والبادية من جهتها الشرقية فهي سوق للبادية، ومركز مهم للمنطقة الزراعية التي تزرع الحبوب والخضار بأنواعها والقطن والأرز والشمندر السكري ؛ كما أنها مركز صناعي هام تمتاز بصناعة المنسوجات كالشراشف والمناشف والأنسجة القطنية والحريرية. وكان في حمص عام ١٨٨٣ عندما كان سكان المدينة /٢٠/ ألف نسمة /٤٥٦٠/ نولاً يدوياً، يلزم لكل منها صانع ومعاون ؛ وهي بالإجمال تنسج من الأقمشة (الديما والملس والبريجك والحطة) وتصدر منها /١١٥٩٦٠٠/ ثوباً الى البلاد المصرية وازمير والحجاز والاستانة وبر الأناضول ودمشق وبيروت وحلب ؛ وما يباع منها في حمص وملحقاتها /١٦٦١٥٠/ ثوباً فقط. أما اليوم فقد حلت الأنوال الميكانيكية محلها وتعمل من جرائها الكثير من الأيدي العاملة التي استخدمت في المعامل المستحدثة بعد الحربين العالميتين، وفي الشركات ؛ كشركة كهرباء حمص وحماه وشركة نفط العراق المؤممة، وشركتي السكر والمصابغ وفي المطاحن الحديثة ومصفاة البترول وسد الرستن وغير ذلك من المشاريع الصناعية والعمرانية.

وأهم من هذا وذاك موقعها التجاري الممتاز، فهي على اتصال سهل وقريب بالساحل — طرابلس — التي تبعد عنها مقدار /٩٠/ كيلومتراً بخط حديدي، وبانياس بخط حديدي آخر،

كما أنها تقع عند عقدة الخطوط الحديدية السورية اللبنانية والطرق المعبدة العريضة بين دمشق وحلب وطرابلس وبيروت والبقاع واللاذقية وتدمر.

لهذه الأسباب وغيرها ترتفع قيمة حمص يوماً بعد يوم وسيكون لها مستقبل كبير زاهر، إذا ما تحققت المشاريع الاقتصادية والعمرانية الجديدة.

أهميتها العلمية وثقافة أهلها:

كتب رئيس تحرير مجلة الاذاعة السورية في العدد رقم /١٠٨/ تاريخ ١/ ١٢/ ١٩٥٧ في مقال له تحت عنوان ««اعرف بلادك» ما يلي:

«ولا يجاري مدينة حمص أي بلد سوري آخر، لا في ارتفاع نسبة الذكور فيه، ولا في انخفاض نسبة الاناث، ولا في ارتفاع مستوى الثقافة والفكر.» بلغ عدد سكان مدينة حمص حسب الاحصاءات الرسمية للحكومة السورية عام ١٩٧٠— /٢٥٦٩٣٠/ نسمة منهم /١٣٣١١٨/ من الذكور و/١٢٣٨١٢/ من الاناث.

ومدينة حمص وسط علمي هام، يمتاز سكانها برغبتهم في التعمق بمختلف أنواع العلوم والفنون والتكنولوجيا. وقد تأسست فيها مدارس عالية في العصر التركي المظلم، يوم كان العلم يقتصر على اللغة التركية (سعياً وراء تتريك العناصر المنضوية تحت الراية العثمانية).

وعلى سبيل المثال لا بد لنا من أن نذكر هنا المقارنة التي دونتها السجلات التركية للحركة التعليمية في مدينتي حمص وحماه في عام ١٨٨٣.

	حمص	حماه
نسمة عدد السكان	/٢٠,٠٠٠/	/٣٠,٠٠٠/
عدد المدارس الثانوية	٣	/٠٠٠/
عدد المدارس الابتدائية	٥٨	٣٤
عدد مدارس البنات	٣	١
عدد المعلمين	٦٣	٣٨
عدد المعلمات	٤	١
عدد التلاميذ	٢١١٠	١١٥٥
عدد التلميذات	١٩٠	٢٠

ومن مطالعة هذا الجدول يتضح أن نسبة الطلاب في عام ١٨٨٣ في مدينة حمص هو ١١,٥ ٪ من مجموع السكان، في حين أن نسبة التلاميذ في جارتها مدينة حماه في ذلك الوقت هو /٣,٧٥ ٪ فقط من مجموع السكان.

ولا تزال مدينة حمص حتى اليوم تضم أكبر عدد من المدارس الحكومية والخاصة ، كما وانها تضم أعلى نسبة من الطلاب والطالبات ويجدر بنا أن ندون هنا الاحصاءات التي أجرتها وزارتا التربية والتعليم العالي عن الحركة الثقافية في محافظة حمص سنة ١٩٧٠.

تقول الإحصائية : « يبلغ عدد حملة شهادة الدكتوراه في محافظة حمص /١٣٧/ شخصاً وعدد حملة الشهادات الجامعية والماجستير /٢١١٢/ شخصاً وعدد المهندسين والفنيين /٢١٨/ وعدد أطباء الصحة والأسنان والصيادلة /٢٠٤/ ورجال الدين العلماء من مختلف الطوائف /٢٣٩/ وعدد المحامين /١١٩/ وعدد المدرسين والمعلمين والأساتذة /٤٥٢٤/ شخصاً.

والى المطالع أيضاً نسوق هذا الجدول عن أعداد الطلاب في مختلف مدارس المحافظة :

	ذكور	إناث	المجموع
مؤهل فني	٧٥١	٥٥٨	١٣٣٠
ثانوي	٤٥٣٨	١٥٩١	٦١٢٩
اعدادي	٦٩٧٩	٣٤٢٤	١٠٤٠٣
ابتدائي	١٨٦٢٦	١٠١٥٩	٢٨٧٨٥

وهكذا يتضح مدى ما تتمتع به مدينة حمص من ثقافة علمية مرتفعة.

التقسيمات الإدارية للمحافظة :

محافظة حمص هي أوسع محافظات الجمهورية العربية السورية وأكثرها امتداداً إذ تتصل حدودها الشرقية بالجمهورية العراقية والجنوبية بالجمهورية اللبنانية ، تبلغ مساحتها /٤٢,٢١٨/ كيلومتراً مربعاً أي ما يعادل أربعة أضعاف مساحة الجمهورية اللبنانية » ويسكنها ما يزيد على السبعمائة ألف نسمة.

وتقسم المحافظة من الوجهة الإدارية وحسب التنظيمات الأخيرة الى /٥/ مناطق و/١٢/ ناحية.

ويضم مركز محافظة حمص النواحي التالية :

تارين ، تلدو ، حسياء ، صدد ، عين النسر ، الفرقلس والقريتين.

ومنطقة تدمر تتبعها ناحية السخنة.

ومنطقة تلكخ تتبعها نواحي: جبل الحلو، وادي النضارة وناحية الوعر الجديدة.

ومنطقة الرستن.

ومنطقة القصير.

ومنطقة المخرم وتتبعها ناحية جب الجراح.

الحقبة الأولى

الفصل الأول

حمص في صدر الاسلام

قال ياقوت عن حماه : «هي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره :

تقطَّع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

إلا أنها لم تكن قديماً مثل ما هي عليه اليوم من العظمة بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص».

وقال أبو الفداء : «إن حماة كانت في زمن داود وسليمان مدينة عظيمة ، إلا أنها في زمن الفتوح وقبله كانت صغيرة هي وشيزر ، وكانتا من عمل حمص ، وكانت حمص كرسي مملكة هذه البلاد وقد ذكرها امرؤ القيس في قصيدته التي أولها : «سما لك شوق بعد ما كان أقصرا».

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (ج : ١ ص ٨٦) : «حمص مدينة معروفة من مشارف الشام ، وهي من المدن الفاضلة : وفي حديث ضعيف : إنها من مدن الجنة ؛ وكانت في أول الأمر أشهر بالفضل من دمشق».

وذكر الثعالبي : إنه نزل حمص تسعمائة رجل من الصحابة. وقال ياقوت في معجم البلدان (١ ص ١٢٥) إن أجناد الشام كانت خمسة : جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين.

وأورد البلاذري (ص ١٣٨) : لقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمى السلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كوراً وكذلك دمشق والأردن وحمص وقنسرين. وقال بعضهم : سميت كل ناحية لها جند يقبضون أعطياتهم بها جنداً.

حمص والعرب

يخيل الى الكثيرين ان حمص لم تتعرف الى العرب إلا بعد الفتح الاسلامي ؛ والحقيقة أنّ عروبة حمص قديمة العهد جداً لا نستطيع أن نحدّد عهدها الأول بها ؛ فقد ورد ذكرها في أقدم ما اتصل بنا من المنظومات الشعرية ؛ وممن ذكرها ؛ امرؤ القيس الكندي في رائيته التي مطلعها : «سما لك شوق... الخ... إذ يقول بعد أبيات منها :

«لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابن جريج في قرى حمص أنكرا»

وممن ذكرها أيضاً الأعشى الكبير — ميمون بن قيس — إذ يقول :

لقد طفت، للمال آفاقه عمان فحمص فأورشليم
فنجران فالسرو من حمير فإني مرام له لم أرم

وكلا الشاعرين سبق الاسلام ؛ إذ توفي الأول سنة ٨٠ قبل الهجرة ، وأدرك الثاني الاسلام في أواخر حياته ولكنه لم يسلم وتوفي سنة ٧ هجرية = ٦٢٩ مسيحية .

لقد توزعت في بادية الشام قبائل كثيرة من العرب كانت تسرح فيها ماشيتها وترعى إبلها في الربيع حتى إذا ما اشتد الحرّ قصدت ضفاف الفرات .

ذكر المسعودي في مروج الذهب (ج ٤ ص ٤٦) : ان أول من نزل الشام قضاعة بن مالك بن حمير ، انضافوا الى ملوك الروم فملكوهم «بعد أن دخلوا في النصرانية» على من حوت الشام من العرب : فكان أول ملوك تنوخ — النعمان بن عمرو بن مالك...

ثم وردت سليم الشام فتغلبت على تنوخ ؛ وتنصّر من مكنته الروم على العرب الذين بالشام .

وقال دوسو : لم تكن هجرة العرب الى سورية مما ينسب لإدارة الرومان كما يظن بعضهم ، بل ان الأحوال قد سهلت طرقها في تلك الأيام وضمنت لهم رسوخ قدمها في ظل السلام ؛ ... فقد كانت مدينة حمص في يد حكومة عربية قبل وصول القائد بومبيي الى سورية ، وان الاقيال الذين تولوا أمر تلك البلاد ألقابهم عربية صرفة كما يفهم من الآثار ، ولما جاء الاسكندر المكدوني الى الشام كان العرب يحتلون لبنان (الخطط ١ ص ٦٣) .

وقال الهمذاني عن القبائل العربية التي سكنت الشام : «إن جزت جبل عاملة تريد

قصد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسَّان من آل جفنة وغيرهم ؛ فإن تياسرت من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم ، وقعت في أرض بهراء ، ثم من أيسرهم مما يصل البحر ، ديار الفضيض سادة تنوخ ومنها اللاذقية على شاطىء البحر ، ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حد الفرات الى بالس في برية خساف وهي من الدهناء ومنها تخرج الى تدمر وهي جانب السماوة «الحماد». وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلمية وهي حميرية » .

ومما ذكره اليعقوبي : إن أهل حماة قوم من يمن والأغلب عليهم بهراء وتنوخ ؛ وأهل حمص جميعاً يمن من طيء وكندة وحمير وكلب وهمذان وغيرهم من البطون (الخطط لكرد علي ا ص ٦٥).

ومن الأدلة الظاهرة على عراقة العرب في حمص المثل المشهور «أذل من قيسي في حمص» . وأصله كما يروي الرواة : إن رجلاً اسمه قيس من بني عدنان تخاصم مع رجل من بني قحطان ، وطالت الخصومة بينهما حتى تحولت الى حقد قاتل ؛ وتعصب لكل منهما فريق من العرب ، وأدى ذلك الى حدوث فتنة شديدة بين الحجازيين واليمنيين سقط فيها ضحايا كثيرة من الفريقين.

وتوارث الخلف حقد السلف وامتدت هذه العصبية الى الحضر فحدث بينهم ما حدث بين البدو . وغلبت اليمنية في حمص وذلّ بها القيسية وهجر أفرادها المدينة ولم يبق منهم فيها غير رجل واحد ؛ فكان ذليلاً في الغاية ، حتى ضرب به المثل في المذلة (مجمع الأمثال للميداني ص ٢٤٣) و(اليتيمة لسركيس ص ١٢٨).

وامتدت الفتنة بين اليمنيين والقيسيين في الشام بعد الاسلام إذ حصلت بينهما عدة حوادث مؤلمة غيرت مجرى التاريخ العربي ، منها : الفتنة التي حدثت سنة (١٧٦ هـ — ٧٩٢م) وتداركها هارون الرشيد ؛ والفتنة التي جرت سنة (١٩٩ هـ — ٨١٣م) وأطفأها المأمون بعد جهد ؛ وتلك التي حدثت في أيام الواثق سنة (٢٢٧ هـ — ٨٤١م) وأطفأها رجاء بن أيوب الأنصاري ؛ وحروب القرن الثامن الهجري ؛ ومعركة عين دارة في لبنان سنة ٧١٠م (الخطط ١ ص ٦٧ و١٨٢ والجزء ٢ ص ١٦٤ و١٦٥) وابن الأثير (ج ٦ ص ٤٢).

ومن أظهر الأدلة على وجود العرب في حمص قبل الاسلام ، رغبة العديد من المسلمين الأوائل في استيطان هذه المدينة مع ذرياتهم وإننا لنذكر منهم القائد خالد بن

الوليد والحصين المبراني وحابس بن سعيد الطائي ومالك بن يخامر السكانسكي وسترحبيل بن السمط الكندي والعلاء بن عتبة الخصبي وعبد الله بن مسعود الهذلي — حليف بني زهرة وغيرهم من الصحابة والمحدثين الذين عاصروا النبي العربي وسمعوا عنه.

حمص قبيل الاسلام

كانت حمص قبل الاسلام بلداً مسيحياً؛ ولم تقتصر المسيحية على المتحضرين من أهل هذا البلد؛ بل امتدت الى البدو الضاربين في بيدائه ومنهم بهراء وتنوخ وغسان وطيء ومذحج وسواهم...

فقد قال اليعقوبي في تاريخه (١ ص ٢٩٨): «تنصر من ربيعة تغلب، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وتنوخ وغسان ولخم». وقد أيده في ذلك الاصطخري في كتاب البلدان ص ١٤ بقوله: «إن بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام».

ونقل الأب لويس شيخو في كتابه: «النصرانية وآدابها ١ ص ١٠٤ و١٠٥» عن ابن قتيبة والنويري والهمذاني: إن السهول الواقعة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكانها من غسان وتغلب وتنوخ وخصوصاً بني كليب الذين تفردوا بسكن السماوة الممتدة من الشام الى نواحي الموصل، وكانوا يسكنون خصوصاً في جهات تدمر وسلمية حتى سميت تلك الجهات ببادية كلب».

وذكر ياقوت وابن عساكر أن بني كلب كانوا كلهم نصارى.

وروى ابن العبري في تاريخه الكنسي (تاريخ سورية للدبس — ٤ ص٥٥٣): «إن كل العرب المنتشرة في البادية — بادية الشام — كانت معارضة للمجمع الخلكيدولي ويأبون الاشتراك مع الخلكيدونيين. والبغضة الشديدة التي حصلت بين فريقي السريان والروم كانت من مهوِّنات فتح البلاد السورية كافة لا حمص فقط».

ومما سهل على الفاتحين دخول حمص انها كانت قبل الفتح الاسلامي، مدينة القصف واللهو في سورية، يؤمها محبو الترف وترويح القلوب لما تضمنته من المتنزهات الجميلة والحدائق الغناء؛ ففي ضاحيتها الغربية جنات تجري من تحتها الأنهار، تتجمع في واديها مياه نهر الأورند، (العاصي) أعظم أنهار سورية. وفي الشرق منها الخمائل الجميلة الوارفة الظلال التي تجعل سير الركبان تحتها نزهة تقر النواظر وتسرّ الخواطر، ممتدة على طول

الطريق من حمص الى تدمر ؛ ومن أهم مستنبتاتها الزيتون والتين اللذين فاقت بهما سواها من الأصقاع. وكلاهما ولسوء الحظ ضاعت أهميتهما فيها فلم يبق للأول أثر فيها ، وأما الثاني فالموجود منه أردأ أنواع التين (١ ص ٢١٧).

تلك بعض الأسباب التي أقعدت همة بنيها وجعلت مدينتهم طعمة لكل طامع فكانوا عرضة لهجمات الفرس كل مدة حكم فوقا (٦٠٢ — ٦١٠م)لأن المنازعات الدينية التي قامت بين الروم والسريان أضعفت قوى الفريقين وأطمعت الفرس بهم فكرروا هجماتهم على سورية في أيام هرقل وملكوا انطاكية وجربوا آفامية وكل ما وراءها من المدن حتى دمشق ؛ وكان حظ حمص من هذه النكبة غير قليل ؛ وقد تم ذلك في شهر تشرين الأول من سنة ٦١١ م (المنبجي ، ص ٣٣١ والدبس ٤ ص ٥٤٦) ولما لم يجد الفرس صدى لهذه الهجمات عادوا فزحفوا على سورية سنة ٦١٤م ففتحوها بمساعدة اليهود ثم فتحوا مصر وأفريقيا وفي أثناء غزوتهم فلسطين أحرقوا القبر المقدس وكنيسة القيامة ونهبوا خزائنها وحملوا بطريركها وخشبة الصليب الى بلادهم بعد أن عاثوا في سورية نهباً وسلباً الى غاية سنة ٦١٦م).

أيقظت هذه الفتوحات هرقل قيصر الروم من غفوته وشعر بسوء مغبة الاستخفاف بالخصوم فجهز حملة كبيرة بعد أن قرر الزحف على الشرق ، وكان ذلك في ذات السنة التي هاجر فيها النبي العربي من مكة الى المدينة سنة ٦٢٢م.

وقضى هرقل في محاربة الفرس ثلاث سنوات متتالية كان النصر فيها حليفه إذ كانت جيوش كسرى تفر من أمامه وهو يتبعها من مدينة الى أخرى.

واستأنف هرقل محاربة الفرس سنة ٦٢٧م فأجهز على قواتهم وبلغ جنود الروم مدينة نينوى عاصمة الآشوريين القديمة ؛ وهي أول مرة يطأ بها الروم أرض تلك المدينة (١ لدبس ٤ ص ٥٤٧).

واستردّ هرقل ما سلبه الفرس ، وفي ١٤ أيلول سنة ٦٢٩م احتفل في بيت المقدس بعيد الشكر للانتصار العظيم الذي قيضه الله له.

ولكن هذا الفوز أبطر هرقل فعاد الى ترفه وانغماسه في الملذات متخذاً من مدينة حمص مباءة لغرضه هذا إذ قضى فيها مدة ليست بقصيرة ، ثم غادرها الى دمشق ومنها الى بيت المقدس (ابن خلدون ٢ ص ٢٢٤).

وروى ابن البطريق (٢ ص ٥) : «إنه لما خرج هرقل من القسطنطينية ليرى ما خرّب الفرس، مر بحمص فلم يقبله أهلها قائلين له : «أنت مارون مخالف لديننا ، فتركهم وذهب الى ديرماروني؛ فخرج اليه رهبانه واستقبلوه فأعطاهم مالاً كثيراً ووهب للدير ضياعاً وقوى أمرهم؛ ثم قصد دمشق وأكره عاملها منصور بن سرجون على دفع مئة ألف دينار؛ فحقدها عليه، ثم قصد بيت المقدس فاستقبله اليهود في طبريا وسألوه الأمان فأمّنهم».

خلال هذه الأحداث كان العرب المسلمون يشنون الغارة على سورية تلو الغارة وهرقل غير مبالٍ بما ينقله الرواة اليه من الأخبار، اعتقاداً منه أن العرب لا يجسرون على مناوأته وهو قاهر الدولة الفارسية العظيمة (الدبس ٤ ص ٥٥٣).

كلمة عن الفتوحات العربية

الذين كتبوا عن الفتوحات العربية في سورية كثيرون، قديماً وحديثاً؛ غير أن الروايات في كيفية تلك الفتوحات مختلفة لدرجة يتعذر معها الحكم على الأصح منها.

ومن أهم المصادر القديمة: الواقدي (+ ٢٠٧ هـ — ٨٢٢م)[1] والبلاذري (+ ٢٧٩ هـ — ٨٩٢م) والطبري (+ ٣١٠هـ — ٩٢٢م). وعن هؤلاء أخذ ابن الأثير ٦٣٠ هـ — ١٢٣٢) وابن خلدون (+ ٨٠٦هـ — ١٤٠٣م) وأبو الفداء (+٧٣٢هـ — ١٣٣١م. والذين تعرضوا لذكر حمص من الجغرافيين والرحالة القدماء غير من ذكرناهم سابقاً هم : ابن الفقيه الهمذاني (+ ٢٨٠هـ — ٨٩٣م) واليعقوبي (+ ٢٧٨ هـ — ٨٩١م والمقدسي (+ ٣٩٠هـ — ٩٩٩م) وابن حوقل (+ ٣٩٠هـ — ٩٩٩م) والاصطخري (+ ٤٠٤ هـ — ١٠١٣م) والأدريسي (+ ٥٦١ هـ — ١١٦٥م) وابن جبير (+ ٦١٤هـ — ١٢١٧م) وياقوت الحموي (+ ٦٢٦هـ — ١٢٢٨م) وشيخ الربوة (+ ٧٢٨هـ — ١٣٢٧م) وابن بطوطة (+ ٧٨٠هـ — ١٣٧٨م).

ومع أن كل الذين ذكرناهم آنفاً ومن نقل عنهم كلهم عرب أو يمتون الى العرب بصلة؛ لكن المرء لا يستسهل جمع كلمتهم على النقاط التاريخية والعسكرية، وقد يتعذر على الباحث في بعض المواقف التوفيق بين التعارض الظاهر بين نصّين؛ ولكن المتأمل المدقق لا يستحيل عليه استخراج صورة مصغرة من تلك الأقوال يطمئن اليها القارىء. ولذلك

---

(١) (+ هذه الاشارة تدل على تاريخ الوفاة.)

نلفت النظر الى أن ما ندوّنه إنما استخلصناه من برائن التفاوت الذي سبحت فيه أقلام المؤرخين القدماء والمحدثين.

وقبل أن نذكر فتح حمص، لا بدّ لنا من ذكر الأسباب التي سهلت للعرب فتحها والانتصار على الدولة البيزنطية القوية ليكون ذلك مدعاة لتحقيق المقال في كيفية فتح هذه المدينة.

والذين أعملوا فكرهم من المستشرقين؛ ذكروا الأسباب التالية:

١ً — استياء العرب المتنصرة من الدولة البيزنطية، لأن الحروب الفارسية التي استغرقت نحو /١٤/ سنة أفقرت الخزينة؛ فاضطر هرقل لسد العجز أن يفرض ضرائب جديدة ويجبيها، وأن يوقف دفع الإعانات التي كان يعطيها لقبائل العرب على الحدود (ابن البطريق ٢ ص ٥و٦).

٢ً — إن هرقل حاول إيلاف فريقي الروم والسريان في المملكة بإيجاد مذهب متوسط بينهما، فرفضه كلا الفريقين ونشأ عنه مذهب ثالث زاد به الانقسام الديني خطورة؛ والذين اضطهدوا لأجل رأيهم المذهبي أخذوا يتحينون الفرص للتخلص من التحكم البيزنطي (الخطط لكرد علي ١ ص ١٠٦).

٣ً — إن المعاملة التي عامل بها هرقل اليهود بعد أن خدعوه فأمنهم؛ نفّرتهم منه نفرة شديدة وهرب كثيرون منهم الى شرقي الأردن، وهناك اتفقوا مع قادة الجيوش العربية الفاتحة ضد الروم نكاية بهرقل (ابن البطريق ٢ ص ٥و٦).

٤ً — إن الصلة القومية بين عرب سورية وعرب الحجاز جعلت الأولين يساعدون الآخرين ضد القوة المستعمرة الأجنبية.

على أن المحققين من كتاب العرب ذكروا أسباباً أخرى جعلت الفتوحات أمراً ميسوراً وهي:

١ً — نشاط المحارب العربي وخفة اثقاله.

٢ً — جرأته الناتجة عن الايمان العميق والاعتقاد بالقضاء والقدر.

٣ً — تفوق العرب بالفروسية ورمي النبال.

٤ً — اعتماد القادة العرب على الصبر والمطاولة (تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان (١ ص ٤٦—٥٨).

ومتى عرف القارىء هذه المبادىء الأساسية للفتوحات الاسلامية العربية في الديار الشامية يستطيع إذ ذاك أن يستخلص صورة صحيحة لفتح حمص من ثنايا المعارضات الموجودة بين كتب التاريخ والتوفيق بين السالب والموجب منها.

فقد روى المحققون من المستشرقين أن معركة أجنادين التي حدثت في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هجرية = ٣٠ تموز ٦٣٤م وأسفرت عن انتصار العرب على الروم أحدثت انحلالاً في القوى العسكرية المرابطة في حمص وأيقظت النعرة القومية في العرب القاطنين في حمص وجوارها من مختلف القبائل وتحفز زعماؤهم لعقد اتفاق مع الفاتحين يضمنون فيه لأنفسهم النجاة من العبودية؛ ولذلك فقد عمد هؤلاء الى نيل هذا العهد من أمراء الجيش العربي فنالوه واستوثقوا منه بمعاهدة سرية عقدت في ذي القعدة سنة ١٣ هـ = كانون الثاني سنة ٦٣٥م وبها اطمأن زعماء حمص على موقفهم إزاء الفتوحات القادمة والحروب الناشبة بين العرب والروم.

ويمكن تلخيص ما تبسط به الواقدي عن حمص (١ ص ٧٦ — ١١٤) مما اقتضبه سواه ومما يتلاءم بمجموعه مع ما رواه البلاذري (ص ١٣٧ — ١٤٤) والطبري (٤ ص ١٥٣ — ١٥٦) وابن الأثير (٢ ص ١٩٠ — ٢٠٥) وأبو الفداء (١ ص ١٥٩) وابن خلدون (٢ ص ٨٤ — ١٠٩) بما يلي:

الفصل الثاني

فتح حمص

النجاح الذي حققه العرب في أجنادين شجعهم على متابعة فتوحاتهم في سورية؛ ولذلك فقد اتجه أبو عبيدة بن الجراح نحو قلب الشام وسار خالد بن الوليد نحو شمالي سورية ليمنع المدد عن حمص.

ولما أقبل الجيش العربي على حمص قاومته القوة البيزنطية المعسكرة فيها وساعدت أسوار المدينة المنيعة في صد الهجوم العربي. وكان نزول الجيش العربي على حمص في السنة الرابعة عشرة للهجرة في يوم الجمعة من شهر شوال في ذات اليوم الذي توفي فيه البطريق نيقيطا القائد العسكري البيزنطي للمدينة؛

فاجتمع الأهلون في الكنيسة العظمى وتشاوروا في ما يجب عليهم عمله واتفقوا أخيراً على مهادنة العرب ريثما يستمدون من الأمبراطور هرقل الموجود في انطاكية ما يستطيعون معه مقاومة القادمين فكاتبوا أبا عبيدة بذلك فأجابهم الى ما طلبوا وهادنهم الى سنة كاملة، أولها ذو القعدة وآخرها شوال السنة القادمة.

وخرج السوقة من أهل حمص الى معسكر المسلمين فباعوا واشتروا، ورأى أهل حمص سماحة العرب في البيع والشراء فأطمعهم الربح الوفير على أن يبيعوهم القسم الأكبر من المؤن الموجودة لديهم.

وخلال فترة الهدنة أرسل هرقل بطريقاً جديداً على حمص اسمه هربيس فحصنها وعزز مواقع الخلل في أسوارها؛ ودرى أبو عبيدة بالأمر فنبه اليه خالد بن الوليد وأوكل اليه أمر مراقبة حمص ومنع المدد عنها الى أن ينتهي هو من فتح بعلبك؛ فلما تم له ذلك سيَّر الجيش على حمص تاركاً في بعلبك رافع بن عبد الله.

وكان على مقدمة الفرقة العربية الأولى ميسرة بن جرزوق العبسي والثانية ضرار بن الأزور والثالثة عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وفي كل فرقة خمسة آلاف؛ وسار أبو عبيدة بباقي الجيش.

لما رأى هربيس قدوم العرب محاربين، أقفل الأبواب في وجوههم، فكاتبه أبو عبيدة بالتسليم فأبى، فشق امتناعه عليه. ولكن أحد سادات خشعم وهو عطاء بن عمرو والختعمي أشارا إليه أن يطلب من القوم الزاد والعلوقة مقابل الارتحال عنهم؛ فإذا فتح الله قلبه آخر عاد اليهم وقد قل زادهم فيهون عليه أمر المدينة؛ فاستحسن أبو عبيدة وكتب للبطريق يطلب منه ميرة خمسة أيام ليرحل عنهم إلى بعض مدائن الشام.

ورضي هربيس بذلك وكتب العهد به وأخرج لهم أهل حمص من الزاد والعلوقة ما يكفي الجيش خمسة أيام؛ وفوق هذا فقد نادى أبو عبيدة في قومه من شاء أن يستبدل بما معه من البسط والطنافس ميرة فليفعل. وهكذا اشترى العرب بما كسبوه من الروم شيئاً كثيراً؛ وسر الأهلون في أنهم كانوا يشترون ما يعادل عشرين ديناراً بدينارين، وظل الناس ثلاثة أيام يشترون وهم فرحون بما كسبوه.

وانطلق المسلمون بعدئذٍ الى الرستن ففتحوها وأمَّر أبو عبيدة عليها هلال بن مرة

اليشكري ؛ ثم استسلم أهل حماة وشيزر لتوهمهم أن أهلها المعروفين بالحماسة والشجاعة قد استسلموا (الواقدي ص ١٠٨) . وأثناء ذلك التقى فريق من جيش المسلمين بنجدة قادمة من الشمال مؤلفة من مائة فارس تحمل معها مؤونة عظيمة الى حمص مرسلة من هرقل فاعترضها خالد بن الوليد وأجهز على القوة واستولى على المؤونة التي سرّ لها أبو عبيدة وقفل بقواته عائداً الى حمص.

وبوغت هربيس إذ شاهد قوات العرب أمام مدينته التي نفذ منها الزاد وتفرقت جنوده في مختلف المناطق . واستنكر عمل أبي عبيدة ، وحسبه خيانة ونكثاً بالعهد ؛ فأجابه أبو عبيدة : إني عاهدتك على أن أنصرف عنك الى إحدى مدن الشام لقتال غيرك ، ولم أعاهدك على عدم الرجوع اليك . وقد فتح الله علي يديَّ ما شئت فلم يبق لك عندي عهد بعد ذلك.

لم يرض هربيس هذا الجواب وأصر على المقاومة فنشبت المعارك التي أبلى فيها خالد بن الوليد بلاءً حسناً وتلاه بذلك المرقال بن هاشم بن أبي وقاص وميسرة بن مرزوق العبسي وعكرمة بن أبي جهل وهذا الأخير أصاب البطريق هربيس منه مقتلاً فتجندل ، مستشهداً (الواقدي ص ١١٢).

ولما اشتد الخطر على المسلمين ارتأى خالد بن الوليد بناء على رأي قدمه له أحد زعماء الغساسنة المستوطنين مدينة حمص والذي سبق له أن انضم الى القوة العربية انتقاماً لكرامته وثأراً لشرفه من أحد قادة الروم — أن ينكشفوا عن المدينة حتى يبعدوا بالروم عنها ثم يعودوا اليهم فيفتكون بهم ويقضون على قوتهم . فلما فعل العرب هذا وأولوا الروم أقفيتهم طمع هؤلاء بهم وشد هربيس على أثرهم بخمسة آلاف فارس ، وكانت وجهة القوم الزراعة وجوسية ؛ ولما ابتعدوا عن المدينة وقد لهوا بالغنائم والأسلاب ، ارتدّ العرب عليهم وأحاطوا بهم من كل جانب . وروى الواقدي (١ ص ١٦٥ — ١٦٦) : ان أبا الجعيد أحد رؤساء حمص استاء لأمر شنيع أتاه الروم معه ؛ إذ دخل فريق منهم قرية الزراعة وهي البلدة التي اتخذها أبوالجعيد مصيفاً له ولأسرته لطيب هوائها ونقاوة مائها وحاولوا السطو على امرأته ولما صدهم صراخ أحد أطفال البيت عن نيل مبتغاهم عمدوا الى الطفل فقطعوا رأسه وفروا هاربين ؛ فأخذت المرأة رأس وليدها ومضت به الى قائد الجيش تسأله إنصافها من المعتدين فلم يأبه لها لذلك عمد زوجها الى إهلاك جيش الروم بالحيلة انتقاماً لشرفه منهم فخدعهم

وكشف أسرارهم للقادة العرب حيث تيسر لهم الظفر بهم (تاريخ سورية للمطران الدبس ٤ ص ٥٥٥)[١].

وكان من أشد الناس بلاءً في هذه المعركة معاذ بن جبل: وروى صهيب بن سيف الفزاري أنه لم يبق من الخمسة آلاف فارس التي كانت مع هربيس سوى مائة فارس؛ ويظن أن هربيس قتل بنبلة من جعبة سعيد بن زيد، هوى معها عن جواده فأدركه بضربة سيف صرمت حقويه (تاريخ سورية لبني ص ١١٤).

وعلى أثر هذه المعركة الفاصلة استسلمت حمص للمسلمين العرب. وحدث جرير بن عوف عن النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال: لما صالحنا أهل حمص بعد مقتل هربيس خرج الحمصيون ودفنوا قتلاهم؛ وافتقدنا القتلى الذين استشهدوا فإذا بهم / ٢٣٥ / فارساً كلهم من حمير وهمذان إلّا ثلاثين رجلاً من أهل مكة بينهم: عكرمة ابن أبي جهل وصابر بن جريء وشربس بن عقيل ومروان بن عامر والنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس (رض) وجمح بن قادم وجابر بن خويلد الربعي — هؤلاء من جملة المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من همذان واليمن ومن أخلاط الناس.

وقد لخص هذه الوقائع تلخيصاً حسناً المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف (٧ ص ٢١٧) بما يأتي:

«كانت حمص بيد ملوك الروم الى أن ملكها كسرى في أيام غطيانوس في جملة ما ملك من البلاد الرومية؛ ولما انهزم الروم بعد وقعة اليرموك كان هرقل بحمص، ففارقها وجعلها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميراً؛ ولما حاصر المسلمون دمشق كان بها عسكر من حمص أتوا لنجدتها. وعندما فتحت دمشق سار أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد قاصدين حمص بجيوش كافية وذلك سنة ١٥ هـ فنازلوها وجعلوا يقاتلونها صباحاً ومساءً. وكان الصقيع قد آذى المسلمين، وطال الحصار فصبروا؛ وكتب هرقل الى أهل الجزيرة أن يأتوا مدداً الى حمص فاعترضهم المسلمون وفرقوهم؛ فلما انصرم الشتاء كان الحال قد ضاق بأهل حمص فخرجوا يطلبون الصلح فصالحهم أبو عبيدة على صلح دمشق، ثم استخلف عليهم عبادة بن الصامت ورحل الى حماه وقد أسكنها السمط بن الأسود الكندي في بني معاوية والأشعث في السكون والمقداد وغيرهم».

---

(١) المعروف والمتداول ان أبا الجعيد هذا هو الجد الأعلى للأسرة الحمصية العريقة المعروفة الآن باسم آل «البندوق» وقد تحرفت الى آل بندق.

ونقل البلاذري (ص ١٣٧) عن عباس بن هشام عن أبي مخنف: إن الحمصيين صالحوا أبا عبيدة على مئة ألف وسبعين ألف دينار، كما روى كيفية الفتح بصورة مختصرة مع بعض معلومات غير ما رويناه آنفاً قال: بينما كان المسلمون على أبواب دمشق، إذ أقبلت خيل كثيفة للعدو فخرج اليهم جماعة من المسلمين والتقوا بهم بين بيت لهيا قرب دوما— والعقبة؛ فولى الروم منهزمين نحو حمص على طريق قارا؛ فتبعهم المسلمون حتى وافوا حمص فإذا بهم قد عدلوا عنها؛ ورأى الحمصيون مفارز الجيش العربي، وكان الخوف قد تسرب اليهم منذ أن تخلى هرقل عنهم وأثر ما وصل اليهم عن قوة شكيمة المسلمين وبأسهم وانتصاراتهم المتكررة فهتفوا يطلبون الأمان؛ فأمنهم المسلمون وكفوا أيديهم عنهم؛ فأخرج الحمصيون الى المسلمين الذين أقاموا على ضفاف الاوروند (العاصي) العلف والطعام. وكان على رأس المسلمين السمط بن الأسود الكندي. ولما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان، ثم قدم الى حمص عن طريق بعلبك فنزل بباب الرستن (لعله باب السوق) فصالحه أهل حمص على أن أمّنهم على أموالهم وأنفسهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأملاكهم واستثنى من ذلك ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من أقام منهم.

وذكر بعض الرواة أن السمط بن الاسود الكندي كان صالح أهل حمص، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه. وان السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مكان جلا أهله أو ساحة متروكة (البلاذري ص ١٥٤ و١٥٥).

ونقل البلاذري أيضاً عن أبي حفص الدمشقي عن سعد بن عبد العزيز: إنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقباله عليهم في اليرموك، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوه منهم من الخراج؛ وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فأنتم على أمركم؛ فقال أهل حمص: والله لولايتكم وعدلكم أحب إلينا من الظلم والضيم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم (تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان (١ ص ٥٨) والخطط لكرد علي (١ ص ١٢٧).

ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا بعد أن نجهد ونُغلب. وأغلق الأهلون الأبواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود قائلين إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه وإلّا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدو.

عودة الروم الى حمص

عزم هرقل على استرداد حمص، استناداً الى وعود أهل الجزيرة بإمداده بالمساعدات العسكرية اللازمة ؛ وبلغ الخبر أبا عبيدة فأسرع وعسكر بفناء حمص ، وأقبل اليه خالد بن الوليد من قنسرين فانضم اليه مع من انضم من الأمراء. وكتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب يخبره بخروج الروم عليه ؛ فلما عرف عمر بالأمر أرسل الى سعد بن أبي وقاص أن يسرع بإنجاد أبي عبيدة بما لديه من جيش العراق ؛ فأرسل سعد القعقاع بأربعة آلاف فارس الى حمص حال استلامه رسالة عمر : وسار عياض بن غنم الى الجزيرة ليحول دون إمداد أهل الجزيرة ؛ وخرج الخليفة عمر بنفسه من المدينة الى الجابية ، غوثاً لأبي عبيدة.

وما أن سمع أهل الجزيرة بخبر الجنود الزاحفة نحو الشام حتى انكفأوا عن هرقل ؛ ووقف أبو عبيدة خطيباً في العرب يوقد في قلوبهم جذوة الحماسة ، بعد أن أمّر على ميمنة الجيش خالد بن الوليد وعلى ميسرته العباس ، وتولى هو قيادة قلب الجيش وأقام عند باب المدينة معاذ بن جبل ؛ فوقعت الكسرة على الروم وتمزقوا شرّ ممزق.

وكتب أبو عبيدة الى عمر بالجابية ، يبشره بالفتح وبأنه قادم اليه ويستفتيه في توزيع الغنائم ؛ فكتب اليه عمر أن أشركوا أهل الكوفة فيها وقال : «جزى الله أهل الكوفة خيراً ، يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأنصار (دائرة معارف القرن العشرين لوجدي ٦ ص ٧١٦ والطبري ٤ ص ١٩٦).

وفي رواية أخرى : إن عياضاً بن غنم خرج في أثر القعقاع الذي توجه على رأس أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمص ، فارفض أهل الجزيرة الى كورهم حين سمعوا بمجيء أهل الكوفة ؛ فحاصرهم عياض حتى صالحوه قائلين لأنفسهم : أنتم بين أهل العراق والشام ، فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وأولئك؟ وبعثوا في ذلك الى عياض وهو في أواسط الجزيرة فقبل منهم وبايعوه... وكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً وأيسرها فتحاً ؛ وقال عياض في ذلك :

مَن مبلغ الأقوام أن جموعنا ... حوت الجزيرة يوم ذات زحام
جمعوا الجزيرة والغياث فنفسوا ... عمّن بحمص غيابة القدّام
إن الأعزة والأكارم معشر ... فضّوا الجزيرة عن فراخ الهامِ
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا ... عن غزو من يأوي بلاد الشامِ

وبعد الفراغ من حمص كتب أبو عبيدة الى عمر بعد انصرافه من الجابية أن يضم اليه عياض بن غنم فصرفه اليه (ابن خلدون ٢ ص ١٠٧ — ١٠٩ والخطط ١ ص ١٢٨).

بعد هذا الفشل الذي مني به هرقل، سار من الرها الى القسطنطينية ولما بلغ نشزاً من الأرض وقف عليه والتفت نحو سورية وقال:

«السلام عليك يا سورية، سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود اليك رومي بعدها إلّا خائفاً حتى يولد الولد المشؤوم وليته لم يولد، فما أحلى نفعه لك وأمرَّ فتنته على الروم (البلاذري وابن الأثير وأبو الفداء والطبري والخطط وابن العبري والمنبجي).

ومما ذكره العلامة محمد كرد علي في كتابه خطط الشام (١ ص ١٢٤) في تعليل انهزام الروم بهذه السرعة عدة أسباب نلخصها في ما يأتي:

اً — تأليف جيش الروم من أخلاط متعددة الأجناس.

٢ً — استياء رجال الدين من هرقل للقواعد التي ابتدعها لوضع حد للمنازعات الدينية فكان أن ساعدوا على تسليم البلاد للعرب.

٣ً — ان العرب المتنصرة في الشام عادوا بعد أن كانوا مع الروم لأول وهلة فانضموا الى اخوانهم العرب المسلمين أخذاً بالنعرة الجنسية.

٤ً — أن اليهود السامريين كانوا مع المسلمين الفاتحين ضد الروم.

٥ً — أن الأمير هرقل جمع في جيشه في حمص ثمانين ألف مقاتل؛ نصفهم من جنده والنصف الآخر من الأرمن؛ وبالرغم من أن النجدات كانت تتوالى عليه إلّا أن الشقاق الداخلي مزّق أحشاء الجيش البيزنطي؛ إذ حاول الأرمن تنصيب ماهان أمبراطوراً قبيل وقعة اليرموك وفشلوا فكأن ذلك في مصلحة العرب.

الفصل الثالث

حمص في أيام الخلفاء الراشدين

الخلفاء الراشدون في الاسلام أربعة وهم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب. وانما لقبوا بالراشدين لأنهم أرشد من ولي الخلافة في الاسلام وأقربهم الى روحه.

وكان لحمص الحظ في انها كانت ذات شأن كبير في أيام الخلفاء الأربعة وإن كانت لها مواقف إيجابية في بعض الحوادث وسلبية في الأخرى ؛ فالمهم أن أهليها أثبتوا وجودهم في هذه الحقبة الممتدة من سنة (١١ — ٤٠ هـ ٦٣٢ — ٦٦٠ م) ؛ ولا يعيب المرء أن يخطىء في اجتهاده بحيث يعترف بغلطه متى حصحص له الحق ، وإنما العيب أن يكون المرء غير مخلص للمبدأ الذي يتمسك به مع معرفته وثقته أنه على حق :

أولاً — حمص في أيام أبي بكر

معركة أجنادين

أجنادين سهل مرمل واقع جنوبي دمشق بين الرملة وبيت جيريد من أرض فلسطين وفيها جرت المعركة ذات الشأن في تاريخ الاسلام وفتوح الشام التي نلخصها عن المؤرخ الكبير الموثوق بصدقه أبي جعفر الطبري (٣ ص ٢٨) الذي رواها كما يلي :

لما قفل أبو بكر من الحج سنة (١٢ هـ — ٦٣٣ م) اهتم بتسيير الجيوش لفتح البلاد الشامية . وفي أوائل سنة (١٣ هـ — ٦٣٤ م) وجه الجنود المثالية الى الشام ؛ وأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص ثم عزله وولى يزيد بن أبي سفيان فكان أول الأمراء الذين خرجوا الى الشام .

واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع وأمَّره على حمص وخرج معه وهما راجلان والناس معها وخلفهما .

وشهد وقعة أجنادين نحو مئة ألف من الروم ، وكان هرقل يومئذٍ مقيماً في حمص فتمزق جيش الروم شر ممزق وقتل منهم خلق كثير ، واستشهد من المسلمين يومئذٍ عبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب وعمرو بن سعيد بن العاص وأخوه ابان وطليب بن عمير بن وهب وسلمة بن هشام بن المغيرة وهبار بن سفيان .

ولما انتهى خبر هذه المعركة الى هرقل انتقل من حمص الى انطاكية . وكانت معركة اجنادين على رأي أصدق المؤرخين في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هجرية و٣٠ تموز سنة ٦٣٤ مسيحية .

وكانت كتائب الحمصيين في معركة اجنادين من أهم فرق الروم ومع احدى هذه

الكتائب قتل عبد الله بن الزبير (ابن عم النبي العربي) بعد أن أبلى البلاء الحسن فقتل من الروم عدداً ليس بقليل ثم أثخنته الجراح فمات شهيداً.

وروي أن عبد الله المذكور قتل في تلك المعركة عدداً من بطارقة الروم فعزم عليه عمرو ابن العاص أن لا يعود الى المبارزة فأبى: ثم وجد في ريضة وحوله عشرة من الروم قتلى وهو مقتول بينهم وكان عمره يوم استشهد نحواً من ٣٠ سنة. وقد رثاه عبد الله بن أبي مسرح بقصيدة منها هذان البيتان:

لقد أردتْ كتائب أهل حمص بعبد الله طرفاً غير وغل
شجاع الحرب إن شدت وقوداً وللحادين جبر كل رحل

وأقوال المؤرخين في تحديد موقعة أجنادين مضطربة يتعذر معها استخلاص الحقيقة. وقد روى رفيق العظم اضطراب أقوالهم في كتابه «أشهر مشاهير الاسلام (٢ ص ٢٤٢) وارتأى أخيراً أن ذلك ناتج عن حصول ثلاث معارك متشابهة ارتبكوا في ترتيبها لتشابه البواعث والأسماء وهي:

١ً — أجنادين الأولى في أواخر سنة (١٢ —٦٣٣) أو أوائل (١٣ هـ — ٦٣٤م).

٢ً — اليرموك وكانت في جمادى الأول سنة (١٣ هـ—٦٣٤م.

٣ً — أجنادين الثانية وكانت سنة (١٤ —٦٣٥) أو (١٥ هـ — ٦٣٦م).

والمعركة التي ذكرناها هي الأولى وقد حدثت قبل وفاة الخليفة أبو بكر الصديق بنحو شهر من الزمن.

ثانياً — حمص في أيام عمر بن الخطاب

روى الطبري (٣ ص ٩٦ و٩٧): «ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرج أمر أمير حمص بالسير والمضي لمقاتلة العرب هناك قائلاً: لقد بلغني أن طعامهم لحوم الإبل وشرابهم ألبانها وهذا وقت الشتاء، فلا تقاتلوهم إلّا في كل يوم بارد، فإنه لا يبقى الى الصيف منهم أحد. ثم ارتحل هرقل مع حاشيته الى الرها؛ ولكن أبا عبيدة كان قد وصل الى جهات حمص. ثم أقبل خالد بن الوليد بعده؛ فاعتصم الروم في المدينة ثم أخذوا يحاربون المسلمين في كل يوم بارد.

ولقي المسلمون برداً شديداً والروم حصاراً طويلاً. فأما الأولون فصبروا ورابطوا حتى اضطرب الشتاء وتمسك القوم بالمدينة على أمل أن يهلك الشتاء العرب. ولما ولى الشتاء ولم يرحل المسلمون، قام في المدينة شيخ يدعوهم الى المصالحة؛ وكان أبو عبيدة قد بعث السمط بن الاسود الكندي في بني معاوية والأشعث وابن عابس في السكون وبلالاً وخالداً ببقية الجيش. وأقام في عسكره حتى جاءه خبر المصالحة فأرسل الى عمر بالفتح؛ وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود وأخبره أن هرقل في الجزيرة، فهو في الرها ينغمس أحياناً ويطلع أخرى.

وكان فتح حمص سنة ١٥ هجرية و٦٣٦ مسيحية.

واستخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت، ثم قصد حماة فصالحه أهلها ومنها الى معرة حمص (وهي التي دعيت فيما بعد معرة النعمان منسوبة الى النعمان بن بشير الأنصاري) فصالحته على ما صالحه أهل حمص ومنها اتجه الى اللاذقية فملكها عنوة.

وكان خالد بن الوليد قد اتجه نحو قنسرين فعرض عليه أهلها الصلح وفق ما صالح عليه أهل حمص فأبى إلّا خراب المدينة.

ولما تمّ للمسلمين فتح سورية بعد حروب استمرت ثلاث سنوات؛ إذ بهرقل قادم بجند كثيف نحو حمص بطريق الساحل. وكان أبو عبيدة إذ ذاك في حمص فاستمد خالداً فجاءه بمن معه؛ وكان من رأي خالد مناجزة العدو؛ وأشار غيره باستشارة الخليفة عمر، ففعل أبو عبيدة بالرأي التالي. وكتب عمر للحال الى سعد بن أبي وقاص في العراق أن أبا عبيدة أحيط به ولزم حصته؛ فبثّ المسلمين بالجزيرة وأشغل الروم بهم عن أهل حمص. فأرسل سعد القعقاع بجيش الى الجزيرة. وخرج الخليفة عمر بن الخطاب نفسه ممداً أبا عبيدة فنزل الجابية؛ وما أن بلغ الروم ذلك حتى انقضوا الى مدائنهم؛ وجال المسلمون بينهم وبين مداد هرقل لمهاجمة حمص وهكذا دب الفشل والرعب في جنوده وانهزموا هزيمة شنعاء؛ وبذلك تم فتح بلاد الشام ويئس هرقل من العودة اليها نهائياً وتم ذلك سنة ١٦ هجرية و٦٣٧ مسيحية.

ولما مات الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هجرية و٦٤٣ مسيحية كانت المملكة الاسلامية ذات عشر إمارات عاصمتها المدينة المنورة وكانت حمص الإمارة التاسعة فيها وأميرها عمير بن سعيد.

أما الإمارات العشر فهي في جزيرة العرب : مكة والطائف وصنعاء ونجد والبحرين وفي العراق الكوفة والبصرة وفي الشام دمشق وحمص وفي أفريقيا مصر — الفسطاط — (الأنطاكي ص ٢٢٢).

ثالثاً — حمص في أيام عثمان بن عفان

فتح قبرص من حمص

روى ابن خلدون (٢ ص ١٣٠) : إن معاوية بن أبي سفيان في أيام عمر بن الخطاب كان في حمص وخطر له وهو فيها أن يغزو قبرص فكتب اليه بهذا الشأن ومما قاله في رسالته : إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح الكلاب في قبرص وصياح دجاجهم (مبالغة في قرب قبرص من سورية). » فطلب عمر من عمرو بن العاص أن يصف له البحر وراكبه فكتب اليه ما يأتي : «هو خلق كبير يركبه خلق صغير، ليس إلّا الماء والسماء ؛ إن ركد فلق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول ؛ يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة، وراكبه دود على عود، إن مال غرق وإن نجا برق».

فكتب عمر الى معاوية : «والذي بعث محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً ؛ وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء في الأرض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر؟ والله لمسلم واحد أحبّ إليّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي في ذلك...

فلما تولى الخلافة عثمان أعاد معاوية الكرة عليه وظل يلجّ في ذلك حتى سمح له على أن يكون الغزاة مختارين ؛ فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر الغفاري وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت واستعمل عليهم عبد الله بن قيس، وسار الغزاة الى قبرص سنة (٢٨ هـ — ٦٤٨ م) وجاءهم عبد الله بن أبي سرح من مصر، فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة».

وهذه الغزوة ذكرها بالتفصيل كل من الطبري (٥ ص ٥١ — ٥٤) وابن الأثير (٣ ص ٣٦ و٣٧) وأبو الفداء (ص ١٦٧) والبلاذري (ص ١٥٩ — ١٦٤).

الأشتر النخعي في حمص

روى حادث الأشتر ومجيئه الى حمص رهط من المؤرخين كالطبري (٥ ص ٨٧) وابن الأثير (٣ ص ٥٤) وابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة ١ ص ١٦٠) وخلاصتها:

إن الخليفة عثمان عيَّن الوليد بن عقبة (وهو أخوه لأمه) والياً على الكوفة سنة (٢٥ هـ — ٦٦٥ م) فشرب الخمر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربع ركعات، فشكي الى عثمان فأمر بجلده وعزله، ثم استعمل عليها بعده سعيد بن العاص سنة (٣٠ هـ — ٦٥٠ م) فاستخلص هذا قوماً من أهلها يسمرون عنده؛ وفي أثناء سمرهم تخالف في إحدى نقاط الحديث مع الاشتر النخعي، فأكبر صاحب شرطته جواب الاشتر فأغلظ له الكلام فما كان من الاشتر إلّا أن قام فضربه أمام الأمير ضرباً شديداً؛ فاغتاظ هذا وأبعد سماره؛ فنقم هؤلاء عليه وجعلوا ينالون منه في مجالسهم، ثم تجاوزوه الى عثمان؛ فشكاهم الأمير الى الخليفة فأمره هذا أن يسيرهم الى الشام ليؤدبهم معاوية. فلما قدموا عليه وكانوا: الاشتر والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس وكلهم من النخع ومعهم مالك بن كعب الأرجي وصعصعة بن صوصان العبيدي وآخرون؛ وكانت لهم مع معاوية مجالس طالت فيها المحاورات وعلت فيها كلمة صعصعة خطيبهم فوق كلمة معاوية، وبلغ منهم أن وثبوا على معاوية حين غلظ اللهجة فأخذوا برأسه ولحيته؛ فكتب معاوية الى عثمان بأمرهم فأمره بردّهم الى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم؛ فأطلقوا ألسنتهم في ذمه وذمّ عثمان، فكتب اليه عثمان أن يسيرهم الى حمص الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففعل.

ولما وصلوا الى حمص جمعهم عبد الرحمن بعد أن أنزلهم أياماً في أحد المنازل دون أن يقابلهم وفرض عليهم طعاماً خاصاً؛ ثم قال لهم: يا بني الشيطان، لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغيكم، جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم؛ يا معشر ما لا أدري... أعرب أنتم أم عجم؟ أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية؟ فأنا ابن خالد بن الوليد؛ أنا ابن من عجمته العاجات؛ أنا ابن فاقىء عين الردّة؛ والله يا بن صوحان لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى،... إن بلغني أن أحداً ممن معي، دق أنفه، ما قنعتُ برأسك.

وأقاموا عنده شهراً؛ كلما ركب سيَّرهم معه راجلين ويقول لصعصعة: يا بن الخطية إن لم يصلحه الخير، أصلحه الشر؛ ما لك لا تقول لي كما قلت لسعيد ومعاوية؟ فيقولون:

نتوب الى الله ، أقلنا أقالك الله... وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى قال :. تاب الله عليكم ؛ ثم كتب الى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم حتى ردهم الى الكوفة (الواقدي).

مبايعة معاوية بالخلافة في حمص :

لما قتل عثمان بن عفان سنة (٣٥هـ — ٦٥٥م) حمل النعمان بن بشير كتاب زوجته الى معاوية وقد ذكرت فيه كيف دخل القوم على الخليفة وما صنع محمد بن أبي بكر من نتف لحيته ، وفي الكتاب رقة بحيث إذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه ؛ وأرسلت مع الكتاب قميص عثمان مخضباً بالدم وممزقاً ؛ وعقدت شعر لحيته بزرّ القميص.

فلما تسلمه معاوية تأثر جداً وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بالخليفة ، فبكى الجميع وشهقوا حتى كادت تزهق أرواحهم ؛ فحرضهم على الطلب بدم عثمان ، فلبوا دعوته وبايعوه بالإمارة عليهم.

وكان عمرو بن العاص آنئذٍ في ضيعة له في فلسطين ، قد اعتزل الفتنة ، فاستدعاه معاوية مسترشداً برأيه ووعده بملك مصر إن هو ظفر بعلي. فارتأى عمرو أن يجنب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي رأس أهل الشام وهو بحمص. وسار هذا يستقري مدنها مدينة مدينة ، يحرض الناس على الأخذ بدم عثمان ؛ فأجابه الناس كلهم إلا نفراً من أهل حمص نساكاً فإنهم قالوا : نلزم بيوتنا ومساجدنا وأنتم أعلم منا. فدعا شرحبيل بضعة من أشراف حمص وقال لهم : ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع معاوية الإمارة وهذه سقطة ؛ ولكننا نبايعه بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة ؛ فبايع أهل حمص لمعاوية بالخلافة كما بايعه شرحبيل ؛ ثم كتب الى معاوية ما يأتي :

« أما بعد فإنك أخطأت خطأ عظيماً حين كتبت إليَّ أن أبايع لك بالإمارة وإنك تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة. وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة ».

فلما قرأ معاوية كتابه ، سره ذلك جداً ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ، ولم يتخلف منهم أحد (الإمارة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٠).

وذكر المؤرخون أن عمال عثمان الكبار في السنة التي توفي فيها بلغ عددهم /٢٥/ يأتي في طليعتهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص (مشاهير الاسلام ص ٨٤٥ و٨٤٦).

رابعاً — حمص في أيام علي بن أبي طالب

معركة صفين

صفين موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي ؛ بين الرقة وبالس ؛ وفيها جرت المعركة الشهيرة سنة (٣٧ هـ — ٦٥٧ م) بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان.

وكان مع علي /٩٠/ ألفاً من العراقيين ومع معاوية /١٢٠/ ألفاً من الشاميين وقتل في هذه المعركة سبعون ألفاً منهم /٢٥/ ألفاً من أصحاب علي و/٤٥/ ألفاً من أصحاب معاوية كما قتل فيها /٢٥/ صحابياً وطالت أيام المعارك حتى /١١٠/ أيام.

ولقد اهتمّ المؤرخون كثيراً لمعركة صفين وفصلوا حوادثها تفصيلاً دقيقاً جاؤوا فيه على صغريات أدوارها ؛ فذكرها ابن الأثير في نحو /٣٠/ صفحة (٣ ص ١٠٨ — ١٣٨) وذكرها الطبري في /٦٠/ صفحة (الخامس والسادس) وخلاصة ما دون هنالك :

إن علياً أرسل جريراً البجني الى معاوية يدعوه الى طاعته ، فرفض هذا بحجة أنه يبغي الثأر لعثمان أولاً ، فخرج علي اليه بجيشه وتجهز معاوية متأنياً. وكان ذلك في أواخر سنة (٣٦ هـ — ٦٥٦ م) ودخل محرم سنة (٣٧ هـ — ٦٥٦ م) فحصلت مناوشات بين الجيشين وسعى بعضهم لأجل الصلح فرفضه معاوية واستعر القتال...

ذكر ابن مزاحم (ص ٩٤ و ١٥٤) أن معاوية استعمل على حمص محول بن عمرو بن ذاعبة وكان لواء المعركة بيد عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أمير حمص ؛ وكان قلب جيش معاوية أهل دمشق وعليهم الضحاك بن قيس النهري والميمنة أهل حمص وعليهم ذو الكلاع الحميري والميسرة أهل الأردن وعليهم أبو الأعور السلمي ؛ أما رجالة حمص فكان عليهم حوشب ذو ظليم وعلى قيس وأياد حمص بلال بن هبيرة الأزدي وحاتم بن المعتمر الباهلي ، وعلى قضاعة حمص عباد بن يزيد الكلبي ؛ وعلى كهذة يزيد بن هبيرة السكوني.

وبعد المبارزة اشتبكت الصفوف من الجهتين واشتد القتال. وكان أشد القبائل المناصرة لعلي فتكاً همذان ، وأكثر الناس بلاءً من جهة معاوية الحمصيون ؛ ولذلك حضّ الإمام علي الاشتر النخعي أن يتقدم بلوائه نحو الحمصيين ومن اليهم من أهالي قنسرين فتقدم وأكثر القتل فيهم.

وروى المسعودي وابن مزاحم (ص ٣٢٦ و٣٢٧) أن علياً جمع همذان وقال لهم : «يا معشر همذان أنتم درعي ورمحي ، ما نصرتم إلا الله ولا أحببتم غيره» . فأجابه سعيد بن قيس : أحببنا الله وأنت وقاتلنا معك من ليس مثلك ، فارمِ بنا حيث شئت . فقال الإمام علي إذ ذاك :

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمذان ادخلي بسلام

ثم قال لحامل لواء همذان : أكفني أهل حمص ، فإني لم ألقَ من أحد ما لقيت منهم ؛ فتقدم وتقدمت همذان وشدوا شدة واحدة على أهل حمص وضربوهم ضرباً شديداً متداركاً بالسيوف وعمد الحديد حتى اضطروهم الى اللواذ بقبة معاوية ؛ وارتجز رجل من همذان قائلاً :

قد قتل الله رجال حمص حرصاً على المال وأي حرص
غروا بقول كذب وفرص قد نكص القوم وأي نكص
عن طاعة الله وفحوى النص

فأجابه رجل من أهل حمص يتقدم كندة بقوله :

قد قتل الله رجال العاليه في يومنا هذا وغدوا ثانية
حتى يكونوا كرجال باليه من عهد عاد وثمود الثاويه
بالحجر أو يملككم معاويهْ

ولما اشتد القتال وعظم الخطر ، رفع الشاميون المصاحف وطلبوا التحكيم الى كتاب الله . فعرف الإمام علي أنها خدعة ، ولكن قومه استكبروا أن يرفضوا الرجوع الى حكم القرآن فقال لهم علي كلمته المأثورة : «كلمة حق يراد بها باطل» . وإذ أصروا اضطر لقبوله خشية الفتنة فاختار العراقيون أبا موسى الأشعري ، واختار الشاميون عمرو بن العاص ؛ فأقنع الأخير الأول برفض الزعيمين وإيكال اختيار الخليفة الجديد للأمة . وهكذا فإنه لما وقف الأشتري في المسجد بين القومين وأعلن خلعه علياً ومعاوية ؛ وقف ابن العاص على أثره وأيد الشطر الأول من كلامه — أعني به خلع عليّ — ولكنه أيد معاوية للخلافة . وأدى ذلك الى تفاقم الخطب وظهور الخوارج ضد علي لأنه رضي بالتحكيم .

وارتأى الدكتور وجدي (دائرة معارف القرن العشرين ص ٦٦٢) ان ذلك التحكيم

وإن كان أحبولة من أحابيل معاوية، لكنه ما كان عادلاً ؛ ولو أن علياً وحزبه قبلوا بخلع الزعيمين لأجمع المسلمون أو أكثريتهم على انتخابه ثانية ؛ وذلك يوهن أمر معاوية لو أراد المعارضة : ولكن رفض علي وشيعته حكم الحكمين بعد قبولهم التحكيم أضعف أمر علي وقضى على أصحابه بالتخاذل والتثاقل عن القتال معه ؛ وهو الذي شدد من قوة معاوية وزاد في التفاف الأنصار حوله وأعطاه أكبر حجة أمام المسلمين وقتئذ في الاستمرار على منازعة الإمام علي.

أمراء حمص أيام الخلفاء الراشدين

الى القارىء جدولٌ يتضمن أسماء أمراء حمص أيام حكم الخلفاء الراشدين ثم نتبعه بلمحة موجزة عما اتصل بنا من حياة كل منهم :

١ً — السمط بن الاسود الكندي	سنة ١٥ هـ — ٦٣٦م
٢ً — عبادة بن الصامت	سنة (١٥ هـ — ١٦ هـ) (٦٣٦م — ٦٣٧م)
٣ً — عبد الله بن قرط	سنة (١٦ هـ — ١٨ هـ) (٦٣٧م — ٦٣٩م)
٤ً عياض بن غنم	سنة (١٨ هـ — ١٩ هـ) (٦٣٩م — ٦٣٩م)
٥ً — حبيب بن مسلمة الفهري	سنة (١٩ هـ — ٢٠ هـ) (٦٣٩م — ٦٤٠م)
٦ً — سعيد بن عامر	سنة (٢٠ هـ — ٢٠ هـ)(٦٤٠م — ٦٤٠م)
٧ً — شداد بن أوس	سنة (٢٠ هـ — ٢١ هـ) (٦٤٠م — ٦٤١م)
٨ً — عمير بن سعيد	سنة (٢١ هـ — ٢٣ هـ) (٦٤١م — ٦٤٣م)
٩ً — شرحبيل بن السمط (مرتين)	سنة (٢٣ هـ — ٢٦ هـ) (٦٤٣م — ٦٤٦م)

١٠ً — عبد الرحمن بن خالد بن الوليد سنة (٢٦هـ — ٤٦هـ) (٦٤٦م — ٦٦٦م)

الأول— السمط بن الاسود الكندي

قال صاحب تاج العروس (٥ ص ١٥٨) السمط ، الرجل الداهية في أمره ، الخفيف في جسمه أو الصياد كذلك وهو أكثر ما يوصف به والذي قيل فيه :

سمطاً يربي ولدة زعابلا جاءت فلاقت عنده الضآيلا

وقال ابن عربي في شرحه : شبه الصائد بالسمط من النظام في صغر جسمه وصدره وخفته وهزاله .

والسمط بن الأسود هو والد شرحبيل الصحابي أبو يزيد أمير حمص لمعاوية ؛ وكان من فرسانه واختلف مع صحبته ؛ روى عنه جبير بن نفير وكثير بن مرّة ، توفي سنة (٤٢هـ— ٦٦٢م) ، ذكره سيف في الفتوح وروى أنه شهد اليرموك وثبت هو وولده شرحبيل على الاسلام يوم ارتدت كندة وانضما الى زياد بن لبيد . ويقول المظفري في تاريخه عن ردة اليمن : لقد ارتدت كندة كلها إلّا السمط بن الاسود الكندي وولده شرحبيل .

وروى ابن الأثير : انه لما اجتمعت ملوك كندة الأربعة ونزلوا محاجرهم ، نزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها ؛ فنزل الأشعث بن قيس محجراً والسمط بن الاسود محجراً ، واتفق بنو معاوية على منع الصدقة إلّا السمط وابنه فإنهما قالا لبني معاوية ، «انه لقبيح بالأحرار التنقل ، إن الكرام ليكونون على الشبهة فيكرهون أن يتنقلوا منها الى الأوضح مخافة العار ؛ فكيف بالرجوع عن الجميل والحق الى القبيح والباطل ! ! اللهم إنا لا نمالىء قومنا على ذلك» . ثم انتقل مع ابنه وقومه ونزل عند زياد .

وروى البلاذري (ص ١٤٤) عن العباس بن هشام الكلبي قال : أبلى السمط بن الاسود والكندي بالشام عامة وبحمص خاصة وفي يوم اليرموك ، وهو الذي قسم منازل حمص بين أهليها .

وكان ابنه شرحبيل بالكوفة مقاوماً للأشعث بن قيس الكندي في الرئاسة ، فوفد السمط الى الخليفة عمر فقال له : يا أمير المؤمنين إنك لا تفرق بين السبي ؛ وقد فرقت بيني وبين ولدي ، فحوله الى الشام أو حولني الى الكوفة . فقال عمر : بل أحوله الى الشام فنزل حمص مع أبيه .

ونقل بعضهم : إن العرب أخذوا حمص بالحيلة ، وكان على المسلمين السمط بن الاسود الكندي فصالحهم على / ١٧٠ / ألف دينار ؛ ثم قدم أبو عبيدة حمص على طريق بعلبك وأمضى صلح السمط .

وروى ابن خلدون (ج٢ ص ١٠٤) أن أبا عبيدة أنزل السمط بن الاسود في بني معاوية من كندة في حمص مع من أنزل ؛ ولما بلغه أن أهل قنسرين غدروا بعهدهم بعد أن سلموا لخالد بن الوليد بعث اليهم السمط الكندي فحاصرهم وفتحها ، وأصاب فيها بقراً وغنماً ، فقسم بعضه في جيشه وجعل بقيته في المغنم ولذلك ضمت قنسرين الى حمص زمناً طويلاً .

الثاني — عبادة بن الصامت (٥٨٦م — ٦٥٤م) (٣٨ق.هـ — ٣٤هـ)

هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، صحابي من الموصوفين بالورع والتقوى . شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد بدراً وسائر المشاهد (الاعلام للزركلي ٢ ص ٤٨٦) .

قال النووي (١ ص ٢٥٧) : استعمل النبي عبادة على الصدقات وكان يعلم أهل الصنعة القرآن . ولما فتحت الشام أرسله عمر بن الخطاب ومعاذاً وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام فأقام عبادة بحمص ومعاذ بفلسطين وأبو الدرداء بدمشق .

وروى صاحب الاصابة في تمييز الصحابة : إنه لما حارب بنو قينقاع النبي بإغراء عبد الله بن أبيّ ، تخلى عبادة عنهم وتبرّأ الى الله ورسوله من حلفهم .

وذكر خليفة أن أبا عبيدة ولّاه إمرة حمص ثم صرفه وولى مكانه عبد الله بن قرط .

ولعبادة قصص متعددة مع معاوية وإنكاره عليه أشياء كان يقوم بها ، وفي بعضها رجوع معاوية الى آرائه مما يدل على أصالته في فهم الدين وقيامه في الأمر بالمعروف .

وروي ان معاوية خالف عبادة في شيء أنكره ، فأغلظ له معاوية في القول ، فقال عبادة : لا أساكنك في أرض واحدة أبداً ؛ ثم رحل الى المدينة ؛ فقال له عمر : ما أقدمك الينا؟ فأخبره بالأمر ، فقال عمر : ارجع الى مكانك ... أيفتح الله أرضاً لست فيها أنت ولا أمثالك؟ وكتب الى معاوية : لا إمرة لك عليه (البلاذري ١٣٩ وابن خلدون ٢ ص ١٠٤ وابن الأثير ٢ ص ١٩٠) .

ونقل صاحب الرياض النضرة (ص ١٤٧) عن عبادة ومعاوية الحادثة التالية:

إن معاوية لما غزا جزيرة قبرص، كان معه عبادة بن الصامت؛ فلما فتحوا الجزيرة وأخذوا غنائمها أخرج معاوية خمسها وبعثه الى عثمان، وجلس يقسم الباقي بين جنده. وجلس جماعة من أصحاب النبي (ص) ناحية منهم عبادة وآخرون؛ فمرّ بهم رجلان يسوقان حمارين فقال لهما عبادة: ما هذان الحماران؟ فقالا إن معاوية أعطاناهما من المغنم؛ وإنا لنرجو الحج عليهما. فقال لهما عبادة لا يحل لكما ولا لمعاوية ذلك؛ فردَّ الرجلان الحمارين. فسأل معاوية عبادة عن ذلك؟ فقال عبادة: شهدت رسول الله في غزوة حنين والناس يكلمونه في الغنائم فأخذ وبرة من بعير وقال: ما لي مما أفاد الله عليكم من هذه الغنائم إلا بخمس والخمس مردود عليكم؛ فاتقِ الله يا معاوية واقسم الغنائم على وجهها ولا تعطِ منها أحداً أكثر من حقه؛ فقال له معاوية: قد وليتك قسمة الغنائم، ليس بالشام أحد أفضل منك ولا أعلم؛ فاقسمها بين أهلها واتقِ الله فيها فقسمها عبادة وأعانه على ذلك أبو الدرداء وأبو إمامة.

ولما فتح أبو عبيدة حمص استخلف عليها عبادة بن الصامت.

وروى البلاذري (ص ١٤٣): إن عبادة عاتب عمراً لأنه أبى على جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة أن يؤدي الصدقة ويبقي على نصرانيته؛ إذ قال له: لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم؛ فندم عمر.

وكان عبادة طويل القامة جميل الهيئة مات سنة (٣٤هـ— ٦٥٤م) وله من العمر /٧٢/ سنة.

الثالث— عبد الله بن قرط

هو عبد الله بن قرط الأزدي؛ روى أحمد بن حنبل أن اسمه كان شيطاناً فغيره النبي وسماه عبد الله.

وتحدث صالح بن شرع فقال إنه كان كاتباً لعبد الله بن قرط، وكان عبد الله أميراً لحمص لأبي عبيدة في عهد عمر بن الخطاب.

وروى صاحب الاصابة (٤ ص ١١٩) إن عبد الله بن قرط كان يعسُّ بحمص ذات ليلة وكان عاملاً لعمر؛ فمرت به عروس وهم يوقدون النيران بين يديها، فضربهم بدرته

حتى تفرقوا عن عروسهم. فلما أصبح صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا جندلة تزوج إمامة فصنع لها حبات من طعام؛ فرحم الله أبا جندله وصلى على إمامة ولعن الله عروسكم. البارحة أوقدوا النيران وتشبهوا بالكفرة والله مطفىء نوره».

وروى ابن يونس في الكمال (ص ١٧٨) انه كان على حمص في خلافة معاوية وانه استشهد في أرض الروم سنة (٥٦ هـ ــ ٦٧٥ م).

الرابع ــ عياض بن غنم

عياض بن غنم بن زهير الفهري، قائد من شجعان الصحابة وغزاتهم، أسلم قبل الحديبية وشهدها، وكان بالشام مع ابن عمه أبي عبيدة بن الجراح الذي قبل أن يتوفى سنة (١٨ هـ ــ ٦٣٩ م) استخلفه بالشام؛ فأمره عمر بن الخطاب وقال: لا أغير أميراً أمَّره أبو عبيدة. وهو الذي فتح بلاد الجزيرة وصالحه أهلها.

وذكر النووي (التهذيب ٢ ص ٤٣): إنه أول من اجتاز الدروب الى الروم غازياً؛ وكان صالحاً جواداً، وكان يسمى «زاد الراكب» يطعم الناس زاده، فإذا نفذ، نحر لهم بعيره. وظل والياً لعمر حتى توفي سنة (٢٠ هـ ــ ٦٤١م وهو ابن ستين سنة.

وروى البلاذري (ص ١٥٣) أن أبا عياض كان اسمه عبد غنم، فلما أسلم عياض كره أن يقال عبد غنم فقال: أنا عياض غنم.

ولما رحل أبو عبيدة الى حلب، كان على مقدمته عياض، فوجد أهلها قد تحصنوا فنزل عليها. ولم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان فصالحهم عياض وصادق أبو عبيدة على صلحه. ولما نقض الأنطاكيون العهد، وجه اليهم أبو عبيدة عياضاً ففتحها مع حبيب بن مسلمة الفهري على الصلح الأول.

ونقل البلاذري عن الواقدي قوله: «أثبت ما سمعنا في أمر عياض أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هجرية واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته إمارة حمص وقنسرين والجزيرة؛ فسار الى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ١٨ في خمسة آلاف وعلى مقدمته ميسرة بن مرزوق العبسي وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن جذيمة الجمحي وعلى ميسرته صفوان بن المعطل السلمي. وهو فاتح الرقة وحران والرها ونصيبين وميافارقين وقرى الفرات وكل ذلك في سنة (١٩ هـ ــ ٦٤٠ م) وأيام من محرم (٢٠ هـ ــ ٦٤٠ م) وفي ذلك يقول عياض بن غنم:

من مبلغ الأقوام أن جموعنا حوت الجزيرة غير ذات رجام
جمعوا الجزيرة والغياب فنفسوا عمن بحمص غيابة القدّام
إن الأعزة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراج الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا عن غزو من يأوي بلاد الشام.

ومعظم أقوال المؤرخين تقول إن عياضاً توفي سنة (٢٠ هـ — ٦٤٠م). غير أن ياقوتاً الحموي نقل (٢ ص ٩٠) أن عياضاً لما فرغ من الجزيرة؛ دخل الدرب فبلغ بدليس فجازها الى خلاط وصالح بطريقها وانتهى الى العين الحامضة فلم يتجاوزها وعاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط وجاجمها؛ ثم انصرف الى الرقة ومنها الى حمص ومات بها سنة (٢٦ هـ — ٦٤٦م) (ابن خلدون ٢ ص ١٠٩) والله أعلم.

الخامس — حبيب بن مسلمة الفهري

هو من الصحابة الذين يثبت صحة صحبته أهل الشام وينكرها عليه أهل المدينة. تولى إمرة حمص بعد عياض بن غنم سنة ١٩ هجرية، فترة وجيزة انتهت مع مطلع سنة ٢٠ هجرية.

وممن ذكر أمر نزوله مدينة حمص وتوليه إمرتها فعددهم كبير وجلّهم من الموثوقين كصاحب الإصابة (ص ٨٧٨) والبلاذري (ص ٢١٢) وابن عساكر (٤ ص ٣٥) والاعلام للزركلي (١ ص ٢١٠). والمرجح أنه توفي إبان خلافة معاوية بن أبي سفيان لأنه كان من القادة الذين حاربوا الروم في أيامه.

السادس — سعيد بن عامر

هو سعيد بن عامر الجمحي؛ من كبار الصحابة وفضلائهم، أسلم قبل خيبر وهاجر، فشهدها وما بعدها وولاه عمر بن الخطاب إمارة حمص بعد عياض بن غنم.

قال عبد الصمد القاضي: ولي سعيد حمص نصف سنة ومات بها سنة (٢٠ هـ — ٦٤٠م) وليها في المحرم ومات في جمادى الأولى (الاصابة ٣ ص ١٠٠).

وروى ابن عساكر في ترجمته (٦ ص ١٤٥ — ١٤٧) أن أهل حمص كان يقال لهم الكوفة الصغرى لشكاياتهم العمال فولى عمر عليهم سعيداً فلما قدمها عمر قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فقالوا... إننا نشكو منه أربع خصال:

١ً— لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار.
٢ً— لا يجيب أحداً بليل.
٣ً— له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا.
٤ً— يغط الغطة بين الأيام— يعني تأخذه صوتة «غشية».

فجمع عمر بينه وبينهم وقال له ما قاله فيه أهل حمص!! فقال:

أما إنني لا أخرج حتى يتعالى النهار فإني كنت أكره ذلك. ولكن لم يكن لأهلي خادم، فكنت أعجن عجيني وأنتظره حتى يختمر فأخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج اليهم. وأما اني لا أجيب أحداً بالليل؛ فإني جعلت النهار لهم والليل لله عز وجل. وأما اني أجعل لنفسي يوماً في الشهر، فذلك انه لا خادم لي يغسل ثيابي، ولا ثياب لي أبدّلها؛ فأجلس ذلك النهار أغسل ثيابي وأنتظرها حتى تجفّ، فألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار— وأما تلك الغطة بين الأيام، فإني شهدت مصرع حبيب بن عدي الأنصاري؛ وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال... والله إلي ما أحبّ اني في أهلي وان محمداً يشاك بشوكة!! ثم نادى يا محمد... فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال— وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم— إلّا ظننت أن الله لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغشية.

وروى ابن سعد قال: لما أراد عمر استعمال سعيد على حمص، أرسل له قائلاً: إني مستعملك، فقال، لا تفتنّي، قال، إنما أبعثك على قوم لست بأفضلهم، ولست أبعثك لتضرب أعناقهم ولا لتهتك أعراضهم، ولكن تجاهد بهم عدوهم وتقسم بينهم فيأهم؛ فقال له سعيد: اتقِ الله يا عمر... أحب لأهل الاسلام ما تحب لنفسك... ولا تقضِ في أمر واحد بقضاءين... فقال عمر: ويحك يا سعيد... من يطبق هذا؟... قال: من وضع الله في عنقه مثل الذي وضع في عنقك. فقال عمر: إنا سنجعل لك رزقاً؛ فقال... قد أعطيت ما يكفيني دونه. فكان إذا خرج عطاؤه نظر الى قوت أهله من طعام وكساء وما يصلح لهم فيعزله وينظر في بقيته فيتصدق به؛ فيقول له أهله، أين بقية المال؟ فيقول لهم... أقرضته...

السابع— شداد بن أوس

هو شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري وابن أخ حسان بن ثابت شاعر النبي (ص).

اشتهر برواية الحديث. سكن حمص وله صحبة. ومات في فلسطين سنة (٥٨ هـ— ٦٧٧ م) وقيل سنة (٥٤ هـ— ٦٧٣ م) في خلافة معاوية وهو ابن خمس وسبعين. وكان له عبادة واجتهاد في العلم شهد والده أوس بدراً واستشهد يوم أحد. وتولى إمارة حمص في أيام عمر بن الخطاب ويرجح أن إمرته كانت بين سعيد بن عامر وعمير بن سعد؛ ولم تطل (ابن عساكر ٦ ص ٢٨٨).

ومما أخرجه الحافظ بسنده الى شداد بن أوس قال: لما دنت وفاة رسول الله (ص) قام شداد ثم جلس ثم قام ثم جلس؛ فقال النبي: ما قلقك يا شداد؟ قال: يا رسول الله، ضاقت بي الأرض؛ فقال النبي (ص): إلا أن الشام وبيت المقدس ستفتح إن شاء الله وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله.

قال خالد بن سعدان: لم يبق من الصحابة بالشام أوثق ولا أفقه من عبادة بن الصامت وشداد بن أوس؛ وكان أبو الدرداء يقول: إن لكل أمة فقيهاً؛ وفقيه هذه الأمة شداد بن أوس ولقد أوتي علماً وحكمةً.

وقال سعيد بن عبد العزيز: فضل شداد بن أوس الأنصار بخصلتين: بالبيان عند النطق، وبالكظم عند الغيظ.

وكان شداد جريء القلب، عفّ اللسان، لا يماري ولا يداجي في سبيل ما يعتقده حقاً بل يجاهر به إذا سئل. ومما يروى عنه حادثته التالية مع معاوية:

قال له معاوية: يا شداد... أنا أفضل أم علي بن أبي طالب؟ وأينا أحب إليك؟ فأجابه شداد: عليٌّ أقدم هجرة وأكثر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخير سابقة، وأشجع منك نفساً وأسلم قلباً؛ وأما الحب؛ فقد مضى عليّ، وأنت اليوم عند الناس أرجى منه.

وذكر ابن سميع: إن شداداً توفي في بيت المقدس سنة ثمان وخمسين هجرية في خلافة معاوية وهو ابن خمس وسبعين إذ تحول الى فلسطين ومات فيها.

الثامن— عمير بن سعد الأنصاري

هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن عوف الأنصاري الأوسي. قال البغوي في معجم الصحابة: كان يقال له «نسيج وحده». وعن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب هو

الذي نعته بذلك لإعجابه به. صحب الرسول، وهو الذي رفع اليه كلام الجلاس بن سويد وكان يتيماً في حجره؛ وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على حمص الى أن مات.

وكان من الزهاد؛ وذكره ابن سميع في الطبقة الأولى ممن نزل حمص من الصحابة. وقال الواقدي: كان عمر يقول: وددت لو ان لي رجالاً مثل عمير بن سعد، أستعين بهم على أعمال المسلمين. وروى ابن منده عن عبد الرحمن بن عمير بن سعد أن ابن عمر قال له: ما كان بالشام أفضل من أبيك (الاصابة ٥ ص ٣٢ و١٨٣).

ونقل صاحب الخطط (١ ص ١٣٣) ان عميراً هذا كان يقول على منبر حمصي: إلا أن الاسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الاسلام العدل، وبابه الحق. فإذا نقض الحائط وحطم الباب، استفتح الاسلام؛ ولا يزال الاسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط؛ ولكن قضاءً بالحق وأخذاً بالعدل.

كان عمير في سنة (٢١ هـ — ٦٤١ م) على دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة. ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل. ثم جعل عمير في سنة (٢٣ هـ — ٦٤٣م) على حمص ومعاوية على دمشق ثم تولى عمير قنسرين.

قال محمد بن سعيد: مات عمير بن سعد في خلافة عمر. وقال غيره في خلافة عثمان. وفي رواية أخرى انه توفي في خلافة معاوية سنة (٤٥ هـ — ٦٦٥م) (الاعلام ص ٧٤٢).

وفي البلاذري (ص ١٤٣) أن عمر وجه في سنة ٢١ هـ عمير بن سعد الأنصاري الى بلاد الروم بجيش عظيم، وولاه الصائفة؛ وهي أول صائفة كانت. وأمره أن يتلطف لجبلة ابن الأيهم الغساني ويستعطفه بالقرابة بينهما ويدعوه الى الرجوع الى بلاد الاسلام، على أن يؤدي ما كان بذل من الصدقة ويقيم على دينه. فسار عمير حتى دخل بلاد الروم، وعرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه. فأبى جبلة إلّا المقام في بلاد الروم. وانتهى عمير الى موضع يعرف بالحمار، وهو واد فأوقع بأهله وخرَّبه فقيل أخرب من جوف حمار.

وذكر البلاذري في تفصيله: (ص ١٨٤ — ١٨٩) أن عميراً فتح عين الوردة؛ وان رأس العين امتنعت على عياض ففتحها عمير. ولما فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى أتى قرقيسيا وقد نقض أهلها عهدهم، فصالحهم على مثل صلحهم الأول. ثم أتى

حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا ولم يلق في شيء منها كثير قتال .

وروى البلاذري أيضاً : إن عميراً بن سعد استشار عمر في نصارى تغلب الذين أبوا الاسلام وهموا باللحاق بأرض الروم ؛ فكتب اليه عمر أن يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين ويدعهم في أرضهم ، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة وقالوا : أما إذا لم تكن جزية كجزية الاعلاج فإننا نرضى ونحفظ ديننا » .

وفي رواية نهر الذهب (٣ ص ١٩) أن عميراً مرض وطال مرضه فاستعفى عثمان سنة (٢٦ هـ — ٦٤٦ م) فأعفاه وضم حمص وقنسرين الى معاوية الذي ولى على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .

التاسع — شرحبيل بن السمط الكندي

هو شرحبيل بن السمط بن الاسود الكندي أبو يزيد ؛ له صحبة إذ وفد على الرسول وشهد القادسية ثم نزل حمص .

ذكر سيف أن سعد بن أبي وقاص استعمل شرحبيل بن السمط وكان شاباً ؛ قاتل في حروب الردة وغلب الأشعث بن قيس على الشرف ، وكان أبوه قد قدم الى الشام مع أبي عبيدة وشهد اليرموك وكان شرحبيل من فرسان أهل القادسية .

ذكر خليفة انه كان عاملاً على حمص نحواً من عشرين سنة وشهد صفين مع معاوية وله بها أثر عظيم .

واختلف المؤرخون في زمن وفاته فقيل إنه توفي سنة (٣٦ هـ — ٦٥٦ م) ؛ أما صاحب الإصابة فقد أكد مع صاحب تاج العروس انه توفي في سنة (٤٢ هـ — ٦٦٢ م) بدليل انه شهد معركة صفين حتى نهايتها وهذه حدثت سنة (٣٧ هـ — ٦٥٧ م) وفي ذلك يقول النجاشي الشاعر :

شرحْبيل ما للدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالكي جرير[١]

---

(١) يعني جرير بن عبد الله البجلي الذي أرسله علي الى معاوية في طلب بيعة أهل الشام وكان بين شرحبيل وجرير عداوة وخصومة (ابن أبي الحديد ١ ص ٢٤٦ — ٢٥٢) .

ذكره ابن حيَّان في الصحابة وقال كان عاملاً على حمص ومات فيها. وقال أبو عمرو الهوزني حضرت مع حبيب بن مسلمة جنازة شرحبيل.

وروى ابن عساكر (٦ ص ٢٩٩) إنه لما قدم شرحبيل الكوفة، استعلاه بها رجل من قومه، فانتقل الى حمص وقال للرجل: لا أكون بأرض أنت بها. وكان عاملاً لمعاوية نحواً من عشرين سنة. وكان يقول والله ما عزمت على قوم عزيمة الا استغفرت حينئذٍ ثم قلت اللهم لا حرج عليهم.

العاشر — عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

هو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي. روى سيف أنه شهد فتوح الشام مع أبيه؛ وروى ابن عساكر انه كان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية وشهد معه معركة الكوفة وكان أخوه المهاجر بن خالد بن الوليد مع الامام علي في حروبه؛ ومما يذكر أن معاوية استعمل عبد الرحمن على الصائفة، ثم جزع منه فعزله وأعطاها لسفيان بن عوف؛ فقال عبد الرحمن لمعاوية: أتعزلني بعد أن وليتني بغير حدث أحدثته؛ والله لو أنا بمكة على السواء لانتصفت منك. فقال معاوية: ولو كنا بمكة لكنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب، منزلي بالأبطح ينشق عنه الوادي، وأنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، منزلك بجي، أسفله عذرة وأعلاه مدرة.

روى بطرس البستاني في دائرة المعارف (١١ ص ٥٧٦): انه لما ولي العباس بن الوليد إمارة حمص قال لأشرافها: ما لكم لا تذكرون أميراً من أمرائكم ذكركم لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد؟ فقالوا: كان يدني شريفنا ويغفر ذنوبنا ويجلس في أفنيتنا ويمشي في أسواقنا ويعود مرضانا ويشهد جنائزنا وينصف مظلومنا.

وقيل إن معاوية أشار الى طبيب نصراني يقال له ابن أثال أن يدس له السم فمات به. ولما بلغ المهاجر بن خالد بن الوليد أن ابن آثال دسّ السم لأخيه بإيعاز من معاوية ترك الأمويين ثم شهد مع ابن الزبير القتال بمكة. وكان موت عبد الرحمن سنة (٤٦ هـ — ٦٦٦ م).

ولما مات عبد الرحمن، قال معاوية لكعب بن جعيل (وكان من المعجبين بعبد الرحمن): لقد كان عبد الرحمن صديقاً لك؛ فلما مات نسيته؟ قال... كلا ولقد رثيته بأبيات منها:

ألا تبكي وما ظلمت قريش بأعوال البكاء على فتاها
ولو سئلت دمشق وبعلبك وحمص من أباح لكم حماها
بسيف الله أدخلها المنايا وهدم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن صخر وكانت أرضه أرضاً سواها

وروى ابن عساكر في ترجمة خالد بن عبد الرحمن المذكور (٥ ص ٨٠) ان عبد الرحمن كان شاتياً في أرض الروم سنة (٤٦ هـ — ٦٦٦ م) ثم قفل الى حمص فدس اليه ابن آثال بإيعاز من معاوية بعض المماليك فسقاه شربة مسمومة مات منها بحمص. ثم أن معاوية استعمل ابن آثال على حمص ؛ وكان أركوناً من أراكنة النصارى فاعترض له خالد ابن عبد الرحمن فضربه بالسيف فقتله.

وكان السبب في قتل عبد الرحمن أنه لما كان بالشام عظم شأنه بها ومال اليه أهلها لما كان عندهم من آثار أبيه خالد... فخاف منه معاوية وخشي على نفسه وولده يزيد منه لميل الناس اليه ؛ فأمر ابن آثال أن يحتال في قتله ، وضمن اليه إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش ، وأن يوليه جباية خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن حمص منصرفاً من الروم ، دس إليه ابن آثال شربة مسمومة فلما شربها مات.

الصحابة في حمص

بعد أن نوهنا بنبذ صغيرة ومفيدة عن أمراء حمص أيام الخلفاء الراشدين رأينا من المفيد جداً لأبناء حمص أن يتعرفوا الى عدد من رجالات الصحابة الأجلاء الذين حلّوا في مدينتهم واستوطنوها وتوفوا فيها ؛ مبتعدين عن ذكر الصحابة الذين قطنوا فيها فترة ثم غادروها الى مناطق أخرى نظراً لكثرتهم مما يحتاج تعدادهم مع التنويه بنبذٍ عن سيرهم الى مجلد خاص :

١ — بسر بن حجاش — قرشي نزل حمص كما روى محمد بن سميع وذكر أنه من بني عامر بن لؤي. وقال مسلم إنه لم يروِ عنه غير جبير بن نفير ؛ وقال ابن منده : عداده في الشاميين. مات بحمص (الاصابة ١ ص ١٥٣).

٢ — بسر بن عبد الرحمن الحضرمي — قال عنه أحمد بن محمد بن عيسى في تاريخه : إنه صحابي نزل حمص ، ذكره ابن حجر في القسم الأول (ص ١٥٤).

٣ً— بشير بن الخصاصية — قال ابن عساكر (٣ ص ٢٦٧) هو من أصحاب النبي ؛ كان اسمه زحم ، فسماه النبي بشيراً . روى عن النبي أحاديث وسكن البصرة وكان بقحل ثم توجه منها الى حمص . وقال قتادة : هاجر من ربيعة أربعة ، بشير بن الخصاصية وعبد الله ابن الأسود السدوسي والفرات بن حيان العجلي وعمرو بن تغلب .

٤ً— ثوبان— مولى الرسول— هو ثوبان بن جحدر ، اشتراه الرسول ثم أعتقه ، فخدمه حياته الى أن مات (ص) فخرج الى الشام فنزل الرملة ثم انتقل الى حمص فبنى فيها داراً مات فيها سنة (٥٤ هـ — ٦٧٣ م) (الاصابة ١ ص ٢١٢ وابن عساكر (٣ ص ١٧٨ والنووي في التهذيب ١ ص ١٤٠ والاعلام ص ١٧٣).

٥ً— جابر بن الأزرق الفاخري— صحابي ، أصله من اليمن ، ثم نزل حمص فحدث بها عن الرسول ومات بحمص وقبره فيها (الاصابة ١ ص ٢٢٠ وياقوت ٣ ص ٣٤٠).

٦ً— حابس بن سعد الطائي— صحابي نزل حمص (الاصابة ١ ص ٢٨٥ وابن عساكر ٣ ص ٤١٩) . أراد عمر بن الخطاب أن يوليه قضاء حمص ، فذكر له أنه رأى في الحلم اقتتال الشمس والقمر وانه كان مع القمر ؛ فقال له عمر : كنت مع الآية الممحوة ؛ والله لاتلي لي عملاً . وكان حابس في من وجههم أبو بكر الى الشام فنزل حمص وشهد مع معاوية حرب صفين قائداً للرجالة .

وقال أبو الطفيل العامري : إن جالساً كان صاحب لواء طيء من أهل الشام مع معاوية وقتل في محرم سنة (٣٧ هـ — ٦٥٧ م) في صفين ؛ ومرّ الامام علي على القتلى ومعه الأشتر فرأى رجلاً مقتولاً ، فاسترجع الأشتر وقال هذا حابس كنت أعهده مؤمناً وأراه قتل على ضلاله ؛ فقال علي (رض) . وهو الآن مؤمن . وكان حابس من اليمن من أهل العبادة والاجتهاد .

٧ً— الحارث بن معاوية الكندي الأعرج— رأى بلال بن رباح بدمشق وروى عن عمر أبي الدرداء وأدرك النبي (ص) وروى عنه أبو إمامة ومكحول وغيرهما . قال أبو مسهر : كان من الرؤساء أصحاب أبي الدرداء وأعلمهم وما أدري أين كان يسكن؟ بدمشق أم بحمص . وقال أحمد بن صالح : هو شامي تابعي ، ثقة من كبار التابعين ؛ وقال ابن سميع : قدم حمص ونزل فيها (ابن عساكر ٣ ص ٤٥٩).

٨ً— حبيب بن مسلمة الفهري— هو من الصحابة يثبت أهل الشام وينكرها عليه أهل المدينة ؛ أما نزوله في مدينة حمص فقد ذكر في الاصابة (ص ٨٧٨) كما ذكره كل من البلاذري ص ٢١٢ وابن عساكر ٤ ص ٣٥ والزركلي ١ ص ٢١٠.

٩ً— الحجاج بن عبد الله بن سهل النصري— روى ابن عيسى : إنه رأى النبي (ص) وحدث عنه ونزل حمص (الاصابة ١ ص ٣٢٧ وابن عساكر ٤ ص ٤٣).

١٠ً— الحجاج بن علاط السلمي— قدم على النبي (ص) وهو بخيبر فأسلم وسكن المدينة واختط فيها داراً ومسجداً. وفي سبب إسلامه حديث طويل رواه ابن حجر (الاصابة ١ ص ٣٢٨ وابن عساكر ٤ ص ٤٦). وقال ابن عساكر عن عبد الصمد انه نزل حمص بالدار المعروفة بدار الخالديين نسبة الى خالد بن عبيد الله بن الحجاج. ومن أولاد الحجاج هذا، نصر المشهور بجماله الذي قيل فيه :

هل من سبيل الى خمر فأشربها أم هل سبيل الى نصر بن حجاج

١١ً— الحصين بن نمير السكوني— روى ابن عساكر (٤ ص ٣٧٣) عن ابن عيسى : إن طبقة قديمة أدركت النبي (ص) منهم الحصين بن نمير السكوني ؛ استعمله الخلفاء وأصحاب الرسول أحياناً ؛ قتل عام الجازر مع عبيد الله بن زياد سنة (٦٦ هـ — ٦٨٥ م) والذي قتلها ابرهيم بن الأشتر وبعث برأسها الى المختار الذي أرسلها الى ابن الزبير فنصبا بالمدينة وبمكة. وروى ابن حجر (٢ ص ٢٢) عن ابن الكلبي، انه كان شريفاً بحمص وكذا ولده يزيد وحفيده معاوية بن يزيد وقد وليا إمرة حمص.

١٢ً حوشب ذو ظليم— روى سيف في الفتوح انه أسلم بدعوة جرير بن عبد الله البجلي وانه هاجر بعد النبي (ص) وشهد اليرموك. نزل حوشب الشام وشهد صفين مع معاوية وقتل فيها وكان يقطن حمص (الاصابة ٢ ص ٦٧ وابن عساكر ٥ ص ١٤).

١٣ً— خالد بن الوليد— هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ؛ صحابي وفاتح كبير ؛ كان من أشراف قريش في الجاهلية ؛ بلي أعنة الخيل وشهد مع المشركين حروب الاسلام حتى عمرة الحديبية ؛ وأسلم قبل فتح مكة سنة (٧ هـ — ٦٢٩ م)، فسر به النبي (ص) وولاه الخيل. وبعد وفاة النبي تولى حرب الردة. ثم سيره أبو بكر الى العراق سنة (١٢ هـ — ٦٣٣ م) ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه ؛ ثم حوّله بعدئذ الى الشام وجعله أمير أمرائها ؛ ولكن الخليفة عمر بن الخطاب عزله وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح ؛

فلم يثن ذلك من عزمه وجهاده وظل يقاتل في سبيل الاسلام الى أن تم لها الفتح ؛ فرحل الى المدينة بناء على دعوة من عمر الذي دعاه لتوليه ، فأبى وعاد الى الشام فقبع في منزله في حمص الى أن توفي سنة (٢١ هـ — ٦٤١ م) ، ولقد ظن البعض انه توفي في المدينة المنورة ولكن الأكثرية من ثقات المؤرخين ذكرت أنه مات في حمص ودفن في قريته الخاصة به (الخالدية).

١٤ً — ذو الكلاع — اسمه اسميفع من باكورا ، أسلم بواسطة جرير بن عبد الله . قال سيف : كان في اليرموك على كردوش . وقال خليفة : كان ذو الكلاع بالميمنة على أهل حمص بصفين مع معاوية وقتل فيها (الاصابة ٢ ص ١٨٣ وابن عساكر ٥ ص ٢٦٦) الذي روى أنه ابن عم كعب الأحبار وانه كان يسكن حمص ، وله بدمشق حوانيت ، وانه كان جسيماً وسيماً ؛ وكان عنده بيوت وأرقاء كثيرون تصدق بها وأعتقهم في ساعة واحدة .

قيل لما بلغ معاوية خبر مقتل ذي الكلاع ، سرّ وقال لأصحابه : لأنا أشدّ فرحاً بقتله مني بفتح مصر ، لأنه كان يعرض لي في أشياء لا أستسيغها . وفي أواخر أيامه وصل الى حالة مؤسفة من الفقر والضعة بعد الغنى والسؤدد .

١٥ً — زياد الالهاني — هو والد محم بن زياد الالهاني الحمصي . ذكره عبد الصمد مع الصحابة الذين نزلوا حمص حديثاً (الاصابة ٣ ص ٢٠) .

١٦ً — سفينة مولى الرسول — ذكر له ابن حجر /٢١/ اسماً أطلقت عليه حسب الأقوال المتعددة (الاصابة ٣ ص ١٠٩) وقال : إن لفظة سفينة لقب أطلقه عليه النبي ، رواه هو نفسه : انه كان مرة مع الرسول ، فكان كلما أعيا بعض الصحابة ألقى عليه ثوبه فيحمله له حتى بلغ مقدار ما حمله شيئاً كثيراً فقال له محمد (ص) ما أنت الا سفينة . فعرف بها منذئذٍ دون اسمه الأصلي .

وروى النووي في التهذيب (١ ص ٢٢٥) انه كان مع النبي واعترض مسيرهم نهر فعبَّر الناس فقال له : ما كنت منذ اليوم إلا سفينة فأطلق عليه .. وكان إذا سئل عن اسمه يقول : سفينة . وكان يسكن بطن نخلة وهو من مولدي العرب ؛ وقيل من أبناء فارس ؛ اشتراه النبي وأعتقه . خدم الرسول عشر سنوات وعاش الى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي .

وروى ياقوت في معجمه (٣ ص ٣٤٠ — أن قبره كان في حمص .

١٧ً — صالح بن شريح السكوني — قال ابن حجر (الاصابة ٣ ص ٢٥٧) انه كان كاتباً لأبي عبيدة. وقال البخاري: كان كاتباً لعبد الله بن قرط عامل أبي عبيدة على حمص. وذكره أبو بكر البغدادي في طبقات أهل حمص، وانه كان صاحب معاذ بن جبل وعاش الى خلافة عبد الملك سنة (٦٥ هـ — ٦٨٤ م) وحسبه ابن عساكر (٦ ص ٣٧٠) تابعي من أهل حمص.

١٨ً — صدي بن عجلان الباهلي (**أبو إمامة**) — صحابي مشهور له / ٢٥٠ / حديثاً أخذ عنه شهر بن حوشب ذو ظليم وخالد بن معدان ومحمد بن زياد الألهاني، وغيرهم. كان لا يمر بصغير ولا كبير إلا ويسلم عليه. مات سنة (٨١هـ — ٧٠٠م). (تلخيص الكمال ص ١٤٩).

١٩ً — عبد خير الحميري — ذكره عبد الصمد بن سعيد الحمصي في من نزل حمص من الصحابة (الاصابة ٤ ص ١٤٩).

٢٠ً — عبد الرحمن بن أبي عميرة المزلي — ذكره أبو الحسن بن سميع في الطبقة الأولى من الصحابة الذين نزلوا حمص (الاصابة ٤ ص ١٧٥).

٢١ً — عبد الله بن بسر المازني — روى البخاري: إن النبي (ص) قال عنه وهو صغير. يعيش هذا الغلام قرناً؛ فعاش مئة سنة — وقيل للأحوص: أكان أبو إمامة آخر من مات عندكم من الصحابة؟ قال: كان بعده عبد الله بن بسر. وقال ابن حجر مات بالشام وقيل بحمص سنة (٨٨هـ — ٧٠٦م) وهو ابن أربع وتسعين سنة؛ وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (الاصابة ٤ ص ٤١).

٢٢ً — عبد الله بن رواحة — ذكره أبو بكر عيسى في من نزل حمص من الصحابة (الاصابة ٤ ص ٦٣).

٢٣ً — عبد الله بن سفيان الأزدي — نزل حمص، وذكره البخاري وابن السكن في الصحابة (الاصابة ٤ ص ٧٩).

٢٤ً — عبد الله بن عمرو الحضرمي — هو عبد الله بن عمرو الحضرمي، حليف بني أمية، وهو ابن أخ العلاء بن الحضرمي؛ ولد على عهد رسول الله؛ وكان عمره عند الوفاة النبوية كما ذكر الواقدي تسع سنين (الاصابة (٤ ص ١١١). وروي عن عمر بن

الخطاب ؛ انه مذكور فيمن نزل حمص من الصحابة . وروى عنه من أهل حمص عمير ابن الأسود ومالك بن يخامر .

٢٥ — عبد الله بن طي أبو عامر الهوزني — ذكره ابن سميع في رجال حمص . وذكره أبو زرعة في الطبقة العليا التي تلي الصحابة . وقال ابن حجر : إنه روى عن معاذ بن جبل والمقدام بن معدي كرب وعبد الله بن قرط . وشهد خطبة عمر في الجابية (الاصابة ٥ ص ٩٥) .

٢٦ — العرباض بن سارية السلمي — صحابي مشهور من أهل الصنعة . نزل حمص ومات في فتنة ابن الزبير وقال أبو مسهر : مات بعد ذلك سنة (٧٥هـ — ٦٩٤م) وكان شيخاً كبيراً (الاصابة ٤ ص ٢٣٤) .

٢٧ — عطية بن بسر المازني — ذكره عبد الصمد بن سعيد في الصحابة الذين نزلوا حمص (الاصابة ٤ ص ٢٤٦) .

٢٨ — عكرمة بن أبي جهل — أسلم يوم الفتح وخرج الى المدينة ثم قاتل أهل الردة ، ووجهه أبو بكر الى جيش النعمان فظهر عليهم ثم الى اليمن . ثم رجع فخرج الى الجهاد في الشام فاستشهد سنة (١٥هـ — ٦٣٦م) (الاصابة ٤ ص ٢٥٨) في منطقة حمص (التهذيب ١ ص ٣٤٠ والاعلام ص ٦٤٩) قيل : قتل في اليرموك وقيل في أجنادين ، وقال الواقدي : إنه قتل في حمص وله فيها مقام .

٢٩ — عمرو البكالي — أخرجه ابن عساكر عن طريق المفضل بن غسان بسنده الى موسى الكوفي وقال : وقفت على منزل عمرو البكالي في حمص وهو أخ نوف البكالي . وأخرج البخاري في تاريخه الصغير عن أبي تميمة الهجيمي قال : أتيت بلاد الشام فإذا أنا برجل مجتمع عليه ، فإذا هو مجدود الأصابع ؛ قلت من هذا؟ قالوا : هذا أفقه من بقي على وجه الأرض من أصحاب رسول الله (ص) ! ! هذا عمرو البكالي . قلت : فما شأن أصابعه؟ قالوا : أصيب يوم اليرموك (الاصابة ٥ ص ٢٤) .

٣٠ — عمرو بن عبد الله الحضرمي — ذكره ابن عيسى في من نزل حمص من الصحابة ، قديم الاسلام ، نزل مع من قدم من الحضرميين يقال لهم بنو مصعب . ذكره خليفة بن خياط في من قتل بصفين مع معاوية (الاصابة ٥ ص ٤) .

٣١ — عمرو بن عبسة — أسلم قديماً في مكة . روى مسلم في صحيحه : أنه كان

رابع أربعة في الاسلام. ذكره أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي في من نزل حمص من الصحابة وتبعه عبد الصمد بن سعيد. قال أحمد إنه نزل حمص أربعمائة من الصحابة منهم عمرو بن عبسة أبو نجيح. ويقال إنه كان أخاً لأبي ذر الغفاري من أمه رملة بنت الوقيعة. قال ابن حجر مات بحمص وأظن ذلك كان في أواخر خلافة عثمان بن عفان، لأنني لم أجد له ذكراً في الفتنة الأولى، ولا في خلافة معاوية (الاصابة ٥ ص ٦) والتهذيب (١ — ٢ ص ٣٢).

٣٢ — عمر بن معاوية العافري — ذكره أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد في من نزل حمص من الصحابة قال: في نسخة ابن علقمة عن ابن عائذ قال: قال عمرو بن معاوية: كنت ملزقاً رقبتي بفخذ النبي (ص) (الاصابة ٥ ص ١٨).

٣٣ — غنيم بن عثمان — ذكره عبد الصمد بن سعيد في من نزل حمص من الصحابة وله رواية، حدث عنه عبد الرحمن بن أبي عوف (الاصابة ٥ ص ١٩١).

٣٤ — قباث بن أشيم الليثي — قال ابن حيان: يعمري ليثي من بني كنانة، له صحبة، وحدسية عند أهل الشام. قيل، سأله عثمان بن عفان أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: رسول الله أكبر مني، وأنا أسنُّ منه. وقال ابن سعيد: شهد بدراً مع المشركين، وكان له فيها ذكر، ثم أسلم وشهد حنيناً. وقال ابن عساكر: شهد اليرموك وكان على كردوس، ثم سكن حمص وروي انه عاشر عبد الملك بن مروان (الاصابة ٥ ص ٢٢٥ و٢٢٦).

٣٥ — قدامة بن عبد الله بن هجمان — ذكره عبد الصمد بن سعيد في طبقات أهل حمص، وقال نزل حمص وغزا الصائغة مع مصعب بن الزبير وغيره (الاصابة ٥ ص ٢٣٢).

٣٦ — قنبر مولى علي بن أبي طالب — ذكر صاحب الرياض النضرة (٢ ص ٢٤٣): إن الإمام علي اتخذ قنبراً المذكور صاحباً له يوم ولي الخلافة. وذكر ياقوت في معجمه (٣ ص ١٤٠): إن في حمص قبر قنبر المذكور ولكنه يروي قولاً آخر في أن قنبر قتله الحجاج بالكوفة.

٣٧ — كعب الأحبار — هو كعب بن مانع الحميري المعروف بكعب الأحبار، أدرك النبي ولم يره، وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر، وقيل في زمن النبي، وذكر سيف في

أسانيده انه أسلم سنة ١٢ هجرية . قال ابن سعد : كعب في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام ؛ وكان على دير اليهود فأسلم وقدم المدينة ؛ ثم خرج الى الشام فسكن حمص ومات فيها سنة (٣٢هـ — ٦٥٢م) (الاصابة ٥ ص ٣٢٢— ٣٢٤ والتهذيب ١—٢ ص ٦٨ والاعلام ٣ ص ٨١٣).

٣٨ً— مالك بن يسار السكوني— قال سليمان بن عبد الحميد : لمالك بن يسار عندنا صحبة . وقد وقع في طبقات الحمصيين لعبد الصمد بن سعيد (الاصابة ٦ ص ٣٧).

٣٩ً— المذبوب التنوخي— قال في التجريد : نزل حمص وذكره عبد الصمد بن سعيد في من نزل حمص من الصحابة وأورد له حديثاً عن طريق ابنه مالك بن المذبوب (الاصابة ٦ ص ٧٥).

٤٠ً— المقدام بن معدي كرب— كنيته أبو كريمة ، صحب النبي وروي عنه أحاديث ، ونزل حمص وروى عنه ابنه يحيى وحفيده صالح بن يحيى . ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الشام ؛ وقال مات سنة (٨٧هـ — ٧٠٥م) وهو ابن إحدى وتسعين سنة (الاصابة ٦ ص ١٣٤ والتهذيب ١—٢ ص ١١٣).

٤١ً— النعمان بن رازيه— عريف الأزد وصاحب رايتهم . قال البخاري : سمع النبي وذكره ابن عيسى في من نزل حمص من الصحابة . روى أن الطفيل بن عمرو الدوسي وافى الرسول (ص) وهو في الطائف ومعه / ٤٠٠ / رجل ، فقال الرسول : يا معشر الأزد من يحمل رايتكم ؟ فأجابه الطفيل من كان يحملها في الجاهلية : النعمان بن رازيه (التهذيب ١—٢ ص ١٣٧ والاصابة ٦ ص ٢٨٥).

٤٢ً— نفير بن مالك الحضرمي— هو والد جبير ، وفد على النبي وله صحبة ؛ وذكره عبد الصمد في من نزل حمص من الصحابة ؛ كما ذكره البغدادي في تاريخ حمص كما أضاف عبد الصمد الى ذلك : إنه هو الذي قدم على النبي (ص) بالكندية ليتزوجها (الاصابة ٦ ص ٢٥٢).

٤٣ً— نهيك بن صريم السكوني— قال ابن حيان : له صحبة ؛ وذكره عبد الصمد في من نزل حمص من الصحابة (الاصابة في تمييز الصحابة ٦ ص ٢٥٦).

٤٤ً— هدار الكنالي— قال أبو عمر : له صحبة ، وقال ابن منده : يعد في

الحمصيين. وقال عبد الصمد بن سعيد في تاريخ حمص : إنه رأى العباس واسرافه في خبز السميد فقال : لقد توفي رسول الله (ص) وما شبع من خبز بر حتى فارق الدنيا (الاصابة ٦ ص ٢٨٢).

٤٥ً— وحشي بن حرب الحبشي — كان مولى طعيمة بن عدي ؛ وهو قاتل حمزة يوم أحد. وقدم على النبي مع وفد أهل الطائف وشارك في قتل مسيلمة الكذاب ، وشهد اليرموك ، ثم سكن حمص ومات بها في خلافة عثمان سنة (٢٥ هـ — ٦٤٥ م) (الاعلام ٣ ص ١١٣٥ والتهذيب ١ — ٢ ص ١١٤ والاصابة ٦ ص ٣١٥).

٤٦ً— يزيد بن شريح الحمصي — قال ابن حجر : له صحبة ؛ وشك البغوي في صحبته بل حسبه من صغار التابعين ، يروي عن صغار الصحابة كأبي إمامة وكبار التابعين مثل كعب الأحبار (الاصابة ٦ ص ٣٤٤).

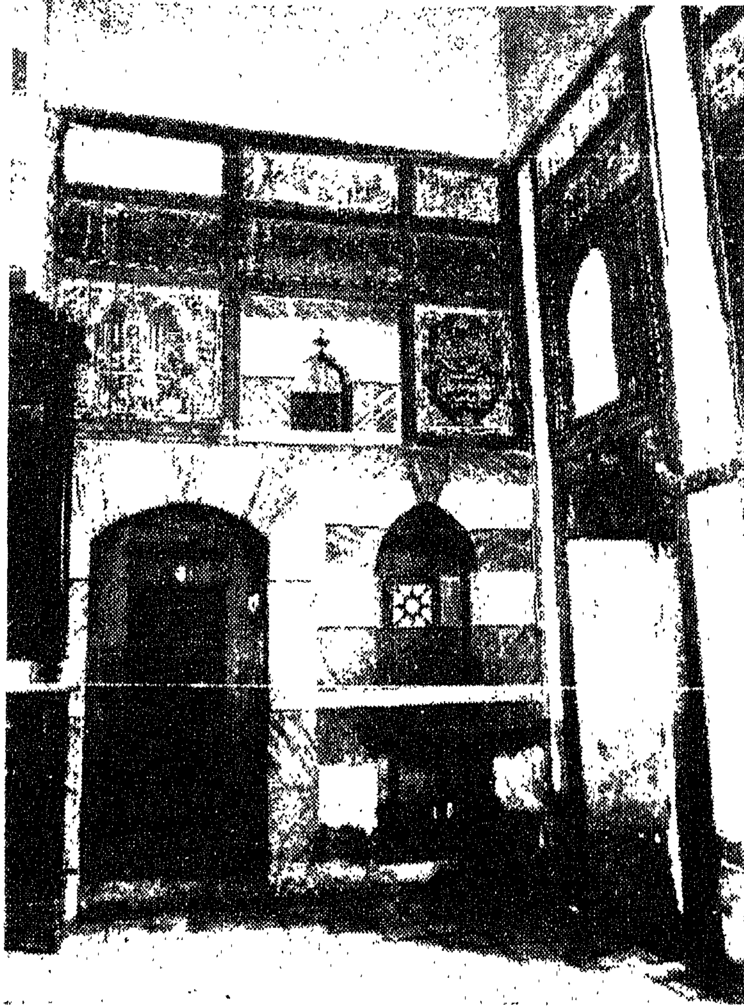
٤٧ً— يزيد بن عبد الله العامري — له إدراك ولابنه عبد الله بن يزيد ذكر في زمن بني مروان ؛ ذكره ابن الكلبي وسكن حمص وتوفي مع ميمونة أم المؤمنين سنة (٦١ هـ — ٦٨٠ م) (الاصابة ص ٣٦٠).

٤٨ً— يزيد بن عميرة الزبيدي — قال الكلبي : سكن حمص. وقال ابن سميع : أدرك الجاهلية ؛ وقال ابن سعد : لقي أبا بكر وعمر وصحب معاذ بن جبل (الاصابة ٦ ص ٣٦٠).

٤٩ً— أبو سعاد الحمصي — روى أبو زرعة أن أبا الدرداء مر بأبي سعاد الحمصي من أصحاب النبي وهو يقول : سبحان الله ، لا يبيع شيئاً ولا يشتري ، فقال أبو الدرداء : خزن في دنياه وضيع في آخرته. وهو من الصحابة الذين نزلوا حمص (الاصابة ٧ ص ٨٢).

٥٠ً— أبو فالح الأنماري — قال الحاكم أكل الدم في الجاهلية وأدرك زمن النبي ؛ وقدم حمص أول ما فتحت وصحب معاذ بن جبل ؛ ذكر ذلك كله بقية عن محمد بن زياد. وذكره أبو زرعة في الطبقة العليا بعد الصحابة ؛ وذكره ابن عيسى في الحمصيين في من صحب أبا عبيدة ومعاذاً وحضر خطبة الجابية سنة (١٦ هـ — ٦٣٧ م) (الاصابة ٧ ص ١٥٣).

٥١ - أبو عيبة الخولاني - صحابي منسهور بكنيته ، مختلف باسمه ، ذكره عبد الصمد بن سعيد فيمن نزل حمص من الصحابة . وقال أحمد بن محمد بن عيسى : إنه في رجال حمص ، أدرك الجاهلية وعاش الى خلافة عبد الملك وأسلم على يد معاذ في حياة النبي ، وكان أعمى (الاصابة ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩)



جدران القاعة مغطاة بالواح خشبية كتبت عليها آيات من الكتب المقدسة

الحقبة الثانية

الفصل الرابع

حمص في أيام الأمويين

الموجز في التاريخ الأموي

عرفنا مما تقدم أن الخلاف نشب بين بني هاشم وأمية منذ أن تولى عثمان بن عفان الخلافة واتسعت شقته إثر مقتله ؛ إذ اتخذ معاوية بن أبي سفيان والي الشام ذلك ذريعة لنيل ما كان يحلم به من السيادة ، فنازع الإمام علي بحجة الثأر لعثمان. ثم كان ما كان من معركة صفين سنة (٣٧هـ — ٦٥٧م) ومقتل علي بيد عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج سنة (٤٠هـ — ٦٦٠م) ؛ فبايع أهل الكوفة الحسن أكبر أولاد الإمام علي بينما بايعت الشام ومعظم الأقطار الاسلامية معاوية. ولم يلبث الحسن أن تنازل عن الخلافة لمعاوية مختاراً سنة (٤١هـ — ٦٦١م). وهكذا دانت الأقطار العربية لمعاوية الذي اتخذ مدينة دمشق عاصمة له ؛ فأصلح الأحوال ورأب الصدع ومات سنة (٦٠هـ — ٦٧٩م) بعد أن تولى الخلافة ١٩ سنة. وفي سنة (٥٠هـ — ٦٦٩م) توفي الحسن ابن الإمام علي مسموماً بأمر من معاوية كما يعتقد.

وتولى الخلافة بعد معاوية ابنه يزيد بعهد منه فملك ثلاث سنوات وتوفي وفي مدة حكمه قتل الحسين بن الإمام علي في كربلاء سنة (٦١هـ — ٦٨٠م).

ثم تولى بعده معاوية الثاني بن يزيد سنة (٦٤هـ — ٦٨٣م) وكان صالحاً متنسكاً ، لم ترقه سيرة أبيه وجده مع الامام علي وآله فاعتزل الخلافة بعد ثلاثة أشهر فقط ؛ وأثناء هذه الفترة قويت شوكة ابن الزبير.

عندئذ اجتمع زعماء الأمويين وبايعوا مروان بن الحكم بالخلافة سنة (٦٤هـ — ٦٨٣م) ، فعمد هذا الى محاربة شيعة ابن الزبير فهزمهم واستتب له الأمر. وكانت مدة خلافته سنة وتسعة أشهر.

وخلف مروان ابنه عبد الملك سنة (٦٥ هـ — ٦٨٤ م) وكان عالماً عاقلاً ، قوى دعائم الدولة الأموية وأرسى قواعدها على صخر ، وفي عهده ضربت النقود العربية ، وتعربت دواوين الدولة وتمكن بحذقه ودهائه من القضاء على قوة ابن الزبير بعد أن قضى هذا على المختار الثقفي ؛ وانتهت خلافة ابن الزبير في مكة بقتله سنة (٧٣ هـ — ٦٩٢ م) بعد أن دامت تسع سنوات. وكانت فترة خلافة عبد الملك ١١ سنة وشهراً واحداً.

وتولى الخلافة بعد عبد الملك ابنه الوليد سنة (٨٦ هـ — ٧٠٥ م) وهو أكبر خلفاء بني أمية قدراً وأبعدهم همة ؛ امتدت الفتوحات العربية في عهده الى أقاصي البلدان ؛ إذ فتح موسى بن نصير والي أفريقيا ومولاه طارق بن زياد الأندلس وفتح قتيبة بن مسلم بخارى وسمرقند وفرغانة كما فتح محمد بن القاسم السند وقسماً كبيراً من بلاد الهند. وهو الذي بنى الجامع الأموي بدمشق سنة (٨٨ هـ — ٧٠٣ م). ودامت مدة خلافته ٩ سنوات و٨ أشهر (أبو الفداء ١ ص ١٩٨ والطبري ٨ ص ٩٧).

ثم تولى الخلافة بعده أخوه سليمان (٩٦ هـ — ٧١٤ م) وكان فصيح اللسان ، جميل الهيئة ، ولكنه شاه تاريخه بقسوته على موسى بن نصير وطارق بن زياد ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم — القادة الفاتحين — ودام حكمه سنتين و٨ أشهر ، بعد أن أوصى بالخلافة من بعده الى عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل.

وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (٩٩ هـ — ٧١٧ م) فكان أفضل خلفاء بني أمية خلقاً وديناً وعدلاً ، إذ سار بالأمة سيرة الخلفاء الراشدين ودامت خلافته نحواً من سنتين ونصف.

فتولاها بعده يزيد الثاني بن عبد الملك سنة (١٠١ هـ — ٧١٩ م) وكان يه ميل الى اللهو والاسراف. مات بعد خلافته بأربع سنوات حزيناً على موت جاريته حبابة.

فخلفه أخوه هشام بن عبد الملك سنة (١٠٥ هـ — ٧٢٣ م) وكان حازماً سديد الرأي ، غزير المعرفة متضلعاً في السياسة. بلغت انتصارات جيوشه في الشرق فرغانه وخوقند ، وفي الغرب قلب فرنسا ولولا شارل مارتل سنة (١١٤ هـ — ٧٣٢ م) لاجتاحت الجيوش العربية أوروبا كلها وتغير مجرى التاريخ. مات هشام بعد أن تولى الخلافة ١٩ سنة و٧ أشهر.

وخلف هشام الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة (١٢٥ هـ — ٧٤٣ م) وكان كسولاً

فاسقاً ، فكرهه الناس ورموه بالكفر وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ففر منه الى حمص ، فأمسك به في قصره فيها حيث قطع رأسه سنة (١٢٦ هـ — ٧٤٤ م) بعد أن حكم سنة واحدة فقط.

وخلفه يزيد نفسه — ابن عمه — سنة (١٢٦ هـ — ٧٤٤ م) فأظهر حزماً وعدلاً ؛ ولكن الفساد كان قد نخر جسم الدولة الأموية فلم يستطع أن يثبت طويلاً ؛ إذ ثار عليه الحمصيون والفلسطينيون فمات في الشهر السادس لخلافته.

وتولى الخلافة بعده أخوه ابرهيم بن الوليد سنة (١٢٧ هـ — ٧٤٤ م) فلم يستطع أن يستقر على العرش طويلاً بسبب الفتن والقلاقل ؛ وعصى عليه مروان بن محمد وسليمان بن هشام.

وتمكن مروان من خلعه والحلول مكانه سنة (١٢٧ هـ — ٧٤٤ م). وكان مروان من أحزم خلفاء بني أمية وأكثرهم نجدة وحمية. ولكنه تسلم الخلافة في زمن تفكك الأسرة الأموية التي قضى عليها العباسيون سنة (١٣٢ هـ — ٧٥٠ م).

ولفلاسفة التاريخ في الدولة الأموية نظرتان: سلبية وإيجابية. الأولى — أخلاقية ؛ فإنهم ظلموا وأهانوا سلالة الإمام علي بعد أن عكروا جوّ الامام نفسه فهيأوا بذاتهم أسباب الاختلال الذي ظهرت بوادره بعد مرور وقت قصير على تسلمهم ذروة السلطة. ولعلهم لو تداركوا الأمر بالحسنى لكانت مدة سلطتهم أطول ، وتاريخهم ألمع ؛ لأن اهتمامهم بالغض من الإمام علي بن أبي طالب وشتمه على المنابر — وهو من نعرف علماً وأخلاقاً وديناً وتقًى وشجاعة وسبقاً في الاسلام — أججت نيران الحقد عليهم في صدور شيعته ؛ فتربصوا بهم ريب المنون ؛ وهيأوا لذواتهم أسباب الانتقام فبلغوا ما أرادوه بواسطة بني العباس.

الثانية — عمرانية — فإنهم رقوا العلوم والفنون في مدة سلطتهم التي امتدت بسرعة فشملت الشرق والغرب ، إذ خفق علمهم وتموّج في قلب أوروبا من الغرب وبلغ أواسط شرق آسيا ، وكان عدد المنضوين الى لوائهم /٤٩/ مليوناً من السكان في ذلك الوقت (ملوك المسلمين لقلفاط ص ٢٩).

ويفاخر العرب بالدولة الأموية لأنها كانت دولة عربية صرفة ، لا تعتمد إلّا على العرب فقط وبأنها سارت مع المدنية والتطور أشواطاً بعيدة رائعة (الخطط ١ ص ١٦١).

الحمصيون والإمام علي

عرف دارسو التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان الذي تولى إمارة الشام قبل أن ولي الخلافة بنحو عشرين سنة ، توسل الى نيل السيادة الاسلامية بالقضاء على نفوذ الامام علي ابن أبي طالب ، متخذاً من حجة الثأر لعثمان بن عفان وسيلة للانقضاض عليه ، وقد تم له ما أراد.

وخشي معاوية أن يستردّ العلويون الخلافة فيما لو ظل الناس على احترامهم للإمام علي ، فحاول تشويه صحيفته ، إذ نسب اليه قتل عثمان ، وأخذ الأمويون منذئذٍ ينالون من الامام حتى انهم كانوا يشتمونه على المنابر.

قال أبو الفداء (١ ص ١٨٦) : كان معاوية وعماله يدعون لعثمان في خطبة الجمعة ويسبون عليّاً ويقعون فيه . ولما كان المغيرة بن شعبة والي الكوفة يفعل ذلك طاعة لمعاوية ، كان حجر بن عوفي يقوم مع جماعته فيردون عليه سبّه لعلي ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم . فلما ولي زياد بن أبيه دعا لعثمان وسبّ علياً وكانوا يسمونه بأبي تراب ، فقام حجر وقال كما كان يقول من الثناء على علي . فغضب زياد وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفراً وأرسلهم الى معاوية في الشام ، فشفع في ستة منهم عشائرهم وبقي ثمانية ومنهم حجر ، أرسل معاوية من قتلهم (بعذراء) ، وهي قرية بظاهر دمشق.

وروى ابن الجوزي عن الحسن البصري قوله : أربع خصال كن في معاوية ، لو لم يكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة :

١ً — أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة.

٢ً — استخلافه ابنه يزيد ، وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير.

٣ً — إدعاؤه زياداً وقد قال رسول الله : «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

٤ً — قتله حجر بن عدي وأصحابه ، فيا ويلاه من حجر وأصحاب حجر.

وذكر الطبري (٦ ص ١٤٩) : ان زياداً استقدم اليه أحد رفاق حجر بن عدي فقال : يا عدو الله ، ما تقول في أبي تراب؟ قال : ما أعرف أبا تراب ، قال أما تعرف علي ابن أبي طالب؟ قال : بلى. قال : فذاك أبو تراب ، قال : كلا ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشرطة : يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا؟ قال : وإن كذب الأمير ، أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد؟ فقال له زياد : وهذا أيضاً مع ذنبك ... عليَّ بالعصا ، فأتي بها فقال : ما قولك؟ قال : أحسن قول أنا قائله في

عبد من عباد المؤمنين. قال زياد : اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق الأرض ؛ فضرب حتى لزم الأرض ، ثم قال : اقلعوا عنه ... ايه ... ما قولك في عليّ؟ قال : والله لو شرحتني ما قلتُ إلّا ما سمعته مني ؛ قال لتلعنه أو لأضربنَّ عنقك ! قال : إذاً تضربها لاوالله قبل ذلك ؟ فإن أبيت إلّا أن تضربها ، ضيتُ بالله وشقيت أنت. قال زياد : ادفعوا في رقبته وأوقروه حديداً والقوه في السجن.

مثل هذه الأمور استقبحها الناس جميعاً كما استنكرها أيضاً رهط من خلفائهم ، منهم معاوية الثاني الذي استقال لاستنكاره ذلك. كما أن عمر بن عبد العزيز أبطل شتم الإمام علي على المنابر. ولكن كراهية الإمام وأمله وقتئذٍ مع الأسف سرَت الى النفوس وأصبح من الصعب انتزاعها من عامة الناس ؛ وهذا سر ظهور الكثير من الناصبيين في الشام عامة وحمص خاصة ؛ الأمر الذي جعلهم كما قال ياقوت (٣ ص ٣٤١) من اشد الناس على علي بصفين مع معاوية وأكثرهم تحريضاً عليه وجوداً في حروبه. وعلى ذلك ظهر بين مشاهير الحمصيين ورجال الحديث فيهم من كان ينال من علي ، وظلوا على ذلك حتى بعد انقضاء العهد الأموي ؛ ومن هؤلاء : أزهر بن عبد الحراري (توفي سنة ١٣٩ هـ) وتور بن يزيد الكلاعي (توفي سنة ١٥٩ هـ) وحريز بن عثمان الرحبي (توفي سنة ١٦٣ هـ) وعبد الله ابن سالم الأشعري (توفي سنة ١٧٩ هـ) وأسد بن وداعة (توفي سنة ١٣٧ هـ).

وظل هذا شأن الحمصيين الى أن نبغ فيهم اسمعيل بن عباس (١٠٦ هـ — ١٨١ هـ) وهو عالم الشام الأول في عصره ؛ قال عثمان بن صالح السهمي : كان أهل حمص يسبون علياً حتى نشأ فيهم اسمعيل بن عباس فحدثهم عن فضائل الامام وتقواه فكفوا عن ذلك.

حمص ومعاوية

ونظراً لعلاقة رهط من الخلفاء الأمويين بحمص ، رأينا استجلاء للحقائق أن نذكر بعضها لنضفي نوراً على ما أظلم من تاريخ مدينتنا حمص في القرون السابقة.

فما ذكره المؤرخون عن حمص في أيام معاوية عدا ما سبق ذكره تفصيل حادثة إيعازه



معاوية يدشن الاسطول العربي الذي صنعه له اللبنانيون.

بدسّ السم لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وما تبع ذلك كما رواه المؤرخ الكبير الطبري (٦ ص ١٢٨):

«إن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام وما اليه أهلها، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد، ولحسن بلائه عن المسلمين في أرض الروم وشدة بأسه؛ حتى هابه معاوية وخشي على نفسه منه لميل الناس اليه. فأمر ابن آثال أن يحتال في قتله: وضمن له إن هو فعل ذلك أن يرفع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص. فلما قدم عبد الرحمن حمص منصرفاً من بلاد الروم، دس اليه ابن آثال شربة مسمومة بواسطة أحد مماليكه، فشربها ومات بحمص. فوفى له معاوية بما ضمن له، وولاه خراج حمص ووضع عنه خراجه.

وقدم خالد بن عبد الرحمن المدينة المنورة يوماً، فدخل على عروة بن الزبير وسلم عليه وجلس. فقال له عروة من أنت؟ قال: أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ فقال له عروة: ما فعل ابن آثال؟... فقام خالد من عنده متأثراً وشخص الى حمص. ثم رصد ابن آثال حتى رآه يوماً راكباً، فاعترض له. وضربه بالسيف فقتله؛ فرفع خالد الى معاوية، فحبسه أياماً وأغرمه ديته ثم أطلق سراحه. بعد هذا توجه خالد الى المدينة فأتى عروة فسلم عليه؛ فقال له عروة: ما فعل ابن آثال؟ فأجابه خالد: قد كفيتك ابن آثال؛ ولكن ما فعل ابن جرموز؟ (يعني قاتل الزبير والد عروة) فسكت عروة خجلاً. وقال خالد ابن عبد الرحمن حين قتل ابن آثال.

أنا ابن سيف الله فاعرفوني لم يبق إلّا حسبي وديني
وصارمٌ صال به يميني

وحدث مقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد سنة (٤٦هـ — ٦٦٦م).

حمص ويزيد بن معاوية

كل الأدلّة التاريخية أظهرت بوضوح أن حمص كانت في أيام الأمويين مما يستجلب الفكر ويسترعي الاهتمام الزائد ولذلك كانت وجهة نظرهم ومركز ثقلهم. ففيها كما سبق؛ فكر معاوية بغزو قبرص في أيام عمر؛ وإليها أرسل الأشتر النخعي لما تعذر عليه تحويله عن التعرض لعثمان. ومنها استمد القوة لتعزيز سلطته بواسطة شرحبيل بن السمط الكندي وعلى رجالات حمص اعتمد في معركة صفين فكانوا أشد الناس على الامام علي.

وسار ابنه يزيد سيرته في الميل الى حمص فاتخذها نزهته وبنى له قصراً جميلاً في حوارين احدى قرى حمص ؛ وكان يكثر التردد اليه ؛ حتى انه لما مات أبوه معاوية ، كان فيها فأرسلوا بطلبه فحضر ولكنه بعدما دفن وصلى عليه الضحاك بن قيس فصلى هو على قبره (أبو الفداء ١ ص ١٨٨).

ولم تكن أعمال يزيد مما يشرف الاسم الأموي بل على العكس ؛ فإنه عزل النعمان بن بشير الأنصاري عن الكوفة لأن أهلها بايعوا الحسين بن علي وولى مكانه عبيد الله بن زياد ، فاحتال هذا حتى خذل الناس داعية الحسين (مسلم بن عقيل بن أبي طالب) ثم قتله ؛ وسعى بعدئذٍ فقتل الحسين في كربلاء في العاشر من محرم سنة (٦١ هـ — ٦٨٠ م) أفظع قتلة.

وأرسل بعدئذٍ الحصين بن نمير السكوني (الحمصي) لإكراه عبد الله بن الزبير على مبايعته فحاصره في مكة أربعين يوماً ؛ ورمى البيت الحرام بالمنجنيق وحرقه بالنار ، ولكنه قبل أن يبلغ غرضه من الحصار بلغه أن يزيداً قد مات في حوارين من أعمال حمص ، فتوقف عن الحصار عائداً الى بلده (الطبري ٧ ص ١٥).

حمص ومروان بن الحكم

لما مات يزيد بن معاوية ، مال الناس الى ابن الزبير فبايعه البصريون والكوفيون إضافة الى المكيين كما بايعه أيضاً أهل مصر. وفي الشام بايعه سراً الضحاك بن قيس والنعمان بن بشير الأنصاري بحمص وزفر بن الحارث الكلابي بقنسرين. وأما سائر الناس بالشام فبعدما توفي معاوية الثاني بن يزيد لثلاثة أشهر من خلافته بايعوا مروان بن الحكم. وأصبح الناس بالشام فرقتين: اليمنية مع مروان والقيسية مع الضحاك والنعمان.

واقتتل الفريقان بمرج راهط في غوطة دمشق قتالاً عنيفاً شديداً دام عشرين يوماً قتل في نهايتها الضحاك وثمانون من أشراف الشام.

ولما كان الحمصيون يمنيين خشي النعمان بن بشير النتيجة ففرّ من المدينة خلسة مع امرأته وأهله ؛ فتبعه قوم من حمير وباهلة الحمصيين فقتلوه في البرية وردوا رأسه مع أهله الى المدينة سنة (٦٥ هـ — ٦٨٥ م) (أبو الفداء ١ ص ١٩٣ والطبري ٧ ص ٣٧ — ٤٣) والخطط ١ ص ١٤٦ وسواهم).

وروى ابن الأثير (٤ ص ٥٨) : إنه لما حصل الخلاف على من هو أحق بالخلافة؟ أمروان بن الحكم أو خالد بن يزيد؟ اتفقوا أخيراً على أن يكون الكبير مروان خليفة والصغير خالد مستشاراً وهكذا بايعوا مروان على أن يخلفه خالد ثم خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص. وأن تكون إمرة دمشق لعمرو وإمرة حمص لخالد بن يزيد (الطبري ٧ ص ٣٨). ولكي يأمن مروان مغبة خالد تزوج بأمه. ولكن النتيجة جاءت على غير ما تأمل؛ فقد قيل: إن أم خالد خنقته في إحدى الليالي وادعت أنه مات فجأة ولم تطل خلافة مروان أكثر من تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

حمص والجراجمة في أيام عبد الملك والوليد

لما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان كتب الى أمير حمص أبان بن عقبة بن أبي معيط أن يذهب لمحاربة زفر بن الحارث فسار اليه وعلى مقدمته عبد الله بن زميت الطائي. فواقع عبد الله زفراً قبل وصول أبان، لذلك كثر القتل في أصحابه ولكن وصول أبان الى المعركة في الوقت المناسب أنقذه من التهلكة وتحولت الهزيمة الى انتصار للحمصيين.

أما الجراجمة فهم قوم من مدينة اسمها جرجومة في جبل اللكام بين بياس وبوقا قرب انطاكية؛ وكانوا تابعين لبطريق تلك المدينة. فلما فتح العرب انطاكية صالحهم الجراجمة على أن يكونوا أعواناً لهم وعيوناً على جبل اللكام. وكانوا يستقيمون للعرب تارة ويمالئونهم مع الروم تارة أخرى. فلما توفي مروان بن الحكم وثار ابن الزبير؛ خرجت خيل للروم الى جبل اللكام وعليها قائد من كبار قوادهم فانطوى تحت لوائه جمع كثير من الجراجمة؛ واضطره عبد الملك بن مروان أن يصالحهم على ألف دينار يدفعها اليهم كل أسبوع دفعاً لأذاهم موقتاً. وحدث ذلك سنة (٧٠ هـ — ٦٨٩ م). ولكنه ما ان انتهى من ابن الزبير حتى بادر فواقع قائد الروم وقتله؛ ثم نادى في سائر من انضوى اليه بالأمان فتفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق وعادت غالبيتهم الى جرجومة في جبل اللكام.

ولما كانت سنة (٨٩ هـ — ٧٠٨ م) اجتمع الجراجمة في مدينتهم وأتاهم قوم من روم الاسكندرونة ومرسين؛ فوجه اليهم الوليد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك فأذاغ عليهم وافتتح مدينتهم، وسمح للأهلين أن ينزلوا حيث أحبوا من بلاد الشام دون أن يكره أحداً منهم على ترك النصرانية؛ ثم هدم المدينة. فسار بعضهم الى حمص وجوارها وهرب بطريقهم الى بلاد الروم (البلاذري ص ١٦٦ — ١٦٨ وابن الأثير ٤ ص ١١٩).

واستعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في أيام بني أميه وبني العباس، وأجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة (ياقوت ٣ ص ٨١).

حمص في أيام سليمان بن عبد الملك

كان سليمان من أفضل خلفاء الأمويين ولد سنة (٦٠ هـ — ٦٧٩ م) وتولى الخلافة سنة (٩٦ هـ — ٧١٤ م) وتوفي سنة (٩٩ هـ ٧١٨ م) بعد أن استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان. قال فيه ابن سيرين: رحم الله سليمان، افتتح خلافته بخير واختتمها بخير؛ افتتح خلافته بإحياء الصلاة في مواقيتها وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

سمع سليمان أن الروم خرجوا على ساحل حمص فسبوا امرأة وجماعة من المسلمين فغضب وقال: والله لأغزونهم غزوة أفتح بها القسطنطينية أو أموت دون ذلك. ثم جهز حملة من الشاميين وأهل الجزيرة والموصل في البر في نحو /١٢٠/ ألف رجل؛ وجهز أهل مصر وأفريقيا في البحر ومعهم ألف مركب فتوفق الى حد بعيد. واشترك في هذه الحملة من أعيان حمص خالد بن معدان الحمصي الشهير. وتاريخ هذه الحملة كان سنة (٩٧ هـ — ٧١٦ م) (الخطط ١ ص ١٥٤ ودائرة المعارف لبطرس البستاني ١٠ ص ٢٧).

حمص في أيام عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز، هو ثامن خلفاء بني أمية؛ بويع بالخلافة سنة (٩٩ هـ — ٧١٨ م) وأول أعماله فيها أنه أبطل سب الامام علي بن أبي طالب على المنابر؛ إذ كتب الى نوابه في جميع الأصقاع بإبطال ذلك؛ وأبدل الشتيمة في آخر كل خطبة بآية من القرآن الكريم: «إن الله يأمركم بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى... الخ... فمدحه على ذلك أحدهم بقوله:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف — برياً ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي — فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

ولم تطل خلافة عمر بل مات مسموماً سنة (١٠١ هـ — ٧٢٠ م) بعد سنتين وخمسة أشهر وعمره /٤٠/ سنة ودفن بدير سمعان من أعمال حمص (الطبري ٨ ص ١١٣).

روي أنه لما مرض اعتزل السلطة وذهب الى دير سمعان المشار اليه فقدم له رئيس الدير فاكهة. فأبى عمر أن يأخذها بدون ثمن. ولم تجدِ محاولة الراهب شيئاً؛ ثم قال عمر: بلغني

ان هذا الموضع ملك لكم ؛ فقال رئيس الدير : نعم : فقال عمر : إليّ أحب أن تبيعني منه موضع قبر لمدة سنة ؛ فإذا حال الحول فانتفع به . فبكى الراهب وحزن جداً ثم باعه ما طلب ودفن فيه . وهو الآن غير معروف (مروج الذهب للمسعودي وحاشية ابن الأثير ٧ ص ١١٧) .

قال كثير :

سقى ربنا من دير سمعان حفرة بها عمر الخيرات رهناً دفينها
صوابح من مزن تقال غوادياً دوالج دهماً ماخضات دجونها

وفيه يقول أبو فراس بن أبي الفرج البزاعي ، وقد مرّ به فرآه خراباً :

يا دير سمعان قل لي أين سمعانُ وأين بانوك خبرني متى بانوا
أجابني بلسان الحال إنهمُ كانوا ويكفيك قولي إنهم كانوا

(معجم البلدان لياقوت ٤ ص ١٤٩)

حمص وهشام بن عبد الملك

هشام هو رابع خليفة أموي من أولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام وقد لقبوا بالأكيس الأربعة إذ لم يَوَلَّ الخلافة أربعة اخوة سواهم . وقد ذكرنا الوليد وسليمان ، أما يزيد فلن نجد خلال خلافته شيئاً عن حمص ، بالاضافة الى أنه لم يكن بالخليفة الذي تحمد سيرته لأنه عدا ما اتصف به من الشذوذ ، فقد عزل عمال عمر بن عبد العزيز كلهم وأعاد شتم الامام علي على المنابر وظل ذلك حتى آخر عهد خلفاء بني مروان ، يشب عليها الصغير ويهرم الكبير (الخطط ١ ص ١٥٦ و١٥٧) .

مات يزيد سنة (١٠٥هـ — ٧٢٤م) وأخوه هشام في حمص فساس هذا الدولة /١٩/ سنة ونيفاً . وكان هشام أحول العينين ، خشناً يجمع الأموال ويعمر الأرض ويستجيد الخيل فجمع له منها ما لم يجمع لسواه (الطبري ٨ ص ١٧٨ وابن خلدون ٣ ص ٨٥) .

وروى المسعودي عنه مما له علاقة بحمص الحادثة الطريفة التالية قال : عرض هشام يوماً جند حمص ؛ فمر به رجل وهو على فرس نفور ؛ فقال له هشام : ما حملك عني أن تركب فرساً نفوراً ؟ فقال الحمصي : لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ، ما هو بنفور ،

ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار. فقال له هشام: تنحَّ. فعليك وعلى فرسك لعنة الله. وكان غزوان البيطار نصرانياً ببلدة حمص وكأنه هشام في حولته وهيئته (ابن الأثير ٧ ص ١٥٠).

وذكر الهيثم بن عدي: إن السواس من بني أمية ثلاثة: معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وختمت بهم أبواب السياسة وحسن السيرة.

حمص والوليد بن يزيد بن عبد الملك

هو الثاني بهذا الاسم من خلفاء الأمويين والحادي عشر من خلفائهم، خلف هشاماً سنة (١٢٥ هـ — ٧٤٢م) ولكنه كان سكيراً خليعاً ماجناً. فلم يطل به الأمر حتى كرهه الناس وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك والتفّ القوم حوله لتظاهره بالنسك والتواضع وبايعوه بالخلافة؛ وكان الوليد بالاغدف من عمان فسير لمحاربة يزيد... عبد الله بن يزيد بن معاوية فانقاد هذا الى يزيد بن الوليد وبايعه وانضم اليه.
يد بن الوليد وبايعه وانضم اليه.

ولما عرف الوليد بما جرى تهيأ لمحاربة يزيد، فأشار عليه بعضهم أن يتحصن بحمص ويوجه الحملة الى يزيد. ولكن الوليد رفض هذا الاقتراح وسار حتى أتى البخراء — قصر النعمان بن بشير حيث التقى بجيش عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك الزاحف لمحاربته.

وعرض الوليد على عبد العزيز ولاية حمص وخمسين ألف دينار لقاء انصرافه عن محاربته فرفض ذلك.

وكان العباس بن الوليد بن عبد الملك مخالفاً لأخيه يزيد في طلبه الخلافة؛ فحاول إنجاد الوليد فاعترضه منصور بن جهور وأجبره لقلة من معه من الأنصار أن يبايع أخاه يزيداً مما أدى الى تفرق الناس عن الوليد. ثم دخل بعضهم عليه في قصره فاحتزوا رأسه وطافوا به في دمشق على رأس رمح (ابن الأثير ٥ ص ١٠٦ وابن خلدون ٣ ص ١٠٨ والطبري ٩ ص ١١ و١٢).

حمص ويزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك

إثر مقتل الوليد تولى الخلافة يزيد بن الوليد من عبد الملك أول رجب سنة (١٢٦ هـ — ٧٤٣م) ولقب بالناقص لأنه أنقص الزيادة التي وضعها الوليد في أعطيات الناس؛

ورد العطاء الى ما كان عليه في عهد هشام وعين أخاه ابرهيم ولياً للعهد يليه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

ولما بلغ الحمصيين خبر مقتل الوليد وان العباس بن الوليد أعان على قتله. هاجموا داره في حمص وسبوا من فيها وهدموها بعد أن فر العباس منها ملتحقاً بأخيه يزيد. وعمد الحمصيون الى مكاتبة الأجناد مطالبين بدم الوليد وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين ابن نمير، ووافقهم على ذلك أمير حمص مروان بن عبد الله بن عبد الملك؛ وكان من سادة بني مروان نبلاً وكرماً وعقلاً وجمالاً.

لما عرف يزيد بما جرى وجه اليهم رسلاً للمفاوضة فطالب الحمصيون بتنصيب ولي عهد الوليد خليفة على المسلمين فرفض يزيد الطلب وعندئذٍ طرد الحمصيون رسل يزيد وعلى رأسهم السمط بن ثابت. وعلى الأثر وجه اليهم يزيد جيشاً كثيفاً لإخضاعهم، وتهيأ الحمصيون للتوجه الى دمشق.

لما شاهد مروان بن عبد الله بن عبد الملك تفاقم الخطب نصح الحمصيين بعدم الذهاب الى دمشق وترك الجيش خلفهم؛ فاتخذها السمط حجة عليه وقال للحمصيين: هذا والله العدو الغريب الدار يريد أن ينقض جماعته، فوثب الناس على مروان فقتلوه وقتلوا ابنه ورفعوا رؤوسهم للناس؛ ثم ولوا عليهم أبا محمد السفياني وتوجهت جموعهم نحو دمشق.

ولما علم يزيد بما جرى في حمص دعا اليه عبد العزيز بن الحجاج ووجهه بثلاثة آلاف مقاتل وأمره أن يعسكر عند ثنية العقاب ثم دعا هشام بن مصاد ووجهه بألف وخمسمائة رجل وأمره أن يعسكر على عقبة السلامة وأمرهما أن يمد أحدهما الآخر.

أما الحمصيون فكانوا قد نزلوا السليمانية[1] فجعلوا الزيتون على يمينهم والخيل عن شمالهم والجبال خلفهم. وكان وصولهم في أول الليل؛ فأراحوا دوابهم بغية استئناف السير في اليوم التالي. ولكن قبل أن ينبثق الفجر كان الجيش الشامي وعلى رأسه عبد العزيز بن الحجاج يهاجمهم.

ومما يروى أن الحجاج لما عاين جيش أهل حمص قال لأصحابه: موعدكم التل الذي هو في وسط عسكرهم. والله لا يتخلف أحد منكم إلا ضربت عنقه. ثم قال لحامل لوائه

(١) السليمانية مزرعة لسليمان بن عبيد الملك خلف عدرا. من دمشق على أربعة عشر ميلاً.

تقدم... ثم حمل وحمل الجيش معه فقتلوا كل من وقف في طريقهم حتى بلغوا التل فصدع العسكر الحمصي وانخذل. وهنا نادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري: الله الله في قومك... فكف الناس عن القتال وأقبل الحمصيون على مبايعة يزيد بن الوليد فأكرمهم وأعطاهم الهبات وأجاز الاشراف واستعمل معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير من أهل حمص أميراً عليها.

ومنذئذٍ حسن موقف الحمصيين مع يزيد حتى إنهم ساروا مع أهل دمشق بقيادة سليمان ابن هشام لتطويع أهل فلسطين (الطبري ٩ ص ٢٢ — ٢٥ وأبو الفداء ١ ص ٢٠٦).

حمص وابرهيم بن الوليد

تولى الخلافة بعد يزيد أخوه ابرهيم سنة (١٢٦ هـ — ٧٤٣م) ولكن الأمر لم يتم له كما ينبغي، إذ كان بعضهم يسلم عليه بالخلافة وبعضهم بالإمارة والبعض الآخر لا يسلم عليه بهذه أو بتلك. وظل ذلك شأنه مدة أربعة أشهر ثم خلع في ربيع الثاني سنة (١٢٦ هـ — ٧٤٣م) (الطبري ٩ ص ٢٥).

وكان مروان بن محمد قد هجر الشام بعد مقتل الوليد بن يزيد وسافر الى الجزيرة فتغلب عليها وبسط عليها سيطرته بدعوى انه ثائر للوليد، منكر قتله. فاسترضاه يزيد وولاه عمل أبيه محمد بن مروان. فلما بلغه خبر وفاة يزيد شخص الى ابرهيم بن الوليد تاركاً خلفه ابنه عبد الملك بأربعين ألفاً في الرقة. ولما وصل الى قنسرين دعا أهلها الى مبايعته فبايعوه وسلموا اليه ابني الوليد بشراً ومسروراً فسجنهما وسار بمن معه الى حمص.

وكان أهل حمص قد امتنعوا عن مبايعة ابرهيم بعد موت يزيد، فوجه اليهم ابرهيم عبد العزيز بن الحجاج مع جند دمشق فحاصر المدينة وضيّق عليها الخناق؛ وبلغ ذلك مروان فأغذّ السير حتى دنا من حمص وعندئذٍ عمد عبد العزيز الى رفع الحصار عن المدينة وعاد الى دمشق.

وخرج أهالي حمص لاستقبال مروان فبايعوه بالخلافة وسار جيشهم معه.

ووجه ابرهيم الجنود الشامية مع سليمان بن هشام وعددهم /١٢٠/ ألفاً؛ فسار بهم حتى نزل عن الجسر وهناك التقى بجيش مروان الذي كان تعداده /٨٠/ ألفاً. فدعاهم مروان الى السلم وإخلاء سبيل ولدي الوليد الحكم وعثمان المسجونين في دمشق فأبوا وجدوا في قتاله، ودام القتال من ضحى النهار حتى العصر؛ وكثر القتلى بين الفريقين.

وكان مروان داهية مجرباً مفكراً فدعا اليه ثلاثة من قواده ووجه معهم فعلة بالفؤوس ليقطعوا من الجبل شجراً ويعقدوا منها جسوراً يضعوها على النهر الفاصل بين الجيشين لتتمكّن قواته من اجتيازه ومباغتة خيول سليمان وفرسانها مشغولون بالقتال ، ففعلوا . ولما فوجىء فرسان سليمان بالخيل من خلفهم وبهرت السيوف عيونهم وصمّ صم التكبير مسامعهم ، انكسرت شوكتهم وولوا الإدبار ، فوضع أهل حمص السلاح فيهم لشدة حقدهم عليهم وقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً ؛ في حين أن أهل الجزيرة وقنسرين كفوا عن الفتك بهم . ووقع من الأسرى بيد مروان مثل عدد القتلى ؛ فأخذ مروان منهم البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد وخلى عنهم وألحقهم بأهلهم ، ولم يقتل منهم إلّا رجلين هما : يزيد ابن العقار والوليد بن مصاد الكلبيين ؛ وكانا فيمن سار الى الوليد واشتركا في قتله .

ولما بلغ المنهزمون دمشق ، عقد ابرهيم مجلساً من نخبة رجاله وفيهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكسكي والاصبغ بن ذؤالة الكلبي ، فقرروا قتل الغلامين الحكم وعثمان خشية أن يصير الأمر اليهما متى وصل مروان فقتلا مع يوسف بن عمر ونجا ابو محمد السفياني بلواذه الى أحد السجون واقفاله الباب ، ثم وضع خلفه الفرس والوسائد؛ وحاول اولئك احراقه بالنار ؛ وما كادوا يفعلون حتى دخلت خيل مروان مدينة دمشق ؛ فاختفى ابرهيم وفر سليمان بعد ان نهب بيت المال ووزعه على أصحابه (الطبري ٩ ص ٤٧ وابن الأثيرة ص ١١٩ وابن خلدون ٣ ص ١١٢ وسواهم) .

وأتى بأبي محمد السفياني وهو يحجل في قيوده فسلم على مروان بالخلافة وقال : ان وليبي العهد الحكم وعثمان جعلاها لك قبل مقتلهما . وسمع الناس كلام السفياني فبايعوا مروان بالخلافة وكان اولهم بيعة معاوية بن يزيد بن الحصين وأهل حمص .

وطلب سليمان بن هشام الأمان فأمنه مروان مع اخوته وأهل بيته ومواليه (ابن خلدون ٣ ص ١١٣) .

حمص ومروان بن محمد

بعد ثلاثة اشهر من مبايعة مروان وانصرافه الى منزله بحران ، ثار أهل الشام عليه بتأثير ثابت بن نعيم والي الأردن . وبلغ ذلك مروان فسار اليهم بنفسه . وكان الحمصيون قد استنجدوا مَن بتدمر من قبيلة كلب فشخص اليهم الأصيغ بن ذؤالة الكلبي ومعه بنوه الثلاثة : حمزة وذؤالة وفرافصة ؛ ومعاوية السكسكي فارس أهل الشام ، وهشام بن

مصاد وعصمة بن المتشعر وطفيل بن حارثة مع الف من فرسانهم فوصلوا حمص ليلة الفطر سنة (١٢٧ هـ ؛ ٧٤٤م) ؛ وكان مروان قد بلغ حماه ، فأتاه خبرهم صبيحة الفطر ، لذلك جد في السير ومعه (ابرهيم بن الوليد — المخلوع — وسليمان بن هشام) فانتهى الى حمص بعد الفطر بيومين والكلبية فيها قد رمموا أبوابها من الداخل ؛ فأحدقت خيله بالمدينة ووقف مروان حذاء باب من ابوابها وأشرف على جماعة من السكان فناداهم مناديه : ما دعاكم الى النكث؟ قالوا : إنّا على طاعتك ؛ قال : إذاً فافتحوا الأبواب ، ففتحوها . فاقتحمهم عمرو ابن الوضاح مع ثلاثة آلاف من الوضاحية فقاتلهم داخل المدينة . ولما أخذتهم خيل مروان ، قصدوا باب تدمر وخرجوا منه بعد أن قتل منهم خلق كثير وافلت الأصبغ بن ذؤالة والسكسكي ، وأسر ابنا الأصبغ ذؤالة وفرافصة مع ثلاثين رجلاً من الكلبيين ؛ فأمر مروان بقتلهم ، ثم أمر بجمع القتلى وهم بين الـ ٥٠٠ و٦٠٠ وصلبهم حول المدين وهدم من سور المدينة نحواً من غلوة (الطبري ٩ ص ٥٥).

ومن حمص ارسل مروان ابا الورد بن الكوثر بن زفر وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف محارب لاخضاع أهل الغوطة الذين ثاروا على أمير دمشق زامل بن عمرو وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري . فحصدوا شوكة العصاة وقتلوا يزيد بن خالد وأبا علاقة وارسلوا رأسيهما الى مروان بحمص (الاعلام ص ١١٥٩).

وتابع ابو الورد مسيره الى فلسطين فاخضع المتمردين وانهزم ثابت بن نعيم وتفرق أصحابه واسر ثلاثة من أولاده . وبعد مدة وجيزة وقع ثابت نفسه في الاسر فقتل مع بنيه وصلب على ابواب دمشق .

وفي هذه الأثناء ثار الضحاك بن قيس الشيباني ووضع يده على الكوفة فبعث اليه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة وامره ببعوث أهل الشام ؛ ونزل هو في قرقيسيا لنجدة ابن هبيرة حين اللزوم ؛ فاغتنم سليمان بن هشام هذه السانحة واعلن خلع مروان وطلب البيعة لنفسه ، فبايعه أهل الغوطة الذين كان قد نزل بينهم باذن مروان . وايد أهل الشام سليمان واجتمع حوله منهم سبعون ألفاً سار بهم الى قنسرين حيث التقى بجيش مروان . واحتدم القتال بينهما فانهزم سليمان واتباعه وتعقبهم مروان قتلاً وأسراً وبلغت خسارة الدماشقة / ٣٠/ الفاً . وارتد سليمان مع المنهزمين الى حمص فعسكر بها وبنى ما تهدم من سورها .

وأقبل مروان بجيشه يتعقبهم . فتبايع جماعة من أصحاب سليمان وعددهم / ٧٠٠/ على الموت دونه . وعلم بأمرهم مروان فاحترز منهم ثم زحف اليهم في الخنادق وهو على حيطة

منهم ، وكانوا قد كمنوا له في زيتون على طريقه . فلما أقبل عليهم خرجوا اليه ووضعوا السلاح في من معه ؛ فنادى مروان فرسانه فأتوا اليه فقاتلهم من الضحى الى العصر حيث انهزم أصحاب سليمان وعاد هو الى حمص واستخلف عليها أخاه سعيداً ثم مضى الى تدمر فأقام فيها (المنبجي ص ٣٦٥).

أما مروان فقد أتى الى حمص وشدد الحصار عليها طيلة عشرة أشهر ونصب ضدها ثمانين منجنيقاً ترميها بالليل والنهار . ولما تتابع البلاء طلب أهل حمص الأمان منه على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وولديه عثمان ومروان ومن السكسكي ومن حبشي كان يشتم مروان ، وهكذا كان ...

أمر مروان بسجن سعيد وابنيه وقتل السكسكي وسلم الحبشي الى بني سليم فمثلوا به . ولما فرغ من أمر حمص سار بقواته نحو الضحاك (الطبري ٩ ص ٦٢ — ٦٤ وابن الأثير ٥ ص ١٢٣).

ويذكر الطبري (٩ ص ٧٨) ان فتح حمص كان في شوال سنة (١٢٨ هـ — ٧٤٥ م).

وروى الطبري في مقتل الضحاك ما خلاصته (٩ ص ٧٦ و٧٧) ؛ ان الضحاك عندما دخل الكوفة ، كاتبه أهل الموصل ليقدم اليهم فيمكنونه منها ، فسار اليهم بعد عشرين شهراً وكان عامل مروان فيها القطران بين انكبه الشيباني . ففتح له أهل الموصل ابواب المدينة وقاومه القطران ففتك به واستولى على المدينة . وبلغ الخبر مروان وهو مشغول بمحاصرة حمص وقتل أهلها . فارسل الى ابنه وهو خليفته في الجزيرة يأمره باشغال الضحاك عن توسط الجزيرة فشخص عبد الله بن مروان الى نصيبين في ثمانية آلاف وخلف بحرّان قائداً في الف جندي فقط . فداهمه الضحاك بقوة كبيرة لا قبل له بها مما اضطره الى المحاصرة في نصيبين . ولما طال الحصار وجه الضحاك اثنين من قوادة هما عبد الملك بن بشر التغلبي وبدر الذكراني في خمسة آلاف جندي الى الرقة ؛ وبلغ خبرهم مروان فأنجد الرقة بقوة تمكنت من رد قوات الضحاك منهزمة على الأعقاب . واتجهت قوى مروان نحو الضحاك حيث التقت به في موضع يقال له الغز من أرض كفرتوت فتحاربا طيلة النهار . وفي المساء ترجل الضحاك ومن معه فأحدقت بهم خيول مروان وشدد الفرسان عليهم القبضة حتى قتلوهم عند أول الليل . وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك الى معسكرهم .

ولم يعلم مروان وكذلك أصحاب الضحاك انه قتل مع من قتل، حتى استفقدوه في الليل فجاءهم بعض من عاينه حين ترجل فاخبرهم بخبره وبمقتله فبكوه وناحوا عليه. وعلم مروان بقتله فأرسل بعض حرسه بالنيران والشموع الى موضع المعركة فقلبوا القتلى حتى استخرجوه واتوا به الى مروان وفي وجهه أكثر من عشرين ضربة؛ فكبر جيش مروان وهللوا؛ وتأكد جيش الضحاك من ذلك فولوا منهزمين. وكان مقتله سنة (١٢٨ هـ — ٧٤٥م) وقيل سنة (١٢٩ هـ — ٧٤٦م) (ابن الأثير ٥ ص ١٣٠).

مقتل مروان وانقراض الدولة الأموية في الشام

ونوجز في هذه العجالة خلاصة ما رواه المؤرخون في هذه القضية:

روي أن جديع بن علي الازدي المعروف بالكرماني كان سعيد اليمانة في خراسان. وكان نصر بن سيار عامل مروان عليها يكره اليمانية وربيعة لميلها لهم؛ فعاتبه الكرماني فأسمعه نصر ما لا يرضيه، فأغلظ هذا له القول، فأمر الوالي بسجنه؛ ولكن جديع تمكن من الفرار بمساعدة مولى له، وثار بقومه على نصر، ودامت الحروب بينهما نحواً من عشرين شهراً. ثم حاول نصر استرضاء الكرماني لاطفاء فتيل النار المضطرمة في جميع كور خراسان؛ ولكن جواب الكرماني لم يكن مرضياً. فكتب نصر بن سيار الى مروان يخبره بالواقع وعن انشغاله بقتال الكرماني عن محاربة أبي مسلم الخراساني الذي يقدر أن عدد المبايعين بواسطته لابرهيم بن محمد بن علي العباسي بلغ مئتي الف ويقول في ذيل الرسالة:

اری تحت الرماد وميض جمرٍ ويوشك أن يكون لها ضرامُ
فان النار بالعودين تذكى وان الشر مبدأه الكلام
وقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يقظتْ فذاك بقاء ملك وإن رقدتْ فإني لا أُلام

ووصل الكتاب الى مروان وهو بحمص فأمر معاوية بن الوليد عامله على دمشق ان يكلف عامل البلقاء بالسير الى الحميمة حيث يقيم ابرهيم بن محمد؛ ففعل هذا ما أمر به والقى القبض على ابرهيم وهو جالس في المسجد فسجنه أولاً ثم رأى أن يجتث الفتنة بقتله. ولما قتل ابرهيم فر أخواه ابو العباس وابو جعفر المنصور الى العراق فاختفيا في الكوفة.

وبلغ ابا مسلم الخراساني ما جرى فقدم الى الكوفة وعزّى الأخوين باخيهما ابرهيم ثم بايع ابا العباس وانصرف الى خراسان يهيء له الأمر.

ولما تفاقم الخطب كتب نصر بن سيار الى مروان ثانية يستنجده لدرء الخطر المتفاقم فلم يستطع انجاده ؛ فاستعان بربيعة فلم تنجده لأنها كانت مع الكرماني ضده وهذا كان قد انضم الى أبي مسلم سراً. فاستقدمه نصر اليه بعد أن أمنه ومنّاه. ولما قدم اليه ارسل من قتله على غرة. فثار ابن الكرماني بقومه واستنصروا ابا مسلم على نصر؛ فجزع هذا واستأمن ابا مسلم حتى رأى سانحة، فر فيها الى العراق حيث توفي ؛ وإثر ذلك استسلم قوم نصر وأصحاب الكرماني الى أبي مسلم الذي بسط سيطرته على خراسان كلها.

بعد هذا ارسل ابو مسلم قوة من جيشه الى الزاب لمحاربة مروان وتوجه هو مع قوة اخرى ليشغل بها يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان بواسط عن نجدة سيده فالتقى مروان بأبي عون العكي قائد الجيش الخراساني بشهر زور. واصطدم الجيشان صدمة قوية كانت نتيجتها انهزام مروان وتقهقره الى حران ومنها ارتد الى الشام، فمر بقنسرين فحمص حيث ظل فيها ثلاثة أيام ثم غادرها.

ولما رأى الحمصيون قلة من معه وتذكروا اساءته الماضية لهم طمعوا فيه وقالوا: مرعوب منهزم ؛ واتبعوه بعدما رحل عنهم. وشاهد مروان غبار الخيل وراءه، فأمر اثنين من قواده أن يكمنا لهم في واديين على الطريق حتى اذا مر بهم الحمصيون ثارا عليهم. فلما جاز الحمصيون الكمينين ودنوا من مروان وقف أمامهم في من معه وناشدهم العدول عن محاربته، فأبوا الاّ قتاله ؛ وهكذا فقد نشب القتال وثار الكمينان من خلفهم. فهزمهم مروان وقتلتهم خيله وردتهم الى قرب المدينة (الطبري ٩ ص ١٣٤).

ثم تابع مروان سيره حتى بلغ دمشق ونزل بها عند الوليد بن معاوية بن مروان وهو زوج ابنته ام الوليد. ولكن عبد الله بن علي قدم عليه وحاصره اياماً، تمكن بعدها من فتح المدينة ودخولها عنوة ؛ فقتل الوليد بن معاوية ولكن مروان كان قد فر الى الأردن ففلسطين آخذاً معه عامليه عليهما وهما ثعلبة بن سلامة العاملي والرمَّاص بن عبد العزيز متوجهاً نحو مصر حيث اختبأ في بوصير. ولكن بعضهم اهتدى اليه فقتله في مخبئه ؛ وبعث عامر بن اسمعيل برأسه الى أبي عون الذي بعثه بدوره الى صالح بن علي. وبعث صالح بالرأس مع يزيد بن هالي الى أبي العباس يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة (١٣٢ هـ — ٧٤٩ م).

الفصل الخامس

امراء حمص في زمن الأمويين

ذكر الغزي صاحب تاريخ حلب (٣ ص ٢٢ — ٢٤) عمال قنسرين وحمص من سنة (٥٤ — ٨٦هـ — ٦٦٥ — ٧٠٤م) مستنتجاً من عظمة البلدين ان يكونا محل اقامة الامراء الغزاة — الصوائف والشواتي — ايام تقاعدهم عن الغزوات. وانهم كانوا يقومون بوظيفة عمال اثناء اقامتهم ويستخلفون سواهم اوقات الغزو ولذلك دون اسماء العمال المشار إليهم كما يأتي :

١ — مالك بن عبد الله	سنة (٤٦ هـ — ٦٦٦م)
٢ — بسر بن ارطاة	سنة (٥٠ هـ — ٦٧٠م)
٣ — سفيان بن عوف الازدي	سنة (٥٠ هـ — ٦٧٠م)
٤ — فضالة بن عبيد	سنة (٥١ هـ — ٦٧١م)
٥ — بسر بن ارطاة (ثانية)	سنة (٥١ هـ — ٦٧١م)
٦ — سفيان بن عوف الازدي (ثانية)	سنة (٥٢ هـ — ٦٧٢م) (وقد توفي في هذه السنة)
٧ — عبد الله بن سعيد الغزاري	سنة (٥٢ هـ — ٦٧٢م)
٨ — محمد بن عبد الله الثقفي	سنة (٥٢ هـ — ٦٧٢م)
٩ — عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي	سنة (٥٣ هـ — ٦٧٣م)
١٠ — محمد بن مالك	سنة (٥٤ هـ — ٦٧٣م)
١١ — معن بن يزيد السلمي	سنة (٥٤ هـ — ٦٧٤م)
١٢ — سعيد بن عوف	سنة (٥٥ هـ — ٦٧٤م)
١٣ — جنادة بن أمية	سنة (٥٦ هـ — ٦٧٥م)
١٤ — عبد الله بن قيس الغزاري	سنة (٥٧ هـ — ٦٧٦م)
١٥ — مالك بن عبد الله الختمعي	سنة (٥٨ هـ — ٦٧٧م)
١٦ — عمرو بن مرة	سنة (٥٩ هـ — ٦٧٨م)
١٧ — عبد الملك بن مروان	سنة (٦٦ هـ — ٦٨٥م)

١٨ــ محمد بن مروان سنة (٧٣هـ ــ ٦٩٢م)
١٩ــ الوليد بن عبد الملك سنة (٧٥هـ ــ ٦٩٤م)
٢٠ــ عبيد الله بن عبد الملك سنة (٨١هـ ــ ٧٠٠م)
٢١ــ محمد بن مروان (ثانية) سنة (٨٢هـ ــ ٧٠١م)
٢٢ــ مسلمة بن عبد الملك سنة (٨٥هـ ــ ٧٠٤م)
٢٣ــ هشام بن عبد الملك سنة (٨٧هـ ــ ٧٠٦م)

ومع هذا فاننا لم نحرم من الوصول بعد التدقيق والتمحيص الى اكتشاف احداث يقينية في بطون الاسفار وخلال مطالعاتنا عمن ولي حمص، لذا رأينا من واجبنا أن نسرد اسماءهم فيما يلي منوهين بالأسفار التي روت ذلك خدمة للمحققين من المؤرخين :

آ ــ مالك بن هبيرة

هو الصحابي المشهور المتصل نسبه بخالد بن مسلم السكوني الكندي ؛ روى صاحب الاصابة عن أبي يونس انه ولي حمص لمعاوية. وقال السيوطي في حسن المحاضرة (١ ص ٩٧) انه ولي حمص سنة (٥٢هـ ــ ٦٧٢م) وكان من امرائها. مات زمن مروان بن الحكم. ويستخلص من الأغاني (١ ص ١١ و١٦ ص ١٠ و١٧ ص ١١١) ما يلي :

أ ــ ان مالكاً كان احد العشرة الذين بعث بهم يزيد الى المدينة لمقاتلة ابن الزبير الذي أبى مبايعته.

ب ــ وانه غضب على معاوية لأجل قتله حجر بن عدي، فاسترضاه معاوية وقدم له مئة الف درهم.

ج ــ وانه شجع مروان بن الحكم على طلب الخلافة وكان مع عمرو بن سعيد بن العاص والحصين بن نمير اول من بايعه.

وروى الطبري (٦ ص ١٥٤ و١٥٦) وابن الأثير (٣ ص ١٩٢ و١٩٣) : انه لما أرسل زياد لمعاوية حجر بن عدي ورفاقه الـ ١١ المتشيعين لعلي أخذ انسباؤهم يشفعون بهم وقام مالك بن هبيرة السكوني يشفع في عدي فقال لمعاوية : دع لي ابن عمي حجراً فقال معاوية : هو رأس القوم، واخشى ان خليت سبيله أن يفسد عليَّ مصري فيضطرنا غداً الى أن نشخصك أنت وأصحابك اليه بالعراق. فقال له : والله ما أنصفتني يا معاوية ؛ قاتلت

معك ابن عمك فتلقاني منهم يوم كيوم صفين حتى ظفرت كفك وعلا كعبك ، ولم تخف الدوائر ، ثم سألتك ابن عمي فسطوت وبسطت من القول بما لا أنتفع به ، وتخوفت فيما زعمت عاقبة الدوائر. ثم انصرف فجلس في بيته غاضباً .

وكان معاوية ، قد أمر بقتل حجر ، ولما دخل بعضهم على معاوية وأخبروه بغضب مالك ونقمت عليه وجلوسه في بيته قال لهم : اسكتوا فانما هي حرارة يجدها في نفسه وكأني بها قد طفئت ؛ ثم ارسل اليه يطلبه فأبى مالك ان يأتيه .

فلما كان الليل بعث اليه معاوية بمئة الف درهم مع رسالة يقول له فيها : ان امير المؤمنين لم يمنعه ان يشفعك في ابن عمك الاّ شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً اخرى ، وأن حجر بن عدي لو بقي ، لخشيت أن يكلفك وأصحابك الشخرص اليه ؛ وان يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو اعظم من قتل حجر . فقبلها مالك وطابت نفسه ثم أقبل الى معاوية من غده في جموع قومه حتى دخل عليه ورضي عنه .

ومما يذكره التاريخ أيضاً أن معاوية أرسل مالك بن هبيرة في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه وقتله .

٢ــ عبيد الله بن الحجاج بن علاط السلمي :

روى صاحب الاصابة (١ ص ٣٢٨) : ان الحجاج نزل حمص واستعمل ابنه عبيد الله بن الحجاج على حمص . وقال ابن عساكر (٤ ص ٤٧) : نزل الحجاج بحمص بالدار المعروفة بدار الخالديين نسبة الى خالد بن عبيد الله بن الحجاج ؛ واستعمل معاوية ابنه عبيد الله على أرض حمص وله فيها عقب .

٣ــ اوسط بن اسمعيل البجلي :

قال فيه صاحب الاعلام (١ ص ١٣٤) تابعي من أهل الشام أدرك النبي ولم يره . وكان قليل الحديث ثقة . تولى امرة حمص ليزيد وتوفي سنة (٧٩ هـ ــ ٦٩٨ م) .

وقال صاحب الاصابة : هو ابن عمرو البجلي ؛ شامي ، حمصي ، له ادراك روي عنه انه قال : قدمنا المدينة بعد وفاة النبي (ص) بعام . وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام . وقد ولي امرة حمص ليزيد وتوفي سنة (٧٩ هـ ــ ٦٩٨ م) . وفي الكمال (ص ٣٩) انه توفي سنة (٧٨ هـ ــ ٦٩٧ م)

٤ً — الحصين بن نمير السكوني :

ذكره العديد من المؤرخين بما ملخصه :

انه من أهل حمص ، وكان بدمشق حين عزم معاوية ان يخرج الى صفين فخرج معه . وولي الصائفة ليزيد بن معاوية . وكان أميراً على جند حمص . وكان في الجيش الذي وجهه يزيد الى المدينة لقتال أهل الحرة . وهو الذي حاصر ابن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق ، فسترت بالخشب فاحترقت .

ولما سار مسلم بن عقبة (المعروف بمسرف) بالجيش نحو مكة ، كان مريضاً وعندما أحس بدنو أجله دعا حصيناً فقال له : انك عربي جلف ، فسر بهذا الجيش نحو مكة . فمضى الحصين ولم يزل محاصراً مكة ٦٤ يوماً حتى هلك يزيد ، فاغراه ابن الزبير على مبايعته ، فأبى الا أن يرى رأي الشاميين فيه . وانفض العهد على ذلك الى أن عادت الحرب بين الشاميين والعراقيين . وكان الحصين على ميمنة عبيد الله بن زياد . وشريك بن جرير التغلبي من رجال ابرهيم بن الاشتر على خيل ربيعة ، فحمل هذا على الحصين وهو يظنه ابن زياد فاعتنق كل منهما الآخر ونادى التغلبي اقتلوني وابن الزانية فقتل الحصين بن نمير سنة (٦٧ هـ — ٦٨٦ م) (الطبري ٧ ص ١٤٤ وابن الأثير (٤ ص ١٠٢ و١٠٣) .

٥ً — النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي

النعمان بن بشير ، هو أول مولود انصاري في الهجرة ، كان فصيحاً كريماً ، ولي الكوفة ودمشق وحمص وقتل بالشام سنة (٦٥ هـ — ٦٨٤ م) . استعمله معاوية على حمص وكان جواداً شاعراً .

قال صاحب الاصابة (٦ ص ٢٤٠) عن ابن الزبير قوله : كان النعمان بن بشير أكبر مني بستة أشهر ، وقال ابو مسهر : كان النعمان من أخطب من سمعت ، نقله معاوية من امرة الكوفة الى امرة حمص .

وكان النعمان في دمشق لما مات يزيد بن معاوية ، ولما استخلف يزيد ابنه معاوية ومات هذا ، دعا النعمان الى بيعة ابن الزبير ثم دعا الى نفسه فواقعه مروان بن الحكم فقتل النعمان سنة ٦٥ هـ .

وقال صاحب الاعلام فيه (٣ ص ١١٠٥) : أمير خطيب من اجلاء الصحابة ، كان

قاضي دمشق بعد فضالة ؛ وولي امارة الكوفة في عهد معاوية ، فاستمر تسعة أشهر وعزله ثم ولاه امارة حمص. ولما مات يزيد بن معاوية ، بايع النعمان لابن الزبير ، فتمرد أهل حمص. فخرج من المدينة هارباً فتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة (٦٥هـ — ٦٨٤م)

ومن أشهر الحوادث التي مرت به والتي ذكرها الأصبهاني في كتابه الأغاني (ج ١٤ و١٥ و١٧ و٢٠) بتوسع ، ما ندونه منها بتلخيص ؛ حتى اذا ما رغب بعض من يهمه التفصيل مراجعتها هناك.

أ — ان النعمان هو أول مولود في المدينة للأنصار ، كما أن عبد الله بن الزبير هو أول مولود للمهاجرين.

ب — ان أولى قصائده كانت بتأثير ليلى القينية.

ج — انه حمل قميص عثمان ورسالة نائلة بنت الفرافصة ارملته الى معاوية بالشام.

د — شهد صفين مع معاوية.

هـ — ناقش الامام علي مناقشة حادة بشأن استشهاد عثمان.

و — تفضيله لقب الأنصاري على كل لقب سواه.

ز — غضبه الشديد على الشاعر الاخطل ولولا الخليفة يزيد لأودى به.

ح — بغضه الشديد لأهل الكوفة لمحبتهم علياً ، وامتناعه عن تنفيذ امر معاوية بزيادة اعطياتهم عشرة دنانير.

ط — قصته مع أعشى همذان وهو والي حمص.

ي — تأمير يزيد له على العشرة الذين أرسلهم الى ابن الزبير.

ك — زواجه من نائلة بنت عامر الكلابي بعد أن طلقها معاوية وحبيب بن مسلمة لتشاؤمهما من الخال الموجود فوق معدتها.

ل — مبايعته ابن الزبير اثر موت يزيد وهو عامل على حمص ومقتله اثر ذلك.

٦ً — خالد بن يزيد بن معاوية.

هو حكيم قريش وعالمها في عصره. مات أبوه يزيد سنة (٦٤هـ — ٦٨٣م) وكان فتًى. قال فيه ابن أبي حاتم : كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام ، وقد علم

علم العرب والعجم. وروى ابن خلكان وابن عساكر (٥ ص ١١٩) قصة تدل على جرأته في سبيل ما يعتقده حقاً وخلاصتها: ان اخاه عبد الله سابق الوليد بن عبد الملك فسبقه فاستاء الوليد وعقر الخيل السابقة؛ فشكا عبد الله امره الى أخيه خالد، فدخل هذا على عبد الملك ودار بينهما الحديث التالي:

خالد: يا أمير المؤمنين اتاني عبد الله أخي فحلف انه هم بقتل الوليد.

عبد الملك: ولم يقتله؟

خالد: سابقه فسبقه، فدخل الوليد على خيل عبد الله فعقرها.

عبد الملك: ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.

خالد: اقرأ يا أمير المؤمنين الآية الأخرى: «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً».

عبد الملك: اما والله لنعم المرء عبد الله على لحن فيه.

خالد: أفعلى لمن ابنك يعوّل؟

عبد الملك: ان كان الوليد يلحن فان اخاه سليمان.

خالد: وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد.

عبد الملك: مدحت والله نفسك يا خالد

خالد: وقبلي والله مدحت نفسك يا أمير المؤمنين.

عبد الملك: ومتى؟

خالد: حين قلت أنا قاتل عمرو بن سعيد.

عبد الملك: حق والله لمن قتل عمرو أن يفخر بقتله.

خالد: اما والله لمروان كان اطولها باعاً.

عبد الملك: ما اجرأك علي يا خالد؟ خلني عنك

خالد: لا والله ما قال الشاعر:

ويجر اللسان من اسلات الـ حرب ما لم يجر منها البنان

عبد الملك: اسكت ياخالد... ما قعدك في العبر ولا في النفير.

خالد: اسمع يا أمير المؤمنين. ثم اقبل على الوليد فقال له:

ويحك من العير والنفير غيري، جدي ابو سفيان صاحب العير، وجدي

عتبة بن ربيعة صاحب النفير ؛ ولكن لو قلت غنيمان وجبيلان والطائف ورحم الله عثمان لقلت صدقت[1] .

فاستحيا عبد الملك والتفت الى ابنه الوليد وقال : يا وليد أكرم اخاك وابن عمك ، فقد رأيت أباه يكرم أباك وجده يكرم جدك.

وكان لخالد رغبة في البناء ؛ ولذلك لما استخلف عبد الملك بن مروان طلب منه شراء الخضراء وهي دار الامارة بدمشق ؛ فاشتراها باربعين الف دينار واشترى منه أربع ضياع بأربعة اجناد الشام . فاختار من فلسطين عمواس ومن الأردن قصر خالد ومن دمشق الأندر ومن حمص دير زكا .

ومن مشيداته الفخمة قصر خالد في حمص الذي جدده الفضل بن قارن الطبري عامل حمص في زمن العباسيين وتحصن به لما وثب أهلها عليه (الخطط ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥) .

وروى ابن خلكان ان خالداً توفي سنة (٨٥ هـ — ٧٠٤ م) . أما ابن عساكر فذكر انه مات سنة (٩٠ هـ — ٧٠٨ م) وصلى عليه الوليد بن عبد الملك وقال : لنلقِ بنوامية الاردية على خالد فلن يتحسروا على مثله أبداً .

٧ — ابان بن عقبة بن أبي معيط

قال بطرس البستاني في دائرة المعارف (١ ص ١٧٧) كان ابان والياً على حمص في ايام عبد الملك بن مروان . فكتب اليه عبد الملك بالمسير الى زفر بن الحارث في قرقيسيا ؛ فسار وعلى مقدمته عبد الله بن العلاء فعاجله عبد الله بالحرب فقتل من أصحابه نحو ثلاثمائة ثم أقبل ابان فواقع زفر حتى هزمه .

وقال ابن الأثير (٤ ص ١٣٠) لما مات مروان بن الحكم وتولى الخلافة ابنه عبد الملك سنة (٦٥ هـ — ٦٨٤ م) ؛ كتب الى أبان بن عقبة بن أبي معيط وهو على حمص يأمره ان يسير الى زفر بن الحارث ففعل... الخ...

---

(١) أشار بها الى نفي الرسول الحكم بن العاص جد عبد الملك الى الطائف يرعى الغنم ويأوي الى جبيلة . ولم يزل كذلك حتى ولي عثمان فأطلق سراحه .

٨ً — يزيد بن الحصين بن نمير

هو ابن الحصين بن نمير المشهور الذي استخلفه مسلم بن عقبة المري على الجيش بعد وقعة الحرة يوم غزا المدينة المنورة في خلافة يزيد بن معاوية.

ويزيد من صغار التابعين، شهد مع مروان بن الحكم دخوله مصر. وتولى امارة حمص لسليمان بن عبد الملك ولعمر بن عبد العزيز. وتوفي سنة (١٠٣هـ — ٧٢١م) في خلافة يزيد بن عبد الملك (الاصابة ٦ ص ٣٦٦).

وروى الطبري أن يزيد بن الحصين رمى سليمان بن صرد قائد حملة التوابين على الشام بسهم فارداه قتيلاً سنة (٦٥هـ — ٦٨٤م)؛ وانما سميت الحملة المذكورة بحملة التوابين، لأن رجالها كانوا قد تأخروا عن معاونة الحسين بن علي لما قصد الكوفة، فلما قتل الحسين ندموا على تأخرهم عن نجدته؛ وقالوا ما لنا توبة مما فعلنا الا أن نقتل انفسنا في الطلب بدمه، فعسكروا في النخيلة في مستهل ربيع الآخر سنة (٦٥هـ — ٦٨٤م) وولوا أمرهم سليمان بن صرد، وخرجوا الى الشام مطالبين بالثأر للحسين وعددهم أربعة آلاف؛ فقتل سليمان بسهم يزيد بن الحصين وحَمل رأسه ورأس المسيب الى مروان أدهم بن محرز الباهلي.

٩ً — عبد الملك بن القعقاع:

ذكر الطبري (٩ ص ٦) ان هشام بن عبد الملك استعمل الوليد بن القعقاع على قنسرين وعبد الملك بن القعقاع على حمص؛ فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مئة سوط لذنب ارتكبه. فلما استلم الخلافة الوليد بن يزيد؛ هرب بنو القعقاع منه ولاذوا بقبر يزيد بن عبد الملك؛ فبعث اليهم الوليد بمن القى القبض عليهم وسلمهم الى يزيد بن عمر ابن هبيرة وكان على قنسرين فعذبهم ومات في العذاب الوليد بن القعقاع وأخوه عبد الملك ورجلان معهما من آلهما.

١٠ً — العباس بن الوليد

هو العباس بن الوليد الأموي الملقب بفارس بني مروان لما اشتهر به من الفروسية والبأس. فقد فتح طوانه سنة (٨٨هـ — ٧٠٦م) بعد أن انهزم عنها جيش المسلمين ولم يبق معه سوى نفر قليل. وفي سنة (٩٥هـ — ٧١٣م) فتح انطاكية، ثم فتح قنسرين سنة (١٠٢هـ — ٧٢٠م) وقتل سنة (١٢٦هـ — ٧٤٣م)

ولما كانت الفتنة في أواخر أيام الوليد كان العباس من المخلصين له. فلما أتت اليمانية الناقمة على الوليد الى يزيد بن الوليد — أخي العباس — وأرادوه على البيعة ؛ شاور عمرو ابن يزيد الحكمي ؛ فقال : لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس فإنه سيد بني مروان. فإن بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان الناس له أطوع ؛ فإن أبيت إلا المضي على رأيك ؛ فاظهر أن العباس قد بايعك. وكان يزيد في البادية والعباس بالقسطل وبينهما أميال يسيرة. فأتى يزيد أخاه العباس وشاوره في البيعة ؛ فقال له العباس : مهلاً يا يزيد ؛ إن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا. فعاد يزيد الى منزله وأرسل الأحنف الكلبي ويزيد عنيسة السكسكي وقوماً من الوجوه والأشراف يدعون الناس الى مبايعته ، فبايعوه. ثم عاد الى أخيه فشاوره في ذلك ، وأخبره أن قوماً يأتونه ويريدونه على البيعة ؛ فزجره العباس قائلاً : إن عدت لمثل هذا لأسترنك وثاقاً ، ولأحملنك الى أمير المؤمنين فخرج يزيد وهو غير راضٍ.

وعلم مروان بن محمد بما يحاك للوليد من المكايد فكتب بذلك الى سعيد بن عبد الملك يأمره أن ينهي الناس ويبعدهم عن الفتنة فبعث سعيد بكتابه الى العباس وهو أمير حمص. فدعا العباس يزيداً ولامه وتهدده فقال يزيد : يا أخي ، أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدونا ، أراد أن يفرق بيننا وأقسم له أنه لم يفعل ذلك فصدقه العباس.

وروى الطبري عن ابن بشر بن الوليد : إن بشراً دخل على العباس فكلمه في خلع الوليد وبيعة يزيد. فكان العباس ينهاه وأبي يرد عليه ، فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترىء أن يكلم عمي ويرد عليه قوله ؛ وكنت أرى الصواب فيما يقول أبي ؛ وكان الصواب في ما يقوله عمي. فقال العباس : يا بني مروان ، إني أظن الله قد أذن في هلاككم وتمثل قائلاً :

إني أعيذكم بالله من فتن ... مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا يلجمن ذئاب الناس أنفسكم ... إن الذئاب إذا ما أُلحمتْ رتعوا
لا تبقرنَّ بأيديكم بطونكمُ ... فثمَّ لا حسرة تغني ولا جزع

ولما أبرز يزيد فكرته الى الوجود استعد العباس لمؤازرة الوليد على أخيه. ولكن ابن الحجاج كان قد قتل الوليد.

وعندما بلغ الحمصيين مقتل الوليد ونمي إليهم — زوراً — ان العباس ساعد على قتله انتفضوا عليه ، وهدموا داره بعد أن نهبوها وسلبوا حرمه وأخذوا ابنيه فسجنوهما ثم طلبوه ، ولكنه كان قد توجه الى أخيه يزيد. وقتل العباس سنة (١٢٦هـ — ٧٤٣م).

وفي المقتطف (٧٩ ص ١٦٧ — ١٧٦) بحث تاريخي دقيق عن العباس تحت عنوان : أموي من سلالة مسيحية للعلامة بارتولا عضو أكاديمية لينغراد عربها عن الروسية بندلي جوزي.

١١ — مروان بن عبد الله بن عبد الملك

على أثر مقتل الوليد كاتب الحمصيون الأجناد ودعوهم الى الطلب بدمه فأجابوهم. وأخذ أهل حمص على أنفسهم عهداً ؛ أن لا يدخلوا في طاعة يزيد ؛ وإذا كان وليّا عهد الوليد حيين ، قاموا بالبيعة لهما ، وإلا جعلوها لخير من يعلمون ، على أن يعطيهم العطاء من المحرم الى المحرم. ثم أمروا عليهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك وكتبوا له ذلك وهو بحمص في دار الإمارة. فلما قرأه قال : هذا كتاب حضره من الله حاضر ووافقهم على ما أرادوا. وراسلهم يزيد فلم يسمعوا له بل أهانوا رسله وجرحوهم. فسير هذا اليهم أخاه مسروراً في جمع كثير فنزلوا حوارين. وأراد الحمصيون المسير الى دمشق فقال لهم مروان : أرى أن تسيروا الى هذا الجيش فتقاتلوه ، فإن ظفرتم به ، كان ما بعده أهون عليكم ، ولست أرى المسير الى دمشق وترك هؤلاء خلفكم. فقال السمط : إنما يريد خلافكم وهو مائل ليزيد. فقتلوه وقتلوا ابنه وولوا مكانه أبو محمد السفياني سنة (١٢٦هـ — ٧٤٣م) (ابن الأثير ٥ ص ١٠٨ وابن خلدون ٣ ص ١٠٨).

١٢ — أبو محمد السفياني

لما بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج ووجهه بثلاثة آلاف ، واصطدم الحمصيون بجيش سليمان بن هشام القادم من خلفهم في السليمانية وبقوات عبد العزيز ، فصدع عسكرهم وأسر أبو محمد السفياني. ولما أحسن يزيد بن الوليد معاملة الحمصيين وأجاز الاشراف منهم كمعاوية بن يزيد بن الحصين والسمط بن ثابت وعمرو بن قيس والصقر بن صفوان ، بايعوه كما بايعه أهل دمشق فاستعمل عليهم يزيد معاوية بن يزيد ابن الحصين.

١٣ــ معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير

في أيام معاوية بن يزيد هذا، وسنة (١٢٧هـ ــ ٧٤٤م) سار الحمصيون مع الدماشقة وعددهم /٨٠/ ألفاً بقيادة سليمان بن هشام لإخضاع الثائرين في فلسطين والأردن فخضدوا شوكتهم. واستعمل يزيد: ابرهيم بن الوليد على الأردن وضبعان بن روح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنسرين وأقر معاوية بن يزيد على حمص (ابن خلدون ٣ ص ١٠٩ والطبري ٩ ص ٢٦).

١٤ً ــ عبد الله بن شجرة:

لما كانت سنة (١٢٧هـ ــ ٧٤٤م) انتقض مروان بن محمد على ابرهيم بن الوليد الذي تولى الخلافة بعد أخيه يزيد فبايعه الحمصيون، وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن الحصين؛ فأمرهم مروان أن يختاروا من يشاؤون لولاية أجنادهم، فاختاروا عبد الله بن شجرة الكندي. ولكن الأمر لم يطل بهم حتى ثاروا على عبد الله المذكور ففتكوا به (الخطط ١ ص ١٥٩).

١٥ً ــ زامل بن عمر السكسكي الحميري

عندما استقام الأمر لمروان في الشام أقام زامل بن عمر السكسكي أميراً على دمشق وحمص معاً (ابن عساكر ٥ ص ٣٤٦).

١٦ً ــ سعيد بن هشام

ولما ثار الدماشقة على مروان وحاصروا زامل بن عمرو؛ كان مروان بحمص فأرسل إليهم أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث وعمرو بن الوضاح بعشرة آلاف، فأفرج عنه وخضد شوكة العصاة. وانتقض سليمان بن هشام على مروان وهرب الى حمص فعسكر بها وبنى ما كان تهدم من سورها. فسار اليه مروان ففر الى تدمر وخلف أخاه سعيداً بحمص أميراً عليها. فحاصر مروان المدينة طيلة عشرة أشهر ونصب ثمانين منجنيقاً لضربها؛ حتى استأمن له الحمصيون ومكنوه من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان. فسجنه مروان في حران ثم قتله فيها سنة (١٢٩هـ ــ ٧٤٦م) (ابن خلدون ٣ ص ١١٤ وابن الأثير ٥ ص ١٢٤).

وسعيد بن هشام هو آخر من عرفناه من ولاة حمص في زمن الأمويين.

الفصل السادس

مشاهير رجال العلم والقضاة والمحدثين والرواة الحمصيين

في زمن بني أمية

الاستقصاء في ذكر رجال العلم والقضاء والمحدثين الحمصيين في هذه الفترة من الزمن يستغرق صفحات كثيرة ؛ قد يدرك القارىء معها الملل لذلك نقتصر على ذكر أشهرهم مع كلمة وجيزة عن كل منهم ، ساردين أسماءهم مرتبة بحسب الحروف الهجائية تسهيلاً للمراجعة :

١ — أدهم بن محرز الباهلي

هو أول مولود مسلم في حمص ، شهد صفين ، وبلغ عهد عبد الملك بن مروان ورأسه أبيض ، وهو الذي حمل رأس سليمان بن صرد ورأس المسيب بن نجبه الى مروان بن الحكم . وكان أدهم من قواد الحجاج بن يوسف الثقفي (ابن عساكر ٢ ص ٣٦٤ والطبري في المنتخب ص ٢١) .

٢ — أرطاة بن المنذر بن الأسود السكوني الحمصي

هو تابعي حمصي ثقة ، فقيه ، زاهد ، عابد كبير . وفد على عمر بن عبد العزيز ففرض له أتاوة في جبلة . قال عنه أبو عبد الرحمن الأعرج : لم أرَ أرطاة قط يسعل ولا يعطس ولا يبصق ولا يحك شيئاً من جسده ؛ وإنما عرف موته فحك أنفه . توفي سنة (١٦٣هـ — ٧٧٩م) (الكمال ص ٣٨) .

٣ — أزهر بن يزيد المرادي

تابعي ، حدث عن عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، شهد اليرموك والجابية (ابن عساكر ٢ ص ٣٩١ والاصابة ١ ص ١٠٦) .

٤ — أيمن الثقفي

هو والد اسحق ، من أهل حمص ، روي عنه حادثة تدل على ما شاهده من تقشف عمر بن الخطاب يوم نزل برحاب . وقال فيه صاحب الميزان : حمصي من التابعين (١ ص ١٣٢) .

٥ـ ثور بن يزيد الكلاعي

عدَّه ابن سعد من الطبقة الرابعة في الشاميين، وقال هو من أهل حمص مات ببيت المقدس سنة (١٥٣هـ ـ ٧٧٠م)؛ وكان ثقة في الحديث. وبما أنه كان يرمى بالقدر؛ فقد نفاه أهل حمص وأخرجوه وأحرقوا داره (ابن عساكر ٣ ص ٣٨٣).

٦ـ الحارث بن عمرو الثقفي

هو ابن أخ المغيرة بن شعبة، أخذ عن أباس من أهل حمص وعنه أخذ محمد بن عبد الله الثقفي (الكمال ص ٥٨ والميزان ١ ص ٢٠٤).

٧ـ الحارث بن عمير الزبيدي الحارثي

روى ابن عساكر (٣ ص ٤٥٤) انه قدم مع معاذ بن جبل من اليمن فبات معه في داره، فأصابهم الطاعون (معاذ أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة) في يوم واحد. فلما قضى معاذ نحبه انطلق الحارث حتى أتى أبا الدرداء في حمص فمكث عنده زمناً طويلاً. ثم انطلق الى الكوفة، وحضر مجلس ابن مسعود، ثم سار الى المدائن فاجتمع بسلمان الفارسي وسمع منه حديث الأرواح جنود مجندة... ثم رجع الى الشام ومات في زمن معاوية.

٨ـ الحارث بن مخمر أبو حبيب الظهري الحمصي

روى عن عمر بن الخطاب؛ وولي قضاء دمشق للوليد بن يزيد. قال العسكري: الحارث بن مخمر أبو حبيب قاضي حمص، شامي ثقة ـ والظهري قبيلة من حمير ـ كان قاضياً لأهل حمص أيام عمر بن الخطاب ومات في أيام يزيد بن الوليد سنة (١٢٦هـ ـ ٧٤٣م) ؟؟؟ (هكذا روى ابن عساكر ٣ ص ٤٥٧).

٩ـ الحارث بن معاوية الكندي الأعرج

أدرك النبي ورأى بلال بن رباح وروى عن عمر وعن أبي الدرداء. وعنه روى أبو إمامة الباهلي. ذكره ابن سعد وأبو مسهر بأنه من كبار أصحاب أبي الدرداء، قدم حمص وسكن فيها وروي عنه الحادثة التالية:

شكا عبد الملك بن مروان الى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتخوفه من ذلك. فأشار عليه أبو حبيب الحمصي القاضي بأن يستنصر عليهم. برفع يديه الى الله تعالى؛ فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه بالغداة والعشي.

١٠أ — الحارث بن يمجد الأشعري القاضي

ولي قضاء دمشق أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة (١٢٥هـ — ٧٤٢م). وقال العسكري، وابن أبي حاتم: الحارث بن يمجد هو قاضي حمص، وهو حمصي الأصل. ومما يروى أن عمر بن عبد العزيز بعث يزيد بن مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الحمصي لتفقيه الناس في البدو وأجرى عليهما رزقاً وقال في الحارث: أكثر الله فينا مثل الحارث (ابن عساكر ٣ ص ٤٦٢).

١١أ — حبيب بن صالح الطائي

هو أبو موسى الحمصي؛ كان مشهوراً في بلده بالعلم والفضل، وقد وثقه الجوزاني وتوفي سنة (١٤٧هـ — ٧٦٤م) (الكمال ص ٦٠ والميزان ص ٢١١).

حدير أبو فوزه السليمي

سكن حمص. وروى عن أبي الدرداء. خرج مع كعب من دمشق الى حمص، ولقب بصاحب الفرس الجرموز والرمح الثقيل؛ حضر الصائفة في زمن عثمان بن عفان (الاصابة (١٠ ص ٣٣١).

١٣أ — حدير بن كريب أبو الزاهرية الحميري

حمصي، سمع أبا إمامة وحدث عن أبي الدرداء واجتمع بعبد الله بن بشير صاحب النبي. ذكره أبو زرعة بين التابعين من أهل حمص. وتولى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠هـ — ٧١٨م) (الكمال ص ٨٣).

١٤أ — حريز بن عثمان

هو المحدث المتقن الثبت. وفد على عمر بن عبد العزيز؛ فرآهم يسلمون عليه في الصلاة: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة قد تقاربت.

وهو رحبي حمصي. قال فيه الخطيب البغدادي: قدم بغداد فسمع منه العراقيون، وكان أبيض الرأس واللحية؛ وكانت له جمة تصل الى شحمة أذنيه، وكان يقول: لا تعادِ أحداً حتى تعلم ما بينه وبين الله؛ فإن يكن محسناً فإن الله لا يسلمه لعداوتك إياه؛ وإن يكن مسيئاً فأوشك بعمله أن يكفيكه (ابن عساكر ٤ ص ١١٤).

١٥ً — حزور أبو غالب البصري

سمع أبا إمامة وروى عنه سفيان بن عيينة . وروى الحافظ عنه انه قال : بينما نحن مع أبي إمامة في مسجد حمص وهو يحدثنا ، جاءه رجل قائلاً : لقد أتي برؤوس حرورية فنصبت على درج المسجد . فخرج وخرجنا معه ، فلما نظر اليها بكى ثم قال : شر قتلى تحت ظل السماء هؤلاء ، طوبى لمن قتلهم ، وطوبى لمن قتلوه (ابن عساكر ٤ ص ١٢٠).

١٦ً — الحسن الحضرمي أبو هشام

حمصي كان في عسكر عمر بن عبد العزيز . روي انه كان يأنف من الأكل مع رفاقه ، ولكن هؤلاء أخجلوه فعاد يأكل معهم من صحفة واحدة . روى ذلك ابن عساكر (٤ ص ٢٨١).

١٧ً — حفص بن الوليد بن سيف الحضرمي الحمصي

أمّره على مصر هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ثم مروان بن محمد ، غزا البحر عدة مرات . وكان فيمن خلع مروان بعدئذٍ فقتله مروان سنة (١٢٨ هـ — ٧٤٥م) وقال فيه الخولاني معرضاً بمروان :

وإن أمير المؤمنين مسلط ... على قتل أشراف البلادين فاعلمِ

فإياك لا تجني من الشر غلظة ... فتؤذي كحفص او رجاد بن شيمِ

فلا خير في الدنيا ولا العيس بعدهم ... فكيف وقد أضحوا بسفح المقطمِ

١٦ً — حمزة بن عبد كلال الرعيني الحمصي

سكن مصر وحدث عن عمر بن الخطاب وكان معه حين خرج الى الشام . روى عنه راشد بن سعد الحمصي أنه قال :

سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله يقول : « ليبعثن الله من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفاً يوم القيامة لا حساب عليهم » .

وفي زاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب : « ليبعثنّ الله بين حائط حمص والزيتون في البرت الأحمر سبعين ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب » . ولئن رجعني الله من سفري هذا لأحتملن عيالي وأهلي ومالي حتى أنزل حمص . فرجع حمزة من سفره وقتل . وكان حمزة ممن شهد فتح مصر (ابن عساكر ٤ ص ٤٣٧).

١٩ — حميد بن عقبة بن رومان أبو سنان

من أهل حمص روى عن ابن عمر بن الخطاب وعن أبي الدرداء. والى حميد هذا تنسب كنية حميد بن درة ؛ لأن الدرب الذي هي فيه كان إقطاعاً له. ودرة هي أمه نسب إليها. وكان له شرف بالشام زمن معاوية (ابن عساكر ٤ ص ٤٦١).

٢٠ — خالد بن اللجلاج أبو ابرهيم العامري

روى عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وعنه مكحول والأوزاعي. وهو شامي، عامري، حمصي. قال فيه مكحول: كان خالد ذا سن وصلاح، جريء اللسان على الملوك والغلطة عليهم (ابن عساكر ٥ ص ٨٥ والاصابة ٤ ص ١٥٧).

٢١ — خالد بن معدان الكلاعي

كان من فقهاء التابعين وأعيانهم، وأدرك سبعين من الصحابة توفي سنة (١٠٣ هـ — ٧٢١ م). قال ابن عباس: ما رأيت أحداً ألزم للعلم من خالد؛ كان علمه في مصحف له أزرار وعرى؛ تولى شرطة يزيد بن معاوية، وكان إذا أمر الناس بالغزو يجعل فسطاطه أول فسطاط يضرب وكان يقول: والله لو كان الموت موضوعاً في الكتب لكنت أول من يسعى اليه.

وروي أن شيخاً من أهل حمص خرج يريد المسجد، وهو يرى أنه قد أصبح، فإذا عليه ليل. فلما صار تحت القبة سمع صوت وقع أقدام الخيل على البلاط. فإذا فوارس قد لقي بعضهم بعضاً فقال بعضهم من أين قدمتم؟ قالوا: أولم تكونوا معنا؟ قالوا: لا. قالوا قد قدمنا من جنازة البديل خالد بن معدان. فقالوا: وهل مات؟ فما علمنا بموته، فمن استخلفتم بعده؟ قالوا: أرطاة بن المنذر (ابن عساكر ٥ ص ٨٦).

٢٢ — راشد بن سعد الحبراني الحمصي

حدث عن جماعة من الصحابة والتابعين. شهد مع معاوية صفين؛ وذهبت عينه فيها. رتبه ابن سعد في الطبقة الثالثة من التابعين. وقال إنه من أهل حمص وكان ثقة ومات سنة (١٠٨ هـ — ٧٢٦ م) (ابن عساكر ٥ ص ٢٩٠).

٢٣ — زياد بن عبد الله الاسوار بن يزيد بن معاوية

كان من وجوه بني حرب. لما خرج يزيد بن الوليد، وجهه الوليد الى دمشق فأقام بها

ثم مضى منها الى حمص. ولما قتل الوليد خرج بالجيش يطلب بدمه ؛ فأسر وسجن الى أن بويع مروان بن محمد فأطلق سراحه ثم سجنه بحران ؛ ثم خرج من سجنه ودعا الى نفسه فبايعه ألوف من الناس وزعموا أنه السفياني.

قاتلة عبد الله بن علي فانكسر واختبأ حتى قتل بالمدينة سنة (١٣٢ هـ — ٧٤٩ م) وكان يقال له: أبو محمد السفياني.

٢٤ — سعيد بن سويد الكلبي

حدث عن العرباض ومعاوية وروي عنه: إن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب، فلما فرغ قيل له: إن الله أعطاك، فلو لبست الجديد، فقال: إن أفضل القصد عند الجده وأفضل العفو عند المقدرة (ابن عساكر ٦ ص ١٢٩).

٢٥ — سليم بن عامر الكلاعي أبو يحيى الحمصي

هو أحد المحدثين الثقات، أخذ عن عوف بن مالك والمقداد وأبي الدرداء وعنه أخذ كوثر بن يزيد وصفوان بن عمرو. توفي سنة (١١٠ هـ — ٧٢٨ م) على الأصح وحسب رواية ابن سعد (الكمال ص ١٢٧).

٢٦ — سليمان بن سليم الكلبي

قيل إنه دمشقي والصحيح انه حمصي ؛ كان زاهداً متعبداً. حدَّث عن الزهري وروى عنه اسمعيل بن عباس وكان يقول: الكذب يسقي باب الشر كما يسقي الماء أصول الشجر. وقال عبد الله بن سالم: ما كان في هذه المدينة أعبد منه. توفي سنة (١٤٧ هـ — ٧٦٤ م) (ابن عساكر ٦ ص ٢٧٧ والكمال ص ١٣٩).

٢٧ — شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي

حدث عن معاوية وفضالة بن عبيد وأبي ذر. وروى عنه ضمضم بن زرعة وغيره. قدم دمشق وكان بها حتى قتل عبد الملك — عمرو بن سعيد بن العاص (الكمال ص ١٤٠).

٢٨ — شعيب بن أبي حمزة الأموي أبو بشير الحمصي

أحد الاثبات المشاهير، روى عن نافع والزهري وعنه أبو اسحق الفزاري وأبو اليمان ؛ وهو من أثبت الناس مات سنة (١٦٣ هـ — ٧٧٩ م) (الكمال ص ١٤١).

٢٩ـ شعيب بن دينار الحمصي

مولى بني أمية ، كان كاتباً لهشام وسمع الحديث من الزهري وصحبه الى مكة. وكانت له أرض يعالجها بيده. قال المفضل : هو ثبت الحديث صالحه ، مات سنة (١٦٢ هـ ـ ٧٧٨م) (ابن عساكر ٦ ص ٣٢١).

٣٠ـ شهر بن حوشب الأشعري

قال ابن عساكر (٦ ص ٣٤٣) هو من أهل دمشق ويقال من أهل حمص ، حسن الحديث وثيقه ؛ قدم على الحجاز ؛ وحدث بالعراق ولم يوقف منه على كذب مات سنة (١١٢ هـ ـ ٧٣٠م).

٣١ـ صفوان بن عمرو السكسكي الحمصي

روى عن عبيد الله بن يسر وعن جبير بن نفير وعنه روى ابن المبارك والوليد بن مسلم. وثقه أبو حاتم ومات سنة (١٥٥ هـ ـ ٧٧١م) (الكمال ص ١٤٧).

٣٢ـ صقر بن صفوان الكلاعي

هو من وجوه أهل حمص. شهد مرج راهط وعاش حتى جاء مع الجيش القادم الى دمشق للطلب بدم الوليد بن يزيد. فلما هزم الجيش بنواحي دمشق ، دخل المدينة مع من دخلها ، فبايع يزيد بن الوليد الذي أجازه وأكرمه. وله شعر يفاخر فيه مسلمة بن عبد الملك جاء فيه :

ألا أبلغ مسيلمة بن عبد ... مقالة ماجد قلب هجانِ
أتزعم لا أبا لك أن سيفي ... بعيد العهد بالمهج الحواني
ولو ساطت جدلاً عن شباه ... غداة الزج في رهج الطعانِ

(ابن عساكر ٦ ص ٤٤٤)

عمرو بن قيس السكوني الملقب بأبي ثور الحمصي

روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وثقه أبو حاتم ، مات سنة (١٤٠ هـ ـ ٧٥٧م) تابعي ، معمر ، صدوق :

وعمرو هذا هو الذي اقترح يوم ثار الحمصيون على يزيد بن الوليد ، أن يك ن ولي عهد الوليد خليفة ؛ فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته ، وقال : أيها العجوز ، إنك قد قيِّلت

وذهب عقلك. إن الذي تعني، لو كان يتيماً في حجرك، لم يحل لك أن تدفع عنه، فكيف أمر الأمة. (الطبري ٩ ص ٢٣).

٣٤ــ محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ــ أبو الهذيل ــ القاضي الحمصي

هو أحد الأعلام الأجلاء، روى عن مكحول والزهري وعنه روى الأوزاعي. وثقه ابن معين وقال: ليس في حديثه خطأ. قال ابن سعد: مات أبو الهذيل القاضي سنة (١٤٨هـ ــ ٧٦٥م) (الكمال ص ٣١٠).

بعد أن ذكرنا لمحة عن بعض القضاة والعلماء والمحدثين وأرباب السيف، رأينا من واجبنا أن نذكر أسماء المحدثين الحمصيين مرتبين أسماءهم بحسب الحروف الهجائية مستثنين منهم من ورد ذكرهم سابقاً.

أبو ادريس الخولاني، أبو سعد الحميري، أبو سعيد الحبراني. أبو سلمة الحمصي. أبو مصبح المقرائي الأوزاعي. اينع بن عبيد الكلابي. بشر السلمي. ثوبان الأشعري. الجراح بن مليح البهراني. حاتم بن حريث الطائي. حبيب بن عبيد الرحبي. حيان بن يزيد. حجر بن حجر الكلاعي. حسان بن كريب الرعيني الحميري. حسان بن نوح النصري. الحصين الحبراني. حصين بن الوليد. حماد بن عبد الرحمن. حميد بن عبد الله الشامي. خالد بن محمد الثقفي. دريد بن نافع. سعيد بن سويد الكلبي. سعيد بن جواس الطائي. شريف الهوزني. شفعة السهمي. صبيح بن محرز المقرائي. ضبارة بن عبد الله بن مالك. ضمرة بن حبيب الزبيدي. عامر بن جشب. عبد الله بن دينار البهراني. عبد الله بن غالب الألهاني. عبد الله بن أبي قيس النصري. عبد الله بن أبي مريم الغساني. عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي. عبد العزيز بن عبيد الله ابن حمزة بن صهيب. عبيد الله بن بسر الحبراني. عقبة بن ضمرة بن حبيب الزبيدي. العلاء بن عتبة اليحصبي. عمرو بن خثعم. عمرو بن عبد الله السيباني. غضيف بن الحارث بن ثيم السكوني. قيس بن الحارث الكندي. كثير بن مرة الحضرمي. لقمان بن عامر الوصابي. محمد بن سليمان بن أبي ضمرة السلمي. محمد بن الحجاج. مرزوق السلمي. مروان ابن رؤية التغلبي. معدان بن حدير الحضرمي. موسى بن أيوب المهري. موسى بن النضر بن الربيع الحمصي. هشام بن يوسف السلمي. الوليد بن عبد الرحمن الجرشي. وهب بن خالد الحميري. يزيد أيهم. يزيد بن حمير اليزني. يزيد بن شريح الحضرمي. يزيد بن صالح الرحبني. يزيد بن صبيح. يزيد بن مطريح. يمان بن عدي الحضرمي. يونس بن سيف الكلاعي.

الفصل السابع

شعراء بني أمية وحمص

عرفنا من مشاهير الشعراء الذين كان لهم علاقة متينة بحمص في أيام الأمويين خمسة منهم وهم :

١ — كعب بن مالك

٢ — ابن مفرغ الحميري

٣ — أعشى همذان

٤ — النعمان بن بشير

٥ — الأخطل التغلبي

والى المطالع بعض ما اتصل بنا عنهم مما له علاقة بمدينة حمص :

أولاً — كعب بن مالك

هو صحابي من أكابر الشعراء ، اشتهر في الجاهلية والاسلام . كان من أصحاب عثمان ابن عفان فلما قتل قعد عن نصرة الامام علي ، ولم يشهد حروبه ، وأصيب بالعمى في أواخر حياته ؛ عاش ٧٧ سنة ومات سنة (٥٥ هـ — ٦٧٥ م) . ومن أجمل أبياته الحماسية قوله يصف قومه :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوماً ونلحقها إذا لم تلحق

روى صاحب الأغاني (١٥ ص ٢٩) : إن الرسول وقف بباب كعب بن مالك هذا ، فخرج اليه فأنشده ، ثم قال إيه ! ! فأنشده ، ثم قال إيه ! ! فأنشده ثلاث مرات . فقال الرسول لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

أما ما ذكر عنه مما له علاقة بحمص فهو ما يأتي :

إن كعباً وحسان بن ثابت والنعمان بن بشير ، كانوا ثمانية يقدمون بني أمية على بني هاشم ؛ ويقولون : الشام خير من المدينة . واتصل بهم أن ذلك بلغ علياً فدخلوا عليه وقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن عثمان أقتل ظالماً فنقول بقولك ، أو قتل مظلوماً فتقول

لقولنا ونكلك الى الشبهة فيه ، والعجب من تيقننا وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك علماً ما اختلفنا فيه فهاته نعرفه ؛ ثم قال :

وكفَّ يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل

وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ ... وولى كإدبار النعام الجوافل

فقال لهم الإمام علي : لكم عندي ثلاثة أشياء ! ! استأثر عثمان فأساء الإمرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه الى يوم القيامة .

فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تعذرنا به . فقال علي : أترددون عليّ بين ظهراني المسلمين؟ بلا نية صادقة ، ولا حجة واضحة ؛ اخرجوا عني ، فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من يومهم وساروا الى معاوية . فقال لهم هذا : لكم الكفاية أو الولاية فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار وولى النعمان بن بشير حمص .

ثانياً — ابن مفرغ الحميري :

هو يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بابن مفرغ الحميري ، شاعر غزل ، قلبه مع علي ولكنه مالأ الأمويين . اتصل بمروان بن الحكم ، فأكرمه ، ثم صحب عباد بن زياد فأخذه معه الى خراسان ، ولكنه لم يظفر بخيره فهجاه ، فسجنه عباد ثم أخلى سبيله ، فأتى البصرة وانتقل الى الشام . وكان يهجو عباداً وأباه وأهله فقبض عليه عبيد بن زياد في البصرة وحبسه وهمَّ بقتله لولا أن يزجره يزيد بن معاوية ، فاكتفى بسجنه ثم أخرجه فسكن الكوفة الى أن مات فيها سنة (٨٩هـ — ٦٨٨م) .

وما ذكر عنه مما له علاقة بحمص هو ما نلخصه هنا عن الأغاني (١٧ ص ٦١ و٦٢) :

إن ابن مفرغ لما طال سجنه وبلاؤه ، ركب طلحة الطلحات الى الحجاز ولقي قريشاً . وكان ابن مفرغ حليفاً لبني أمية ؛ فقال لهم طلحة : يا معشر قريش ان أخاكم وحليفكم ابن مفرغ قد ابتلي بهذه الأعبد (يعني عباداً وعبيد الله بن زياد) من بني زياد ، وهو حليفكم ورجل منكم ؛ ووالله ما أحب أن يجري الله عاقبته على يدي دونكم ، ولا أفوز

بالمكرمة في أمره وتخلون منها ؛ فانهضوا معي بجماعتكم الى يزيد بن معاوية فإن أهل اليمن قد تحركوا بالشام.

فركب وجوه خزاعة وكنانة وخرجوا الى يزيد ؛ وبينما هم يسمرون ذات ليلة سمعوا راكباً يتغنى في سواد الليل بأبيات لابن مفرغ منها :

قل لقومي لدى الأباطح من آل — لؤي بن غالب ذي الجودِ
سامني بعدكم دعي زياد — خطة الغادر اللئيم الزهيدِ
فارحلوا في حليفكم وأخيكم — نحو غوث المستنصرين يزيد

فدعا القوم بالراكب فقالوا له : ما هذا الذي سمعناه منك؟ فقال هذا قول رجل والله أن أمره لعجب ؛ رجل ضائع بين قريش واليمن ؛ وهو رجل الناس. قالوا : ومن هو؟ فقال : هو ابن مفرغ. فقالوا : والله ما رحلنا الا فيه وانتسبوا له ؛ فضحك وأسمعهم من نظم ابن مفرغ ما زاد الشجن فيهم ؛ فاسترجعوا وقالوا : والله لا نغسل رؤوسنا في العرب ان لم نغسلها بإطلاق سراحه.

ثم أغذ القوم السير حتى قدموا الشام. وكان ابن مفرغ قد أرسل رجلاً — وهو في سجنه — من بني الحارث بن كعب فقام على سور حمص فنادى بأعلى صوته الحصين بن نمير وكان والي حمص بهذه الأبيات :

أبلغ لديك بني قحطان قاطبة — عضت بـ... أيها سادة اليمن؟
أمسى دعي زياد فقع قرقرة — يا للعجائب يلهو بابن ذي يزن
والحميري طريح وسط مزبلة — هذا لعمركمُ غبن من الغبن
والاجبه بن نمير فوق مفرشه — يدنو الى أحور العينين ذي غنن
قوقوا فقولوا أمير المؤمنين لنا — حق عليك ومنٌّ ليس كالمنن
فاكفف دعي زياد عن أكارمنا — ماذا تريد الى الأحقاد والأحن

فاجتمع اليمانية الى الحصين وغالبية الحمصيين منهم وعيروه بما قاله ابن مفرغ. فاستقدم الحصين إليه يزيد بن أسد ومخرمة بن شرحبيل وأبلغهم ما سمعه ؛ وقال لهم : والله ، لقد أساء الينا أمير المؤمنين في صاحبنا مرتين ؛ إحداهما حين هرب اليه فلم يجره ؛ والثانية انه أمر بتعذيبه غير مراقب لنا فيه.

فركب القوم الى دمشق ، وقدموا على يزيد ، وقد سبقهم الرجل فنادى بالأبيات على درج مسجد دمشق ؛ فثار اليمانية ومشى بعضهم الى بعض. ولما وصل وفد اليمنيين الحمصيين ؛ دخلوا جميعاً على يزيد بن معاوية !! فتكلم أولاً الحصين بن نمير ثم تلاه يزيد ابن أسد وعزز كلامهما مخرمة بن شرحبيل. فتلطف يزيد بهم ؛ بعد أن أشار الى تحامل ابن مفرغ على بني زياد. ولم يكد ينهي كلامه ، حتى استأذنه الحاجب للقرشيين ؛ فدخلوا وسلموا والغضب بادٍ في وجوههم ؛ فتكلم طلحة أولاً ثم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وأخوه أمية وابن معمر. فقال يزيد : مرحباً بكم وأهلاً ؛ والله لو أصابه خالد ابني بما ذكرتم لانصفنه منه ؛ ولو رحلتم في جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم ؛ وما عندي إلا انصاف المظلوم ، ولكن صاحبكم أشرف على القوم.

ثم أمر يزيد ببناء داره ورد ماله وتخلية سبيله ، وبأن لا امرة لأحد من بني زياد عليه ؛ ثم أرسل رجلاً من حمير يقال له الخمخام الى عباد بن زياد في البصرة ، فانتزع ابن مفرغ جهاراً من السجن بمحضر من الناس. ولما قدم هذا على يزيد أمر له بعشرة آلاف درهم. وحفظ ابن مفرغ هذه المأثرة للحمصيين (دائرة المعارف لبطرس البستاني (١ ص ٦٩٨ — ٧٠٢ ودائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ٤ ص ٥٦ — ٥٩) وتوفي في العراق سنة (٦٩ هـ — ٦٨٩ م).

ثالثاً — أعشى همذان

في الآداب العربية : لقب ثلاثة أشخاص بالأعشى : أولهم الكبير وهو ميمون بن قيس ابن جندل ؛ وثانيهم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمذاني وهو من نعنيه في هذه العجالة ؛ وثالثهم أعشى تغلب وهو ربيعة بن يحيى التغلبي.

وعبد الرحمن المذكور أعلاه ، هو شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم في عصره ويعد من شعراء الدولة الأموية ، وكان أحد الفقهاء القراء. ولكنه نظم الشعر فعرف به.

وكان عبد الرحمن من الغزاة في أيام الحجاج ، ولما خرج عليه عبد الرحمن بن الأشعث انحاز اليه الأعشى وقاتل الحجاج فوقع أسيراً بعد مقتل ابن الأشعث ، فأمر الحجاج بضرب عنقه سنة (٨٣ هـ — ٧٠٢ م) (الاعلام ص ٤٩).

روى الأصبهاني (الأغاني ٥ ص ١٤٧ و١١٧) : إن أعشى همذان خرج الى الشام في ولاية مروان بن الحكم ؛ فلم ينل فيها حظاً ، فجاء الى النعمان بن بشير وهو عامل على

حمص ، فشكا اليه خاله ؛ فكلم له النعمان اليمانية وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ثم استماحهم له ؛ فقالوا له نعم : يعطيه كل رجل منا دينارين من عطائه . قال : لا بل أعطوه ديناراً ... ديناراً واجعلوا ذلك معجلاً ، فقالوا أعطه اياه من بيت المال واحتسبها على كل رجل من عطائه . ففعل النعمان وكانوا عشرين ألفاً . فأعطاه عشرين ألف دينار وارتجعها منهم عند العطاء ، فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولم أرَ للحاجات عند التماسها　　كنعماء نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن　　كمدلٍ الى الأقوام حبل غرور
متى اكفر النعمان لم ألف شاكراً　　وما خير من لا تقتدي بشكور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل　　ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير

رابعاً — النعمان بن بشير

النعمان بن بشير الأنصاري (ومع أنه يثربي الأصل فقد اجتذبه اليه معاوية بن أبي سفيان بدهائه وسخائه) . ولسنا هنا في مجال التعرض لموقفه السياسي فقد مرّ معنا ذلك وإنما ننظر اليه كشاعر ؛ فقد كان النعمان فطري الشاعرية ، إذ كان أبوه وجده وعمه شعراء وكذلك كان أولاده وحفدته .

روى صاحب الأغاني (١٤ ص ١١٩) : انه كان مرة في ركب من قومه وهو حدث السن ، وقد نزلوا في أرض من الأردن يقال لها الحفر . فأهدت لهم امرأة من بني القين اسمها ليلى هدية . وإذ كان القوم يتحدثون بذكر الشعراء قال بعضهم : يا نعمان ، هل قلت شعراً ؟ قال : لا والله ما فعلت . فقال شيخ من بني الحارث يقال له ثابت بن سماك : ألم تقل شعراً قط ؟ قال : لا . قال : فأقسم لتربطنَّ الى هذه السرحة فلا تفارقها حتى يرتحل القوم أو تقول شعراً . فقال عند ذلك وهو أول شعر نطق به :

يا خليليَّ ودّعا دار ليلى　　ليس مثلي يحل دار الهوان
لا تؤاتيك في المغيب إذا ما　　خان من دونها فروع قنان
إن ليلى وإن كلفت فليلى　　عاقها عنك عائق وأواني

وضرب الدهر على هذه الحادثة زمناً طويلاً . ثم ان ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك وهو أمير على حمص فلما رآها عرفها فقال :

ألا استاذنت ليلى فقلنا لها عي   وما لك ان لا تدخلي بسلام
فإن أناساً زرتمُ ثم حرّموا   عليكِ دخول البيت غير كرام

ثم أحسن صلتها وزودها طول مقامها في حمص بأحسن الصلات حتى رحلت عنه.

خامساً — الأخطل التغلبي

هو غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب؛ وأسباب تقربه من الأمويين، كره معاوية للأنصار ورغبته في شاعر يهجوهم، فلم يقدم أحد منهم على ذلك. فأشار عليه بعضهم باستخدام الأخطل لذلك الغرض. ففعل. وكان ما كان من استياء النعمان بن بشير ودفاع يزيد عن الأخطل.

ولما أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان، استعان بالأخطل على القيسية الذين نصروا أعداءه؛ وكان يطرب كثيراً لشعره حتى سماه «شاعر بني أمية» (آداب اللغة العربية لزيدان ١ ص ٢٥٦).

وقد ورد ذكر حمص في قصيدة الأخطل الرائية الشهيرة التي مدح بها عبد الملك إذ يقول:

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا   وأزعجتهم نوى في صرفها غيرُ
كأنني شارب يوماً اشيد بهم   من قرقف ضمنتها حمص أو جدرُ
جاءت بها من ذوات القار مترعة   كلفاء ينحت عن خرطومها المدرُ

وقال في قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك:

وحاجلة العيون طوى قواها   شهاب الصيف والسفر الشديد
طلبن ابن الامام فتى قريش   بحمص وحمص غائرة بعيد
نماك الى الرياء فحول صدق   وجدٌّ، قصرت عنه الجدود
وزندك من زناد واريات   إذا لم يحمد الزند الصلود
وأنّا معشر نابت علينا   غرامات ومضلعة كؤود
وعضّ الدهر والأيام حتى   تغير بعدك الشعر الجديد

(الأب الصالحاني ص ٢٣٢)

ولد الأخطل سنة (٢٠هـ — ٦٤٠م وتوفي سنة (٩٢هـ — ٧١٠م).

النواصب في حمص
في عهد بني أمية

قال بعض المفكرين: «من شاء من المؤرخين أن يقرأ الناس أفكاره ليستفيدوا، وان تخلد كلمته؛ فليغسل عاطفته من كل ميل حزبي، كما ينظف رأس قلمه قبل أن يغمسه في المداد. ومن كان كذلك، لا يرى القارىء في كلامه لكنة، ولا في مسلكه أبنة. والاّ ضاع وأضاع».

ولكي نكون عند حسن الظن بنا في كل ما نرويه عن حمص — مدينتنا المعززة — لا نجد بداً من السير بحسب هذه القاعدة. ومن غالب اهواءه الخاصة، يقذر، اذا لم يمالىء السوى حينما يصطدم بحقيقة لا يجوز انكارها؛ بل يجرم من يحاول خنقها ارضاء لعاطفته، أو سيراً مع حبه وهواه.

ان بلدنا حمص العزيزة الغالية نالت من الحظ العمراني في ايام الامويين ما ضارعت به احسن ادوارها التاريخية. بل يرى بعضهم انها فاقت في زمنهم، عصورها الزاهرة القديمة، يوم بسط رهط من أبنائها سيطرتهم على العالم المعروف آنئذٍ، فاعتزت بعزهم وبسقت بسموقهم.

لكن هذا المشهد الجميل الذي يرتاح اليه النظر، اصابت شمسه كلفة شوهت جماله؛ لذلك وجب علينا والنزاهة التاريخية تقتضينا عدم جواز المرور بها دون الاشارة اليها:

عرف دارسو التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان الذي تولى الاحكام في الشام قبل أن يتولى الخلافة بنحو عشرين سنة، قد توسل الى نيل السيادة الاسلامية بالقضاء على نفوذ الامام علي بن أبي طالب؛ فاتخذ الأخذ بثأر عثمان بن عفان وسيلة للانقضاض عليه، فكان له ما أراد.

وخشي معاوية أن يسترد آل البيت الخلافة في ما لو ظل الناس على احترامهم للامام فحاول تشويه صحيفته، اذ نسب له قتل عثمان؛ وأخذ الأمويون منذئذٍ ينالون من الامام لدرجة أنهم كانوا يسبونه على المنابر؛ الأمر الذي استقبحه رهط من خلفائهم كمعاوية الثاني بن يزيد الذي استقال لاستنكاره ذلك؛ كما أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ابطل

الشتم على المنابر ، لكن هشام بن عبد الملك بعث هذه الفكرة المنحرفة من مدفنها . وظل الامويون يعبثون بسيرة رجل عبقري له مكانته العالية في الدين والسياسة والعلم والشجاعة والحكمة حتى دالت دولتهم.

ولكن كراهية الامام وآله سرت مع الأسف الى القلوب الجاهلة ، وأصبح انتزاعها من المتعذرات ، وانتقلت الميول التي تختلج في صدور الزعماء الى الكثيرين من أبناء الأمة ؛ وهذا سر ظهور كثيرين من الناصبيين في الشام عموماً وفي حمص خصوصاً ؛ الأمر الذي جعلهم كما قال ياقوت : ان أهل حمص كانوا من أشد الناس على علي بصفين مع معاوية ، وكانوا أكثرهم جداً في حربه ، جرياً على القاعدة التي اشرنا اليها في ما سبق : من أن المخلص لمبدئه يكون غالباً متطرفاً فيه ، لا تأخذه هوادة ولا دنية في الدفاع عنه .

وعلى ذلك ، ظهر بين مشاهير الحمصيين ورجال الحديث فيهم ؛ من كان ينال من الامام علي. وقد حفظت تراجم هؤلاء بين طياتها نفراً ممن لا يستخف بهم ، روي عنهم النيل من الامام ، وظلوا على ذلك الى ما بعد انقضاء العهد الأموي بمدة ليست بقصيرة ، ومن هؤلاء :

١ً— اسد بن وداعة ، شامي حمصي من التابعين. قال فيه صاحب الميزان : كان ناصبياً يسب علياً. وقال ابن معين : كان هو وازهر الحرازني يسبون علياً توفي سنة (١٣٧ هـ— ٧٥٤ م).

٢ً— **ازهر بن عبد الله الحرازي** : الذي كان تابعياً ، حسن الحديث ولكنه ناصبي ينال من علي ؛ توفي سنة (١٣٩ هـ— ٧٥٦م).

٣ً— **ثور بن يزيد الكلاعي** ؛ الذي كان اذا ذكر علي قال : لا أحب رجلاً قتل جدي. وكان جده ممن قتل في معركة صفين. توفي ثور سنة (١٥٩ هـ— ٧٧٥م).

٤ً— **حريز بن عثمان الرجي** ؛ الذي شهد له الكثيرون انه متقن ، ثبت الحديث. وقد وثقه معين وجماعته ؛ ولكنه كان ينال من علي كما ذكر القلاسني. وقال الرهاوي : سمعت يزيد بن هارون يقول كان حريزاً يقول : لا أحب علياً لأنه قتل آبائي بصفين. وذكر بعضهم ان حريزاً كان ينفي ذلك عن نفسه اذ يقول : والله ما سببت علياً قط . توفي حريز سنة (١٦٣ هـ— ٧٧٩م).

٥ً— **عبد الله بن سلم الاشعري نزيل حمص** ؛ قال فيه يحي بن حسان التنيسي : ما

رأيت بالشام انبل منه ، ولكنه كان على مكانته ، ذمه ابو داود لأنه ناصبي وقال فيه : كان يقول : علي اعان على قتل أبي بكر وعمر وعثمان . مات عبد الله سنة (١٧٩ هـ — ٧٩٥ م) .

وظل ذلك شأن بعض المحدثين الحمصيين الى أن نبغ فيهم اسمعيل بن عياش (١٠٦ — ١٨١ هـ ، ٧٢٤ — ٧٩٧م) عالم الشام في عصره . قال عثمان بن صالح السهمي : كان أهل حمص يتنقصون علياً حتى نشأ فيهم اسمعيل بن عياش فحدثهم بفضائله ، فكفوا عن ذلك .

ومع أن كثيرين حاولوا تبرير الحمصيين وايجاد العذر لهم ، غير أن حسن النية وسلامة الطوية لا تبرر العمل غير الصالح . والغيرة الدينية لا يقبلها الله ، ولا تنفع الناس ، ان لم تكن بحسب المعرفة . فلا يكفي ان تكون غيرتنا لله ان لم نظهرها بطريقة ترضيه . فقد تدفع الغيرة العمياء بعضهم الى قتل من يخالفه في الرأي ، وهو يظن أنه يقدم عبادة لله . ومن كان يخطىء عن حسن نية فانه يعذر ولكنه لا يبرر .

أما ابن أبي الحديد فقد سرد اسماء طائفة كبيرة من كبار رجال الاسلام سمحوا لأنفسهم أن ينتظموا في سلك الناصبيين (المتدينين ببغض علي) نذكر اسماءهم بحسب زمن وفياتهم وهم :

كعب الأحبار . حنظلة الكاتب ، الاشعث الندهي ، عمرو بن العاص ، زيد بن ثابت ، وائل الحضرمي ، المغيرة بن شعبة ، جرير البجلي ، عمران بن الحصين ، زياد بن أبيه ، أبو هريرة ، معاوية ، عقيل بن أبي طالب ، الوليد بن عقبة ، النجاشي الشاعر ، مسروق الأجدع ، النعمان بن بشير ، عبيد الله بن زياد ، زيد بن ارقم ، عبد الله بن الزبير ، الاسود بن يزيد ، مرة الهمذاني . شريح ابو عبد الرحمن السلمي ، عبد الملك بن مروان ، عروة بن الزبير ، أنس بن مالك ، عبد الله بن عكم ، سعيد بن المسيب ، مطرق بن عبد الله ، الحجاج ، الوليد بن عبد الملك ، قيس بن حازم . شقيق بن سلمة ، ابو بردة الاشعري الشعبي ، عبد الله بن شقيق ، الحسن البصري ، مكحول ، الزهري ، حماد بن يزيد ، شبابة بن سوار .

ووجود مثل هؤلاء الرجال بين الناصبيين يعذر الحمصيين اذا انتظموا في عدادهم ولكنه لا يبررهم . فان انحراف كبار الرجال عن المبدأ القويم لا يبرر من يتابعهم على مسلكهم ؛ وحسن النية لا تبرر النتيجة .

وخير ما يقوله امرؤ في هذا المعنى ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب : «لست بخب ولا الخب يخدعني». وما قاله فيه بعضهم : «كان له قلب يبعده من أن يخدع ، وله عقل يعصمه من أن يُخدع».

الرحالة الأجانب

في العهد الأموي

قد لا يخطر في بال أحد أن الافرنج يؤمون بلاد الشرق بعدما خرجت من سلطة النصارى ودخلت تحت سيطرة المسلمين. غير أن ما يستغربه الناس لأول وهلة ، نجد في التاريخ ما يزيل هذا الاستغراب بالفعل. وقد اهتدينا الى مقال نشرته مجلة المقتطف المصرية (المحتجبة) في المجلد الثاني والثمانين (ص ٥٩٨ — ٦٠٠) وضعه الدكتور نقولا زيادة — الأستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت — بعنوان : الرحلة والرحالون ؛ وهدفنا ممن ذكرهم اثنان امَّا البلاد السورية في أيام الأمويين ، اولها فرنسي والثاني انكليزي. وكان مجيء الأول الى هذه البلاد في اواخر القرن السابع الميلادي ، والثاني في اوائل القرن الثامن.

والأول ، هو أحد اساقفة بلاد غاليا واسمه ارغولف ؛ وقد زار الاراضي المقدسة ، وقضى في القدس سبعة أشهر وزار أثناءها كل البقاع المحيطة بها. كما أنه تنقل بين دمشق وصور والاسكندرية والقسطنطينية ؛ وأملى اخبار سياحته هذه على راهب انكليزي اسمه اومنان.

ويعتبر الكتاب الذي وضعه هذا الأخير عن رحلة ارغولف دليلاً صحيحاً لما رسمه له من الخرائط. على أن رحلة هذا السائح ، وان وصفت سورية الجنوبية والمجوفة في تلك الأيام وصفاً يكاد يكون دقيقاً ؛ الا أنها لسوء الحظ لم تأتِ على ذكر بلدنا العزيز ، لذلك نطوي كشحاً عما جاء بها مقتصرين على ذكر رحلة الرجل الثاني وهو :

ويلي بولد الانكليزي ؛ الذي زار البلاد العربية السورية سنة ٧٢١— ٧٢٧ م ، في أيام الخليفتين : يزيد الثاني (٧٢٠ — ٧٢٤) وهشام (٧٢٤ ٧٤٣م) ، وقد عانى هذا الرحالة مصائب جمة بسبب تحذر العرب من تجسس الافرنج عليهم ، نظراً لما كان بينهم وبين الروم من حروب ولذلك فقد أُلقي القبض عليه وعلى رفاقه البالغ عددهم ثمانية وزجوا

في السجن حتى اكتمل التحقيق معهم. ثم أطلق سراحهم بأمر يزيد الثاني بعدما عرف غايتهم السلمية من هذه السياحة، ثم سمح لهم بالتجول في البلاد بعدما ارفقهم برسائل الى عماله فيها كما اعفاهم من ضريبة الحج.

وما يهمنا بنوع خاص من أخبار هذه الرحلة أن ويلي بولد ورفاقه مروا بحمص فعني حاكمهم بأمرهم وزودهم بكتب توصية بعدما أمرهم أن يسيروا في البلاد اثنين اثنين فقط؛ اذ لا يتسنى لهم الحصول على طعام يكفيهم فيما لو ساروا كلهم سوية.

ولقد عرفنا من كان خليفة الأمويين في ذلك العصر من كلام الرحالة نفسه. واما من كان امير حمص في ذلك العهد، ولم اوجب عليهم المسير اثنين اثنين فهذا لم توضحه الرواية؛ ولكننا نستطيع استنتاجه من المؤلفات العربية التي لدينا، ومن تنقيبات بعض المستشرقين الأكفاء. ويمكننا أن نستخرج من الأقوال المتفاوتة في التواريخ والقصد؛ ان أمير حمص لذلك العهد كان العباس بن الوليد. وهذا يمكن استخراجه من مقال مسهب للعلامة بارتولد — عضو أكاديمية بطرسبورج في مجلة المقتطف المصرية (٧٩ ص ١٦٧ — ١٧٦). وقد ورد في صدر مقاله ما يلي:

«جاء في كتاب فيلهاوزن المستشرق الشهير — سقوط المملكة العربية — ذكر حديث المؤرخ البيزنطي تيوفان عن قمع فتنة حمص سنة ٧٤٥م ومقتل الأمير الأموي العباس بن الوليد ما ترجمته:

«لقد فرح المسيحيون لأن العباس كان متعصباً لدينه، فأهاجهم ضده. ولما كان عددهم وقتئذٍ عظيماً؛ كان في وسعهم ان يسلموا المدينة الى مروان الذي لم يكن متعصباً في دينه». على أن تيوفان لم يذكر في الصفحة المذكورة شيئاً. لا عن فرح نصارى حمص ولا عن احتمالهم كثيراً من تعصب العباس الديني؛ بل قيل هناك: ان ما أصاب العباس من المحن في آخر عمره، كان جزاء عادلاً له، لأنه سفك دماء كثيرين من النصارى، وخرب بلاداً كثيرة، والحق ضرراً عظيماً بالمسيحيين بواسطة السحر والالتجاء الى الجن».

والمستغرب انه غرب عن بال الكاتبين الأوروبيين أن العباس بن الوليد بطل الحروب ومضطهد المسيحيين (على قول فيلهاوزن) ولد من امرأة نصرانية. وأن هذه المرأة كانت من سلالة يونانية كما يؤخذ من عبارة ابن قتيبة: ان أم العباس كانت نصرانية؛ ومن قول الطبري: انها، كانت رومية؛ كما قال أيضاً: ان عيني العباس كانتا زرقاوين وشعره أشقر... الخ..

ثم يستنتج هذا المستشرق من ظروف شتى ؛ ان عبد الملك بن مروان زوج أحد ابنائه باحدى أميرات بيزنطية حباً بتقوية معاهدة سنة ٦٨٥م التي عقدها مع الامبراطور قسطنطين بوغوتات قبيل وفاته . وجدد هذه المعاهدة ابنه يوستنيان الثاني سنة ٦٨٨م وظلت هذه المعاهدة مرعية الاجراء حتى سنة ٦٩١م . وتوفي عبد الملك سنة ٧٠٥م وهو في الستين من عمره . وتوفي ابنه الوليد سنة ٧١٥م وعمره يتراوح بين ٤٢ و٤٩ سنة ، ويرجح برتولد انه توفي في سن ٤٦ ومات عن ١٩ ولداً أكبرهم العباس الذي اشترك في فتح طبيانة سنة ٧٠٩م على رأي مؤرخي العرب او سنة ٧٠٧م على رأي تيوفان . فيكون مولد العباس والحالة هذه قبل سنة ٦٩٠م . وقد حج سنة ٧٠٥م ولقب العباس فارس بني مروان لشجاعته وجرأته ، وعرف بحزمه في ضبط البلاد الواقعة على الثغور واصلاحها ، اذ جدد بناء مرعش وحصنها وبنى فيها مسجداً .

ونسب له تيوفان بناء مدينة جاريس في مقاطعة هيليوبوليس (بعلبك) وتزوج بنت القطري بن الفجاءة فولدت له ولديه حارس ومؤمل . ولعل زواجه هذا قربه من قيس وهم الأكثرية في قنسرين بخلاف اليمنية الذين كانت سيطرتهم في حمص مركز الأمير ومستوطنته ؛ وهذا ما يرجح سبب قعوده عن التدخل في شؤون الدولة بعد وفاة الوليد ؛ اذ لم يرد له ذكر طيلة خلافة سليمان بن عبد الملك . ولم يظهر ذكره الاّ في أيام خلافة يزيد الثاني ٧٢٠ — ٧٢٤م حينما استرد القيسيون سيطرتهم ونفوذهم ؛ اذ أخذ العباس يؤيد الدولة على أعدائها ؛ فترأس مع عمه مسلمة بن عبد الملك الجيش المرسل الى العراق سنة (١٠٢ هـ — ٧٢٠م) لقمع فتنة يزيد بن المهلب الكلبي ؛ وأثر قمعها أرسل يزيد رؤوس قادة الثورة وعلقها في حلب عاصمة قنسرين التي تولاها العباس مرة أخرى .

وفي سنة (١٠٣ هـ — ٧٢٢م) غزا العباس بلاد الروم وفتح احدى مدنهم . ولما توفي يزيد اعتزل العباس الأعمال وانزوى في بيته في حمص طيلة فترة خلافة هشام . ولم يسمع عنه في هذه المدة سوى محادثته لهشام التي رواها المسعودي .

فلما تسنم الوليد بن يزيد سنة (١٢٥ — ١٢٦ هـ ، ٧٤٣ - ٧٤٤م) سدة الخلافة وكان ميالاً للقيسيين أوكل الى العباس احصاء أموال هشام في الرصافة . وكان هنا مخلصاً للوليد وعوناً له على أخيه يزيد الثالث .

ومع ان اليعقوبي (٢ ص ٤٠١) زعم ان العباس رئيس ثورة حمص ويزيد الثالث حي

يرزق ، لكن كلام الطبري يؤكد ان الثورة الحمصية لم تنشب ضد يزيد فقط ، بل ضد العباس نفسه أيضاً لاعتبارهم ان العباس كان شريكاً للثائرين على الوليد ؛ كما روى لهم بعض حاضري الفتنة : ان العباس ساعد كثيراً في انجاحها — لهذا هدم الشعب بيته وسجنوا ولديه ؛ وجدّوا في طلبه فلم يعثروا عليه . والحقيقة ان زعيم الحركة ورئيس مدينة حمص آنئذٍ كان حفيد عبد الملك ، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك . وقد يكون اليعقوبي خلط بين الحفيدين فسماه العباس .

ولما كانت هذه حالة حمص آنئذٍ فقد مالت الى مروان بن محمد سنة ٧٤٥م ولكن المعارضين فيها تغلبوا ، فعاد مروان لمحاربتها سنة ٧٤٦م . ولم يستولِ عليها في المرة الثانية الا بعد حصار طويل كما مر معنا .

ويميل فيلهاوزن الى الاعتقاد بأن مضرم الثورة انما هو العباس بعد أن عاد الى حمص واسترد نفوذه السابق ، غير أن المصادر الموجودة تسكت عن ذلك ؛ ولا يعلم احد متى ولم زُجَّ العباس في السجن ؟ ولعل ذلك حدث في تشرين الثاني سنة ٧٤٤) يوم دخلت جيوش مروان دمشق ، ويوم نبش الناقمون على يزيد قبره لقتله الوليد . فلا يستبعد أبداً أن يكون العباس قد أصابه ما اصاب بنيه في حمص قبل ذلك .

وهنالك ظن آخر ؛ ان العباس لم يخرج من سجن حران (الذي زجه فيه مروان سنة ٧٤٦م) حياً . ومن المؤكد أنه توفي قبل سنة ٧٤٩م التي قدم فيها مروان الى حران مهزوماً وأمر باطلاق سراح المسجونين فيها . اذ أن اسم العباس لم يذكر بين اسماء الذين اخلي سبيلهم .

ويمكننا أن نستنتج من مساق هذه الاحداث ان العباس كان اميراً على حمص يوم قدم ويلي بولد ورفاقه اليها ؛ ولعل ذلك حدث في اواسط سنة ١٠٥ هجرية واواخر سنة ٧٢٣م قبل وفاة يزيد بمدة غير طويلة ؛ وذلك بعدما غزا الروم سنة (١٠٣هـ — ٧٢٢م) . وما وصف به ينطبق على المسلك الذي سلكه مع ويلي بولد ورفاقه من شدة تحفظه معهم وتفريقه جماعتهم الى اثنين اثنين بحجة تعذر حصولهم على قوت يكفيهم فيما لو ساروا مجتمعين .

الحقبة الثالثة

الفصل الثامن

حمص في زمن العباسيين

من خلافة أبي العباس السفاح حتى نهاية حكم الطولونيين

١٣٢ــ ٢٩١ هجرية = ٧٤٩ ــ ٩٠٣ مسيحية

وهي الحقبة التي وقف فيها مجد حمص عند حد

كانت حمص في زمن الأمويين في مقدمة المدن السورية الباسقة المجد، إذ كانت محجة الخلفاء ومقصد الكثيرين من أمرائهم. أما في زمن العباسيين فلم تعد لها تلك الأهمية التي كانت عليها فيما سلف، بالنظر لبعد مركز الخلفاء الذين اتخذوا بغداد قاعدة لهم؛ على أنها ظلت ذات مكانة محترمة بالنسبة الى سائر المدن السورية. وقد اظهر أهلها من الاباء والشمم ما كانوا يستثقلون معه ضغط الحكام مهما كانت شكيمتهم صعبة المراس ومهما بلغت بهم العواقب؛ ولم يكونوا يترددون طويلاً بالوثوب على من يعتقدون فيه خروجاً عن جادة الاستقامة. على أن سطوتهم ونفوذهم تجاه من هو أقوى أخذ يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى كانت سنة (٢٩١ هـــ ٩٠٣ م)

حديث عن أصول الشيعة ومراميها:

وقبل أن نأتي فذلكة من تاريخ الدولة العباسية مما لا بد منه لعلاقته بحمص، لا نجد بداً من ذكر شيء عن أصول الشيعة ومراميها، وهي المادة التي استقت منها الدولة العباسية ما أبرزها الى عالم الوجود.

ان عصبية العرب كانت واحدة في زمن الخلفاء الراشدين وزمن بني أمية بعدهم. ولكنها أخذت تتجزأ بعد ذلك بظهور أمر الشيعة، وهم في الأصل الدعاة لأهل البيت؛

فنشأ من ذلك ظهور الدولة العباسية في الشرق الآسيوي. ولم يدخل الكل من الأمويين في دعوة بني العباس اذ أنشأوا لهم دولة ثانية في الأندلس (١٣٩ — ٤٢٢ هـ، ٧٥٦ — ١٠٣١ م)، ثم نازع رهط من دعاة أهل البيت العباسيين، فأسسوا لأنفسهم دولاً أخرى في افريقيا ومنهم الفاطميون في مصر (٢٩٧ — ٥٦٧ هـ — ٩٠٩ — ١١٧١ م) والادارسة في مراكش (١٧٢ — ٣٧١ هـ — ٧٨٨ — ٩٢٣ م) والأغالبة في تونس (١٨٤ — ٢٩٦ هـ، ٨٠٠ — ٩٠٨ م) والعلويون في طبرستان (٢٥٠ — ٣١٦ هـ، ٨٦٤ — ٩٢٨ م).

أما الأساس الذي استند اليه دعاة أهل البيت فنوجزه بما يلي:

يرى أهل البيت أنهم احق القرشيين بالخلافة، ويقولون ان النبي (ص) عين علياً خليفة له، ويستندون الى نصوص ينكر عليهم أهل السنة تأويلها. ومن تلك النصوص ما هو جلي، ومنها ما هو خفي يحتاج الى ايضاح فمن الأول قول النبي (ص).

١ — من كنت مولاه فعلي مولاه. ولهذا قال له عمر بن الخطاب: أصبحت موئل كل مؤمن ومؤمنة.

٢ — اقضاكم علي. ولا معنى للإمامة الاّ القضاء بأحكام الله.

٣ — من يبايعني على روحه، فهو وصيي وولي هذا الأمر من بعدي. فلم يبايعه الاّ عني.

ومن النصوص الخفية:

١ — ان النبي (ص) بعث أبا بكر لقراءة براءة في الموسم، حين انزلت. ثم أوصى الله، ليبلغها رجل منك أو من قومك؛ فبعث النبي علياً ليكون القارىء المبلغ؛ وهذا دليل على تقدم علي. ولم يعرف انه قدم عليه أحداً مع أنه قدم البعض على أبي بكر وعمر (دائرة المعارف للبستاني ٧ ص ٤٢٩).

٢ — وان النبي (ص) قال في مرضه الأخير: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فاختلفوا عنده وتنازعوا ولم يتم الكتاب، ويذهب الشيعة الى أن النبي اراد ان يوصي بالامامة لعلي.

٣ — وفي قصة الشورى؛ ان جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعلي ويرون أحقيته

بالخلافة. ولما عدل بها الى سواه تأففوا من ذلك وأسفوا له؛ على أن حرصهم على الالفة جعلهم يقتصرون على النجوى.

ولما تفاقم الطعن بعثمان في الآفاق، كان عبد الله بن سبأ من أشد الناس تشيعاً لعلي (دائرة معارف وجدي ٥ ص ١٧ — ١٨) وتبعه جماعة. فلما قتل الامام علي وبويع ابنه الحسن وتنازل عن الخلافة لمعاوية سخط الشيعة عليه وكتبوا الى الحسن بالدعاء له. فامتنع ووعدهم الى هلاك معاوية. فبايعوا محمد بن الحنفية سراً. وعلم معاوية بالأمر فأخذ يفرق حزبهم بسياسته واسترضى بعضهم باللين، ومن كان شديد اللهجة كحجر بن عدي فتك به.

فلما مات معاوية وولي ابنه يزيد خرج عليه الحسين فقتل؛ وكانت حادثة قتله من أشنع وأقبح الوقائع في الاسلام؛ عظمت بها الشحناء وتوغل الشيعة في شأنهم وسلقوا المتقاعسين بألسنة حداد؛ وندموا لأنهم دعوا الحسين ولم ينصروه؛ ورأوا أن يكفِّروا عن تقصيرهم بالاستماتة دون الثأر له؛ وقاد جموعهم سليمان بن صرد الخزاعي فقتل سنة (٦٥ هـ — ٦٨٤ م)

ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي ودعا لمحمد بن الحنفية فاستولى على الكوفة وظفر بقاتلي الحسين؛ شمر بن ذي الجوش وعمر بن سعد بن أبي وقاص فقتلها وبعث برأسيهما الى محمد بن الحنفية نجل الامام علي بن أبي طالب. ثم أرسل ابن الزبير اخاه مصعباً لقتال المختار فقاتله وقتله سنة (٦٧ هـ — ٦٨٦ م).

وفشا بعدئذٍ التعصب لأهل البيت في الخاصة والعامة واختلفت مذاهب الشيعة في من هو أحق بالأمر من أهل البيت، وبايعت كل طائفة لصاحبها سراً. غير أن الملك رسخ لبني أمية، فطوى الشيعة قلوبهم على عقائدهم وتستروا بها مع تعدد فرقهم وكثرة خلافاتهم.

ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء، فأخذ عنه التردد في اصابة علي في معركتي الجمل وصفين. فعذله اخوه محمد الباقر على ذلك؛ وكان مع قوله بأفضلية علي على أصحابه، يرى صحة بيعة الشيخين؛ وأن اقامة المفضول جائزة؛ على خلاف ما عليه الشيعة. فلما خرج بالكوفة (١٢١ هـ — ٧٣٨ م) رجع عنه بعض الشيعة لما سمعوه يثني على الشيخين ورفضوا دعوته فسموا «الرافضة».

ولما خرج الرافضي ، يحي بن يوسف في خراسان سنة (١٢٥هـ— ٧٤٢م) على الأمويين ؛ قتله سالم بن احور المازني وبعث برأسه الى الوليد وانقرض به شأن الزيدية .

ولكن الشيعة استمروا يدعون للرضا من آل محمد ؛ غير مصرحين بمن يدعون له خوفاً عليه من أهل الدولة . وكانت شيعة محمد بن المنفية أقوى شيع أهل البيت ويرون أن الأمر بعده لابنه أبي هشام عبد الله ؛ فلما مرض هذا مرضه الأخير أوصى بالأمر الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ؛ فبايعه الشيعة سراً . وتوفي محمد سنة (١٢٤هـ— ٧٤١م) وعهد بها الى ابنه ابرهيم الملقب بالامام. فبعث هذا سراً ابا مسلم الخراساني ليدعو له أهل خراسان . وقبض مروان الجعدي على ابرهيم الامام وسجنه حتى مات . وملك ابو مسلم خراسان ثم زحف على العراق فملكه وغلب العباسيون به آل أمية .

فالعباسيون اذاً احدى فرق الشيعة وهم يعرفون بالكيسانية وهم يقولون بامامة محمد بن علي بن الحنفية وبعده الى ابنه عبد الله أبي هشام وبعده الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بوصيته ، ثم الى ابنه ابرهيم الامام وبعده الى أخيه عبد الله بن الحارثية المعروف بأبي العباس السفاح وهو أول خلفاء الدولة العباسية .

والى القارىء جدولٌ يتضمن اسماء الخلفاء الستة عشر من بني العباس في هذه الحقبة :

١ — ابو العباس السفاح	سنة (١٣٣هـ— ٧٥٠م)
٢ — ابو جعفر المنصور	سنة (١٣٧هـ— ٧٥٤م)
٣ — محمد المهدي	سنة (١٥٩هـ— ٧٧٥م)
٤ — موسى الهادي	سنة (١٦٩هـ— ٧٨٥م)
٥ — هرون الرشيد	سنة (١٧٠هـ— ٧٨٦م)
٦ — محمد الأمين	سنة (١٩٤هـ— ٨٠٩م)
٧ — عبد الله المأمون	سنة (١٩٨هـ— ٨١٣م)
٨ — ابو اسحق محمد المعتصم بالله	سنة (٢١٨هـ— ٨٣٣م)
٩ — هرون— الواثق بالله	سنة (٢٢٨هـ— ٨٤٢م)
١٠ — جعفر— المتوكل على الله	سنة (٢٣٣هـ— ٨٤٧م)
١١ — محمد— المنتصر بالله	سنة (٢٤٧هـ— ٨٦١م)

١٢ ـ احمد ـ المستعبد بالله	سنة (٢٤٨ هـ ـ ٨٦٢م)
١٣ ـ محمد ـ المعتز بالله	سنة (٢٥٢ هـ ـ ٨٦٦م)
١٤ ـ محمد ـ المهتدي بالله	سنة (٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩م)
١٥ ـ احمد ـ المعتمد بالله	سنة (٢٥٧ هـ ـ ٨٧٠م)
١٦ ـ احمد ـ المعتضد بالله	سنة (٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢م)

وفي زمن السبعة الأوائل من الخلفاء العباسيين ، كان النفوذ فيه للفرس ، ولكنه تحول مدة التسعة الباقين الى الترك. فقد استخدم المعتصم في بابه نحو/ ٢٠ / ألفاً من جند الأتراك للمحافظة على الحدود فكانوا يزدادون في العدد والقوة يوماً بعد يوم الى أن قويت شوكتهم وخشي بأسهم ، وصاروا على التمادي أصحاب الأمر والنهي (قطف الزهور ص ١٢٠).

والى القارىء خلاصة موجزة عن الخلفاء العباسيين في هذه الحقبة.

١ ـ السفاح

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، امه ريطة بنت عبد المدان الحارثي. ولد سنة (١٠٥ هـ ـ ٧٢٣م) وبويع بالخلافة في ١٢ ربيع الأول سنة (١٣٢ هـ ـ ٧٤٩م).

كان طويل القامة ، اقنى الأنف ، حسن الوجه ، جواداً ، سديد الرأي ، حازماً ، وهو أول الخلفاء العباسيين. وكان أول قائم من العباسيين بالدعوة اخوه ابرهيم الامام فسجنه مروان بن محمد فمات في سجنه بعد أن اوصى بالامامة الى أخيه إبي العباس ؛ وكان عمره يوم استخلف سبعة وعشرين عاماً. وهو اصغر من أخيه المنصور. ولقب بالسفاح لكثرة ما سفك من الدماء (الذهب المسبوك ص ٤٠) ؛ اذ أنه رأى أن قدمه لا تثبت ان لم يمحق بني أمية ، وكانت هذه فكرة الكثيرين من رجاله.

روي ان سديفاً الشاعر دخل يوماً على السفاح فوجد عنده سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقد أمنه السفاح فقال :

لا يغرنك ما ترى من رجالٍ ... ان تحت الضلوع داءً دوياً
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها اموياً

فأمر السفاح بقتل سليمان للحال فقتل. وقتل عبد الله بن علي نحواً من تسعين رجل من كبار الأمويين دعاهم لتناول الطعام عنده وفتك بهم جميعاً. ونجا عبد الرحمن بن معاوية ؛ اذ فر الى مصر فالمغرب فالأندلس حيث انشأ الدولة الأموية التي دام حكمها هناك ازيد من قرنين ونصف (٧٥٦ — ١٠٣١ م).

روى المؤرخون أن فتح دمشق تم لعبد الله بن علي عم السفاح في ١٠ رمضان سنة (١٣٢ هـ — ٧٤٩ م) أي بعد مبايعته بستة أشهر. وقد اباح الفاتح دمشق ثلاث ساعات ؛ فقتل عدد كبير من الأمراء والعلماء حتى في المسجد (الخطط ١ ص ١٧٣).

وروى المنبجي (ص ٣٧٠) ان العباسيين قتلوا من النصارى واليهود خلقاً كثيراً ؛ ونبشت قبور بني أمية في دمشق وسواها من المدن واحرقت بقاياهم بالنار (ابن الأثير ٥ ص ١٦١ وابن خلدون ٣ ص ١٣٣) ولم يبقوا على غير قبر عمر بن عبد العزيز في دير سمعان قرب حمص، اعترافاً بفضله وتقواه.

وكان مركز خلافة السفاح الحيرة اولاً ثم بنى الهاشمية بالانبار وجعلها مقر الخلافة، وفيها توفي لثلاث عشرة ليلة من ذي الحجة سنة (١٣٦ هـ — ٧٥٣ م). بعد أن أوصى بالخلافة لأخيه المنصور (دول الاسلام ١ ص ٧٩).

٢ — المنصور

هو ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد سنة (٩٥ هـ — ٧١٣ م) بأرض الشام ؛ وأمه سلامة البربرية ؛ أتاه نعي أخيه، وهو حاج فبويع بالخلافة وتلقب بالمنصور. وهو أول من تلقب بلقب من الخلفاء، كان اسمر اللون ضعيف اللحية، رحب الجبهة، أقنى الأنف، ذا فراسة وذكاء. وهو الذي بنى مدينة بغداد، شرع في بنائها سنة (١٤٥ هـ — ٧٦٢ م) واتمها سنة (١٤٩ هـ — ٧٦٦ م) فكانت أول مدينة عظيمة في الاسلام، قيل أن عدد سكانها بلغ المليونين.

مات المنصور سنة (١٥٨ هـ — ٧٧٤ م) بعد أن حكم ٢٢ سنة ونيفاً (١٣٦ — ١٥٨ هـ، ٧٥٤ — ٧٧٤ م) وكان عمره / ٦٣ / سنة. (معجم البلدان، ص ٢٣٢ وقطف الزهور ص ١١٦).

٣ — المهدي

هو محمد بن عبد الله المنصور ؛ ولد بالندوح سنة (١٢٧ هـ — ٧٤٤ م) وأمه أم موسى

بنت منصور بن عبد الله الحميري ؛ بويع له بمكة يوم مات أبوه . وأتاه الخبر الى بغداد في ١٦ ذي الحجة سنة (١٥٨ هـ — ٧٧٤ م) كان اسمر اللون ، معتدل القامة ، جعد الشعر ، على عينه اليمنى نكتة بياض (الذهب المسبوك ص ٦٥).

كان المهدي فطناً ذكياً كريماً وشديداً على أهل الالحاد ، لا تأخذه في اهلاكهم لومة لائم . وفي أيامه ظهر المقنع الخراساني . ومن اعماله سجنه لوزيره يعقوب بن داود الذي قال فيه بشار بن برد :

بنو أمية هبوا طال نومكم ... أين الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناي والعود

وغزا الروم سنة (١٦٣ هـ — ٧٧٩ م) . وبلغ ابنه الرشيد خليج القسطنطينية . وكانت آنئذٍ الملكة ايريني وصية على ابنها قسطنطين السادس . وأقام سنة (١٦٦ هـ — ٧٨٢ م) بريداً بين مكة والمدينة . ومات المهدي سنة (١٦٩ هـ - ٧٨٥ م) في ٨ محرم في ماسبذان ؛ وكان الرشيد معه يوم وفاته ، ودامت خلافته عشر سنوات وشهر (١٥٨ — ١٦٩ هـ ، ٧٧٤ — ٧٨٥ م) (الفخري ص ١٢٩ ودول الاسلام ص ٨٨).

٤ — الهادي

هو موسى بن محمد المهدي ، أمه الخيزران ؛ ولد سنة (١٤٥ هـ — ٧٦٢ م) وبويع له بالخلافة في بغداد سنة ١٦٩ وبعد وفاة أبيه ؛ وكان موسى اذ ذاك بجرجان ؛ تولى اخذ البيعة له اخوه الرشيد . ولم يلِ الخلافة قبله من هو أصغر سناً منه . كان طويلاً بدناً ، أبيض الشعر (الذهب المسبوك ص ٧٥) . ومن صفاته أنه كان يقظاً غيوراً كريماً شديد البطش ، جريء القلب ، ذا إقدام وحزم وفي ايامه خرج الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقتل بفخ (بين مكة والمدينة).

ولم تطل ايام الهادي ؛ اذ روي أن أمه استاءت منه ؛ فأمرت جواريها بقتله ، فجلسوا على وجهه حتى مات في ١٥ ربيع الأول سنة (١٧٠ هـ — ٧٨٦ م) وعمره / ٢٥ / سنة ، ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر (١٦٩ — ١٧٠ هـ ، ٧٨٥ — ٧٨٦ م) (الفخري ص ١٣٧ ودول الاسلام ص ٩٢).

٥ــ هرون الرشيد

هو ابن المهدي واخو الهادي؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه وعمره / ٢٢ / سنة. وبشر في الوقت ذاته بولادة المأمون. وكان الرشيد ابيض اللون. طويلاً سميناً جميلاً، جعد الشعر. ولم يمت حتى وخطه الشيب. وكان به حول جزئي في احدى عينيه لا يبين الا لمن يتأمله (الذهب المسبوك ص ٧٨). وكان الرشيد من افاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم. وكانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً وأوسعها رقعة مملكة. ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد.

ومن أشهر حوادث خلافته؛ نكبة البرامكة سنة (١٨٧ هــ ٨٠٢م) وانتصاره على نيليفور قيصر الروم، ومصادقته شارلمان ملك فرنسا واواسط اوروبا.

مات الرشيد في ٣ جمادى الأخرى سنة (١٩٣ هــ ٨٠٨م) وعمره / ٤٥ / سنة ومدة خلافته ٢٣ سنة وشهرين (١٧٠ ــ ١٩٣ هـ، ٧٨٦ ــ ٨٠٨م) (الفخري ص ١٤٢).

٦ــ الأمين

هو محمد الأمين بن هرون الرشيد. ولد بالرصافة سنة (١٧٠ هــ ٧٨٦م) وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور. وبويع بالخلافة صبيحة يوم وفاة أبيه الرشيد سنة (١٩٣ هــ ٨٠٨م). ولم يلِ الخلافة هاشمي من هاشميين سوى ثلاثة: علي بن أبي طالب وابنه الحسن والأمين. وكان أبيض اللون طويل القامة سميناً، صغير العينين؛ به اثر للجدري. وكان فصيحاً، كريماً، شجاعاً، ولكنه كان كثير اللهو منقطعاً عن التفرغ كما يجب لشؤون المملكة، حاول أن ينزع ولاية العهد من أخيه المأمون؛ فأدى ذلك الى التنافر بين الأخوين ثم الى مقتل الأمين في ٢٤ محرم سنة (١٩٨ هــ ٨١٣م) وعمره / ٢٨ / سنة ومدة خلافته ٤ سنوات وثمانية أشهر (١٩٣ ــ ١٩٨ هـ، ٨٠٩ ــ ٨١٣م) الفخري ص ١٥٥ ودول الاسلام ص ٩٨ وابن العبري ص ٢٣٣).

٧ــ المأمون

هو أبو العباس، عبد الله بن هرون الرشيد، وأمه أمة، اسمها مراجل. ولد بالياسرية في نصف ربيع الأول سنة ١٦٩ هـ، وصارت اليه الخلافة في محرم سنة (١٩٨ هــ ٨١٣م)

كان أبيض الوجه ، جميلاً ، طويل اللحية ، ضيق الجبهة ، في خده خال اسود تعلوه صفرة . وكان فطناً ذكياً ومن أفاضل الخلفاء وحكمائهم . وهو أول من تعمق في دراسة العلوم والحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها الى العربية . وأول من الزم الناس بخَلق القرآن ، وأول من أبدل السواد بلباس الأخضر . مات المأمون في ١٣ جمادى الاخرى سنة (٢١٨ هـ — ٨٣٣م) وعمره / ٤٨ / سنة ومدة خلافته / ٢٠ / سنة (١٩٨ — ٢١٨ هـ ، ٨١٣ — ٨٣٢م) (الذهب المسبوك ص ١٣٦ والفخري ص ١٥٩) .

٨ — المعتصم بالله

هو ابو اسحق محمد بن الرشيد . ولد في العاشر من شعبان سنة (١٨٠ هـ — ٧٩٦م) ؛ وأمه أم ولد يقال لها نادرة . وكان مع أخيه المأمون لما توفي ؛ فأراد الناس أن يبايعوا العباس بن المأمون فأبى هذا وسلم الأمر الى عمه المعتصم ؛ فتوجه الى بغداد مسرعاً حيث بويع له بالخلافة في أول رمضان سنة (٢١٨ هـ — ٨٣٣م) وكان أبيض اللون ، أصهب اللحية طويلها ، مربوع القامة ، مشرب اللون حمرة ، وكان المعتصم من ذوي الحزم والهمة العالية ، طيب الاخلاق ، ولكنه كان اذا غضب لا يبالي من قتل وما فعل . وكان ضعيف القراءة والكتابة ، وسمي المثمن لعشرة أوجه : ١ — الثامن من بني العباس . ٢ — الثامن من الخلفاء — ٣ — تولى الخلافة وعمره / ٣٨ / سنة . ٤ و٥ — خلافته ٨ سنوات و٨ اشهر . ٦ — توفي وعمره / ٤٨ / سنة . ٧ — خلف ثمانية ذكور . ٨ — خلف ثماني بنات . ٩ — غزا ثماني غزوات . ١٠ — ترك ثروة مقدارها ثمانية ملايين درهم .

من أهم الأحداث في أيامه ، أنه بنى مدينة سر من رأى (سامراء) سنة (٢٢١ هـ — ٨٣٥م) وفتح عمورية ومات سنة (٢٢٧ هـ — ٨٤١م) (الذهب المسبوك ص ١٦١ وابن العبري ص ٢٤٠ ودول الاسلام ص ١٠٣ و١٠٥) .

٩ — الواثق بالله

هو هرون بن المعتصم ولد سنة (١٩٦ هـ — ٨١١م) وأمه أم ولد واسمها قراطيس ، جارية رومية ، بويع له بالخلافة يوم توفي أبوه ؛ وكان جسيماً أبيض الوجه ، تعلوه صفرة ، حسن الهيئة ، في عينه اليمنى نكتة بياض (الذهب المسبوك ص ١٦٣) . وكان يحب التشبه بعمه المأمون في حركاته وسكناته .

توفي الواثق في سر من رأى في ٢٧ ذي الحجة سنة (١٣٢هـ — ٨٤٦م) وعمره / ٣٦ / سنة ومدة خلافته ٥ سنوات ونيف (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ ، ٨٤١ — ٨٤٦م) (الفخري ص ١٧٣).

١٠ — المتوكل على الله

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم. ولد سنة (٢٠٧هـ — ٨٣٢م). وأمه أم ولد يقال لها شجاع. وبويع بالخلافة يوم وفاة أخيه الواثق. كان اسمر اللون، ضعيف الجسم، قصيره، حسن العينين، خفيف العارضين (الذهب المسبوك ص ١٦٥). ومن الاحداث في أيامه، تضييقه الشديد على أهل الذمة سنة (٢٣٥هـ — ٨٤٩م). وهدمه قبر الحسين. قتله ابنه المنتصر سنة (٢٤٧هـ — ٨٦١م) وعمره/ ٤٠/ سنة وخلافته اربع عشرة سنة وتسعة أشهر (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ ، ٨٤٧ — ٨٦١م) (الفخري ص ١٧٣).

١١ — المنتصر بالله

هو محمد بن جعفر المتوكل. ولد في سر من رأى سنة (٢٢٤ هـ — ٨٣٨م). أمه أم ولد رومية اسمها جيشة، وبويع بالخلافة صبيحة اليوم الذي قتل فيه أبوه — ٤ شوال سنة (٢٤٧ هـ — ٨٦١ م). وكان المنتصر قصير الجسم، ضخم الهامة، عظيم البطن جسيماً، على عينه اليمنى أثر جرح أصابه في صغره. ولم تطل مدة خلافته اذ مات يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر سنة (٢٤٨هـ — ٨٦٢م) بذبحة قلبية لم تمهله سوى ثلاثة أيام، وكان عمره/ ٢٥/ سنة ومدة خلافته ستة أشهر (الذهب المسبوك ص ١٦٦ ودول الاسلام ص ١١١).

١٢ — المستعين بالله

هو أحمد بن الأمير محمد بن المعتصم؛ ولد في سرمن رأى في ٧ رجب سنة (٢٢١هـ — ٨٣٥م). وأمه مخارق بنت عبد الله. وبويع بالخلافة بعد وفاة المنتصر سنة (٢٤٨ هـ — ٨٦٢م) وكان أبيض الوجه ظاهر الدم. في وجهه أثرللجدري. كانت أيامه ذات فتن وحروب. فألجيء الى خلع نفسه في ١٣ محرم سنة (٢٥٢هـ — ٨٦٦م) وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر. وقتل بعد الخلع في القادسيه دفن في سرمن رأى عن ٣٠ سنة (٢٤٨ — ٢٥٢ هـ ، ٨٦٢ — ٨٦٦م).

١٣ً — المعتز بالله

هو محمد بن المتوكل ؛ ولد في ١٦ ربيع الأول سنة (٢٣٣ هـ — ٨٤٧م) . وأمه أم ولد اسمها ثلجة . بويع بعد خلع المستعين بالله . وكان طويلاً جسيماً وسيماً ، أبيض الوجه مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، أقنى الأنف ، حسن الوجه ، جعد الشعر ، كث اللحية (الذهب المسبوك ص ١٦٨) .

ولم يكن في سيرته ورأيه وعقله بأس ؛ إلا أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على الله على شؤون المملكة واستضعفوا الخلفاء . في أيامه ظهر يعقوب بن الليث الذي حاول إعادة مكانة العرب في الدولة فثار عليه الأتراك وقتلوه بعد أن عذبوه بقسوة لا مثيل لها . فخلع المعتز نفسه في ٢٧ رجب سنة (٢٥٥ هـ — ٨٦٨م) ومات في رمضان من السنة نفسها . وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات وبضعة أشهر (٢٥٢—٢٥٥ هـ ، ٨٦٦—٨٦٩م) .

١٤ً — المهتدي بالله

هو محمد بن الواثق . ولد سنة (٢١٨ هـ — ٨٣٣م) . أمه أم ولد يقال لها قرب . خلف ابن عمه المعتز . وكان أسمر رقيق الجسم . وكان من أحسن الخلفاء العباسيين مذهباً وأجملهم طريقة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة يتشبه بعمر بن عبد العزيز .

في أيامه ، خرج صاحب الزنج ، وشغب عليه الأتراك لقتله بعض الموالي ، فعذبوه ليخلع نفسه فأبى فقتلوه سنة (٢٥٦ هـ — ٨٦٩م) (الذهب المسبوك ص ١٧٠) .

١٥ً — المعتمد بالله

هو أحمد بن المتوكل ؛ ولد سنة (٢٢٩ هـ — ٨٤٣م) . وأمه أم ولد يقال لها فنان ، رومية . بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المهتدي . وبين المعتمد هذا وبين أبيه المتوكل أربعة خلفاء هو خامسهم . وكان أسمر رشيقاً ، خفيف اللحية ، حليماً لطيفاً . وفي أواخر أيامه ظهر القرامطة سنة (٢٧٨ هـ — ٨٩١م) . توفي المعتمد في ١٥ رجب سنة (٢٧٩ هـ — ٨٩٢م) فجأة وعمره خمسون سنة ومدة خلافته ٢٣ سنة وستة أيام (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ ، ٢٦٩ — ٨٩٢م) (الذهب المسبوك ص ١٧١) .

١٦ً — المعتضد بالله

هو أحمد ابن الأمير طلحة الموفق بن جعفر المتوكل. ولد في سرمن رأى في ذي القعدة سنة (٢٤٢ هـ — ٨٥٦م). وأمه أم ولد اسمها خفير. بويع بالخلافة في ١٢ رجب سنة (٢٧٩ هـ — ٨٩٢م). وكان أسمر، نحيف الجسم، وقد وخطه الشيب في مقدم لحيته. وفي مقدمة رأسه شامة بيضاء، أقنى الأنف. وكان شهماً شجاعاً وفيه شح؛ كما كان عفيفاً مهيباً عند أصحابه، يتقون سطوته. ومع ذلك فقد جاوز الحد في الحكم. ولأجل حزمه وشدته لقب بالسفاح الثاني. مرض المعتضد سنة (٢٧٩ هـ — ٩٠١م) وتوفي لثمان بقين من ربيع الثاني سنة (٢٨٩ هـ — ٩٠١م) ومدة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ، ٨٩٣ — ٩٠٢م) (الذهب المسبوك ص ١٧٣).

الفصل التاسع

حوادث حمص في هذه الحقبة

١ً — أبو الورد والسفياني

كان أبو الورد مجزأة بن زفر بن الحارث الكلابي من أصحاب مروان بن محمد وقواده؛ فلما انهزم مروان؛ بايع أبو الورد بقنسرين عبد الله بن علي ودخل مع من دخل في جنده. ولكن لما عبث أحد قادة عبد الله بأبناء مسلمة بن عبد الملك ونسائه وهم في جواره ببالس، خرج من مزرعته خساف وأظهر التبييض والخلع وثار معه أهل قنسرين برمتهم. وكان السفاح يومئذٍ بالحيرة. فلما علم عبد الله بحركة قنسرين، صالح حبيب بن مرة الذي كان يقاتله في البلقاء وتوجه نحو قنسرين فمرّ بدمشق وأناب عنه فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي وترك له أربعة آلاف من جنده. ولكنه ما كاد يبلغ حمص حتى انتفض الدماشقة ورفعوا العلم الأبيض — علم الأمويين — فهزموا أبا غانم ومن معه بعد أن قتلوا منهم عدداً كبيراً؛ وكان قائد الدمشقيين عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي. أما عبد الله بن علي فتابع مسيره الى قنسرين، وكان أهلوها قد كاتبوا أهالي حمص وتدمر فقدم ألوف منهم عليهم أبو محمد زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، الذي لقبوه «السفياني» ودعوا الناس لمبايعته. وكان عددهم نحو أربعين ألفاً فعسكروا في مرج الأخرم

بنواحي سلمية. فلما قرب منهم عبد الله بن علي أرسل اليهم أخاه عبد الصمد في عشرة آلاف فناهضهم أبو الورد ووقع القتال بين الفريقين؛ فثبت أهالي قنسرين ومن معهم من الحمصيين والتدمريين وانكشف عبد الصمد ومن معه بعد أن قتل منهم عدة آلاف.

ثم أقبل عبد الله بن علي الى حيث أتاه أخوه عبد الصمد ومعه حميد بن قحطبة وجماعة من القواد المجربين فالتقوا ثانية بمرج الأخرم. واقتتلوا قتالاً شديداً ثبت فيه عبد الله وتزحزح القنسريون عن أماكنهم ووقعت فيهم الهزيمة بينما ثبت أبو الورد في خمسمائة من أصحابه فقتلوا جميعاً. وفر أبو محمد السفياني ومن معه من بني كلب حتى وصلوا الى تدمر ومنها اتجه الى أرض الحجاز حيث بقي هناك الى أيام المنصور، فقتله زياد بن عبد الله الحرثي عامل المنصور وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة (١٣٦ هـ — ٧٥٣م). (ابن الأثير ٥ ص ١٦٣ وابن خلدون ٣ ص ١٧٤).

أما رواية الطبري عن أبي محمد السفياني فهي كما يلي:

خلع أبو الورد بقنسرين البيعة للعباسيين، فكتب أبو العباس الى عبد الله بن علي أن يتجه لقتال أبي الورد. ثم وجه عبد الصمد بن علي الى قنسرين في سبعة آلاف رجل. ووجه عبد الله — ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف رجل ثم أخذ يتبعهم بآخرين. ولقي عبد الصمد أبا الورد في جمع كثير فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص. فبعث عبد الله بن علي العباس بن يزيد ين زياد ومروان الجرجاني وأبا المتوكل الجرجاني ومع كل منهم أصحابه الى حمص. ثم أقبل عبد الله بعدهم فنزل على مسافة أربعة أميال من حمص وعبد الصمد بن علي فيها. وكان أهل قنسرين قد بايعوا لأبي محمد السفياني زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ولأبي الورد مجزأة بن زفر. وفي سهول حمص وهضابها التقى الجمعان فاقتتلوا قتالاً شديداً وأجلاهم أبو محمد السفياني الى شعب ضيق، فجعل الناس يتفرقون؛ فقال حميد بن قحطبة لعبد الله بن علي: علامَ تقيم؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون. دعنا نناجزهم. ففعل عبد الله واقتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذي الحجة سنة (١٣٣ هـ — ٧٥٠م) وكان على ميمنة السفياني أبو الورد وعلى ميسرته الأصبغ ابن ذؤالة فجرح أبو الورد جرحاً بليغاً فحمل الى أهله حيث مات ولجأ قوم من أصحابه الى أجمة فأحرقها بهم عبد الله. أما السفياني فقد فرّ الى الحجاز. وكان أهل حمص قد نقضوا البيعة للعباسيين وآثروا السفياني؛ فلما بلغتهم أنباء هزيمته عادوا الى الطاعة (الطبري ٩ ص ١٣٨).

٢ً — فتنة بنأبي الهيذام

القيسيون واليمنيون

أبو الهيذام هو عامر بن عمارة المري ، أحد فرسان العرب المشهورين ، وكان رأس القبائل المضرية في الشام يوم هاجت الفتنة سنة (١٧٦هـ — ٧٩٢م).

وسبب هذه الفتنة على ما روى ابن الأثير : إن عاملاً للرشيد في سجستان قتل أخاً لأبي الهيذام ؛ فثار هذا مع القبائل المضرية في الشام وقال يرثي أخاه :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإن بها ما يدرك الطالب الوزرا
ولسنا كمن ينعي أخاه بغيره ويعصره من ماء مقلته عصرا
وإنا أناس ما تفيض دموعنا على هالك منا وان قصم الظهرا
ولكنني أشفي الفؤاد بغارة وألهب في قطري كتائبها جمزا

وكان على دمشق وقتئذٍ عبد الصمد بن علي.

وقد روى أبو الفداء ثورة أبي الهيذام على الشكل التالي كما رواها بالنص ذاته ابن الأثير (٦ ص ٤٢) :

قيل إن رجلاً من بني القيس أتى ليطحن في البطحاء فمر بحائط رجل من لخم وفيه بطيخ فتناول منه واحدة فشتمه صاحب البطيخ ثم تضاربا فاجتمع قوم من اليمنيين وضربوا القيسي ، فأعانه جماعة من مضر وقتل أحد اليمنيين وهكذا نشبت الفتنة . فجمع الوالي عبد الصمد بن علي الرؤساء وسعى في الصلح بينهم ، فرضي المضريون واستمهل اليمنيون ؛ ثم تصدوا للمضريين فقتلوا منهم نحو ستمائة رجل. فاستنجد المضريون بني قيس فلبوا نداءهم وساروا معهم الى أرض البلقاء فقتلوا من اليمنيين ثمانمائة رجل واشتد القتال بينهم. ولم يستطع عبد الصمد إخماد الفتنة ؛ فعزله الرشيد وولى مكانه ابرهيم بن صالح بن علي ، ولكن هذا أيضاً لم يتمكن من تهدئة الحالة ؛ فوفد على الخليفة في بغداد وأظهر ميله لليمنيين وطعن بقيس . فتصدى للدفاع عنهم عبد الواحد بن بشير النصري واعتذر عنهم ؛ فقبل الرشيد عذره وعفا عنهم . وكان ابرهيم قد ترك على دمشق ابنه اسحق ؛ فحبس هذا جماعة من قيس وأمر بضربهم.

ثم وثبت غسان برجل من ولد قيس فقتلوه ، فاستنجد أخوه بالدواقيل من حوران

فأنجدوه وقتلوا من اليمنيين بعض الأفراد. ففتك الأخيرون بكليب بن عمر بن الجنيد بن عبد الرحمن فاستغاثت امه بأبي الهيذام، فاستمهلها هذا ريثما يعرض الأمر على الأمير لينظر فيه. فأبى اسحق مقابلة أبي الهيذام فحفظها عليه. ومن المصادفات أن أناساً من الزواقيل قتلوا يمنياً، فقتل اليمنيون رجلاً من سليم. فجاء هؤلاء الى أبي الهيذام، فركب معهم الى اسحق فوعدهم هذا بالنظر في القضية، ولكنه أغرى اليمنيين بأبي الهيذام فداهموه من باب الجابية، فخرج اليهم بنفر يسير فهزمهم واستولى على دمشق وأخرج المسجونين من سجونهم. وهكذا عظم الخطب، واستغاث اليمنيون بقبيلة كلب فأمدتهم بعدد من رجالها. واستصرخ أبو الهيذام القبائل المضرية فأتته الإمدادات تترى، وتحارب مع اليمنيين عند باب توما ودحرهم؛ فاحتل هؤلاء عند ارتدادهم قرية لقيس بضواحي دمشق فأرسل اليهم أبو الهيذام الدواقيل فأجلوهم عنها.

ولما كان مستهل صفر جمع والي دمشق — اسحق — الجنود عند قصر الحجاج واستقدم أبو الهيذام أصحابه فجاءه بنوالقيس وسواهم، ثم نشب القتال فانهزم اليمنيون بعد أن قتل منهم عدد ليس بيسير. ولم ينجح اليمنيون في أية معركة خاضوها مع أبي الهيذام بالرغم من وقوف الأمير اسحق وجنده الى جانبهم.

ولما استفحل الأمر على اليمنيين استنجدوا بأهل حمص فهبوا لنجدة اخوانهم وساروا في بادىء الأمر سيرة الظافرين إذ احتلوا إحدى قرى أبي الهيذام بعد معركة مع المدافعين عنها. ولكن المذكور سرعان ما بادر اليهم بقوة عظيمة فقتل منهم عدداً كبيراً وانهزم الباقون.

ونقم أبو الهيذام على اليمنيين نقمة شديدة فأحرق لهم عدة قرى في الغوطة. وكانت قوى الفريقين قد أنهكت فتهادنوا مدة سبعين يوماً. جاء في نهايتها القائد السندي موفداً من قبل الرشيد لإيقاف الفتنة ومعه عدد كبير من الجند. فأتاه اليمنيون شاكين أبا الهيذام؛ وأعلن هذا طاعته فتصالح الفريقان على أن يسكن أبو الهيذام حوران.

وأقام السندي بدمشق ثلاثة أيام بعد أن أمن الأهلين وعيَّن موسى بن عيسى والياً عليها.

وعنَّ على بال موسى الوالي أن يلقي القبض على أبي الهيذام بعد عشرين يوماً من ولايته فأرسل قوة الى بيته. ولم يكن مع أبي الهيذام وقتئذٍ سوى ابنه ضريم، وعبد له. فخرج الى القوة وقاتلها، فانكفأت عنه، فشقّ لنفسه بينها طريقاً ونجا.

وسمع رجال أبي الهيذام بما جرى ، فأقبلوا اليه من كل حدب وصوب. فتوجه بهم الى بصرى وعسكر فيها. ولما تكاملت لديه القوة التي أرادها ، هاجم جنود موسى في طرق اللجاة فأوقع الرعب فيهم وفروا من أمامه بعد أن قتل منهم عدداً كبيراً.

ولما رأى موسى استحالة القبض على أبي الهيذام بالقوة ؛ أرسل اليه خمسة فوارس مرفقين برسالة منه يطلب اليه فيها الكفّ عن متابعة تعرضاته السابقة والقدوم آمناً الى الأمير. فمضى أبو الهيذام معهم بعدما أمر قومه بالانصراف الى منازلهم ؛ وكان ذلك لعشر بقين من رمضان وكان ذلك آخر عهد بالفتنة. ومات أبو الهيذام سنة (١٨٢ هـ — ٧٩٨ م).

ويقول ضريم بن عامر (أبي الهيذام) الذي شهد معارك أبيه وأبلى فيها البلاء الحسن في قصيدة له يذكر يوم الجولان وطعنه المعمر بن أيوب الطائي.

أتانا أخو طيء غدوة　　فما آب منها ولم يغنم
أتتنا قرود يمانية　　فذاقت أمرّ من العلقم
ولاقت سيوفاً معدية　　يقول ضريم لها خذم
فمن حمص حيث تقرأ القنا　　الى مرج عذراء لم تخرم
ترجى ابن أيوب أشلاءنا　　رويدك دون مرة الضيغم

(ابن عساكر ٥ ص ١٢٦ وابن الأثير ٦ ص ٤٢)

أما صاحب دول الاسلام (١ ص ٩٣) والطبري (١٠ ص ٦٦) وغيرهم فيقولون : إن فتنة أبي الهيذام لم تهدأ حتى أطفأ نارها الوزير جعفر بن يحيى البرمكي الذي قتل الدواقيل والمتلصصة ؛ ولم يدع بها رمحاً ولا فرساً فعادوا الى الأمن والطاعة والطمأنينة. وفيه قال الشاعر منصور النمري قصيدة عامرة الأبيات مطلعها :

لقد أوقدت بالشام نيران فتنة　　فهذا أوان الشام تخمد نارها
إذا جاس موج البحر من آل برمك　　عليها خبت شهبانها وشرارها

وفيها يقول :

فقولوا لأهل الشام لا يسلبنكم　　حجاكم طويلات المنى وقصارها
فإن أمير المؤمنين بنفسه　　أتاكم وإلّا نفسه فخيارها

وزيـر أمير المؤمـنين وسيـفـه وصعدته والحرب تدمي شفارها
طبيب بأحياء الأمور اذا التوت من الدهر أعناق فأنت جبارها
اذا ما ابن يحيى جعفر قصدتْ له ململات خطب لم ترعه كبارها

٣ــ الحمصيون وعاملهم اسحق بن سليمان

ينتمي اسحق بن سليمان الى علي بن عبد الله بن العباس ؛ استعمله الخليفة الرشيد عاملاً على المدينة سنة (١٧٠ هـ ــ ٨٧٦م) ؛ وغزا الصائفة سنة (١٧٢ هـ ــ ٧٨٨م) ثم عينه الرشيد والياً على السند ومكران سنة (١٧٤ هـ ــ ٧٩٠ م) فأصلح أمرها وكثّف خراجها. ولكن الاصلاح الذي حاول إحداثه ، أجبره على زيادة الضرائب على المزارعين زيادة فاحشة ، فكرهه الناس وخرج عليه رهط من قيس وقضاعة فحاربهم ، ولكن عدداً لا يستهان به من حاشيته قتل ؛ فكتب الى الرشيد يعلمه بالأمر ؛ فأمده الخليفة بهرثمة بن أعيس الذي تمكن من ردّ العصاة الى الطاعة بعد أن أدوا ما عليهم الى السلطة.

ثم عزل الرشيد اسحق من ولايته وكلف بها هرثمة لمدة شهر ريثما يصل اليها واليها الجديد عبد الملك بن صالح (ابن الأثير ٦ ص ٤٧).

أما اسحق بن سليمان فعين بعد مدة لولاية حمص كما يستخلص من كلام ابن خلدون (٣ ص ٢٣١) : ان اسحق كان على حمص يوم أسندت الخلافة الى الأمين وكان على مكة داود بن عيسى. وفي رواية الطبري (١٠ ص ١٣٠) : ان الذي عين اسحق على حمص إنما هو الأمين بن الرشيد سنة (١٩٤ هـ ــ ٨٠٩م).

ومن قرائن الأحوال يظهر أن الحمصيين لم يكونوا راضين عن العباسيين وعمالهم ؛ إذ يروي صاحب الخطط (١ ص ١٨٣) انهم وثبوا بواليهم سنة ١٩٠ هـ ــ ٨٠٥م) ، فخرج اليهم الرشيد بذاته ؛ ولكنهم شعروا بسوء المغبة فأرسلوا له وفداً يسترضيه قبل وصوله الى الشام فأدركوه بمنبج واسترضوه بالهدايا فعفا عنهم.

أما ثورتهم العنيفة فقد حدثت سنة (١٩٤ هـ ــ ٨٠٩م) وذكرها جميع المؤرخين الثقات كالطبري وابن الأثير وابن خلدون وأبو الفداء ومنقريوس وكرد علي وخلاصتها :

إن اسحق المذكور كان على جانب كبير من الشدة والعنف مما لم يستطع معه الحمصيون الرضا بالضيم الذي حاول إنزاله بهم ؛ فثاروا غير حاسبين للنتيجة حساباً.

واضطر اسحق إزاء هذه الفتنة أن يترك المدينة ويلجأ الى سلمية. ولما عرف الخليفة الأمين بما جرى، وجه اليهم عبد الله بن سعيد الحرسي ومعه عافية بن سليمان فداهمهم بقوة لا طاقة لهم بها. وتمكن من إلقاء القبض على رهط من أعيانهم بعد أن ضرب مدينتهم بالمنجنيق، فاضطروا الى الاذعان. على أنهم شعروا بأن عبد الله يحاول إذلالهم عن طريق معاملة لا تتفق ومزايا من ربّي على الإباء والشمم، لذلك عادوا الى ثورتهم وهياجهم وعاد هذا الى مطاردتهم فقتل عدداً من وجوههم وسجن الكثيرين. ومع ذلك فإن ثورتهم لم تهدأ حتى ولي عليهم الخليفة، ابرهيم بن العباس (ابن خلدون ٣ ص ٢٣١).

٤ً ـــ السفياني

أشاع أنصار بني أمية إشاعة زعموا فيها أنه سيظهر السفياني في الوادي اليابس من الشام تؤيده غسان وقضاعة ولخم وجذام على خيل شهب ورايات صفر، يعيدون للدولة الأموية مجدها الغابر في الشام كما أنشأوها في الأندلس. وهكذا فقد ظهر لهذه الغاية عدة أشخاص ادّعوا أنهم السفياني المنتظر.

ووجد كل منهم، من أيده. ولكن أمرهم جميعاً انتهى بالفشل (الخطط ص ١٧٦ و١٧٧ و١٨٣).

ومن أعظم هؤلاء: علي بن عبد الله بن علي بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ وأمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب؛ الملقب بأبي العميطر. وكان ذا علم وحسن رواية وحديث؛ وقد رأى من مريديه حرمة أطمعته في أن يدعو الناس الى بيعته وسمى نفسه خليفة.

وأخذ أصحابه يطوفون في الأسواق هاتفين بالشعب: «قوموا بايعوا مهدي الله» فكان لندائهم صدى.

وكان معظم أتباعه من بني كلب؛ وتعصب له اليمنيون ضد القيسيين الذين قاوموه فنهبت منازلهم ثم أحرقت وقتل عدد كبير من رجالهم في شوارع دمشق؛ وفرّ سليمان بن أبي جعفر المنصور عامل الأمين فيها، بعد أن حوصر أياماً. ووقع الرعب في قلوب القيسيين فلم يجسر أحد منهم على الخروج من منزله. والذين لم يبايعوا السفياني، سمرت عليهم أبواب مساكنهم.

وكان أبو العميطر المذكور، إذا خرج للناس، يمشي بين يديه خمسمائة رجل على رؤوسهم القلانس الشامية، وفي أيديهم المقارع؛ وهو يباهي السوى بقوله: أنا ابن شيخي صفين «يعني علياً ومعاوية» إذ كان نسبه من جهة أبيه يتصل ببني أمية ومن جهة أمه بآل أبي طالب (ابن خلدون ٣ ص ٢٣٥ والخطط ١ ص ١٨٣).

ولعب الحمصيون في هذه الفتنة دوراً هاماً. فقد كانوا من أنصار أبي العميطر الأشداء. ولو لم يقم في وجه السفياني؛ محمد بن صالح الكلابي لتفاقم الخطب جداً؛ غير أن هذا استمال القيسيين اليه؛ وفاز في إحدى المعارك معه؛ فوهن أمر أبي العميطر. ثم اجتمعت كلمة نمير على مسلمة بن يعقوب المرواني وبايعوه بالخلافة فجمع مواليه ودخل على السفياني وهو في الخضراء فقبض عليه وقيده بالأصفاد وحبس رؤساء بني أمية وأدنى قيساً وجعلهم خاصته.

وإبان الفتنة مرض محمد بن صالح الكلابي (وكان عامل الأمين ثم المأمون) فترك دمشق مستشفياً؛ فلما أبلّ من مرضه أراد العودة اليها فاعترضه مسلمة وصدّه بالقيسيين عن دخولها. ولكن هؤلاء خشوا النتيجة فسالموا الكلابي وتمكن إذ ذاك من دخول دمشق لعشر خلون من محرم سنة (١٩٨هـ — ٨١٣م) (الاعلام ٣ ص ٩٠٥).

وروى الطبري (١٠ ص ١٦١، ١٦٢): إن هذه الفتنة أقلقت بال الأمين وخشي سوء المغبة، فدخل عليه عبد الملك بن صالح بن علي وأظهر له استعداده لخضد شوكة الثائرين في الشام، فوثق به الأمين وأوفده لهذه المهمة ووجه معه فرقة من الجند وأخرى من الأبناء (قوم من العجم سكنوا اليمن) فسار عبد الملك يقصد الشام، فلما نزل الرقة كاتب رؤساء أهل الشام وأهل القوة والجلد والبأس، فأتوه رئيساً بعد رئيس وجماعة بعد جماعة، فأكرمهم ومنّاهم وخلع عليهم. وهنا مرض عبد الملك واشتد مرضه؛ وكان بين من أتاه زواقيل أهل الشام، فرأى بعض الجنود الخراسانيين دابة كانت قد أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواقيل فتعلق بها، وأبى ذاك إعطاءه إياها. وأخذ الأبناء يناصرون الخراساني وأيد الزواقيل ابن جلدتهم، فحدثت معركة عظيمة بين الفريقين وكثر القتل في الزواقيل، وبلغ ذلك عبد الملك فوجه اليهم من يأمرهم بالكف عن القتال فلم يفعلوا؛ فضرب كفاً على كف وصاح؛ واذلاه!! أتستضام العرب في دارها وبلدها؟ فغضب من كان أمسك عن القتال من الأبناء وتفاقم الشر.

فقام عندئذٍ رجل من أهل حمص وقال : يا أهل حمص إنكم قد بعدتم عن بلدكم ، ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة ؛ الا وفي الشر وقعتم والى حومة الموت أنختم . ان المنايا في شوارب المسودة وقلانسهم . النفير... النفير قبل أن ينقطع السبيل وينزل الأمر الجليل ، ويفوت المطلب ويعسر المذهب ، ويبدأ العمل ويقترب الأجل ؛ الهرب أهون من العطب والموت أهون من الذل .

وقام رجل من كلب على ناقته وأنشد :

شؤبوب حرب خاب من يصلاها   قد شرّعت فرسانها قناها
فأورد الله لظى لظاها   إن غمرت كلب بها لحاها

ثم قال : يا معشر كلب ؛ إنها الراية السوداء ، والله ما ولت ولا عدلت ، ولا ذل نصرها ولا ضعف وليها . وإنكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم وآثار أسنتهم في صدوركم . اعتزلوا الشر قبل أن يعظم وتخطوه قبل أن يضطرم ؛ ألا وإني راجع فمن أراد الانصراف فلينصرف معي .

ثم سار فسار معه الحمصيون وقبائل كلب وبانسحابهم ضعف أمر أهل الشام (ابن خلدون ٣ ص ٢٣٨ و٢٧٠) .

٥ً — حمص والمتوكل على الله

في ٢٧ ذي الحجة سنة (٢٣٥ هـ — ٨٤٩م) عقد المتوكل بولاية عهده لبنيه الثلاثة : محمد ولقبه المنتصر بالله وأبي عبد الله (وقيل إن اسمه طلحة أو الزبير) ولقبه المعتز بالله . وابرهيم ولقبه المؤيد بالله ؛ وأقطع كلاً منهم قسماً من المملكة ؛ فكانت حمص ودمشق والأردن وفلسطين مما ضم الى ابنه ابرهيم المؤيد بالله .

وفي هذه السنة بالذات أصدر المتوكل أمره بالتضييق على النصارى وكافة أهل الذمة من جهة اللباس وطرق الركوب وسوى ذلك ؛ الأمر الذي جعلهم ينقمون عليه مع من نقموا .

وروى ابن خلدون (٣ ص ٢٧٦) أن أهالي حمص وثبوا سنة ٢٣٧ هـ بعاملهم المغيث موسى بن ابرهيم الرافقي لقتله بعض رؤسائهم فأخرجوه من المدينة وقتلوا عدداً من أصحابه ؛ فولى المتوكل مكانه محمد بن عبدويه الأنباري فأساء اليهم وعسف فيهم أيضاً

فثاروا عليه ولكن المتوكل أمدّه بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة كما هدم كنائسهم وأدخل منها بيعة في الجامع الذي كانت تجاوره.

أما الطبري (١١ ص ٤٩ وعنه ابن الأثير ٧ ص ٢٣ و ٢٤) فقد فصل هذه الحوادث تفصيلاً يجدر بنا تدوينه، كما حدد حادثتي الوثوب بعاملي المتوكل في سنة (٢٤٠ هـ — ٨٥٤م) وسنة (٢٤١هـ — ٨٥٥م) قال:

في سنة ٢٤٠ هـ وثب أهل حمص بعاملهم وسبب ذلك أن العامل (وهو وقتئذٍ أبو المغيث موسى بن ابرهيم) قتل رجلاً من رؤساء حمص فوثب الأهلون في جمادى الآخرة من هذه السنة فقتلوا جماعة من أصحابه، ثم أخرجوه وأخرجوا معه صاحب الخراج من مدينتهم. وبلغ ذلك المتوكل فوجه إليهم عتاب بن عتاب ومعه محمد بن عبدويه الأنباري وأمره أن يقول لهم: إن أمير المؤمنين قد أبدلكم رجلاً مكان رجل؛ فإن سمعوا وأطاعوا، فولِّ عليهم محمد بن عبدويه؛ وإن أبوا وثبتوا على ضلالهم فأقم بمكانك واكتب الى أمير المؤمنين حتى يوجّه اليك رجاء أو محمد بن رجاء الحضاري أو غيره من أهل الخيل لمحاربتهم.

فركب عتاب من سرمن رأى يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة. ولما وصل الى حمص، قبل الأهلون بمحمد بن عبدويه والياً عليهم. ولكن هذا عمل بهم الأعاجيب مما حملهم على محاربته سنة (٢٤١هـ — ٨٥٥م) وكان ذلك في جمادى الآخرة أيضاً؛ أي بعد سنة كاملة من ثورتهم الأولى.

وقد اتفقت كلمة النصارى والمسلمين على مناهضة ابن عبدويه لما أظهره من الشدة والظلم الذي لا يرضى به ذوو الإباء. فكتب الوالي بذلك الى المتوكل، فأمره بمناهضتهم وأمدّه بجند من دمشق مع صالح العباسي التركي وبجند آخر من الرمله وكلفه في حالة فوزه بهم أن يأخذ ثلاثة من زعمائهم فيضربهم بالسياط ضرباً مبرّحاً؛ فإذا ماتوا، صلبهم على أبواب منازلهم، وأن يأخذ بعد ذلك منهم عشرين رجلاً، فيضرب كلاًّ منهم ثلاثمائة سوط ثم يحملهم بالحديد الى باب أمير المؤمنين؛ وأن يخرب ما في المدينة من الكنائس والبيع؛ وأن يدخل البيعة التي إلى جانب مسجدها في المسجد؛ وأن لا يترك في المدينة نصرانياً إلّا أخرجه منها؛ على أن ينذرهم قبل ذلك بثلاثة أيام، فمن وجده بعدها أحسن تأديبه. وأمر المتوكل لمحمد بن عبدويه بخمسين ألف درهم، كما أمر لقواده ووجوه أصحابه بصلات حسنة.

فأخذ محمد بن عبدويه عشرة من زعماء حمص وأرسلهم الى دار أمير المؤمنين دون أن يضربهم. فوجه المتوكل رجلاً من أصحاب الفتح بن خاقان اسمه محمد بن رزق الله ليردَّ من الذين وجَّههم اليه ابن عبدويه: محمد بن عبد الحميد الحيدي والقاسم بن قاسم الى حمص؛ وأن يضربهما ضرب التلف وأن يصلبهما على باب حمص. فردهما وضربهما بالسياط حتى ماتا، ثم صلبهما على باب المدينة كما أمر الخليفة. أما البقية الذين وصلوا الى سرمن رأى، وكان قد توفي واحد منهم في الطريق فحمل رأسه معهم؛ وقد أمر الخليفة بضربهم بالسياط حتى مات منهم خمسة وبقي الثلاثة الآخرون في السجن.

ثم كتب محمد بن عبدويه بعد ذلك رسالة الى الخليفة يقول له فيها: إنه ظفر برجل من المخالفين يقال له عبد الملك بن اسحق بن عمارة. وكان كما قال من رؤوس الحمصيين — فأمره الخليفة بضربه بباب حمص بالسياط حتى الموت، ففعل ابن عبدويه كما أمر الخليفة. ولما مات عبد الملك ثم صلبه على حصن يعرف بتلّ العباس.

٩ — الحمصيون والفضل بن قارن

ذكر المؤرخون أن أهل حمص في سنة (٢٤٨هـ — ٨٦٤م) وثبوا على عاملهم كندر ابن عبيد الله فأخرجوه منها. فوجه اليهم الخليفة المستعين، الفضل بن قارن فقتلوه؛ فأرسل اليهم الخليفة: موسى بن بغا الكبير، فحاربوه بين حمص والرستن، فهزمهم وفتح حمص فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ثم هدم سورها وحمل الى سرمن رأى مئة من أعيانها بعد أن أحرقها.

وقال البلاذري (١ ص ١٤١): كانت حمص مفروشة أرضها بالصخر. فلما كانت أيام أحمد بن محمد بن أبي اسحق المعتصم (المستعين بالله)؛ ثاروا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري أخي مازيار؛ فأمر بقلع ذلك الفرش. ولكن الحمصيين أظهروا المعصية وأعادوا ذلك الفرش الى شوارع مدينتهم وحاربوا الفضل حتى تمكنوا منه فنهبوا أمواله ونساءه؛ ثم أخذوه فقتلوه وصلبوه. فوجه اليهم الخليفة وقتئذٍ؛ موسى بن بغا الكبير؛ فحاربوه وفيهم خلق كبير من نصارى المدينة ويهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة، وكان بين القتلى زعيم حمص عطيف بن نعمة الكلبي. ثم تبع موسى المنهزمين الى حمص فدخلها عنوة سنة (٢٥٠هـ — ٨٦٤م) (ابن خلدون ٣ ص ٣٠٠).

ومكث موسى بن بغا في مدينة حمص الى سنة (٢٥١ هـ — ٨٦٥م) حينما تجاذبه كل من المستعين والمعتز لتأييده فانصرف الى المعتز أخيراً وصار معه (الطبري ١١ ص ١٠١ و١٠٢).

حمص في أيام آل طولون

أصل الأسرة الطولونية من تركستان وقد أسر عميدها طولون في احدى المعارك فقدمه ابن أسد الصمامي سنة (٢٠٠ هـ — ٨١٥م) الى المأمون، فنال حظوة لديه، وألحقه ببطانته. ولم يزل يترقى ويتقدم حتى أصبح رئيساً للحرس، فأمضى في هذا المنصب نحواً من عشرين سنة في أيام المأمون والمعتصم، وصار رب أسرة وأولاد، منهم أحمد أول ملوك هذه الأسرة.

ولد أحمد بن طولون سنة (٢٢٠ هـ — ٨٣٥م) ونشأ ديّناً كريم النفس. ولما توفي والده سنة (٢٣٩ هـ — ٨٥٣م) خلفه في منصبه. ولما خلع المستعين؛ كلف ابن طولون بقتله على أن يكافأ بولاية واسط؛ فأبت عليه شهامته ارتكاب الجرم التماساً للمنفعة. ولكن المعتز أرسل من اغتال الخليفة؛ فلما دخل ابن طولون ووجده جثة بلا رأس، استقبح هذا العمل، ثم غسل الجثة وواراها الثرى بإكرام واحترام؛ الأمر الذي رفع قدره كثيراً في عيون الناس.

تولى أحمد بن طولون إمارة مصر كنائبٍ لمن عين عليها ولم يذهب، فاكتسب من النفوذ والسطوة هناك ما أجزع الخلفاء ومماليكهم منه. وشعر ابن طولون بسوء نيتهم، فاغتنم سانحة وفاة أمير الشام سنة (٢٦٤ هـ — ٨٧٧م) فجهز جيشاً واقتحم الشام فملكها (دول الاسلام ١ ص ٢٦٣ — ٢٦٦) فكان ابن طولون هذا أول من نزع ربقة الخلافة العباسية؛ وأول متغلب حقيقي ظفر بملك الشام مجبراً الخلفاء العباسيين على ممالأته والموافقة على ما تملكه. والى القارىء أسماء المالكين من الطولونيين:

١ — أحمد بن طولون (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ، ٨٦٨ — ٨٨٣م)

٢ — خمارويه بن أحمد (٢٧٠ — ٢٨٢ هـ، ٨٨٣ — ٨٩٥م)

٣ — جيش بن خمارويه (٢٨٢ — ٢٨٣ هـ، ٨٩٥ — ٨٩٦م)

٤ — هرون بن خمارويه (٢٨٣ — ٢٩٢ هـ، ٨٩٦ — ٩٠٤م)

٥ — شيبان بن أحمد (٢٩٢ — ٢٩٢هـ، ٩٠٤ — ٩٠٤م)

أما أهم الأحداث التي جرت في حمص أيام الطولونيين فقد نسقناها كما يلي :

١ — استيلاء ابن طولون على حمص

لما بويع المعتز بالخلافة سنة (٢٥٢هـ — ٨٦٦م) وأخرج المستعين الى واسط ؛ عين أحمد بن طولون لمرافقته ؛ فكان لهذه اللفتة ، أثر حسن في نفوس الأتراك. فلما قلد المعتز أعمال مصر لباكباك التركي ؛ طلب هذا من يخلفه فيها ، فذكر له أحمد بن طولون ، فاستخلفه عليها وضم اليه جيشاً كبيراً ؛ فسار اليها أحمد في رمضان سنة (٢٥٤هـ — ٨٦٨م). فلما قتل المعتز وبويع المهتدي (٢٥٥هـ — ٨٦٩م) قتل باكباك وعين المهتدي على مصر ماجور التركي وهو حمو أحمد بن طولون ؛ فاستعمله هذا على مصر كلها سنة (٢٥٧هـ — ٨٧١م) ؛ ولذا فقد قوي أمر ابن طولون وعلا شأنه وكثر رجاله وضاقت بأسلحته أمكنته فمضى الى مقابر اليهود والنصارى فحرثها واختط فيها مواضع للذخائر.

ولما عصي عليه أهل برقة سنة (٢٦١هـ — ٨٧٤م أرسل اليهم غلامه لؤلؤاً فأعادهم الى الطاعة.

وخشي الموفق أخو الخليفة المعتمد نفوذ ابن طولون فحاول عزله من ولاية مصر، فلم يجد من يخلفه نظراً للحرمة التي كانت لابن طولون في قلوب المصريين؛ وعرف الأخير بسوء قصد الموفق فتنافرا . فأرسل هذا لإخضاعه موسى بن بغا في جيش كثيف. فلم يتوفق ، بل مرض في الطريق ومات سنة (٢٦٤هـ — ٨٧٧م) . ورأى ابن طولون في وفاة موسى فألاً حسناً وقويت مطامعه إذ مات في السنة نفسها ماجور والي دمشق فأسرع ابن طولون بقواته الى الشام ، بعد ما عرف من الرسائل التي أرسلها ان البلاد لا تمانع في دخوله اليها ، ولقيه ابن ماجور في الرحلة ، فأقره عليها ، ثم سار الى دمشق فملكها واستخلف عليها أحمد بن ذي غياث كما أقر قواد ماجور على اقطاعهم . وتابع سيره الى حمص فلقيه عيسى الكرمي خليفة ماجور عليها فسلمها اليه فأقره عليها . وأرسل الى سيما الطويل حاكم انطاكية ، يدعوه الى طاعته فأبى ؛ فجهز ابن طولون عليه حملة قضى فيها على سيما المذكور سنة (٢٦٥هـ — ٨٧٨م) ثم دخل المدينة فاتحاً (الخطط ١ ص ٢٠١).

حمص وعيسى الكرخي

ويظهر من قرائن الأحوال أن الحمصيين لم يكونوا راضين عن عاملهم عيسى الكرخي لاستبداده وظلمه ؛ فثاروا عليه في شوال سنة (٢٦٦ هـ — ٨٧٩ م) وفتكوا به ؛ فولى عليهم ابن طولون غلامه لؤلؤاً وأضاف الى ولايته حلب وقنسرين وديار مضر من الجزيرة الفراتية (الطبري ١١ ص وابن خلدون ٣ ص ٣٤٢).

تمرّد لؤلؤ على ابن طولون

شغلت حروب الزنج الموفق عن ابن طولون. فلما بدت له تباشير النصر وشعر أن أخاه المعتمد الخليفة العباسي يمالىء ابن طولون ضده، عاتب أخاه لمالأته من يريد خراب المملكة. عندئذٍ قطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره. وغضب الموفق لأجل ذلك وحمل المعتمد على أن يأمر بلعنه على المنابر ؛ ففعل الخليفة ولعن ابن طولون ؛ الأمر الذي جرّأ لؤلؤاً غلامه على الثورة على معلمه وسار من حمص الى بانس فنهبها. وأعلن الموفق ارتياحه الى عمل لؤلؤ الذي سبق وكاتبه في انه سيفارق ابن طولون ويعمل تحت رايته مشترطاً لنفسه شروطاً وافقه الموفق عليها. فتوجه لؤلؤ من الرقة ومعه جماعة من أهل الرافقة الى قرقيسيا وعليها صفوان العقيلي فتحارب معه وأخذ منه المدينة. ثم أقبل الى بغداد التي استقدمه اليها الموفق ؛ وظل هذا في خدمته الى سنة (٢٧٣ هـ — ٨٨٦ م) حينما قبض عليه الموفق مطالباً إياه بأربعمائة دينار. وكان لؤلؤ يقول : لا ذنب لي إلّا كثرة مالي. وحدث ذلك في ٢٢ ذي القعدة سنة ٢٧٣ هـ. وظل لؤلؤ معتقلاً الى سنة ٢٨٢ هـ حينما أطلقه الخليفة المعتضد. (ابن خلدون ٣ ص ٣٣٠ و ٣٣١ وابن الأثير ٧ ص ١٤٢ والطبري ١١ ص ٣٤٦).

خلف ويازمان

في ربيع الأول سنة (٢٦٩ هـ — ٨٨٢ م) وثب خلف صاحب ابن طولون على الثغور الشامية بيازمان الخادم مولى الفتح بن خاقان وسجنه ؛ فثار جماعة من أهل الثغر على خلف وأنقذوا يازمان وفرخلف. فترك أهل الثغور الدعاء لابن طولون ولعنوه على المنابر ؛ وبلغ ذلك ابن طولون فخرج من مصر حتى صار الى الشام ونزل قرب طرسوس حيث اعتصم الأهلون بها ومعهم يازمان. فأقام ابن طولون في اذنه مدة ثم انصرف الى انطاكية فأعادها الى حكمه ومنها الى حمص فدمشق حيث مكث فيها (الطبري ١١ ص ٢٩٦ وابن الأثير ٧ ص ١٣٢ وابن خلدون ٣ ص ٣٤٣).

اسحق بن كنداج في حمص

لما توفي أحمد بن طولون سنة (٢٧٠ هـ ـــ ٨٨٣ م) كان اسحق بن كنداج عاملاً على الجزيرة وابن أبي الساج عاملاً على الكوفة فطمعا في امتلاك الشام واستأذنا الموفق في ذلك ، فأذن لهما ووعدهما بالمدد. فسار اسحق الى الرقة والثغور والعواصم فملكها من يد ابن دعباس عامل ابن طولون ؛ وتراجع من الشام من نواب أحمد بانطاكية وحلب وحمص فاستولى عليها جميعاً.

وكان خمارويه بن أحمد بن طولون ، قد خلف أباه سنة (٢٧٠ هـ ـــ ٨٨٣م) وهو ابن عشرين سنة ، فبعث بالجيوش الى الشام فملكوا دمشق وهرب العامل الذي انتقض بها. ثم توجه الجيش المصري الى شيزر فأقام عليها قبالة اسحق وابن أبي الساج ؛ وكانا ينتظران المدد من العراق. ثم هجم الشتاء فتفرق عسكر خمارويه في بيوت شيزر. ووصل بعدئذٍ جيش العراق تحت إمرة أحمد بن الموفق (الذي صارت اليه الخلافة (٢٧٩ هـ ـــ ٨٩٢ م) ولقب المعتضد بالله) فكبسوا عسكر خمارويه في دور شيزر وفتكوا بهم ونجت منهم قلة اتجهت الى دمشق ؛ ولكن المعتضد تابعهم حتى بلغ دمشق فاستولى عليها سنة (٢٧١ هـ ـــ ٨٨٤م) بعد أن تخلت عنها عساكر خمارويه.

عودة حمص الى خمارويه

لم يتوفق خمارويه في حربه الأولى ، فعاد ثانية ولكنه لم يكد يبلغ فلسطين حتى عرضت له أمور أجبرته على العودة الى مصر ؛ فأقام فيها الى ذي القعدة سنة (٢٧٢ هـ ـــ ٨٨٥م) ، حيث خرج ثالثة الى الشام ، فاستولى على دمشق في محرم سنة (٢٧٣ هـ ـــ ٨٨٦م) مستخلصاً اياها من سعيد الأيسر. ثم سار لقتال ابن كنداج ففاز عليه ، وفر خصومه من أمامه.

وفي سنة (٢٧٥ هـ ـــ ٨٨٨م) انتقض ابن أبي الساج على خمارويه لأن ابن كنداج سار الى مصر واتفق مع خمارويه بعد أن أعلن خضوعه. فسار خمارويه اليه فلقيه عند دمشق في المحرم فهزمه واباح معسكره. وكان ابن أبي الساج قد وضع خزائن ماله في حمص. فأرسل خمارويه عسكراً اليها فمنعوه من دخولها واستولوا على خزائنه ؛ فسار الى حلب ثم إلى الرقة وخمارويه يتبعه حتى اجتاز الفرات. عندئذٍ أرسل خمارويه قواته مع ابن كنداج لمطاردته فتمكن هذا من الاستيلاء على ديار ربيعة ومضر ؛ واقام الخطبة فيها

لخمارويه ، مما أدخل رهبته في قلب الموفق نفسه ، فصالحه وكتب له بولاية الشام ومصر والثغور ثلاثين سنة .

ولما توفي الموفق سنة (٢٧٨ هـ — ٨٩١م) والمعتمد سنة (٢٧٩ هـ — ٨٩٢م) وبويع المعتضد بن الموفق ؛ ارسل خمارويه للمعتضد هدايا وتحفاً ثمينة لا تقدر بثمن ، كما عرض عليه أن يزوج ابنته قطر الندى الى ولده المكتفي ، فقال المعتضد : بل أنا أتزوجها فزفت اليه سنة (٢٨١ هـ — ٨٩٤م) ؛ وبزواجها زالت الوحشة بين خمارويه والمعتضد.

وكان وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان قد اقنع خمارويه بالاقتصار على حمص ودمشق والاردن وفلسطين ومصر وبرقة ؛ وان يجلو عن ديار مضر وقنسرين والعواصم وطريق الفرات والثغور ، فرضي خمارويه بذلك وسجل هذا الاتفاق الذي وقعه المعتضد وخمارويه (الطبري ١١ ص ٣٦٧ والخطط ١ ص ٢٠٣).

القرامطة في حمص

في سنة (٢٨٩ هـ — ٩٠١م) اشتدت شوكة القرامطة وهزموا جيش طفج بن جف الفرغاني عامل دمشق وحمص والأردن لهرون بن حمارويه. ولكن عسكر هرون ما لبثوا أن تجمعوا فهاجموا القرامطة وتمكنوا من قتل مقدمهم يحي المعروف بالشيخ. فقام مقامه أخوه الحسين وتسمى أحمد صاحب الشامة. ولما كثر جمعه صالحه أهل دمشق وعاضدوه ؛ فترك الشام وهاجم حمص فاستولى عليها سنة ٩٠٣م وخطب له على منابرها وتسمى المهدي امير المؤمنين وعهد بالامامة من بعده الى عمه عبد الله ولقبه المدثر ؛ زاعماً انه المدثر المذكور في القرآن الكريم.

ثم سار صاحب الشامة الى حماه والمعرة وغيرهما فاخضعها وأخذ سلمية بالأمان. ولكنه فشل في النهاية ابان قتاله مع جيوش المكتفي فأسر وقتل بعد أن مثل به وعذب عذاباً شديداً (الطبري ١١ ص ٣٨٦ — ٣٩٠).

وصيف بن صوارتكين امير حمص

في أواخر أيام الطولونيين ، أمر وصيف بن صوارتكين امير حمص غلامه لؤلؤاً .. عامله على معرة النعمان بحفر خندق حول المدينة ؛ لما حاصره سنة (٢٨٧ هـ — ٩٠٠ م) جهير بن محمد التنوخي ومعه بنو كنانة ؛ وطال القتال دون أن يتمكن المحاصرون من فتح المعرة.

ومما يذكر أن المكتفي لما تفاقم خطر القرامطة ، وجه اليهم سنة (٢٩١ هـ — ٩٠٣ م) جيشاً مع خيرة قواده مثل وصيف بن صوارتكين التركي أمير حمص والفضل بن موسى بن بغا وسواهما فقتلوا عدداً كبيراً من القرامطة ومثلوا بهم .

ومما ذكره الطبري (١١ ص ٤٠٣) ان اعراب طيء سنة (٢٩٤ هـ — ٩٠٦ م) حاصروا وصيف بن صوارتكين التركي أمير حمص = بغيد (وهي قرية بين مكثر والكوفة) وكان قد وجه أميراً على موسم الحج . فحوصر هنالك ثلاثة أيام ؛ ثم خرج اليهم فحاربهم وانتصر عليهم ؛ ثم رحل وصيف من فيد بمن معه من الحجيج (ابن الأثير ٧ ص ١٨٢) .

الفصل العاشر

أمراء حمص في هذه الحقبة

١ — صالح بن علي بن عبد الله بن العباس :

توفي وهو عامل على حمص في بلدة قنسرين سنة (١٥٤ هـ — ٧٧٠ م) (البستاني ١٠ ص ٦٨٣)

٢ — عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس :

هو أحد اركان الدعوة العباسية وامرائها المقدمين ، حارب الأمويين مع أخيه عبد الله ابن علي فاستولى على قنسرين وحمص وبايع اهلها للعباسيين بواسطته . ولما خرج أخوه على أبي جعفر المنصور بعد موت السفاح ، ايده عبد الصمد فقبض عليه وسجن ثم أطلق سراحه . وولى عبد الصمد للحلفاء العباسيين أعمالاً كثيرة كمكة والمدينة والجزيرة ودمشق وحمص وتوفي سنة (١٧٥ هـ — ٧٩٢ م) (البستاني ١١ ص ٥٩٣).

٣ — الاحوص بن حكيم العنسي :

روى ابن عساكر (٢ ص ٣٣٣) ان الاحوص ولي عمل حمص وكان ابن عيينة يفضله على ثور في الحديث . وكان الاحوص رجلاً عابداً ، مجتهداً توفي بعد سنة (١٧٠ هـ — ٧٨٧ م)

٤ — اسحق بن سليمان الهاشمي :

هو اسحق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ؛ من امراء العباسيين المشهورين ؛ استعمله الرشيد على المدينة بعد عزل عمر بن عبد العزيز العمري سنة (١٧٠ هـ —

٧٨٧م). ثم غزا الصائفة سنة (١٧٢ — ٧٨٩م) ثم استعمله الرشيد على السند ومكران سنة (١٧٤ هـ — ٧٩١م). ثم ولاه الرشيد على مصر بعد عزل عبد الله بن المسيب سنة (١٧٧ هـ — ٧٩٤م). ولما ثار الحوفية عليه، أمده الرشيد بهرثمة بن اعين فقاتلهم وخضد شوكتهم ثم استلم منه امارته فاستعمله الرشيد على البصرة. ثم ولاه الأمين على حمص سنة (١٩٤ هـ — ٨٠٩م) وفي أيام ولايته ثار الحمصيون فعزله الأمين.

٥ — عبد الله بن سعيد المرشي:

هو عبد الله بن سعيد بن عمرو المرشي، القائد العباسي الشجاع؛ حارب شوذب الخارجي الذي تولى خراسان؛ سمّاه ابن هبيرة: فارس قيس. وبعد الله هذا شعر في الاباء منه هذه الأبيات:

فلست لعامر إن لم تروني ... أمام الخيل أطعن بالعوالي
وأضرب هامة الجبار منهم ... بماضي القرم جودث بالنصال
فما أنا في الحروب بمستكين ... ولا أخشى مصاولة الرجال
أبى لي والدي من كل ذمٍّ ... وخالي حين يذكر خير خال

ولما ثار الحمصيون على عاملهم اسحق بن سليمان، انتدب الأمين عبد الله بن سعيد المرشي ليحل محله. ويظهر انه تمكن من تهدئة الثورة واخماد الفتنة بما أوتيه من حزم وحكمة لفترة وجيزة.

٦ — ابرهيم بن العباس:

ذكر ابن خلدون: ان الحمصيين لم يهدأ ثائرهم على اثر فتنة اسحق بن سليمان ولم يستطع عبد الله بن سعيد المرشي قمعها بصورة قاطعة لذلك ولى عليهم الخليفة ابرهيم بن العباس.

٧ — عبد الملك بن صالح:

هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي؛ أمير عباس ولاه الهادي امرة الموصل سنة (١٦٩ هـ — ٧٨٥م) وعزله الرشيد سنة (١٧١ هـ — ٧٨٧م). ثم عينه على المدينة والصوائف؛ ولما بلغه انه يطلب الخلافة لنفسه سجنه في بغداد سنة

(١٨٧هـ — ٨٠٢م) ثم اطلقه الأمين وولاه الشام سنة (١٩٣هـ — ٨٠٨م) بما فيها حمص. توفي سنة (١٩٦هـ — ٨١١م).

٨ — الحسن بن موسى البغدادي

تولى امرة حمص وتوفي فيها سنة (٢٠٩هـ — ٨٢٤م)

٩ — ابرهيم بن أيوب الحوراني

تولى عمالة حمص سنة (٢٣٨هـ — ٨٥٢م)

١٠ — موسى بن ابرهيم الرافعي :

هو ابو المغيث موسى بن ابرهيم الرافعي ، ذكرة المؤرخون الثلاثة : الطبري وابن الأثير وابن خلدون : انه كان حاكماً على حمص سنة (٢٤٠هـ — ٨٥٤م) وأن الحمصيين ثاروا عليه .

١١ — محمد بن عبدويه :

هو القائد الذي ارسله المتوكل سنة (٢٤٠هـ — ٨٥٤م) لاخضاع الثوار في حمص ؛ ولكنه بعدما تسلم الحكم شدد عليهم الخناق فثاروا عليه وحاربوه سنة (٢٤١هـ — ٨٥٥م).

١٢ — علي بن الحسن :

تولى ضبط زمام الأمور والأمن في حمص بعد ابن عبدويه سنة (٢٤١هـ — ٨٥٥م)

١٣ — كيدر بن عبيد الله :

يذكر المؤرخون : انه بعد علي بن الحسن الذي ثار عليه الحمصيون سنة (٢٤٨هـ — ٨٦٢م) وأخرجوه من المدينة ؛ وجه اليهم الخليفة المستعين ، كيدر بن عبيد الله ليحل محله .

١٤ — الفضل بن قارن :

هو الحاكم الذي مكر بالحمصيين وقتل منهم خلقاً كثيراً وحمل معه من وجوههم مئة رجل الى سر من رأى ، بعد أن هدم سور مدينتهم . وهو الذى ثار عليه الحمصيون ثانية

بقيادة عطيف بن نعمة الكلبي فحاربهم ولكنهم اتحدوا عليه جميعاً ؛ اذ اتفق النصارى واليهود مع المسلمين على مقاتلته ؛ ففازوا عليه ونهبوا ماله ونساءه ثم اماتوه صلباً واقاموا عليهم عطيف بن نعمه الكلبي. فوجه اليهم الخليفة : موسى بن بغا الكبير بجيش ضخم تمكن بواسطته من دخول المدينة كما أمر بقتل الكثيرين من الأهلين.

١٥ — عطيف بن نعمه الكلبي :

هو الزعيم الذي اضرم نار الثورة ضد الفضل بن قارن حاكم حمص. ولكان هذا الرجل فاز باستقلال بلده لولا القوات العظيمة التي جاء بها معه الى حمص القائد موسى بن بغا وهكذا فشل الحمصيون واضطر عطيف ان يلوذ بالبدو.

وعمد الخليفة المستعين الى استرضائه بأن عينه حاكماً على قنسرين. وما أن وثق به عطيف حتى غدر به اذ أوعز الى محمد المولد بقتله غيلة ففعل.

١٦ — منجور :

يذكر المؤرخون ان منجور كان حاكماً على حمص سنة (٢٦١ هـ — ٨٧٤م) ويذكرون ان الاعراب وثبوا به فقتلوه فاستعمل الخليفة عليها يكتمر.

١٧ — عيسى الكرخي :

هو الذي احسن استقبال ابن طولون سنة (٢٦٤ هـ — ٨٧٧م) في حمص؛ فأقره عليها. وظل فيها حتى سنة (٢٦٦ هـ — ٨٧٩م) حينما استاء منه الحمصيون فثاروا عليه وفتكوا به؛ فولى عليهم ابن طولون بدلاً منه غلامه لؤلؤاً.

١٨ — لؤلؤ :

هو غلام أحمد بن طولون؛ تولى حكم حمص ثم أضيفت اليه حلب وقنسرين وديار مضر من الجزيرة فبقي مدة ضابطاً زمام الادارة في البلاد الشمالية من الشام.

١٩ — بكار الهاشمي :

هو الذي اخذ يدعو الى أبي احمد الموفق فحاربه ابن عباس الكلابي فانخذل، فارسل اليه لؤلؤ جيشاً كثيفاً بقيادة بودن فلم يتوفق وعاد بعد أن تشتت قواته. وأدى هذا الى تمرد لؤلؤ نفسه بعدما شعر بالبرودة الحاصلة بين المعتمد وأخيه الموفق وانضم الى الموفق فجاء ابن

طولون بنفسه الى الديار الشامية وكان لحمص حصة من وجوده لاقامته فيها بعد عزله الهاشمي.

٢٠ — اسحق بن كنداج:

بعد وفاة ابن طولون حصلت معارك متعددة بين ابن كنداج وخمارويه استولى في نهايتها اسحق على انطاكية وحلب وحمص.

٢١ — خمارويه:

هو خمارويه بن احمد بن طولون؛ الذي لم يتوفق في معاركه الأولى في بلاد الشام ولكنه فاز في النهاية على خصومه واعاد بسط سيطرته على الديار الشامية كلها بما فيها مدينة حمص.

٢٢ — ابن أبي الساج:

حاول ابن أبي الساج استرداد مخزوناته من حمص، فحال جيش خمارويه دون تحقيق ذلك سنة (٢٧٥ هـ — ٨٨٨ م). ولما زالت الوحشة بين الخليفة العباسي وخمارويه بترويج الأول من ابنة الثاني؛ اقنع وزير المعتضد خمارويه بالاقتصار على حمص وما يليها من الجنوب الى برقة وان يترك شمالي حمص الى الفرات للمعتضد ففعل.

٢٣ — وصيف بن صوارتكين:

ذكر المؤرخون أن وصيف بن صوار تكين كان اميراً على حمص في اواخر حكم الطولونيين سنة (٢٨٧ هـ — ٩٠٠ م).

٢٤ — طغج بن جف:

يذكر المؤرخون ان طغج بن جف الفرغاني — كان في أيام القرامطة — عاملاً لهرون بن خمارويه على حمص سنة (٢٨٩ هـ — ٩٠١ م) لما هاجم القرامطة بلاد الشام.

٢٥ — احمد صاحب الشامة:

ويأتي بعد من ذكرنا؛ الحسين المعروف بأحمد صاحب الشامة الذي هاجم حمص واستولى عليها سنة (٢٩١ هـ — ٩٠٣ م). وخطب له على منابرها وتسمى المهدي امير المؤمنين.

هؤلاء هم الأشخاص الذين بنا أخبارهم بأنهم تولوا امارة حمص وجميعهم تبطنت اسماؤهم اسفار التاريخ. ولعل سوانا من المدققين المنقبين يهتدون الى سواهم ممن ولي الأحكام في حمص، فيرسلون شعاعاً ثانياً من أشعة البحث، تنجلي به زاوية أخرى من دفائن تاريخ حمص.

حمص والجغرافيون

نشأ علم الجغرافيا عند العرب في العصر العباسي التالي (٢٣٢ — ٣٣٤هـ، ٨٤٦ — ٩٤٥م) بعدما نقل علماؤهم علوم القدماء الى اللغة العربية وفي جملتها المجسطين لبطليموس الذي نشأ في القرن الثاني قبل الميلاد؛ ويعتبر عند علماء الجغرافيا رابع الرياضيين القدماء. وقد ترجم كتابه في أيام المأمون وكان معتمد الجغرافيين في تقويم البلدان. على أن المسلمين اهتموا بالجغرافيا قبل ترجمة ذلك الكتاب لأن الحج كان فريضة موجبة على كل مسلم يستطيع اليه سبيلاً؛ وهذا يقتضي معرفة الطرق والمنازل، فاهتم بعضهم في بسط المعلومات بهذا الشأن، كما اهتم بها الذين كانوا يرحلون في طلب العلم الى سائر الأمصار الاسلامية. ولكن علم الجغرافيا لم ينضج كفن الا في القرن الرابع الهجري.

وقد عرفنا من جغرافيي العرب في هذه الحقبة الذين ذكروا حمص التالية اسماؤهم:

١ — ابن خُرداذبه:

هو ابو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه؛ الذي نشأ في اواسط القرن الثالث للهجرة ووضع كتاباً في الجغرافيا سماه «المسالك والممالك» ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في اواسط القرن الثالث. وقد بلغت جباية حمص وجندها/ ٣٤٠/ ألف دينار مما يبين أهمية حمص في ذلك فانها قارنت جباية قنسرين والعواصم في الشمال ودمشق في الجنوب اذ كان كل منها/ ٤٠٠/ ألف دينار فقط (كشف الظنون ٢ ص ٤٢٣) وتوفي ابن خرداذبه سنة (٣٠٠هـ ٩١٢م) (دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ٢ ص ٤٩١ — ٤٩٢).

٢ — ابن الفقيه الهمذاني:

هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحق بن ابرهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه، من رجال الأدب في اواخر القرن الثالث. له عدة مؤلفات؛ عرفنا منها «كتاب البلدان» الفه

بعد وفاة المعتضد سنة (٢٧٩ هـ)، وصف فيه الأرض والبحار في معظم البلاد الآسيوية والافريقية ومنها الشام وفلسطين. قال فيه ابن النديم (الفهرست ص ٢١٩): اخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني (والجيهاني هذا هو وزير صاحب خراسان، كان له كتاب المسالك، ضاع وقام مقامه كتاب البلدان لابن الفقيه.

وقد رأينا في كتابه المذكور المطبوع في ليدن (١٣٠٢ هـ — ١٨٨٥ م) ص/ ١١٢/ عن حمص ما نصه:

وقالوا حمص من بناء اليونانيين، وزيتون فلسطين من غرسهم. وهي مدينة افتتحها خالد بن الوليد وصالح أهلها على مائة وسبعين الف دينار. وكانت مدينة حمص مفروشة بالصخر وهي اليوم كذلك. ومن عجائب حمص صورة على باب المسجد الجامع بجنب البيعة على حجر أبيض، أعلى الصورة صورة انسان واسفلها صورة عقرب؛ فاذا لدغ العقرب انساناً فأخذ طيناً ووضعه على تلك الصورة ثم اراقه في الماء وشربه، سكن وجعه وبرىء من ساعته. ويقال ان تلك الصورة طلسم العقرب خاصة. وكان فتح حمص قبل دمشق في اول ليلة من رجب سنة (١٤ هـ ٦٣٥ م).

ويذكر ابن الفقيه ص ١٣٤ عند حديثه عن عجائب الأبنية: ولابناء بطاقات الحجارة أبهى من كنيسة حمص. كما يذكر في ص ٢٩٣ عند ذكره فتوح حبيب بن مسلمة في زمن عثمان فيقول: وسار حبيب راجعاً الى الشام بعد فتح ارمينيا فكان يغزو الروم، ثم نزل حمص فنقله معاوية الى دمشق فمات فيها. (دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ٣ ص ٤٣٣)

٣ — ابن الحائك:

هو ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمذاني من قبيلة همذان باليمن، ويعرف بابن الحائك توفي سنة (٣٣٤ هـ — ٩٤٥ م) في سجن صنعاء. وترك عدة مؤلفات في الفلك والطبيعيات والجغرافيا؛ وصلنا منها كتاب الاكليل، قال فيه حاجي خليفة (كشف الظنون ١ ص ١٣٥): كتاب كبير عظيم الفائدة في عشر مجلدات ويشتمل على عشرة فنون. وفي ثناياه جمل من حساب القرانات واوقاتها، ونبذ من علم الطبيعة وأصول احكام النجوم وآراء الأوائل في القدم وتناسل الناس ومقادير اعمارهم».

وقد ابرز العلامة المرحوم الأب انسطاس الكرملي الجزء الثامن منه مطبوعاً في بغداد سنة ١٩٣١ ووجدنا في هذا السفر ذكراً لحمص في موضعين :

الأول : في قصيدة لعمر بن النعمان أخي سعد بن سعد بن خولون مطلعها :

لبلقيس كان الملك في أرض مأرب وراثة اجداد كرام المعاطس

وفي أحد الأبيات التي يفاخر فيها بأبيه يقول :

أبونا الذي داخ العراق بخيله ودانت له ما بين حمص وفارس

فهو يذكر حمص وكأنها مملكة تضاهي مملكة فارس .

والثاني : في ص ١١٠ عند تحديده روثان يقول : روثان من محافد اليمن في الغائط بين الجوف ومأرب . وروثان أسفل من حمص ، عظيم امره ، ذرع مضرب من مضاربه المنتهي بها ، اثنا عشر ذراعاً ، وكان لآل نشف من بكيل ثم تحول الى من بعدهم لما افترقوا .

الشعراء الذين ماسُّوا حمص

الشعراء الذين ماسوا حمص في هذه الحقبة كثيرون ولكننا نقتصر هنا على ذكر اربعة من كبار الشعراء العرب :

١ — ابو نواس
٢ — ديك الجن
٣ — ابو تمام
٤ — البحتري

الأول — ابو نواس

هو الحسن بن هانيء ، ولد في قرية من كورة خوزستان سنة (١٤١ هـ — ٧٥٨ م) ونقل الى البصرة فنشأ بها ثم انتقل الى بغداد وقد بلغ الثلاثين ؛ ولم يدرك بها أحداً من الخلفاء قبل الرشيد فاتصل ببعض الامراء ومدحهم . وبلغ خبره الرشيد فاذن له بمدحه ؛

فمدحه ابو نواس بقصائد رنانة ؛ ثم انقطع بعده الى مدح الأمين ، ومات ببغداد قبل أن يصل اليها المأمون .

وصفه عبد الله الجماز بقوله : كان اظرف الناس منطقاً واغزرهم أدباً وأقدرهم على الكلام واسرعهم جواباً . وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقصير ، قائم الأنف ؛ حسن العينين ، حلو الصورة ، لطيف الكف والاطراف ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ؛ مات سنة (١٩٩ هـ — ٨١٣ م) .

أما علاقته بحمص ، فقد روى ياقوت الحموي في معجمه (٧ ص ١٢٢) ما يأتي : «لما انصرف ابو نواس من مصر اجتاز بحمص فرأى كثرة خماريها وشهرة الشراب فيها ومجاهرة الشاربين بشربها . فأعجبه ذلك وأقام بها مدة مغتبقاً ومضطبحاً . وكان في المدينة خمار يهودي يقال له لاوي ؛ فقال لأبي نواس : كيف رأيت مدينتنا هذه وحالنا فيها؟ فقال له أبو نواس : حدثنا جماعة من رواتنا ، ان هذه هي الأرض المقدسة التي كتبها الله تعالى لبني اسرائيل . فقال له الخمار : ايهما أفضل عندك... هذه الأرض أم قطربل؟ فقال : لولا صفاء شراب قطربل وركوبها كاهل دجلة ، ما كانت الا بمنزلة حانة من حاناتها... ومن هذا الكلام نستدل على وجود اغراس الكرمة في حمص بكثرة هائلة في ذلك العهد .

الثاني — ديك الجن


ديك الجن الحمصي

هو عبد السلام بن رغبان من تميم ، وقد اسلم جده الأعلى في صدر الاسلام على يد حبيب بن مسلمة الفهري ؛ أصله من سلمية ومولده بحمص سنة (١٦١ هـ — ٧٧٧ م) ؛ ولم يفارق ديار الشام منتجعاً بشعر ولا متصدياً لأحد .وكان يتشيع تشيعاً حسناً وله قصائد كثيرة في الحسين .

نقل ابو الفرج الأصبهاني (الأغاني ١٢ ص ١٣٦) عن أبي وهب الحمصي وهو ابن أخ لديك الجن قال : «كان عمي خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو ، متلافاً لما ورث عن آبائه . وكان له ابن عم يكنى ابا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله ، ويحول بينه وبين ما يؤثره من لذائذ ؛ حتى هجاه ديك الجن فعدل عن عذله» .

واشتهر ديك الجن بحب جارية نصرانية من أهل حمص اسمها ورد بنت الناعمة وتمادى به الأمر وغلب عليه هواها فدعاها الى الاسلام ليتزوجها فأسلمت لمحبتها له وفيها قول :

انظر الى شمس القصور وبدرها   والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبكِ عينك أبيضاً في اسود   جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها   من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها   عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها   وردية ومدامة من ثغرها

واعسر ديك الجن بعد ذلك فرحل الى سلمية يلتمس مساعدة احمد بن علي الهاشمي . فأقام عنده مدة طويلة . واذاع ابن عمه ان امرأته خانته . فعاد الى حمص يتحقق الخبر . فارسل ابن عمه من زعم ان امرأته أحبت احد الغلمان ودس الرجل الذي رماه بها وقال له : اذا قدم عبد السلام ودخل منزله تقف على بابه وكأنك لم تعلم بقدومه ونادِ باسم ورد فاذا قال من أنت فقل انا فلان...

فلما نزل عبد السلام منزله والقى ثيابه . سألها عن الخبر فأجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئاً . فبينما هما في ذلك قرع الرجل الباب فقالت له من هذا؟ فقال : أنا فلان... فقال لها ديك الجن : يا زانية ، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ؛ ثم اخترط سيفه وضربها به فقتلها .

وبلغ الحاكم الخبر فطلبه ، فخرج ديك الجن الى دمشق فأقام بها مختفياً . ثم شفع به احمد بن علي . فعفي عنه وعاد الى حمص . ولما تحرى الأمر وعرف انه مخدوع ؛ ندم ندماً شديداً ؛ ومكث أشهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام الاّ ما يسد رمقه وقال في ندمه على قتلها :

يا طلعة طلع الحمام عليها   وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما   روى الهوى شفتي من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها   ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى   شيء أعز عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن   أبكي اذا سقط الغبار عليها

لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود اليها

ولديك الجن ابيات يرثي بها ولده من الجارية المذكورة وكان اسمه رغبان :

بـابي نبـذتك بـالعـراء المقـفر وسترت وجهك بالتراب الأصفر
بـابي بذلتك بعد صون للبلا ورجعت عنك صبرت أم لم أصبر
لو كنت اقدر أن أرى أثر البلى لتركت وجهك صاحياً لم يقبرِ

ومما يروى أن أبا نواس اجتاز حمص قاصداً مصر ، لامتداح الخصيب ، فسمع ديك الجن بوصوله ؛ فاختبأ خشية أن يرى فيه ابو نواس قصوراً . فقصده هذا في داره وطرق الباب ؛ فقالت له الجارية : ان سيدها ليس في المنزل ؛ فعرف ابو نواس الدسيسة فقال لها قولي له : اخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك :

مـوردة مـن كـف ظبي كـأنما تـنـاولها مـن خـده فـأدارها

فلما سمع ديك الجن ذلك ، خرج اليه واضافه اياماً معدودات .

وكانت وفاة ديك الجن في أيام الخليفة العباسي المتوكل سنة (٢٣٥ هـ — ٨٤٩م) وعمره نيف وسبعون سنة (دائرة المعارف وجدي ٤ ص ١٠٦)

الثالث — ابو تمام

هو حبيب بن أوس الطائي ، أحد أمراء البيان ولد في جاسم من قرى حوران سنة (١٩٠ هـ — ٨٠٥م) وقالوا إن أباه كان نصرانياً ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجاره وقدمه على شعراء زمنه ؛ فأقام في العراق ؛ ثم ولي بريد الموصل فلم يتم السنتين حتى توفي فيها سنة (٢٣١ هـ — ٨٤٥م) .

كان أبو تمام ، أسمر اللون ، طويلاً فصيحاً ، عذب الكلام ؛ وهو شاعر مطبوع ، دقيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب في المطابق يعتبر فيه السابق بين جميع الشعراء .

ونقتصر هنا على ما لأبي تمام من علاقة بحمص بذكر حادثة جرت له مع ديك الجن الحمصي :

روى الدكتور وجدي في دائرة معارفه (٤ ص ١٠٤) عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال: كنت جالساً عند ديك الجن، فدخل عليه حدث. فأنشده شعراً من نظمه. فأخرج ديك الجن من تحت وسادته درجاً كبيراً فيه كثير من شعره. فسلمه اليه، وقال: يا هذا تكسب بهذا واستعن به على قولك. فلما خرج الفتى سألته عنه؟ فقال: هذا فتى من أهل جاسم يذكر انه من طيء يكنى ابا تمام واسمه حبيب بن اوس وفيه أدب وذكاء وله قريحة وطبع[1]. قال وعمر ديك الجن الى أن مات ابو تمام ورثاه.

ولد ابو تمام سنة (١٩٠ هـ — ٨٠٥م) وقيل سنة (١٨٨ هـ — ٨٠٣م) واختلف في سنة وفاته فقيل سنة (٢٣١ هـ — ٨٤٥م) وقيل سنة (٢٣٢ هـ — ٨٤٦م) (دائرة المعارف لوجدي ٢ ص ٦٨٧).

الرابع — البحتري

هو ابو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائي؛ عربي صميم، ولد بمنبج سنة (٢٠٦ هـ — ٨٢١م) ونشأ في البادية بين قبائل طيء وغيرها، فغلبت عليه فصاحة العرب. ثم خرج الى بغداد فالشام حيث اجتمع بأبي تمام، فلزمه حتى تخرج واقتبس طريقته في البديع. ولكنه لم يسلك مسلكه في شعره ولم يتبع الطريقة ذاتها التي سار عليها استاذه، ولكنه كان يتوسط فيميل الى الناحية العربية الخاصة ميلاً ظاهراً (الآداب العربية للزيات ص ٢٢٢ والآداب العربية لطه حسين ص ١٣٧).

وروى الأصبهاني في اغانيه: (١٨ ص ١٦٨) عن محمد بن يحي عن سوار بن أبي شراعة عن البحتري قال:

«كان اول امري في الشعر ونباهتي فيه؛ أني صرت الى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم، فاقبل عليَّ وترك سائر من حضر. فلما تفرقوا قال لي: أنت اشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت قلة؛ فكتب الى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحذق في الشعر وشفع بي اليهم، وقال امتدحهم. فسرت اليهم فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي اربعة آلاف درهم، فكان أول ما أصبته».

---

(١) الدكتور عمر فروخ: جريدة صوت الأحرار — بيروت ٦ أيلول ١٩٣٣.

ومما قاله البحتري في حمص :

وكم نفَّست في حمص عن متأسف		غدا الموت منه آخذاً بالمخانقِ

وقال أيضاً في بعض ساكنيها من آل السمط :

جزى الله عني والجزاء بكفه		بني السمط اخوان المكارم والمجد
همو اوصلوني والتآلف بيننا		كما ارفض غيث في تهامة من نجد

(وفي هذين البيتين يظهر بوضوح شكر البحتري لبني السمط الحمصيين). توفي البحتري سنة (٢٨٤ هـ — ٨٩٧م).

*

مشاهير القضاة الحمصيين
في
زمن العباسيين الأول

ونذكر في ما يلي اسماء مشاهير القضاة الذين تولوا القضاء في حمص خلال الفترة الأولى من الحكم العباسي ثم نتبعهم بأسماء اشهر المحدثين والرواة مبتعدين عن ذكر التفصيل عن كل منهم ومكتفين بالاشارة الى المراجع التي ذكرت اسماءهم ليرجع اليها الباحثون الراغبون في التعمق :

أولاً : القضاة والموظفون

١ — الحارث بن عبيدة قاضي حمص في اواسط القرن الثاني للهجرة.

٢ — اسحق بن يحي بن علقمة الكلبي ؛ قاضي حمص ، روى له في الأدب ونبغ في الشطر الثاني من القرن الثاني للهجرة.

٣— معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي الحمصي ؛ تولى القضاء في الأندلس سنة (١٥٨ هـ — ٧٧٤م)

٤ــ عفير بن معدان ؛ المؤذن سنة (١٦٦ هــ ٧٨٢ م)
٥ــ الاحوص بن حكم العنسي ؛ كان صاحب شرطة حمص ، توفي سنة (١٦٨ هــ ٧٨٤ م)
٦ــ اسحق بن ابرهيم بن صالح ؛ ولي دمشق ومات سنة (١٧٦ هــ ٧٩٢ م)
٧ــ اسمعيل بن عياش الحمصي ؛ ولاه المنصور خزانة الكسوة وبعثه الى دمشق ، فعدل خراج ارضها ؛ توفي سنة (١٨١ هــ ٧٩٧ م)
٨ــ اسحق بن ثعلبة ابو صفوان الحري ، استعمله الرشيد سنة (١٧٠ ــ ١٩٣ هـ ، ٧٨٦ــ ٨٠٨ م) ؛ ثم عاد الى حمص ومات فيها.
٩ــ خالد بن خلي ابو القاسم الكلاعي ؛ ولاّه المأمون قضاء حمص
١٠ــ الحكم بن نافع ابو اليمان ؛ انتدبه المأمون لقضاء حمص توفي سنة (٢٢٢ هــ ٨٣٦ م)
١١ــ كثير بن عبيد بن نمير المذحجي ؛ امام جامع حمص ؛ قيل فيه : انه أمَّ أهل حمص ستين سنة فلم يسهُ في صلاة قط . مات سنة (٢٤٧ هــ ٨١١ م)
١٢ــ احمد بن علي بن سعيد ، ابو بكر ، أصله من مرو ، وقيل انه بغدادي ، ولي قضاء حمص ونزلها وحدث بها عن احمد بن حنبل وسواه وتوفي في ايام المتوكل (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤ ص ٣٠٤).
١٣ــ الحسن بن موسى البغدادي ؛ قاضي حمص ، توفي سنة (٢٩٠ هــ ٩٠٢ م)

ثانياً ــ المحدثون والرواة

	المرجع
١ ــ ادم بن أبي اياس	(ياقوت ٣ ص ٣٤٤)
٢ ــ ابرهيم بن العلاء الزبيدي الحمصي	(ابن عساكر ٢ ص ٢٤٤)
٣ ــ احمد بن الاخيل	(ياقوت ٣ ص ٧٨ والبستاني ١ ص ٥٩٧)
٤ ــ احمد بن حنبل (الامام المشهور)	(ابن عساكر ٢ ص ٢٨)
٥ ــ احمد بن خالد الذهبي الكندي	(الكمال ص ٥)
٦ ــ احمد بن سعيد بن يعقوب الكندي	(الكمال ص ٦)

٧ — احمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي	(ياقوت ٣ ص ٣٦٧)
٨ — احمد بن عيسى البغدادي	(ابن عساكر ١ ص ٤٣٢).
٩ — احمد بن الفرج بن سليمان ابو عتبة الكندي الحمصي	(ابن عساكر ١ ص ٤٣٦)
١٠ — احمد بن محمد بن يزيد ابو حازم الأسدي الحمصي	(ابن الجزري ١ ص ١٣٤)
١١ — اسحق بن ابرهيم بن العلاء الحمصي	(ابن عساكر ٢ ص ٤٠٧)
١٢ — اسحق بن يحي بن علقمة الكلبي الحمصي	(الكمال ص ٢٩ والميزان ١ ص ٩٥)
١٣ — اسمعيل بن المتوكل الحمصي ابو هاشم	(الكمال ص ٣٠)
١٤ — بقية بن الوليد ابو محمد الكلابي الحمصي	(الكمال ص ٤٦ وابن عساكر ٣ ص ٢٧٣)
١٥ — بكر بن يزيد الطويل الحمصي	(تاريخ بغداد ٧ ص ٩٢)
١٦ — تميم بن محمد، ابو عبد الرحمن الطوسي الحمصي	(الكمال ص ٢٨٧ وابن عساكر ٣ ص ٣٥٨)
١٧ — حاجب بن الوليد بن ميمون الحمصي	(ابن عساكر ٣ ص ٤٣٠ والكمال ص ٥٧)
١٨ — الحارث بن عطيف الكندي الحمصي	(ياقوت ٣ ص ٣٤٠)
١٩ — الحسن بن احمد بن محيميد الحمصي	(ابن عساكر ٤ ص ١٥٢)
٢٠ — الحكم بن عمر وابو سليمان الزعيني الحمصي	(ابن عساكر ٤ ص ٤٠٠)
٢١ — حريز بن عثمان بن جبير الرحبي الحمصي	(تاريخ بغداد ٧ ص ١٢٣)
٢٢ — ربيعة بن الحارث بن عبيد الجيلاني الحمصي	(ابن عساكر ٥ ص ٣٠٣)
٢٣ — زيد بن عبد الله المهراني الحمصي	(ياقوت ٣ ص ٧٨ والبستاني ١ ص ٥٩٧)
٢٤ — سعيد بن عمرو بن سعيد بن أبي صنوان الحمصي	(الكمال ص ١٢٠)

٢٥ــ سعيد بن غنيم ابو شيبة الكلاعي الحمصي (ابن عساكر ٦ ص ١٦٩)
٢٦ــ السفر بن نسير الازدي الحمصي (الكمال ١٣٧ والميزان ١ ص ٣٩٤)
٢٧ــ سليمان بن عبد الحميد بن رافع البهراني الحمصي (ابن عساكر ٦ ص ٢٨٠ والميزان ١ ص ٤١٧)
٢٨ــ صفوان بن عمرو الضبي الحمصي (الكمال ص ١٤٧)
٢٩ــ ضمرة بن ربيعة القرشي الحمصي (الكمال ص ١٥٠ والميزان ١ ص ٤٧٣)
٣٠ــ عامر بن عبد الله بن لحي ابو اليمان الحمصي (الكمال ص ١٥٦ والميزان ٢ ص ٧٢)
٣١ــ عباد بن يوسف الكندي الحمصي (الكمال ص ١٥٩ والميزان ١ ص ٩٧)
٣٢ــ عبد الله بن رجاء الحمصي (الكمال ص ١٦٧ والميزان ٢ ص ٣٧)
٣٣ــ عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي (الميزان ٢ ص ٧٧)
٣٤ــ عبد الحميد بن ابرهيم الحضرمي الحمصي (الميزان ٢ ص ٩٣ والكمال ص ١٨٧)
٣٥ــ عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي (الكمال ص ٢٠٥ والميزان ٢ ص ١٤٣)
٣٦ــ عبد الله بن زيد ابو عثمان الكلبي الحمصي (تاريخ بغداد ٩ ص ٤٥٩)
٣٧ــ عثمان بن سعيد بن منهال الجوسي الحمصي (ياقوت ٣ ص ١٧١)
٣٨ــ علي بن عباس بن مسلم الالهاني الحمصي (الكمال ص ٢٣٤)
٣٩ــ عمران بن بكار بن راشد الكلاعي الحمصي (الكمال ص ٢٥٠)
٤٠ــ عيسى بن هلال بن يحي الطائي الحمصي (الكمال ص ٢٥٧)
٤١ــ فرج بن فضالة التنوخي الحمصي (الكمال ص ٢٦٢ والميزان ٢ ص ٣٢٦)

٤٢ــ القاسم بن يونس الترمساني الحمصي	(ياقوت ٢ ص ٣٨٣)
٤٣ــ مالك بن سليمان ، ابو انس الالهاني الحمصي	(تاريخ بغداد ١٣ ص ١٥٩)
٤٤ــ محمد بن اسمعيل بن عباس العنسي الحمصي	(الكمال ص ٢٧٩ والميزان ٣ ص ٢٧)
٤٥ــ محمد بن تمام البهراني الحمصي	(الميزان ٣ ص ٣٣)
٤٦ــ محمد بن الحجاج الحمصي	(الميزان ٣ ص ٤٠)
٤٧ــ محمد بن حمير القضاعي السلمي الحمصي	(الكمال ص ٢٨٤ والميزان ٣ ص ٥٠)
٤٨ــ محمد بن خالد بن خلي الكلاعي الحمصي	(الكمال ص ٢٨٥)
٤٩ــ محمد بن عمرو الطائي ابو خالد الحمصي	(الكمال ص ٣٠٢)
٥٠ــ محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي	(الكمال ص ٣٠٣)
٥١ــ مخلد بن عمرو الكلاعي الحمصي	(الميزان ٣ ص ١٥٦)
٥٢ــ المسيب بن واضح السلمي الحمصي	(الميزان ٣ ص ١٧٢ وياقوت ٢ ص ٤٠٩)
٥٣ــ معاوية بن صالح بن جدير الحضرمي الحمصي	(الميزان ٣ ص ١٨٠ والاعلام ٣ ص ١٠٥٢)
٥٤ــ المقري موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي	(ابن الجزري ٢ ص ٣٢٣)
٥٥ــ نصر بن أبي حمزة الحمصي	(الكمال ص ٣٤٤ والميزان ٣ ص ٢٣١)
٥٦ــ هشام بن عبد الملك اليزني الحمصي	(الكمال ص ٣٥٢ والميزان ٣ ص ٢٥٥)
٥٧ــ يحي بن صالح الوحاطي الحمصي	(الميزان ٣ ص ٢٩٣)
٥٨ــ يحيي بن أبي عمرو الشيباني ابو زرعة الحمصي	(الكمال ص ٣٦٦ والميزان ٣ ص ٢٩٩)
٥٩ــ يعقوب بن الجهم الحمصي	(الميزان ٣ ص ٣١٣)
٦٠ــ ابو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي	(الذهبي ٣ ص ٣٤٦)

الحقبة الرابعة
حمص في عصر العباسيين الثاني
من سنة ٢٩١ — ٤٧٣ هـ = ٩٠٣ — ١٠٨٠ م
ايام الدول الأخشيدية والحمدانية والفاطمية والمرداسية
وهي فترة تقهقر وانحطاط

الفصل الحادي عشر

تمهيد :

رأينا في الحقبة السابقة أن حمص وقفت عند حد في رقيها بعد أن لمع نجمها ، ولكنها في هذا الدور اخذت تتراجع نحو الخلف وبدت عليها علامات التقهقر ظاهرة ؛ اذ أنهكتها الحروب المتواصلة والحملات التي وجهت ضدها ، ولأن السلطات المختلفة قطعت اجنحتها وفصلت عنها عدة مقاطعات كحماه وسواها ؛ فضاقت بانسلاخ ملحقاتها عنها دائرة سلطتها وتقلص نفوذها ؛ وخبا ضياؤها مدة ليست بقصيرة . وبعد أن كانت حمص سيدة غيرها في الماضي؛ أصبحت في هذه الحقبة تابعة لحلب التي اتخذها الحمدانيون قاعدة لهم بعد قدومهم الى سورية ، فكان حظها مرتبطاً بحظ تلك ، تسعد لسعادتها ، وتشقى لشقائها . والى القارىء تفصيل ذلك في ما يلي :

أولاً — الدول التي رفعت اعلامها في حمص

اما الدول التي بسطت سيطرتها على حمص في هذه الحقبة التي لم يكن للخلفاء العباسيين فيها سوى الاسم فهي : الأخشيدية والحمدانية والفاطمية والمرداسية .

١ — الدولة الأخشيدية

تعرف هذه الدولة باسم دولة بني طفج نسبة الى طفج بن جف بن بلتكين. وجف والد طفج رأس هذه الاسرة، كان المعتصم بن الرشيد قد استقدمه من فرغانة مع طائفة من رجاله الاشداء واقطعه اقطاعاً بسر من رأى عرف باسمه. ومات جف ببغداد ليلة قتل المتوكل سنة (٢٤٧ هـ — ٨٦١م).

وكان طفج اصغر أولاده، فخرج مع اخوته الى البلاد يلتمسون اسباب المعيشة. واتصل طفج بلؤلؤ غلام احمد بن طولون فاستخدمه في ديار مصر ثم انحاز الى ابن كنداج حتى مات ابن طولون فتصالح مع ابنه خمارويه. واعجب هذا الأخير بطفج فاستوهب ابن كنداج اياه فسمح له به. فلما مات خمارويه سنة (٢٨٤ هـ — ٨٩٧م) عاد الى الخليفة المكتفي.

وتولى طفج قتال صاحب الخال سنة (٢٩٠ هـ — ٩٠٢م) الى ان ظفر به. وكان لطفج سبعة اولاد ذكور احدهم محمد — الأخشيد) ٩الخطط ١ ص ٢١٣)، فخلع المكتفي على طفج. وكان وزير الخليفة يومئذٍ العباس بن الحسن، فلم يتزلف اليه طفج كعادة القوم في ذلك العصر؛ فاغرى به المكتفي حتى سجنه مع ابنه محمد حيث توفي طفج في سجنه.

أما ابنه محمد فقد اخلي سراحه بعد مدة فخرج، وهو ناقم على العباس. فلما اتيح له اخذ الثأر منه، فر الى الشام سنة (٢٩٦ هـ — ٩٠٨م) واقام في البادية مدة سنة. وهناك اظهر شجاعة نادرة امال اليه بها قلب المقتدر بالله العباسي، فخلع عليه وزاد في رزقه، بعد أن عفا عنه، ثم ولاه سنة (٣١٦هـ — ٩٢٨م) الرملة فأقام بها الى سنة (٣١٨هـ — ٩٣٠م) حيث ولّاه دمشق، ثم تركها اذ ولاه مصر سنة (٣٢١هـ — ٩٣٣م) فاستقل بها سنة (٣٢٣هـ — ٩٣٥م) وانعم عليه الخليفة الراضي بلقب اخشيد (دائرة معارف بطرس البستاني ٢ ص ٦٢٨).

ولما طمع محمد بن رائق بامتلاك الشام، سار الى حمص فاستولى عليها سنة (٣٢٨هـ — ٩٤٠م) ثم توجه الى مصر اذ أطمعه بها القتال الدائر بين الاخشيد والقائم بأمر الله العلوي، والتقى الجيشان في الفرما وسعى بينهما الحسن بن طاهر العلوي فاصطلحا. ولكن ابن رائق عاد فنقض الصلح؛ عندئذٍ جهز الأخشيد جيشاً كبيراً لمقاتلته

في العريس حيث جرت معركة كبرى فشل فيها ابن رائق بعد أن كاد الأخشيد ان ينكسر ؛ وقتل في تلك المعركة الحسين اخو الأخشيد ، وعاد ابن رائق الى الشام ولكنه قبل عودته وحينما علم بمقتل الحسين ؛ عظم الامر عليه جداً فأرسل من رفع جثة الحسين من أرض المعركة فكفنه وحنطه وانفذ معه ابنه مزاحماً مع كتاب الى الأخشيد يعزيه فيه ويقسم له : انه ما اراد قتله ؛ وانه ارسل اليه ابنه مزاحماً ليفتديه بالحسين.

حينئذٍ أكرم الأخشيد وفادة مزاحم ورده رداً كريماً وتم الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق ومصر للأخشيد وهكذا عاد الأخير الى مصر سنة (٣٢٩هـ — ٩٤٠م).

وظل الأمر كذلك حتى سنة (٣٣٠هـ — ٩٤١م) حينما قتل ابن رائق في معركة نشبت بينه وبين بني حمدان في الموصل ؛ فسار الأخشيد بقواته الى الشام وبسط سيطرته عليها ؛ واناب عنه في دمشق الحسين بن لؤلؤ ثم نقله بعد ذلك الى نيابة حمص سنة (٣٣٣هـ — ٩٤٤م)

وفي هذه السنة اغار سيف الدولة بن حمدان على حلب فملكها ثم تقدم نحو حمص فارسل اليه الأخشيد جيشاً بقيادة مولاه كافور ، فانتصر عليه سيف الدولة وملك حمص ثم سار الى دمشق فحاصرها ولكنها امتنعت عليه ؛ حينئذٍ اتفق الأخشيد وسيف الدولة على أن تكون للأخير حلب وانطاكية وحمص وأن تكون باقي البلاد الشامية للأخشيد.

ومات الأخشيد في دمشق سنة (٣٣٤هـ — ٩٤٦م) وحمل تابوته الى بيت المقدس فدفن هناك وله من العمر ٦٦ سنة هجرية (دائرة معارف فؤاد افرام البستاني ٧ص ٤٠٨ — ٤١٢)

وخلف الأخشيد ابنه انوجو (٣٣٤هـ — ٩٤٦م) وكان صغيراً فقام بتدبير المملكة كافور. ولما توفي انوجور سنة (٣٤٩هـ — ٩٦٠م) تولى الحكم بعده اخوه علي بن الاخشيد (٣٤٩هـ — ٩٦٠م) فحكم البلاد مدة خمس سنوات تحت تدبير كافور أيضاً. ولما مات علي سنة (٣٥٥هـ — ٩٦٥م) استقل كافور بمصر ، وكان جواداً حسن السياسة وتوفي بعد ان حكم سنتين واربعة أشهر (٣٥٥ — ٣٥٧هـ ، ٩٦٥ — ٩٦٧م) فقام بالأمر بعده احمد بن علي الملقب بأبي الفوارس وكان عمره / ١١ / سنة فقام بتدبير امر المملكة الحسن ابن عمه عبد الله بن طفج. وفي أيامه هاجم المعز الفاطمي مصر فاستولى عليها وزيره

جوهر الصقلي في ١٣ شعبان سنة ٣٥٨هجرية و٢ تموز سنة ٩٦٩ مسيحية. وظل جوهر يقاتل الأخشيديين حتى اخرجهم نهائياً من مصر سنة (٣٦٢هـ — ٩٧١م) فانقرضت بذلك دولتهم.

٢ — الدولة الحمدانية

هي دولة عربية، ملوكها من امراء العرب، ملكت هذه الدولة الموصل والجزيرة والشام؛ وهي تنتسب الى حمدان بن حمدون بن الحارث بن نعمان بن اسد التغلبي.

كان حمدان جدهم في جيش الحسن بن ايوب بن احمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي صاحب الموصل. ولما حارب ابن ايوب التغلبي أهل الموصل سنة (٢٦١هـ — ٨٧٣م) كا حمدان في عسكره كما كان أيضاً في الفتنة التي نشبت بين ابن كنداج وعلي بن داود ومع ابن ايوب فتغلب عليهم ابن كنداج سنة (٢٦٦هـ — ٨٧٨م)؛ وعلا شأن حمدان بعدئذٍ وارتفعت منزلته، فاستنجده هرون بن عبد الله البجلي على محمد بن شيبان فهزمهم. فجرد عليه المعتضد جيشاً لأنه كان يناصر هرون وهو خارجي، فلم يستطع حمدان الوقوف أمامه ففر، ولكنه لم يستطع متابعة الفرار فلاذ باسحق بن ايوب وهو مع المعتضد؛ فقدمه اليه، فأمر المعتضد بتقييده والاحتفاظ به وكان ذلك سنة (٢٨٢هـ — ٨٩٤م). ولما ظفر المعتضد بهرون الخارجي سنة (٢٨٣هـ — ٨٩٥م) اطلق سراح حمدان واحسن اليه وخلع على اولاده.

ولما كانت خلافة المكتفي ولى ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل واعمالها سنة (٢٩٣هـ — ٩٠٥م) وبه بدأت دولة بني حمدان (دائرة معارف وجوي ٣ ص ٥٨٢ ودائرة البستاني ٧ ص ١٧٢)

واشهر الرجال من بني حمدان هم:

١ — ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان والي الموصل ورأس الدولة الحمدانية؛ قتل وهو يدافع عن الخليفة القاهر سنة (٣١٧هـ — ٩٢٩م)

٢ — الحسين بن حمدان الذي ظفر بهرون الخارجي سنة (٢٨٣هـ — ٨٩٥م) ثم قتل سنة (٣٠٦هـ — ٩١٨م).

٣ـــ ابرهيم بن حمدان الذي تولى على ديار ربيعة ومضر بدلاً من اخيه الحسين سنة (٣٠٧هـــ ٩١٩م) ومات سنة (٣٠٨هـــ ٩٢٠م)

٤ـــ سعيد بن حمدان ابو العلاء توفي سنة (٣٢٣هـــ ٩٣٤م)

٥ـــ داود بن حمدان ، الذي ضرب بشجاعته المثل وكان يلقب بالمجفجف وفيه قال الشاعر :

لو كنت في الف الف كلهم بطل   مثل المجفجف داود بن حمدان

توفي داود سنة (٩٢٠هـــ ٩٣٢م)

٦ـــ ابو وائل تغلب بن داود بن حمدان ، الذي توفي في حمص سنة (٣٣٨هـــ ٩٤٩م)

٧ـــ الحسن بن عبد الله بن حمدان ؛ الذي لقبه المتقي بالله ، ناصر الدولة سنة (٣٣٠هـــ ٩٤١م). وقد ضعف عقله في اواخر ايامه فحبسه ابنه فضل الله الغضنفر ابو تغلب سنة (٣٥٦هـــ ٩٦٧م) في قلعة حتى توفي سنة (٣٥٨هـــ ٩٦٩م)

٨ـــ علي بن عبد الله بن حمدان ، الذي لقبه المتقي بالله سيف الدولة ؛ وهو أشهر بني حمدان على الاطلاق . ملك مدينة حلب سنة (٣٣٣هـــ ٩٤٤م) وتوفي سنة (٣٥٦هـــ ٩٦٧م) عن ٥٣ سنة .

٩ـــ الحسين بن سعيد اخو أبي فراس الحمداني ، الذي قيل فيه انه أول من ولي حلب من بني حمدان سنة (٣٣٢هـــ ٩٤٣م) ، وكان شجاعاً موصوفاً . توفي سنة (٣٣٨هـــ ٩٤٩م)

١٠ـــسعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة مات سنة (٣٨١هـــ ٩٩١م) وعمرة اربعون سنة .

١١ـــابو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ؛ الشاعر المشهور الذي حاول التغلب على حمص فطارده ابو المعالي بن سيف الدولة فقتل سنة (٣٥٧هـــ ٩٦٨م) في بلدة صدد .

١٢ ـــفضل الله الغضنفر ابو تغلب بن ناصر الدولة الذي قتل سنة (٣٦٩هـ ـــ ٩٨٠م)
١٣ ـــابو الفضائل بن سعد الدولة ؛ آخر بني حمدان ، وبه انقرضت الدولة الحمدانية سنة (٣٨٢هـ ـــ ٩٩٢م).
١٤ ـــلؤلؤ غلام سيف الدولة ومدير أبي الفضائل مات سنة ٣٩٩هـ ـــ ١٠٠٩م) وخلفه ابنه مرتضي الدولة وكان ظالماً وقد انقضت سيادته سنة (٤٠٦هـ ـــ ١٠١٦م) وبه زال كل أثر لحكم الحمدانيين.

٣ ـــ الدولة الفاطمية

سميت هذه الدولة بالدولة الفاطمية ، لأن خلفاءها ينتسبون الى فاطمة الزهراء بنت الرسول ؛ كما يسميها بعضهم بالدولة العلوية نسبة الى الامام علي بن أبي طالب ؛ ويسميها البعض الآخر بالدولة العبيدية نسبة الى عبيد الله المهدي اول خلفائها.

وينكر خصومها عليها هذه النسبة وبالغ بعضهم في الانكار حتى اخرجوها من الإسلام ؛ اذ ألحقها بعضهم بالنصارى والبعض الآخر الحقها باليهود (ابو الفداء ٣ ص ٦٤).

روى ابن خلدون في تاريخه ٣ ص ٣٦٤ ان دعاة هذه الفرقة زعموا أن النبي (ص) اوصى الى علي بالخلافة بالنصوص الجلية ؛ ولكن الصحابة عدلوا عنها الى غيره ؛ فوجب البراءة ممن عدل عنها. وتسلسلت الخلافة في ذرية علي من الحسن الى الحسين الى زين العابدين الى محمد الباقر الى جعفر الصادق الى اسمعيل الامام الى محمد المكتوم الى جعفر المصدق الى محمد الحبيب الى عبيد الله المهدي الذي دعا له ابو عبد الله الشيعي.

وكان محمد الحبيب ينزل سلمية من أرض حمص (تاريخ يحي الانطاكي ص ١٠٥ و١٠٦) وقد انتشرت دعوته بوسائل شتى في اصقاع عديدة ؛ وكان أهم دعاتها ابو عبد الله الشيعي. ولما توفي محمد الحبيب اوصى لابنه عبيد الله وقال له : أنت المهدي وستهاجر بعدي هجرة بعيدة وترى محناً شديدة. فقام عبيد الله بالأمر وانتشرت دعوته. والى القارىء اسماء الخلفاء من هذه الدولة مع تاريخ حكم كل منهم :

١ ـــ عبيد الله المهدي	٢٩٧ ـــ ٣٢٢هـ = ٩٠٩ ـــ ٩٣٣م
٢ ـــ القائم بأمر الله ابو القاسم	٣٢٢ ـــ ٣٣٤هـ = ٩٣٣ ـــ ٩٤٥م

٣ — المنصور بن القائم	٣٣٤— ٣٤١هـ= ٩٤٥ — ٩٥٢م	
٤ — المعز بن المنصور	٣٤١— ٣٦٥هـ= ٩٥٢ — ٩٧٥م	
٥ — العزيز بن المعز	٣٦٥— ٣٨٦هـ= ٩٧٥ — ٩٩٦م	
٦ — الحاكم بن العزيز	٣٨٦— ٤١١هـ= ٩٩٦— ١٠٢٠م	
٧ — الظاهر بن الحاكم	٤١١— ٤٢٧هـ= ١٠٢٠— ١٠٣٥م	
٨ — المستنصر بن الظاهر	٤٢٧— ٤٨٧هـ= ١٠٣٥— ١٠٩٤م	
٩ — المستعلي بن المستنصر	٤٨٧— ٤٩٥هـ= ١٠٩٤— ١١٠١م	
١٠— الآمر بن المستعلي	٤٩٥— ٥٢٤هـ= ١١٠١— ١١٣٠م	
١١— الحافظ بن محمد	٥٢٤— ٥٤٤هـ= ١١٣٠— ١١٤٩م	
١٢— الظافر بن الحافظ	٥٤٤— ٥٤٩هـ= ١١٤٩— ١١٥٤م	
١٣— الفايز بن الظافر	٥٤٩— ٥٥٥هـ= ١١٥٤— ١١٦٠م	
١٤— العاضد بن يوسف	٥٥٥— ٥٦٧هـ= ١١٦٠— ١١٧١م	

والعاضد هو آخر الخلفاء الفاطميين وكانت مدة سلطتهم / ٢٧٠ / سنة . وقد اقتصرت سلطة الثلاثة الأولين على المغرب ، اما الـ ١١ خليفة الذين تلوهم واولهم المعز فقد بسطوا سيطرتهم على مصر ، وكان لهم شأن في سورية رأينا من واجبنا تعريف القارىء بدولتهم .

٤ — الدولة المرداسية

خلفت الدولة المرداسية الدولة الحمدانية في حلب . ورأس هذه الدولة هو صالح بن مرداس من بني كلاب بن ربيعة . وكانت حلب بيد لؤلؤ مولى الحمدانيين فطمع بها صالح وهاجمها ؛ فلم يفلح في المرة الأولى . ولكن لما ضعف امر الحمدانيين وبرح لؤلؤ انطاكية ، وتسلمها نواب الحاكم الفاطمي ؛ تحينت الفرصة لابن مرداس فبسط سيطرته على المدينة وكذلك من بعلبك الى عانة من سنة (٤١٤— ٤٢٠هـ ، ١٠٢١ — ١٠٢٧م) حينما قتل بمعركة مع قائد جيش الظاهر الفاطمي فخلفه ابنه نصر بن صالح (٤٢٠— ٤٢٩هـ ، ١٠٢٧ — ١٠٣٦م) وفي هذه السنة جهز المستنصر جيشاً الى حلب قاده الوزيري فقاتله نصر بقرب حلب حيث نشبت بينهما معركة هائلة كتب فيها الفوز للوزيري . وقتل نصر واستولى الوزيري على الشام كلها حتى سنة (٤٣٢هـ— ١٠٤٠م) حيث توفي في حلب بعد وصوله اليها ثانية بشهر واحد .

ثم قام كمال بن صالح فحاصر قلعة حلب وملكها سنة (٤٣٤ هـ — ١٠٤٢ م) فجهز المصريون جيشاً لمحاربته سنة (٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) واستمر القتال بين الفريقين ثماني سنوات انتهت بتنازل تمال عن حلب للمصريين، فتسلمها من قبلهم الحسن بن علي بن ملهم الملقب مكين الدولة سنة (٤٤٩ هـ — ١٠٥٧ م). واساء هذا الحاكم السيرة في حلب، فكرهه الحلبيون فاستقدموا اليهم محموداً بن نصر بن صالح ففاز هذا بأمنيته سنة (٤٥٢ هـ — ١٠٦٠ م) ولكن المصريين ارسلوا تمال بن صالح فاستخلص حلب من يد ابن اخيه سنة (٤٥٣ هـ — ١٠٦١ م) واستتب له فيها الأمر مدة سنتين ثم توفي سنة (٤٥٤ هـ — ١٠٦٢ م) فخلفه اخوه عطية ولكنه لم يحسن السياسة فقتله الترك. وملك حلب بعده ابن اخيه محمود واستمر بها الى سنة (٤٦٨ هـ — ١٠٧٥ م) حين توفي؛ فخلفه ابنه نصر، ولم يطل امره حتى قضى قتلاً لسوء ادارته سنة (٤٦٩ هـ — ١٠٧٦ م). فخلفه اخوه سابق بن محمود الى سنة (٤٧٣ هـ — ١٠٨٠ م) حينما تملكها مسلم بن قريش العقيلي. وبسابق هذا انقرضت الدولة المرداسية.

في هذه الحقبة كانت احداث حمص التاريخية ذات علاقة مباشرة بالدولتين السوريتين الحمدانية (٢٩٣ — ٤٠٦ هـ، ٩٠٥ — ١٠١٥ م) والمرداسية (٤١٤ — ٤٧٣ هـ، ١٠٢٣ — ١٠٨٠ م) اللتين كانت قاعدتهما مدينة حلب؛ وانضوت حمص الى لواء كل منهما مع من خضع لسيادتها وبسبب احتكاك هاتين الدولتين بمصر، تماست حمص ايضاً بالدولتين المصريتين الاخشيدية (٣٢٣ — ٣٦٢ هـ، ٩٣٤ — ٩٧٢ م) والفاطمية (٢٩٧ — ٥٦٧ هـ، ٩٠٩ — ١١٧١ م).

أما الخلفاء العباسيون فكان تأثيرهم ضعيفاً جداً في هذه الحقبة، وكانت سيادتهم اسمية لا فعلية؛ واليك اسماؤهم وسنة تملكهم تسهيلاً للمراجعة:

١٨ — المقتدر	٢٩٥ هـ، ٩٠٨ م
١٩ — القاهر	٣٢٠ هـ، ٩٣٢ م
٢٠ — الراضي	٣٢٢ هـ، ٩٣٣ م
٢١ — المتقي	٣٢٩ هـ، ٩٤٠ م
٢٢ — المستكفي	٣٣٣ هـ، ٩٤٤ م
٢٣ — المطيع	٣٣٤ هـ، ٩٤٥ م

٢٤ــ الطايع ٣٦٣هـ، ٩٧م
٢٥ــ القادر ٣٨١هـ، ٩٩١م
٢٦ــ القائم ٤٢٢هـ، ١٠٣١م
٢٧ــ المقتدي ٤٦٧هـ، ١٠٧٤م
٢٨ــ المستظهر ٤٨٧هـ، ١٠٩٤م

ثانياً ــ تفاصيل الاحداث الجارية في حمص

ابن رائق في حمص

ولي الراضي الخلافة سنة (٣٢٢هـ ــ ٩٤٠م) وحبل الأمن مضطرب والاختلال ناشر لواءه ؛ فالبصرة بيد ابن رائق وخوزستان في يد الريدي ، وفارس في يد ابن بويه ، وكرمان في يد ابن لباس ، والري واصبهان بيد ابن أخي مرداويج ، والموصل وما اليها في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد ابن طفج ، والمغرب وافريقيا في يد القائم العلوي ، والاندلس في يد نصر الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي (ابو الفداء ٢ ص ٨٤ وابن خلدون ٣ ص ٤٠١ و٤٠٢)

ولم يمر به وقت قصير حتى ثار الحجرية وابن ياقوت على وزيره ابن مقلة ، فاعتقلوه واخبروا الخليفة بذلك ؛ فلم يجد بداً من الرضى بما فعلوه. ولما قطعت الموارد عن الخليفة اضطر ان يستقدم ابا بكر محمد بن رائق وكان بواسط ؛ فقلده امارة الجيش وامر أن يخطب له على المنابر وحدث ذلك في اواخر ذي الحجة سنة (٣٢٤هـ ــ ٩٣٥م). فأصبحت منذئذٍ الكلمة النافذة له وليس للخليفة فيها اثر يذكر.

وظل ابن رائق يتمتع بهذه المكانة حتى قتل سنة (٣٣٠هـ ــ ٩٤١م)

وما يهمنا ذكره بشأنه هو استيلاؤه على الشام وحمص سنة (٣٢٨هـ ــ ٩٣٩م). وخلاصة ما رواه المؤرخون ندونه في ما يلي (ابن خلدون ٣ ص ٤٠٨ وابو لالفداء ٢ ص ٨٦):

لما ثار ابن مقلة بحكم التركي على ابن رائق سنة (٣٢٦هـ ــ ٩٣٧م) ؛ استتر الأخير في بغداد الى أن سار الراضي مع بجكم لتحصيل المال المرسوم من ابن حمدان في الموصل ،

فظهر ابن رائق في بغداد واستولى عليها. فلما عادوا الى بغداد لقيهم في الطريق ابو جعفر محمد بن يحي وفداً من ابن رائق مشترطاً للسلام أن يقلده الراضي طريق الفرات وديار مضر — حران والرها — وما جاورها وجند قنسرين والعواصم. فأجابه الراضي الى ما طلب، فترك ابن رائق بغداد وسار الى ولايته (ابن خلدون ٣ ص ٤٠٧ وابن الأثير ٨ ص ١١٤).

وحينما استقر ابن رائق في ولايته الجديدة حدثته نفسه بامتلاك الشام، فسار الى حمص التي كانت تشكل العقبة الكبرى في سبيله، ولما توفق بالاستيلاء عليها، سهل عليه بسط سيطرته على سائر مدن الشام؛ فأخرج بدراً الاخشيدي من دمشق واستولى عليها؛ ثم سار الى الرملة فملكها، وتوجه بعدئذٍ الى العريش حيث دارت المعركة التي سبق أن ذكرناها وانتهت بعقد الصلح بينه وبين الأخشيد على أن تكون مصر للأخشيد من حدود الرملة. وما تبقى من البلاد الساميةتكون لابن رائق.

وظلت حمص تحت سلطة ابن رائق الى سنة (٣٣٠هـ — ٩٤١م) حينما قتله ابن حمدان على شاطىء دجلة، فأنعم عليهالخليفة المتقي بلقب ناصر الدولة وجعله امير الامراء. وكان مقتل ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب سنة ٣٣٠هـ.

حمص بين الأخشيد وسيف الدولة

مر بنا ان ابن رائق استخلص الشام من الأخشيد بحجة ردها الى سلطة العباسيين ولكنه في الحقيقة طمع في انشاء دولة له فيها؛ لذلك نهض لمناوأته بنو حمدان وعلى رأسهم ناصر الدولة الذي تمكن من قتل ابن رائق؛ وكان ان سر بذلك الخليفة المتقي فأحله محله وجعله امير الامراء ولقب شقيقه علياً سيف الدولة.

وسار سيف الدولة الى حلب واستولى عليها سنة (٣٣٣هـ — ٩٤٤م) ثم اراد أن يبسط سيطرته على سائر البلاد الشامية فجهز حملة سار بها نحو الجنوب؛ ولما بلغ حمص، لقيه بها جيش الاخشيد فانتصر عليه وملك سيف الدولة حمص، ثم توجه الى دمشق فحاصرها ولكنه لم يتمكن منها فعاد ادراجه. وعلم الاخشيد بمسير سيف الدولة فجرد عليه جيشاً عظيماً وسار هو بنفسه خلفه فالتقيا بقنسرين. ولكن احداً منهما لم يظفر بالآخر، فعاد الأخشيد الى دمشق وسيف الدولة الى حلب.

ثم بلغ الأخشيد ان سيف الدولة ، عاد نحو حمص يريد دمشق فجرد حملة كبيرة اتجه بها الى حمص ، والتقى قواده بسيف الدولة في الرستن فهزمهم هذا فعادوا الى دمشق ثم قصدوا مصر (الخطط ١ ص ١٢٦).

على أن سيف الدولة لم يحسن السياسة في دمشق ، فاستقدم اهلها كافوراً الأخشيدي ووقعت بين الاثنين معركة هائلة انهزم على اثرها سيف الدولة الى حمص واضطر بعد معركة ثانيةأن يسالم الاخشيد ويصاهره فمنحه هذا حمص وحلب وانطاكية (الخطط ١ ص ٢١٨).

حمص والمبرقع

بالرغم من السطوة التي اظهرها سيف الدولة والبطش الذي خفت عدد المتقفضين عليه ، فقد تحالف عليه بنو عقيل وبنو كلاب وبنو عجلان سنة (٣٤٣هـ — ٩٥٤م)

والمناوشات التي قاموا بها لا تحسب امام فتنة المبرقع الذي دعا الناس الى نفسه والتفت حوله القبائل ، فافتتح عدة مدن من اطراف الشام ، كما اسر ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، واضطر هذا ان يفتدي نفسه بعدد من الخيل وكمية من المال . فاسرى سيف الدولة من حلب حتى ادرك المبرقع في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فاوقع به وقتله ، كما وضع السيف في اصحابه ، فلم ينجُ منهم الا من كان فرسه سبوقاً . وعاد سيف الدولة الى حلب ومعه ابو وائل وبين يديه رأس المبرقع الخارجي على رمح .

أبو المعالي

بعد أن بسط سيف الدولة سيطرته على الشام عين ابن عمه الحارث بن سعيد بن حمدان — وهو أبو فراس الشاعر المشهور — والياً على حمص . غير أن أبا فراس أسر في إحدى المعارك التي دارت بين الحمدانيين والروم سنة (٣٥١هـ — ٩٦٢م) وظل في الأسر



أبو فراس الحمداني
كما تخيله الفنان ارتورو اورتيس

أربع سنوات حتى افتداه سيف الدولة. وما كان يعود من أسره حتى توفي سيف الدولة سنة (٣٥٦هـ — ٩٦٧م) فخلفه ابنه سعد الدولة شريف المكنى أبو المعالي.

وحصلت وحشة بين أبي فراس والي حمص وأبي المعالي أمير حلب؛ فطلبه الأخير، فانحاز أبو فراس الى صدد — وهي بلد في طرف البرية لمقاطعة حمص —. فجمع أبو المعالي الاعراب من بني كلاب وغيرهم وسيرهم في طلبه مع غلامه قرغويه؛ فكبسوه في مأمنه، فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن منهم. فقال قرغويه لغلام له: اقتله... فقتله وأخذ رأسه وتركت جثته في البرية حتى دفنها بعض الأعراب.

وكان أبو فراس خال أبي المعالي؛ إذ تزوج سيف الدولة أخت أبي فراس وقال بعض الشعراء في مقتله بصدد:

وعلمني الصدّ من بعده عن القوم مصرعه في صدد
فسقياً له إذ حوت شخصه وبعداً لها حيث فيها ابتعد

(أبو الفداء ٢ ص ١٠٨ وابن الأثير ٨ ص ١٩٤ والدبس ٥ ص ٣٩٧)

حمص والروم

اهتم قيصر بزنطية نيكيفوروس فوقا باسترداد البلاد التي سلخها العرب من الدولة البيزنطية فجهز عدة حملات لنيل هذا الغرض. وكانت معظم معاركه في الشرق مع الدولة الحمدانية؛ وكانت الحرب بينه وبينها سجالاً، تارة له وتارة عليه. ومن المعارك التي نجح فيها وكانت نكبة على مدينة حمص هي في الحملة التي قام بها سنة (٣٥٥هـ — ٩٦٥م)؛ إذ تمكن من فتح انطاكية ودمشق وطرابلس، واستحوذ على شواطىء فينيقية كلها، كما وصل الى الفرات، وفتح عرقا ذات الثروة الكبرى بعد أن حاصرها تسعة أيام. أما مدينة حمص فقد تعذر عليه فتحها لتضامن أهلها واستبسالهم في الدفاع عنها فكان منه أن يهدمها بالمنجنيق وآلات التهديم الأخرى دون أن يتمكن من دخولها. واضطر المسلمون أن يهجروا المدن المفتوحة ويحتشدوا في أنطاكية بعد استعادتها من الروم. ولكن نيكيفوروس عاد اليها وأقام قوة عليها لمحاصرتها حتى استسلمت أخيراً بعد دفاع عنيف (الدبس ٥ ص ٣٩٥).

ولما علم بما جرى فتك بن عبد الله مولى كافور الأخشيدي الذي كان مولاه قد جهزه

لاسترداد دمشق ثانية ؛ خرج بالناس الى دوما وحرستا . ولكن عدم رضى الدماشقة عنه ، فشا في عضده فتحول بأثقاله نحو العقبة وأعرض عن نجدة حمص (الخطط ١ ص ٢٢٨) .

واهتمت بعض الدويلات الاسلامية لطرد الروم من سورية فتهددها أمبراطور الروم بقوله : سأرحل من الداخلية وأخرب البلاد الشامية كلها ثم أعود اليكم من الساحل . ونتيجة لذلك أصيبت حمص بالنكبة العظمى ؛ لأن أهلها تحت الضغط الشديد وانقطاع المدد عنهم ؛ اضطروا لاخلاء مدينتهم والالتجاء الى البادية ؛ فأحرقها الروم بعد أن استولوا على ثمانية عشر منبراً من أجمل منابر مساجدها وكنائسها ؛ ثم عادوا الى بلادهم بالأسرى والأموال (الخطط ١ ص ٢٢٨)

وأعاد الروم الكرة على سورية سنة (٣٥٨هـ — ٩٦٨م) عندما رأوا أن مصر قد لعبت بها الفوضى ، وأن الشام في ضعف فقتلوا وسلبوا . وكان أثر الضرر في حمص أكثر منه في أي بلد آخر لعدم استسلام الحمصيين بسهولة للقوة الغاشمة (الخطط ١ ص ٢٢٤) .

وفي سنة (٣٥٩هـ — ٩٦٩م) ؛ عنا قرغويه للروم فصالحهم على مال يحمله اليهم من خراج حلب وقنسرين وحمص وحماه وجوسيه وسلمية والمعرة وغيرها . غير أن سعد الدولة ابن سيف الدولة ، لم يعترف بهذه المعاهدة مما أثار غضب الروم الذين قرروا لكي يرغموه على الاذعان لما رسموا أن يخربوا مدينة حمص (الخطط ١ ص ٢٢٩) .

وفي سنة (٣٦٤هـ — ٩٧٤م) هاجم سمسق (زيمسكوس) القائد الذي خلف نيكيفوروس على العرش البيزنطي — سورية فدخل المدن السورية وثبت سلطته فيها . ثم عاد الى بلاده بغنائم جزيلة يسرت أمام الروم الحملات التي قاموا بها بعدئذٍ . ولما كانت المدن التي يفتتحها الروم تعود بعد انصرافهم عنها الى ما كانت عليه قبل الفتح ؛ قرر سمسق أن لا يسير من بلد قبل أن يطمئن على بقائه في حوزته ؛ فوضع في كل مدينة قوة للمحافظة ولمساعدة الجيش الرومي في البلاد المجاورة عند الحاجة . وعلى هذا المنوال ضبط آفاميا وحمص وبعلبك ودمشق وسواها (الدبس ٥ ص ٣٩٦) .

ولم يكن هذا آخر عهد للروم بحمص التي استردها بارقطاش مولى سيف الدولة سنة (٣٦٥هـ — ٩٧٥م) . فإنهم لما أعادوا الكرة على الشام في أيام الأمبراطور باسيليوس ، فتحوا حمص مع ما فتحوه من المدن السورية سنة (٣٧٦هـ — ٩٨٦م) (الخطط ١ ص ٢٣١) .

حمص في زمن أبي المعالي

خلف سيف الدولة سنة (٣٥٦هـ — ٩٦٦م) ابنه شريف أبو المعالي الملقب سعد الدولة وكانت حمص وقتئذٍ من توابع حلب. ولكن لم يمضِ عام على تملكه حتى خرج عليه قرغويه غلام أبيه وأخرجه من حلب ؛ وجمع أبو المعالي قوة وعاد يبغي إخراج قرغويه منها ؛ وإذ كان يحاصرها زحف الروم عليها فاتفق معهم قرغويه على أن يدفع لهم مبلغاً من المال ويضمن لهم سكون البلاد متى أرادوا الزحف على احدى الجهات.

وفي أواخر ربيع الآخر من سنة (٣٥٩هـ — ٩٦٩م) تصالح أبو المعالي مع قرغويه وخطب للأول في حلب وكان بحمص وقتئذٍ. وخطب الاثنان في مناطقهما للمعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب ومصر.

وعندما كان أبو المعالي في الرقة، أصابه فالج في جنبه الأيمن مات على أثره سنة (٣٨١هـ — ٩٩١م)، وخلفه ابنه أبو الفضائل، يدبر أمره مولاه لؤلؤ.

وتوفي لؤلؤ سنة (٣٩٩هـ — ١٠٠٨م) فخلفه ابنه الصغير مرتضى الدولة. وعصي عليه مولاه فتح سنة (٤٠٦هـ — ١٠١٥م) لائذاً بالحاكم الفاطمي. ففر مرتضى الدولة الى الروم في انطاكية وبه انقرضت الدولة الحمدانية.

وكانت الدولة الحمدانية ممهدة للطريق أمام الدولة الفاطمية لدخول سورية نظراً لما بين الدولتين من الصلة المذهبية ؛ إذ كانت كلتاهما تتبعان المذهب الشيعي.

حمص وإلفتكين

إلفتكين من كبار القادة الترك، ومن موالي معز الدولة بن بويه. حضر وقعة الأتراك بالعراق سنة (٣٦٢هـ — ٩٧٢م) وكان مقدماً عليهم. ثم سار في طائفة منهم الى الشام وعسكر بالقرب من حمص فقصده ظالم بن موهوب العقيلي أمير العلويين على الشام ؛ فلم يستطع أن يناله، ثم سار الى دمشق واتفق مع أهلها على ريان الخادم أمير دمشق للمعز الفاطمي ؛ فأخرجوه منها وقطعوا الخطبة للفاطميين العلويين سنة (٣٦٤هـ — ٩٧٤م). وأراد المعز تسيير حملة عليه ولكن المنية أدركته سنة (٣٦٥هـ — ٩٧٥م) قبل إيفاد الحملة فأرسلها ابنه العزيز بقيادة جوهر.

واستعان إلفتكين بالحسن بن أحمد القرطي أمير الإحساء ، فأنجده بقواته . ورأى جوهر متانة القوى المحاربة فرحل الى مصر وتبعه إلفتكين والقرمطي وأدركاه في الرملة فضيقا عليه الخناق مما أجبره على أن يلتمس من إلفتكين هدنة فمنحه إياها .

وآل هذا الانتصار على ارتفاع شأن إلفتكين بنظر العزيز ، فبذل الأموال الكثيرة في سبيل استجلابه اليه ؛ فلما تم له ما أراد ووصل إلفتكين الى مصر ، أكرم العزيز وفادته وأنعم عليه وأبقاه عنده حتى توفي (دائرة المعارف لبطرس البستاني ٤ ص ٢٥٧ وأبو الفداء ٢ ص ١١٥ والخطط ١ ص ٢٣٢) .

حمص وبكجور

كان لقرغويه مولى يقال له بكجور يتمتع بالكثير من الشجاعة والدهاء ؛ فلما تملك سيده حلب وأخرج أبا المعالي منها سنة (٣٥٨ هـ — ٩٦٨ م) ، عمد بكجور بعد مدة الى القبض على قرغويه وسجنه في قلعة حلب ؛ كما استولى على المدينة ، ثم اتفق مع أبي المعالي على أن يسلمه حلب لقاء توليته حمص فتحقق له ما أراد وتم ذلك سنة (٣٦٧ هـ — ٩٧٧ م) .

ما أن تسلم بكجور ولاية حمص حتى صرف همة قعساء في عمارها وحفظ معابرها وتأمين السابلة القادمة اليها ، فازداد عمرانها وكثر الخير فيها . وبما أن دمشق كانت قد تخربت بالغزوات التي تلاحقت عليها ، فقد انتقل عدد كبير من أهلها الى حمص واستوطنوا فيها .

وإبان وجود بكجور في حمص ، حصل نزاع بين مفرج بن دغفل عميد الطائيّين في جنوبي سورية وبين العزيز ملك مصر الفاطمي سنة (٣٧١ هـ — ٩٨١ م) فلاذ مفرج ببكجور في حمص فأجاره ثم كاتب العزيز بشأنه فأعاده الى مقره .

وطمحت عينا بكجور الى دمشق بعد أن ازداد رقي حمص وعمرانها فتقرب الى العزيز الفاطمي بغية أن يعطيه دمشق فوعده هذا خيراً . وأثناء ذلك وقعت وحشة بين بكجور وأبي المعالي الحمداني ، فأخرجه هذا من حمص . عندئذ طلب بكجور من العزيز إنجاز وعده ففعل وسلمت اليه دمشق سنة (٣٧٣ هـ — ٩٨٣ م) . ولما لم يحسن بكجور السياسة فيها ، أمر العزيز بعزله سنة (٣٧٨ هـ — ٩٨٨ م) فتمرد أولاً ؛ ثم طلب الأمان ولاذ بالرقة .

وما أن علم أبو المعالي بالأمر حتى طلب من بكجور العودة الى طاعته فيوليه حمص. فأبى هذا وحاول أن يثير الشعب على أبي المعالي. ولكن هذا تمكن من إلقاء القبض عليه وقتله سنة (٣٨١هـ — ٩٩١م). (دائرة المعارف لبطرس البستاني ٥ ص ٥٣٣ والأنطاكي ص ١٥٧ وأبو الفداء ٢ ص ١١٨).

حمص ومنجوتكين

على أثر وفاة سعد الدولة سنة (٣٨١هـ — ٩٩١م)، رأى العزيز الفاطمي أن الفرصة سانحة أمامه لإدخال بلاد الشام تحت رايته؛ لا سيا وإن ضعف الخلفاء العباسيين وكثرة الزعامات والقيادات تسهل عليه تحقيق أمانيه، لذلك سير حملة عظيمة من جيشه، سلم قيادتها الى منجوتكين، وقد أنفق عليها مليون دينار، فاحتل دمشق ثم توجه الى حلب بعد أن فتح حمص، فاشتبك مع الحمدانيين بالقرب من آفاميا سنة (٣٨٤هـ — ٩٩٤م) فانتصر عليهم وأسر جماعة منهم (الخطط ١ ص ٢٣٧ والأنطاكي ص ١٧٤).

لما وصل منجوتكين الى حلب حاصرها وفيها أبو الفضائل الحمداني ولؤلؤ فاستنجدا بملك الروم الذي أمر نائبه في انطاكية بإنجادهما فسار هذا مع خمسين ألفاً من جنده حتى نزل على جسر العاصي، فعبر اليهم منجوتكين قبل أن يتحد الجيشان فأوقع بجيش الروم الهزيمة ثم تعقبه الى أنطاكية فنهبها وأحرق قراها بالنار. ثم عاد منجوتكين الى حلب فحاصرها واضطر أبو الفضائل أن يطلب الصلح منه، فصالحه على مال دفعه.

ولم يرضِ الصلح العزيز الفاطمي، فأمر منجوتكين بالعودة الى محاصرة حلب ففعل. ولما ضاق الأمر بأبي الفضائل عاد الى طلب النجدة من ملك الروم؛ منذراً بسوء المغبة فيما لو أُخذت حلب لأنها مفتاح انطاكية. فهب باسيليوس بنفسه لنجدة حلب على رأس قوة كبيرة. فجزع منجوتكين وترك حلب كالمنهزم، فتعقبه باسيليوس الى الشام بعد أن فتح شيزر ونهبها وفتح حمص سنة (٣٨٢هـ — ٩٩٢م) (ابن الأثير ٩ ص ٣١ والدبس ٥ ص ٤٠٢ والخطط ١ ص ٢٣١ و٢٤٢).

حمص وابن الصمصامة

بعد انصراف ملك الروم عن الشام؛ طمع منجوتكين في البلاد الشامية وعصي على خليفته، فأرسل هذا اليه حملة قادها أبو تميم بن جعفر؛ والتقى الجيشان في عسقلان؛ فانهزم ثم أسر وحمل الى مصر؛ وتولى أبو تميم ولاية الشام.

ولم يطل الأمر حتى ثار الدماشقة على الحكم الفاطمي ، فاضطر الحاكم الى إرسال حملة بقيادة محمد بن صمصامة تمكن بواسطتها من إخضاع المدينة.

وحاول أبو الفضائل استرداد آفاميا سنة (٣٨٨هـ — ٩٩٨م). ولكن حاكم أنطاكية أدركها فارتدّ عنها أبو الفضائل. واستنجد الملايطي المقيم فيها بجيش ابن صمصامة الموجود في دمشق فأنجده ونشبت الحرب بين الجيشين فانتصر الروم وفر المصريون حتى بعلبك وأثناء هزيمتهم أصيب قائد الروم بطعنة في جنبه مات على أثرها. فارتد عليهم ابن صمصامة فقتل من الروم ستة آلاف وتوجه بعدئذٍ الى شيزر ، فخف ملك الروم بنفسه اليها ففتحها و. لأها بالأرمن ليردّ عنها عادية الطامعين بها ؛ ثم سار الى حصن مصياد ، فلكه وهدمه ومنه الى رفنيه فأحرقها وسبى أهلها ، وظل سائراً يحرق ويهدم ويسبي حتى بلغ حمص فنزلها. وتحصن من أهلها نفر في كنيسة مار قسطنطين تحرماً بها ؛ فأحرقها الروم بمن فيها ؛ وكانت كنيسة معجزة. وحمل ملك الروم معه نحاسها ورصاصها (الأنطاكي ص ١٨٣ والخطط ص ٢٤٠).

وعلى أثر تراجع ملك الروم وعودته الى بلاده ؛ ساد ابن الصمصامة على بلاد الشام بعدئذٍ.

حمص والفاطميون

ظل أمر البلاد الشامية يتراوح بين الفاطميين وخصومهم وكان أعظمهم بنو حمدان الذين ضعف أمرهم بعد سيف الدولة. ثم أخذ نجم سعدهم يتضاءل شيئاً فشيئاً. إذ مات سعد الدولة سنة (٣٨١هـ — ٩٩١م) ثم مات ابنه أبو الفضائل سنة (٣٩٢هـ — ١٠٠١م). فضيق لؤلؤ وابنه منصور على ولدي أبي الفضائل فلاذا بالحاكم في مصر ؛ كما أن أبا الهيجاء بن سعد الدولة فرّ من حلب بزي امرأة ولجأ الى باسيليوس ملك الروم. ثم مات لؤلؤ سنة (٣٩٩هـ — ١٠٠٨م) واستأثر بالحكم ابنه منصور ؛ ولكنه لم يحسن السياسة ، فثار الناس عليه مما أجبره على اللواذ بالحاكم في مصر. وظل هذا التضعضع ملازماً لسورية حتى بسط الفاطميون سيطرتهم عليها سنة (٤٠٦هـ — ١٠١٥م) في الوقت الذي انقرضت فيه الدولة الحمدانية (أبو الفداء ص ١٤٠ والدبس ٥ ص ٤٠٥).

أما حمص فقد عنت لسلطة الفاطميين قبل هذا التاريخ. وإذ انتشر المذهب الشيعي فيها بتأثير الحمدانيين ، لم يصعب على سكانها دخول الفاطميين بلدهم وهم علويو المذهب.

وسرت فيهم الروح الشيعية من أواسط القرن الرابع ، حتى انهم أخذوا يؤذنون آذانهم منذ سنة (٣٤٧ هـ — ٩٥٧ م) إذ أضافوا اليه بعد «حي على الفلاح» . «حي على خير العمل ، محمد وعلي خير البشر» . كما انهم أضافوا اليه بعد «محمد رسول الله» أشهد أن علياً بالحق ولي الله. (المقريزي ٤ ص ٤٦).

وفي التقاليد التي سمعناها كابراً عن كابر أن الفاطميين كانوا يصلون في مصلى جامع علي ؛ وهو الجامع ذو المأذنة الشاهقة التي عصفت الأيام بأعلاها فقطمته وعرفت بعدئذٍ بالمأذنة المقطومة. ويقال إن الذي قطم هذه المأذنة إنما هو السلطان سليم الفاتح الذي كان يكره العلويين وأراد أن يمحو كل أثر للفاطميين في البلاد ؛ ولذلك هدم عدة أبنية من آثارهم أو من أملاك مريديهم في حمص وحماه.

حمص وصالح بن مرداس

سبق وذكرنا أن ابن لؤلؤ عنا للفاطميين حتى يتخلص من الثائرين عليه ، فوضعه الحاكم بأمر الله تحت حمايته ، ولقبه مرتضى الدولة ، وأقرّه على حلب ، فزادت بذلك الوحشة بينه وبين صالح بن مرداس الكلابي وعشيرته وأفضت الى حروب ، كانت معاركها سجالاً بين الفريقين. ثم ما لبث غلام المرتضى المدعو فتح أن عصي على مولاه وتحصن بقلعة حلب ، وكاتب الحاكم فولاه هذا على صيدا وبيروت لقاء تسليمه حلب الى نواب الحاكم. وفر ابن لؤلؤ الى انطاكية لائذاً بالروم سنة (٤٠٦ هـ — ١٠١٥ م).

وتنقلت حلب بين نائب وآخر حتى قتل الحاكم بأمر الله سنة (٤١١ هـ — ١٠٢٠ م) وتولى حلب ابن ثعبان ، فقصده صالح بن مرداس واستولى على المدينة والقلعة سنة (٤١٤ هـ — ١٠٢٣ م) وبسط سيطرته على حلب وحماه وحمص وبعلبك وغيرها.

ودام حكم ابن مرداس ست سنوات حتى قتل سنة (٤٢٠ هـ — ١٠٢٩ م) في معركة دارت بينه وبين الفاطميين في الأردن (الدبس ٥ ص ٤٠٦ وتاريخ حلب ٣ ص ٦٩ و ٧٠).

وما أن علم نواب صالح المقيمون في بعلبك وحمص وصيدا ورفنيه وحصن ابن عكار بخبر مقتله حتى تخلوا عن مدنهم فاستعادها الخليفة الفاطمي ؛ وبقيت حلب والرحبة وبالس ومنبج تحت حكم نصر وثمال ابنا صالح بن مرداس (الأنطاكي ص ٢٥٣).

حمص وثمال بن صالح

بقي نصر بن صالح ملكاً على حلب حتى سنة (٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) حينما أرسل اليه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله القائد أنوشتكين الوزيري على رأس جيش مصري ؛ فالتقاه بالقرب من حماه حيث جرت بينهما معركة انتهت بمقتل نصر واستيلاء الوزيري على حلب وبذلك خضعت له بلاد الشام بأجمعها.

فلما عظم أمر الوزيري ، وكثر ماله استقدم بعض المجندين من الأتراك ليعزز بهم موقفه. وبلغ المصريين أنه ينوي العصيان ، فأثاروا عليه أهل دمشق ، فخرجوا عن طاعته ، فقصد حماه فرأى فيها ما رآه في دمشق فاستنجد بابن منقذ الكفرطابي فأمدّه بألفي رجل ، سار بهم الى حلب سنة (٤٣٣ هـ — ١٠٤١ م) ؛ ولكن لم يطل الأمر به ؛ إذ توفي بعد شهر واحد من هذه الحركة.

ولما توفي الوزيري، اختل النظام في الشام. وثار البدو في جهات القطر وقدم ثمال بن صالح من الرحبة الى حلب فامتلكها سنة (٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) عندئذٍ توجه اليه الحسن بن حمدان أمير دمشق وجعفر بن كلشيد (الملقب شجاع الدولة) والي حمص بجماعة من الجند وقبائل العربان من الكلابيين وغيرهم فلم يفوزوا منه بطائل ؛ ووقع ابن حمدان أسيراً وكذلك راشد بن سنان أمير بني كلاب.

وأرسل الفاطميون رفق الخادم أمير الأمراء بثلاثين ألفاً لمحاربة ثمال ، فلم يتوفق بل انهزم جيشه وأسر هو ثم مات في حلب.

وبلغ جعفر والي حمص أن والي المعرة من قبل ثمال قد أساء التدبير فانحرف الناس عنه واضطر هو الى اللجوء بحلب ؛ فجهز حملة لامتلاك المعرة قادها بنفسه ؛ فلقيه فيها مقلد بن كامل بن مرداس فأوقع به وقتله وأرسل رأسه الى حلب.

ورأى الفاطميون صبر ثمال وبسالته وكانوا يظنون انه لا يجسر على الوقوف أمامهم فتجنبوا محاربته ؛ ورأى هو بدوره أن محاسنتهم أجدى له ؛ فأرسل إليهم الهدايا وأصلح أمره معهم متنازلاً عن حلب مختاراً ثم سار الى مصر سنة (٤٤٩ هـ — ١٠٥٧ م) وبقي فيها. وأثناء وجوده في مصر حدثت فتنة هناك فتكلف بإخمادها ففعل. وأقام ثمال في مصر الى أن توفي سنة (٤٥٤ هـ — ١٠٦٢ م).

وكان ثمال من أعظم رجال بني مرداس. فقد تضاءل أمرهم بعد وفاته وانقرضت دولتهم سنة (٤٧٣هـ — ١٠٨١م) بعد وفاته بتسع عشرة سنة. وكذلك كان شأن الفاطميين في الشام؛ إذ أخذ ضعفهم يظهر من سنة (٤٥١هـ — ١٠٥٩م) حتى زالت سيطرتهم نهائياً عنها سنة (٤٦٣هـ — ١٠٧١م) (أبو الفداء ٢ ص ١٦٦ وابن الأثير ٩ ص ٨٠ والخطط ١ ص ٢٥٢— ٢٥٤).

الفصل الثاني عشر

حمص والعلوم في هذه الحقبة

في هذه الحقبة التي كثرت فيها الغزوات الحربية والفتن والقلاقل، انحطت فيها معنويات الأهلين، لا في حمص فقط؛ بل في سائر المدن الشامية أيضاً.

على أن حمص امتازت على سواها بأن بقي فيها أثر للحياة في بعض العلوم ولا سيما الحديث. إذ أن البذرة المثمرة التي أُلقيت في تربتها لم تستطع الأيام أن تخنقها بفترة قصيرة؛ بل ظلت حية رغم الحوادث الخانقة ولكنها ختمت حياتها في هذه المدة بالبقية الصالحة من محدثيها.

ولقد رأينا في ما مضى؛ انه نزلها في صدر الاسلام خلق من الصحابة وانتشر بها الحديث في زمن التابعين انتشاراً حسناً. ثم اتسع نطاقه في زمن الأمويين ونبغ فيهم حريز بن عثمان وشعيب بن أبي حمزة واسمعيل بن عباس وبقية وسواهم. ولكنه بعد ذلك أخذ يتناقض في الحقبة الأولى من الحكم العباسي؛ ثم لفظ أنفاسه في هذه الحقبة التي نذكر فيها المحدثين الآتية أسماؤهم:

أشهر المحدثين الحمصيين في زمن العباسيين الثاني:

١ — ابرهيم بن اسحق بن أبي الدرداء الأنصاري من أهل حمص، استفاد من مشايخ دمشق وحدث بصور (ابن عساكر ٢ ص ١٩٨).

٢ — أحمد بن علي بن عبيد الله بن سعيد أبو الخير الكلفي الحمصي الحافظ ؛ حدث بدمشق وروى عنه تمام بن محمد الرازي (ابن عساكر ١ ص ٤٠٥).

٣ — أحمد بن عبيد بن أحمد أبو بكر الحمصي. ذكره تفري بردي (٣ ص ٣٣٦) وقال : انه توفي سنة (٣٥٢هـ — ٩٦٢م). وورد ذكره في تذكرة الحفاظ (٣ ص ٩٣).

٤ — أحمد بن محمد بن فضالة الهمذاني الحمصي المعروف بالسوسي ؛ قدم دمشق وحدث بها وبمصر. وروى عنه ابن أبي الحديد وتمام الرازي والعسكري. قدم مصر سنة (٣٣٨هـ — ٩٤٨م) وتوفي فيها سنة (٣٣٩هـ — ٩٤٩م). وكان ثقة وكتبه قيمة. (ابن عساكر ٢ ص ٧٤).

٥ — بشر بن مقاتل السمرقندي الحمصي الأصل ؛ قدم دمشق وحدث بها عن أبيه، كتب عنه أبو الحسين الرازي (ابن عساكر ٣ ص ٢٥٣).

٦ — الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو علي الكندي الحمصي ؛ فقيه، سمع الحديث بدمشق والرملة وطبرية ومكة وحمص من جماعة ؛ ونزل بعلبك وروى عنه تمام بن محمد قوله : ان المساجد التي انما تشدّ اليها الرحال ثلاثة : مسجدي الذي أسس على التقوى والمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

٧ — الحسن بن محمد بن عبيد الله بن الفضل أبو علي الكلاعي الحمصي ؛ ذكره ياقوت (٣ ص ٣٤١) وقال إنه توفي في ١٠ ربيع الأول سنة (٣٥١هـ — ٩٦١م).

٨ — الحسن بن منصور بن هاشم أبو القاسم الحمصي ؛ روى الحديث عن جماعة. وروى عنه تمام بسنده الى أنس (ابن عساكر ٤ ص ٢٥١).

٩ — حمزة بن عثمان أبو الأعز العبيدي الحمصي ؛ اعتنى بالحديث، وحدث بدمشق بسنده الى أنس (ابن عساكر ٤ ص ٤٤٥).

١٠ — عبد الله بن الحسن بن محمد بن عبد الله أبو محمد الكلاعي الحمصي البزاز مات سنة (٤١٤هـ — ١٠٢٣م) (ابن عساكر ٧ ص ٣٦٥).

١١ — محمد بن تمام بن صالح أبو بكر الحراني الحمصي ؛ ذكره ياقوت (٥ ص ١١٣) انه

حدث بدمشق ، وروى عنه كثيرون . توفي ليلة الجمعة نصف رجب سنة (٣١٣هـ — ٩٢٤م) .

١٢ — محمد بن عبيد الله بن فضيل الحمصي ؛ ذكره ياقوت الحموي (١ ص ٢٧٧) بين الذين أخذ عنهم أحمد بن الحسين أبو العباس الزاهد الاصطخري المتوفى بمصر سنة (٣٢٦هـ — ٩٣٧م) .

١٣ — محمد بن العباس السكوني الحمصي ؛ ذكره ياقوت (٥ ص ٨٩) بين الذين أخذ عنهم العباس بن الفضل بن فضلون الدينوري المتوفى سنة (٣١٣هـ — ٩٢٤م) .

١٤ — محمد بن مخلد أبو اسلم الرعيني الحمصي ؛ روى عنه مالك وغيره (الميزان ٣ ص ١٣٢) .

١٥ — المسدد بن علي الأفلوكي ؛ شيخ دمشقي ، قال فيه الكناني ؛ متساهل . وقال ابن عساكر : هو أبو المعمر الحمصي ، خطيب حمص ، وإمام مسجد سوق الأحد ، توفي سنة (٤٣١هـ — ١٠٣٩م) (الميزان ٣ ص ١٦٢) .

١٦ — منهال بن محمد بن منهال الجوسي الحمصي ؛ حدث عن أبيه ، قال ذلك ابن منده ؛ وثقه ياقوت (٣ ص ١٧١) .

١٧ — موسى بن عيسى بن المنذر وأبو عمرو الحمصي ؛ ذكره ياقوت (٥ ص ٣٥١) بين الذين أخذ عنهم الحديث محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن النعمان (صاحب رسول الله) أبو عبد الله الأنصاري الصرفندي .

١٨ — نصر بن خريد بن جنازة أبو علقمة الحمصي ؛ أخذ عنه عبد الله بن عبيد بن يحيي أبو العباس بن أبي حرب السلماني (ياقوت ٥ ص ١١٣) .

١٩ — هبيل بن محمد الحمصي ؛ ذكر ياقوت (٣ ص ٧٨) والبستاني بطرس في دائرته (١ ص ٥٩٧) : إن ابن الغصان (٢٧٧هـ — ٣٦٥هـ ، ٨٩٠م — ٩٧٥م) أخذ عنه .

٢٠ — وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب الحبشي الحمصي ، روى عن أبيه ، عن جده ، وثقه البعض وقال فيه العجلي لا بأس به (الميزان ٣ ص ٢٦٨) .

أمراء حمص في هذه الحقبة

ونذكر فيما يلي أسماء أمراء حمص في هذه الحقبة وفقاً لتسلمهم زمام أمور المدينة :

١ ـــ ابن علي الهاشمي	(٣١٨ هـ ـــ ٩٣٠ م)
٢ ـــ لؤلؤ عامل الأخشيد	(٣٢٠ هـ ـــ ٩٣٢ م)
٣ ـــ أبو بكر محمد بن رائق	(٣٢٨ هـ ـــ ٩٣٩ م)
٤ ـــ محمد بن علي بن مقاتل	(٣٣٢ هـ ـــ ٩٤٣ م)
٥ ـــ الحسين بن سعيد بن حمدان	(٣٣٢ هـ ـــ ٩٤٣ م)
٦ ـــ الحسن بن لؤلؤ	(٣٣٣ هـ ـــ ٩٤٤ م)
٧ ـــ تغلب بن حمدان	(٣٤٣ هـ ـــ ٩٥٤ م)
٨ ـــ أبو فراس الحمداني	(٣٥١ هـ ـــ ٩٦٢ م)
٩ ـــ أبو المعالي بن سيف الدولة	(٣٥٩ هـ ـــ ٩٧٠ م)
١٠ ـــ بارقطاش	(٣٦٥ هـ ـــ ٩٧٦ م)
١١ ـــ بكجون	(٣٦٧ هـ ـــ ٩٧٨ م)
١٢ ـــ منجوتكين	(٣٨١ هـ ـــ ٩٩١ م)
١٣ ـــ محمد الصمصامة	(٣٨٨ هـ ـــ ٩٩٨ م)
١٤ ـــ صالح بن مرداس	(٤٠٦ هـ ـــ ١٠١٦ م)
١٥ ـــ نصر بن صالح	(٤٢٠ هـ ـــ ١٠٢٩ م)
١٦ ـــ جعفر بن كلشيد	(٤٤٠ هـ ـــ ١٠٤٩ م)
١٧ ـــ ثمال بن صالح	(٤٤١ هـ ـــ ١٠٥٠ م)
١٨ ـــ القاضي أبو الحسن علي بن هندي	(٤٥٠ هـ ـــ ١٠٥٨ م)

الفصل الثالث عشر

الشعراء الذين ماسُّوا حمص

ذكرنا أن مدن الشام في هذه الحقبة انحطت في العلم انحطاطاً واضحاً ، نظراً لكثرة النكبات التي انتابتها بتتابع الفاتحين والغزاة ؛ وانصرف الناس عن طلب العلم الى ما ينيلهم بلغة العيش ؛ فكثر فيهم عدد الصبَّاغين والدباغين والنحاسين وسواهم من ممتهني الحرف بغية الارتزاق. على أن هذا لا يعني انطفاء نور الأدب في البلاد الشامية ؛ فإن عهد سيف الدولة الحمداني نشط الشعر والشعراء. وكان حظ حمص حسناً لاتصالها بأعلاهم كعباً وأوسعهم شهرة وصيتاً ممن أشرنا إليهم ، وهما : أبو فراس الحمداني الذي كان أميراً على حمص. والمتنبي الذي أمضى مدة فيها ، واستوحت عروس الشعر خواطره في إبان كربته. ولم تكن نكبته أقل قيمة في نظر المتأدبين من روائعه في مفاخره وحكمه. وإلى القارىء بعض ما اتصل بنا عن النابغين مما له صلة بتاريخ حمص :

١ ــ أبو فراس الحمداني

هو الحارث بن سعيد بن حمدان ولد سنة (٣٢٠هـ ــ ٩٣١م) من أسرة الأمراء الحمدانيين ، يوم كانوا في أوج عزهم وسؤددهم ؛ إذ بسطوا سيطرتهم على الموصل ؛ ثم تفرق أشبالهم يبغون لأنفسهم عرناً أخرى يأوون إليها ؛ فملكوا شمالي سورية. وكان من حظ سيف الدولة أن سبقهم جميعاً الى التملك إذ أصبح أمير حمص سنة (٣٣٣هـ ــ ٩٤٥م) ثم انتزع حلب من يد أميرها ، وأنشأ بلاطاً جمع الكثير من الشعراء والأدباء واللغويين والفلاسفة والموسيقيين.

وفي أيام هذا الملك الكريم ترعرع أبو فراس ، فشب مفاخراً بجده وأبيه وأعمامه ولا سيما سيف الدولة ابن عمه.

وكان سيف الدولة يعطف على أبي فراس عطفاً خاصاً ويأنس لحديثه وهو حدث بعد ويتوسم فيه الخلال والمزايا الطيبة.

وما أن بلغ أبو فراس أشده ؛ حتى حقق آمال ابن عمه ، لا في الأدب فحسب ، بل في الشجاعة والدربة العسكرية أيضاً. إذ حارب الدمستق قائد قواد الروم ، ودفع عن

البلاد عدة هجمات قام بها أولئك. وكان إذا عاد من غزواته يبدي من روائع أفكاره في ديوان ابن عمه ما يأخذ بالألباب. ولم يكن أحد من الشعراء والأدباء يستطيع مباراته، حتى المتنبي نفسه الذي كان يتحاشى الاصطدام به.

روى ابن خلكان ان سيف الدولة طلب مرة من يجز له بيتاً من الشعر فلم يحسن أحد إجازته كأبي فراس. فوهبه الملك قرية في مقاطعة منبج تغلّ له ألفي دينار في السنة.

على أن أبا فراس لم يكن ليلهو بالشعر عن حماية البلاد من أعدائها والطامعين بها. فكان كثيراً ما توقعه شجاعته الى المغامرة بنفسه في معارك لا قبل لسواه بخوضها، حتى أسر سنة (٣٤٨هـ — ٩٥٩م) فحمله الروم الى خرشنة؛ ولكنه تخلص من أسره هذا بعد مدة غير طويلة بطريقة تحسب أعجوبة أو أسطورة (ابن خلكان ١ ص ١٢٧ ودائرة معارف بطرس البستاني ٢ ص ٣٠٠ ودائرة فؤاد افرام البستاني ٥ ص ٢٩ — ٣١).

ولكنه لم يلبث أن حضر معركة ثانية وقع فيها أسيراً مع عدد كبير من الحمصيين والحلبيين وكان ذلك على أصح الروايات سنة (٣٥١هـ — ٩٦٢م) فحمله الروح هذه المرة الى القسطنطينية حيث بقي أسيراً أربع سنوات. وقد نظم أبو فراس في هذه المدة أرق قصائده وأكثرها عذوبة.

وبعد سنة من الإفراج عنه مات ابن عمه سيف الدولة سنة (٣٥٦هـ — ٩٦٧م) ونودي بابنه أبي المعالي خليفة لأبيه الذي كانت أمه أختاً لأبي فراس، فرأى هذا أن له الحق بالاستيلاء على قسم من مملكة ابن عمه، فاتجه نحو حمص ومكث فيها. وأوجد هذا العمل جزعاً في قلب ابن أخته وخوفاً من خاله؛ فما كان منه إلّا أن أرسل اليه جيشاً يقوده قرغويه مولى أبيه، وهكذا ضاق الخناق على أبي فراس حتى قتل في قرية صدد يوم السبت في ٢ جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ الموافق ٤ نيسان سنة ٩٦٨). (ديوان أبي فراس لسامي الدهان ٢ ص ١٤٢ ودائرة معارف فؤاد البستاني ٥ ص ٣١).

ومما يذكر أن أبا فراس قال قبل موته هذه الأبيات:

أبنيتي لا تجزعي ... كل الأنام الى ذهاب
نوحي عليّ بحسرة ... من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني ... فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا ... س لم يمتع بالشباب

ويجدر بنا هنا أن نورد بعض أبيات مما نظمه أبو فراس للدلالة على مكانته الشعرية العالية ؛ فمن قصيدته اللامية التي مطلعها «مصابي جليل والعزاء جميل».

وإن وراء الستر أمّاً بكاؤها   عليّ وإن طال الزمان يطولُ
فيا أمتا لا تعدمي الصبر انه   الى الخير والنجع القريب رسولُ

ومن جميل فخرياته قوله :

إنّـا إذا اشتـدّ الـزمـا   ن ونـاب خـطب وادلهم
ألـفـيت حول بـيوتـنا   عـدد الشـجاعة والكـرم

ومن غزله النزيه قصيدته الشهيرة :

أراك عصيَّ الدمع شيمتكَ الصبرُ   أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
تكاد تضيءُ النار بين جوانحي   اذا هي أذكتها الصبابةُ والفكرُ

ومن أجمل تفاخره بها ما جاء في أواخر هذه القصيدة :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم   وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ
ونحن أناسٌ لا توسطَ بيننا   لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ

ومن حكمه في هذه القصيدة :

وما حاجتي بالمال أبغي وفوره   اذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفرُ
ولا خير في دفع الردى بمذلّةٍ   كما ردها يوماً بسوءته «عمرو»

ومن حكمه أيضاً في قصيدة استعطف بها سيف الدولة لفك أساره :

بمن يثق الانسان في ما ينوبه   ومن أين للحرّ الكريم صحابُ
وقد صار هذا الناس إلّا أقلّهم   ذئاباً على أجسادهن ثيابُ
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ   وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ   وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا نلت منك الودّ فالكلّ هيّنٌ   وكلّ الذي فوق التراب ترابُ

قال الثعالبي في أبي فراس : كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً وبلاغة وفروسية وشجاعة. وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذرية

والفخامة. ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلّا في شعر عبد الله بن المعتز؛ وأبو فراس يعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام.

وقال فيه الصاحب بن عباد: بدىء الشعر بملك وختم بملك، فالملك الأول امرؤ القيس والأخير أبو فراس الحمداني.

٢ـــ المتنبي



المتنبي، الشاعر

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي. ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـــ ٩١٥م) في محلة يقال لها كندة. وقدم الشام في صباه وفيها تأدب ونشأ. ولقي كثيرين من كبار علماء الأدب كالزجاج وابن السراج وابن دريد والأخفش والفارسي وسواهم فتخرج عليهم؛ وبرز نادرة الزمان في الشعر وفنون الأدب لا يباريه مبارٍ.

نشأ أبو الطيب منذ حداثته كبير النفس طموحاً الى المجد حتى بلغ من علوّ همته أن دعا قومه الى بيعته بالخلافة (اليتيمة ١ ص ٧٩). وكاد يتم الأمر له لو لم يدبر به الوالي فسجنه، فأرسل اليه قصيدة يستعطفه فيها فأطلقه.

ولما اشتهر أمر المتنبي وشاع ذكره خرج بأرض سلمية من عمل حمص في بني عدي فقبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها كوتكين، وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف؛ فقال المتنبي:

زعم المقيم بكوتكين بأنه ‏ ‏ ‏ من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبته مذ صرت من أبنائهم ‏ ‏ ‏ صارت قيودهم الى الصفصاف

وروي في شرح ديوانه: إن سجانه في حمص (وهو أبو دلف بن كنداج) أهدى اليه هدية وهو معتقل فكتب اليه من السجن:

أهون بطول الثواء والتلف   والسجن والقيد يا أبا دلفِ
غير اختيار قبلت بركوبي   والجوع يرضي الأسود بالجيفِ

وبعد أن أطلق سراحه ، عاد الى البادية وتوغل بين الأعراب يخليهم بمنطقة الرائع . وإذ رأى تعدد الفرق الباطنية ورأى القرامطة والاسماعيلية وسائر فرق الشيعة ، كل منها يدعو الى مذهب خاص ؛ ادعى النبوة سنة (٣٣٠هـ — ٩٤١م) وفتن شرذمة من الناس بقوة أدبه وسحر بيانه ؛ ونظم بعض فقرات مسجعة سماها قرآناً . ولكن الدهر ذهب بما قاله بهذا الشأن ؛ ولم يصل إلينا الاّ جزء من سورة «كما أسماها» هي :

«والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امضِ على سنتك ، واقفُ أثر من قبلك من المرسلين ؛ فإن الله قامع بك زيغ من الحدّ في دينه ، وضلّ عن سبيله» .

ولما سئل عن النبي محمد قال : إنه بشّر بمجيئي وأخبر بنبوتي إذ قال : «لا نبيَّ بعدي» وأنا اسمي في السماء «لا» .

عندئذ قبض عليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الأخشيد فيها ، فأوثقه ثم أطلقه بعد أن استتابه وتفرق عنه أصحابه ، وطفق المتنبي يتردد في أقطار الشام حتى اتصل بأبي العشائر الحسن بن علي بن الحسن الحمداني سنة (٣٣٧هـ — ٩٤٨م) والي انطاكية ومدحه بقصائد عامرة الأبيات ؛ فقدمه هذا الى سيف الدولة بعد أن أكرمه وأجازه ، وعرفه بمنزلته من الأدب والشعر ، فضمه سيف الدولة اليه وحسن موقعه عنده وسلمه الى الرواض فعلموه الفروسية والطراد حتى لا يفارقه لا في الحرب ولا في السلم ؛ وأغدق عليه نعمه بسخاء حتى بلغ مقدار ما يؤدي اليه في السنة ثلاثة آلاف دينار خلا الاقطاعات والخلع والهدايا المتفرقة .

ثم وقعت وحشة بينه وبين سيف الدولة على أثر مناظرة جرت بينه وبين ابن خالويه النحوي ، أدت الى النفور والمهاترة ؛ فوثب ابن خالويه على المتنبي وضربه بمفتاح كان في يده فشجه . وغضب المتنبي لأن سيف الدولة لم ينتصر له ففارقه ، ؛ وقصد مصر سنة (٣٤٦هـ — ٩٥٧م) حيث اتصل بكافور الأخشيدي ومدحه بعدة قصائد . فأكرمه كافور ، ولكن المتنبي كان يطمح الى أكثر مما ناله ؛ فأجزع ذلك كافوراً وأشاح وجهه عنه .

عندئذ استاء المتنبي منه فهجاه هجاء مقذعاً وفارقه في أواخر سنة (٣٥٠هـ ــ ٩٦١م) قاصداً بغداد.

وفي بغداد جرت له القصة المشهورة مع اطاشي، ففارق العراق متوجهاً الى بلاد فارس، فمرّ بارجان وفيها ابن العميد، فجرت له معه عدة مساجلات، ثم ودعه وسار سنة (٣٥٤هـ ــ ٩٦٥م) قاصداً شيراز حيث اتصل بعضد الدولة بن بويه الديلمي ونال عنده كرامة حسنة ومدحه بقصائد عدة؛ ولكنه لم يطل الاقامة عنده، بل ودعه في أول شعبان سنة ٣٥٤هـ، ١٢ آب ٩٦٥م بقصيدة كانت آخر منظوماته.

فإنه إذ كان على الطريق تصدى له فاتك بن جهل الأسدي ومعه جماعة من أصحابه فقاتلوه؛ وكان مع المتنبي ابنه محسد وغلامه مفلح فقتلوا جميعاً. وكان مقتل المتنبي في ٢٨ رمضان سنة ٣٥٤هـ ٢٧ أيلول ٩٦٥م. وكان ذلك بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من بغداد.

أما مكانة المتنبي من حيث المعاني الشعرية الجميلة ففي الدرجة التي لا يشق له فيها غبار. وحسبنا أن نروي الحادثة التالية التي تدل على مكانته حتى عند حاسديه:

روى صاحب الصبح المنبي (اليازجي ص ٦٦١ وجرجس كنعان ص ٣٧٥): انه كان لابن جني هوى في أبي الطيب: وكان كثير الإعجاب بشعره. كما كان يسوؤه جداً إطناب أبي علي الفارسي في الطعن عليه، واتفق أن قال أبو علي يوماً: اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه، فابتدر ابن جني وأنشد:

حلتِ دون المزارِ فاليوم لو زر ... ت لحالَ النحولُ دون العناقِ

فاستحسنه أبو علي واستعاده وقال: لمَن هذا البيت؟ فقال ابن جني: هو للذي يقول:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقال أبو علي: والله وهذا أحسن فلمَن هو؟ قال ابن جني للذي يقول:

أمضى إرادته فسوف له قد ... واستغرب الأقصى فثم له هنا

فكثر إعجاب أبي علي واستغرب معناه وقال لمن هذا؟ فقال للذي يقول:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

فقال هذا والله أحسن ؛ ولقد أطلت يا أبا الفتح فمن هذا القائل؟ قال ابن جني : هو الذي لا يزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيَّه وفعله؟ وما علينا من القشور إذا استقام اللباب؟ قال أبو علي أظنك تعني المتنبي؟ قال : نعم. فقال : والله لقد حببته إليّ».

وما يهم أبناء حمص من شعره انه ذكر مدينتهم ذكراً حسناً في قصيدته اللامية التي مدح بها سيف الدولة لإنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسر الخارجي سنة (٣٣٧هـ — ٩٤٨م) إذ يقول :

خذوا ما أتاكم به واعذروا فإن الغنيمة في الآجل
وإن كان أعجبكم عامكم فعودوا الى حمص في القابل

وقد أراد المتنبي هنا التهكم بالخصوم بقوله : خذوا ما أتاكم به سيف الدولة من ضمان أبي وائل : وإن كان أقل مما تمنيتم ، فإن الغنيمة في العاجل ؛ والآجل ربما لا يحصل. وإن كنتم سررتم لعامكم هذا فعودوا في العام المقبل الى حمص محل المعركة لتلاقوا الهول الذي سبق لكم رؤيته.

ولما توفي أبو وائل تغلب بن داود بن حمدان في حمص سنة (٣٣٨هـ ٩٤٩م) رثاه بقصيدته الدالية التي مطلعها :

ما سوكت علة بمورود أكرم من تغلب بن داود

وفي هائيته التي يمدح بها عضد الدولة عند قدومه في شيراز إذ يقول في حمص :

أحب حمصاً الى خناصرة وكل نفس تحب محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنان وثغري على محياها
وصفت فيها وصيف بادية شتون بالصحصحان شتاها

٣— ابن أبي حصينة

هو ابو الفتح ، الحسن بن عبد الله بن احمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة ، ولد في المعرة في اواخر القرن الرابع الهجري ونشأ فيها وعاصر فيلسوف المعرة وشاعرها ابا العلاء المعري ؛ وأصبح من الشعراء المجيدين يستشهد المؤرخون بشعره في مواضع كثيرة وانقطع

الى دولة آل مرداس بحلب فامتدح امراءهم واغدقوا عليه النعم الطائلة ، وكان على ما يظهر طامحاً الى لقب الامارة ساعياً اليه ، يلذه فوق كل شيء أن يلقب بالأمير وقد تم له ما اراد اذ ناله من الخليفة الفاطمي المستنصر سنة (٤٥١ هـ — ١٠٥٩ م) بكتاب موقع منه . ولازم هذا الشاعر آل مرداس ومدحهم بقصائد رائعة وقد اغدقوا عليه الأموال الطائلة واقطعوه بعض القرى . وعمَّر ابن ابي حصينة طويلاً اذ توفي في سروج سنة (٤٥٧ هـ — ١٠٦٥ م) عن عمر يقارب الثمانين عاماً.

ومن شعر ابن أبي حصينة في حمص وقد نقلها ابن الوردي في تاريخه (م ص ٢٠٨) هذه الأبيات :

يا صاحبي سقى منازل جلق غيثاً يروي ممحلات لحاسها
من لي ببرد شبيبة قضيتها فيها وفي حمص وفي عرناسها

(دائرة معارف فؤاد افرام البستاني ٢ ص ٣٠٠ — ٣٠١).

٤ — ابو العلاء المعري

هو ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ؛ شاعر اعمى وفيلسوف حكيم ، يعتبر في الصناعتين اماماً . ولد في المعرة يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ و٢٦ كانون الأول سنة ٩٧٣ م وتوفي فيها يوم الجمعة في ١٣ ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ و٢٠ ايار سنة ١٠٥٧ م .

ذكر ياقوت في معجم الادباء (٣ ص ١٠٨) ان جد ابي العلاء كان قاضي المعرة ، ثم ولي القضاء بحمص وبها توفي سنة (٢٩٠ هـ — ٩٠٢ م) ثم ولي القضاء بعده فيها ولده ابو بكر محمد عم أبي العلاء ؛ ثم بعده اخوه ابو محمد عبد الله والد أبي العلاء الذي توفي بحمص سنة (٣٧٧ هـ — ٩٨٧ م).

وقد وردت حمص على لسان أبي العلاء أكثر من مرة ومما قاله فيها :

وكم نفست في حمص من متأسف غدا الموت منها آخذاً بالمخنّق
وكم قطعت نهر الاورند اليهمو كتائب تزجي فيلقاً بعد فيلق

وقوله في مناسبة أخرى :

مدحتكمْ مدحَ الوليد بفارس   رجالاً بحمص كان جدهمُ السمط

(دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ٤ ص ٤٥٥ — ٤٦٦).

٥ — ابن معمعة الحمصي

هو أحمد بن معمعة الحمصي ؛ شاعر لطيف المعاني ، جميل الوصف ؛ ولد في حمص ونشأ فيها واشتهر بملازمته أبي المعالي بن سيف الدولة الحمداني والتزم بمدحه ومدح بعض الامراء الحمدانيين ، فأكرموه وأجازوه.

أما غالبية شعره فهو من النوع الهزلي الجيد السبك والعبارة. ومن أجمل قصائده تلك التي القاها امام أبي المعالي بن سيف الدولة يصف فيها ديكاً له والتي يقول في مطلعها :

يا بن اقبال وائل والكرام الـ   صيد من تغلب قروم القروم

الى أن يقول :

ليَ ديك حضنته وهو في الـ   بيضة من منصب كريم أظيم
ثم ربيته وهو كالطفل رضيعاً   ومنذ حال الفطيم
يأكل العفو كيف شاء ومن مالي   كأكل الوصي مال اليتيم
وهو عندي في صورة الولد البرِ   وفي صورة الشقيق الحميم
أبيض اللون افرق الطرف نظار   بعين كأنها عين ريم
وعلى نحره وشاحان من شذرٍ   بهيج ولؤلؤ منظوم
رافع راية من الذهب المشرقِ   يسعى بها كسعي الظليم
وله خنجران من قصب السا   قين قد ركبا لحفظ المريم
وعليه من ريشه طيلسان   صيغ من صنعة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حمصٍ   له بالجلال والتعظيم
يتجاوبن بالصباح مشيرا   ت اليه في ذاك بالتسليم
واذا ما رأيته في خميس   من دجاجاته كبار الجسوم
قلت ملك يخدمنه ، فتيات   يتهادين بين زنج وروم

ثاقب العلم بالمواقيت ليلاً ونهاراً وحاذق بالنجوم
واذا قمت للصلاة دعون الله بالعز والنعيم المقيم
لشريف أبي المعالي بن سيف الدولة السيد الكريم الرحيم

الجغرافيون في هذه الحقبة

تحسن علم الجغرافيا في هذه الحقبة تحسناً ظاهراً ، فان الفتوحات الاسلامية والاسفار التجارية ، اعطت رواد هذا العلم معلومات جديدة ، لم يسبقوا اليها . وبدأ الجغرافيون برسم الخرائط والمصورات الجغرافية ، وهذه وان لم تبلغ درجة الاتقان ، الا أنها اعتبرت اساساً لما ولي ذلك من متقنات هذا الفن .

ولقد اتصل بنا اسماء كثيرين ممن نبغوا في هذه الحقبة ، منهم ابو زيد البلخي صاحب كتاب « صدر الأقاليم » والاصطخري وابن حوقل والمقدسي . والى القارىء ما ذكره هؤلاء عن حمص مع لمحة يسيرة عن حياة كل منهم :

١ — ابو زيد البلخي :

هو أحمد بن سهل ، ولد في بلخ ، ونشأ في العراق ، له عشرات من المؤلفات في مواضيع مختلفة ، ذكرها ابن النديم (الفهرست ص ١٩٨) لم يصلنا شيء منها وانما وصل الينا كتاب البدء والتاريخ وكتاب صدر الأقاليم وقد ذكرهما حاجي خليفة (كشف الظنون ١ ص ١٨٧ و٢ ص ٨٢) وقال : ان ابا زيد توفي سنة (٣٤٠هـ — ٩٥١م) وقد وعى الاصطخري في جغرافيته كتاب أبي زيد ولذلك فاننا نقتصر الكلام عن مدينة حمص على كتابة الاصطخري .

٢ — الاصطخري :

هو أبو اسحق الفارسي من أهل اصطخر ، له كتابان ، أولها كتاب « الأقاليم » والثاني « مسالك الممالك » . وقد اعتمد في التالي على صدر الاقاليم للبلخي . ولد الاصطخري ونشأ في اصطخر ، وعني بالأخبار عن البلاد ، فساح سنة (٣٤٠هـ — ٩٥١م) وطاف كل

بلاد المسلمين مبتدئاً من بلاد العرب الى الهند. ولقي في رحلته جماعة من العلماء في كل فن، وكان يصف كل بلد يزوره بما يسمع ويرى وصفاً مفيداً؛ فجاء كتابه جامعاً بين اللذة والفائدة؛ وجعل اساسا لمن صنف بعده؟ ولذلك اعتبره الافرنج أول جغرافي عربي (دائرة البستاني ٣ ص ٧٤٤ــ ٧٤٥). ولد سنة (٣٢٤هـ ــ ٩٣٥م) وتوفي سنة (٤٠٣هـ ــ ١٠١٢م).

وقد جاء في كتابه ص ٦١ من كتابه المطبوع عن حمص ما يأتي:

«مدينة حمص في مستوىً من الأرض، خصبة جداً؛ من أصح بلاد الشام هواءً وتربة؛ في أهلها جمال مفرط، وليس بها عقارب ولا حيات، ولها مياه وزروع كثيرة؛ وأكثر زروع رساتيقها مفيد ولذيذ. بها كنيسة، بعضها مسجد جامع، وبعضها كنيسة؛ وهي من أعظم كنائس الشام. وعامة طرق حمص مفروشة بالحجارة».

٣ــ ابن حوقل:

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي؛ رحالة من علماء تخطيط البلدان، سافر من بغداد، وطاف البلاد الاسلامية ووصفها كما شاهدها، وقد استغرقت رحلته هذه/ ٢٨/ سنة من سنة (٣٣١ــ ٣٦١هـ، ٩٤٢ــ ٩٧١م) والف في رحلته كتاباً جميلاً سماه «المسالك والممالك» ــ دائرة معارف بطرس البستاني ٢ ص ٤٢١ ــ غير أن ابن حوقل لم يكن جغرافياً؛ ولذلك انتقده ميلترون وقال: ان كتابه مشحون بالغلط وقال حاجي خليفة (كشف الظنون): انه لم يضبط الأسماء، ولعل غلطه كان من هذا القبيل.

توفي ابن حوقل سنة (٣٨٠هـ ــ ٩٩٠م) (الاعلام ٣ ص ٨٩٢).

أما ما ذكره ابن حوقل عن حمص، فهو مثل ما ذكره الاصطخري الا أنه زاد عليه «ان الروم كانوا في زمانه قد دخلوها وأتوا على سوادها وخربوها».

٤ــ المقدسي:

هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء المعروف بالمقدسي. رحالة جغرافي، ولد في القدس سنة (٣٣٦هـ ــ ٩٤٧م)؛ وتعاطى التجارة؛ فتجشم اسفاراً هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع الى تتبع ذلك؛ فطاف أكثر بلاد الاسلام وصنف

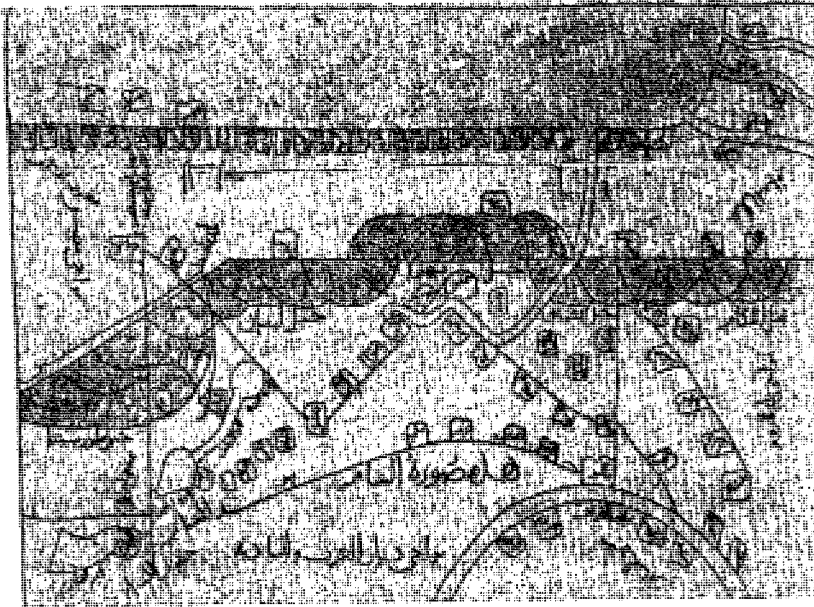
كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وقد امتاز فيه عمَّن سبقه، بكثرة ملاحظاته وسعة نظره (الاعلام ٣ ص ٨٤٧) ومات سنة (٣٨٠هـ — ٩٩٠م)

روى حاجي خليفة: انه رأى نسخة من كتابه كتبت سنة (٤١٤هـ — ١٠٢٣م) المقدسي المذكور اعلاه فقد الفه سنة (٣٧٥هـ — ٩٨٥م) وذكر فيه عن حمص ما يأتي:

في ص ١٥١ يقول: حمص المعروفة بالرخص وطيب الهواء.

وفي ص ١٥٤ يقول: واما حمص فاسم القصبة ايضاً ومن مدنها سلمية، تدمر، خناصرة، كفرطاب، اللاذقية، جبلة، انطرطوس، بلتباس، حصن الخوابي.

وفي ص ١٥٦ يقول: حمص، ليس بالشام بلد أكبر منها، وفيها قلعة متعالية عن البلد، ترى من الخارج. أكثر شرب أهلها من ماء المطر ولهم ايضاً نهر. ولما فتحها المسلمون عمدوا الى الكنيسة فجعلوا انصفها جامعاً. وفي السوق قبة على رأسها شبه رجل من نحاس، واقف على سمكة، تديرها الارياح الاربع. وفيه اقاويل لا تصح. والبلد شديد الاختلال، متداع الى الخراب، والاسعار بها رخيصة. والقصبة قريبة من البادية رحبة طيبة.



سورية كما رسمها ابن حوقل في كتابه عن الأرض

الحقبة الخامسة

٤٧٣ — ٦٩٠هـ، ١٠٨٠ — ١٢٩١م

الفصل الرابع عشر

العراك بين الشرق والغرب
السلاجقة وآل طغتكين وزنكي وأيوب
في الشرق والصليبيون في الغرب

تمهيد

كانت البلاد السورية في هذه الحقبة عبارة عن شعلة لا يكاد يهدأ أوارها حتى يأتي من يضرم سعيرها. ومنذ تقلص ظل السيادة العربية فيها الإحن والنوائب. وأوجدت القسوة التركية المصحوبة بشيء من التعصب الديني الذي تذرع به هؤلاء لتأييد سيادتهم، نفرة بين المسلمين والمسيحيين، كان ممهداً الطريق للحروب الصليبية التي جرّت على الشرق خراباً لم ترمم ثلماته في سنين طويلة. وخلاصة ما يقال عن تلك النكبات نسرده فيما يلي:

اختلف المؤرخون حسب أهوائهم في تعليل الحروب الصليبية. وليس الآن مقام غربلة هذه الآراء وتذريتها لمعرفة الصحيح من الفاسد منها ولكننا رأينا أن ما أجمع عليه المنصفون أن للحملات الصليبية أسباباً مهيئةً وأسباباً مكملة. فمن الأولى، حلول جفاء التركمان محل السماحة العربيّة في الشرق، والاستعداد الحربي في أواسط أوروبا في الغرب؛ ومن الأخيرة ما رآه بطرس الناسك في زيارته المقدس سنة (٤٨٦هـ — ١٠٩٣م) من تشديد الحكام

على الحجاج المسيحيين وسخط الرأي العام الأوروبي على الأتراك فتجردت تسع حملات أوروبية على الشرق بغية استخلاص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين هذه خلاصة عن كل منها :

١ — ١٠٩٦ — ١٠٩٩م — دعا اليها البابا أوربانوس الثاني ؛ وقادها غودفروي الفرنسي واخواه غوستاف وبلدوين وعدد جيوشها ثلاثمائة ألف. وبعد مشاق كثيرة ؛ استطاعوا أن يستولوا على كثير من المدن السورية الداخلية عدا حمص وحماه ودمشق وحلب ولكنهم تغلبوا على معظم المدن الساحلية وأنشأوا في سوريّة أربع إمارات هي : الرها وانطاكية والقدس وطرابلس.

٢ — ١١٤٧ — ١١٤٩م. دعا إليها البابا انجانيوس الثالث وقادها لويس السابع الفرنسي وكونراد الثالث الجرماني وعدد جيشها نحو/ ١٨٠ / ألفاً وقد جاءت هذه الحملة نجدة لبلدوين الثالث بعد أن استظهر المسلمون على الإفرنج واستردوا منهم الرها وبعض الأماكن الأخرى ولكنهم لم يفلحوا في جهة من الجهات. وظهر في هذه الفترة صلاح الدين الأيوبي الذي استولى على القدس بعد أن مزق الصليبيين شر ممزق.

٣ — ١١٨٩ — ١١٩٣م. دعا اليها البابا أكليمنضوس الثالث وقادها فردريك بارباروس الجرماني وفيليب أوغست الفرنسي وريكاردوس قلب الأسد الإنكليزي. وكانت هذه الحملة من أهم الحملات الصليبيّة ، إذ استطاعوا أن يعيدوا الحرية التي خسرتهم إياها الحملات السابقة وعقدوا مع السلطان صلاح الدين الأيوبي هدنة لثلاث سنوات.

٤ — ١٢٠٤م. دعا إليها البابا اينوكنديوس وقادها المركيز مونتفرات ولكن هذه الحملة قصرت عملها على احتلال القسطنطينية. وأثناء هذه الحملة قام شابان أحدهما فرنسي واسمه استفان والثاني جرماني واسمه نقولا فجهزا حملة من أربعين ألفاً من الفتيان ، ولكنهم لم يفلحوا بل مات معظمهم قبل أن يجتازوا أوروبا.

٥ — ١٢١٦م. دعا اليها البابا اينوكنديوس في أواخر أيامه ، قادها اندراوس المجري وليوبولد النمسوي ولويس الباناري فعادت هذه الحملة بخفي حنين بعد جهود أربع سنوات نظراً للخلاف الذي حدث بين رجال الحملة.

٦ــ ١٢٢٨م. دعا إليها البابا غريغوريوس التاسع، وقادها فريدريك الثاني ملك جرمانيا، ولكن هذه الحملة لم تنجح النجاح المتوقع لها لحصول خلاف بين قائدها والبابا. فحرم الأخير الأول. ونقم الأول على الثاني فأهانه وأذله واضطره الى الخروج من روما ثم عقد صلحاً مع المسلمين على أن تكون القدس وما حولها بيد المسيحيين وسواها بيد المسلمين.

٧ــ ١٢٣٩م. قاد هذه الحملة ثيوبولد أمير شمبانيا وبعض امراء فرنسا وإيطاليا وتلتها حملة أخرى سنة ١٢٤٠ بقيادة ريكارد أمير كورنوال وهي التي يعتبرها بعض المؤرخين الحملة السابقة. وقد فشلت الحملة الأولى في معاركها كلها ولكن التي تلتها نجحت بسبب الخلاف الناشب بين امراء المسلمين فاضطر السلطان أن يعقد صلحاً اعترف فيه بملكيّة الصليبيين للقدس وبيروت وما حولها، وفي أثناء ذلك ظهر جنكيزخان التتري فضغط على الصليبيين والمسلمين معاً وفتك بأهالي سوريّة دون أن يتمكن أحد من ردعه.

٨ــ ١٢٤٨ ــ ١٢٥٤م. قاد هذه الحملة لويس التاسع ملك فرنسا يدفعه الى ذلك غيرة دينيّة عمياء. ولكنه لم ينجح بل وقع أسيراً بيد الكامل، خامس ملوك الدولة الأيوبيّة، فأخلى دمياط وسلمها للمسلمين فداءً عنه وعاد إلى فرنسا.

٩ــ ١٢٧٠ ــ ١٢٧١م قاد هذه الحملة لويس التاسع الفرنسي نفسه، اذ أنه لما أوقع الظاهر البندقداري في سورية بالأفرنج وأذلهم، قام لويس بقيادة هذه الحملة التي هي آخر الحملات الصليبيّة ولكنه توفي في افريقيا قبل أن يحقق أمنيته؛ فاسترجع المسلمون مدن فلسطين وسورية الواحدة بعد الأخرى. وكان آخر ما استرجعوه مدينة عكا سنة ١٢٩١م وبها انتهت الحروب الصليبيّة التي استغرقت ١٩٧ سنة. ولم تخلف سوى الآثار السيئة في البلاد. والحروب الصليبية على الحقيقة تعتبر منتهية منذ عودة لويس التاسع الى بلاده لأول مرة سنة ١٢٥٤م وما جرى بعدها انما هو تتمة لها لا غير (قطف الزهور ١٤٨ ــ ١٦٠ والهلال ١١ ص ٤٨٢).

دول الشام في هذه الحقبة

أما الدول التي كانت في الشام في هذه الحقبة واشتهرت بمقاومة الصليبيين فأهمها ثلاث: آل طغتكين وآل زنكي وآل أيوب.

وإليك خلاصة عن كل منها:

أولاً — آل طفتكين

أسس هذه الدولة ظهير الدين طفتكين (اوطفدكين أو طفندكين)، الذي كان مملوكاً عند تابع الدولة تتش بن الب أرسلان، ولثقة هذا به زوجه بأم ابن دقاق ليكون عطوفاً عليه. ولما قتل تتش سنة (٤٨٨ هـ — ١٠٩٥ م) عاد طفتكين الى دمشق فاستقبله دقاق استقبالاً حسناً وعينه أثابكاً (أميراً). ولما توفي دقاق سنة (٤٩٧ هـ — ١١٠٣ م)؛ خطب طفتكين لابن دقاق البالغ من العمر سنة واحدة. ثم طمع بالعرش فاستأثر به من سنة (٤٩٧ — ٥٢٢ هـ، ١١٠٣ — ١١٢٨ م). وكان طفتكين شجاعاً عادلاً؛ قاد عدة حملات على الصليبيين وتوفي في صغر سنة (٥٢٢ هـ — ١١٢٨ م) (دائرة البستاني ١١ ص ٣٠٦ — ٣٠٧) وخلفه ابنه تاج الملوك أبو سعيد وهو أكبر أولاده. وفي أيامه قوي أمر الإسماعيليّة الذين أعزهم وزير أبيه أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني فقتله وقتل من الإسماعيليين عدداً ليس بقليل. وفي أيامه حاصر الافرنج دمشق سنة (٥٢٣ هـ — ١١٢٩ م) فلم ينالوا منها وطراً. وسنة (٥٢٥ هـ — ١١٣٠ م) ثار عليه الأسماعيليون وأصيب بطعنة، اندملت في بادىء الأمر ثم انتفضت عليه في رجب سنة (٥٢٦ هـ — ١١٣١ م) فمات منها (دول الإسلام ٢ ص ١٢٩).

وخلفه ابنه اسماعيل الملقب شمس الملوك ابو الفتح الذي قاتل الافرنج سنة (٥٢٧ هـ — ١١٣٢ م) في بانياس وانتصر عليهم ودخل البلدة عنوة ثم عاد الى دمشق ظافراً ومنها انتقل الى حماه فملكها. وكان اسماعيل سيء السيرة كثير الظلم فكرهته رعيته وقتل غيلة؛ وقيل أن أمه قتلته سنة (٥٢٩ هـ — ١١٣٤ م).

وخلفه أخوه محمود الملقب شهاب الدين. وفي أول ولايته قدم الأثابك زنكي وحاصر دمشق فلم ينل مأربه منها. وفي سنة (٥٣٠ هـ — ١١٣٥ م) تسلم شهاب الدين حمص وقلعتها وعين فيها معين الدين انزُ مملوك جده طفتكين. وفي سنة (٥٣٢ هـ — ١١٣٧ م) استولى زنكي على حمص بعد أن تزوج زمرد خاتون التي قتلت ابنها شمس الملوك. وفي شوال سنة (٥٣٣ هـ — ١١٣٨ م) قتل شهاب الدين على فراشه غيلة.

فخلفه أخوه جمال الدين محمد الذي فوض أمر دولته الى مملوك جده معين الدين أنز. وعرفت زمرد خاتون بقتل ابنها شهاب الدين فطلبت من زوجها زنكي الأخذ بثأره فحضر

وملك بعلبك ثم حاصر دمشق مرتين وفي المرة الأخيرة مات جمال الدين سنة (٥٣٤ هـ — ١١٣٩ م).

فخلفه ابنه مجير الدين ابق وهو آخر آل طفتكين وهو دون البلوغ فقام بتدبير شؤون الأثابك أنز. وطمع زنكي في الاستيلاء على دمشق فلم يتسن له ذلك، فاكتفى بتسلم حمص وقفل الى بلاده. وفي سنة (٥٤٣ هـ — ١١٤٨ م) هاجم الإفرنج دمشق وكادوا يستولون عليها لولا وصول أميري الموصل وحلب لنجدتها.

في سنة (٥٤٢ هـ — ١١٤٩ م) توفي معين الدين انز مدبر دولة آبق، فسهل إذ ذاك على نور الدين محمود بن زنكي الاستيلاء على دمشق سنة (٥٤٩ هـ — ١١٥٤ م). وبعد أن أعطاه حمص بدلاً عنها عاد فأعطاه بدلها بالس فلم يرض بها مجير الدين بل سار إلى العراق حيث أقام ببغداد إلى يوم وفاته. وكان آخر من ملك من آل طفتكين (دول الإسلام ٢ ص ١٣١).

ثانياً — آل زنكي

هذه الدولة هي إحدى فروع الدولة السلجوقية، مؤسسها عماد الدين زنكي الذي كان من موالي السلطان ملكشاه السلجوقي؛ وقد عظم أمره فولاه السلطان محمود شحنة العراق سنة (٥٢١ هـ — ١١٢٧ م). وكان عماد الدين ذا شجاعة عظيمة وحسن تدبير فولاه السلطان الموصل بعد وفاة صاحبها. وفي سنة (٥٢٣ هـ — ١١٢٨ م) هاجم ملك حلب وحماة وحاصر حمص فلم يقدر عليها وفي سنة (٥٢٤ هـ — ١١٢٩ م) هاجم الإفرنج في حصن الأقارب فأوقع بهم واستولى على الحصن عنوة.

وفي سنة ٥٣٠ قاتل الإفرنج في اللاذقية وغنم منهم غنائم كثيرة وجزيلة، وسنة (٥٣٢ هـ — ١١٣٥ م) سار إلى بعلبك فملك حصن المجدل وخضع له صاحب بانياس ثم قصد حمص فلم تفتح له فرحل عنها إلى سلمية فملكها ولكنه تسلم حمص بعدئذٍ بزواجه من أم شهاب الدين. وفي سنة (٥٣٣ هـ — ١١٣٨ م) استولى على بعلبك بعد أن حاصرها ١٤ يوماً. وفي سنة (٥٣٨ هـ — ١١٤٣ م) تصالح مع السلطان مسعود السلجوقي بعد نفرة

بينهما فتسنى له بهذه المصالحة الاستيلاء على عدة حصون من جهات ديار بكر، وفي سنة (٥٣٩ هـ — ١١٤٦ م) استخلص الرها من الإفرنج.

في سنة (٥٤١ هـ — ١١٤٦ م) حاصر عماد الدين قلعتي جعبر وفنك ولكنه قتل قبل أن يتم له الفتح اذ اغتاله احد غلمانه في ٥ ربيع الأول (٥٤١ هـ — ١١٤٦ م) ودفن بالرقة وقد تجاوز الستين من عمره. وكان زنكي حسن الصورة، اسمر اللون، جميل العينين، شديد الهيبة ويروى عن شجاعته الشيء الكثير، وهو مؤسس الدولة الزنكيّة، أما خلفاؤه فإليك اسماؤهم وسنة تملك كل منهم:

٢ — نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١ — ٥٦٩ هـ، ١١٤٦ — ١١٧٣ م) وهو اشهر ملوك هذه الدولة وأكثرهم مساساً بمصلحة مدينة حمص (دول الإسلام ٢ ص ١٩٠).

٣ — الصالح اسماعيل بن نور الدين (٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م)
٤ — عز الدين مسعود بن مود وابن عم الصالح (٥٧٧ هـ = ١١٨١ م)
٥ — نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م)
٦ — القاهر بن نور الدين (٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م)
٧ — نور الدين ارسلان شاه بن القاهر (٦١٥ هـ = ١٢١٨ م)
٨ — ناصر الدين بن القاهر (٦١٥ هـ = ١٢١٨ م)
٩ — بدر الدين لؤلؤ (٦٣١ هـ - ٦٥٧ = ١٢٣٣ - ١٢٥٨ م)

ثالثاً — آل أيوب

رأس هذه الدولة هو صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي، كان أبوه وعمه شيركوه من قواد السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام. في سنة (٥٥٨ هـ — ١١٦٢ م) استنجد شاور السعدي السلطان نور الدين على الضرغام الذي استأثر بالسلطة في مصر في أيام المعاضد آخر الخلفاء الفاطميين فأرسل معه شيركوه الأيوبي (عم صلاح الدين) ولكن شاور غدر بشيركوه بعد أن وطد له مركزه فعاد هذا إلى دمشق وقد حفظ عليه ما عمله.

فلما قدم الافرنج الى القاهرة استغاث شارو بنور الدين فعاد وأرسل إليه شيركوه يرافقه ابن أخيه صلاح الدين وبعض الأمراء. وبعد أن تخلص من الإفرنج حاول أن يغدر بهم ولكن حيلته لم تنطل على صلاح الدين فعاد شره إليه، إذ قتل سنة (٥٦٢ هـ — ١١٦٨ م) ووزّر مكانه شيركوه. ولكن وزارة هذا الأخير لم تطل، إذ مات في السنة فحل محله ابن أخيه صلاح الدين. ولم تثق العساكر السورية بصلاح الدين لأول وهلة نظراً لصغر سنه ولكنه تمكن بحسن سياسته من استرضائهم.

وحاول أحد المصريين استقدام الافرنج لنيل المنصب الذي احتله صلاح الدين فانتبه هذا لحيلته فأعاد كيده إلى نحره ثم فتك بالذين آزروه واستتب له الأمر في مصر بلا منازع. وفي أوائل محرم سنة (٥٦٧ هـ — ١١٧١ م) قطع الخطبة للعاضد الفاطمي وأعادها للخلفاء العباسيين. عندما مات الخليفة الفاطمي وضع صلاح الدين يده على القصر واستولى على كل ما فيه من المجوهرات وأخبر بذلك نور الدين صاحب الشام فبشر هذا بدوره المستضيء بالله العباسي ببغداد الذي فوض الى نور الدين إدارة القطرين الشامي والمصري.

كان صلاح الدين طامعاً بتولي مصر لنفسه ولكنه خشي بأس نور الدين، فظل يطاوله حتى وفاته سنة (٥٦٩ هـ — ١١٧٣ م). فلما خلفه ابنه الصالح؛ تدخل في الخلاف الناشب في الشام وسار إليها من مصر فبسط سيطرته على دمشق ثم ملك حمص وحماة؛ وحاول سنة (٥٧٠ هـ — ١١٧٤ م) فتح حلب ولكن نزول الإفرنج على حمص اضطره إلى الرجوع عنها وبقيت حلب وما حولها لصالح وما سوى ذلك لصلاح الدين.

حارب صلاح الدين الإفرنج بضراوة بالغة اكسبته شهرة عظيمة في التاريخ ثم مات في ٢٧ صفر سنة (٥٨٩ هـ — ١١٩٣ م)، وإليك اسماء من خلفوه وتاريخ ملكهم:

٢ — العزيز بن يوسف	(٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م)
٣ — المنصور بن العزيز	(٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م)
٤ — العادل بن أيوب	(٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م)
٥ — الكامل بن العادل	(٦١٥ هـ = ١٢١٨ م)
٦ — العادل بن الكامل	(٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م)
٧ — الصالح أيوب بن الكامل	(٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م)
٨ — توران ابن الصالح	(٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م)

٩ — شجرة الدر (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م)
١٠ — الأشرف بن يوسف (٦٤٨ — ٦٥٩ هـ = ١٢٥٠ — ١٢٦٠ م)

شيء عن السياسة العامة في هذه الحقبة

مر بنا أن الدولة الفاطميّة المصرية التي نشأت سنة ٢٩٧ هـ اغتنمت فرصة ضعف الدولة الأخشيديّة وانهيارها سنة ٣٦٢ هـ فحلت محلها في سورية. وكان أول من بسط سيطرته عليها من ملوكها المعز (٣٤١ — ٣٦٥ هـ) ثم العزيز (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ) وكانا من محبة العدل والإنصاف على جانب عظيم. لكن الشام لم تنل حظها من الراحة في أيامها؛ لأن الولاة الذين انتدبوهم لحكم الشام كان أغلبهم طغاة يسفكون الدماء ويستحلون أموال الرعية (الخطط ١ ص ٢٦١) ثم جاء الحاكم بأمره فكانت سياسته طامة على البلاد. وما زاد الفوضى اضطراباً في البلاد الشامية، التنافر الذي حصل بين الدولة الفاطميّة والدولة الحمدانية ثم مع دولة بني مرداس. كما قام في الجنوب عدة إمارات عربية لبني الجراح وبني سنان وسواهم فاختل القطر السوري. وبينما كان شأن الدولة الفاطميّة يضعف كان قبس جديد يبزغ من الشرق، ثم أخذ يتعالى شيئاً فشيئاً حتى كسف نور الدولة الفاطميّة وحل محلها.

هذا القبس هو الدولة السلجوقية التي نشأت في إيران سنة ٤٢٨ هـ ثم قوي أمرها فبسطت سيطرتها على الأصقاع المجاورة ثم بسقت شجرة مجدها في أيام السلطانين الب ارسلان (٤٥٥ — ٤٦٥ هـ) وابنه ملكشاه (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) بينما كان ظل الدولة الفاطميّة يتقلص تدريجياً. وقد قام من الدولة السلجوقية عدة فروع بسط احدها سيطرته الخاصة على الشام. وكان لحمص ذكر خاص في تاريخه نراه فيما يأتي:

اتسز والشام

اتسز (بالتاء، ويلفظه البعض بالقاف)، هو أحد أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي، قصد الشام سنة ٤٦٣ هـ بعد أن جمع جيشاً من الأتراك ففتح فلسطين إلا القليل منها. ثم قصد دمشق سنة ٤٦٧ هـ فحاصرها زمناً طويلاً حتى استسلمت إليه بعد حصول مجاعة شديدة فيها فخطب فيها سنة ٤٦٨ هـ للمقتدي بالله العباسي. وكان ذلك العهد آخر ما خطب فيه للفاطميين (دائرة البستاني ٢ ص ٤٥٩) ومنع الآذان (حيي على خير العمل)،

وفرح الأهلون فرحاً عظيماً ما لبث أن تحول إلى حزن شديد لما عانوه من جور اتسز وظلمه بعد ذلك. وطمع اتسز بمصر فجهز حملة عليها ولكنه لم ينجح فاستنجد بتتش بن الب ارسلان وكان هذا يحاصر مدينة حلب فسار إلى نصرته فاستولى تتش على دمشق ثم قبض على اتسز وقتله لأنه لم يستقبله إلى ما وراء السور وكان ذلك سنة ٤٧١ هـ وبعد ما ملك تتش دمشق احسن السيرة في أهلها فأحبوه.

جمهوريّة عربيّة

حينما تقلص ظل الدولة الفاطميّة عن الشام (وهي دولة عربية) وأخذت اجنحة الدولة السلجوقية تنبسط فوق سوريا (وهي دولة تركية) ظهرت في حلب دولة عربية على الشكل الجمهوري وهي أول جمهورية عربية (الخطط ١ ص ٢٦٦). والذي ألفها على هذا الشكل هو مسلم بن قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل وسبب ذلك ملخص في ما يأتي:

إن تتش بن ألب ارسلان السلجوقي طمع بالاستيلاء على حلب بعدما استولى على دمشق فحاصرها سنة ٤٧٢ هـ مدة أربعة أشهر فلم ينل منها مأرباً، إذ كان مسلم بن قريش يمدها بما تحتاجه (ابن الأثير ١٠ ص ٣٩) فرحل عنها. ولما غادرها جاءها مسلم وبسط ظله عليها، ولكي يأمن جانب السلجوقيين تعهد لملكشاه أخي تتش بتقديم/ ٣٠٠/ ألف دينار كل سنة. وتألفت في حلب مشيخة تدير شؤونها الداخلية ورئيسها مسلم بن قريش، فأمنت قواعد العدل واستقرار الأمن. وقضي بهذه الجمهوريّة على دولة بني مرداس اذ حاصر مسلم القلعة وأسر سابقاً ووقاباً ابني محمود بن مرداس سنة ٤٧٣ هـ. وحاول مسلم يبسط سيطرته على مدن الشام كلها فجهز حملة سنة ٤٧٦ هـ على دمشق مؤلفة من عرب عقيل وأكراد الموصل فلقيه جيش تتش بدمشق بجرأة قوية تضعضع معها عسكره فانكفأ عنها سائراً في طريق سلمية. ومن هنالك ارسل وزيره إلى خلف بن ملاعب المقيم في حمص ليجعله بينه وبين تتش لما يعلمه من بعض خلف للأتراك ففعل.

ولما بلغ مسلم أن تتش قصد أنطاكية، جهز حملة كبيرة وقصد دمشق بعد أن استنجد خليفة مصر المستنصر بالله. ولكنه يفلح في هذه الحملة أيضاً. اذ عاد تتش الى دمشق وحملت معه جيوشه حملة صادقة كشفت بها المحاصرين. وثبت مسلم حتى كاد يؤسر

ولكن اصحابه عادوا اليه وانقذوه. ولما رأى مسلم خطورة الحالة وعدم وصول نجدة مصر إليه رحل عن دمشق وهو يوهم أنه يريد فلسطين ثم اتجه شرقاً في البادية عائداً إلى حلب.

والذي اضطر مسلماً إلى العودة انتهاء الخبر إليه بعصيان أهل حران وطاعتهم لأمر قاضيهم ابن حلبة بتسليم البلد إلى حبق أمير التركمان. وبعد أن منح ابن ملاعب صاحب حمص سلمية روفينه أسرع إلى حران فحاصرها ثم فتحها وصلب القاضي مع ابنيه (ابن الأثير ١٠ ص ٤٤). ثم عاد الى منازله بأرض الموصل. ولم يطل الأمر بمسلم حتى قتل بمعركة مع سليمان بن قطلمش السلجوقي، إذ خانه التركمان وانحازوا إلى خصومه. وبقتل مسلم بن قريش انتقل ملك الشام من ايدي العرب إلى الترك وكان هو آخر أمير عربي وكان قتله يوم الجمعة في ٢٤ صفر سنة ٤٧٨ هـ.

خلف بن ملاعب وحمص

كانت حمص في الحقبة الماضية تابعة لحلب. أما في هذه الحقبة فقد بدأت تتنصل من تلك التابعية فهي وان كانت لم تنعم بظل حكام نزهاء عادلين إلا أنها أصبحت تعامل معاملة منفردة. تعز أو تذل لوحدها دون الالتحاق بسواها. ومن الذين لعبوا دوراً هاماً في حمص خلف بن ملاعب الذي ذكره معظم مؤرخي ذلك العصر مما نورد للقارىء ملخصه في ما يلي:

إن تتش سيَّر قوة على حلب ففتحها بعدما قتل مسلم بن قريش فمالأه بعض أمرائها ودخلها ليلاً بعد أن حاصرها. ولما كاد يستولي على القلعة حضر أخوه ملكشاه فلم يرد تتش محاربته فرحل عنها وتسلمها ملكشاه سنة ٤٧٩ هـ. وفي سنة ٤٨٢ هـ نزل تتش على حمص بعسكره وفيها خلف بن ملاعب فضايقها وصابرها حتى ملكها بالأمان بعد أن خرج منها ابن ملاعب متوجهاً إلى مصر حيث أقام فيها مدة ثم عاد إلى الشام واستولى على حصن افاميه. وفي سنة ٤٨٤ هـ نزل الأمير قيم الدولة صاحب حلب على حصن افاميه فملكه وارسل ابن ملاعب إلى السلطان ملكشاه الذي اعتقله باصبهان.

ولما توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ اطلق سراح ابن ملاعب فتوجه إلى مصر ثم عاد منها سنة ٤٨٩ هـ واستولى على افامية ثانية. ولكن قوماً من الباطنية بالاتفاق مع أبي الفتح السرميني الذي كان يقيم في افامية ثقبوا ثقباً في سورها تمكنوا بواسطته من دخولها

فقتلوه وكان ذلك في ٢٦ جمادى الأولى سنة ٤٩٩ هـ وسلم ولده فصبح متوجهاً إلى شيزر حيث أقام هناك مدة من الزمن.

أما فصيح الذي افلت من غوبة افامية فقد التجأ بعدئذٍ الى طنكري صاحب انطاكية وحرضه على العودة الى افامية واطمعه بأخذها لقلة القوت فيها. فنهض هذا ونزل عليها إلى أن تسلمها في ١٣ محرم سنة ٥٠٠ هـ ووقع أبو الفتح السرميني وأصحابه من الباطنيين أسرى بيد فصيح فقتل الأول وافتدى الباقون أنفسهم بالمال الكثير (القلانسي ص ١٤٩).

حمص وقراجا وجناح الدولة

في سنة ٤٩٠ هـ غادر جناح الدولة حسن والي حلب من قبل الملك فخر الملوك رضوان مدينته اثر خلاف نشأ بينه وبين مولاه إلى حمص حيث استقبله فيها نائبه قراجه. فاستقر هناك وعمد الى تحصينها ثم نقل اهله إلى قلعتها.

وفي سنة ٤٩٦ هـ نزل جناح الدولة من القلعة إلى المسجد لتأدية صلاة الجمعة وحوله جماعة من أصحابه بالسلاح. ولما وقف للصلاة وثب عليه ثلاثة من الأعاجم الباطنيين فضربوه بسكاكينهم وقتلوا معه بعض أصحابه. وكان في المسجد نفر من متصوفية العجم فاتهموا بالمشاركة في اغتيال جناح الدولة وقتلوا مظلومين وانزعج أهل حمص لهذه الحادثة وهرب أكثر الأتراك من سكانها إلى دمشق واضطربت الأحوال كثيراً في المدينة. وكتب الأهلون الى الملك شمس الملوك بدمشق يلتمسون منه أن يرسل من يتسلم المدينة ويدافع عنها قبل أن يصل الافرنج فيستولون عليها. وللحال أسرع شمس الملوك ومعه ظهير الدين اتابك على رأس قوة إلى حمص فتسلمها وحصن قلعتها في الوقت الذي كان الإفرنج قد نزلوا على الرستين. وحين عرف الأخير بوصول شمس الملوك ارتدوا الى مناطقهم. وبعد أن رتب أمر حمص انكفأ عائداً إلى دمشق.

وفي سنة ٥٠٥ هـ توفي قراجه والي حمص بعلة طالت معه. وكان هذا الحاكم ظالماً يشارك اللصوص وقطاع الطرق في مغانمهم وتولى بعده ابنه خير خان الذي سار على نهج والده في الجور والظلم (ابن خلدون ٥ ص ١١٨ والقلانسي ص ١٨٢).

حمص وخيرخان

في سنة ٥٠٨ هـ نزل الأمير نجم الدين ايلغازي بن ارتق بجوار حمص وفيها خيرخان بن

قراجه. وكان من عادة نجم الدين أنه اذا شرب الخمر وتمكن منه أقام منه عدة أيام مخموراً لا يفيق لتدبير أمر. وعرف خيرخان فيه هذه العادة المستقبحة. ولذلك فقد خرج إليه في إحدى الليالي وكبسه في مخيمه وقبض عليه وحمله إلى حمص. ولما وصل الخبر الى ظهير الدين اتابك في دمشق أرسل إلى خيرخان معاتباً وطلب إليه اطلاق سراح الأمير نجم الدين ففعل.

وفي شهر ربيع الأول سنة ٥٣٠ هـ تسلم الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك مدينة حمص فرتب امورها وأناط ولايتها بالحاجب يوسف بن فيروز. وفي سنة ٥٣٢ حدثت مفاوضات بين عماد الدين زنكي والأمير شهاب الدين بشأن زواج الأول من زمرد والدة الثاني انتهت بالموافقة على ذلك وتم العقد في حمص في ١٧ رمضان ٥٣٢ هـ وبذلك تسلم عماد الدين مدينة حمص وقتل صاحبها خيرخان (القلانسي ص ٢٢٨ و٢٥٢ وابن خلدون ٥ ص ١٥٧، ١٥٨).

((١) هكذا يسمي ابن الأثير ويسميه بعض المؤرخين قرجان).

حمص وزنكي

وفي سنة ٥٢٣ هـ عبر عماد الدين زنكي الفرات إلى الشام واظهر انه يريد محاربة الإفرنج وارسل إلى تاج الملوك يوري بن طفتكين صاحب دمشق يستنجده؛ فأجابه إلى طلبه بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق، وأمر ابنه سونج وهو في حماه أن يسير بالجيش الى زنكي ففعل. واحسن زنكي لقاءهم ولكنه غدر بهم بعد مدة فاعتقل سونج ومقدمي الجيش ونهب خيامهم ووضعهم في حلب ثم توجه إلى حماة وهي خالية من الحاشية فاستولى عليها بسهولة. ثم رحل عنها إلى حمص وكان صاحبها قراجان بن قراجه معه في عسكره — وهو الذي اشار عليه أن يغدر بسونج — فقبض عليه ونزل إلى حمص فحاصرها وطلب من قراجان أن يأمر نوابه وولده بتسليمها فلم يقبلوا منه. وشدد زنكي الحصار عليها مدة طويلة فلم يقدر أن ينال منها مأرباً، فرحل عنها عائداً الى الموصل ومعه سونج بن تاج الملوك والأمراء الدمشقيين اسرى. ثم جرت المفاوضات بين تاج الملوك وزنكي لاطلاق سراحهم لقاء خمسين ألف دينار فتم ذلك.

وفي سنة ٥٣٢ هـ توجه زنكي من حماة إلى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل ثم عاد إلى حمص فحاصرها ولكنه انكفأ عنها إذ بلغه نزول الروم الى حلب فسار عنها إلى سلمية

وهناك بلغه افراج الروم عنها فعاد إلى منازلة حمص . ولما تعذر عليه أخذها بعث إلى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب إليه زمرد خاتون امه فزوجها له وسلموا اليه حمص وقلعتها في رمضان من تلك السنة (ابن الأثير ١٠ ص ٢٣٥ والدبس ٦ ص ٦٠ وابن خلدون ٥ ص ١٥٨ و٢٣٢) .

حمص في أيام الصليبيين

أنشأ الصليبيون في سورية اربع إمارات هي : الرها سنة ١٠٩٨م وانطاكية سنة ١٠٩٨م أيضاً وأورشليم سنة ١٠٩٩م وطرابلس سنة ١١١٠م . بعد أن تم لهم فتح جميع المدن الساحلية ومعظم الدولة الداخلية . ولم يبقَ في يد المسلمين سوى المدن الأربع حمص وحماه ودمشق وحلب وبعض القرى . وكان موقف مدينة حمص إزاء الصليبيين موقفاً رائعاً يتضح فيما يلي :

أولاً — نجدتهم انطاكية

لما فتح الصليبيون انطاكية وعرف كربوغا صاحب الموصل بالأمر جمع عساكره وسار إلى الشام ومكثَ في مرج دابق ومن هناك كاتب امراء سورية لانجاد انطاكية فلبى طلبه عدة امراء في طليعتهم جناح الدولة صاحب حمص فنازلوا انطاكية بعد أن ملكها الإفرنج واوقعوا الرعب في قلوب المحتلين ولكن العنجهية التي اظهرها كربوغا على القادة المسلمين جعلتهم يرتدون إلى ديارهم منهزمين.

ثانياً — الصليبيون عند اسوار المدينة

لما انهزم المسلمون امام الفرنجة عند انطاكية سار الصليبيون إلى المعرة فحاصروها ثم فتحوها بعد مقاومة شديدة ثم توجهوا إلى عرقة فحاصروها أربعة أشهر دون جدوى فتركوها وقصدوا سواها . ومن المدن التي سالمتهم حمص وشيزر . فان والييهما رأيا من الحكمة عدم التعرض لهم وحملتهم في معظم قوتها ، لا سيما وأن المسالمة وقتئذٍ ردت اليهم كثيراً من الأسرى .

وقد زعم بعض المؤرخين أن الصليبيين فتحوا حمص بعد انتصارهم في انطاكية ؛ وهو زعم فيه من الوهم ما فيه. فإن المؤرخين العرب كابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء اكتفوا بالقول أن منقذاً صاحب شيزر راسلهم فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحاصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة. وهذا لا يعني أن الصليبيين فتحوا حمص بدليل أن صاحبها جناح الدولة بقي فيها حاكماً وغاية ما هنالك أن يكون صاحبها قد قدم لهم إعانة مالية أو مؤونة لإعاشة الجيش كما حصل في بعض المدن. ويؤكد هذا تصريح المؤرخين كافة أن حمص من المدن الداخلية التي لم يحكمها الصليبيون (تاريخ سورية ليني ص ٣٦٤).

وحسبنا أيضاً أن المؤرخين الإفرنج لم يشيروا إلى ذلك كما أن ميتسو صاحب تاريخ الحروب الصليبية الفرنسي اكتفى بقوله: «ان الصليبيين لم يتخذوا الطريق المستقيم في طريقهم نحو اورشليم إذ مروا على حماه وعلى حمص وباقترابهم من البحر ساروا لحصار عرقة بالقرب من طرابلس. وكذلك يقول مونروزا مؤرخ الحروب الصليبيّة. «ان الصليبيين ساروا من انطاكية إلى جهة بلاد سورية العليا واجتازوا مقاطعات تيسرية وحماة وحمص».

وكل هذا يستنتج منه أن حمص لم تفتح حرباً ولم يدخلها الصليبيون بل مروا بها مروراً راضياً والحوادث التالية تؤيد ما ذكرناه.

ثالثاً — حمص وبودوين

بعدما فتح الصليبيون القدس ونصب غود فروي ملكاً عليها. قام هذا بعدة حملات وفتح بعض مدن فلسطين ثم توفي في ١٧ تموز سنة ١١٠٠م فانتخب الافرنج أخاه بودوين خلفاً له، وحضر هذا من الرها ومعه سبعمائة فارس وسبعمائة راجل، فجمع صاحبا دمشق وحمص الجموع وكان اسرعهما صاحب حمص اذ التقاه بالقرب من ثغر بيروت فلم يتوفق بل خسر قسماً من رجاله وعاد فاشلاً. (الدبس ٦ ص ٤٠ والخطط ١ ص ٢٨٤).

رابعاً — انجاد حمص لطرابلس

في سنة (٤٩٢هـ — ١١٠٢م) هاجم سنجيل طرابلس فاستغاث صاحبها بدمشق فأوفدت اليه قوة يقودها صاحب حمص والتقى الجيشان عند طرطوس ولكن القوة المعادية

كانت أوفر عدداً وعدة ففشل المسلمون وعاد الفرنجة لمهاجمة طرابلس فأعاد صاحبها ابن عمار الاستنجاد بصاحبي حمص ودمشق. فاعادوا الكرة لنجدته، وكان استعدادهم هذه المرة أوفى فكشفوا الغمة عنه بعد أن قتل من أهالي طرابلس سبعة آلاف رجل. وإثر عودة الحمصيين أتت سنجيل نجدة تقوى بها على محاصرة طرابلس مما أجبر صاحبها على مهادنته لقاء مال حمله اليه الطرابلسيون (الخطط ١ ص ٣٩٥).

خامساً — حصن الطوبان

يقع حصن الطوبان بالقرب من رفنية وهو من أعمال حمص وفيه مقدم شجاع يعرف بابن العريض (واليه ينسب جسر العريضة بين حمص وطرابلس). فلما فاز سنجيل ببعض امنيته في طرابلس هاجم انطرطوس وهي من أعمال حمص أيضاً ففتحها وقتل من فيها من المسلمين. فاستعد الحمصيون لمقاومة الطوارىء ولما دنت قوات الفرنجة من الحصن خرج إليهم ابن العريض واشتبك معهم بمعركة دموية هائلة كتب فيها الفوز لابن العريض وأسر بين من أسر احد كبار الفرسان الصليبيين. فبذل سنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير ولكن ابن العريض رفض ذلك (الخطط ١ ص ٢٩٥ وابن خلدون ٢ ص ١٩٦).

سادساً — حصن الأكراد

آب سنجيل بالخيبة وتحول نحو حصن الأكراد وعلم جناح الدولة صاحب حمص بالأمر فجمع قوة لرد سنجيل عن الحصن المذكور. ولكن باطنياً وثب عليه وهو بالمسجد فاغتاله. ولما بلغ ذلك سنجيل رحل عن حصن الأكراد الى حمص وبسط سيطرته على بعض اعمالها. ولكن طفتكين سبقه إلى حمص وضبط زمام الحكم فيها قبل أن يجتاز الفرنجة الرستن. وعندئذٍ احجم سنجيل عن الدنو من المدينة وكان ذلك سنة (٤٩٦ هـ — ١١٠٣ م) (القلانسي).

سابعاً — استعادة رفنيه

في سنة (٤٩٨ هـ — ١١٠٥ م) قصد طفتكين بعلبك فنظم شؤونها لتأمن غائلة هجمات الفرنجة ثم توجه إلى حمص وتعدها وجمع من جبل بهراء عدداً كبيراً هاجم بهم رفنيه على

غرة فقتل من بها من المحتلين بعد أن أحرق قسماً من الحصن الذي أحدثه الفرنجة هناك ثم هدمه وقتل الممتنعين فيه وملك ابراج رفينة (الخطط ١ ص ٢٩٣).

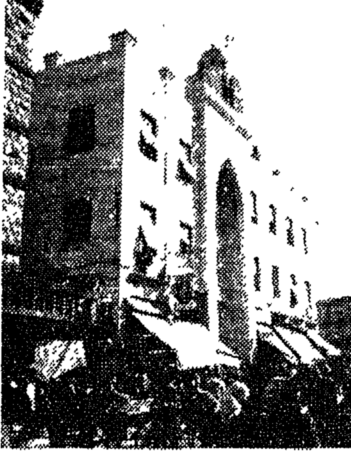
ثامناً — الفشل في الدفاع عن عرقة

لما طال حصار عرقة استغاثت بطفتكين فأسرع لانجادها. ولكن الثلوج التي تراكمت على الطريق والأمطار الهاطلة بسخاء عرقلت خطواته فلم يستطع الوصول اليها قبل أن يستولي اليأس على القائمين بصيانتها فاستسلمت للفرنجة سنة ٥٠٢ هـ ورجع طفتكين عنها أشبه بالمنهزم مرتداً نحو حمص، وهناك جهز حملة على طبرية التي كان قد وصل اليها ابن أخت بودوين ملك القدس فتحارب الجيشان وكان مع طفتكين ألفا فارس وكثير من المشاة ومع الفرنجة ضعفهم. فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طفتكين عن جواده واستثار حماسة المسلمين فارتدوا على أعدائهم وكسروهم واسروا ابن أخت الملك؛ فعرض عليه طفتكين الإسلام فأبى وبذل في فداء نفسه/ ٣٠/ ألف دينار وخمسمائة أسير فأبى طفتكين الا الإسلام فلما لم يجب قتله بيده. ثم عقدت هدنة بين المتقاتلين لمدة اربع سنوات وكانت هذه الهدنة في مصلحة المسلمين (الخطط ١ ص ٢٩٢).

تاسعاً — التصدّي لبودوين

بعد أن استولى الصليبيون على طرابلس سنة (٥٠٣ هـ — ١١٠٩ م) وبانياس وجبيل واستقروا فيها، تصدى صاحب القدس لقافلة دمشقية كانت متجهة إلى مصر فثارت ثائرة طفتكين فاستنجد بصاحب الموصل فانجده بجيش من الأكراد والاتراك اجتازوا الفرات إلى سورية واجتمع العراقيون والشاميون بمرج سلمية واتفقوا على منازلة بودوين. وكان معظم جيش الشام وحمص وحماه ورفينة ونزل الجيشان أولاً بقدس (قرب حمص) ثم تخطوها إلى عين الجسر بالبقاع فوادي التيم فبانياس ونشبت الحرب مقابل عقبة فيق فانتصر المسلمون بعد ثلاث معارك وغرق من الافرنج خلق كثير في بحيرة طبرية وقتل نحو الفين من اعيانهم وابطالهم. ثم تفرق المسلمون وعادوا الى بلادهم فائزين وكان نشوب المعركة في ١٣ محرم سنة (٥٠٦ هـ — ١١١٢ م) (ابن الأثير ١٠ ص ١٧٤ وابن خلدون ٥ ص ١٥٣).

حمص في زمن نور الدين بن عماد الدين زنكي


الواجهة الغربية لمسجد الجامع في حمص
وقد جدد بناءه الزنكي نور الدين

في سنة (٥٤٣هـ — ١١٤٨م) ارسل سيف الدين غازي من حمص جيشاً امد به أخاه نور الدين محمود مع الأمير عز الدين أبي بكر المدلشي صاحب جزيرة ابن عمرو لمحاصرة حصن العريمة ففتحوه بعد حصار شديد واسروا من كان به من الأفرنج. وفي السنة التالية توفي معين الدين انز مدبر دولة آل طفتكين وتوفي أيضاً سيف الدين غازي بن زنكي فتألق مجد نور الدين محمود إذ لم يبق من يسابقه في تساميه.

ظل نور الدين يسير من حسن إلى أحسن حتى بسط سيطرته على القسم الأعظم من داخلية البلاد الشامية ولم يبق من عقبة أمامه سوى دمشق وهي بيد مجيد الدين آبق آخر امراء آل طفتكين. وكان الدماشقة قد كرهوه لما ظهر منه من الظلم ومصادرة الأموال وسفك الدماء. فاستغاثوا بنور الدين فاخذه هذا بشيء من الحيلة ودخل دمشق فاستقبله الأهلون بالهتاف والترحاب. وكان نور الدين قد وعد آبق أن يعطيه حمص بدلاً من دمشق. فلما تسلم نور الدين القلعة وسار آبق الى حمص أبى أن يسلمها له بل أعطاه بدلاً منها بلدة بالس. فلم يرض آبق بهذه بدلاً من حمص بل سار إلى العراق وبنى ببغداد داراً سكن بها حتى مات. (الخطط ٢ ص ٣٠ وابن الأثير ١١ ص ٧٥ والدبس ٦ ص ٧٩).
وقد انتقد بعضهم نور الدين لإخلافه بما وعد ولكن الذين يحبذون سياسته يرون له عذراً بما فعل ويعللون عمله بما يلي:
أعطى نور الدين حمص اقطاعاً لمجير الدين حتى لا يقطع امله ثم عوضه عنها ببالس لأن حمص على مقربة من بلاد الصليبيين، ومن خان امته وهو في عهد عزة أقرب إلى خيانتها في دور شقائه وذله. أما بالس فهي بعيدة عن حركة التطاحن بين الشرق والغرب وماء الفرات أسوغ للعاصي مجير الدين من ماء بردى والعاصي. واعتبر المدافعون عن نور الدين أن ما عمله مع مجير الدين من أغرب ما يحكي في باب العدل فان الملوك جرت

عادتهم في تلك العصور انهُم إذا اخذوا ملكاً قتلوه ، ولم يفعل نور الدين مثلهم تحرجاً من اهراق الدم. وقد جرت هذه الحادثة سنة (٥٤٩هـ— ١١٥٤م).

النهب والزلازل في حمص

رأى نور الدين أن الحظ يُرافق ركابه فتابع اعمال الغزو ضد الفرنجة فأخذ منهم تل باشر سنة (٥٥٠هـ— ١١٥٥م) وظفر سنة (٥٥١هـ— ١١٥٦م) بالذين عاثوا منهم في جهات حلب ، فاستاء الفرنجة منه وأخذوا يترقبون الفرص للانتقام حتى وجدوا غفلة من المحافظين على القرى فأطلقوا ايديهم بالسلب والنهب ووصلوا الى ارجاء حمص وحماة فعاثوا في أعمالها ما شاؤوا.

ولكن الزلازل العظيمة التي حدثت بالشام هذه السنة شغلت الفرنجة عن نور الدين إذ ضربت الكثير من المدن وهلك فيها ما لا يحصى من النفوس. ومن المدن التي أصابتها النكبة الشديدة في الدرجة الأولى حماه وشيزر وكفرطاب والمعرة وأفامينوحمص وحصن الأكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية. (ابن الأثير ١١ ص ٨٢).

شيركوه في حمص

شيركوه هو البذرة التي القيت في حقل التاريخ فنبتت على أصلها الشجرة الأيوبية وهو ابن شادي بن مروان من أسرة كردية الأصل. كان هو وأخوه نجم الدين أيوب من بلد دوين من اذربيجان فقدما العراق وخدما مجاهد الدين رئيس شحنة بغداد فاستحسن هذا رجاحة عقل نجم الدين وهو أكبر الأخوين وعينه محافظاً على قلعة تكريت ، فذهب إليها ومعه أخوه شيركوه. ولما انهزم زنكي سنة (٥٢٦هـ— ١١٣١م) أمام تراجة ، مر بتكريت فخدمه نجم الدين وهيأ له رسائل النجاة. واتفق أن شيركوه قتل رجلاً بتكريت لأمر جرى بينهما فأخرجهما مجاهد الدين منها بدون أن يسيء اليهما سنة (٥٣٢هـ— ١١٣٧م) فسار الى زنكي الذي احسن وفادتهما. وكافأهما على معروفهما السابق واقطعهما اقطاعات حسنة. ولما ملك زنكي قلعة بعلبك عين عليها نجم الدين سنة (٥٣٤هـ— ١١٣٩م). وعندما قتل زنكي سنة (٥٤١هـ— ١١٤٦م) سلم أيوب القلعة لنور الدين وأصبح من أكبر الأمراء. وحظي شيركوه عند نور الدين بمكانة مرموقة إذ رأى فيه شجاعة ومروءة فأعطاه حمص والرحبة وغيرهما. وجعله مقدم عسكره ، ولما أراد نور الدين فتح دمشق كتب شيركوه إلى

أخيه لمساعدته في فتحها ففعل ، وبعد أن تم الاستيلاء على دمشق اعطاهما نور الدين اقطاعات كثيرة وصارا من أعظم أمراء دولته. ومن ذرية شيركوه امراء حمص الأربعة الآتي ذكرهم :

١ — ناصر الدين محمد ويلقب بالملك القاهر (٥٧٠ — ٥٨١ هـ ، ١١٧٤ — ١١٨٥ م)

٣ — المنصور ناصر الدين ابرهيم (٦٣٧ — ٦٤٤ هـ ، ١٢٣٩ — ١٢٤٦ م)

٤ — الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى (٦٤٤ — ٦٦١ هـ ، ١٢٤٦ — ١٢٦٢ م)

في سنة (٥٥٤ هـ — ١١٥٩ م) مرض نور الدين محمود بن زنكي وهو في حلب مرضاً شديداً أرجف بموته ؛ فجمع أخوه الأصغر ميرميران الناس وحصر القلعة. وكان شيركوه وهو أكبر أمرائه بحمص فبلغه خبر موته ، فسار الى دمشق يتغلب عليها وبها أخوه نجم الدين أيوب ، فأنكر عليه أيوب ذلك وقال : أهلكتنا ؛ والمصلحة أن تعود إلى حلب ؛ فان كان نور الدين حياً خدمته في هذا الوقت ، وان كان قد مات ، فأنا في دمشق فنفعل ما نريد من ملكها. فعاد شيركوه إلى حلب مجداً وصعد القلعة واجلس نور الدين في شباك يراه الناس كلهم وكلمهم. فلما رأوه حياً تفرقوا عن أخيه ميرميران (ابن الأثير ١١ ص ٩٥ وابن خلدون ٥ ص ٢٤٣).

نكبة البقيعة

بعد أن فاز نور الدين على الفرنجة في عدة معارك ، صحت عزيمته على قصد طرابلس فسار على رأس قوة كبيرة نزل بها على حصن الأكراد بغية محاصرته ليأس المغبة قبل السير إلى طرابلس. وعلم الفرنجة بذلك واتفق رأيهم على مباغتة المسلمين في النهاية ، فركبوا من وقتهم وأغذوا السير فلم يشعر المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم وارسلوا يخبرون نور الدين بالأمر ولكن الفرنجة داهموهم فنفر المسلمون من أمامهم وتبعهم الأعداء حتى وصلوا إلى معسكر نور الدين قبل أن تتمكن بطانة الملك من ركوب الخيل وأخذ السلاح فقتل منهم وأسر عدد كبير وكان نور الدين قد ركب فرسه لينجو بنفسه وبسبب العجلة لم ينتبه الى أن شبحة الفرس ما زالت مربوطة. فنزل للحال فارس كردي وقطع الشجرة بسيفه

فنجا نور الدين وقتل الكردي. فأحسن نور الدين إلى ورثته وأوقف عليهم الهبات. ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة أربع فراسخ وتلاحق به من سلم من المعسكر، فقال له بعضهم: ليس من الرأي أن نقيم هنا فقد يحمل الافرنج الطمع فيقدمون علينا ونحن على هذه الحال، فوبخه نور الدين واسكته قائلاً: إذا كان معي ألف فارس لقيتهم ولا أبالي؛ ووالله لا أستظل بسقف حتى آخذ بثأري. وكان في نية الفرنجة قصد حمص لأنها أقرب البلاد اليهم. ولكن لما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم، قالوا لم يفعل هذا إلا وعنده قوة يمنعنا بها فعدلوا عن قصدها.

حمص مركز الجيش النوري

الأعمال الباهرة التي قام بها أمير حمص شيركوه في مصر وسواها، جعلت لحمص أهمية عسكرية واعتبرت مستودع القوى النورية. لذلك جمع نور الدين قواته العسكرية فيها سنة (٥٦٢ هـ — ١١٦٦ م) اذ قصد منازلة الأفرنج ووافاه اليها اخوه قطب الدين من الموصل. وسارت القوى المتحدة فاجتازت حصن الأكراد وسطت على القوى المعسكرة حوله واكتسحت نواحيه ثم سارت إلى عرقه فحصرتها ثم فتحت حلبا وخربتها وفتحت حصن العريمة وصافيتا. وظلت جيوش نور الدين تسير في البلاد المحتلة من الفرنجة يميناً وشمالاً تعيث وتخرب حتى رمضان من هذه السنة. فعادت الحملة الى حمص وصامت بها. ثم استأنفت أعمالها الحربية فقصدت بانياس وحصن هونين وهو من امنع حصون الأفرنج فانهزموا عنه وأحرقوه.

وهكذا سارت الحملة بنجاح حيثما اتجهت. ولولا حدوث خلاف بين الجيشين الشامي والعراقي لدخل نور الدين بيروت. ولكنه خشي سوء العقبى فاكتفى بما تقدم واعطى اخاه الرقة على الفرات وعاد مع جيشه إلى الموصل (ابن الأثير ١١ ص ١٢٣).

املاك نور الدين بحمص

يوم الأربعاء في ١١ شوال (٥٦٩ هـ — ١١٧٣ م) توفي نور الدين محمود بن زنكي بعلة الخوانيق. وقد ذكره المؤرخون بالاطراء والمديح ومما قالوا فيه (ابن الأثير (١١ ص ١٥١): «لقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز، احسن من سيرته ولا أكثر تحرياً منه للعدل... فانه كان لا يأكل ولا يلبس ولا

يتصرف بغير ما يخصه من ملك له قد اشتراه من سهم في الغنيمة. ولقد شكت إليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت لم يحصل له منها في السنة نحواً من عشرين ديناراً. فلما استقلتها زوجته، قال: ليس لي إلا هذا، وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه، ولا أخوض نار جهنم لأجلك».

ومن أعمال نور الدين انه حصن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها مثل دمشق وحمص وحماه وشيزر وبعلبك كما بنى المدارس في جميع البلاد الشامية وشيد الجامع النوري بالموصل والجامع الذي على ظهر العاصي بحماه وجامع الرها وجامع منبج وكان اسمر اللون طويل القامة، حسن الصورة، ليس بوجهه شعر سوى ذقنه (ابن خلكان ٢ ص ٨٨).

الزلزلة الثانية

روى ابن الأثير (١١ ص ١٣٢): أنه في ١٢ شوال (٥٦٥هـ ـ ١١٦٩م) حدثت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها وعمت أكثر البلاد الشامية والجزيرة والعراق. وكان اشدها بالشام اذ دمرت كثيراً من منازل دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على سكانها. وهلك منهم ما يخرج عن الحد. فلما وصل الخبر الى نور الدين سار إلى بعلبك ليغمر ما انهدم من سورها وقلعتها وهناك علم بالخراب الذي أصاب بقية البلاد، فجعل في بعلبك من يعمرها ويحفظها ثم سار إلى حمص ففعل مثل ذلك ثم إلى حماة. وكان نور الدين شديد الحذر على سائر البلاد خوفاً من الفرنجة ولذلك فقد أحكم تجديد اسوار البلاد وجوامعها. واما البلاد التي كان يحتلها الافرنج فان الزلازل ايضاً عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفاً من نور الدين عليها.

الفصل الخامس عشر

ثالثاً — حمص في أيام الأيوبيين



صلاح الدين كما تمثّله منمنمة فارسيّة

حمص وصلاح الدين

أول من تسلم امارة حمص من الأيوبيين هو أسد الدين شيركوه، ولكنه تسلمها من قبل نور الدين بن زنكي، ولذلك لا تحسب مدة امارته من الحقبة الأيوبية. ولما مات شيركوه سنة (٥٦٤ هـ — ١١٦٨ م)، اقطع نور الدين حمص لفخر الدين مسعود بن علي الزعفراني مكافأة له على مساعدته في حصار قلعة جعبر. ومما كان في عهدته مع حمص، حماة وبعرين وسلمية والرها من بلاد الجزيرة. ولم يكن فخر الدين المذكور ذا سيرة حسنة بل كان على العكس سيء المسلك. فلما مات نور الدين ترك المقام بحمص اذ خشي نقمة القوم عليه، وكانت البلاد المذكورة آنفاً له بدون قلاعها فان حصونها كانت لنور الدين وليس لفخر الدين منها سوى حصن بعرين.

وخلف نور الدين ابنه الصالح فحصلت بينه وبين أخيه مناكفات أدت إلى استدعاء صلاح الدين الأيوبي من مصر. فلما حضر هذا تسلم دمشق وقلعتها بدون كبير عناء. إذا كان الصالح في حلب. ثم سار إلى حمص فنزل عليها في ١١ جمادى الأول وراسل من فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد وملك البلد وامن اهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى أن عاد من حلب.

وسبب عودته من حلب إلى حمص ان الافرنج اغتنموا فرصة انشغاله بحلب فحضروا بقواتهم إلى حمص ونازلوها في ٧ رجب ووصل صلاح الدين إلى حماة في ٨ منه ثم قصد الرستن. فلما سمع الافرنج بقدومه غادروا حمص. أما هو فتابع سيره حتى وصل الى حمص وحاصر قلعتها الى أن ملكها في ٢١ شعبان ثم سار الى بعلبك فحاصرها ثم تسلمها في ١٤ رمضان.

واستنجد الملك الصالح بن نور الدين بابن عمه علي صلاح الدين فقدم لنجدته وحصلت معركة بين الجيشين عند ابواب حماه في ١٩ رمضان فاز بها صلاح الدين. وفي أواخر شوال استولى صلاح الدين على قلعة بعرين وهي آخر ما بقي لفخر الدين الزعفراني وقد رأى هذا قوة صلاح الدين فأحب الاتصال به ظناً منه أنه يكرمه ويشركه في ملكه كما كان مع نور الدين. ولكن صلاح الدين لم يعبأ به، بل أنه بعدما ملك القلعة اقطعها مع حماه لخاله شهاب الدين محمود الحازمي؛ واما حمص فاعطاها لناصر الدين محمود ابن عمه شيركوه (ابن الأثير ١١ ص ١٥٩ وابن خلدون ٥ ص ٢٩ وابو الفداء ٣ ص ٥٧).

حمص وأميرها يؤيدان صلاح الدين

في ربيع الأول سنة (٥٧٤ هـ — ١١٧٨ م) هاجم الافرنج مدينة حماه ونهبوا كثيراً من قراها وكان صلاح الدين نازلاً بضواحي حمص فأرسل منها قوة هزمت الأعداء وعادت بالأسرى والأسلاب ورؤوس القتلى إلى صلاح الدين الذي أمر بتوزيع الغنائم وقتل الأسرى.

وفي ذي القعدة من هذه السنة أغار الافرنج على أعمال دمشق فنهبوها وأسروا وقتلوا عدداً من الأهلين فأرسل اليهم صلاح الدين من حمص ابن أخيه فرخشاه في قوة فردهم على الأعقاب بعد أن ألحق بهم هزيمة نكراء. ولما كان صلاح الدين على بانياس وبرفقته

ابن أخيه تقي الدين وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ؛ سير الأول إلى حماة والثاني إلى حمص وأمرهما بحفظ البلاد وصيانة أطرافها من العدو (ابن الأثير ١٢ ص ٥).

وفاة ناصر الدين محمد بن شيركوه أمير حمص

توجه صلاح الدين من دمشق إلى الجزيرة في ذي القعدة من سنة (٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م)، وبعد أن وصل الى حران، توجه نحو الموصل فلم يتمكن من فتحها ثم سار إلى ميافارقين وحاصرها في أول جمادى الأولى سنة (٥٨١ هـ — ١١٨٥ م) وكان على مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين صاحب أربيل وغيرهما فملكها ثم عاد نحو الموصل فوصل إلى كفرزمار والزمان شتاء فأقام فيها وهناك أصابته وعكة اضطر معها للانتقال إلى حران طلباً للاستشفاء ولكن المرض اشتد به هناك لدرجة تسرب معها اليأس إلى قلوب ذويه. وكان معه أخوه العادل وابنه عثمان وابن عمه ناصر الدين بن شيركوه فجمعهم صلاح الدين واستحلفهم لأولاده وجعل لكل منهم قسماً معروفاً من البلاد وأقام أخاه العادل وصياً على الجميع.

ولما رأى ناصر الدين محمد بن شيركوه أمير حمص اشتداد المرض على صلاح الدين؛ عاد من حران يقصد حمص ماراً بحلب وهناك صانع جماعة من أمرائها على أن يثوروا إن حدث بصلاح الدين أمر. ولما بلغ مدينة حمص بعث إلى أهل دمشق رسالة وأخذ منهم وعداً على أن يسلموا إليه دمشق إذا توفي السلطان. وبعد ذلك استقر في حمص ينتظر موت صلاح الدين حتى يسير إلى دمشق فيملكها. ولكن السلطان أبلّ من مرضه، وبلغه لما استعد له ابن عمه فاستاء منه وعوّل على الانتقام منه. وبعد فترة قصيرة من الزمن مات ابن شيركوه في ٩ ذي الحجة (٥٨١ هـ — ١١٨٥ م) وفي سبب وفاته روايتان:

الأولى — إنه أكثر من شرب الخمرة ليلة العيد، فأثر فيه المسكر حتى أعدمه الحياة وأصبح الناس وإذا به ميت حيث سكر.

والثانية — إن صلاح الدين أغرى إنساناً يقال له الناصح بن العميد من دمشق بمنادمة ناصر الدين ومساقاته الخمر، فلما سكر دسّ له في الخمر سمّاً وانصرف. فلما أصبحوا في الغد لم يروا الناصح فسألوا عنه. فقيل لهم إنه سار من ليلته إلى صلاح الدين فكان هذا مما قوّى الظنّ بهذه الرواية ورجّحها.

ولما توفي ناصر الدين الملقب بالقاهر أعطى إقطاعه لولده شيركوه ولم يكن له من العمر آنئذٍ سوى اثنتي عشرة سنة. وترك ناصر الدين من الأموال والخيل شيئاً كثيراً. فحضر صلاح الدين إلى حمص في عودته من حران واستعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك لأبناء شيركوه إلا النذر اليسير. ومما يروى أن شيركوه بن ناصر الدين ذهب إلى صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة واحدة فقال له هذا: إلى أين بلغت من القرآن؟ فقال شيركوه إلى قوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً — سورة النساء — فأعجب صلاح الدين بذكائه ورد إليه قسماً كبيراً من تركة أبيه (ابن خلكان ٢ ص ٣٨٩).

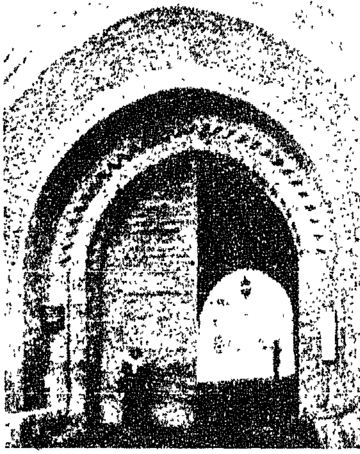
حمص مركز الجيوش الغازية

لما أراد صلاح الدين أن يغزو سورية الشمالية، توجه من دمشق إلى حمص في منتصف ربيع الأول سنة (٥٨٤ هـ — ١١٨٨ م) ونزل على بحيرة قدس غربي المدينة وهناك أخذت الجيوش تفد إليه. فلما تكامل عددها سار إلى حصن الأكراد حيث أقام يومين ثم أخذ معه كتيبة من الفرسان أغار بها على صافيتا والعريمة ويحمر وأشرف على طرابلس؛ وبعد أن عرف مواضع الضعف والقوة لدى العدو، عاد إلى معسكره عند حصن الأكراد. ثم انطلق نحو طرطوس فاستولى على رفنية والمرقب وجبلة وفتح اللاذقية بعد حصار دام ثلاثة أيام ثم رحل عنها إلى قلعة صهيون فملكها وفتح حصن بكاش وسرمين، وقد تم فتح كل هذه الحصون في ستة أسابيع مع انها كانت في أيدي أشجع فرسان الفرنجة وأشدهم عداوة للمسلمين (ابن الأثير ١٢ ص ٢ والدبس ٦ ص ١١٣ وابن خلدون ٥ ص ٣١٢). وبعد أن أتم صلاح الدين فتوحاته في شمالي سورية عاد إلى دمشق.

أمير حمص يوقع الهدنة

الفتوحات العظيمة التي قام بها صلاح الدين ولا سيما فتح القدس، ألقت الرعب في قلوب الإفرنج في سورية فاستغاثوا بإخوانهم في أوروبا؛ فأمدّوهم بالحملة الثالثة التي جرت بينهم وبين صلاح الدين معارك هائلة؛ كانت الحرب فيها سجالاً؛ وكان بطلاها صلاح الدين من الشرق وريكاردوس قلب الأسد من الغرب. ولكن هذا الأخير مرض وطال مرضه فطلب هدنة فأجيب إلى طلبه وتمت المحالفة في ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ هـ الموافق ١٥ أيلول ١١٩٣ م وجعلت مدتها ثلاث سنوات وثمانية أشهر (ابن الأثير ١٢ ص ٥ وابن

خلدون ٥ ص ٣٣٠). ولم يقسم اليمين ملك الانكليز، بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بأن الملوك لا يقسمون. واقتنع السلطان بذلك. وحلف الكونت هنري ابن أخيه وخليفته في الساحل مع غيره من عظماء الإفرنج. وحلف من جهة السلطان أخوه العادل وابنا السلطان الأفضل والظاهر، والمنصور بن تقي الدين عمه والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص وغيرهم من المقدمين الكبار.


مدخل قلعة صلاح الدين في القاهرة

وفاة صلاح الدين

لم يقم بين ملوك المسلمين من خضد شوكة الصليبيين في الشرق وبعثر إماراتهم في الجنوب والغرب مثل صلاح الدين الأيوبي. ولم يقم أيضاً بينهم ملك بلغت به الرحمة والشفقة الدرجة التي تزيد بها صلاح الدين؛ وقد أمّ دمشق عقب الهدنة مع الفرنجة فأقام فيها مدة خمسة عشر يوماً مع أخيه العادل. ثم عاد من الصيد وخرج بعد عودته إلى لقاء الحجاج ورجع بين البساتين الى القلعة فكانت آخر رحلاته، إذ أصابته الحمى واشتد عليه المرض واجتهد الأطباء في إقصاء العلة عنه فلم تنجح به أدويتهم بل قضى يوم الأربعاء في ٢٧ صفر سنة (٥٨٩ هـ — ١١٩٣ م) ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضاً بها. ثم عمل الملك الأفضل تربة قبالة المسجد وكانت بيتاً لرجل صالح ونقل رفاته إليها سنة (٥٩٢ هـ — ١١٩٥ م). وكان مولد صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٣٢ هـ — ١١٣٧ م) فيكون قد عاش ٥٧ سنة هجرية. ومدة ملكه الديار المصرية نحو ٢٤ سنة والشام نحو ١٩ سنة وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة واحدة تزوجها بعد وفاته ابن عمها الملك الكامل (ابن خلكان ٢ ص ٢٠١ والدبس ٦ ص ١٣٣ وأبو الفداء ٣ ص ٨٦).

لما توفي صلاح الدين استقر بدمشق أكبر أولاده علي الملقب الملك الأفضل. وفي حلب ابنه الغازي الملقب الملك العزيز. أما بقية البلاد، ففي الكرك والشوبك وسائر البلاد الشرقية، فشقيقه الملك العادل، وفي حماة وسلميه والمعرة ومنبج الملك منصور ناصر الدين محمد بن المظفر عمه. وفي بعلبك، أحد أنسبائه الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه. أما في

حمص والرحبة فكان فيها شيركوه بن محمد بن شيركوه وهو الغلام الذكي الذي سبق لنا رواية سرعة خاطره في إجابة عمه صلاح الدين إثر وفاة أبيه. وكان قد بلغ الآن العشرين من عمره.

شيركوه يؤيد الملك الأفضل

لما مات صلاح الدين كان شقيقه العادل في الكرك فامتنع هناك ولم يحضر لمبايعة أحد من أولاد أخيه. ولكن لما عرف أن عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل ينوي الاستيلاء على الجزيرة وهو لا يستطيع مقاومته إن لم يمده الأفضل بجيش الشام. لذلك أتى إلى دمشق وقابل ابن أخيه الأفضل فجهز هذا له جيشاً ومؤونة وأنجده بصاحبي حمص وحماة وجيشهما. وعبر الملك العادل بهذه القوات نهر الفرات وأقام بنواحي الرها. ولما عرف صاحب الموصل بوصول جيش الملك العادل الى حران أصابه مرض اضطره أن يعود الى الموصل حيث مات سنة (٥٨٩هـ — ١١٩٣م).

وفي سنة (٥٩٠هـ — ١١٩٣م) أغرى بعضهم العزيز عثمان صاحب مصر أن يستخلص لنفسه الشام من أخيه الأفضل فجهز حملة وحاصر بها دمشق. فهب العادل صاحب الجزيرة والظاهر صاحب حلب وناصر الدين صاحب حماة وشيركوه صاحب حمص لنجدة الملك الأفضل. وكان جيش حمص الأسبق الى إنجاده نظراً لقربها من دمشق. فهال الأمر العزيز ورضي بمصالحة أخيه مكرهاً وعاد إلى بلاده. ثم أعاد العزيز الكرة على دمشق ثانية سنة (٥٩١هـ — ١١٩٤م) فبادر القاضي الفاضل لإصلاح ذات البين بين الأخوين. (ابن الأثير، ص ٤٣ و٤٧ وابن خلدون ٥ ص ٣٣١ و٣٣٢ وأبو الفداء ٣ ص ٩٠ و٩١).

الأفضل وابن أبي غالب الحمصي

لما اطمأن خاطر الأفضل بمصالحة أخيه العزيز أطلق لنفسه عنان الشهوات وأقبل على ارتشاف الخمرة وسماع الأغاني من القيان وفوض أمر المملكة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري، وأشاع ندماؤه أن عمه الملك العادل أغراه على المجاهرة بارتكاب هذه المحظورات. وآل عمله هذا إلى نفرة الكثيرين من الأتقياء عنه وفي طليعتهم العزيز بن أبي غالب الحمصي أحد أمرائه الكبار في دمشق. ولما وصلت هذه الأنباء إلى أخيه العزيز في مصر اتفق مع عمه العادل على أخذ الشام من أخيه الأفضل وتسليمها إليه، فسارا معاً

وحاصرا دمشق وبعد أن استمالا اليهما العزيز بن أبي غالب فتح هذا لهما الباب الشرقي في ٧ رجب (٥٩٢ هـ — ١١٩٥ م) وقت العصر. فلم يشعر الأفضل إلا عمه معه في دمشق فلم يرَ بدّاً من التسليم فخرج إلى أخيه وقت الغروب واجتمع به ودخلا سوية المدينة واجتمعا بالعادل وقد نزل في دار أسد الدين شيركوه صاحب حمص، واتفقوا خيراً على أن يعطى الأفضل قلعة صرخد. وعاد العزيز الى مصر. أما الملك العادل فقد استمر بدمشق وبسط سيطرته على البلاد الشامية.

وروى ابن خلكان (١ ص ٣٧١) أن الأفضل كتب الى الإمام الناصر يشكو اليه ما فعله به عمه وأخوه شعراً:

سولاي إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق عليّ
وهو الذي كان قد ولاه والده عليهما فاستقام الأمر حين ولي
فحالفاه وحلا عقدَ بيعته والأمر بينهما والعرض فيه جلي
فانظرْ إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

فجاءه جواب الناصر:

وافى كتابك يا بن يوسف معلناً بالودّ يخبر أن أصلك طاهر
غصبا عليّاً حقَّه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الإمام الناصر

وقد أثرت هذه الحوادث في نفس الأفضل فأظهر التوبة وأزال المنكرات وواظب على الصلاة ولزم الزهد والتواضع في نسخ مصحف بيده.

حمص تؤيد الأخطل

في ٢٠ محرم سنة (٥٩٥ هـ — ١١٩٨ م) توفي العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر، فحاول مملوك والده فخر الدين جركش زعيم المماليك استقدام العادل يملكه البلاد؛ في حين أن الأمير سيف الدين مقدم الأسدية كان يميل إلى الأفضل. وتوجه الأفضل إلى مصر متنكراً مع ١٩ رجلاً من رجاله فدخل القاهرة في ٧ ربيع الأول واستقرّ بها. وبعد مدة لبى طلب ابن عمه شيركوه الذي حسن له فرصة غياب عم العادل لاسترداد دمشق

فسار من مصر وكان سيره بطيئاً بحيث أنه لم يصل دمشق إلا في ١٣ شعبان (٥٩٦ هـ — ١١٩٩ م). وكان العادل قد عرف عشيره وهو محاجر ماردين فأبقى ابنه الكامل هُناك وعاد إلى الشام فسبق الأفضل اليها. ولكن الأسير مجد الدين أخا الفقيه عيسى الهكاري سهل باب السلامة للأفضل فاجتازه ومعه خمسون فارساً، فلما رآهم العامة نادوا بشعار الأفضل ولكن عسكر العادل ردتهم على أعقابهم نظراً لقلتهم. ووصل أسد الدين شيركوه بعسكر حمص في ٢٥ شعبان وحاول الزحف على دمشق فمنعه الظاهر صاحب حلب الذي وصل في ١٢ رمضان مكراً بأخيه وحسداً له. واستنجد العادل بالمماليك الناصرية فأمدّوه بقوة كبيرة اتجهت نحو الشام من القدس في أواخر شعبان فسير الأفضل لصدهم شيركوه والجيش الحمصي غير أنهم اختلفوا في الطريق فجاء أولئك ودخلوا دمشق واعتز بهم العادل وتقوى.

ولكن الأفضل تابع محاصرة المدينة حتى قلّت الأقوات عند العادل؛ وكاد هذا أن يسلم المدينة لولا الخلاف بين الأخوين الأفضل والظاهر فعاد الأول الى مصر والثاني إلى حلب كما عاد شيركوه إلى حمص (ابن الأثير ١٢ ص ٥٤ — ٥٧ وابن خلدون ٥ ص ٣٣٥ وأبو الفداء ٣ ص ٩٥). غير أن العادل تبعه الأفضل إلى مصر حيث جرت معركة بينهما كتب فيها الفوز للعادل فدخل القاهرة في ٢١ ربيع الثاني سنة (٥٩٦ هـ — ١١٩٩ م) (أبو الفداء ٣ ص ٩٨).

الحمصيون والفرنجة

لما تعرضت الفرنجة لسورية الشمالية سنة (٥٩٩ هـ — ١٢٠٢ م) نهض الملك المنصور صاحب حماة لردّهم مستنجداً بالملك العادل فكتب هذا إلى صاحبي حمص وبعلبك لينجداه فأمداه بقوة كبيرة. وجرت بين الفريقين معركة عظيمة أسفرت عن هزيمة الافرنج. ولكن الهيكليين الصليبيين أمدوهم بالنجدات من حصن الأكراد والمرقب والسواحل فحصلت معركة ثانية فاز بها السوريون. وأسر المنصور من الفرنجة الكثيرين بعد أن قتل منهم عدداً وفيراً فاضطروا إلى مهادنته.

ثم أعاد الفرنجة الكرة على حماة سنة (٦٠١ هـ — ١٢٠٤ م) فأخذوا النساء اللواتي كن يغسلن على العاصي عند باب البلد وأسروا شهاب الدين بن البلاعي الفقيه. وفي سنة (٦٠٣ هـ — ١٢٠٦ م) استمد العادل معونة الحمصيين على الفرنجة الذين تدفقت

جموعهم بكثرة على الشام بعد استيلائهم على القسطنطينية سنة (٦٠٠ هـ — ١٢٠٣ م) فلباه الحمصيون وأتته إمداداتهم من كل جانب فنازل بهم حصن الأكراد وفتح برج عناز وأخذ منه /٥٠٠/ أسير ثم نازل طرابلس وعاثت جيوشه في بلادها واستولى على حصن القليعات قرب طرابلس. ثم عاد الى بحيرة حمص. ودخل الشتاء فعادت العساكر الشرقية إلى بلادها ونزلت طائفة منها في حمص وعاد العادل إلى دمشق.

ونقم الفرنجة على الحمصيين لما أبدوه من ضروب البسالة في المعارك الناشبة معهم فأكثروا من الإغارة على حمص ولكن الحمصيين كانوا يردونهم عنها رداً عنيفاً. (الدبس ٦ ص ٢٣١ وأبو الفداء ٣ ص ١٠٨). وتوفي الظاهر صاحب حلب سنة (٦١٣ هـ — ١٢١٦ م) والعادل عمه سنة (٦١٥ هـ — ١٢١٨ م) بعد أن ملك دمشق ٢٣ سنة ومصر ١٩ سنة.

الحمصيون في مصر

لما ملك الافرنج في مصر سنة (٦١٦ هـ — ١٢١٩ م) حصنوها كي لا يستردها المسلمون وعسكر الكامل بن العادل بأطراف الديار المصرية وبنى المنصورة، ثم استنجد بأخويه المعظم صاحب دمشق والأشرف صاحب الجزيرة فأمداه بما لديهما من القوى العسكرية وسارت معه جيوش حلب وحماة وحمص وبعلبك، وكان يقود الجيش الحمصي الملك المجاهد شيركوه. واحتدمت المعارك بين الفريقين دون أن تسفر عن أية نتيجة لأول وهلة. ولكن طائفة من المسلمين عبرت الجهة التي عليها الافرنج ففجروا النيل وغمرت مياهه أكثر تلك الأرض ولم يبق للفرنجة جهة يسلكون فيها إلا جهة واحدة ضيقة. وملك المسلمون الطريق التي سيسلكها الأعداء وأحاط بهم الجيش الإسلامي فأحرق خيامهم وأثقالهم. وحاول الفرنجة العودة إلى دمياط فحال الوحل بينهم وبينها واستولى عليها المسلمون في منتصف سنة (٦١٨ هـ — ١٢٢١ م) (الدبس ٦ ص ٢٢٩ والخطط ص ٨٨).

حمص والصالح أيوب ووفاة شيركوه

على أثر وفاة الكامل بن العادل سنة (٦٣٥ هـ — ١٢٣٧ م) هاجم الحلبيون حماة بأمر من حنيفة خاتون بنت العادل. فأقفلت المدينة أبوابها في وجه الحلبيين متحصنة بأسوارها

فعمد هؤلاء إلى نهب حماة وأخذوا المعرة ولما طال الحصار ضجر الحلبيون وعادوا إلى بلدهم سنة (٦٣٦ هـ — ١٢٣٨ م).

وفي هذه السنة استولى الصالح أيوب بن الكامل على دمشق فلما استقر فيها طلب اليه المظفر صاحب حماة منازلة حمص مكافأة له على مساعدته بالاستيلاء على دمشق. فلبى طلبه وسار معه بقوة على حمص ونزلوا عند الثنية. وكان الخوارزميون في الوقت نفسه قد نزلوا على حمص. فرأى شيركوه بدهائه أن يسترضي الخوارزميين ويصرفهم ليتفرغ لمحاربة المظفر فأرسل إليهم مالاً كثيراً ووزعه عليهم فرحلوا عنه إلى البلاد الشرقية. ورأى الصالح استعدادات شيركوه فهالهم الأمر ورحل المظفر إلى حماة وعاد الصالح إلى دمشق في طريقه إلى مصر.

ولم يرض شيركوه من الغنيمة بالإياب بل تابع مساعيه واتفق مع اسماعيل صاحب بعلبك على مهاجمة دمشق وحاصروا قلعتها سنة (٦٣٧ هـ — ١٢٣٦ م). وعلم المظفر بما يسعى إليه شيركوه فأرسل نائبه سيف الدين علي بن أبي علي مع قوة من جيش حماه وجهزهم بسلاح ومال كثير. وتظاهر سيف الدين أنه تخاصم مع المظفر ففارقه مع جماعته لأنه أراد تسليم حماه للفرنجة، وإنما تظاهر بمخالفته خوفاً من شيركوه لئلا يمنعه من الوصول إلى دمشق. ولم تخف هذه الحيلة على شيركوه؛ إذ لما وصل ابن أبي علي على بحيرة حمص قصده شيركوه وتظاهر بأنه انخدع بقوله وسأله الدخول الى حمص ليضيفه وأخذ ابن أبي علي معه، ثم أرسل من استدعى سائر أصحابه الى الضيافة فمنهم من سمع ودخل إلى حمص ومنهم من هرب فسلم. ولما حصلوا عند شيركوه بحمص قبض على ابن أبي علي وعلى جميع من دخل المدينة من الحمويين واستولى على كل ما كان لديهم من سلاح ومال. ومكث شيركوه يعذبهم حتى استصفى أموالهم. ومات ابن أبي علي وغيره في السجون، ولم ينج إلا الذي طالت حياته حتى وفاة شيركوه (أبو الفداء ٣ ص ١٦٤ والدبس ٦ ص ٢٤٨ وابن الشحنة على حاشية ابن الأثير ١٢ ص ١٣٤).

وكانت مدة ملك شيركوه بحمص /٥٦/ سنة. وكان عمره يوم توفي الحكم /١٢/ سنة. وتوفي يوم الثلاثاء ١٩ رجب (٦٣٧ هـ — ١٢٣٩ م) ودفن في تربته المعروفة حتى الآن داخل البلاد في حي بني السباعي. وكانت له عدا حمص، الرحبة وتدمر وماكسين من بلد الخابور وخلف جماعة من الأولاد فقام مقامه في الملك ولده الملك المنصور ناصر الدين ابرهيم (ابن خلكان ١ ص ٢٢٧).

حمص والخوارزمية في أيام المنصور ابرهيم بن شيركوه

الخوارزميون أصلهم من التتر وينتسبون إلى خوارزم من البلاد الشرقية. أتوا إلى العراق ثم استوطنوا حران والرها مظهرين الطاعة للصالح أيوب سنة (٦٣٥ هـ — ١٢٣٧ م). ولما غادر هذا البلاد الشرقية واستولى على مصر سنة (٦٣٧ هـ — ١٢٣٩ م)، كثر عيثهم ثم ساروا إلى جهات حلب فخرج إليهم الملك المعظم توران بن شاه ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون هزيمة شنعاء وقتل منهم خلق كثير وأسر الملك المعظم نفسه واستولى الخوارزميون على أثقالهم ثم توجهوا إلى منبج ففتحوها في ٢١ ربيع الأول سنة (٦٣٨ هـ — ١٢٤٠ م) وعادوا إلى بلادهم. ثم ما لبثوا أن أعادوا الكرة فاجتازوا الفرات من البرقة واندفعوا نحو تل عزاز ثم سرمين فالمعرة وهم ينهبون كل ما تقع عيونهم عليه.

واستغاث الحلبيون بالحمصيين فلبّى هؤلاء نداءهم وأقبل المنصور ابرهيم بن شيركوه بنجدة عظيمة من جيشي حمص ودمشق فاجتمعت الجيوش تحت قيادة صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية وكانوا على شيزر. وما أن سمع الأخيرون بمجيء هذه القوة حتى انقلبوا باتجاه حماه دون أن يتعرضوا لها ثم إلى سلمية ومنها اتجهوا نحو الرقة ليفلتوا من الجيش الذي أخذ يتعقبهم، ولما شعروا أنه كاد يدركهم تركوا ما كان معهم من الغنائم وأطلقوا سراح الأسرى. ولكن الجيوش الحلبيّة والحمصية والدمشقية التي كان يقودها صاحب حمص المنصور ابرهيم أدركتهم عند قاطع صفين ووقع القتال بين الفريقين وأقام الخوارزمية ستائر تسترهم من عيرن أعدائهم حتى اجتازوا الفرات فتعقبهم المنصور من جهة فأدركهم بالقرب من الرها ووقعت المعركة بين الطرفين وانهزم الخوارزمية وتبعهم صاحب حمص وجيشه يقتلون ويأسرون إلى أن حال الليل بينهم.

وتابع الجيش المتحد سيره إلى حران فاستولى عليها وفر الخوارزمية الى عانة؛ فبادر صاحب الموصل واستولى على نصيبين، وكانت للخوارزميين، وأنقذ من كان فيها من الأسرى ومنهم الملك المعظم توران شاه وقدم له ثياباً وتحفاً وبعث به إلى عسكر حلب الذي كان استولى على الرقة والرها ورأس العين كما كانت الكتيبة الحمصية قد استولت على الخابور.

وفي سنة (٦٤٠ هـ — ١٢٤٢ م) أعاد الخوارزميون الكرة على حلب يطلبون الثأر لأنفسهم من الكسرة السابقة وقد شجعهم على ذلك تأييد المظفر غازي صاحب

ميافارقين. ولما علم الحلبيون بالأمر استصرخوا الحمصيين فلباهم المنصور ابرهيم بجيشه المدرّب وحصلت المعركة بين الفريقين عند المجدل بالقرب من الخابور ؛ فولى المظفر غازي والخوارزميون منهزمين شر هزيمة ونهب منهم عسكر حلب شيئاً كثيراً. ونزل صاحب حمص في خيمة الملك المظفر غازي واحتوى على خزائنه ووطاقه وعادوا إلى حلب.

وفي سنة (٦٤٢هـ — ١٢٤٤م) استثمر الصالح بن أيوب صاحب مصر حقد الخوارزميين على الحلبيين والحمصيين والدماشقة لما قام في صدره من الغلّ على اسماعيل صاحب دمشق لاعتقاله ابن عمه فاستقدمهم إلى غزة لينصروه على اسماعيل فلم يتأخروا عن تلبيته. وفي غزة وافتهم الجيوش المصرية بقيادة ركن الدين بيبرس مملوك الصالح أيوب.

وشعر الصالح اسماعيل بخطورة الموقف فاستقدم إليه المنصور صاحب حمص وأرسل الجيش بقيادته لمحاربة الأعداء فسار حتى بلغ عكا. وكان الافرنج قد تضايقوا من دخول الخوارزميين إلى فلسطين ولم تكن لهم قوة على صدهم فاتفقوا مع ملكي دمشق وحمص على محاربتهم معاً. والتقى الفريقان بظاهر غزة في ١٧ ت[1] ١٢٤٤ (الدبس ٦ ص ٢٥٦) فانهزم عسكر دمشق والافرنج بعد أن قتل منهم عدد كبير واستولى العرب على غزة والسواحل والقدس. ثم أرسل صاحب مصر الجيش بقيادة معين الدين بن الشيخ لمحاصرة دمشق ومنها الصالح اسماعيل والمنصور بن شيركوه صاحب حمص ؛ وطال الحصار حتى سنة (٦٤٣هـ — ١٢٤٥م) حيث استسلمت دمشق على أن يأخذ صاحبها اسماعيل بعلبك وبشري وتبقى حمص وما اليها بيد صاحبها المنصور وسلخت عنها سلمية وسلمت إلى صاحب حماة.

وكان الخوارزميون يتوقعون على أن يقطعهم الصالح أيوب الاقطاعات الكثيرة مقابل انتصارهم على الصالح اسماعيل وفتحهم دمشق فلما لم يعطهم شيئاً خرجوا عن طاعته واتفقوا مع الصالح اسماعيل والناصر داود صاحب الكرك وساروا إلى دمشق وحاصروها حصاراً شديداً حتى غلت الأقوات فيها.

ولما علم المنصور ابرهيم صاحب حمص بالأمر اتفق مع الحلبيين على إنجاد الصالح أيوب ومحاربة الخوارزميين ورفع الحصار عن دمشق، فسارت قواتهم مسرعة نحو دمشق. واتصل الخبر بالخوارزميين فرفعوا الحصار عنها وساروا لمقاومة الجيوش القادمة فالتقى الجيشان سنة (٦٤٤هـ — ١٢٤٦م) في موضع يدعى القصب وجرت بينهما معركة دموية

هائلة انهزم بنتيجتها الخوارزميون هزيمة منكرة وتشتت شملهم وقتل قائدهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه إلى حلب ومن نجا منهم انصرفوا نحو التتر حيث التحقوا بهم. ولما اتصل خبرهم بالصالح أيوب ملك مصر فرح فرحاً عظيماً وزال ما كان عنده من الحقد على المنصور ابرهيم بن شيركوه وحل بينهما التصافي.

وطلب المنصور ابرهيم إذناً من الصالح أيوب لزيارته في مصر فأذن له مرحّباً وكانت المعارك الشديدة التي عاناها المنصور وتعرض للأخطار والعوارض الجوية قد أنهكت قواه البدنية فأصيب بالسل وسار وهو بتلك الحالة إلى مصر، ولكنه ما ان وصل إلى دمشق حتى اشتد به المرض وضاقت أنفاسه فلم يستطع اجتيازها بل توفي فيها ثم نقل جثمانه إلى حمص حيث دفن في ظاهر المدينة في مسجد الخضر من جهتها القبلية وكانت وفاته يوم الجمعة في ١٠ صفر سنة (٦٤٤هـ — ١٢٤٦م) (أبو الفداء ٣ ص ١٧٦ وابن خلدون ٥ ص ٣٥٨ وابن خلكان ص ٢٢٧) وخلف المنصور ابرهيم ابنه الأشرف موسى مظفر الدولة.

حمص في أيام الأشرف موسى

بعد أن تم فتح دمشق وبعلبك من قبل جيش الصالح أيوب قدم هذا إلى دمشق وهناك وافاه كل من المنصور صاحب حماه والأشرف موسى صاحب حمص يؤديان فروض الطاعة فأكرمهما وقربهما ثم سمح لهما بالعودة إلى بلادهما بعد أن خلع عليهما الخلع الثمينة. وفي سنة (٦٤٥هـ — ١٢٤٧م) طلب الصالح أيوب من الأشرف موسى أن يسلمه قلعة شميميس التي بناها جدّه شيركوه بقرب سلميه فلم ير بداً من تسليمها له. وكان تسليمها سبباً لاستياء الحلبيين الدفين. عظم عليهم ذلك وخشوا أن يؤدي ذلك إلى طمع الصالح في امتلاك باقي الشام. لذلك استعد الناصر صاحب حلب لمحاربة الأشرف صاحب حمص. فلما دخلت سنة (٦٤٦هـ — ١٢٤٨م) جهز حملة سلم قيادتها لشمس الدين لؤلؤ الأرسني فحاصروا الأشرف بحمص مدة شهرين سلم في آخرها الأشرف المدينة وأخذ بدلاً منها تل باشر (من قلاع حلب) مضافاً الى تأييده من تدمر والرحبة (أبو الفداء ٣ ص ١٧٥ وابن خلدون ٥ ص ٣٥٩).

ولما بلغ الملك الصالح أيوب ذلك شق عليه الأمر فسار من مصر إلى دمشق وجهز الجيش لحصار حمص واستردادها من الحلبيين. وكان قد أصيب بورم تحت إبطه فلم

يستطع أن يقود الحملة فأرسلها بقيادة حسام الدين بن أبي علي. ونازلت هذه الحملة حمص وحاصرتها ونصبت عليها منجنيقاً يرميها بحجارة زنة الواحدة /١٤٠/ رطل شامي وكان الشتاء سخياً والبرد قوياً؛ واستمر الحصار مدة طويلة دون أن ينالوا منها مأرباً.

وأثناء ذلك بلغ الصالح أيوب أن الفرنجة وصلوا إلى جهات دمياط فساءه ذلك كثيراً فاشتد غيظه من معاكسة الأقدار له. ولذلك لما وصل إليه نجم الدين الباذراي موفداً من قبل الخليفة المستعصم للصلح بينه وبين الحلبيين لم يرفض مسعاه. وهكذا استقرت حمص بيد الحلبيين ورحل عنها جيش الصالح عائداً إلى دمشق.

وسار الصالح من دمشق بمحفة لاشتداد المرض عليه وسيّر أمامه حسام الدين بن أبي علي ليسبقه إلى مصر وينوب عنه بها. واشتد المرض عليه حتى تحول سلاً مات به في ١٤ شعبان سنة (٦٤٧ هـ — ١٢٤٩ م). فخلفه ابنه المعظم توران شاه الذي توفي بعد شهرين من تملكه وقامت بإدارة المملكة شجرة الدر زوجة الملك الصالح.

وأطمع ذلك الناصر يوسف صاحب حلب، فملك دمشق في ٨ ربيع الآخر سنة (٦٤٨ هـ — ١٢٥٠ م). ولكي يأمن نفسه من المنافسين ألقى القبض على الناصر داود صاحب الكرك وبعث به إلى حمص حيث اعتقل فيها. ثم توجه إلى مصر على رأس جيش للاستيلاء عليها، فالتقته الجيوش المصرية بقيادة أيبك التركماني، فهزمته، وأخذت لؤلؤ الأرسني أسيراً فضربت عنقه كما أسرت الصالح اسماعيل والأشرف موسى صاحب حمص.

ثم عقد الصلح بين الناصر يوسف والمصريين سنة (٦٥١ هـ — ١٢٥٣ م) على أن يكون للمصريين حتى نهر الأردن وما وراء ذلك للناصر، وأطلق سراح الأسرى. وفي سنة (٦٥٨ هـ — ١٢٥٩ م) جاء التتر إلى سورية بقيادة هولاكو فاستولوا على حلب. ولما علم الحمويون بما صنعه هولاكو في حلب توجه وفد من وجهائهم إلى حلب وسلموا مفاتيح المدينة طالبين الأمان فأمنهم وأرسل معهم رجلاً أعجمياً ادعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يدعى خسروشاه فتولاها. وعرف الناصر يوسف وهو بدمشق باستيلاء التتر على حلب ففر الى مصر ومعه المنصور صاحب حماه والصالح بن الأشرف صاحب حمص. أما الأشرف موسى بن ابرهيم صاحب حمص سابقاً فقد انفرد عن المسلمين، وتوجه إلى هولاكو فأكرمه هذا وأعاده إلى حمص التي سبق للناصر أن أخذها منه سنة (٦٤٦ هـ — ١٢٤٨ م). وكان هولاكو قد أمر الأشرف موسى بهدم قلعة حمص ولكنه لم يفعل لأنها مدينته.

ورأى الناصر يوسف أن دخوله إلى مصر فيه خطر عليه ، فأشار عليه بعضهم بأفضلية التسليم إلى هولاكو. ولكنه قبل أن يفعل عرف كتبغا نائب هولاكو بموضعه ، فقبض عليه وأرسله إلى سيده. ولما وصل إلى حمص وفيها الأشرف خرج هذا لاستقباله هو وخسروشاه صاحب حماه وساروا معه إلى هولاكو فأحسن هذا اليه ووعده بردّ مملكته اليه.

ثم عاد هولاكو بعد ذلك إلى العراق واستخلف على الشام كتبغا كبير أمرائه مع اثني عشر ألفاً من جنوده ونقل معه الناصر يوسف وابنه العزيز. وأُرسل كتبغا إلى قطز حاكم مصر حاثّاً إياه لتقديم الطاعة إلى هولاكو ، فما كان من قطز إلا أن ضرب أعناق الرسل وجمع الجيوش وسار في أول رمضان لطرد التتر من الشام. والتقى الجيشان على عين جالوت في ٢٥ رمضان فانهزم التتر وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل كتبغا وأسر ابنه. وكان في صحبة التتر الأشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الأمان من المظفر قطز فأمنه وأقرّه على ما بيده من البلاد (ابن خلدون ٥ ص ٣٧٩ وأبو الفداء ٣ ص ٢٠٥).

التتر في حمص

أثناء عودة المظفر قطز إلى مصر بعد انتصاره على التتر في عين جالوت اغتاله أحد قواده وهو بيبرس البندقداري في ١٧ ذي القعدة سنة (٦٥٨هـ — ١٢٥٩م) وتسلطن مكانه. وعلى أثر ذلك استأثر سنجر الحلبي نائب السلطنة بدمشق بالحكم ودعا الناس اليه ولقب نفسه بالملك المجاهد. وعرف التتر بذلك فعادوا ثانية إلى الشام وهاجموا البيرة ثم ساروا منها إلى حلب فملكوها ففر الناس إلى حماه ولكن سيوف التتر حصدت أكثريتهم. ولما اقترب التتر من حماه برحها المنصور صاحبها مع جيشه متوجهاً إلى حمص.

وفي حمص اتفق الملك الأشرف صاحبها مع القادمين اليه على مقاومة التتر ، فلما وصلت جيوشهم التقت القوات بظاهر حمص يوم الجمعة ٥ محرم سنة (٦٥٩هـ — ١٢٦٠م) ، وكان التتر أكثر عدداً من الشاميين ولكن هؤلاء كانوا أكثر ثقة بالفوز فكتب لهم النصر وانهزم التتر بعد أن قتل وأسر منهم كثيرون. ولما وصلت جيوش الظاهر بيبرس إلى دمشق في ١٣ صفر سنة (٦٥٩هـ — ١٢٦٠م) أعلنت دمشق وحمص وحماه وحلب الطاعة له وأقيمت له الخطبة في جميع مساجدها.

وفاة الملك الأشرف وانقراض الأيوبيين

في ١١ ربيع الثاني سنة (٦٦١ هـ — ١٢٦٢ م) سار الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية فوصل إلى الطور في ١٢ جمادى الأولى وهناك جاء اليه مرحباً الملك الأشرف صاحب حمص، فأحسن اليه الظاهر وأكرمه وثبته على إمارته (أبو الفداء ٣ ص ٢١٦). وبعد أن وصل الأشرف موسى إلى مدينته، مرض واشتد به المرض حتى توفي في ١٠ صفر سنة (٦٦٢ هـ — ١٢٦٣ م) ودفن في قبر جده الملك المجاهد. فأرسل الملك الظاهر من تسلم حمص في ذي العقدة سنة (٦٦٣ هـ — ١٢٦٣ م).

والملك الأشرف آخر من ملك حمص من بيت شيركوه، وكان عدد من ملك منهم خمسة ملوك؛ أولهم شيركوه بن شادي ثم ابنه ناصر الدين محمد ثم ابنه شيركوه الملقب بالملك المجاهد، ثم ملكها بعده ابنه المنصور ابرهيم ثم ابنه موسى الملقب بالأشرف الذي بموته انقرض ملك الأيوبيين بحمص (أبو الفداء ٣ ص ٢١٨).

الفصل السادس عشر

امراء حمص في الحقبة الخامسة

ذكرنا في سياق حديثنا عن مجريات الأحداث التي مرت بحمص اسماء أكثر الأمراء الذين تعاقبوا على حكمها ولذلك رأينا من الإفادة أن نذكر هنا اسماءهم مرتبة ترتيباً تاريخياً ليسهل على القارىء التعرف بهم:

١ — خلف بن ملاعب	(٤٧٣ — ٤٨٥ هـ = ١٠٨٠ — ١٠٩٢ م)
٢ — قراجه المملوك، مولى ملكشاه	(٤٨٥ — ٤٩٠ هـ = ١٠٩٢ — ١٠٦٩ م)
٣ — جناح الدولة،	(٤٩٠ — ٤٩٦ هـ = ١٠٩٦ — ١١٠٢ م)
٤ — قراجة المملوك ثانية،	(٤٩٦ — ٥٠٦ هـ = ١١٠٢ — ١١١٢ م)
٥ — خيرخان أو قراجان بن قراجة،	(٥٠٦ — ٥٢٣ هـ = ١١٢ — ١١٢٨ م)
٦ — ضمار تاس واولاد خيرخان،	(٥٢٣ — ٥٣٠ هـ = ١١٢٨ — ١١٣٥ م)

٧ــ معين الدين أنز، (٥٣٠ــ ٥٣٢ هـ= ١١٣٥ ــ ١١٣٧ م)
٨ ــ عماد الدين زنكي (٥٣٢ــ ٥٤١ هـ= ١١٣٧ ــ ١١٤٦ م)
٩ــ نور الدين محمود بن زنكي، (٥٤١ــ ٥٤٩ هـ= ١١٤٦ ــ ١١٥٣ م)
١٠ــ شيركوه بن شادي، (٥٤٩ــ ٥٦٤ هـ= ١١٥٣ ــ ١١٦٨ م)
١١ــ فخر الدين مسعود بن علي الرعفراني، (٥٦٤ــ ٥٧٠ هـ= ١١٦٨ ــ ١١٧٤ م)
١٢ــ ناصر الدين القاهر محمد بن شيركوه، (٥٧٠ــ ٥٨١ هـ= ١١٧٤ ــ ١١٨٥ م)
١٣ــ شيركوه بن محمد (الملك المجاهد)، (٥٨١ــ ٦٣٧ هـ= ١١٨٥ ــ ١٢٣٩ م)
١٤ــ المنصور ابرهيم بن شيركوه (٦٣٧ــ ٦٤٤ هـ= ١٢٣٩ ــ ١٢٤٦ م)
١٥ــ الأشرف موسى بن المنصور ابرهيم، (٦٤٤ــ ٦٦١ هـ= ١٢٤٦ ــ ١٢٦٣ م)

مشاهير الحمصيين في الحقبة الخامسة

١ ــ سعادة الأعمى الحمصي

هو سعيد بن عبد الله الضرير المعروف بسعادة؛ كان مملوكاً لبعض الدمشقيين ثم اعتق. سافر إلى مصر أيام حكم الناصر وعاد منها بوفر جزيل وغنى ظاهر، وهو شاعر مجيد، وقف في ١٠ شعبان سنة (٥٧١ هـــ ١١٧٥ م) امام الناصر وانشده قصيدة رائعة جاء فيها:

حيتك أعطاف القدود ببانها ... لما انثنت تيهاً على كثبانها
وبما وفى العناب من تفاحها ... وبما حماه اللاذ من رمانها
من كل رانية بمقلة جؤذرٍ ... يبدو لنا هاروت من اجفانها
نـزلت بواديها منازل جلق ... فاستوطنت بالفيح من أوطانها
سلطانها الملك بن أيوب الذي ... كفاه لا ينفك عن هطلانها
سمح يروح إلى الندى في راحة ... قد أعشب المعروف بين بناتها
تلك السيوف المرهفاتُ بكفه ... أمضى على الأيام من حدثانها
ملك إذا جليت عرائس ملكه ... رضعت مزيد العدل في تيجانها
فانهض الى فتح السواحل نهضة ... قادت لك الأعداء بُعد حرانها

ولسعادة قصائد أخرى رائعة في مديح الناصر كان ينشدها بين يديه اثر كل غزوة أو فتح يقوم به، فينال منه الأعطيات السخية (نكث الهيان ص ١٥٧ و١٥٨)

٢ــ ابن الدهان

هو أبو الفرج عبد الله بن اسعد علي بن عيسى؛ موصلي الأصل، حمصي المنشأ. كان فقيهاً فاضلاً وأديباً شاعراً غلب له الشعر فاشتهر به. ولما تقلبت به الأيام تولى التدريس في حمص وأقام فيها فنسب اليها. ولد سنة (٥٢٢ هـــ ١١٢٨ م). ولما وصل صلاح الدين الأيوبي إلى حمص، قدمه اليه العماد الكاتب الأصبهاني قائلاً: هذا الذي يقول في قصيدته الكافية في ابن زربك:

أأمدح الترك ابغي الفضل عندهم   والشعر ما زال عند الترك متروكاً

فأعطاه صلاح الدين منحة جزيلة وقال له: حتى لا تقول أنه متروك. فمدح السلطان بقصيدته العينية التي يقول فيها:

قل للنحيلة بالسلام تورعاً   كيف استبحت دمي ولم تتورعي
وزعمت أن تصلي بعام قابل   هيهات ان ابقى إلى أن ترجعي

ومنها

بيدي فتى لو أن جود يمينه   للغيث لم يلك ممسكاً عن موضع
فاذا تبسم قال يا جود اندفق   فيضاً ويا سحب الندى لا تقلعي
واذا تنمر قال يا أرض ارجعي   بالصاهلات ويا جبال تزعزعي
وإذا علا في المجد أعلى غاية   قالت له الهمم الجسام ترفع
كم وقفة لك في المدى محمودة   أبداً وكم جود حميد الموقع
والناس بعدك في المكارم والفدى   رجلان اما سارق أو مدعي

ولابن الدهان هذه الأبيات في غلام لسعته نحلة:

بأبي من لسعته نحلة   آلمت أكثر شيء وأجل
أثرت لسعتها في شفة   ما يراها الله إلا للقبل
حسبت أن بفيه بيتها   اذ رأت مريقة مثل العسل

٣ــ كمال الدين الطبيب الحمصي

هو ابن منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي ؛ من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين كان كثير الخير والمروءة ، كريم النفس محباً لاصطناع المعروف ، أخذ الطب عن الشيخ رضى الدين الرحبي وغيره . وقرأ القانون على الحكيم القاضي بهاء الدين أبي الثناء محمود بن أبي الفضل بن اسمعيل الطبري . واشتغل كمال الدين بالأدب ، وكان تاجراً ومعظم عيشته منها ويكره الكسب من الطب . ولكن الملوك والأعيان كانوا يطلبونه لمعالجتهم لما ظهر من علمه . وطلبه الملك العادل بن أيوب لخدمته وصحبته فأبى . وظل عدة سنوات يتردد إلى البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين بن زنكي فيعالج فيه المرضى احتساباً ، ثم قررت له جراية الزاماً . وبقي على هذا المنوال إلى أن توفي يوم الثلاثاء ٩ شعبان (٦١٢ هـ ــ ١٢١٥ م) .

وله من المؤلفات :

١ــ مقالة في الباه .

٢ــ شرح بعض العلل لجالينوس .

٣ــ الرسالة الكاملة في الأدوية المسهلة .

٤ــ اختصار كتاب الحاوي للرازي

٥ــ مقالة في الاستسقاء .

٦ــ تعاليق على الكليات من كتاب القانون .

٧ــ تعاليق في الطب .

٨ــ تعاليق في البول .

٩ــ اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحق (طبقات الأطباء لابن اصيبعة ٢ ص ٢٠١) .

٤ ــ ابن معقل

هو أحمد بن علي بن معقل أبو العباس الأزدي المهلبي الحمصي ، ولد سنة (٥٦٧ هـ ــ ١١٧١ م) رحل الى العراق وأخذ الرفض عن جماعة بالحلة والنحو ببغداد عن أبي البقاء العكبري والوجيه الواسطي . وبرع في العربية والعروض وصنف فيهما . كما قال

الشعر الرائق ، ونظم الايضاح والتكملة للفارسي فاجاد. واتصل بالملك الأمجد فحظي عنده. وكان وافر العقل مغالياً في التشيع ؛ ديناً متزهداً توفي في ٢٢ ربيع الأول سنة (٦٤٤ هـ — ١٢٤٦ م).

ومن أشعاره في وصف الخريف

لله فصل الخريف المستلذ به   برد الهواء لقد أبدى لنا عجباً
أهدى الى الأرض من اوراقه ذهباً   والأرض من شأنها أن تهديَ الذهبا

٥ — ابن الخلال الحمصي

هو أحمد بن عبد الكريم سالم الخلال الحمصي ؛ عالم فلكي ، له تعليق على كتاب «جعفر بن طلحة» كشف به الأخطاء التي وردت فيه نهاية العالم سنة (٩٩٠ هـ — ١٥٩٢ م) ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون (١ ص ٤٨١). توفي ابن الخلال سنة (٦٦٢ هـ — ١٢٦٣ م).

الجغرافيون في هذه الحقبة.

١ — الإدريسي (٤٩٣ — ٥٦٩ هـ ، ١٠٩٩ — ١١٦٩ م)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الصقلي ؛ ولد في سبتة سنة (٤٩٣ هـ — ١١٩٩ م) وتثقف في قرطبة ، وطاف البلاد ونزل على روجر الثاني صاحب صقلية فأجله وقربه لسعة علمه. ألف له كتاباً في الجغرافية سماه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أكمل تأليفه سنة (٥٤٨ هـ — ١١٥٣ م). ذكر الإدريسي حمص وقال فيها:

«اما أرض حمص فان مدينتها حمص وهي حسنة في مستوى الأرض ، عامرة بالناس. والمسافرون اليها يقصدونها بالأمتعة والبضائع في كل فن وأسواقها قائمة ومسرات أهلها دائمة وخصبهم رغد ومعايشهم رخيصة. وفي نسائها جمال وحسن بشرة ، وشرب اهلها من ماء يأتيهم في قناة من قرب قرية جوسية. والمدينة منها على مرحلة مما يلي دمشق. ونهر الأورنط المسمى المقلوب يجري على بابها بمقدار رمية سهم. ولهم عليه قرى متصلة وبساتين واشجار وانهر كثيرة ، ومنها تجلب الفواكه إلى المدينة. وكانت في مدة الاسلام من أكثر البلاد كروماً فتلف أكثرها ، وثراها طيب للمزروعات واقتناء الغلات ، وهواؤها اعدل

هواء يكون بالشام ، وبها على القبة العالية التي في وسطها صنم نحاس على صورة الإنسان الراكب يدور مع الريح حيثما دارت وجميع ازقتها وطرقها مفروشة بالحجر وزراعتها مباركة كثيرة ، وزروعها تكتفي باليسير من المطر والسقي . وبها مسجد جامع كبير هو أكبر جوامع مدن الشام» (الادريسي ص ١٣).

٢ــ ابن جبير ٥٤٠ــ ٦١٤هـ= ١١٤٥ــ ١٢١٧م

هو ابو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، رحالة أديب ، ولد في بلنسية وبرع في الأدب ونظم الشعر الرقيق واولع بالترحل والتنقل فزار المشرق ثلاث مرات احداها سنة (٥٧٨ــ ٥٨١هـ= ١١٨٢ــ ١١٨٥م) وهي التي الف فيها كتاب «رحلة ابن جبير». وقد زار في هذه الرحلة مصر والشام والحجاز والعراق وصقلية . ورحلته الثانية بدأت سنة (٥٨٥هـ= ١١٨٩م) بعدما فتح صلاح الدين بيت المقدس ثم تحول إلى مصر فالاسكندرية حيث توفي في ٢٧ شعبان (٦١٤هـ ــ ١٢١٧م) وابان احدى رحلاته زار حمص فكتب عنها ما يلي :

«حمص فسيحة الساحة مستطيلة المساحة ، نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة ؛ موضوعة في بسيط من الأرض ، عريض مداه ، لا يخترقه النسيم بمسراه ، يكاد البصر يقف دون منتهاه ، افيح اغبر ، لا ماء ولا شجر ، ولا ظل ولا تمر ، فهي تشتكي ظمأها وتستقي على البعد ماءها ، فيجلب لها من نهر العاصي ، وهو منها بنحو مسافة ميل ، وعليه طرة بساتين تجتلي العين خضرته ، وتستغرب نضرته . ومنبعه في مغارة بسفح جبل فوقها بمرحلة يقابل بعلبك (اعادها الله) وهي على يمين الطريق إلى دمشق .

وأهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم اياه ؛ وبعدهم في ذلك أهل حلب . واحمد خلال هذه البلدة هواؤها الرطب ونسيمها الميمون ، فان الهواء النجدي في الصحة شقيقه ، وبقبلي هذه المدينة قلعة حصينة منيعة ، عاصية غير مطيعة ، وقد تميزت وانحازت بموضعها عنها ، وبشرقيها جبانة فيها قبر خالد بن الوليد سيف الله المسلول ومعه قبر ابنه عبد الرحمن وقبر عبد الله بن عمر (رضي). واسوار هذه المدينة في غاية العتاقة والوثاقة ، مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود ؛ وابوابها ابواب حديد ساسية الاشراف هائلة المنظر ، رائعة الاطلال والاناقة تكتنفها الابراج المشيدة الحصينة . وفي المدينة مدرسة واحدة كبيرة ، وتجد في هذه البلدة عند اطلاعك عليها من بعيد في بسيطها ومنظرها وهيئة

موضوعها ، بعض شبه بمدينة اشبيلية من بلاد الاندلس ، يقع للحين في نفسك خياله ، وبهذا الاسم سميت في القديم ، وهي العلة التي أوجبت نزول الأعراب من أهل حمص فيها حسبما يذكر ، وهذا التشبيه وان لم يكن بذاته ، فله لمحة من احدى جهاته ، ولقد سألنا أحد شيوخ هذه البلدة العلماء . هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات؟ فقال وقد استنكر ذلك : حمص كلها مارستان .

ومعنى مارستان مستشفى ، والمدقق الذكي يفهم من فحوى كتابة ابن جبير عن هواء حمص العليل النجدي ما يوضح هذه الفقرة التي قالها أحد شيوخ حمص ، أي أنه لا لزوم لبناء مستشفى في مدينة كحمص مشهورة بهوائها العذب وموقعها الصحي الذي يبعد المرض عنها . وقد أقام ابن جبير في حمص يومي الأحد والاثنين في ١ و٢ تموز ١١٨٣ .

٣ـ ياقوت الحموي (٥٧٤ـ ٦٢٦هـ ، ١١٧٨ ـ ١٢٢٨م .

هو ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس ، الحموي المولد ، البغدادي الدار ، ويلقب شهاب الدين ، مؤرخ ثقة وجغرافي كبير . أصله من بلاد الروم ، أسر صغيراً فابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن ابرهيم الحموي فرباه وعلمه لينتفع به في ضبط تجارته اذ كان لا يحسن الخط ، وكلفه مولاه بالأسفار في تجارته ثم اعتقه سنة (٥٩٦هـ ، ١١٩٩م) فعاش من نسخ الكتب بالاجرة ، ثم عاد إلى مولاه فعطف عليه وسفره في متاجرة ؛ فاستمر كذلك إلى أن توفي سيده فاستقل بعمله . وكان متغضباً على الامام علي ، فتوجه الى دمشق سنة (٦١٣هـ ـ ١٢١٦م) وناظر بعض المتعصبين لعلي فثار عليه الناس فنفر ، فطلبه الوالي فلم يظفر به . وأدى ذلك ، الى تجوله في عدد من البلدان ؛ وإذ كان بخوارزم خرج التتر سنة (٦١٦هـ ـ ١٢١٩م) بقيادة جنكيزخان فانهزم بنفسه ولا شيء معه وجاء الموصل وقد اعوزه الطعام واللباس ثم انتقل الى سنجار فحلب واقام بظاهرها حتى مات (الاعلام ٣ ص ١١٤٢ وابن خلكان ٢ ص ٢١٠ ـ ٢١٤) .

وقد ألف ياقوت معجماً للبلدان جاء فيه على ذكر حمص ؛ لكنه اظهر في آخر ما قاله عنها ما يشتم منه روح التعصب على أهلها وهو من حماة قرينة حمص إذ قال :

«ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم المثل ؛ ان أشد الناس على علي (رض) بصفين مع معاوية كان أهل حمص

وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه ؛ فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية وأصلهم الامامية الذين يسبون السلف ؛ فقد التزموا الضلال أولاً وآخراً فليس لهم زمان كانوا فيه على الصواب» . (معجم البلدان ٣ ص ٣٤١).



سوق قديمة في حمص ويلاحظ سقف السوق المعقد

الحقبة السادسة

حمص في أيام المماليك

(٦٣٧ — ٩٢٣هـ = ١٢٣٩ — ١٥١٧م)

الفصل السابع عشر

تمهيد

تماست حمص في هذه الحقبة مع ثلاث دول هي: دولة المغول سنة (٥٩٩ — ٨٠٧هـ، ١٢٠٣ — ١٤٠٤م) ودولة المماليك البحرية (٦٤٨ — ٧٨٤هـ، ١٢٥٠ — ١٣٥٢م) ودولة المماليك البرية أو الجركسية (٧٨٤ — ٩٢٣هـ، ١٣٨٢ — ١٥١٧م).

ولذا فإننا سنأتي على خلاصة تاريخية للدول الثلاث ليشعّ من معرفتها نور على تاريخ حمص في هذه الحقبة من الزمن.

أولاً — دولة المغول

المغول قبيلة تترية مقامها القديم حول بحيرة بايكال في جنوبي سيبيريا. وتاريخهم القديم مكتنف بسحابة كثيفة قاتمة انفرجت أخيراً عن جنكيز خان الفاتح العظيم.

كان والد جنكيز خان أميراً على ١٣ قبيلة تحت رعاية الخان الأكبر أونك خان. وولد له سنة (٥٤٨هـ — ١١٥٣م) ولد دعاه ثيموجين. فعاش كما عاش أسلافه عيشة بدوية أتقن معها ركوب الخيل ورمي السهام وضرب السيف. وكان قوي البنية، صبوراً على التعب والجوع والبرد والألم. ولما توفي أبوه سنة (٥٦٢هـ — ١١٦٧م) لم يكن له من العمر

سوى ١٤ سنة فاستخف به رؤساء القبائل وتمردوا عليه ؛ فبطش ثيموجين بهم وخضد شوكتهم. فأعجب به الخان الأكبر وزوجه ابنته ؛ فحسده أقاربه وثاروا على الخان فاستنجد هذا بثيموجين فأنجده. ومثل بأعدائه.

ولما شاهد الخان الأكبر ما بدا على ثيموجين من ملامح العظمة والسؤدد خشي على نفسه منه وحاول اغتياله فعرف هذا بالمكيدة المدبرة ففتك بالخان وردّ كيده الى نحره ، فهابه الأمراء وأجلسوه على عرش أونك ونادوا به ملكاً على المغول. وكان بين الحضور شيخ ذو مقام رفيع فتقدم الى ثيموجين وقال :

«لقد رأيت في الحلم رب السماء على عرش ناري تحدق به الأرواح وهو يحاكم أهل الأرض ، فأعطى العالم كله لمولانا ثيموجين وأمر أن يسمى جنكيز خان — الملك العام —» ثم التفت الى ثيموجين وقال : «لبيك أيها الملك فإنك تدعى منذ الآن جنكيز خان».

ومنذئذٍ لم يعرف ثيموجين إلّا بهذا الاسم وكان هذا الحادث سنة (٥٩٩هـ — ١٢٠٣م).

ولما استتب الأمر لجنكيز خان ؛ أرسل فطلب الطاعة والخضوع من جميع الشعوب التترية ؛ فمن أطاعه عزّ ومن عصاه ذلّ.

ومن ذلك الوقت باشر فتوحاته العظيمة ، فدخل الصين وافتتح شماليها سنة (٦١٠هـ — ١٢١٣م) ودمّر ٩٦ مدينة فيها بعد أن نهبها وسبى الذراري وغنم الماشية والذهب والفضة وفي سنة (٦١٢هـ — ١٢١٥م) فتح بكين ونهبها وأحرقها ؛ ثم أخضع كوريا سنة (٦١٦هـ — ١٢١٩م) ثم خراسان وعراق العجم سنة (٦١٩هـ — ١٢٢٢م). وفي سنة (٦٢١هـ — ١٢٢٤م) فتح خوارزم وقندهار وعدة ولايات من بلاد فارس الشرقية وقسماً من روسيا الجنوبية وامتد ملكه من البحر الأسود الى بحر الصين. ثم شرع بحملة عظيمة لفتح الهند ، فحالت منيته دون ذلك ؛ إذ مات في الصين في ١٨ آب سنة ١٢٢٧م ودفن في وطنه.

كانت فترة تملك جنكيز خان / ٢٥ / سنة. وقد دمر فيها الأرض تدميراً وفتك بالملايين من الناس. ومع ذلك فإنه لا بد لنا من قول الحقيقة عنه بأنه كان مديراً شجاعاً وحكيماً.

وإلى القارىء فيما يلي جدول بأسماء ملوك المغول ومدة حكم كل منهم :

١ ــ جنكيز خان (٥٩٩ ــ ٦٢٤هـ = ١٢٠٣ ــ ١٢٢٧م)

٢ ــ قاآن بن جنكيز خان (٦٢٤ ــ ٦٤٣هـ = ١٢٢٧ ــ ١٢٤٥م)

٣ ــ كيوك خان بن قاآن (٦٤٣ ــ ٦٤٧هـ = ١٢٤٥ ــ ١٢٤٩م)

٤ ــ موتكا بن تولي (٦٤٧ ــ ٦٥٠هـ = ١٢٤٩ ــ ١٢٥٢م)

٥ ــ هولاكو بن تولي بن جنكيز (٦٥٠ ــ ٦٦٤هـ = ١٢٥٢ ــ ١٢٦٥م)

٦ ــ أبا قابن هولاكو (٦٦٤ ــ ٦٨١هـ = ١٢٦٥ ــ ١٢٨٢م)

٧ ــ أحمد بن هولاكو (٦٨١ ــ ٦٨٣هـ = ١٢٨٢ ــ ١٢٨٤م)

٨ ــ أرغون بن أباقا (٦٨٣ ــ ٦٩٠هـ = ١٢٨٤ ــ ١٢٩١م)

٩ ــ كيخاخان بن أباقا (٦٩٠ ــ ٦٩٣هـ = ١٢٩١ ــ ١٢٩٤م)

١٠ ــ بايد وخان بن طرغاي (٦٩٣ ــ ٦٩٥هـ = ١٢٩٤ ــ ١٢٩٦م)

١١ ــ قازان خان بن أرغون (٦٩٥ ــ ٧٠٤هـ = ١٢٩٦ ــ ١٣٠٤م)

١٢ ــ خدابند ابن أرغون (٧٠٤ ــ ٧١٦هـ = ١٣٠٤ ــ ١٣١٦م)

١٣ ــ أبو سعيد بن خدابند (٧١٦ ــ ٧٣٦هـ = ١٣١٦ ــ ١٣٣٥م)

١٤ ــ الشيخ حسن بن حسين (٧٣٦ ــ ٧٥٧هـ = ١٣٣٥ ــ ١٣٥٦م)

١٥ — ادليس بن الشيخ حسن (٧٥٧ — ٧٧٦هـ = ١٣٥٦ — ١٣٧٤ م)

١٦ — حسين بن ادليس (٧٧٦ — ٧٨١هـ = ١٣٧٤ — ١٣٧٩ م)

١٧ — أحمد بن ادليس (٧٨١ — ٧٩٥هـ = ١٣٧٩ — ١٣٩٢ م)

١٨ — تيمورلنك (٧٩٥ — ٨٠٨هـ = ١٣٩٢ — ١٤٠٥ م)

والذين لهم علاقة خاصة ببلاد الشام عامة وحمص خاصة من هؤلاء الملوك فهم هولاكو وأباقا وقازان خان وتيمورلنك.

ثانياً — دولة المماليك البحرية

هذه الدولة استولت على مصر والشام بعد انقراض الدولة الأيوبية ، وأصل نشأتهم ؛ أن الملك الصالح نجم الدين بن الكامل بن العادل الأيوبي ، أكثر من استخدامه المماليك ، وبنى لهم قلعة بين شعبتي النيل وسماهم البحرية فكانوا عمدته وخواص داره . ولكن لما عظم شأنهم ، طمحت أبصار النابغين فيهم الى العرش . فلما أراد الملك المعظم توران شاه بن الصالح أن يفتك بهم ، اتفق زعماؤهم — أيبك واقطاي و بيبرس على قتله . ثم تسلم العرش بعد شجرة الدر أيبك ولقب المعز . وإلى القارىء أسماء ملوك هذه الدولة مع ذكر سنه تملك كل منهم :

١ — المعز ايبك (٦٤٨ هـ — ١٢٥٠ م)

٢ — نور الدين علي بن أيبك (٦٥٥ هـ — ١٢٥٧ م)

٣ — المظفر سيف الدولة قطز (٦٥٧ هـ — ١٢٥٩ م)

٤ — الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨ هـ — ١٢٥٩ م)

٥ — السعيد بركة بن بيبرس (٦٧٦ هـ — ١٢٧٧ م)

٦ — سلامس بن بيبرس (٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ م)

٧ — المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ م)

٨ — الأشرف صلاح الدين بن قلاوون (٦٨٩ هـ — ١٢٩٠ م)

٩ — القاهر بيدرا (٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م)

١٠ — الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م)

١١ — العادل كتبغا (٦٩٤ هـ — ١٢٩٤ م)

١٢ — المنصور لاجين (٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م)

١٣ — محمد بن قلاوون (ثانية) (٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م)

١٤ — بيبرس الجاشنكير (٧٠٨ هـ — ١٣٠٨ م)

١٥ — محمد بن قلاوون (ثالثة) (٧٠٩ هـ — ١٣٠٩ م)

١٦ — المنصور أبو بكر بن محمد (٧٤١ هـ — ١٣٤١ م)

٧ — الأشرف علاء الدين كجك بن محمد (٧٤٢ هـ — ١٣٤١ م)

١٨ — الناصر شهاب الدين أحمد بن محمد (٧٤٢ هـ — ١٣٤٢ م)

١٩ — الصالح اسمعيل بن محمد (٧٤٣ هـ — ١٣٤٢ م)

٢٠ — الكامل زين الدين شعبان بن محمد (٧٤٦ هـ — ١٣٤٥ م)

٢١ — المظفر زين الدين حاجي بن محمد (٧٤٧ هـ — ١٣٤٦ م)

٢٢ — الناصر حسن بن محمد (٧٤٨ هـ — ١٣٤٧ م)

٢٣ — الصالح صلاح الدين بن محمد (٧٥٢ هـ — ١٣٥١ م)

٢٤ — الناصر حسن بن محمد (ثانية) (٧٥٥ هـ — ١٣٥٤ م)

٢٥ — المنصور محمد بن حاجي (٧٦٢ هـ — ١٣٦١ م)

٢٦ — الأشرف شعبان بن حسن (٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م)

٢٧ — المنصور علي بن شعبان (٧٧٨ هـ — ١٣٧٧ م)

٢٨ — الصالح حاجي بن شعبان (٧٨٣ — ٧٨٤ هـ = ١٣٨١ — ١٣٨٢ م)

من ملوك هذه الدولة من لهم مماسة خاصة بحمص وهم : قطز وبيبرس وقلاوون وكتبغا والناصر محمد بن قلاوون والأشرف كجك بن محمد والناصر شهاب الدين أحمد بن محمد والمظفر زين الدين حاجي بن محمد (دول الاسلام ٣ ص ٤٠ — ٦٧).

ثالثاً — دولة المماليك الجراكسة

دعيت هذه الدولة بدولة الجراكسة نسبة الى منشأ سلاطينها ؛ وأصلهم من نواحي بيكال بسبيريا. وأول ملوكهم برقوق ، اشتراه يلبغا يوم كان نائب السلطنة ؛ وكان جميلاً ذكياً فعلمه الفقه وسائر العلوم الاسلامية حتى لقبه بالشيخ. فلما قضى يلبغا تشتت مماليكه وسجن بعضهم ومنهم برقوق الذي سجن في الكرك مدة خمس سنوات ؛ فلما أفرج عنه سافر الى الشام وخدم نائبها منجك ؛ ثم استقدمه الأشرف شعبان ليربي ولديه علي وحاجي. وظل برقوق في خدمة الملك حتى قتل الأشرف وبويع ابنه علي وهو قاصر فأقيم وصياً عليه ؛ فلما توفي علي سنة (٧٨٣ هـ — ١٣٨١ م) بويع لأخيه حاجي وعمره ست سنوات ؛ فمكث برقوق على وصايته ثم خلعه ونفاه فانقرضت به دولة المماليك البحرية.

واستولى برقوق على زمام السلطنة فأقره الخليفة المتوكل على الحكم. وبايعه العلماء والأمراء ولقبوه بالملك الظاهر في ١٩ رمضان ٧٨٤ هـ. فقام بأعباء الملك وفتك بالعديد من رجال الدولة واستبدلهم بالجراكسة مما سبب له متاعب جمّة ، ولكنه استطاع تخطيها كلها بحزم وجرأة. وبالرغم من ظهور تيمورلنك في أيامه وارتعاده منه ؛ فقد وقف إزاءه وقفة من لا يهاب الموت ؛ ولكنه مات سنة (٨٠١هـ — ١٣٩٩ م) وعمره /٦٠/ سنة.

وكان برقوق بالرغم من عسفه وظلمه يقظاً مهتماً بالرعية محباً للعلماء ومحسناً الى الفقراء. أما ملوك هذه الدولة فعددهم /٢٤/ هذه أسماؤهم وتاريخ ملكهم.

١ — برقوق	(٧٨٤هـ — ١٣٨٢ م)
٢ — فرج بن برقوق	(٨٠١هـ — ١٣٩٨ م)
٣ — عبد العزيز بن برقوق	(٨٠٨هـ — ١٤٠٥ م)
٤ — شيخ بن عبد الله	(٨١٥هـ — ١٤١٢ م)
٥ — أحمد بن شيخ	(٨٢٤هـ — ١٤٢١ م)
٦ — ططر	(٨٢٤هـ — ١٤٢١ م)
٧ — محمد بن ططر	(٨٢٤هـ — ١٤٢١ م)
٨ — رسباي	(٨٢٥هـ — ١٤٢٢ م)
٩ — يوسف بن رسباي	(٨٤١هـ — ١٤٣٧ م)

١٠ — جقمق	(٨٤٢ هـ — ١٤٣٨ م)
١١ — عثمان بن جقمق	(٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م)
١٢ — ايثال العلائي	(٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م)
١٣ — أحمد بن ايثال	(٨٦٥ هـ — ١٤٦٠ م)
١٤ — خشقوم	(٨٦٥ هـ — ١٤٦٠ م)
١٥ — يلباي	(٨٧٢ هـ — ١٤٦٧ م)
١٦ — تمريف	(٨٧٢ هـ — ١٤٦٧ م)
١٧ — قايتباي	(٨٧٢ هـ — ١٤٦٧ م)
١٨ — محمد بن قايتباي	(٩٠١ هـ — ١٤٩٥ م)
١٩ — قانصوه خمسمائة	(٩٠٢ هـ — ١٤٩٦ م)
٢٠ — محمد بن قايتباي (ثانية)	(٩٠٢ هـ — ١٤٩٦ م)
٢١ — قانصوه الأشرفي	(٩٠٤ هـ — ١٤٩٨ م)
٢٢ — جان بلاط	(٩٠٥ هـ — ١٤٩٩ م)
٢٣ — طومان باي	(٩٠٦ هـ — ١٥٠٠ م)
٢٤ — قانصوه الغوري	(٩٠٧ هـ — ١٥٠١ م)
٢٥ — طومان باي بن أخي الغوري	(٩٢٢ — ٩٢٣ هـ = ١٥١٦ — ١٥١٧ م)

والذين حصل لحمص تماس بهم من هؤلاء الملوك هم: برقوق وفرج بن برقوق وشيخ ابن عبد الله وجقمق وايثال وقانصوه الغوري.

حمص وبنو مهنا أمراء العرب

هذا الحي من العرب يعرف بآل الفضل، وهو قبيلة رحالة كانت ضاربة في جهات حمص وتتنقل ما بين الشام والجزيرة وأراضي نجد وأطراف الحجاز وتنتسب الى طيء؛ ومعها أحياء من زبيد وكلب وهذيل ومذحج كأحلاف لها. وكان يناهض هذا الحي في القوة والبأس آل مراد.

وكانت رئاسة آل الفضل خلال هذه الفترة لبني مهنا ونسبته كما يلي:

مهنا بن نافع بن جديله بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم ابن قصية بن بدر بن سميع . ويقفون عند سميع فيقول بعضهم : إن سميعاً هذا هو الذي ولدته العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحي البرمكي (وينكر ابن خلدون هذه النسبة بشدة) .

كان مبدأ رئاسة هذه القبيلة في أوائل حكم الدولة الأيوبية ؛ إذ ذكر العماد الأصبهاني أن الملك العادل الأيوبي لما نزل بمرج دمشق ، كان معه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب في جموع كثيرة . وإثر وفاة عيسى تولى الامارة مكانه ابنه مهنا .

ولما تولى الملك الظاهر بيبرس الحكم ولى على أحياء العرب في الديار الشامية عيسى بن مهنا ، ووفر له الاقطاعات لحفظ السابلة . ولم يزل هذا أميراً على العرب حتى توفي سنة (٦٨٤ هـ — ١٢٨٥ م) فتولاها بعده ابنه مهنا الذي توفي سنة (٧٣٤هـ — ١٣٣٣ م) فتولاها بعده ابنه موسى ثم ابن عمه عيسى ثم خيار بن مهنا سنة (٧٦٢هـ — ١٣٦٠ م) الذي توفي سنة (٧٧٧ هـ — ١٣٧٥ م) فتولاها بعده أخوه مالك ثم بصير بن جابر بن مهنا سنة (٧٨٢هـ — ١٤٨٠ م) الذي ثار على السلطان وعاش بالقفر فقيراً معدماً (جولة أثرية لوصفي زكريا ص ٢٠٢ و٢٧٩ — ٢٨١) .

حمص والخصم السياسي فيها

في الحقبة الخامسة ذكرنا أن المعركة التي دارت رحاها في جوار حمص بين التتر والمماليك سنة (٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م) واستيلاء الظاهر بيبرس البندقداري على حمص وسواها من مدن الشام ؛ واستياء هولاكو من انكسار التتر فيها ؛ فقتل الناصر والظاهر الأيوبيين وقضى على آخر أمراء حمص من بني أيوب بقتله الصالح ابن آخر أمير عليها . وبوفاة الأشرف الأيوبي صاحب حمص سنة (٦٦١ هـ — ١٢٦١ م) انتهت أحداث الحقبة الخامسة السياسية فقط وها إننا نتابع ما مر بحمص بعدئذٍ من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية .

الملك بيبرس وفتكه بأهل قارة

روى أبو الفداء (٤ ض ٤) أن الظاهر بيبرس توجه من دمشق لاستقبال جيشه العائد منتصراً من بلاد سيس علي التتر سنة (٦٧٣ هـ — ١٢٧٤ م) فنزل على بلدة قارة الكائنة

بين دمشق وحمص وكان أهلها على الديانة النصرانية ؛ ولما كان الظاهر من المتزمتين أمر بنهب البلدة وقتل كبار رجالها بدعوى أن الأهلين كانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم خفية الى الفرنجة . ثم أخذ صبيانهم معه وبعدئذٍ أرسلهم الى مصر ورباهم بين المماليك الأتراك فصار منهم أجناد وأمراء .

بيبرس في حمص

في سنة (٦٦٦ هـ — ١٢٦٧ م) توجه الملك الظاهر بيبرس الى دمشق ففتح في طريقه يافا ثم سار الى حمص وحماه يريد انطاكية فتم له فتحها واستخلاصها من أيدي الفرنجة يوم السبت في ٤ رمضان .

وكان علاء الدين البرداناه — ومعناها الحاجب — في بلاد الروم يتذمر من سيطرة التتر واعتدائهم على أملاكه . فكاتب الظاهر بيبرس يستنجده عليهم . وشعر التتر بذلك فزحف ملكهم أباقا الى البيرة سنة (٦٧٤ هـ — ١٢٧٥ م) . وخرج الظاهر بجيشه من دمشق يريد التتر ، وأقام بحمص ينتظر ما يأتيه من أخبار أعدائه . فأرسل اليه علاء الدين يستحثه على لقاء التتر . غير أن بعض العوائق حالت دون تنفيذ خطته فأجل الحملة الى السنة التالية ، حيث تمكن فيها من البطش بالتتر وقتل قائدهم وملك قيصرية . وشعر ملك التتر بميل علاء الدين للظاهر فقتله مع ثلاثين من خواص قواده .

وتوفي الملك الظاهر في ٢٧ محرم سنة (٦٧٦ هـ — ١٢٧٧ م) . وكان له اتجاه خاص في مدينة حمص . ومن آثاره فيها اثنان : أحدهما سلبي والآخر إيجابي . أما السلبي فهو هدمه القسم الغربي من كاتدرائية الأربعين شهيداً . وكان يرغب في هدمها كلها ، ولكن بعض كبار مسلمي المدينة ووجهائها شفع لديه فيها . فاكتفى بهدم القسم الغربي فقط . وقد ظل هذا القسم مسقوفاً بالخشب حتى سنة ١٨٩٠ حينما ظهر التشعث فيه فهدم وجددت الكنيسة المذكورة كما هي عليه الآن .

أما الأثر الثاني الإيجابي فهو تجديده سفح قلعة حمص بعدما رأى أن الخراب أخذ بالتسرب اليها فأعاد اليها متانتها السابقة ليعتصم بها الجند وقت الحاجة (دائرة المعارف لبطرس البستاني ١١ ص ٤٠١) .

معركة التتر بحمص وهلاك أباقا

في عام (٦٨٠هـ — ١٢٨١م) حشد أباقا بن هولاكو جيشاً كبيراً وسار به طالباً الديار الشامية ؛ وقد وضع على رأس هذه القوات أخاه منكوتمر ، واتجه هو الى الرحبة . وكان الملك المنصور قلاوون الصالحي قد سار بالجيوش الاسلامية من دمشق الى حمص أيضاً بعد أن استقدم اليه سنقر الأشقر من صهيون والمنصور من حماه فأقبلا عليه في حمص .

وعسكر الجيشان حول المدينة . وكان جيش التتر /٨٠/ ألفاً . ووضع قلاوون صاحب حماه في الميمنة ومعه لاجين نائب دمشق وعيسى بن مهنا أمير العرب . ووضع في الميسرة سنقر الأشقر في الظاهرية مع جموع التركمان . ووضع في القلب نائبه حسام الدين طونغاي ومن أضيف إليه من الأمراء .

والتقى الفريقان في ١٤ رجب (٦٨٠هـ — ١٢٨١م) فانقضت ميسرة المسلمين وتبعهم التتر وصمدت الميمنة فزحزحت ميسرة التتر فانكشفت من أمامهم ؛ وركب المسلمون أقفيتهم فمروا بأميرهم منكوتمر في القلب فانهزم . وكانت ميمنة التتر تتابع المنهزمين من ميسرة المسلمين الذين مروا بالسلطان وهو ثابت في موقفه لا يبرحه . لكن التتر وهم في إبان فوزهم هذا علموا بانتصار المسلمين وهزيمة جيشهم فعادوا على أعقابهم يطلبون النجاة وارتد عليهم المسلمون يقتلون ويأسرون .

وما أن وصل الخبر الى اباقا وكان يحاصر الرحبة حتى رحل عنها . وشاع أن شمس الدين الجريض وزير اباقا اغتال منكوتمر أثناء هزيمته في معركة حمص فقبض عليه وامتحنه واستصفى أمواله فدس له هذا من سمه . ومات اباقا سنة (٦٨١هـ — ١٢٨٢م) (أبو الفداء ٤ ص ١٥ وابن خلدون ٥ ص ٣٩٨ والدبس ٦ ص ٢٩٣) .

الملك قلاوون في حمص

في ١٩ ربيع الأول سنة (٦٨٤هـ — ١٢٨٥م) فتح قلاوون حصن المرقب وكان يوماً مشهوداً . وبعد أن استولى عليه ووضع فيه حامية عاد الى حصن الأكراد ومنه الى بحيرة حمص . وهناك وردت اليه البشائر بمولد ابنه محمد من زوجته بنت سكتاي بن قراجين ؛ فتضاعف سروره ووزع الأعطيات على المحتاجين . ثم سمح للمنصور صاحب حماه بالعودة الى بلده ورحل هو عائداً الى الديار المصرية .

الملك الأشرف ومهنا بن عيسى

بعد وفاة الملك قلاوون في ٦ ذي القعدة سنة (٦٨٩ هـ — ١٢٩٠ م) خلفه ابنه الأشرف صلاح الدين خليل. وحضر هذا الى دمشق في سنة (٦٩٢ هـ — ١٢٩٢ م) ومنها خرج الى البر متصيداً حتى وصل الى بلدة الفرقلوس في بادية حمص من الشرق وهناك نزل واستقر، وحضر الى خدمته أمير العرب مهنا بن عيسى وأخواه محمد وفضل وولده موسى ابن مهنا. ولكن قلاوون قبض عليهم جميعاً وأرسلهم الى مصر حيث سجنوا في قلعة الجبل؛ كما ولى على العرب مكانهم محمد بن أبي بكر علي بن جديلة. وأوعز الأشرف وهو بحمص الى نائبه في الكرك بهدم قلعة الشوبك ففعل؛ ثم انكفأ عائداً الى مصر فوصل اليها في شهر رجب. ومن مصر أوعز الى الجيش المصري المقيم في حمص بالذهاب الى حلب مع صاحب حماه وعمه الأفضل لإرهاب العدو؛ فساروا جميعاً ووصلوا الى مدينة حلب وأقاموا فيها.

وفي سنة (٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م) قتل الملك الأشرف بمؤامرة دبرت عليه واحتل مكانه في السلطنة بيدرا نائبه ولكن أمره لم يطل إذا اغتاله مماليك السلطان ونصبوا الناصر محمد أخا الأشرف مكانه. ثم أن كتبغا نائب السلطنة طمع بالعرش فحجر على الناصر واستولى على الملك باسم الملك العادل سنة (٦٩٤ هـ — ١٢٩٤ م) وأفرج عن مهنا بن عيسى أمير العرب وأخويه وولده وردّهم الى المنطقة الحمصية (ابن خلدون ٥ ص ٤٠٦ وأبو الفداء ٤ ص ٢٨ و٣٣ والدبس ٦ ص ٣١٠ و٣١١).

معارك التتر

في عام (٦٩٩ هـ — ١٢٩٩ م) زحف قازان بن أرغون ملك التتر بجموع عظيمة نحو سورية ونزل على مجمع المروج بين حمص وحماه؛ كما سارت الجيوش الاسلامية تحت لواء الملك الناصر حتى وصلت الى ظاهر حمص. والتقى الجيشان يوم الأربعاء في ٢٧ ربيع الأول سنة ٧٠٠ هـ الموافق ٢٣ كانون الأول سنة ١٣٠٠ م في شرقي حمص وعلى نصف مرحلة منها. فانكسرت ميمنة المسلمين ثم الميسرة؛ وثبت القلب وأحاط به التتر فجرى قتال عنيف، تراجع على أثره السلطان نحو حمص وهنا أدركه الليل فتوجه منهزماً نحو مصر وتبع التتر أثر المنهزمين الى دمشق فاستولوا عليها.

وكان قبجق نائب السلطنة بالشام قد التجأ مع الأمراء من حمص الى قازان بعد أن

عرفوا بإسلامه ؛ فحضروا معه وأخذ قبجق منه الأمان لأهل دمشق فولاه عليها وعين على حماه وحمص بكتمر السلحدار. وترك في دمشق قطلوشاه مع ستين ألفاً كحامية للديار الشامية.

بعد هذا النجاح الذي حققه قازان عاد الى بلاده. وما أن بلغ نبأ عودته مسامع المصريين حتى خرجوا من مصر في رجب سنة (٧٠١ هـ — ١٣٠١ م) وخرج السلطان الى الصالحية ؛ وعلم قبجق بخروجهم فكاتبهم سراً بالاتفاق معهم على التتر. ولما رأى التتر ذلك خافوا النتيجة فعادوا الى بلادهم بعد أن أخلوا دمشق. ووصل قبجق ومن معه الى الأبواب السلطانية فأحسن إليهم ثم عين نائباً للسلطنة بدمشق أقوش الأقرم، وفي حماه الامير كتبغا الذي كان سلطاناً فخلع وفي حمص عين الأمير فارس الدين البكي (أبو الفداء ٤ ص ٤٣ وابن خلدون ٥ ص ٤١٥).

وفي عام (٧٠٢ هـ — ١٣٠٢ م) عاد التتر الى الشام وساروا الى الفرات وأقاموا مدة في جهاته، ثم سارت طائفة منهم قدرت بـ/ ١٠ / آلاف فارس فأغارت على بلدة القريتين ونواحيها — في ضواحي بادية حمص. وكانت الجيوش الاسلامية قد تجمعت في حماه بقيادة استدر الكرجي نائب السلطنة بالساحل ومعاونة عسكر حلب وحماه فاقتتلوا مع التتار في موقع يقال له الكوم بين تدمر والرصافة فانهزم التتر بعد أن قتل أكثرهم.

ثم عاد التتر بجموعهم الغفيرة صحبة قطلوشاه نائب قازان بعد هزيمتهم في الكوم ووصلوا الى حماه، فأخلتها عساكرها متوجهة الى دمشق وتبعهم قطلوشاه طالباً المعسكر الاسلامي في دمشق ؛ والتقى الجيشان عند شقحب بطرف مرج الصفر واشتد القتال فانهزم التتر ولحق بهم جيش المسلمين حتى بلدة القريتين وهو يعمل فيهم قتلاً وأسراً. وتابع التتر هزيمتهم الى أن وصلوا الى نهر الفرات وكان وقتئذٍ في أقصى ارتفاع مياهه فلم يستطيعوا عبوره ومن عبر فيه منهم هلك، وسار الباقون على جانبه الى مدينة بغداد بعد أن أسرت قبائل العرب منهم جماعة كثيرة.

وروى ابن خلدون (٥ ص ٤١٨) : أن قازان هلك بحمى أصابته على أثر هزيمة جيوشه. وفي هذه السنة توفي كتبغا العادل نائب حماه كما توفي أيضاً بليان الجوكندار نائب حمص.

وفي المعركة المشار اليها آنفاً يقول شرف الدين الوحيد :

وجاءت ملوك المغل كالرمل كثرة وقد ملكت سهل البسيطة والوعرا
فأنصفت الأيام في الحكم بيننا فكانت له الأولى وكانت لنا الأخرى

زلزلة في حمص

ذكر الأمير حيدر الشهابي في تاريخه ص ٤٧٩ : إنه في شهر ذي الحجة من سنة (٧٠٢ هـ — ١٣٠٢ م) حدثت زلزلة عظيمة هلك فيها خلق كثير وتهدم الكثير من أسوار مدينة حمص وأبنيتها وكذلك تهدم بعض أسوار حماه.

نبذة عن أمراء عرب حمص

روى أبو الفداء (٤ ص ٦١ و٦٤) : إن مهنا بن عيسى أمير العرب في بادية حمص حضر الى حماه يوم الأربعاء في ٥ ذي الحجة سنة (٧٠٩ هـ — ١٣٠٩ م) للتوفيق بين أبي الفداء الأيوبي صاحب حماه وأخيه فلم تفلح وساطته.

وان مهنا هذا استقبل قراسنقر صاحب حلب المطرود، فأنجده لاستخلاص أمواله منها وسار على رأس قوة تقارب الـ /٢٥/ ألفاً الى حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها وأنقذوا من بقي هناك من آل سنقر وأموالهم وتم ذلك سنة (٧١١ هـ — ١٣١١ م).

وروى ابن خلدون (٥ ص ٤٢٥) : انه لما ألقى السلطان القبض على بكتمر الجوكندار نائب مصر وحبسه في الكرك ؛ ارتاب قراسنقر نائب حلب فهرب الى البرية واجتمع بعيسى ابن مهنا طالباً منه التشفع به لدى السلطان، ففعل ؛ وقبل السلطان شفاعته ورد قراسنقر الى نيابة حلب ولكنه لم يفعل بل قرر هو ومهنا أمير العرب وأقوش الأفرم الالتحاق بجدابندا التتري ؛ ولما وصلوا اليه استحثوه على أخذ بلاد الشام.

في عام (٧١٥ هـ — ١٣١٥ م) أغار سليمان بن مهنا بن عيسى بجماعة من التتر والعرب على التركمان والعرب النازلين قرب تدمر فنهبهم وأخذ منهم أغناماً كثيرة ووصل في غارته تلك الى البيضاء بين القريتين وتدمر ؛ ثم أعاد بما غنمه نحو الشرق.

وفي أواخر عام (٧١٨ هـ — ١٣١٨ م) تحالف عرب عقيل مع عرب الاحساء والقطيف على مهنا بن عيسى وطردوا أخاه فضلاً من البصرة ؛ فجمع مهنا العرب وقصد عقيل والتقى الجمعان، ولكن المعركة بينهما لم تسفر عن انتصار أي من الفريقين وعاد كل منهما الى أماكنه.

وفي عام (٧٢٢هـ — ١٣٢٢م) وصل الأمير فضل بن عيسى الى الحجاز لمقابلة السلطان مستشفعاً فرضي السلطان عنه وأقره على إمرة العرب بدلاً من محمد بن أبي بكر أمير آل عيسى.

وفي سنة (٧٣٤هـ — ١٣٣٣م) توجه مهنا بن عيسى أمير العرب لمقابلة السلطان وإعلان خضوعه له. وكان معه الملك الأفضل صاحب حماه فاستقبله السلطان وخلع عليه وعلى أصحابه /١٦٠/ خلعة ورسم له بمال كثير من الذهب والفضة والقماش وأقطعه عدة قرى فعاد الى أهله مكرماً. وبعد سنة توفي مهنا فحزن عليه آله وعشيرته وأقاموا له مأتماً فخماً ولبسوا السواد حداداً عليه. وكان عمر مهنا وقتئذٍ /٨٠/ عاماً وكانت وفاته بالقرب من سلمية (أبو الفداء ٤ ص ١١٧ — ١٢٠) وتولى الإمارة بعده ابنه الأمير أحمد.

في سنة (٧٤٩هـ — ١٣٤٨م) توفي الأمير أحمد بن مهنا فتوجه أخوه فياض المعروف بقطع الطرق والظلم الى مصر ليتولى الإمارة على العرب مكان أخيه أحمد، فأجيب الى ذلك. وكان هنالك رجل من الأشراف، فشكا الى السلطان أمره مع فياض، وانه أخذ ماله وتعرض الى حريمه؛ فأمر السلطان بإنصافه. ولكن فياض أغلظ له في القول طمعاً بصغر سن السلطان؛ ولكن هذا أمر بإلقاء القبض عليه وتعذيبه في السجن (أبو الفداء ٤ ص ١٥٨) وولى على العرب جبار بن مهنا الذي لما توفي سنة (٧٨١هـ — ١٣٧٩م) تولى مكانه زامل بن موسى بن عيسى ومعيقل بن فضل بن عيسى ثم عزلا وتولى بعدهما يعبر بن جبار بن مهنا.

ولما ثار منطاش على الظاهر برقوق التجأ الى يعبر أمير العرب مستجيراً فأجاره ونزل في دياره.

وبعث ابن الجوباني نائب دمشق الى يعبر أمير العرب بتسلم منطاش وإخراجه من أحيائه، فأبى معتذراً. فسار اليه ابن الجوباني بالجيش وحدثت بين الفريقين معركة شديدة تمكن العرب فيها من إلحاق الهزيمة بجيش ابن الجوباني بعد أسره. وعندما وصل هذا الى الأمير يعبر أمر بقتله.

ثم وفد على السلطان عامر بن ظاهر أخي يعبر مقدماً خضوعه له ومعلناً أنه ينابذ عمه يعبر وبأنه سيقبض على منطاش متى طلب منه. ولذلك فقد أثقل السلطان كاهل عامر بالاحسان وعينه أميراً على العرب وأعاده مكرّماً الى بلاده. وما أن وصل عامر الى المنطقة

حتى تفاوض مع آل الفضل فأجابوه الى ما طلب ؛ وخيروا يعبر بين أن يمكنهم من منطاش أو يخلي سبيلهم ليدخلوا في طاعة السلطان ؛ فجزع يعبر وأذن لهم في القبض على منطاش. فقبضوا عليه وأرسلوه مع عدد من فرسانهم الى نائب حلب حيث احتز رأسه وطيف به في البلاد الشامية بأمر من السلطان ثم أرسل الى القاهرة سنة (٧٩٥ هـ — ١٣٩٢ م) (الدبس ٦ ص ٤٢٧ وابن خلدون ٥ ص ٤٨٧ — ٥٠٥).

وفي سنة (٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م) هاجم يعبر بن مهنا ومعه عدد كبير من الأعراب مدينة دمشق فالتقاه نائبها خارج المدينة والتحم الفريقان في معركة عنيفة ؛ فانهزم النائب واستولى يعبر على دمشق وأباحها. وشكا الناس الأمر الى السلطان الناصر فرج ، فخرج هذا مع جيشه المصري الى سورية ولما وصل الى دمشق أزاح يعبر عنها وهزمه. ثم جدد بناء الجامع الأموي وأمن الناس وبعد أن رتب أمور البلاد عاد الى مصر.

وقام جكم نائب حلب فحارب يعبر أمير العرب وتمكن أخيراً من قتله. ولكن المعجل ابن يعبرثار على النائب انتقاماً لأبيه وطلباً بثأره. وحصلت بينه وبين جكم معركة هائلة في جهات مدينة حمص دون أية فائدة. ثم افترق الطرفان كل في سبيله (الخطط ٢ ص ١٨٩).

تيمورلنك وحمص

ولد تيمور سنة (٧٣٧ هـ — ١٣٣٦ م) وحمل السلاح وهو في الثانية عشرة من عمره. وظهرت أخباره في التاريخ وعمره أربع وعشرون سنة ولبس التاج سنة (٧٧٣ هـ — ١٣٧١ م) ولقب بسيد العالم. وفي أقل من عشر سنوات بسط سيطرته على بلاد المغول.


تيمورلنك على عرشه

في عام (٧٨٢ هـ — ١٣٨٠ م) وجه تيمور قواته الى البلاد الأخرى فأخضع لسلطته كل الممالك المجاورة له. ثم قصد الهند سنة (٨٠١ هـ — ١٣٩٨ م) فخضد شوكة حكامها. ثم هاجم سورية سنة (٨٠٣ هـ — ١٤٠٠ م) فاستولى عليها كلها واتجه بعدئذٍ الى الأناضول

وانتصر على السلطان العثماني بايزيد سنة (٨٠٥هـ — ١٤٠٢م) واقتاده معه أسيراً حيث توفي في الأسر. وفي عام (٨٠٧هـ — ١٤٠٤م) توجه على رأس حملة نحو الصين ولكنه مات وهو على الطريق سنة (٨٠٨هـ — ١٤٠٥م).

ومهاجمته البلاد السورية تمت في عام (٨٠٣هـ — ١٤٠٠م) إذ فتح مدينة حلب عنوة؛ ولم يشفق على رضيع أو شيخ أو امرأة فيها. كما قبض على سودون نائب دمشق وعلى نائب صفد ونائب غزة وغللهم بالقيود وبنى برؤوس الذين قتلهم في مدينة حلب قبة. وما أن بلغ تيمورلنك بجيشه اللجب المعرّة حتى جزع أهل دمشق وتشتتوا في جهات مختلفة (الأمير حيدر الشهابي ص ٥٠٤ و٩١٢).

وأرسل تيمور ولديه مهران ومردين الى حماه، فأحسن الأهلون استقبالهما وقدموا إليهما الهدايا. فأقاما عليها نائباً من قبل أبيهما ورحلا عنها. ولكن الأهلين فتكوا بالنائب بعد مغادرة ابني تيمورلنك للمدينة؛ فعاد هذان اليها ونفثا حقدهما فقتلا ونهبا وأحرقا أكثر البيوت.

أما مدينة حمص فالفضل في بقائها سالمة من طغيان تيمور يعود الى رجل من أعيانها وعلمائها يسمى عمر بن الرواس الذي أحسن استقبال الفاتح وقدم له هدية نفيسة ثم أرفقها بخطبة بليغة حماسية أتى فيها على ما لخالد بن الوليد بطل الاسلام من الكرامة في حمص؛ وكيف أن أبطال العالم في كل العصور احترموا ذكراه وأكرموا مثواه. فقبل تيمورلنك الهدية راضياً ووهب حمص لخالد بن الوليد المدفون في ثراها وولى عليها عمر بن الرواس المذكور (الدبس ٦ ص ٤٧٢ والخطط ٢ ص ١٧٥).

معارك جكم وشيخ بن عبد الله

الأمير شيخ بن عبد الله المحمودي من مماليك الظاهر برقوق، أعتقه وقدمه في المراتب الى أن صار مقدم ألف في دولة الناصر فرج ثم نائباً للسلطنة بطرابلس ثم بالشام. وقد أسره تيمورلنك في حلب ولكنه نجا من الأسر.

وفي ربيع الأول من عام (٨٠٨هـ — ١٤٠٥م) عصي شيخ وجكم على السلطان الناصر فرج، فوجه هذا اليهما نوروز نائبه في الشام ولكن شيخ انتصر عليه ودخل دمشق. وفر نوروز الى بحيرة حمص مع نفر من قومه فطارده شيخ وجكم ففر الى حماه ثم الى الشمال

وهما يتعقبانه حتى دخلا حلب بدون قتال فاستقر فيها جكم وعاد شيخ الى دمشق بينما تابع نوروز فراره نحو الشمال. وحينئذٍ أقرّ الناصر شيخ على دمشق وجكم على حلب كما ولى دمرداس على حماه.

في شهر رمضان من هذه السنة أيضاً استولى التركمان بقيادة زعيمهم فارس بن صاحب الباز على كثير من البلاد الشامية ومنها حماه التي فر نائبها دمرداس الى حمص حيث استأذن له نائبها بدخول دمشق فأذن له.

وفي شهر شوال انتصر جكم نائب حلب على التركمان فعظم قدره وبعد صيته. وطلب جكم من شيخ إرسال دمرداس اليه، وخشي الأخير النتيجة ففرّ. وساء هذا العمل جكم فقصد دمشق بقواته ولما وصل الى سلمية، أرسل شوباس الى حمص. واستعدّ نائب الشام لقتاله ووصل إليه المعجل بن يعبر أمير العرب سعياً وراء الثأر لأبيه الذي قتله جكم. وسار نائب الشام ومن معه الى حمص وكاتبوا جكم بأمر الصلح فأبى؛ وجرت المعركة بينهما في الرستن فانكسر شيخ ومن معه وعادوا منهزمين الى دمشق؛ وتبعهم جكم فدخل دمشق في أوائل ذي الحجة سنة (٨٠٩هـ — ١٤٠٦م).

ولما عاد الناصر ثانية الى السلطنة أقر شيخ على نيابة دمشق وجكم على نيابة حلب؛ وطلب نوروز الصلح من جكم بواسطة شيخ، فالتقى الوفدان على بحيرة حمص وأعلن الصلح وتقلد نوروز نيابة حماه.

وفي عام (٨١٢هـ — ١٤٠٦م) جرت المعارك بين شيخ والناصر بعد أن عزل الأول من نيابة دمشق وتقلدها نوروز؛ إذ هاجم شيخ بقواته حماه وأنجد دمرداس نوروز بعساكر حلب وطوائف من التركمان والعرب. ولكن شيخ بالرغم من كل هذه القوات بقي مثابراً على محاصرة حماه وجهز وهو بحمص قواته لقتال مناوئيه في كل الجهات ووصل إليه المعجل ابن يعبر أمير العرب نجدة بمن معه من قبائله وعسكر بظاهر حماه. ووقع القتال بين الطائفتين ففاز شيخ ومن معه بعد أن مال إليه معظم التركمان وأطاعوه.

ولما اشتد الأمر على دمرداس ونوروز، لاذا بالحيلة فسعيا لدى المعجل بواسطة أعيان حماه وأقنعاه أن شيخ اتفق معهما على تسليمه اليهما؛ فصدق المعجل ذلك وسارا الى بلاده. فتبعه شيخ في طائفة من رجاله ليسترضيه بعد تنبيهه الى الخدعة التي أخذ بها. فخرج وقتئذٍ نوروز ودمرداس الى مكان شيخ ونهبوا أمواله وخيوله. وعاد شيخ فوجد أن أثقاله نهبت فعاد الى حمص ومنها الى القريتين.

وبعد فترة من الزمن اتفق توروز وشيخ وبعض الأمراء على الناصر بعد أن عقدوا اجتماعاً في حمص ليلة السبت في ١٣ ذي الحجة سنة (٨١٤هـ — ١٤١١م) فسار الناصر إليهم بجيوشه، غير أن حملته هذه لم تنجح لأن قواته أخذت تتسلل منه وتلتحق بشيخ وتوروز بحمص. وأخيراً فاز شيخ على الناصر وبويع له بالسلطنة يوم الاثنين من شعبان سنة (٨١٥هـ — ١٤١٢م) ولقب بالملك المؤيد.

وفي عام (٨٢٠هـ — ١٤١٣م) توجه السلطان المؤيد شيخ الى البلاد الشامية فبلغ غزة في منتصف صفر ودخل مدينة دمشق في أول ربيع الأول وفي العاشر منه زار حمص فجرى له استقبال منقطع النظير (دول الاسلام ٢ ص ٧٥).

قناطر الرستن

روى السخاوي (٢ ص ٥٧): إن الملك الظاهر جقمق أبا سعيد العلائي الجركسي المتوفي في ٣ صفر سنة (٨٥٧هـ — ١٤٥٣م) كان محباً للعمران وبناء المساجد والجسور وغير ذلك من المصالح العامة؛ وهو الذي أمر ببناء قناطر بني منجا؛ كما أمر ببناء قناطر الرستن على نهر العاصي بين حمص وحماه خلال فترة حكمه (٨٤٢ — ٨٥٧هـ، ١٣٣٨ — ١٤٥٣م).

سراج الدين الحمصي

في سنة (٨٥٩هـ — ١٤٥٤م) أصدر السلطان الأشرف اينال العلائي أمراً بعزل عدد من نوابه في سورية وعين سواهم في أمكنتهم؛ إذ وضع في طرابلس اينال البشيكي بدلاً من يشبك النوروزي. وفي صفد جاني بك التاجي بدلاً من أياس الطويل، وفي غزة خاير بك النوروزي أحد أمراء صفد. وفي حلب سودون الناصري. وعين على قضاء الشافعية بدمشق جمال الدين الباعوني بدلاً من سراج الدين الحمصي الذي أعاده الى حمص (الدبس ٦ ص ٤٩٠).

فيضان نهر العاصي

في شتاء سنة (٩١٤هـ — ١٥٠٨م) هطلت أمطار غزيرة جداً تبعها نزول الثلوج طيلة ١٥ يوماً بدون انقطاع وبصورة لم يسبق لها مثيل فتجمدت مياه العاصي، ثم اندفعت مياهه خارج مجراه فخرب الجسور والطواحين وانقطع الطريق بين مدينة حمص والساحل (الدبس ٦ ص ٦٠٧).

السلطان سليم العثماني في حمص


السلطان سليم الأول العثماني

في سنة (٩٢٢هـ — ١٥١٦م) شعر السلطان قانصوه الغوري أن السلطان سليم العثماني ينوي انتزاع سورية ومصر من الملوك الجراكسة فجمع جيشه وخرج متجهاً نحو سورية فبلغ دمشق يوم الاثنين الموافق ٨ جمادى الأولى واستقبله فيها نائبه الأمير سيباي استقبالاً حافلاً.

وأقام السلطان قانصوه بدمشق تسعة أيام ثم رحل عنها الى حمص فحماه فحلب التي دخلها في ١٠ جمادى الأخرى (الأمير حيدر الشهابي ص ٥٦٠ — ٥٦٣).

وعلى أثر وصول الغوري الى حلب جاء اليه وفد من قبل السلطان العثماني سليم. وأبلغوه إبان مقابلتهم له ما يلي:

إن استاذنا فوض إلينا أمر الصلح، وقال: كل ما اختاره السلطان فافعلوه ولا تشاوروني. ثم سلموه كتاب السلطان سليم الذي يقول له فيه: «أنت والدي؛ وأسألك الدعاء؛ لكن لا تدخل بيني وبين اسمعيل الصفوي (ملك بلاد فارس) الذي حملت عليه».

فانخدع الغوري بهذه الأقوال الناعمة، وفترت همته عن الاستعداد للحرب؛ ثم خلع على الوفد العثماني الخلع السنية وأعاده مع نائبه الأمير مقلباي لمفاوضة السلطان سليم في أمر الصلح. ولكن هذا قبض على الموفد وحلق لحيته وأركبه على حمار أعرج وأعاده الى مولاه بعد أن كاد يقتله لولا شفاعة أحد حاشية السلطان به.

وما كاد الأمير مقلباي يصل الى مقر السلطان الغوري ويراه هذا على هذه الحالة حتى اضطرب كثيراً وأمر أن تسير جيوشه لمقاتلة قوات السلطان سليم فوصلت الى مرج دابق يوم الأربعاء في ١١ رجب سنة (٩٢٢هـ — ١٥١٦م) وتوزعت في ميادينه.

وبتاريخ ١٥ رجب قبلت جيوش السلطان سليم واحتدمت نيران الوغى بين الجيشين

وفازت لأول وهلة قوات الغوري فزحزحت العثمانيين عن مواقعهم واستولت منهم على سبعة سناجق (اعلام) وأسرت عشرة آلاف رجل.

ولكن جان بردى الغزالي نائب حماه وخاير بك نائب حلب خانا الغوري لوعود نالاها من السلطان سليم. وكان ابن معن وأمراء الساحل صحبة خاير بك والغزالي، فقال هذا لمن معه من قومه: دعونا ننفرد بأنفسنا لنرى لمن يكون الفوز فنقاتل معه. وأثناء المعارك فر الغزالي وخاير بك الى ناحية السلطان سليم بمن معهما من أمراء الديار الشامية وبقي الغوري بعسكر المصريين. وكان الجراكسة الذين كان السلطان الغوري يعول عليهم في قتاله قد استمالهم السلطان سليم فقاتلوا في صفوفه بدلاً من أن يقاتلوه. وعلى العكس من ذلك فإن نائب الشام سيباي الذي كان الغوري يتشاءم من اسمه المبدوء بحرف السين فقد حارب بين يديه حتى هلك وهو يدافع عنه. وبمقتل سيباي وقعت الكسرة على الجيش الشامي وغلت أيدي الجيش المصري. وتقدم الأمر تمر الزردكاش الى العلم فطواه وأخفاه وقال للغوري: لقد أدركنا جيش ابن عثمان يا مولاي فانجُ بنفسك وادخل الى حلب. فتأثر الغوري لهذا الخبر وعاجله فالج شلّ شفته وأرخى منكبه؛ فاعتلى فرسه يريد الفرار ولكنه لم يكد يبتعد مقدار خطوتين حين انقلب عن جواده الى الأرض ومات.

ووثب الجيش العثماني على من بقي من عسكر الغوري فقتلوا من أدركوه وفر الباقون وغنم العثمانيون ما كان في المعسكر. وبين من قتل من قادة الغوري بالاضافة الى سيباي نائب الشام تمراز نائب طرابلس وطراباي نائب صفد واصلان نائب حمص.

بعد هذه المعركة الحاسمة دخل السلطان سليم مدينة حلب؛ ثم توجه الى حماه فملكها ثم الى حمص فاستولى عليها وفيها توجه الى دمشق فاستأمنه أهلها فأمنهم، ثم زار القدس والخليل. وهكذا استحوذ على سورية كلها وأقام بها عمالاً من خاصته.

وعين السلطان العثماني والياً على مصر — بعد دخوله اليها — خاير بك نائب حلب السابق — وعلى دمشق جان بردى الغزالي نائب حماه مضيفاً اليه نيابة القدس وغزة وصفد والكرك.

أما حمص وطرابلس والمدن البحرية فقد سلم أعمالها الى أيدي عماله من الأتراك. ودام الحال على ذلك زمناً طويلاً (الدبس ٦ ص ٦٠٦ والخطط ٢ ص ٢١٥).

الفصل الثامن عشر

ما قاله الجغرافيون عن حمص في هذه الحقبة

الجغرافيون الذين ذكروا حمص في الحقبة السادسة كثيرون غير أننا نجتزىء بذكر أكثرهم إلماماً بوصفها لكي يتصور القارىء معنا التطورات التي مرت بحمص في سالف الحقب، فيزول من صورتها القديمة بعض الغموض الذي لا يتناسب مع صورتها الحديثة.

١ — شيخ الربوة :

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي ؛ ولد في دمشق سنة (٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م) ؛ وولي مشيخة الربوة في ضواحي دمشق بهذه النسبة — شيخ الربوة — . وكان ذكياً فطناً ينظم الشعر ويصنف في كل علم : سواء عرفه أم لم يعرفه لفرط ذكائه . وأصابه صمم قبل موته بعشر سنوات فأضر بإحدى عينيه . وتوفي في صفد سنة (٧٢٧هـ — ١٣٢٧ م).

في عداد ما ألفه هذا الرجل كتابه الجغرافي الشهير المسمى « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » ضمنه وصف هيئة الأرض وأقاليمها واختلاف القدماء في ذلك ؛ وما فيها من البحار والجزر والجبال والطرق والآثار والعيون والآبار والحيوان النادر والنبات الغريب والمعادن والحجارة الكريمة وطبائعها ومساحات الأرض ومسافاتها . طبع كتابه في بطرسبورج سنة ١٨٦٥ وطبع أيضاً في باريس بعد ترجمته الى اللغة الفرنسية سنة ١٨٩٨ .

ووصف شيخ الربوة في كتابه حمص وجندها بقوله :

« ومن جنود الشام حمص ؛ وهي مملكة حسنة وبها كرسي الملك ودار الإمارة ونيابة السلطنة . وهي أصغر ممالك الشام التركية وآخرها رتبة .

وحمص مدينة قديمة تسمى سورية (كذا) ماؤها وهواؤها صحيح . ومن حسن بناء حمص أنه لا يوجد فيها دار إلا وتحتها في الأرض مغارة أو مغارتان وماء ينبع للشرب . وهي مدينة فوق مدينة . وأهل مدينة حمص يوصف عامتهم بقلة العقل ، ويحكى عن سوقتهم حكايات تشبه الخرافات » . (جولة أثرية لوصني زكريا ص ٣٤٧).

أبو الفداء

هو اسمعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملك المؤيد صاحب حماه ، مؤرخ جغرافي ولد في دمشق سنة (٦٧٢ هـ — ١٢٧٣ م) ورحل الى مصر فاتصل بالملك الناصر ، فأحبه وجعله سلطاناً على حماه سنة (٧٢٠ هـ — ١٣٢٠ م) فانصرف اليها ، وقرب اليه العلماء ورتب لبعضهم مرتبات حسنة ، وحسنت سيرته ومات في حماه سنة (٧٣٢ هـ — ١٣٣٢ م) . وقد ألف في حياته كتباً قيمة تعتبر من أفضل مراجع التاريخ والجغرافية حتى الآن . ولقد استندنا في كثير مما رويناه عن حمص الى تاريخه . ومن تلك المؤلفات النفيسة كتابه الجغرافي المسمى (تقويم البلدان) . ألفه بعد ما درس ما كتبه الذين تقدموه في هذا الفن كابن حوقل والادريسي وياقوت فأصلح ما أخطأوا به ، وأضاف الى ما ذكروه ما لم يعرفه أحد قبله ، باذلاً جهده بتحقيق ما رواه .

وبلغ عدد المدن التي وصفها أبو الفداء في سفره المذكور /٦٢٣/ مدينة مرتبة بحسب الأقاليم . واهتم الأجانب بكتابه هذا فطبعوه عدة مرات في مختلف البلدان وترجموه الى لغاتهم . (زيدان ٣ ص ١٨٨ والدبس ٦ ص ٣٤٢) .

كرر أبو الفداء في تقويم البلدان ما كتبه غيره عن مدينة حمص ، ولكنه توسع عند ذكره بحيرة قدس فقال ص ٤٠ : «بحيرة قدس وهي بحيرة حمص ، طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد حسبما نذكره . وهي مصنوعة على نهر — الأورنط — . فإنه قد صنع في طرف البحيرة الشمالي سد بالحجر من عمارة الأوائل وينسب الى الاسكندر . وعلى وسط السد المذكور برجان من الحجر الاسود . وطول السد شرقاً وغرباً /١٢٨٧/ ذراعاً وعرضه /١٨/ ذراعاً ونصف . وهو حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو تخرب السد لسال الماء وعدمت البحيرة وصارت نهراً . وهي في أرض مستوية تبعد عن حمص بعض يوم في غربيها ويصاد بها السمك» (المقتطف ٥٣ ص ٥٣٤) .

٣ — ابن فضل الله العمري

هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، مؤرخ جغرافي حجة . ولد في دمشق سنة (٧٠٠ هـ — ١٣٠١ م) ونشأ فيها كما انه توفي فيها سنة (٧٤٩ هـ — ١٣٤٩ م) .

من أعظم آثاره كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» في عشرين مجلداً وجعله في قسمين، الأول: في الأرض. والثاني: في سكان الأرض.

قال ابن فضل الله في ما ذكره عن حمص ما يأتي:

«كانت حمص معظمة عند الروم، كرسي ملكهم، ولم يزل يشار إليها بالتعظيم، وهي في وطأة ممتدة على جانب نهر العاصي في شماله.

والمدينة مبنية بالحجر الأسود الصغير، وبها الحجر الأبيض أيضاً؛ لكن الأكثر هو الأسود. ويستدير بها سور، وبها قلعة لا تمنع. وفي هذه القلعة قبة، يقال لها قبة العباس؛ عليها صورة رجل من نحاس، قد بسط يده وأشار بالسبابة الى موضع. وكانت هذه الصورة في انطرطوس. وكان عند أهل حمص مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان فدفعوا المصحف الى أهل انطرطوس وأخذوا هذه الصورة. وللمدينة من العاصي، ماء مرفوع يجري الى دار النيابة وبعض مواضع فيها ومنها الجامع الأعظم؛ وهو جامع كبير، حسن البناء وبه عمود يقال انه من الكحل الأصفهاني. وفي المدينة مدارس ومساجد كثيرة وغير ذلك.

وبها قبر خالد بن الوليد خارجها، ولا يصح هذا، وإنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية لأن خالد بن الوليد مات بالمدينة (كذا).».

«وظاهر حمص أحسن من باطنها؛ لا سيما في زمن الربيع؛ وما يلبس به ظواهرها من حلل الربيع الموشحة بالأزهار ما مد النظر؛ ترنو بأحداق النرجس وثغور الأقاح، ويتوسط بها البحيرة الصافية الماء والصافية السماء ذات السمك المنقول اليها من الفرات (كذا) حتى تولد فيها والطير المبثوث في نواحيها.

وحمص تتلو اسكندرية مصر في ما يعمل فيها من القماش الفائق على اختلاف الأنواع وحسن الأوضاع». (البستاني، بطرس ١ ص ٦٣٥ وزيدان ٣ ص ٢٢٦ ودائرة معارف فؤاد افرام البستاني ٣ ص ٤٣٠ — ٤٣٢).

٤ — ابن الوردي

هو زين الدين أبي حفص عمر بن الوردي، شاعر أديب، مؤرخ، ولد في معرة النعمان سنة (٦٩١ هـ — ١٢٩٢ م) وتوفي في حلب سنة (٧٤٩ هـ — ١٣٤٩ م). ألف

كتباً مختلفة. والكتاب الذي له علاقة بحمص هو كتابه: «خريدة العجائب وفريدة الغرائب». وقد جاء في كتابه هذا ص ٣٢ وصفاً لحمص إذ قال:

«وأما حمص فهي مدينة حسنة في مستوى، مقصودة من سائر النواحي. وأهلها في خصب ورغد عيش؛ وفي نسائها جمال فائق. وكانت في قديم الزمان من أكبر البلاد. ويقال إنها مطلسمة لا يدخلها حية ولا عقرب لأنها متى وصلت الى باب المدينة هلكت. ويحمل من تراب حمص الى سائر البلاد فيوضع على لسعة العقرب فتبرأ. وبها القبة العالية التي في وسطها صنم من نحاس على صورة انسان راكب على فرس تدور مع الريح كيفما دارت. وفي حائط القبة حجر فيه صورة عقرب يأتي الملدوغ والملسوع ومعه طين فيطبعه على تلك الصورة ويضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ لوقتها. وجميع شوارع المدينة وأزقتها مفروشة بالحجر الصلد. وبها جامع كبير».

٥ — ابن بطوطة

هو ابن عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ابرهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة. ولد في طنجة في ١٧ رجب سنة ٧٠٣ هـ والموافق ٢٤ شباط سنة ١٣٠٤ م؛ وظل فيها الى أن بلغ الثانية والعشرين من عمره؛ ودعاه داعي الحج فبرح طنجة يوم الخميس في ١٢ رجب سنة ٧٢٥ هـ الموافق ١٤ حزيران سنة ١٣٢٥؛ ولكنه لم يكتف بحج مكة، بل جاب أكثر نواحي العالم المعمور آنئذ ثم عاد الى وطنه فبلغ فاس في ٨ تشرين الأول سنة ١٣٤٩ م.

ثم قام ابن بطوطة برحلتين أخريين أتمها سنة ١٣٥٤ م.

وأملى ابن بطوطة رحلاته هذه على كاتب السلطان محمد بن جزي الكلبي فأنهى كتابتها سنة ١٣٥٦ م وسماها: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار». وعاش ابن بطوطة مكرماً في مدينة فاس حتى توفي سنة (٧٧٩ هـ — ١٣٧٧ م).

ولقد مرّ ابن بطوطة في حمص فكتب عنها في رحلته ص ٣٨ ما يأتي:

«سافرت الى مدينة حمص؛ وهي مدينة مليحة، أرجاؤها مؤنّقة وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة؛ وأسواقها فسيحة الشوارع وجامعها مميز بالحسن الجامع؛ وفي وسطه بركة ماء. وأهل حمص عرب، لهم فضل وكرم. وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد

سيف الله ورسوله ، وعليه زاوية ومسجد. وعلى القبر كسوة سوداء. وقاضي هذه المدينة جمال الدين الشريشي من أجمل الناس صورة وأحسنهم سيرة».

وبعد عشرين سنة عاد ابن بطوطة فمر بحمص سنة (٧٤٧هـ — ١٣٤٦م) وكان الوباء منتشراً في الأصقاع السورية؛ فقال (٢ ص ١٧٥).

«سافرت الى حمص، فوجدت أن الوباء قد وقع فيها ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان».

٦ — ابن حجر العسقلاني

هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن... أحمد الكتاني العسقلاني الأصل، المصري المولد، والمنشأ والوفاة، المعروف بابن حجر. ولد في القاهرة في شعبان سنة ٧٧٣هـ وشباط ١٣٧٢م وتوفي فيها في أواخر ذي الحجة سنة (٨٥٢هـ — ١٤٤٩م).

أولع ابن حجر بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث ورحل الى اليمن والحجاز؛ وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، وتصانيفه كثيرة ونافعة؛ من أهمها كتابه: «أبناء الغُمر بأبناء العمر». وهو ما أخذنا عنه تراجم رهط من رجال حمص. وقد جمع في كتابه الحوادث التي أدركها لغاية سنة (٨٥٠هـ — ١٤٤٧م). (دائرة معارف فؤاد افرام البستاني ٢ ص ٤٣٦ — ٤٣٨).

نواب السلطنة في حمص خلال هذه الحقبة

لم تصل يدنا الى مظان نستطيع معها الإحاطة بمعرفة أسماء كل نواب السلطنة في حمص في هذه الحقبة لننظم منها سلسلة متصلة الحلقات كما هو المرغوب؛ غير أننا رأينا بعد تدقيق شديد شذرات متفرقة في الأسفار التاريخية المتعددة نستطيع معها أن نذكر بتنسيق معظم نواب حمص خلال هذه الفترة تاركين لمن يأتي بعدنا من المؤرخين المجتهدين أن يتمم ما فاتنا ذكره

١ — لاجين الكبير

ذكره ابن خلدون (٥ ص ٤١١) وهو يروي ترجمة السلطان لاشين الذي قتل سنة (٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م) إذ قال: «وكان يعرف بلاشين الصغير لأنه كان هنالك لاشين آخر أكبر منه؛ وكان نائباً بحمص.

٢ — بكتمر السلحدار

ذكره ابن خلدون (٥ ص ٤١٤) انه كان نائباً لحمص سنة (٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م) ومشاركاً لقبجق النائب العام للسلطنة في موالاته للتتر.

٢ — فارس الدين البكي الظاهري

روى ابن خلدون (٥ ص ٤١٥) أن الناصر بعد أن تصالح مع قازان ملك التتر أقام فارس الدين البكي الظاهري نائباً للسلطنة في حمص؛ وكما أرّخ أبو الفداء زمن نيابته بسنة (٧٠٠هـ — ١٣٠٠م) وتاريخ وفاته سنة (٧٠٢هـ — ١٣٠٢م) (أبو الفداء ٤ ص ٤٨ و٥٢).

٤ — بلبان الجوكندار

تولى نيابة السلطنة في حمص سنة (٧٠٢هـ — ١٣٠٢م) على أثر فشل التتر؛ كما ذكر ابن خلدون أن تاريخ وفاته مع نائب حماه أيضاً تمت في السنة ذاتها.

٥ — عز الدين ايبك الحموي

تولى نيابة السلطنة في حمص بعد وفاة بلبان الجوكندار وتوفي سنة (٧٠٣هـ ١٣٠٣م) (أبو الفداء ٤ ص ٥٣).

٦ — أقوش الأفرم

ذكر ابن بطوطة في رحلته (١ ص ٤٤) أن أقوش الأفرم تعين نائباً للسلطنة في حمص بعد عز الدين أيبك الحموي.

٧ — شهاب الدين قرطباوي

ذكر ابن خلدون (٥ ص ٤٢٨) خبر نقله من نيابة حمص الى نيابة طرابلس سنة (٧١٥هـ — ١٣١٥م).

٨ — سيف الدين اقطاي

يظهر مما كتبه ابن خلدون (٥ ص ٤٢٨) والمقريزي (٣ ص ٦٥) أن سيف الدين اقطاي تولى نيابة حمص قبل قرطباي ، إذ ذكر المقريزي في تعريفه : إنه الأمير سيف الدين الحاج ارقطاي أحد مماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون ثم صار الى أخيه الملك الناصر محمد فجعله حمداراً. ثم استقر في نيابة السلطنة بحمص لسبع مضين من رجب سنة (٧١٠هـ — ١٣١٠م) فباشرها مدة ، ثم نقله الى نيابة صفد سنة (٧١٨هـ — ١٣١٨م) فأقام بها وبنى فيها أملاكاً. وفي عام (٧٣٦هـ — ١٣٣٥م) طلب الى مصر وجهز الأمير ايتمسن أخوه مكانه. وكان يتولى نيابة القبة إذا خرج السلطان للصيد. وفي أيام الملك الكامل شعبان رسم له نيابة حلب فتولاها سنة (٧٤٦هـ — ١٣٤٥م) وظل فيها الى أن صدر الأمر بنقله الى نيابة دمشق ، ففرح أهلها لهذا الخبر. وسار وفد كبير منهم الى حلب لاستقباله ، فرحل عنها وهو مريض ولكنه مات في ظاهر حلب يوم الأربعاء ٥ جمادى الأولى سنة (٧٥٠هـ — ١٣٤٩م) وقد أناف على السبعين.

وكان اقطاي ذكياً فطناً تقياً ، لسناً مع عجمة في لسانه ، وله تشبيب مطبوع وميل الى الصور الجميلة ، ما يكاد يملك نفسه إذا شاهدها ، مع كرم حاتمي (أبو الفداء ٤ ص ٨٢ ودائرة بطرس البستاني ٣ ص ١٥٨).

٩ — بدر الدين بكتوت

ذكر ابن خلدون (٥ ص ٤٢٨) أن السلطان نقل سيف الدين اقطاي سنة (٧١٨هـ — ١٣١٨م) من نيابة حمص الى نيابة صفد وعين مكانه بدر الدين بكتوت القرماني.

١٠ — طنيغا

ذكر ابن الوردي (أبو الفداء ٤ ص ١٠٨) : ان الأمير علاء الدين طنيغا السلحدار عمل بنيابة حمص ثم بنيابة غزة وتوفي سنة (٧٣٢هـ — ١٣٣١م).

١١ — طغراي

ذكر ابن خلدون (٥ ص ٤٤٣) أن نيابة طغراي في حمص انتهت سنة (٧٤١هـ — ١٣٤٠م).

١٢ — طسمتر

كان نائباً في حمص سنة (٧٤٢هـ — ١٣٤١م) ورافق السلطان أحمد من الكرك في رمضان من السنة نفسها. وقد غضب السلطان عليه بعدئذٍ فقتله مع ايدغمش الفخري (ابن خلدون ٥ ص ٤٤٥).

١٣ — الصلاحي

تعين الصلاحي نائباً للسلطنة في حمص سنة (٧٤٧هـ — ١٣٤٦م) بأمر من الملك المظفر حاجي (ابن خلدون ٥ ص ٤٤٦).

١٤ — الحسن بن علي الحنفي

هو بدر الدين الحسن بن علي بن موسى الحمصي الحنفي؛ سمع من أبي بكر بن قوام، وأخذ العلم عن سليمان المنشد والبرداني وغيرهما. ودرس بالخاتونية، وناب في الحكم بحمص. وكان حسن الخط، جميل العبارة، توفي في ٩ ذي القعدة سنة (٧٧٩هـ — ١٣٧٧م) (ابن حجر ١ ص ١٠٠).

١٥ — جركان الجركسي

كان من أقدم الجراكسة؛ انتظم لأول عهده في جماعة أياس، ولي نيابة حمص ثم قلعة دمشق فحاجبية حلب. ثم خرج على السلطان وانضم الى التركمان؛ وقتل في صفر سنة (٧٨٣هـ — ١٣٨١م) (ابن حجر ١ ص ١٥٢).

١٦ — أرغون داود ارطشتمر

تولى نيابة حمص ومات فيها سنة (٧٨٥هـ — ١٣٨٣م) (ابن حجر ١ ص ٢٠٦).

١٧ — منطاش

أعلن عصيانه على السلطان سنة (٧٩١هـ — ١٣٨٩م) ثم استولى على حمص وحماه سنة (٧٩٣هـ — ١٣٩١م) وقتل سنة (٧٩٥هـ — ١٣٩٣م) (أعلام النبلاء للطباخ ٢ ص ٤٧١).

١٨ — بغا الحسني

تولى نيابة حمص سنة (٨٠١هـ — ١٣٩٩م) (السخاوي ٢ ص ١٢).

١٩ — عمر بن الرواس

من أخبار تيمورلنك أنه وصل الى حماه في ٢٠ ربيع الأول سنة (٨٠٣هـ — ١٤٠٠م) ثم قدم الى حمص فتلقاه عمر بن الرواس واستصفاها منه إكراماً لخالد بن الوليد بطل الاسلام المدفون في ثراها فصفح عن المدينة إكراماً له وأقامه نائباً عليها.

٢٠ — جنتمر الطرنطاوي

هو جنتمر بن عبد الله الطرنطاوي؛ ولي نيابة حمص وبعلبك، وأسر في المحنة العظمى، ثم نجا من الأسر وحضر الى مصر، فتولى كشف أمور الصعيد فقتله عرب بن عمر سنة (٨٠٤هـ — ١٤٠١م). كان حسن المحاضرة، بشوشاً، شجاعاً مقداماً مع ظلم وتعسف (ابن حجر ص ٥٩٠ والسخاوي ٢ ص ٦٣).

٢١ — تنم الحسني

كان نائباً للسلطنة في دمشق، ثم أعلن العصيان في محرم سنة (٨٠٦هـ — ١٤٠٣م) وملك القلعة وطرد النائب؛ وتابع الخطبة للناصر، وكاتب الأمراء فأطاعه نائب صفد وطرابلس وخالفه نائب حلب، ولما قوي شأنه استصفى الأموال وبسط يده في الظلم والمصادرة فساء ذلك عامة الناس. ثم أرسل أقبغا اللطاش الى غزة فملكها في ربيع الأول ووجه أيضاً القائد جليان مع قوة الى حلب لمحاربة نائبها؛ ثم تبعه بنفسه، فتسلم حمص مع القلعة. ثم حاصر حماه، ولكنه ارتد عنها لما عرف بوصول ايتمسن. وأخيراً مات تنم خنقاً في ٤ رمضان سنة (٨٠٦هـ — ١٤٠٣م) (ابن حجر ١ ص ٤٩٥).

٢٢ — جكم

بسط جكم سيطرته على حمص في أوائل القرن التاسع الهجري وقتل في سنة (٨٠٩هـ — ١٤٠٦م).

٢٣ — دمرداش

استأثر دمرداش بالسيادة على حمص وجوارها بعد جكم سنة (٨١٢هـ — ١٤٠٩م) ولكن شيخ غلبه على أمره واستخلص منه المدينة.

٢٤ — شيخ بن عبد الله

هو الذي وصل بعدئذٍ الى عرش السلطنة. كانت حمص تحت سيطرته سنة (٨١٤هـ — ١٤١١م).

٢٥ — سنقر الناصري

هو فرج بن برقوق الغزي؛ صار خاصكياً بعد المؤيد، ثم نقل لنيابة حمص سنة (٨٣٦هـ — ١٤٣٢م). ثم انضم الى إينال الحكمي نائب دمشق حين عصي على جقمق. وقبض عليه وسجن مدة ثم أطلق سراحه، وولي بعض القلاع الشامية ومات سنة (٨٤٥هـ — ١٤٤١م) وكان مهملاً جاهلاً (السخاوي ٢ ص ٢١١).

٢٦ — بسنقر الحاجب

هو أحد الحجاب بدمشق وأمير الطبلخانة بها؛ كان نائباً بحمص ومات في دمشق سنة (٨٤٨هـ — ١٤٤٤م).

٢٧ — طغرق التركماني

هو طغرق بن عبد القادر التركماني كان نائباً في حمص وقتل في ذي القعدة سنة ٨٣٨هـ — ١٤٣٤م) في معركة مع العرب.

٢٨ — ابن طغرق

يقول السخاوي (٢ ص ٢٥٥) ان ابن طغرق التركماني لما قتل أبوه استقر في كرسي نيابة حمص.

٢٩ — تمراز المصارع

كان تمراز نائباً في حمص سنة (٨٥٢هـ — ١٤٤٨م).

٣٠ — خوش كلوين الكوكلي

كان نائباً في حمص، ثم انتقل الى طرابلس فمات فيها في أواخر رمضان سنة (٨٦٥هـ — ١٤٥٩م). وكانت له شهرة في الحزم وفيه مكارم وأخلاق ومروءة (السخاوي ٢ ص ١٣١).

٣١ـ أصلان بن بداق

هو آخر من اتصل بنا معرفته من أسماء نواب حمص والذي نقل الطباخ في أعلام النبلاء (٣ ص ١٥٥) عن المحلي قوله فيه :

«كان أول من بادر العثمانية بالحرب من طائفة الجراكسة هو اصلان بن بداق نائب حمص ، أخذ قنطاريته بيده وأطلق عنان جواده وصار يطعن الفرسان يميناً وشمالاً . ولما رأى الأمراء فعل أصلان في حملته أخذتهم الحمية ، فحمل الأمير سيباي نائب الشام ثم حمل .. الخ ...

وقد سقط اصلان بن بداق قتيلاً في معركة مرج دابق سنة (٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م) في ١٧ رجب التي انتصر فيها العثمانيون على المماليك الجراكسة .

قضاة حمص في هذه الحقبة وعلماؤها

١ ـ الوابلي الأب

خو أبو بكر أحمد بن أبي بكر الوابلي ؛ كان قاضياً بحمص سنة (٧٢٩هـ ـ ١٣٢٨م) (أبناء الغمر ١ ص ٣٦٢).

٢ ـ محمد بن عبد الله الصائغ

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الخالق ، جمال الدين أبو المغيث الصائغ الدمشقي . ولي قضاء حمص وغزة ودرس بالعمادية في دمشق وأقام بحلب مدة وناب في الحكم بسرمين ومات عن أربعين سنة (٧٧٣هـ ـ ١٣٧٢م) (أبناء الغمر ١ ص ١٦).

٣ ـ محمد بن عبيد النابلسي

هو شمس الدين محمد بن عبيد النابلسي ، قاضي حمص ؛ نشأ في دمشق ودرس بمدارسها . فلما ولي قضاء حمص أخذت وظائفه . ثم جمع مالاً كثيراً فاستولى عليها مملوك له وهرب بها . كان كثير التقتير ؛ مات في رمضان سنة (٧٧٨هـ ـ ١٣٧٦م).

٤ ـــ أحمد الصلتي

هو أحمد بن ابرهيم بن وهيبه الصلتي ؛ قاضي حمص وبعلبك ؛ ولد سنة (٧٢٨ هـ ـــ ١٣٢١ م) ومات في جمادى الأولى سنة (٧٧٩ هـ ـــ ١٣٧٧ م) وله من العمر / ٥١ / سنة (أبناء القمر لابن حجر ١ ص ٩٧).

٥ ـــ ابن الهكاري

هو محمد بن عبد الله بن أحمد الهكاري الصلتي شمس الدين ؛ ولي قضاء حمص بعدما أخذ العلم عن أبيه بالصلت ، وكان مدرساً . ثم قدم الشام فسمع بها . وكان لا يمل من الاشتغال بالعلم وتعليق الفوائد وتنقل في القضاء ولخص كتاب ميدان الفرسان توفي سنة (٧٨٦هـ ـــ ١٣٨٤ م) (أبناء الغمر ١ ص ٢١٩).

٦ ـــ الركراكي

هو محمد بن يوسف أبو عبد الله الركراكي المالكي ؛ كان عالماً بالأصول والمعقول وينسب الى سوء الاعتقاد ؛ وقد امتحن بسبب ذلك ونفي الى الشام . ثم تقدم عند الظاهر فولاه القضاء وسافر معه سنة (٧٩٣هـ ـــ ١٣٩٠ م) فمات في حمص في الرابع من شوال ورثاه عيسى بن حجاج بقوله :

لهفي على قاضي القضاة محمد ألف العلوم الفارسي الركراكي
قد كان رأساً في القضا فلأجله أسفت عليه جماعة الأتراك

ولما سمع الشيخ سراج الدين بموته قال : «لله در عقارب حمص» . وكانت هذه كناية لأن العقارب لا تعيش بحمص (أبناء الغمر ١ ص ٣٣٣).

٧ ـــ الوابلي الابن

هو محمود بن أبي بكر الوابلي شرف الدين . ولد بحمص سنة (٧٢٩هـ ـــ ١٣٢٨ م) وأبوه قاضيها إذ ذاك . أخذ عن والده وعن ابن قاضي شهبة حتى مهر في العلوم وتصدى للتدريس والافتاء وكثر النفع به . وكانت أجوبته الافتائية حسنة جداً ؛ حتى قصد من جهات بعيدة ؛ وانتهت إليه رئاسة الافتاء ؛ وله نظم ونثر . قال فيه ابن حجر (١ ص ٣٦٢) : لم أرَ أحسن من طريقته ولا أجمع لخصال الخير منه . توفي في ٩ صفر سنة (٧٩٥هـ ـــ ١٣٩٣ م) عن ٦٥ سنة .

٨ــ ابن البدر الدمشقي

هو محمد بن عبيد بن البدر الدمشقي الشافعي ؛ ولد سنة (٧٤٩هـ ـــ ١٣٤٨م) وتفقه وشهد عند الحكام وتميز وأجازه البلقيني في الإفتاء. وولي قضاء بعلبك ثم قضاء حمص ومات سنة (٨٠٢هـ ـــ ١٣٩٩م).

٩ــ الحساني الطائي

هو مسعود بن شعبان بن اسمعيل بن عبد الرحمن، أبو عبد الله الحساني الحلبي الشافعي ؛ أصله من دير حسان ونشأ وتفقه، ثم صار ينوب في أعمال البر عن القضاء. ثم ولي قضاء حلب عن ابن أبي الرضى وعزل ثم أعيد ثم عزل بابن مهاجر سنة (٧٩٠هـ ـــ ١٣٨٨م). ثم ولاه الشهاب الزهري قضاء حمص. وكان جاهلاً، مقداماً يعرف طرق السعي وله د بة في الأحكام، واشتهر بأخذ المال من الخصوم. وسار مع الملك الظاهر الى القاهرة. ولما استقرت قدم هذا بالملك ولي الحساني قضاء دمشق بعد قضاء حمص. وأخيراً استقر بطرابلس حيث توفي فيها سنة (٨٠٩هـ ـــ ١٤٠٦م) قال فيه العلاء بن خطيب الناصرية ؛ إنه كان رئيساً محتشماً عنده مكارم أخلاق ومداراة للدولة ومحبة للعلماء.

١٠ ـــ السماقي

هو قاسم بن سعد بن محمد الحسباني، شرف الدين المعروف بالسماقي، ولد سنة (٧٤٩هـ ـــ ١٣٤٨م) وقرأ الكتب وتعاطى الشهادة ؛ ثم صار موقعاً للأحكام واستنابه ابن حجي، فباشر القضاء ؛ ولم يترك الجلوس للشهادة. ثم ولي قضاء حمص. قال فيه ابن حجر (٢ ص ٣٨٧) : كان قليل البضاعة، كثير الجرأة متساهلاً في الأحكام. توفي سنة (٨٢٧هـ ـــ ١٤٢٤م).

١١ــ ابن الشنبل

هو أحمد بن أبي أحمد بن الشنبل أبو العباس الحمصي. اشتغل ببلده، ومهر وبرع وولي قضاءها. وقدم القاهرة مراراً. ثم سعى الى قضاء دمشق ؛ فوليه في آخر سنة (٨٠٦هـ ـــ ١٤٠٣م) ثم عزل بعد أشهر. ثم ناب عن أخنا (بلدة بالقرب من الاسكندرية) ومات بها سنة (٨١٦هـ ـــ ١٤١٣م) وعلى ما يظهر انه كان شافعياً.

١٢ — ابن زهرة

هو محمد بن محمد بن خالد بن موسى بن الشمس بن الشرف الحمصي الحنبلي ؛ ويعرف بابن زهرة . درس على ابرهيم بن فرغون ؛ وولي قضاء الحنابلة بحمص فكان أول حنبلي ولي بها ومات سنة (٨٣٠ هـ — ١٤٢٦ م) . وجده كان شافعياً فتحنبل ولده لسبب ذكره ابن حجر في اثنائه .

١٣ — أحمد بن زهرة

هو أحمد بن محمد بن محمد بن خالد الحمصي الحنبلي ؛ ويعرف أيضاً بابن زهرة ، ولي قضاء الحنابلة ببلده بعد أبيه . وقدم القاهرة ، فناب عن قاضيها العز الكتاني .

١٤ — ابن العصياني

هو محمد بن ابرهيم بن محمد بن أيوب ، البدر الحمصي الشافعي ؛ ويعرف بابن العصياني ، سمع عن عمر بن علي البقاعي وغيره من أصحاب الحجاز ؛ وتفقه وبرع وشارك في الفضائل . وكان ذا أفضلية تامة في الفقه وذكاء مفرط . سمع منه الطلبة في حمص ، وأثنى عليه ابن موسى وجعله في الطبقة الأولى من القضاة . مات في ربيع الأول بحمص سنة (٨٣٤ هـ — ١٤٣٠ م) (السخاوي) .

١٥ — ابن علي الحمصي

كاتب سر بدمشق وابن قاضي حمص الحنفي . ولد سنة (٨٢٥ هـ — ١٤٢١ م) . وحفظ القرآن وقام به في رمضان سنة (٨٣٥ هـ — ١٤٣١ م) قبل إتمامه العشر سنوات . ثم حفظ الملحمة ومجمع البحرين ، ثم ألفية ابن مالك سنة (٨٣٦ هـ — ١٤٣٢ م) على ابن حجر حين مروره بحمص في طريقه الى آمد . وعرف بالنجابة والذكاء والبراعة والعلم .

١٦ — ابن العلم البصراوي الأبياري

هو محمد بن محمد بن سليمان ناصر الدين بن الشمس بن العلم الأبياري ؛ البصروي الأصل الحلبي الشافعي . لقبه ابن قمر سنة (٨٣٧ هـ — ١٤٣٣ م) ببيت المقدس فاستجازه . وكان يزعم مع التوقف في مقاله أنه سمع البخاري علي ابن صديق . ولي كتابة سر حلب في أيام الناصر توروز ثم قضاءها ثم كتابة سر الشام في أيام المستعين ثم أضيف اليه

معها قضاء طرابلس ؛ ثم ولي قضاء بيت المقدس وقطن فيها مدة . ثم ولي قضاء حمص وكتابة سرها . ومات في غزة فجأة في جمادى الآخرة سنة (٨٤٥هـ — ١٤٤١م) ، كل ذلك مع حشمة ونقص بضاعة في العلم (السخاوي ٤ ص ٣٥٧) .

١٧ — ابن الرداد أو شيخ الجن

هو محمد بن داود بن فتوح بن داود بن يوسف السلمي الحلبي ثم القاهري ، الشافعي ؛ ويعرف بابن الرداد ثم بقاضي الجن أو شيخ الجن ؛ ولد سنة (٧٦٢هـ — ١٣٦٠م) بحلب ونشأ بها ؛ ناب عن قضاة دمشق بصرخد وحمص ؛ وولاه الناصر قضاء طرابلس .

مات في القاهرة سنة (٨٥٠هـ — ١٤٤٦م) (السخاوي) .

١٨ — الشمس بن البدر سبط السبكي (ابن العصياتي) .

هو محمد بن محمد بن ابرهيم بن محمد بن أيوب بن محمد الشمس بن البدر الحمصي ثم الدمشقي الشافي ، سبط خطيب حمص ومدرسها الشمس السبكي ويعرف ابن العصياتي كسلفه محمد بن ابرهيم البدر — رقم ١٤ —

ولد سنة (٨٠٧هـ — ١٤٠٤م) بحمص ونشأ بها فحفظ جمهرة من الأسفار القيمة في الفقه والحديث والنحو . ودرس على جده لأمه (السبكي) وعلى أبيه وغيره ببلده ، وتميز عن أبيه بالعربية بحيث كان يقول لولده محمود : انه يحفظ لسيبويه خاصة خمسمائة شاهد . حج سنة (٨٤٧هـ — ١٤٤٣م) وزار بيت المقدس ، وناب في القضاء بدمشق عن المتقي ابن قاضي شهبة . ثم ولي قضاء حمص في أيام الظاهر جتمق الذي عين له راتباً ضخماً فلم يتناوله ؛ ثم استقال من القضاء بعد أمد يسير . توفي الشمس في ٢٤ ذي القعدة سنة (٨٥٨هـ — ١٤٥٤م) (السخاوي)

١٩ — ابو اللطيف ابن الحمصي

هو محمد بن علي بن منصور بن زين العرب ابو اللطيف المقدسي الشافعي ويعرف بابن الحمصي . ولد سنة (٨١٩هـ — ١٤١٦م) بحصن كيفا من بلاد بكر ونشأ بها . قرأ القرآن عند النجم المعجمي المراغي ؛ وتلا به عليه قراءات عاصم ونافع وابن كثير . وأخذ الصرف والنحو عن الجلال بن الحلواني ، كما أخذ المنطق والعروض عن المفتي قوام الدين الشيرازي ، والموسيقى عن الحاج قلقدر ، والبديع عن العلاء علي الكردي بحلب ،

والفرائض عن الزين ماهر ببيت المقدس والفقه والنحو والتفسير والحديث والتصوف عن الشهاب بن أرسلان وهو أجلُّ شيخ لازمه ؛ واجاز له الشمس القصيري وآخرون. قدم الى حلب سنة (٨٣٥هـ — ١٤٣١م) ثم رجع الى بلاده ثم عاد اليها سنة (٨٣٩هـ — ١٨٣٥م) وتحول عنها الى حمص ثم الى القدس، وذهب الى القاهرة عدة مرات.

قال السخاوي فيه (٤ ص ٢٣٠): كان فاضلاً مشاركاً في الفضائل، بديع الخط، بهيج التذهيب؛ متميزاً في كثير من الصنائع، شجي الصوت مطربه، متقدماً في فنون الأدب، عالي النظم؛ كل ذلك مع لطف الذات وحسن المحاضرة وجمال العشرة وفصاحة العبارة بحيث كان مجموعاً فائقاً ونوعاً رائقاً. عمل مؤلفاً في ذبائح أهل الكتاب ومناكحهم سماه: «رفع الحجاب عن مناكحة أهل الكتاب.. أجاد فيه للغاية. وكتاب «تحقيق الكلام في موقف المأموم والامام». كما ألف في علم النحو والصرف. ومن منظوماته الشعرية قوله:

اجعل شعارك حيثما كنت التقى — قد فاز من جعل التقى أشعاره
واسلك طريق الحق مصطحباً به — اخلاص قلبك حابساً اسراره
واذا أردت القرب من خير الورى — يوم القيامة فاتبع آثاره

وقوله أيضاً:

عليك باخفاء السلوك لدى الورى — لتأمن من شر الريا وعنائه
وعند الصفا خالطهم مثلما تشا — بحق فلون الماء لون انائه

ومن منظوماته قوله:

ليس السواد بوجنتيه عارض — حتى يلوم على هداه اللاحي
بل ذاك ظل الحاجبين تعارضاً — في نور شمس جبينه الوضاح

وتوفي ابن الحمصي يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الآخرة سنة (٨٥٩هـ — ١٤٥٥م). وقال فيه ابن عدسية: «لا أعلم بهذه البلاد من يدانيه في حسن النظم وبعد النظر والتمكن من علم الأدب».

٢٠ — الشمس ابو الوفاء النقري.

هو محمد بن احمد بن محمد بن خضر الشمس ابو الوفاء النقري الشافعي ويعرف بابن

الحمصي. ولد سنة (٨١٢هـ — ١٤٠٩م) بغزة ونشأ بها. قرأ القرآن عند الشهاب بن الجوبان وحفظ المنهاج وجمع الجوامع والألفيتين؛ وأخذ عنه الشمس البرماءي والعز القدسي وابن رسلان وغيرهم وارتحل الى القاهرة فأخذ بها عن ابن حجر وقرأ عليه في كل من بلوغ المرام والنخبة وشرحها له. ثم سافر الى الصعيد فأخذ عن الجالكي وبعدها ارتحل الى دمشق فأخذ بها عن التقي ابن قاضي شهبة اشياء، منها شرحه المنهاج.

وأشار الى ذلك في ترجمته ابن الأعسر اذ قال: «وولي عوضه شمس الدين الحمصي وهو شاب فاضل، كان عندي من مدة قريبة وقرأ علي بعض شرح للمنهاج».

ولقي في حمص ابن زهرة فأخذ عنه وسمع الحديث على والده وعلى ابن الجزري.

واشتدت عنايته بالفقه لملازمته أبي القاسم النويري الذي أشار عليه بالتحول عن مذهب الحنفية الى الشافعية؛ وبرع في الفقه واصوله والعربية وغيرها. وولي قضاء حمص ثم غزة بعد موت ابن الاعسر فباشر عمله بمباشرة حسنة. وتوجه مرة الى مكة، فاسترجع من العقبة وجمع بينه وبين خصمه؛ فبان بطلان ما انهاه هذا بحقه، فأعيد على وجه جميل واستمر حتى مات الظاهر. وكذلك ولي قضاء حماه مرتين وعقد فيها مجلساً للتفسير. ثم اعرض عن ذلك كله حين تفاقمت الاحوال بين الرؤساء. وأقام منعزلاً عن الناس مداوماً على الافتاء وقراءة الصحيح في الجامع القديم بحمص؛ وصار شيخها بلا منازع. وممن لقيه في آخر أيامه العز بن فهد وقرأ عليه في سنة سبعين الصحيح وكتب عنه الشمس بن حامد المقدسي ما كتب اليه في مراسلة:

يا غائباً شخصه عني ومسكنه — على الدوام بقلب الواله العاني
هو المقدس لما ان حللت به — لكنه ليس فيه عين سلوان

فأجابه بقوله:

يا خادماً أخبار اشرف مرسل — وسخا فنسبته اليه شخاوي
وحوى السياسة والرياسة ناهجاً — منهاج حر للمكارم حاوي

وبالغ في الثناء عليه حتى إنه لقب بمشيخة الاسلام. مات يوم الاثنين اخر ربيع الأول سنة (٨٨١هـ — ١٤٧٥م) ودفن في تربة التفليس. ولم يرَ في تلك النواحي أعظم مشهداً من جنازته ولا أكثر باكين فيها؛ ولم يخلق بها مثله.

الفصل التاسع عشر

مشاهير الحمصيين في هذه الحقبة
في الحديث والأدب والفنون

١ ـ احمد بن داود الحمصي :

هو أحمد بن داود بن أحمد الحمصي المعروف بابن السابق ولد سنة (٧٠٩ هـ ـ ١٣٠٩ م) وسمع بعض الصحيح من ابن الشحنة بحمص وسمع منه ابو حامد بن ظهيرة بعد السبعين (الدرر الكامنة لابن حجر ١ ص ١٣٩).

٢ ـ اسماعيل بن علي الحمصي :

هو اسماعيل بن علي بن معالي الحمصي ؛ سمع من أبي العباس بن الشحنة ، صحيح البخاري وحدث . سمع منه الياسوني وحدث عنه ابو حامد بن ظهيرة بالاجازة في معجمه ومات في حدود السبعين (الدرر الكامنة لابن حجر ١ ص ٣٩٩) ؛

٣ ـ ابو بكر بن احمد الحمصي :

هو أبو بكر بن أحمد بن داود الحمصي ، نزيل بعلبك ، ولد سنة (٧١٢ هـ ـ ١٣١٢ م) واشتغل وتعاطى الأدب وأخذ عنه ابن عشائر وغيره (الدرر الكامنة لابن حجر ١ ص ٤٦٨).

٤ ـ ابو بكر بن أبي الفتح الحمصي :

هو أبو بكر بن محمد بن أبي الفتح الحمصي شرف الدين ؛ سمع من ابن عبد الدائم جزء ابن عرفه وحدث به عنه . مات في ربيع الآخر سنة (٧٠٧ هـ ـ ١٣٠٧ م) (الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١ ص ٤٩٣).

٥ ـ الحسن بن علي بن أبي الطيب الحمصي :

هو الحسن بن علي بن مسعود بن أبي الطيب الحمصي ، ابن الصائغ بدر الدين ،

مدرس الصارمية ومستوفي الاوقاف. مات في ١٧ ذي القعدة سنة (٧٧١هـ — ١٣٧٠م) (الدرر الكامنة لابن حجر ٢ ص ١١٣).

٦ — عثمان بن ابرهيم الحمصي:

هو عثمان بن ابرهيم بن أبي علي الحمصي؛ المقرىء سمع الكثير من ابن الزبيدي وابن اللتي والضياء وغيرهم، وحدث. اخذ عنه التقي السبكي وابن الوافي والمقاتلي والمحب وغيرهم. وكان خيراً متودداً مات في رجب سنة (٧١٠هـ — ١٣١٠م) (الدرر الكامنة لابن حجر ٣ ص ٤٩).

٧ — محمود بن علي الحمصي:

هو محمود بن علي بن محمود الحمصي المعروف بتاج الرازي. شرح كتاب «الفصول الايلاقية في كليات الطب لمحمد بن يوسف الايلاعي تلميذ بن سينا» سماه: «امالي العراقية في شرح الفصول الايلاقية» وفرغ منه سنة (٧٣٥هـ — ١٣٣٤م) (كشف الظنون).

٨ — فخر الدين العدولي الحمصي

هو فخر الدين عثمان بن اسمعيل العدولي الحمصي؛ ورد في كشف الظنون (٢ ص ٣٥٦) ان فخر الدين عثمان الحمصي؛ هو واضع كتاب «اللطائف السنية في التواريخ الاسلامية» الذي قيل عنه؛ انه مختصر من كتابه «التاريخ الكبير» الذي سجل فيه الحوادث التاريخية حتى عام (٧٢١هـ — ١٣٢١م).

٩ — محمد التاجر:

هو محمد بن أبي محمد الحمصي التاجر؛ اشتغل بالفقه وتعاطى النظم. كتب عنه ابن حجي من نظمه كما أرخ تاريخ وفاته في محرم سنة (٧٧٨هـ — ١٣٧٦م) (ابن حجر).

١٠ — ابن زياج:

هو محمد بن محمد بن ناصر بن أبي الفضل الفرا الحمصي ثم الحلبي المعروف بابن زياج، كما يعرف أيضاً بابن القيم وبالفقيه. ولد بحمص سنة (٧٠٦هـ — ١٣٠٦م). وكان يحفظ القرآن ويتعاطى التجارة بالفراء. وكان مشكوراً في صناعته. حدث بصحيح البخاري وعن ابن الشيخة، كان سماعه منه سنة (٧١٧هـ — ١٣١٧م) بحمص ومات في جمادى الاخرة سنة (٧٨٤هـ — ١٣٨٢م).

١١ — الانصاري :

هو محمد بن محمد بن علي الانصاري ، امين الدين الحمصي الحنفي . تقدم في الأدب وأخذ الفقه عن رمضان الحنفي والعربية عن تقي الدين بن الحمصي . ولي كتابة السر بحمص ثم بدمشق . وقدم الى القاهرة مع نائبها تنم .

كان شاعراً مجيداً وأديباً متواضعاً . تطارح الشعر والعلوم مع فتح الدين بن الشهيد وجلال الدين البيري وفخر االدين مكانس وغيرهم . توفي في ربيع الأول سنة (٨٠٠هـ — ١٣٩٧م) ولم يكمل الخمسين من عمره .

أثنى عليه طاهر بن حبيب وقال : كانت له مشاركة جيدة في الفنون ، وكتابة فائقة وعبارة رائقة ؛ ومن نظمه ما قاله في الغزل :

كلما قلت قد قدرت عليه ... لاح من عسكر اللحاظ كمينا
خنت فيه مع الحبيب اصطباري ... ليت شعري فكيف ادعى أمينا

وجاء في انباء الغمر لابن حجر (ص ٤٥٤ : ان نظر النورية ببعلبك كان بيد امين الدين الحمصي . فلما مات استقر بعده في كتابة السر بدمشق ناصر الدين بن أبي الطيب وأخذ نظر النورية لنفسه .

١٢ — ابن الزين :

هو عمر بن محمد الزين الحمصي ثم الدمشقي الشافعي ، أحد فضلاء دمشق في مذهبه . كان تقياً ورعاً محباً للخير طالباً للعلم ، يتكسب من انوال حرير يدولبها . مات في شوال سنة (٨٠٣هـ — ١٤٠٠م) (ابن حجر ص ٥٦٥) .

١٣ — الطاهري :

هو طولو بن علي باشا الطاهري برقوق ؛ كان من اعيان خاصته ، وترقى بعدئذٍ الى ولاية نيابة غزة ثم نيابة الاسكندرية . وأصبح من ثم احد المقدمين ؛ وانضم الى شيخ وجكم واستمر بالشام الى رمضان سنة (٨٠٨هـ — ١٤٠٥م) فرسم بتعيينه على نيابة صفد وظل فيها حتى قتل بين حماه وحمص في ذي الحجة من سنة (٨٠٨هـ — ١٤٠٥م) (السيخاوي) .

١٤ — ابن مكتوم :

هو محمد بن محمد بن أحمد بن عل بن مكتوم الشمس الساعاتي السلماني الأصل الحمصي المقام ، القادري الطريقة . ولد في شوال سنة (٧٥٨هـ — ١٣٥٧م) وسمع على الكمال أبي الغيث محمد بن عبد الله بن محمد الصايغ وعمر بن علي بن عمر البقاعي وسواهما ؛ كما سمع منه بعض الفضلاء (السخاوي) .

١٥ — المعمار :

هو أبو بكر بن علي سيف الدين الحمصي ، المعمار ؛ اشتهر بذلك وتقدم في فنه وعاش ازيد من تسعين سنة ومات بدمشق سنة (٨١٢هـ — ١٤٠٩م) وقد ذكره ابن حجر في انبائه .

١٦ — الشمس بن القطب السبكي :

هو محمد بن محمد بن احمد بن عبد المحسن بن حمدان بن عباس الشمس بن القطب السيكي ثم الحمصي — الخطيب بها ، الشافعي سبط التقي السبكي ، جدته ست الخطباء ابنة التقي . سمع سنة (٧٧٤هـ — ١٣٧٢م) عليها وعلى ابرهيم بن حسن بن قرعون وعمر بن علي البقاعي — الصحيح — وكذا سمع من أبي عبد الله بن مرزوق البدر بن مكتوم ؛ وحدَّث . سمع منه الفضلاء كابن موسى ووصفه بالامام العالم الخطيب . كما ذكره ابن حجر في معجمه وقال : اجاز لابنتنا رابعة وتوفي عن عمر مديد (السخاوي) .

١٧ — عبد الله بن زهرة :

هو عبد الله بن ابي بكر بن خالد بن موسى بن زهرة الحمصي الحنبلي ؛ ولد سنة (٧٨٤هـ — ١٣٨٢م) بحمص وسمع بها من ابرهيم بن قرعون قطعة من آخر الصحيح وحدث بها . قرأها عليه النجم بن فهد (السخاوي) .

١٨ — ابو العباس الشهاب الخزرجي :

هو احمد بن محمد بن علي الشهاب ابو العباس الانصاري الخزرجي الحمصي الأصل ، الشافعي المذهب . ولي قضاء بلده اربعة أشهر ثم عزل ؛ وقدم الى حلب وهو معزول سنة (٨٠٩هـ — ١٤٠٦م) ، وأقام بها مدة ثم عاد الى دمشق . توفي في شعبان سنة (٨١٦هـ — ١٤١٣م)

ذكره ابن خطيب الناصريه ، وارّخ وفاته المتقي ابن قاضي شهبة . وقال : انه ولي الشام مرتين فلم يمكنه النائب من مباشرة عمله .

وروى ابن حجر (ض ٦٣٧) ان الخبر وصل باستقرار أبي العباس احمد الحمصي في قضاء دمشق في جمادى الآخرة سنة (٨٠٦هـ — ١٤٠٣م) ولم يصل الاّ في أول محرم سنة (٨٠٧هـ — ١٤٠٤م) ، وكان قبيح السيرة مجاهراً بأخذ الرشوة .

ويقول ابن حجر (ص ٦٩٨) : في سنة (٨٠٨هـ — ١٤٠٥م) دخل ابو العباس الحمصي دمشق قاضياً عليها عوضاً عن علاء الدين بن أبي البقاء . وكان نائب الشام قد عين للقضاء بالوكالة شهاب الدين الحسباني . فلما سمع ابو العباس الحمصي بذلك هرب الى مصر . وكتب النائب بتشفع في علاء الدين بن أبي البقاء ليعود الى القضاء. ولكن أبا العباس ما لبث أن عاد متولياً في ذي القعدة ودخل على النائب فسلم عله . ولكن هذا لكمه على عمامته ورفض تسليمه دفة القضاء ؛ ثم عين ابن الحسباني لها .

١٩ — ابن محمد الشهاب الحمصي :

هو احمد بن محمد بن احمد الشهاب الحمصي . ولد في ٣ جمادى الأولى سنة (٧٧٣هـ — ١٣٧١م) كما كتب بخط يده . واثبته البقاعي بين الشيوخ الاعلام . مات في اواخر ربيع الأول سنة (٨٤١هـ — ١٤٣٧م) ودفن في مقبرة باب توما بدمشق وكانت جنازته حافلة .

٢٠ — ابن الحسن السراج :

هو عمر بن موسى بن الحسن السراج القرشي المخزومي الحمصي الشافعي . ذكر السيوطي في حسن المحاضرة (٢ ص ١٤١) انه تولى رئاسة المدرسة الصلاحية مرتين . واطال السخاوي في ترجمته (٣ ص ٢٧٦) وخلاصة ما اورده :

انه ولد في حمص سنة (٧٧٧هـ — ١٣٧٥م) وأخذ علومه الوافرة عن كبار رجال ذلك العصر في سورية . ثم برحها الى القاهرة وصاهر الجلال على جنة الله ابنة أخيه البدر ، وأقام عندهم ؛ وأذن له في الافتاء والتدريس . وحج مراراً وجاور سنة (٨٢٣هـ — ١٤٢٠م) واجتمع هناك بابن الجزري ، ثم توجه الى اليمن ونظم هناك رداً على النصوص لابن العربي في / ١٤٠ / بيتاً ؛ وأخذ عنه الجمال محمد المزجاجي فكتب له السراج اجازة

بخطه النفيس. ثم عاد الى القاهرة وسافر مع الجلال لما كان يرافق الظاهر الى الشام ورجع معه ؛ ثم رحل الى الاسكندرية وغيرها. وبعد موت ابن البلقيني ناب عن العراقي باسيوط سنة (٨٢٥هـ — ١٤٢٢م) عوضاً عن قاضيها ابن القوصية ؛ وهنالك أخذ عنه الكمال ابو بكر السيوطي. ثم ولي قضاء طرابلس فدمشق بدل البهاء بن الحجي سنة (٨٣٨هـ — ١٤٣٤م) باربعة آلاف دينار ؛ ثم صرف عنها واعيد اليها في ١٢ محرم سنة (٨٤٤هـ — ١٤٤٠م) ثم انفصل عنها، واعيد اليها ثالثة نيابة عن الجمال الباعوني قبل سنة (٨٦٠هـ — ١٤٥٦م). وخلال هذه المدة ولي قضاء طرابلس. وكذلك ولي قضاء حلب ومشيخة الصلاحية في بيت المقدس، والصلاحية المجاورة لضريح الشافعي تدريساً. وذكر أكثر من مرة لقضاء الشافعية بمصر فلم يتم له ذلك.

وروى ابن حجر في انبائه في حوادث سنة (٨٣٦هـ — ١٤٣٢م — : «ان السراج نظم وهو على قضاء طرابلس قصيدة تائية من مئة بيت رد فيها على تكفير العلاء البخاري لابن تيمية ؛ وقال : ان من كفر ابن تيمية فهو الكفار. فقام ابن زهرة بسببها على السراج وكفره وتبع أهل البلد ابن زهرة ففر السراج الى بعلبك وكاتب ارباب الدولة فأمروا بالكف عنه فسكنت الفتنة». وتوفي السراج في صفر سنة (٨٦١هـ — ١٤٥٧م) في بيت المقدس.

٢١ — حواء السراج :

قال السخاوي (٢ ص ١٣١) في ترجمة حمزة بن محمد بن أبي بكر... بن سليمان أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن المتوكل على الله العباسي القاهري المتوفى سنة (٨٦٢هـ — ١٤٥٨م) انه قد تزوج حواء بنت عمر بن موسى بن الحسن السراج الحمصي. وانها تزوجت بعده الشمس بن المرخم وتأيمت بعده.

٢٢ — برهان الدين النقيراوي :

هو ابرهيم برهان الدين النقيراوي الحمصي الشافعي ؛ أخذ عن الجمال بن خطيب المنصورية وغيره. وكان من نظراء مواطنه البدر بن العصياني الحمصي. ودرس وافتى وانتفع به جماعة. مات بالطاعون سنة (٨٤١هـ — ١٤٣٧م) (السخاوي)

٢٣ — عبد الرحمن بن زهرة :

هو عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن موسى الزين بن الشمس ، الحمصي الشافعي ويعرف بابن زهرة . ولد في رمضان سنة (٧٧ هـ — ١٣٧٥ م) بحمص ونشأ بها وحفظ القرآن وأكثرية المنهاج ، والفية النحو وسمع على ابي اسحق ابرهيم بن الحسن البعلي المعروف بابن قرعون . ختم البخاري بسماعه من النجار وحدث به . ويقول السخاوي فيه : انه كان عالماً في الحديث وفقيهاً جلداً قوياً . مات في شوال سنة (٨٦٤هـ — ١٤٥٩ م) .

٢٤ — ابن خرص القائد :

هو احمد بن خرص القائد الشجاع الحمصي ، مات بمكة يوم الاربعاء في ٧ محرم سنة ٨٦٥هـ — ١٤٦٠ م) كما أرخه ابن فهد .

٢٥ — عبد اللطيف الحمصي :

هو عبد اللطيف بن محمد بن عبد الله الحمصي الأصل ، المقدسي البلاد . نشأ في القدس وسمع على امه عيزان — عتيقة القلقشندي — روى فيه ١٥ حديثاً من نسخة ابرهيم بن سعد سنة (٧٩٨هـ — ١٣٩٥ م) . كان خيراً متواضعاً متكسباً بالخدمة في الحمام . وحدَّث بباب الصالحية من بيت المقدس . مات سنة (٨٦٥هـ — ١٤٦٠ م) .

٢٦ — ابن زهرة :

هو محمد بن محمد بن محمد بن خالد الشمس بن الشرف الحمصي ويعرف كسلفه بابن زهرة . كان عالماً فقيهاً متواضعاً . مات سنة (٨٧٢هـ — ١٤٦٧ م) .

٢٧ — ابن مقبل :

هو ابو بكر بن احمد بن مقبل المتي ، الشواب الحمصي الضرير الشافعي ، ويعرف بابن مقبل . تلا الحديث عن مواطنه الشمس بن سُبيت . وكذلك قرأ على الشيخ حبيب والفخر الضرير . وتصدى للقراءة في حمص وصار شيخها ، وانتفع به جماعة . كان عالماً يحترمه أهل بلده ويعتقدون بفضله . وممن قرأ عليه مواطنه العلاء ابو الحسن علي بن علي بن محمد الحميدي . توفي بعد عام (٨٧٢هـ — ١٤٦٧ م) وقد جاوز الثمانين .

٢٨ــ ابن المبيض :

هو يوسف بن احمد بن أبي بكر المقدسي الشافعي ؛ ويعرف بابن المبيض وبابن الحمصي. قدم القاهرة مراراً منها سنة (٨٩٠هــ ١٤٨٥م) وسمع مني أشياء (السخاوي)

٢٩ ابن العصياني (الواعظ) :

هو محمد بن محمد بن محمد بن ابرهيم بن محمد بن أيوب بن محمد الثوراني الشمس بن البدر الحمصي الشافعي الواعظ ؛ ويعرف كأبيه وجده بابن العصياني. ولد في ٢٣ ذي الحجة سنة (٨٤٣هــ ١٤٣٩م) بحمص ونشأ بها ، فحفظ محافيظ أبيه كلها الاّ المغني. وأخذ عن أبيه وعن ابن قاضي شهبة بدمشق. وسمع على الصدر قاضي طرابلس قطعة من البخاري. ثم تحول الى القدس فقطنها. وعند الوعظ كان يبدأ من أول تفسير القرآن الى سورة النمل. وقرأ البخاري في رمضان من كل سنة. وابان اقامته ببيت المقدس دخل القاهرة لبعض حاجاته. واقره الشمس بن الزمن في مشيخة مدرسته تصوفاً ودرساً. ولقيته (يقول السخاوي) بمكة سنة (٨٩٩هــ ١٤٩٣م) ، وقد قدمها مع الركب وعقد بها المجلس للتذكير ايضاً.

٣٠ــ ابن عبد الملك الشمس :

هو محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد الشمس بن الحاج أبي عبد الله البغدادي الأصل الحمصي المقام ، الشافعي المذهب. وهو والد عبد الغفار وعبد الملك ويعرف بابن السقاء.

ولد يوم الجمعة ١ ذي القعدة سنة (٨٤٧هــ ١٤٤٣م) بحمص ونشأ بها ، فحفظ القرآن والغاية لأبي شجاع. وحج سنة (٨٦٤هــ ١٤٥٩م). وقدم الى القاهرة سنة (٨٦٦هــ ١٤٦١م) فاشتغل في الازهر وسمع المسلسل عن السخاوي وغيره. وقرأ عام (٨٧١هــ ١٤٦٦م) على الديمي صحيح البخاري ؛ ونسخ عدة كتب دينية بخطه الجميل.

٣١ــ عبد الملك السقا :

هو عبد الملك بن محمد بن محمد بن... البغدادي الأصل ، الحمصي الشافعي (اخو

عبد الغفار) ويعرف مثله بابن السقا. ولد في جمادى الاخرى سنة (٨٧٢هـ — ١٤٦٧م) في مدينة حمص ونشأ بها في كنف ابويه، فحفظ القرآن وكتباً عديدة، منها الطوالع للبيضاوي وقصيدتان في العقائد احداهما لابن مكي نظمها للسلطان الناصر صلاح الدين ابن يوسف بن أيوب فرغ منها في ربيع الأول سنة (٥٧٠هـ — ١١٧٤م). والثانية أولها: «يقول العبد» للقاضي سراج الدين علي بن عثمان الأوسي. وجمع الجوامع والحكم لابن عطاء الله ومقدمة في التجويد نظم ابن الجزري. والشاطبيتين. وقصيدة أبي فرج التي تغزل فيها بكثير من الحديث، وبانت سعاد، والمنهاج الفرعي، والمقنع في الجبر، والمقابلة لابن الهايم، والفية ابن مالك، وتلخيص المفتاح، ورسالة في المنطق لأثير الدين الأبهري. والرامزة الشامية في علم العروض، والقافية للخزرجي. وقدم القاهرة سنة (٨٨٨هـ — ١٤٨٣م). ويقول السخاوي: «انه سمع مني المسلسل بشرحه. وهو نادرة في وقته، ثم عاد الى بلده وسمع عليه الشاميون وغيرهم ثم عاد الى القاهرة، وجاءني بعد رجوعي من الحج سنة (٨٩٥هـ — ١٤٩٠م) وقد صارت فيه فضيلة وعلم وجودة خط ونظم وبراعة. وقد كتبت من نظمه ابياتاً قالها حين قدم قانصوه اليحي نائب الشام، دونتها في وجيز الكلام».

٣٢ — ابن سعيد الحمصي:

هو احمد بن محمد بن سعيد الحمصي الشافعي؛ ولد في ١٢ ذي القعدة سنة (٨١٦هـ — ١٤١٣م) سمع من ابن حجر المسلسل، واخذ عن الشرف المناوي وعن مواطنه الشمس بن العصياتي، ولقيه الشمس بن المسدد المدني بعد الثمانين من عمره واخذ عنه.

٣٣ — عبد الغفار السقا:

هو عبد الغفار بن محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد الحمصي؛ ولد في حمص في جمادى الأولى سنة (٨٧٧هـ — ١٤٧٢م) وقدم مع أبيه الى القاهرة وسمع من السخاوي المسلسل لابن حجر.

الحقبة السابعة

حمص في العصر العثماني الأول

٩٢٢— ١١٠٠هـ، ١٥١٦— ١٦٨٧م)

الفصل العشرون

تمهيد

يقسم المؤرخون مدة الدولة العثمانية الى اربعة ادوار بعد تأسيسها ورسوخ اقدامها سنة ٦٩٩— ٨٢٤هـ، ١٣٠٠— ١٤٢١م.

الأول— دور التوسع والاستيلاء (٨٢٤— ٩٨٦هـ، ١٤٢١— ١٥٧٨م).

الثاني— دور التوقف (٩٨٦— ١٠٩٩هـ، ١٥٧٨— ١٦٧٨م)

الثالث— دور الانحطاط والتقهقر (١٠٩٩— ١٢٠٣هـ، ١٦٧٨— ١٧٨٩م)

الرابع— دور محاولة التجدد (١٢٠٣— ١٣٢٦هـ، ١٧٨٩— ١٩٠٨م)

الخاتمة— مدة الاحتضار (١٣٢٦— ١٣٣٦هـ، ١٩٠٨— ١٩١٨م)

أما علاقة حمص بالعثمانيين فتبتدىء منذ أن تم فتحهم بلاد الشام حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٦هـ— ١٩١٨م) حينما انسحب الاتراك نهائياً من ديارنا.

ونقسم هذه المدة وما تلاها الى اربعة أقسام:

الأول: يشمل قسماً من دور التوسع العثماني مع دور التوقف.

الثاني— دور التقهقر

الثالث : دور محاولة التجدد

الرابع : فترة الاحتضار العثماني والانتداب الفرنسي ثم عهد الاستقلال.

والقسم الأول منها هو موضوع الحقبة السابعة من هذا الكتاب ، كما وان الادوار الثلاثة التي تليه هي مواضيع بحث الحقبة الثامنة والتاسعة والعاشرة من سفرنا هذا.

دور التوسع والتوقف العثماني من سنة (٩٢٣ـــ ١٠٩٩ هـ ، ١٥١٧ ـــ ١٦٨٧م)

ظل نجم العثمانيين في الشطر الأول من حكمهم في صعود ؛ ثم اخذ يميل نحو السقوط. ولكن العثمانيين وفقوا اثناء تولي وزارتين قويتين مهمتين هما وزارة صقاللي (٩٧٠ ـــ ٩٨٦ هـ ، ١٥٦٢ ـــ ١٥٧٨ م) وكوبرولي (١٠٦٦ ـــ ١٠٨٧ هـ ، ١٦٤٥ ـــ ١٦٦٦ م) اللتان اوقفتا الدولة العثمانية عن السقوط.

وفي ما يلي خلاصة عن مجريات احداث حمص في هذه الحقبة :

حظ حمص من تقسيمات الاتراك للبلاد الشامية

قال بعض الباحثين : ان السلطان سليم لما احتل الشام ومصر سنة (٩٢٣هـــ ١٥١٧ م) قسم الشام الى مقاطعات وايالات محتفظاً لنفسه بسهل البقاع ووادي العاصي مع مدينتي بعلبك وحمص.

ثم جاء السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـــ ١٥٦٦ م) فجعلها ثلاث ايالات : دمشق وطرابلس وحلب ، ثم اضاف اليها سنة ١٥٦٠ ايالة صيدا.

ومن الأنباء الموروثة والتي يتناقلها الحمصيون ؛ ان باب التركمان الذي دخل منه السلطان سليم الى حمص ؛ اغلقته بالحجارة الحكومة منذئذٍ احتراماً للسلطان المذكور وبقي هذا الباب مغلقاً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ـــ ويعرف الآن بالباب المسدود.

وفي عام (٩٢٣ هـــ ١٥١٧ م) عاد السلطان سليم من مصر الى دمشق واناط نيابتها بجان بردى الغزالي واضاف اليه القدس وغزة وصفد والكرك. وأما حمص وطرابلس والمدن البحرية فجعلها في أيدي عماله (الخطط ٢ ص ٢٢٧).

ولما رأى السلطان سليم ان العنصر العربي والمذهب الشيعي قويان في حمص ، استقدم عدة عشائر تركية الجنس ، سنية المذهب واسكنهم في الجهة الغربية من المدينة قرب قلعتها

لكي يأمن بهم عوادي الفتن الجنسية والتحزبات المذهبية : على أن هذه العشائر تعربت بعد زمن غير طويل ، ولعل هذا الأمر يؤيد ما رواه بعض المؤرخين من أن السلطان سليما كان ينوي أن يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية بدلاً من اللغة التركية ؛ وانما فكر بهذا بعد استيلائه على القطرين الشامي والمصري ورؤيته أن العرب في مملكته اصبحوا قوة لا يستهان بها . ولكن المنية عاجلته قبل ابراز هذه الفكرة الى حيز الوجود (محمد كرد علي — الخطط ٢ ص ٢٣٢).

فتنة اعراب حمص

كان الجراكسة قد اوكلوا الى ناصر الدين بن الحسن امير عربان جهات حمص وحماه الدفاع عن الشام . فلما بلغه ان ابن عثمان ارسل طلائع جيشه الى القابون — قرب دمشق — عارضهم هناك وجرت بين الفريقين معركة هائلة هلك فيها من العثمانيين عدد كبير بعضهم قتلاً بالسيوف والبعض الآخر وحّل في الطين الذي أحدثته المياه المندفعة في تلك البقعة من انهر دمشق (ابن اياس).

اما المؤرخ التركي كامل باشا فيذكر ان امير العرب ناصر الدين بن الحنش ، قبل بالصلح الذي عرضه عليه خيري بك وقدم خضوعه للسلطان سليم (كرد علي : الخطط ٢ ص ٢٢٤).

و يمكننا التوفيق بين الروايتين بأن يكون الأمير ناصر الدين اطاع أولاً ثم تمرد وهذا يتفق مع قول صاحب الخطط (٢ ص ٢٢٧) : وعصي عليه الأمير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين وشيخ الاعراب سنة (٩٢٤هـ — ١٥١٨م) ثم هرب ، واتهم الامير زين الدين والامير قرقماز المعني والأمير علم الدين سليمان انهم من حزبه ؛ فقبض عليهم الغزالي وبعث برأس ابن الحنش الى السلطان سليم في حلب.

وكان الأمير ناصر الدين كثير العصيان على نواب حلب بل وعلى سلاطين مصر ولما ملك ابن عثمان دمشق امتنع عن مقابلته فاخذه الغزالي وقتله ثم حز رأسه».

السلطان سليم والشيعة

استعان السلطان سليم برجال الخفية فرفعوا اليه جدولاً باسماء رجال الشيعة في الولايات الآسيوية المحتلة وبلغ عددهم مع النساء والأولاد سبعين الفاً . فارسل جيشاً من

جنده الى حيث يقطن اولئك بقدر عدد نفوس الشيعة في الأماكن التي يقطنونها. ولما استقر قدمهم هناك صدر الأمر بغتة بالقبض على المتشيعين ثم قتلهم، فقتل منهم نحو اربعين الفاً وبقي الثلاثون الفاً يعذبون في السجون.

ومن الغرابة بمكان ان رجال عصره لقبوه بالعادل بالرغم مما أجراه من المذابح الشائنة، ومن اولئك سفراء الدول الاجنبية. ولعل سبب ذلك نشوء التعصب الذميم في ذلك العصر. فقد انتحلوا له عذراً بأنه انما فعل ذلك لشدة غيرته على المذهب السني، وانه اراد صيانة دولته من استفحال أمر الشيعة.

ان السلطان سليم كان متعصباً لمذهب السنة؛ وقد شغلته كراهيته للشيعة عن النصارى؛ لذلك لم يستنكف أن يعاهد الدول الأوروبية المسيحية في حين أنه كان خصماً لدوداً للشاه اسمعيل الصفوي ملك ايران لأنه شيعي (مجلة المباحث السنة ١٩ ص ٢٥٩).

سكان زحلة وحمص

جاء في مجلة الهلال المصرية السنة السادسة ص ٥٨٥ ما يلي:

«كانت مدينة زحلة حتى القرن السادس عشر مغارس وكروماً تابعة للكرك، على مسافة نصف ساعة منها. فلما قدم السلطان سليم الفاتح الى سورية وفتح حمص، نزح البعض من ضواحيها؛ ومنهم بيت الحاج شاهين، فنزلوا في مكان اسمه ترحين، هو الآن من أحواش زحلة (ضواحيها) فلما استتب الأمر للسلطان سليم جعل ترحين وقفاً على هذه العائلة.

وفي القرن السابع عشر قدمت عائلة من بعلبك يقال لها عائلة شحادة الخوري صعب فسكنت زحلة وبنت فيها كنيسة للروم الأرثوذكس على اسم السيدة مريم، لا تزال باقية الى الآن. ثم انتقل بيت الحاج شاهين من ترحين الى زحلة.

ثم أخذت هذه المدينة في الازدهار فنزحت اليها عائلات اخرى من جهات حمص والفرزل وبعلبك ومنها اسر مسلم ومعلوف وابو خاطر وغرة وجحى وبريدي وغيرها. وبعدئذ انتقلت اليها اسقفية الروم الارثوذكس من صيدنايا واسقفية الروم الكاثوليك من الفرزل».

تمرد الغزالي

لما توفي السلطان سليم وخلفه ابنه سليمان في ٣٠ ايلول سنة ١٥٢٠ سولت للغزالي نفسه الخروج على الدولة فجاهر بالعصيان وفاوض بعض امراء لبنان والعربان بذلك، فعاهدوه على متابعته كما أرسل الى امير مصر خيري بك يغريه على القيام معه ونزع سلطة العثمانيين عن مصر والشام استناداً الى حداثة سن السلطان سليمان، فلم يجبه على رسالته، بل أرسل كتابه هذا الى السلطان.

عندئذٍ ارسلت الدولة العثمانية فرهاد باشا على رأس ثمانية آلاف انكشاري الى الغزالي بالاضافة الى من انضم اليهم من قوات الأناضول ومعهم / ١٨ / مدفعاً. فداهموه وهو يحاصر مدينة حلب ليستولي عليها، فانكسر أمامهم وفر الى حماه، فتبعه الجيش العثماني، فهرب ثانية متجهاً الى دمشق وهدم وهو في طريقه قناطر الرستن على نهر العاصي. ولكن فرهاد باشا لم يبالِ بذلك بل اجتاز النهر وأدرك الغزالي في ضاحية دمشق وهناك جرت بين الفريقين المعركة الهائلة الفاصلة التي قتل فيها نحو عشرة آلاف نسمة. وذكر ابن أياس عند حديثه عن وقائع الغزالي أنه تخرب من جراء ذلك نحو ثلث دمشق من احياء واسواق وبيوت كما أصاب حلب وحماه وحمص من خراب القرى وهلاك الأنفس وذهاب الاموال الشيء الكثير. وذكر المقار: ان الغزالي استولى على دمشق وطرابلس وحمص وحماه وحلب؛ وخطب له في المسجد الاموي بأنه سلطان الحرمين الشريفين ولقب بالملك الاشرف.

واغتال الغزالي في وليمة اقامها، خمسة آلاف انكشاري جعلهم السلطان سليم حامية لدمشق؛ فلما دارت الدائرة عليه قتله خازن امواله ودفع برأسه الى القائد العثماني الذي أرسله الى السلطان سليمان مع الف اذن من رؤوس المقتولين (الخطط ٢ ص ٢٣٣)

الغلاء والجراد

في سنة (٩٢٦هـ — ١٥١٩م) زحف الجراد على بلاد الشام وأكل كل الفاكهة والحبوب فحصل من جراء ذلك غلاء عظيم لدرجة أن سعر شنبل الحنطة في طرابلس بلغ مئة دينار وفي جهات بيروت/ ١٥٠ / ديناراً.

وفي عام (٩٣٣هـ — ١٥٢٦م) عاد الجراد ثانية وكان مجيئه من ناحية الجنوب فغطى

أجواء جميع انحاء البلاد ما عدا بعلبك وعكار والتهم جميع المزروعات والنبات. ثم خرج الجراد الزاحف فأتى على جميع الاشجار وصار من جراء ذلك غلاء عظيم دام تسعة أشهر (الشهابي ص ٥٦٤ و٦٠٧)

الفقر في سورية

ظل اسياد المقاطعات في الدولة العثمانية، كما كانوا في أيام المماليك يضمنون الخراج مقابل اموال يتعهدون بتقديمها للدولة؛ ثم يأخذون بعد ذلك في انهاك قوى الأهلين بالضرائب حتى قيل فيهم: انهم كانوا يجردون اللحم عن العظم. وكانت حمص من حصة الامير مدلج بن ظاهر من آل جيار، وهو امير عرب الشام آنئذٍ. وكانت منازل قومه في سلمية وعانة والحديثة. وقد عانى الحمصيون وجيرانهم الأمرّين من قسوته وتحكمه وشدة تعسفه.

قال كرد علي في الخطط ٢ ص ٢٤٩: «تابع العثمانيون اعطاء لواء سلمية لامراء العرب. وامراؤهم هم عرب آل جيار؛ وهم قبيلتان آل حمد وآل محمد. ويمتد حكم الجميع الى جهات حلب والرقة».

وشغل سلاطين بني عثمان عن الرعية؛ بعضهم بفتوحاتهم وحروبهم، كالسلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦) ومحمد الثالث (١٥٩٥ — ١٦٠٣) واحمد الأول (١٦٠٣ — ١٦١٧م) ومراد الرابع (١٦٢٣ — ١٦٤٠م). والبعض الآخر بالملاهي والملذات والشبق.

وكان من قواعد العثمانيين المتبعة ان تولى امور البلاد الكبرى لولاة من الاتراك. واما المدن الصغرى، فيولى عليها ابناء البلاد. واذ كان الولاة يبتاعون مناصبهم بالمزاد في العاصمة؛ كانوا لا يتأخرون عن ارتكاب كل محرم وكل واسطة غير شريفة، لا للتعويض عما بذلوه فحسب؛ بل ليملأوا خزائنهم وخزائن من سلطوهم على أعناق ابناء الأمة.

وقد اعترف بهذه الحقيقة كتاب الترك انفسهم؛ والى القارىء ما قاله المؤرخ التركي جودت في تاريخه: «لما انتقلت الدولة العلية من البداوة الى الحضارة، لم يتدرج رجالها تدرجاً طبيعياً في ما بين الدورين، بل انغمسوا في دواعي الترف والبطر، فاضطروا أن يسددوا النفقات الطائلة بمال الرشوة وتلزيم البلاد واقطاعها بالرسوم الفاحشة، فضاق ذرع

الأهلين واضطر كثير من أهل الذمة أن يهجروا البلاد العثمانية الى الخارج » (الخطط ٢ ص ٢٣٥).

واذا كان قد تولى صدارة الدولة العثمانية في بعض الاحيان رجال على شيء من قوة الارادة وحسن الادارة وبعد النظر؛ فان كثيراً ما تولاها الندماء بل الطبالون والطباخون والمزينون والبساتنة وغيرهم من المقربين الى نساء القصر.

حمص تحت سلطة ابن عساف

من المصائب التي اسهمت في خراب البلاد الشامية : تناظر زعمائها. وبهذا التأثير وقع قتال سنة ١٥٢٨م بين اولاد شعيب واولاد سيفا أمير التركمان؛ اذ قتل علي الشعيبي في عرقه وبسط بنو سيفا سيطرتهم على بلاد عكار ثم قتلوا محمد آغا شعيب حاكم طرابلس امام القاضي الذي افتى ببراءتهم.

وفي عام ١٥٣٣ حدثت فتنة على أثر نزاع وقع بين مالك اليمني وهاشم العجمي من مشايخ العاقورة في لبنان. وكانت المناظرات شديدة بين الامراء المعنيين والعسافيين. فلما توفي الامير فخر الدين بن عثمان بن معن سنة ١٥٤٤م الذي حكم من حدود يافا الى طرابلس امتد حكم الامير منصور بن عساف من نهر الكلب الى حدود حمص وحماه، وقويت شكيمته بكثرة ما له ورجا له (الخطط ٢ ص ٢٣٨ والدبس ٧ ص ٢٩).

وخلاصة ما نترجم به سيرة الامير منصور المذكور آنفاً؛ ان عمه الامير عساف التركماني، كان احد الامراء الذين قابلوا السلطان سليم اثر فتحه بلاد الشام سنة ١٥١٧م فولاه كسروان وبلاد جبيل كما ولى الامير قرقماز بن يونس بن معن بلاد الشوف (الدبس ٧ ص ١٥).

وكان الامراء من آل عساف يسكنون عين شقيف في الصيف وعين طورة في الشتاء وكانت حاشيتهم تقيم في الازواق على ساحل البحر. فلما ولي عساف كسروان جعل مقامه في غزير. وكان له ثلاثة اولاد هم حسن وحسين وقتيبة.

ولما توفي الامير عساف سنة ١٥١٨م خلفه ابنه البكر حسن. ولكن حدثت فتنة بين الاخوة الثلاثة قتل فيها الحسن والحسين واستأثر بحكم كسروان الامير قتيبة الى أن توفي سنة ١٥٢٣م فخلفه ابن اخيه منصور الذي امتدت ولايته الى عكار.

ونظراً لعدم وجود نائب للسلطان في طرابلس فقد التزمها محمد آغا شعيب من اهالي عرقة ؛ وأخذ الامير منصور بلاد جبيل والبترون وجبة بشري والكورة والزاوية والضنية.

وفي عام ١٥٢٨م وقعت نفرة بين آل شعيب وبني سيفا امراء التركمان في عكار فهجر بنو سيفا بلادهم ولاذوا بحمى الامير قرقماز المعني في الباروك. وايد الأمير منصور بني سيفا بثلاثمائة رجل ففاجأوا بني شعيب في عرقة وقتلوا أكثرهم وتولوا حكم بلاد عكار. فحنق محمد آغا شعيب حاكم طرابلس على الأمير منصور وادعى عليه بمال. فارسل له الامير منصور بعض من يثق باخلاصهم لمحاسبته فاجتمعوا في جامع طليان بحضور القاضي، وابان المباحثة وثب معتمدو منصور على محمد آغا فقتلوه مع ابنه وتمكنوا من نيل صك البراءة من دمه من القاضي.

وفي سنة ١٥٣٢ م حاول حاكم البترون العصيان على الامير منصور فأرسل له هذا من فتك به.

وفي عام ١٥٣٣م وقع شجار بين مالك شيخ العاقورة من اليمنية وهاشم العجمي من القيسية فقتل الأول. فكتب نائب السلطنة للامير منصور ان يقتص من قاتلي مالك فأوفد منصور ابن عمه عبد المنعم لاتمام ما ينبغي عمله. وقسا هذا كثيراً في الاقتصاص من القيسية قسوة لم يقبل بها الامير منصور. وعلم عبد المنعم بالأمر فخاف النتيجة، وحاول التخلص بالتآمر على الامير منصور، وعندئذٍ اباح هذا لمريديه الفتك به فقتل عبد المنعم و/ ١١ / شخصاً من انسبائه واتباعه (الشهابي ص ٦١٠).

وفي سنة ١٥٤١ م تآمر عليه مقدم زوق مكاييل وعلم الامير منصور بما يحاك له فاستدعاه لمقابلته مع المتآمرين في غزير متظاهراً بعدم معرفته بمؤامرتهم. وهناك بسط لهم سماطاً؛ وإبان الطعام مزج دماءهم بمادة غذائهم.

وعلى هذا المنوال ظل نجم الامير منصور بن عساف يتألق ؛ وبلغ غايته اثر وفاة الامير فخر الدين المعني الأول سنة ١٥٥١ م ؛ اذ لم يبق ما يحول دون تبسطه ؛ فنال براءة سلطانية بولايته على البلاد الكائنة ما بين نهر الكلب وحماه. وكان يقوم هو بتنصيب العمال في هذه النواحي وانشأ لنفسه منزلاً في بيروت وآخر في جبيل وسراي في غزير بنى بجانبها مسجداً ومأذنة وحماماً وحديقة فسيحة واجرى الماء الى غزير من نبع المغارة.

وفي عام ١٥٧٩ م قدمت شكايات كثيرة الى الباب العالي بحق الامير منصور لقتله ابن شعيب حاكم طرابلس وامراء فتقا: فأمر السلطان مراد بتعيين يوسف باشا بن سيفا التركماني لكسر شوكة بني عساف. ولكن يوسف باشا المذكور تذكر أن الامير منصور أيدهم ابان محنتهم فتظاهر لأول وهلة بتعقب اتباع الامير منصور ولكنه أمنهم، بعد مدة وردهم الى بلادهم. ومات الامير منصور سنة ١٥٨٠ م وخلفه في ولايته بغزير ابنه الامير محمد (الشهابي ص ٦١٧).

الطاعون والغلاء:

في سنة ١٥٧٩ م أصيبت البلاد الشامية بوباء الطاعون وتعطل الناس عن اعمال الزراعة في حمص لشدة فتك هذا الوباء بالأهلين. ولذلك فقد اقحلت الاراضي وارتفعت الاسعار كثيراً وبلغ سعر شنبل القمح في اعمال نيابة طرابلس/ ١٥٠/ غرشاً وشنبل الحمص/ ١٤٠/ غرشاً وسعر قلة الزيت / ٣٤٠/ قرشاً (الدبس ٧ ص ٣٢).

حمص والجنود المشتية

في أيام السلطان سليم الثاني (٩٨٠هـ - ١٥٧٢م) وزّع القشلاق (أي العساكر المشتية) على بلاد الشام فنهب العسكر كثيراً من البلاد؛ ولا سيما لبنان وجواره، وسلبوا السائمة واسرفوا في الظلم. ونال حمص حظاً وافراً من شدتهم؛ وتمنى الناس الموت لشدة ما نالوه من طغيانهم.

ومن آثار ذلك العهد ابواب الدور الواطئة التي لا يزيد علوها عن متر اذ اضطر الأهلون أن يبنوها كذلك حتى لا يستطيع الجند المشتون أن يدخلوها مع دوابهم؛ بعد أن تحملوا من ظلمهم وتحكمهم ما لا يطاق (الخطط ٢ ص ٢٣٩).

سلب الخزينة:

في عام ١٥٨٤م وثب جماعة من اللصوص على حاملي الخزينة المنقولة من مصر الى الاستانة في جون عكار فانتهبوا المال وفروا به. عندئذٍ صدرت الاوامر الى جعفر باشا الطواشي والي طرابلس ان يجمع العسكر من ساحل البحر من صيدا الى حمص وأن يصادر يوسف باشا سيفا الذي كان قد عزل من طرابلس واقام في عكار. وهكذا فقد نهب

العسكر العثماني بلاد عكار واحرق الكثير من قراها ؛ ثم رفع جعفر باشا تقريراً الى السلطان يلقي فيه التهمة على الامير محمد بن منصور عساف وعلى امراء الدروز. فارسل السلطان، ابرهيم باشا والي مصر لتأديب المتطاولين عليه. وحضر هذا بجيش ضخم قطع به الطريق على الدروز، وقدم لمقابلته امراء الدروز ما عدا الامير قرقماز المعني فانه أبى تلبية الدعوة اذ سبق لوالي دمشق مصطفى باشا أن استدعى والده وغدر به، فاستاء ابرهيم باشا منه واحرق/ ٢٤/ قرية من قراه. وأثرت هذه الحوادث والمظالم في قرقماز فمات غماً في مخبئه (الشهابي ص ٦١٩ والدبس ٧ ص ٣٣).

وفي عام (٩٩٩ هـ — ١٥٩١ م) حاول الامير محمد عساف طرد يوسف باشا سيفا من عكار، فجمع الاخير رجاله وكمن له بين البترون والمسيلحة فقتله هناك وبدد عساكره. ولم يكن للأمير محمد ولد فانقرضت به دولة بني عساف الذين سكنوا غزير منذ عام ١٣٠٦ م بعد جلاء الصليبيين فكانت مدة ولايتهم هناك/ ٢٨٤/ سنة.

وفي هذه السنة بالذات، فشا استعمال التبغ في هذه البلاد فأرخه بعضهم بهذين البيتين:

سألوني عن الدخان وقالوا هل له في كتابنا ايماءُ
قلت ما فرط الكتاب بشيء ثم أرخت يوم تأتي السماءُ

أراد يوم تأتي السماء بدخان (والفاظ التاريخ سنة ٩٩٩ هـ.

وفي سنة ١٥٩٢ م امر قاضي الشام باقالة كل نواب المحاكم في البلاد الشامية فأغلقت ابواب المحاكم وضج الناس وتعطلت الأعمال فأغلقت الأسواق، وأصاب اهل حمص من ذلك شدة عظيمة (الخطط ٢ ص ٢٤٢).

جان بولاد وثورات ابنائه:

جان بولاد ومعنى اسمه «النفس الفولاذية»، هو ابن قاسم الكردي القصيري، كان امير لواء الاكراد في حلب. ولي حكومة المعرة وكلس واعزاز ؛ خلف ذرية كان لها شأنها في التاريخ ؛ منها ابنه حسين باشا الذي تولى منصب والده في كلس بعد وفاته، وعزله عنها اخوه حبيب بعد أن نشبت بينهما العداوة. ثم سجن حسين باشا في حلب لمالٍ سلطاني كان

عليه ؛ وبيعت املاكه وأمتعته بأبخس الاثمان ، ثم أطلق سراحه وولي كلس واعتصم بها ؛ فعزل وأبى تسليمها . وخشي اولو الأمر تمرده فتركوه وشأنه ، واكتفوا بمال كان يؤديه ؛ وهكذا كثر جنوده وتزايدت امواله . ولما توجه محمد باشا بن سنان باشا لمحاربة حسين باشا امير لواء الحبشة الخارج على الدولة ، سار معه ابن جان بولاد هذا .

وثار بكلس خارجي من السكمانية اسمه رستم فاستولى على المدينة وضبط اموالها وقت للحبشة الخارج على الدولة ، سار معه ابن جان بولاء هذا .

وثار بعكس خارجي من السكمانية اسمه رستم فاستولى على المدينة وضبط اموالها وقتل عسكرها وصادر اعيان أهل القرى .

واستعان نصوح باشا والي حلب بحسين باشا جانبولاد على العصاة ، فأعانه على خضد شوكتهم . وكان لعشائر حمص في هذه المعارك القدح المعلى (تاريخ حلب للطباخ ٣ ص ٢٢٣) ولا سيما الامير دندن بن أبي ريشه الحياري الذي طرد غجر محمد الى تدمر وشتت شمل انصاره .

ثم جرت احداث نمي على اثرها الى ابن جانبولاد ان نصوح باشا ينوي قتله . فجمع حسين باشا عساكره وهاجم نصوح باشا فهزمه . ثم وقع الصلح بينهما ؛ وخرج نصوح باشا بأمان من حلب كما استولى حسين باشا عليها . ولكن السردار سنان باشا امر بمهاجمة بلاد العجم وطلب من ابن جانبولاد مساعدته فتثاقل هذا عن المجيء اليه فنقم عليه حتى تمكن من قتله سنة (١٠١٤ هـ — ١٦٠٥ م) (البستاني ٧ ص ٥٠).

وما أن بلغ الأمير علياً خبر قتل عمه حسين باشا حتى غضب غضباً شديداً وشق عصا الطاعة على العثمانيين وجمع حوله عدداً كبيراً من السكمانية زاد عن العشرة آلاف ، وتعهد الامير يوسف بن سيفا صاحب عكار للسلطان بطرده من حلب ؛ ثم اخذ بجمع الجند من طرابلس ودمشق والتقى بابن جانبولاد قرب حماه فهزمه هذا واستولى على مخيمه، ثم ارسل عدداً من جنوده الى طرابلس فاستولوا عليها وضبطوا لابن جانبولاد اموال أهلها . ثم أخذ الامير علي جانبولاد يغزو الديار الشامية ويخرب مدنها ، فأصاب حمص من هذه المعارك أضرار كثيرة ؛ ولما عاد الى حلب قبّحت السلطة العثمانية فعله ولكنه انكر ما نسب اليه واحال الذنب على عسكر الشام . وأخذ بعدئذٍ بقطع الطرق على السابلة وقتل كل من يعرف أنه سائر الى العاصمة ، حتى هابه الناس وجزعوا من بطشه . وامتد حكمه من أضنه

شمالاً الى نواحي غزة جنوباً واضطر ابن سيفا أن يقبل بمصاهرته واتفق معه على أن تكون حمص تحت حكمه وأن تكون حماه وما وراءها الى الشمال لابن جانبولاد (الطباخ ٣ ص ٢٣٦).

قال النجم الغزي: «ان كافلي الشام وطرابلس دخلا على أهل حماه وحمص وأمرا أهلها باخلاء المدينتين؛ وكان ابن جانبولاد في اثرهما فدخل هو وعساكره حماه وحمص ونهبوهما كما نهبوا قراهما. واتفق كيوان رئيس سرية دمشق مع ابن معن على العصيان ومساعدة ابن جانبولاد فذهبا اليه واجتمعا به في الجولان قرب نهر البارد. ثم استولوا على بلاد حماه وحمص وعكار وجبلة واللاذقية والحصن وطرابلس وغزير وبيروت؛ ثم اجتمع ابن جانبولاد وابن معن وكيوان وحاصروا دمشق. وهكذا فقد انقطعت صلة السلطنة عن هذه الديار طيلة سنتين من الزمن (الخطط ٢ ص ٢٥٣).

عندئذٍ عهد السلطان العثماني الى مراد باشا قبوجي باخضاعه فجهز هذا حملة قوية اتجه بها نحو حلب فقابله جانبولاد ومعه / ٤٠ / الف جندي فهزمه مراد باشا وانتصر عليه فما كان منه الا أن قصد الاستانة ملتمساً عفو السلطان بواسطة داود باشا احد كبار الوزراء فعفي عنه.

وحدث في عام ١٦٠٨م ان فرقة من عرب آل جبار المعروفين باولاد أبي ريشة نفروا من العراق ووصلوا الى تدمر فانضم اليهم عدد من السكمانية الذين هربوا من وقعة علي جانبولاد؛ فعاثوا في تلك النواحي وقطعوا الطرقات على السابلة، وارسلت الدولة قوة من الجيش المصري؛ واشتبك الفريقان بقتال هائل انكسر في نهايته الجيش السلطاني، وأخذ العرب والسكمان يتعقبون الفارين بالبنادق والسيوف والرماح الى جهات دمشق واستولوا على قلعتي القسطل والقطيفة ونهبوا المعصرة وقتلوا من فيها من الرجال والنساء.

ولما تفاقم خطرهم قصدهم سنان باشا بالجيش الشامي وانضم اليه عرب المفارجة بقيادة زعيمهم عمرو بن جبير فادركوا السكمان والعرب في نواحي قلعة الطراني فقتلوا من السكمان نحو ثلاثمائة واعتقلوا نحو خمسين منهم دخلوا بهم الى دمشق وخازوق كل واحد منهم على كتفه، حيث اهلكوهم في اليوم الثاني، ثم وزعوا رممهم على احياء دمشق (البستاني ١٠ ص ١٠٠ والخطط ٢ ص ٢٥٥).

الفصل الحادي والعشرون

فخر الدين المعني



فخر الدين الثاني ١٥٧٢ – ١٦٣٥

هو فخر الدين الثاني بن قرقماز بن فخر الدين الأول من آل معن الذين يتصل نسبهم بربيعة بن نزار. وكان لهذه الاسرة شأن يذكر ابان الحروب الصليبية.

وقام من هذه الاسرة امير يسمى يوسف حكم في الشوف ثم توفي في اواخر القرن الخامس عشر وخلفه فخر الدين ابن أخيه عثمان فحالف الامير منصور الشهابي سنة ١٥٠٥ م. وفي معركة مرج دابق التي جرت بين سليم الأول العثماني والسلطان الغوري؛ كان فخر الدين المعني مع الغزالي. ولما قدم السلطان سليم الى دمشق؛ دخل عليه الامير فخر الدين ولفظ امامه دعاء نال استحسانه فثبته على امارته. ثم توفي فخر الدين سنة ١٥٤٤ م وخلفه ابنه قرقماز.

وفي عام ١٥٨٤ م حينما نهبت الخزينة السلطانية في جون عكار، طلب قائد الجيش السلطاني الغرماء من قرقماز فخاف واختبأ في مغارة تيرون القريبة من جزين حيث توفي هناك وولداه فخر الدين ويونس صغيران، فخبأتهما والدتهما الاميرة نسب عند الشيخ ابرهيم الخازن؛ وما أن زال الاضطراب حتى عاد الاميران الى اقطاعهما في الشوف.

وقد اشتهر كثيراً فخر الدين الثاني احد الولدين الذي كان مولده في الشوف سنة ١٥٧٢ م. وفي عام ١٥٩٨ جرت بينه وبين يوسف باشا سيفا معركة انتصر عليه فيها وتولى بيروت وكسروان مدة سنة واحدة ثم تركهما واكتفى بالشوف.

وفي سنة ١٦٠٥ م حدثت معركة ثانية بينه وبين يوسف باشا سيفا فاز فيها عليه أيضاً. وعين حاكماً لغزير من قبله يوسف الأسلماني.

ثم في سنة ١٦٠٦ م استنجد به كل من الامير يونس حرفوش والامير احمد الشهابي لصد مهاجمة احمد باشا حاكم دمشق فلبى طلب كل منهما على حدة وانتصر على احمد باشا.

وكان الامير فخر الدين أيضاً عوناً لعلي باشا جانبولاد عند محاربته يوسف باشا في أرض حماه. ولما غضب عليه مراد باشا بعد فوزه؛ استرضاه فخر الدين بأن أرسل اليه/ ٣٠٠/ الف غرش مع ابنه الامير علي فعفا عنه وانعم على ابنه علي بولاية صيدا وبيروت وغزير.

وفي عام ١٦٠٩ م وقعت فتنة بين مسلمي مجدل معوش فابتاع فخر الدين منهم القرية باثني عشر الف قرش، واسكنها للنصارى؛ وأقام فيها البطريرك الماروني يوحنا مخلوف الإهدني (١٦٠٩ — ١٦٣٣ م) مدة وبنى فيها داراً وكنيسة على اسم السيدة.

وفي سنة ١٦١١ م توفي مراد باشا فخلفه في الصدارة نصوح باشا، فقدم له فخر الدين هدية ونقوداً بغية استرضائه فقبلها ولكنه لم يبدِ البشاشة المعتادة فعرف فخر الدين أنه ما برح حاقداً عليه، لأنه ساعد يونس الحرفوش واحمد الشهابي ضد احمد باشا حاكم دمشق.

في عام ١٦١٢ م عزل احمد باشا الامير حمدان بن قانصوه عن ولاية عجلون ونابلس كما عزل أيضاً الشيخ عمرو — شيخ المفارجة — عن ولاية حوران فاستنجدوا بالامير فخر الدين فأنجدهما بثلاثة آلاف مقاتل يقودهم ابنه الامير علي؛ فاستظهروا على قوات احمد باشا وغنموا مواشيهم واموالهم واقر الاميرين على ولايتيهما.

عندئذٍ غضب السلطان العثماني وارسل النبي انكشاري واصدر امره الى ولاة الأناضول وحلب وطرابلس ان يؤيدوا نصوح باشا بقواتهم لاخضاع العصاة. وراع محازبي الامير فخر الدين الامر فاستسلم يونس الحرفوش واحمد الشهابي وحاكم وادي التيم. وحاول فخر الدين لأول وهلة الالتجاء الى البرية لمتابعة النضال؛ ولكنه لما عرف أن من اعانهم وساعدهم قد انقادوا الى خصومه، فضل المهاجرة من بلاده الى ايطاليا.

وفي عام ١٦١٣م عزل احمد باشا والي الشام وتولى مكانه جركس باشا ، فتمكن الامير علي المعني من استرضائه واصبح عوناً للحكومة على خصومها.

في سنة ١٦١٧ م عاد الامير فخر الدين من اوروبا بعد غياب خمس سنوات ، وبعد عودته بسنة حدث نزاع بين عمر باشا الكاتبجي والي طرابلس ويوسف باشا سيفا فاستنجد الأول فخر الدين ، فزحف هذا برجاله على ابن سيفا الذي فر واعتصم بحصن عكار فحاصرته القوة الزاحفة ، ولم ترفع الحصار عنه حتى أدى مئة الف غرش وكتب صكاً للأمير فخر الدين بمئة الف اخرى.

وفي سنة ١٦١٩م أعطى يوسف باشا حفيدته زوجة للأمير علي بن فخر الدين وكان ذلك توثيقاً لعهد التراضي بين الاسرتين ؛ ولكن في عام ١٦٢٠م حصل خلاف بين الامير فخر الدين وابن سيفا فهاجم الأول طرابلس وحاصرها وكان معه من السكان نحو/ ٨٠٠/ مقاتل ؛ فاستغاث يوسف باشا بسليمان باشا والي دمشق وبعرب حمص وتركمان البقيعة. وخرج فخر الدين لمقابلة القوات القادمة الى النهر البارد وهناك جرت معركة كبرى قتل فيها كثير من جنود الفريقين دون أن يكتب النصر فيها لأحد ؛ واثناء ذلك وصل الى الامير فخر الدين من الدولة العثمانية خلعة نفيسة وأمراً سامياً بطلب الكف عن مهاجمة ابن سيفا ؛ فوافق فخر الدين على الطلب وعاد الى بلاده.

وفي سنة ١٦٢٢م عزل عمر باشا عن ولاية طرابلس كما عزل ابن حرفوش عن حمص وتولى عليهما عمر بك بن يوسف باشا سيفا. وما هي الا فترة وجيزة حتى عاد عمر باشا فتولى طرابلس ، وعزل يوسف باشا سيفا واعطى سنجقية حماه لأحمد بك ابن شريدال وسنجقية جبلة لجعفر أفندي. وعين على سنجقية حمص الأمير حسين بن الامير يونس حرفوش بناء على طلب الأمير فخر الدين. ولم يطل الأمر حتى لبت الدولة ملتمس يوسف باشا وأعادته الى حكم طرابلس.

واضطر عمر باشا أن يتوجه بصحبة الأمير فخر الدين الى بيروت ومعه أحمد بك مأمور سنجقية حمص وحماه وجعفر أفندي مأمور سنجق جبلة (الشهابي ص ٦٧٨ و٦٧٩)

ثم وقعت نفرة شديدة في عام ١٦٢٣م بين الامير فخر الدين ومصطفى باشا والي دمشق ؛ فسير هذا الاخير قوة لمحاربة الأمير وساعده آل حرفوش وسيفا. ولكن فخر الدين انتصر عليهم جميعاً كما تفرق جيش مصطفى باشا ولم يبق حوله سوى عشرة من رجاله.

وحينما وصل اليه الأمير فخر الدين ورآه في هذا الوضع ؛ ترجل عن جواده ثم تقدم منه وقبل رداءه وأمر باكرامه واكرام رجاله معتذراً عما بدر منه نحوه . ثم أرسل عدداً من جنوده لخدمة الباشا حتى اوصلوه مكرماً الى قب الياس . وكان مصطفى باشا قد اعتذر للأمير فخر الدين عما صدر عنه بحقه أيضاً .

وفي السنة ذاتها حصلت معارك بين الأمير فخر الدين وبين عرب بني طربيه انتهت بالتراضي ، اذ دخل بشير قانصوه في طاعته فاقامه هذا نائباً لابنه حسين في بلاد عجنون كما اتفق مع سائر امراء العرب .

وتوفي يوسف باشا سيفا سنة ١٦٢٤م بعد أن استمر على ولايته طرابلس ٤٥ سنة (١٥٧٩ — ١٦٢٤م) ولكن هذه الولاية تقطعت اوزارها مراراً ، لا سيما في ايام سيطرة الامير فخر الدين . وتولى طرابلس بعده ابنه قاسم . ولكن فخر الدين جهز حملة اتجه فيها نحو بعلبك ثم الى جبة بشري ومنها الى طرابلس فدخلها . وامتدت أيدي رجاله الى نهبها طيلة / ٤٠ / يوماً ؛ حتى وصل اليها حاكم حلب ثم مصطفى باشا بن اسكندر موفداً من الصدر الأعظم احمد الحافظ والياً على طرابلس .

في عام ١٦٢٥م اقرت الدولة العثمانية الامير فخر الدين على ولاية بعلبك فثار الحرافشة ؛ وأخذوا يدسون عليه لوزراء الدولة . ثم تحزب قاسم والشيخ علي حمادة على والي طرابلس ؛ فاستنجد هذا بالأمير فخر الدين الذي حشد جيشاً ضخماً زحف به الى البقاع واللبوة والهرمل ففر سليمان بن سيفا الذي كان معتصماً بحصن صافيتا الى سلمية يلتمس مساعدة الأمير مديح ؛ وكان هذا مع الحافظ في حصار بغداد . فلما عاد الى سلميه قبض على سليمان والقاه في نهر الفرات . وعندئذٍ استسلم آل سيفا للامير فخر الدين فرضي عنهم ، وحال دون سطو والي طرابلس عليهم .

في عام ١٦٢٦ ، عزل الصدر الأعظم احمد باشا الحافظ وتولاها خليل باشا الذي وجه حملة قوية لمحاربة فخر الدين ، فاسترضاه الامير بهدايا ووعود طيبة ، فحول قواته الى بغداد لمحاربة العجم بعدما قتل حسين يونس الحرفوش .

وتولى الامير فخر الدين سنة ١٦٢٧م ايالة طرابلس فعني بها عناية حسنة من تشييد ابنية وغرس اشجار . ثم في عام ١٦٣٠ زحف على تدمر فاستولى عليها وضبط قلعتها ودعم اسوارها .

وفي سنة ١٦٣١ م جرت معركة بين الامير علي بن فخر الدين وبين ابن قانصوه واولاد بشير في جهات صفد فانتصر عليهم ، وبنى هناك مغارة الحمام وجعلها حصناً منيعاً . وبنى فخر الدين في بيروت سنة ١٦٣٢م برج الكشاف وخان الوحوش والحدائق الغناء.

وفي سنة ١٦٣٣ م كثرت الشكايات والوشايات على الامير المعني للدولة العثمانية ؛ فجرد عليه والي الشام حملة اخذت تنهب وتقتل وتحرق القرى في وادي التيم ؛ فأسرع الامير علي برجاله من صفد وباغت الجنود العثمانيين ليلاً فبغتوا وتفرقوا أيدي سبا وتتبع آثارهم الاميران قاسم وحسين الشهابيان مدة ساعتين ، ولما عادا وجدا الأمير علياً قتيلاً وبجانبه عصبة من رجاله فبكياه ودفناه في ذلك الموضع . وقد حزن عليه ابوه الامير فخر الدين حزناً شديداً لدرجة أن العزاء لم يدخل الى فؤاده حتى ساعة وفاته.

وغضب السلطان لما حصل فأصدر اوامره باهلاك آل معن ؛ فحضر جعفر باشا اميرال البحر بالاسطول العثماني الى طرابلس. وخيم الجند على الساحل وانضم اليهم آل سيفا وآل علم الدين ؛ وأتى كوجك أحمد والي دمشق الى صيدا باشارة من خليل باشا الصدر الأعظم ؛ ففر آل معن امام هذه القوات الهائلة كل الى جهة ولكن هذا العمل لم يفدهم لأن القوات العثمانية تفرقت في كل الأنحاء تحرق وتخرب وتنهب وتدمِّر وتقتل حتى اهتدت اخيراً الى مخبأ الامير فخر الدين فاعتقلته وساقته مع ابنائه الى الأستانة.

ولما مثل فخر الدين امام السلطان مراد دفع التهمة والملامة عن نفسه بأنه ما جمع الرجال الاّ بأمر الوزراء والنواب ؛ ولم يقاتل الا العصاة. وأن القلاع التي استولى علها منهم سلمها الى رجال الدولة. فقبل السلطان اعتذاره واحتجاجه وطيب خاطره.

غير أن الامير ملحم بن يونس المعني — ابن أخ فخر الدين — لم يعلم برضى السلطان على عمه ؛ لذلك بادر للانتقام من آل علم الدين لغدرهم بالمعنيين وانتصر عليهم في عدة معارك ؛ وقد ساعدهم في بعضها والي دمشق فخذلوا جميعاً. فشكا هذا للسلطان ما يقوم به الامير ملحم. فحنق السلطان وأمر بقتل الامير فخر الدين مع اولاده الذين كانوا معه في الاستانة سنة ١٦٣٤م ما عدا ابنه الصغير الامير حسين.

حمص وعرب الحيارى أو آل الحيار

اثناء وجود الامير فخر الدين المعني في اوروبا سنة ١٦١٥ م حدثت احداث كثيرة مع

عرب البادية المجاورة لمدينة حمص ندوّنها باختصار وفق ما وردت في تاريخ الامراء الشهابيين لأحمد الشهابي (ص ٦٤٧— ٧١٥).

في عام ١٦١٦م وعد الوزير العثماني بجلب ابن حرفوش بسنجقية حمص ووعد الامير حمدان بن قانصوه بسنجقية عجلون. ولما وصل الامير حمدان الى عجلون عاد اليها الشيخ عمرو ومعه أهله وأهل الامير حمدان من القفار.

ولما اعلموا الامير بشير ان اخاه حمدان قتل الامير يوسف رحل بعياله ونزل على الشيخ رشيد أمير عرب السردية في البلقاء ثم أرسلوا واستقصوا عمن يحيط بالأمير حمدان ولما لم يجدوا أحداً عنده باغتوه في الليل وهو مستغرق في النوم واحاطت الخيل بسرادقه من كل جهة. ولكن احداً منهم لم يجسر على الترجل عن جواده فعمدوا الى قطع اطناب الخيمة واسقطوها على الامير حمدان ثم بدأوا بتوجيه الطعنات بالرماح الى الخيمة. وسمع السكمان الصياح فهجموا على الامير بشير والشيخ رشيد وتمكنوا من ابعادهم وطردهم عن الخيمة ولما كشفوها وجدوا الامير حمدان مثخناً بالجراح وقد بقي بعد هذه الحادثة على قيد الحياة عشرة أيام ثم انتقل الى رحمة الله.

وقام الشيخ عمرو بمساعدة ابن الامير حمدان لتوليه مكان والده كما أن الوزير العثماني برَّ بوعده فأعطى الأمير يونس الحرفوش سنجقية حمص وتمّ ذلك في ربيع الأول سنة ١٦١٩.

وفي عام ١٦٢٢ لما اشتد النزاع بين يوسف باشا سيفا وابن أخيه سليمان وخشي الأول أن يؤيد الامير فخر الدين ابن اخيه؛ وسط الامير مدلج الحيارى بالصلح بينهما فقدم هذا من سلمية الى صافيتا واصلح بينهما.

وفي هذه السنة ايضاً وصلت رسائل من كرد حمزة مأمور سنجق حمص الى الامير فخر الدين يخبره فيها أنه اتفق مع عدة امراء سناجق لتملك جهات حلب وان عدد قواتهم يبلغ / ٢٠ / الف رجل؛ وهنا حصلت مشاجرة بين حزب الحاج كيوان وحزب كرد حمزة وسعى البعض بالمصالحة بينهما فلم يفلحوا. ثم حدث نفور بين الامير فخر الدين والامير يونس الحرفوش فاستنجد هذا بكرد حمزة لموافاته الى دمشق للتوسط لدى مصطفى باشا ليعطيه صفد مقابل ثلاثة آلاف غرش يدفعها زيادة عن المرتب عليها فأحال الباشا سنجقيتها اليه بواسطة كرد حمزة.

وحاول الامير فخر الدين الانتقام ممن آذوه ولكنه لما وصلته انباء اتفاق عمر بن سيفا متولي سنجق حمص مع الامير يونس الحرفوش وان الامير مصطفى حاكم الدريكيش قد جاء برجاله الى طرابلس ومعه الامير حسين الفياض وعربه ارتأى أنه من المناسب في الوقت الحاضر العودة الى بلاده.

وفي عام ١٦٢٣م حصلت معركة بين الامير فخر الدين ومصطفى باشا والي الشام كتب فيها النصر للأمير، كاد مصطفى باشا أن يقتل؛ ولكن الأمير أكرمه وقدم له فرسه فركب عليها — وقد اشرنا الى ذلك سابقاً —. وأما الامير يونس الحرفوش والامير عمر بن سيفا ورجالها وكرد حمزة وبلوكبا شيقه فلم يبيتوا الاّ في بعلبك. وفي الصباح توجه الامير يونس الحرفوش الى حصن اللبوة وابقى عياله في القلعة. وأما الأمير عمر وكرد حمزة فتوجها الى حمص. وضبط الامير فخر الدين جميع اراضي كرد حمزة في بعلبك. ولما بلغ الحرفوش وكرد حمزة دخول الامير فخر الدين الى بعلبك فرا الى حلب. وكان الأمير شلهوب الحرفوش قد عاد من حمص وقابل مصطفى باشا والأمير فخر الدين فطيبا خاطره وسمحا له أن يتصرف بأملاكه.

وعندما وصل مصطفى باشا الى بعلبك كتب الى وكيله في دمشق ان يلقي القبض على انكشارية كرد حمزة فنهض الأهالي وامسكوا أخاه كرد باكير مع خمسة بلوكباشية وخنقوهم؛ وفر جماعة من اتباعه الى حمص وحماه.

وفي هذه الأثناء رحل الامير حسين ابن عم الامير مدلج الحيارى الى عند مصطفى بك اليزيدي حاكم الدريكيش وتبعه جانب من عرب الأمير مدلج، فزوجه مصطفى بك بأخته. وأخذ الامير حسين منذئذٍ بمباغتة ابن عمه الامير مدلج ولكنه لم يستطع النيل منه؛ ودام على هذه الحالة حتى انحاز اليه معظم العرب.

عندئذٍ ارسل الامير مدلج يستنجد بالأمير فخر الدين على ابن عمه؛ فتوجه هذا للحال من بعلبك مع / ٥٠٢ / من رجاله السكمان ومثلهم من المشاة فبلغ رأس بعلبك ثم المدورة ثم مهين وهناك التقى بعرب من اتباع حسين فأخذ منهم نحو مئة جمل. ثم باغت تركمان السردية فأخذ منهم / ٥٠٠٠ / رأس غنم وأرسل الغنائم مع المشاة الى بعلبك وتابع فخر الدين سيره حتى وصل الى الامير مدلج فاستقبله هذا مع فرسانه بالترحاب وأخلى للأمير فخر الدين عدداً من البيوت انزله فيها مع جنوده. وفي اليوم التالي اقام لهم ضيافة

عظيمة واثناء الطعام قدم الامير فخر الدين للامير مدلج فرساً شهباء تدعى السعدا لا نظير لها بين الخيول الأصائل.

وفي اليوم الثالث رحلوا الى ما بين حمص وحماه حيث كان منزل الامير مدلج وباتوا هنالك تلك الليلة وعند الصباح بلغهم أن الامير حسين توجه فاراً الى جهات حلب.

ورأى الأمير مدلج أنه لا لزوم لمطاردته والوقت شتاء ؛ لذلك شكر الأمير فخر الدين الذي ودعه وعاد يقصد بلاده ، وبات فخر الدين تلك الليلة في مهين ثم انتقل الى صدد فالزراعة ومنها الى قاع بعلبك فاللبوة فبعلبك فوصلها يوم الأربعاء (الشهابي ص ٦٩٦).

بعد فترة وجيزة وصلت رسالة من الامير مدلج الى الامير فخر الدين يخبره فيها أن مراد باشا القى القبض على ابن عمه حسين بن فياض الحياري وقتله مقابل/ ٢٠٠٠/ غرش سبق لمدلج أن وعده بها.

وأرسل مدلج قوة لمباغتة عرب الامير حسين فاستولت على مواشيهم لأول وهلة ؛ ولكنهم ما برحوا أن ارتدوا على القوة المهاجمة فشتتوها واستعادوا مواشيهم ثم حملوا خيامهم وعائلاتهم ورحلوا متجهين الى منازل ناصر الدين المهنا في العراق. أما بقية الأعراب فقد اعلنت خضوعها للأمير مدلج.

وفي عام ١٦٢٤ م كان الامير سليمان بن سيفا في صافيتا ومعه نحو/ ٤٠٠/ رجل فلما بلغه خبر قدوم الامير فخر الدين لمحاربته ، اطلق جماعته وهرب الى سلمية ونزل على الامير مدلج الحياري. وكان هذا مع الوزير حافظ باشا لتخليص مدينة بغداد ولكنهم فشلوا وعاد الوزير الى ديار بكر وعاد الأمير مدلج الى سلمية. ولما عرف بنزول الامير سليمان بن سيفا في منازله ، قبض عليه وامر بالقائه في نهر الفرات لأنه كان خصماً لدوداً لصديقه الأمير فخر الدين المعني.

وفي عام ١٦٣٧ م اتفق الاميران عساف وملحم بن يونس المعني والامير مدلج الحياري وارسلوا رجالهم الى عكار فطردوا ابن علم الدين وابن سيفا وظلوا يطاردونهما حتى جبال الكلبية ، ثم رجع الامير ملحم الى الشوف والأمير عساف الى البقيعة والأمير مدلج الى منازله.

وفي هذا العام صار خصب عظيم فبيع شنبل القمح بثلاثين بارة ، وقلة الزيت بثلاث بارات (الشهابي ص ٧٢٤).

ابو رزق البشعلاني

تولى أبو رزق البشعلاني تدبير أمور ولاية طرابلس سنة ١٦٤٩ م تحت رعاية الوالي عمر باشا. ولما عزل هذا سنة ١٦٥١م وتولاها حسين باشا ابقى البشعلاني في مركزه فاتفق الأخير مع بعض ذوي النفوذ على آل حمادة الشيعة فثار هؤلاء مع مصطفى باشا الصهيوني الذي سبق له ادارة شؤون ولاية طرابلس، وتمكن من العودة الى مركزه وابعاد البشعلاني.

ولما عاد محمد باشا الأرناؤوطي الى إيالة طرابلس سنة ١٦٥٢م؛ سلم تدبير شؤونها الى الشيخ أبي رزق البشعلاني وسماه شيخ المشايخ وضربت له النوبة السلطانية. وشق هذا الأمر على بعض المتزمتين من المسلمين نظراً لأن أبا رزق نصراني فسعوا فيه لدى الوالي بوشاية كاذبة فأمر بالقبض عليه وعلى اولاده، وكبلهم بالقيود ثم أمر بنهب داره واستصفاء امواله. ولما توجه الوالي الى حماه ماراً بحمص أخذه معه ثم حاسبه واثبت أن له بذمته / ١٢ / الف غرش.

وفي عام ١٦٥٣ عزل الارناؤوطي وتولى حكم طرابلس قره حسن باشا قدم هذا الى حمص وحماه واعاد محاسبة البشعلاني وأثبت أن له عنده اربعة آلاف وخمسمئة غرش فدفعها عنه ابن الصهيوني وأخلي سبيله. ورغب عندئذٍ قره حسن باشا أن يفوض للبشعلاني تدبير شؤون الولاية كالسابق ولكن حدث أن وصل قبوجي باشا من الاستانة يحمل أمراً بقطع رأس البشعلاني. فأشار عليه قره حسن باشا وابن الصهيوني أن يسلم لينجو فأذعن لها وأظهر الاسلام واسترضوا القبوجي بألف غرش. عندئذ ولى قره حسن باشا أبا رزق البشعلاني على جبلة واللاذقية. وقبل أن يسير هذا الى مركز عمله أوصى أخاه أبا صعب أن يأخذ عياله ويتوجه بهم الى منطقة الأمير ملحم المعني ففعل هذا ما أشار به عليه أخوه؛ واستقر بصورة نهائية هناك مع أبنائه وأبناء أخيه وأحفادهما. (الدبس ٧ ص ٢١٤).

الطاعون والجراد والغلاء

في سنة ١٦٦١ نكبت الديار الشامية بوباء الطاعون فأصيبت مدن دمشق وحمص وحماه وحلب وبقية المدن بهذا الداء الفتاك اذ هلك الكثير من الاهلين. ثم قدم الجراد الطيار فحجب وجه الشمس ثم القى بذوره في الأرض وفقس فغطى وجهها ثم التهم الزيتون والتوت والكروم حتى إنه لم يبق عرق أخضر في جميع انحاء البلاد السورية ما عدا بساتين الشام.

ثم أنه في فصل الشتاء حدث برد شديد ومطر غزير وتراكمت الثلوج بصورة لم يسبق لها مثيل حتى تكسرت اغصان الأشجار من ثقله ، واشتد الغلاء والجوع ، وتعذر وجود الملح فبيع الفنجان منه ببارة . وتزايد ارتفاع الاسعار في آخر أيام الشتاء فبلغ ثمن غرارة القمح ثمانين غرشاً ثم ارتفع أيضاً الى أن بلغ سعر مد الطحين خمسة غروش ومات أناس كثيرون بتأثير الجوع ، وأكل الناس لحوم الحيوانات المائتة .

حينئذٍ أدركت احمد باشا الكوبرلي الصدر الاعظم في الاستانة رأفة بالناس ، فاستحضر قمحاً من مصر بكميات كبيرة فتنازلت الأسعار وبيعت آنئذٍ الغرارة الواحدة من القمح بثلاثين غرشاً ودام الغلاء على هذا المنوال حتى سنة ١٦٦٣ م (الشهابي ص ٧٣٣) .

كوكب غريب

في عام ١٦٦٤ م ظهر في السماء كوكب غريب يشبه السهم ، وهو يمتد بين الجنوب والغرب فتشاءمَ الناس من ظهوره ، اذ أصاب الاشجار تلف عظيم عطل مواسمها وتلا ذلك غلاء في الأسعار عم سائر انحاء البلاد وتبعه أيضاً انتشار الطاعون ثانية فأقفلت الاسواق في المدن واغلقت بيوت كثيرة لوفاة جميع ساكنيها . حتى قيل ان قاضي مدينة حلب ضبط عدد الأموات في بلاد الشام فبلغ /١٤٠/ ألفاً .

وعاد الوباء الى البلاد مرة أخرى في سنة ١٦٧٠م مما جعل الناس يتركون اعمالهم للاهتمام بدفن الاموات . وقيل إنه مات في ثلاثة أيام ثلاثة آلاف نسمة (الشهابي ص ٧٣٥) .

انخفاض الاسعار والنجم المذنب

في عام ١٦٧١ حدث هبوط عظيم في الاسعار وخاصة في اسعار المواد الغذائية حتى بيع في بلاد الشام اربعة أكيال من القمح — ما يعادل ٣٦٠ اقة — بغرش واحد ، كما بيعت غرارة الفول بغرش واحد أيضاً وبيع /٨/ أكياس كرسنة بغرش أيضاً ؛ كما بيع ستة أرطال — ١٨ كيلو — عسل بغرش واحد وكذلك /٣٠/ رطل جبن — ما يعادل /٩٠/ كيلو بغرش واحد أيضاً . وفي نواحي حمص وحماه لم يبلغ ثمن غرارة الشعير ما يعادل أجرة من يحصدها .

ومساء يوم الاربعاء المصادف ٨ تموز ١٦٧٥م انخسف القمر خسوفاً تاماً فأظلم الافق وظهرت النجوم. وبدا للعيان نجم ذو ذؤابة من جهة الغرب بتاريخ مساء الأحد في ١٢ كانون الأول من السنة نفسها؛ وفي مساء الاحد التالي ظهر المذنب نفسه وقد أخذ في الارتفاع من الغرب الى الشرق وكان ابان ارتفاعه يميل الى الجهة الجنوبية؛ وإثر غيابه ظهرت ذؤابة من جهة الغرب الشمالية، وقدر ارتفاع النجم كل ليلة بنصف ارتفاع الهلال وكان حد زاويته من الجهة الجنوبية كحد السيف بخلاف الطرف الشمالي. وأما رأس الزاوية فكان يبدو عريضاً في وسط السماء بمقدار ثلاث أو أربع مرات من قوس القزح دون أن يكون له نور ساطع؛ أما اسفله الملامس النجم فقد كان بقدر نصف عرض قوس القزح وفيه نور مشرق ساطع، ولما وصل النجم في ارتفاعه الى منتصف السماء في مدة شهر؛ اخذت ذؤابته تصغر بالتدريج حتى تلاشت نهائياً (الشهابي ص ٧٣٧).

الامير ملحم الظاهر ومظالم الحكام الاتراك

في سنة ١٦٨٠م القى والي حلب القبض على ملحم الظاهر امير العرب وارسله الى الباب العالي حيث قتل هناك وتولى امارة العرب بعده العباس.

وفي آخر هذه الحقبة من تاريخ حمص، اشتد الكرب والضيق، ووقعت اصطدامات بين الزعماء، وأخذ كل واحد منهم يحرق املاك خصمه ويفتك بكل من يمت اليه بصلة.

وفاق ظلم الحكام على شدة الزعماء. وكان الحاكم في حمص يثور لأدنى الأسباب؛ فاذا بدرت من احد المواطنين بادرة مهما كانت تافهة، امر برفعه على الخازوق. واذا غضب على امرأة، وضعها في كيس من خيش وغمرها بالكلس ثم يربط فم الكيس ويلقيها في نهر العاصي لتحترق وهي في الماء. وكان اذا سمع برجل عنده مال، سرعان ما يستقدمه اليه ويجبره على تقديم كمية من المال قد تكون كل ما عنده أو أكثر مما لديه؛ فاذا تمرمر أو تأخر عن تقديم ما طلب منه، كان جزاؤه الاعدام.

وأصبح الناس في حمص وكلهم فقير أو متظاهر بالفقر؛ ومن كان عنده مال دفنه في الأرض خوفاً من المصادرة. وكثيراً ما يموت الشخص، ويضيع ما له في الأرض لعدم معرفة ذويه بمكان الدفينة.

وأخذ الأهلون من شدة الظلم والجور والطغيان يهاجرون من مدينتهم الى حيث يتقون به الخطر المداهم.

وكان في عداد من غادروا مدينة حمص وهجروها في اواخر هذه الحقبة، الشيخ سعد اليازجي الجد الأعلى للشيخ ناصيف اليازجي الحمصي الذي عادرها حوالي عام ١٦٩٠ م وسكن بلدة كفرشيما في لبنان.

الفصل الثاني والعشرون

الرحالة الجغرافيون

من الذين اتصل بنا ذكرهم من جغرافيي هذه الحقبة وممن كتبوا عن مدينتنا حمص اربعة؛ نصف بايجاز سيرتهم وما نقل عنهم بشأنها.

١ — السائح بيليون:

هو سائح فرنسي، زار حمص سنة ١٥٤٧ م. وقد كتب عنها في رحلته، ما يستدل منه على أن القلعة كانت في أيامه عامرة وكذلك سور المدينة.

٢ — كوتوفيك

هو يوحنا كوتوفيك، سائح نمسوي، زار دمشق سنة ١٥٩٨ م؛ وقال عن القلمون المشرف على حمص ما يلي:

«ان هذا الجبل ينتج خمراً جيدة بيضاء وحمراء مشهورة، لها رائحة طيبة وطعم لذيذ فاخر، حالما تؤخذ منه جرعة، تعمل في المعدة، وتلج اليها رويداً رويداً وتشدد قوى الطبيعة. وقد ذقت هذه الخمرة أكثر من مرة في دمشق وحمص واحكم بأنها اجود بكثير من خمر كريت وقبرص وغيرهما. وقد هتف يوشع: يكون ذكرهم كخمر لبنان؛ أما أنا فأستطيع أن أهتف: يا لها من خمرة؛ جرعة منها تقبل النفس التي وقرها الحزن، والقلب

الذي ناء تحت المصيبة ، وأنها لتشددها إذا ما تمايلت وخارت (تاريخ لبنان لمارتين اليسوعي ١ ص ١٧٢).

٣ـــ حاجي خليفة

هو مصطفى بن عبد الله المعروف باسم حاجي خليفة ، صاحب كتاب : كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون ، ولد سنة ١٦٠٨ في القسطنطينية وتوفي فيها سنة ١٦٧٠م

صحب الصدر الأعظم محمد باشا الى حلب وحج من هناك فسمي عندئذٍ حاجي ، وتفرغ بعدئذٍ للعلم منذ أن كان معاوناً في مصلحة المؤونة فسمي خليفة ؛ ومن أشهر مؤلفاته : كتابه ، كشف الظنون المشار اليه أعلاه والذي روى فيه : ان عبد الصمد بن سعيد ألف كتاب تاريخ حمص (١ ص ٢٢٤) ولسنا نعلم اذا كان المذكور هو نفس الشخص الذي ورد بهذا الاسم في الاصابة (٢ ص ١٧٨) الذي نسب اليه هناك تأليف كتاب طبقات الحمصيين ، ولعله هو المقصود.

٤ ـــ أولياجلبي

هو محمد ظلي أفندي ، المعروف باسم أُولياجلبي (الولي الفاضل) ضابط ورحالة تركي ولد في القسطنطينية سنة ١٦١١م وتوفي سنة ١٦٧٩م. اولع بالسياحة وقد زار بلاد الشام سنة ١٦٤٨م صحبة الوزير مرتضى باشا الكرجي السلحدار ، المعين نائباً لبلاد الشام. وقد نقل المهندس المرحوم وصفي زكريا في كتابه : «جولة اثرية» ما ذكره اوليا في رحلته عن بلاد الشام.

وندون هنا ما قاله عن حمص (ص ٢٤ و٢٥) :

«ثم سرنا بعد الرستن في برار قفراء مدة ست ساعات الى أن وصلنا مدينة حمص.

وحمص مركز لواء يتبع ايالة طرابلس الشام وفيها اميرالاي ورئيس جند ورئيس مئة ؛ ولها ارباب زعامة. يبلغ عدد جندهم مع جند الباشا في أيام الحرب نحو الفين. وفيها شيخ اسلام ونقيب اشراف ومحتسب ونائب بلدة. ولوقوعها في وسط البرية فقد خرب الأعراب أكثر اعمالها. وقد دفن الحكماء والكهان في العصور الغابرة تحت أرض هذه المدينة القديمة

طلاسم ضد الحيوانات السامة كالحيات والعقارب وأمثالها؛ لهذا لم يبقَ لها من أثر فيها؛ وإن وجدت بالصدفة ولسعت الانسان، فإنه لا يكون لها أي تأثير.

واذا نقلت تربة حمص لأي مكان والصق قطعة منها على موضع لسع الحيات والعقارب وامثالها يزول اثرها باذن الله.

وسمعت من أهل حمص أن في أحد جوانبها مسجداً على بابه رخامة من المرمر، ونقش عليها صورة عجيبة الشكل، نصفها الأعلى كانسان ونصفها الأسفل كالعقرب. فاذا ألصقوا على الصورة عجينة يحصلون على مثال منها. وبعد جفاف العجينة، اذا القوا قطعة منها في النار وبخروا بدخانها الملسوع من العقرب، يزول عنه الألم. وقد تكرم الآغا محافظ القلعة عليَّ بخمسين درهماً منها، فحنطتها عندي. وبينما كنت ذات يوم أجول في ارمية من بلاد العجم لسع العقرب مملوكاً لي، فاسرعت لتبخيره بدخان تلك العجينة، فزال المه فوراً وسال من محل اللسع ماء اصفر.

وقلعة حمص مبنية على تل اصطناعي تبعد نحو خمسة آلاف خطوة عن نهر العاصي، ليس لها خندق، بل لها باب من الحديد متجه نحو الغرب. وفي داخلها بيوت يأوي اليها المحافظون من الجنود. وفيها عدد كافٍ من المدافع. ولما دخل مولانا مرتضى باشا الى حمص ضربت هذه المدافع اجلالاً له.

وقلاع حمص وحماه وحلب مبنية على تلال اصطناعية. ويأتي الماء الى حمص بساقية شقت من العاصي. وفي قلعة حمص جامع السلطان؛ وهو مسجد صغير لكنه معتبر ومقصود لاحتوائه على مصحف سيدنا عثمان بن عفان المكتوب بالخط الكوفي؛ يخرجون به أيام الاستسقاء في السنين التي تشح امطارها. وفيها مدارس وكتاتيب وتكايا وخانات وحمام واحد. ويأتي الماء الى هذا الحمام بواسطة ناعورة ركبت على نهر العاصي. وينسج في حمص من الحرير مناشف ومناديل وفوط وأكياس. وفيها كثير من قبور الصحابة.

ثم غادرنا حمص ووصلنا بعد ست ساعات الى خان يدعى ايكي قبولي (ذو البابين) وهو خان عظيم وسط البادية، يستوعب عشرة آلاف رأس من الخيل. وقد دعي ذا البابين لأن الغادين والصادين يدخلونه من باب ويخرجون من الباب الآخر. وفيها حصن وسطه يحتوي على عدد من الجنود يحرسون الطريق من اشقياء الاعراب. ثم سرنا ووجهتنا القبلة فوصلنا بعد سبع ساعات الى بلدة النبك.

حكام حمص

كانت حمص تتبع ايالة طرابلس في هذه الحقبة ؛ لذلك لم يكن حكام بصورة خاصة وانما كان يرسل اليها امير آلاي للحيلولة دون القلاقل والفتن. ولهذا فاننا نكتفي بتعريف أشهر من سيطر عليها من ولاة طرابلس.

لقد بلغ عدد باشاوات طرابلس في هذه الحقبة، نحو/ ٤٦/ باشا، أولهم ابن ادريس البوليسي سنة (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) وآخرهم حسين باشا سنة (١٠٩٩ هـ — ١٦٨٧ م).

ومن أشهر اولئك الحكام:

الأمير منصور عساف	سنة (٩٣٠ — ٩٥٦ هـ، ١٥٢٣ — ١٥٤٩ م)
يوسف باشا سيفا	سنة (٩٨٧ — ١٠٣٤ هـ، ١٥٧٩ — ١٦٢٤ م)
الأمير فخر الدين المعني الثاني	سنة (١٠٣٥ — ١٠٤٣ هـ، ١٦٢٥ — ١٦٣٣ م)
محمد باشا الأرناؤوطي	سنة (١٠٤٩ — ١٠٦٢ هـ، ١٦٣٩ — ١٦٥١ م)

هؤلاء الحكام ولا سيما الثلاثة الأول بسطوا سيطرتهم بصورة جازمة على مدينة حمص؛ وهم وان عزلوا عدة مرات الا أنهم كانوا يستخدمون وسائط شتى للعودة الى مناصبهم. على أن هذه الحركات والانقلابات لم تكن في مصلحة حمص مطلقاً، بل كثيراً ما أدت الى مضار ومصائب كثيرة لحقت بها.

وفي الفترة الاخيرة من هذه الحقبة اصابت حمص أضرار كثيرة بسبب الافتئان الذي كان يصدر من الامير درويش الجركسي المعروف بالمجنون والذي عين والياً على تدمر. فكان يغير على العربان وينهبهم ويأسر منهم بعضهم ثم يسير عائداً الى دمشق بمواكب حافلة (الخطط ٣ ص ٢٧٣). وكانت الاعراب تغتنم الفرص المناسبة للانتقام منه؛ ولكن بأية صورة؟ لقد كانت الاعراب تقطع الطرق على السابلة وتهاجم المدن الآهلة بالسكان فتأخذ منها ما تصل اليه أيديها؛ وكانت حمص مع الأسف الشديد أكثر المدن تعرضاً لغزواتهم.

ومع هذا فان مصائب البلاد الشامية وفي عدادها حمص خفت في أيام وزارتين

عثمانيتين اشتهرتا خلال هذه الحقبة ؛ أولاها وزارة صقلي محمد باشا وهو الوزير الحكيم الذي رافق ثلاثة سلاطين هم سليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث واستمرت وزارته طيلة / ١٦ / سنة (٩٧٠ — ٩٨٦ هـ ، ١٥٦٢ — ١٥٧٨ م) ولكنه مع كل ما قام به من جلائل الاعمال فانه مات متهماً. والوزارة الثانية هي وزارة كوبريللي باشا (١٠٢٦ — ١٠٦٦ هـ ، ١٦١٧ — ١٦٥٥ م) التي قام منها اربعة وزراء وطدوا دعائم الدولة العثمانية بعد أن أوشكت على الانهيار في عهد السلطان ابرهيم. ومنشىء هذه الاسرة هو محمد باشا كوبريللي الذي مع كونه كان امياً فقد أتى بأعمال بيضت بعض صفحات تاريخ رجال الترك السوداء. وخلفه في الحكم ابنه احمد فاضل باشا (١٠٧٢ — ١٠٨٧ هـ ، ١٦٦١ — ١٦٧٦ م) فقضى في الصدارة العظمى للدولة / ١٥ / سنة كان فيها مثال الحزم والنزاهة.

ثم خلفهما في الصدارة ؛ ولكن بعد فترة من الزمن — لأنه حل فيها غير أبناء تلك الاسرة — مصطفى بن محمد باشا (١١٠١ — ١١٠٣ هـ ، ١٦٨٩ — ١٦٩١ م) وحسين عموجه زاده (١١١٣ — ١١١٤ هـ ، ١٧٠١ — ١٧٠٢ م) وصح في هذه الاسرة ما قاله فيها احد المؤرخين الاوروبيين : «ان الوزير الأول منهم لقب بالكبير أو القاسي والتالي لقب بالسياسي والثالث بالصالح والرابع بالحكيم.

على أن تأثير هؤلاء الصدور العظام في انحاء الدولة كان ضئيلاً جداً ، لأنه لم يبلغ بلاد الشام بشكل واضح نظراً لبعدها عن العاصمة ؛ ولأن الولاة كانت لهم لامركزية واسعة ، بحيث كان يعمل كل واحد منهم بحسب ما يخطر بباله دون استشارة الباب العالي (الخطط ٢ ص ٢٧٢).

ولكن احمد فاضل باشا كوبريللي لما قدم والياً على الشام سنة (١٠٧١ هـ — ١٦٦٠ م) أصلح كثيراً من شؤونها المختلة وأوجد رهبة في قلوب ذوي الطغيان وجعل صيدا باشوية من ذلك الوقت حتى يرفع من قدر حكم العرب واعطاها الى علي باشا الدفتردار. ولكن عهد هذا الهدوء لم يطل. اذ أن احمد فاضل باشا لما انتدب للصدارة في القسطنطينية ، عاد الطغاة الى ما كانوا عله.

وبكلمة مختصرة موجزة : ان مرض البلاد الشامية كان واحداً وهو سوء الادارة وخراب العمران وضياع المال والرجال والماشية وهتك الأعراض. وانتهى القرن الحادي

عشر الهجري والبلاد السورية كلها هدف الرماة ؛ تصيبها مطامع الولاة والأمراء وارباب الاقطاعات ، حتى بيعت الارواح فيها بيع السماح ؛ لا فرق بين البوادي والحواضر.

ومن المحزن أن الأهلين كانوا ينتقلون من مواطنهم الى جهة أخرى ظناً منهم أنهم ينجون بأنفسهم فيها من دواعي البغي ؛ولكنهم لم يلبثوا أن يجدوا في الاماكن التي انتقلوا اليها من المغارم فوق ما ذاقوه من المظالم (الخطط ٣ ص ٢٧٣).

●

مشاهير الحمصيين
في
الحقبة السابعة

الذين عرفوا من الحمصيين خلال هذه الحقبة جلهم من رجال الدين الذين اشتهروا بالفقه والحديث واللغة والأدب. وقد ذكرت المصادر التي عنيت بشؤون تلك المواد اسماء الكثيرين منهم ولكننا في هذه العجالة نقتصر على تدوين اسماء اشهرهم واعلمهم :

١ — علي بن زهرة :

هو الشيخ نور الدين علي بن زهرة الحنبلي ؛قرأ عليه الشيخ علوان بن عطية الحموي المتوفى (٩٣٦ هـ — ١٥٢٩ م) عن ٦٣ سنة. وكان عالماً فقيهاً وورعاً تقياً (الكواكب السائرة)

٢ — ابن أبي الحياء :

هو محمد بن عبد القادر شمس الدين بن الشيخ أبي الحياء محي الدين الحمصي القادري الشافعي. ناب في الحكم في مدينة حلب وكان نزيهاً ورعاً. وذكر في كتاب (درر الحبيب ص ٤٧٧) انه كان حياً سنة (٩١٤ هـ — ١٥٠٨ م).

٣ــ عمر الشماع :

هو زين الدين عمر بن احمد بن علي بن محمود ؛ فقيه ، أثري ، اخباري ، من اصل حمصي ومن أهل حلب. رحل الى المدينة ومكة وبيت المقدس ودمشق وحمص وحماه وصفد والقاهرة وغيرها من المدن. وخلف عدد مؤلفات ، ولد سنة (٨٨٠ هـــ ١٤٧٥ م) وتوفي سنة (٩٣٦ هـــ ١٥٢٩ م).

٤ ــ القاضي شمس الدين :

هو محمد بن محمد شمس الدين ؛ الحمصي الأصل ؛ الحلبي المولد. كان والده احد الكتاب العدول في مدينة حلب ؛ وكان هو رئيساً لديوان اوقاف المقري الفخري. وكان حسن السمت ، جميل العمامة ، بهي الملبس ، متواضعاً كريماً. توفي في حلب سنة (٩٣٧ هـ ــ ١٥٣٠ م).

٥ــ الشرائحي :

هو بركات بن أبي كير الحمصي ، الملقب بالشرائحي ؛ زاهد ، صالح ، تقي ، ورع ، من رجال الله ، كان يتظاهر بالبلاهة والسذاجة. توفي بعد أن كف بصره سنة (٩٤٤ هـــ ١٥٣٧ م).

٦ــ ابن شجاع الحمصي :

هو خليل بن احمد بن الشيخ شهاب الدين الحمصي الأصل ، الحلبي المولد ويعرف بابن شجاع كما اشتهر أيضاً بابن النقيب. ولد في ١٠ محرم سنة (٩٠٠ هـــ ١٤٩٤ م) وتفقه في اللغة والفرائض والجبر وسواها من العلوم. ثم سافر الى القاهرة سائراً على قدميه من غير زاد بل كان يقتات من المناطق التي يحل فيها سنة (٩٢٤ هـــ ١٥١٨ م) وهناك توسع في دروسه وأضاف اليها الهندسة والموسيقى والطب والفلك.

ثم عاد الى حلب فدرس المنطق وقدم بعدئذٍ الى دمشق فتصدر في المسجد الاموي وانتفع به العديد من العلماء. ثم سافر الى بلاد الروم سعياً وراء زيادة معارفه وعلومه. وعاد الى دمشق ثانية سنة (٩٥٤ هـــ ١٥٤٧ م). ثم سافر الى مصر فالاستانة سنة (٩٦٥ هـــ ١٥٥٧ م) ، وتقرب من بعض كتاب الديوان السلطاني فاترى ، واستمر هنالك الى أن توفي

في القسطنطينية سنة (٩٧١هـ — ١٥٦٣م) (الكواكب السائرة والعقد المنظوم واعلام النبلاء للطباخ ٦ ص ٥٢ — ٥٨).

٧— **الحجازي :**

هو الشيخ اسمعيل بن عبد الحق بن محمد بن محمد بن احمد الحجازي، الحمصي الأصل، الدمشقي الموطن، الشافعي، القاضي الفاضل، الأديب الشاعر. ويعرف بالحجازي لمجاورة جده محمد بالحجاز. قرأ على العلامة فضل الله بن عيسى نزيل دمشق وأخذ فقه الشافعية عن الشرف الدمشقي. والطب عن جده محمد وغيره، ثم نقل الى الباب العالي وأصبح رئيس الأطباء.

كان فاضلاً، عالماً، طبيباً وشاعراً رقيق الحاشية، حسن الأسلوب، لين العشرة، لطيف المؤانسة، وله قصائد كثيرة مسبوكة الأبيات في قالب الرقة، جارية على وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام. ولهذا علقت بالقلوب ولطف مكانها عند أكثر الناس فحفظوها وتداولوها بينهم ومن أشهر منظوماته :

ورب عتاب بيننا جدد الهوى ... شهي بالفاظ ارق من السحر
وأحلى من الماء الزلال على الظما ... والطف من مر النسيم اذا يسري
عتاب سرقناه على غفلة الغوى ... وقد طرفت ايدي الهوى اعين الدهر
وقد اخذتنا نشوة من حديثه ... كأنا تعاطينا سلافاً من الخمر
ورحنا بحال ترتضيها نفوسنا ... وها أنا بين الصحو ما زلت والسكر

وله قصائد رائعة يجدها الراغب في معرفتها في كتاب المحبي. ولد سنة (٩٥٠هـ — ١٥٤٣م) وتوفي سنة (١٠٠١هـ — ١٥٩٢م) ودفن في دمشق بباب الصغير (المحبي ١ ص ٤٠٦ — ٤٠٨).

٨— **التركماني :**

هو احمد بن خليل بن علي التركماني، المعروف بابن الاطاسي. فاضل عالم؛ رحل الى حلب ولازم الشهاب الانطاكي صديق جده. ثم عاد الى حمص وازداد علمه، وولي التدريس فيها. وكلف بمراقبة وامامة مقام خالد بن الوليد. تزوج أخته مفتي دمشق عبد

الصمد العكاري ورافقه لما ذهب الى مدينة حلب سنة (٩٦١هـ — ١٥٥٣م) واعطي التدريس في مساجد دمشق؛ ثم منصب الافتاء بحمص، الذي لازمه حتى تاريخ وفاته سنة (١٠٠٤هـ — ١٥٩٥م) تسعين سنة.

٩ — ابن هلال:

هو محمد بن احمد بن شهاب الدين، الحمصي الأصل والمولد. نزح الى دمشق مع أهله وهو طفل؛ ففيه حنفي مشهور، برز في الفقه والأدب والمعقولات. وولي امامة السليمانية؛ ولم يكن في الشام بزمانه من هو اعلم منه بالفقه. وفيه يقول شيخه ابو الفتح المالكي:

ان الكتابة للفتاوى لم تجد أحداً سواك حل من اشكالها
جملتك مقلتها فيا انسانها أنت ابن مقلتها وابن هلالها

وتناظر مرة مع بعض المفتين بدمشق في مسألة فقهية، كان الحق بجانبه فيها، ورأى رده محب الدين القاضي جد المحبي فكتب عليها هذين البيتين:

أصبت يا بن هلال في الردود على من صار في جهله ناراً على علم
جردت سيفاً لجرح في مقاتله مرصعاً بيواقيت من الكلم

ولد محمد بن هلال سنة (٩٢٠هـ — ١٥١٤م) وتوفي في محرم سنة (١٠٠٤هـ — ١٥٩٥م) (خلاصة الأثر للمحبي ٣ ص ٣٤١).

١٠ — عبد الحي الصوفي:

هو عبد الحي بن محمود الحمصي المولد، الدمشقي الدار. حنفي، صوفي من اجلاء الفضلاء، طويل الباع في المعارف. كان في أول أمره من اتباع الشيخ أبي الوفاء بن الشيخ علوان؛ أحب طلب العلم فاستشار اباه فاشار عليه باستشارة شيخه أبي الوفاء؛ فأمره هذا أن يذهب الى موقف حماه فيجد مجذوباً، فيرشده الى ما يريده. وفعل عبد الحي ما أشار به عليه استاذه. ورأى المجذوب الذي صفق ونادى: حيي الله بلاد الشام. عندئذٍ توجه عبد الحي الى دمشق؛ وقرأ على العلامة العلاء بن عماد الدين والشهاب احمد الطيبي. ثم لازم ابا الفداء اسمعيل النابلسي، فبرع. ودرس العربية والتركية فأتقنهما. توفي سنة (١٠١٦هـ — ١٦٠٧م).

١١ــ عبد الحق حجازي :

هو عبد الحق بن محمد حجازي ، الحمصي الأصل ، الدمشقي الدار ، شافعي المذهب . ذكره عدد كبير من المنشئين والمؤرخين واثنوا عليه . كان جيد الفكرة ، لطيف المعاشرة ، غلبت عليه العلوم العقلية مع احاطته التامة بالعربية والأصول وكان طويل الباع في النظم والنثر . وله شعر كله نفاسة وحسن تخيل ، متين التركيب ومنه قصيدته الرائيّة التي يقول فيها :

بين جنبيَّ للتفرق نارُ   وبخديَّ للبكا أنهارُ
وبقلبي لواعج من شجون   هيجتها الاطلال والآثارُ
أربعٌ كن للاوانس مرعىً   وهي الآن للكوانس دارُ
نهبتها ايدي الروامس نهباً   مثلما تنهب العقول العقارُ

ولد عبد الحق سنة (٩٦٢هـ ــ ١٥٥٤م) وأصيب بالفالج مدة سنتين ثم توفي سنة (١٠٢٠هـ ــ ١٦١١م) .

١٢ــ الشيخ سعد الدين الجيباوي :

هو سعد الدين بن محمد بن حسين بن حسن الدمشقي الحمصي الجيباوي الشافعي احد مشايخ الصوفية . تولى مشيخة بيتهم بدمشق بعد وفاة اخيه محمد . وتصدى لتلقي الصوفيين والزوار بزاويتهم المعروفة بهم بمحلة القبيبات . وكان يقيم ميعاد الذكر يوم الجمعة بالجامع الاموي ؛ وعلت كلمته وعظمت حرمته ؛ وانشأ أملاكاً وعقارات كثيرة . وحج سنة ١٠٣٦ هـ فتوفي بمنى وحمل الى مكة ودفن بالمصلاة عند العرابي وكانت وفاته في ١٥ ذي الحجة (١٠٣٦هـ ــ ١٦٢٧م) (المحبي ٢ ص ٢٠٨) .

١٣ــ ياسين العلمي :

هو ياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ علم الحمصي المعروف بالعلمي ؛ نزيل مصر ، شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان .

ولد بحمص ورحل مع والده الى مصر ونشأ بها . وكان ذكياً حسن الفهم ، فبرع في العلوم العقلية وشارك في الأصول والفقه ؛ وتصدر في الازهر لتدريس العلوم ؛ ولازمه

افاضل عصره ، وشاع ذكره وبعد صيته . وكان حليماً متواضعاً . ألّف كتباً كثيرة ، وله منظومات عديدة ؛ وشعره جيد أكثره .

من مؤلفاته المطبوعة : ثلاث حواشٍ على شرح التوضيح ؛ وعلى مجيب الندا ، وعلى فتح الرحمن . وممن أخذ عنه علوم العربية العلامة عبد الباقي الزرقاني ، مرجع المالكية الشهيرة (١٠٢٠ — ١٠٩٩ هـ ، ١٦١١ — ١٦٨٧م) وابن عتيق الحمصي (١٠٢٠ — ١٠٨٨ هـ ، ١٦١١ — ١٦٧٧م) وعبد الرحيم بن أبي اللطف (١٠٣٧ — ١١٠٤هـ ، ١٦٢٧ — ١٦٩٢م).

وتوفي العلمي سنة (١٠٦١ هـ — ١٦٥٠م) (المرادي ٣ ص ٣ والمحبي ٤ ص ٤٩١ — ٤٩٢).

١٤ — احمد القلعي :

هو أحمد بن محمد القلعي ؛ حمصي المولد ، دمشقي الدار ؛ كان اماماً عالماً متبحراً في الفقه مع المام بغيره من العلوم ؛ يجتمع اليه الناس للاقتباس منه . وكان حسن التعلم ، جيد التفهم ؛ انتفع به خلق كثير . وأجلُّ من قرأ عليه الشيخ ابرهيم بن منصور الفتال .

جاء الى دمشق مع والده وهو صغير . وتوفي والده فجأة أبان دخولهم المدينة فمكث احمد فيها يقوم بخدمة موسى السيوري ، وقد لازمه مدة . ثم اشتغل بالعلم متمكناً منه بواسطة العلامة عمر القاري وسواه فمهر وتفوق على أترابه ؛ وأصبح أخيراً اماماً في قلعة دمشق حيث سكن ولذلك لقب بالقلعي وكانت وفاته حوالي سنة (١٠٦٧هـ — ١٦٥٦م)

١٥ — محمد الكوافي :

هو محمد بن بركات بن مفرج الحمصي الشهير بالكوافي ، الشافعي ؛ كان من العلماء الصلحاء ؛ قدم الى دمشق في أيام كهولته وقطن بالمدرسة الطبية بمحلة القيميرية مدة اربعين سنة ، وأخذ عن اجلاء العلماء واشتغل على جماعة من أهل العلم منهم الشيخ محمد بن عبد الله الخباز المعروف بالبطنيني فقرأ عليه القرآن والفقه وغيرهما . ووصل الى مصر خمس مرات وأخذ من علمائها . وكان صوفي المشرب قادري الطريقة . وكان اعيان دمشق يذهبون اليه

ويقصدون زيارته والتبرك به ؛ واستمر مقيماً بالمدرسة المذكورة أعلاه هذه المدة لا يخرج منها الا لصلاة الجمعة أو لأمر مهم جداً.

كان يقرأ القرآن والنحو وغيرهما ، وكتب بخطه الكثير من الكتب بمساعدة تلاميذه واتفق له من غرائب اعماله أنه أقرأ النحو واسمع القرآن وكتب الفقه في آن واحد. ومن اعماله المدهشة أنه كان يكتب صحيفة من الورق بغطة قلم واحد ؛ وختم القرآن ختمتين وثمة ختمة منه في يوم واحد. كما أنه كان ينظم الشعر ومن شعره قوله في التوسل :

رباه رباه أنت الله معتمدي ... في كل حال إذا حالت بي الحالُ
يا واسع اللطف قد قدمت معذرتي ... ان كان يغني عن التفصيل اجمال
ماذا أقول ومني كل معصية ... ومنك يا سيدي حلم وامهال
وما أكون وما قدري وما عملي ... في يوم توضع في الميزان اعمال

وكتب الكوافي الى بعض اصحابه :

وفوض لمولاك كل الامور ... فتفويض امرك خلق حسن
وان جاء يوم به شدة ... فلا تجزعن ولا تيأسنْ

وله غير ذلك شعر كثير.

كانت ولادة الكوافي سنة (١٠٠٥ هـ — ١٥٩٥ م) وتوفي ليلة الأحد في ٢٧ شوال سنة (١٠٩٦ هـ — ١٦٨٤ م) ودفن بمقبرة الشيخ ارسلان بدمشق. (خلاصة الأثر ٣ ص ٤٠٤) عن ٩١ سنة.

١٦ — ابن عتيق :

هو محمد بن عتيق الحمصي الشافعي ؛ نزيل مصر. شيخ فاضل ذكي ، حسن العبارة ؛ ذو دعابة لطيفة وطبع قويم. دخل القاهرة وهو شاب ، واشتغل بفنون العلوم. ومن أساتذته المرموقين ياسين بن زين الدين الحمصي — العلمي — وبرع في جميع الفنون وفاق اقرانه. وتمكن من حل كل المشكلات العلمية التي عرضت عليه واستعصى حلها على اقرانه ، وألف عدة رسائل في فنون شتي ، ثم صرف نظره عن العلم الى التجارة فنجح وأثرى.

وظل كذلك عشرين سنة ؛ ثم عاد الى تنقيح ما كتبه وتوفي سنة (١٠٨٨ هـ — ١٦٧٧ م) عن ٦٨ عاماً. ومما يؤثر عنه قوله مرة حين سأله احد أصدقائه : «ان أردت النجاة فعليك بالعلم ، فانه من أعظم دواعي الاستغفار ؛ واياك والتكلم باحد بسوء ، فان عليك رقيب أي رقيب».

١٧ — رجب الزجال :

هو رجب الحجازي الحريري الزجال. حمصي الأصل ، دمشقي المولد. كان صحيح النخيل ؛ ولكن غلب عليه الهجو في تخيله والازدراء حتى بنفسه ؛ جيد النقد للشعر مع جهله بقواعد العروض ، وزّان بالطبع. وله في الهجاء نوادر غريبة ؛ وله ازجال ورباعيات وموالد وموشحات وتواريخ وأحاجٍ لا تكلف فيها ؛ حتى إنه لينظم في ساعة مئة بيت.

كان قليل الحظ ، لذلك كثرت سياحاته ورحلاته فلم يستقر في مكان معين. واشتدت شكاواه وآلامه وأحاجيه وقل غزله.

ونذكر هنا قصيدته الفائية هي من أجمل شعره الغزلي ومطلعها :

فيض المدامع نار وجدي ما طفا   بل زدت منه تلهباً وتلهفا

وكذلك قصيدته الدالية التي مطلعها :

أبى القلب الا غراماً ووجدا   وطرفيَ الاَّ بكاءً وسهدا

وتوفي الزجال في حلب سنة (١٠٩١ هـ — ١٦٨٠).

١٨ — ابن القصير :

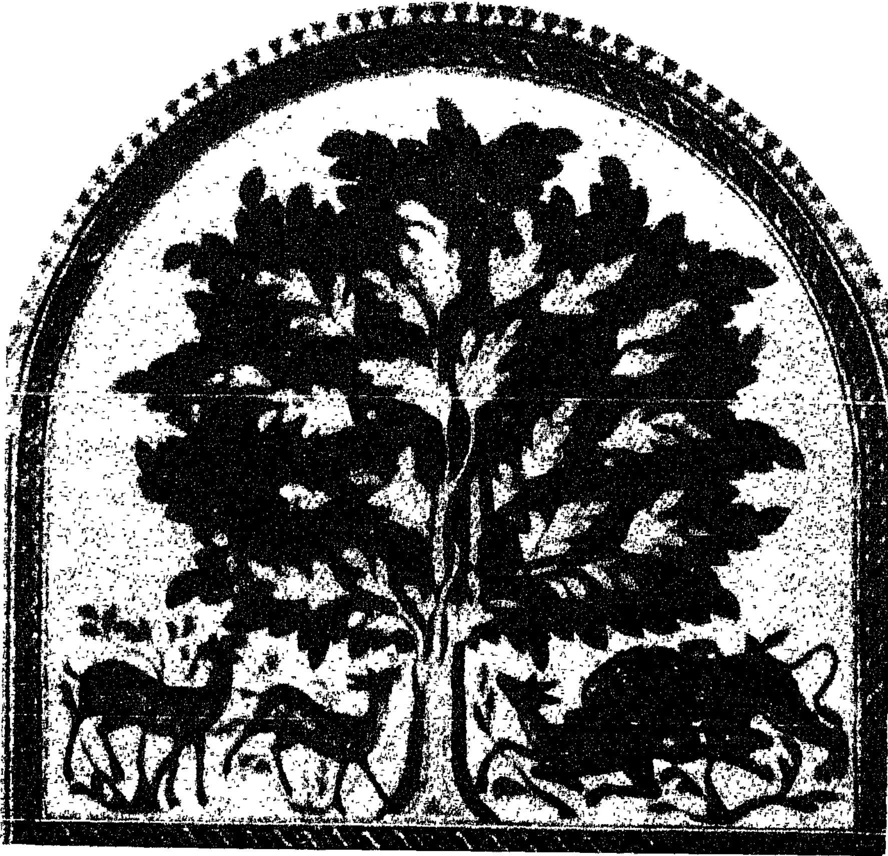
هو محمد بن ابرهيم الملقب شمس الدين الحمصي ؛ عظيم بلاده في سائر الفنون ، فاضل حسن التحرير ، ندي القلم. افتى بحمص على مذهب الشافعي نحواً من ٤٧ سنة. وله تآليف حسنة ؛ منها شرح منظومة الشيخ أبي بكر القاري في العقائد ، وشرح الغاية في الفقه. وله أجوبة عن أسئلة وجهت اليه في التفسير والفقه من حلب ودمشق في منتهى الدقة وحسن المعرفة. توفي ابن القصير في دمشق سنة (١٠٩٣ هـ — ١٦٨٢ م) عن ٨٢ عاماً (المحبي ٣ ص ٣٢١).

١٩ ــ ميخائيل حاتم الحمصي :

هو ميخائيل بن عبد الله حاتم الحمصي ؛ من نوابغ نصارى حمص في القرن السابع عشر الميلادي. له كتاب مدائح وقصائد محفوظ بين مخطوطات الأب بولس سباط تحت رقم/ ٣٠٠/ توفي في حمص ودفن فيها. ذكرته المجلة السورية لقرأ علي (٣ ص ١٥٢).

٢٠ ــ صنيع الله المحبي :

صنيع الله بن محمد المحبي ؛ هو عم المؤلف والمؤرخ المشهور ؛ تولى القضاء بحمص وكان نزيهاً وعالماً فقيهاً. توفي سنة (١٠٩٧هـ ــ ١٦٨٥م) عن ستين عاماً.



الحقبة الثامنة

وهي مدة تقهقر في تاريخ الدولة العثمانية
تبتدىء من أيام سليمان الثاني الى نهاية حكم عبد الحميد الأول
١١٠٠ـ ١٢٠٣هـ= ١٦٨٧ ـ ١٧٨٧م

الفصل الثالث والعشرون

تمهيد :

حاول بعض الصدور العظام في الدولة العثمانية انعاشها بعد الانحطاط الذي لحق بها والانحلال الظاهر في شتى ارجاء السلطنة ومن أشهرهم :

١ ـ مصطفى باشا كوبريللي بن محمد باشا الكبير (١١٠١ـ ١١٠٣هـ، ١٦٨٩ ـ ١٦٩١م) الذي توفي في ٧ آب سنة ١٦٩١م. اذ حاول هذا أن يبثّ النظام في الجند، تارة باللين وأخرى بالشدة ؛ كما أباح للمسيحيين بناء ما تهدم من كنائسهم وشدد العقوبة على من عارضهم في اقامة شعائرهم الدينية ؛ فاستمال بهذا العمل أهالي المورة الذين ثاروا على البنادقة وطردوهم من ديارهم لمحاولة هؤلاء اغراءهم على الكثلكة مفضلين الدخول في حمى الدولة العثمانية لعدم تعرضها لدياناتهم بخلاف اولئك (فريدريك ص ١٣٩).

٢ ـ عموجه زاده حسين باشا كوبريللي (١٦٩٧م) الذي لولا إنتصاره على الامير اوجين القائد النمسوي لكانت العاقبة وخيمة جداً على الدولة العثمانية التي خسرت بموجب معاهدة كرلوفتس في ٢٦ كانون الثاني ١٦٩٩ قسماً كبيراً من املاكها في اوروبا.

واهتم هذا الصدر باصلاح شؤون الدولة الداخلية ؛ فقوَّم ما اعوج منها، وشعر بعجز الأهالي عن تأدية الضرائب الثقيلة المترتبة عليهم، فرفع عنهم ما تأخر منها، ولا سيما

المسيحيين منهم ، حتى لا يجد المفسدون من نصراء الاجانب وسماسرتهم وسيلة لتدخلهم. وبعدما قام بواجبه على الوجه الأكمل استقال من الصدارة العظمى للدولة العثمانية في ٥ أيلول سنة ١٧٠٢م.

٣ــ الحاج محمد باشا ، الذي تمكن بحذقه وشجاعته من استرداد بعض ما فقدته الدولة العثمانية من الاراضي في ما سلف (١٧٣٦ــ ١٧٤٠م).

٤ــ محمد راغب باشا (١٧٦٢ــ ١٧٦٨) صاحب السفينة المشهورة ؛ هو ابن رجل من كتاب المالية. اجتهد في تحصيل العلوم والمعارف حتى نبغ فيها. وعين في عدة وظائف حسابية وكتابية مهمة في الجيوش المحاربة في بلاد العجم. ثم عاد الى الأستانة ، ووظف مأموراً لادارة الخراج ؛ ثم أنه بعد أن انتقل الى عدة وظائف اخرى دلت على ثقة الحكومة به واعتمادها على أمانته ؛ عين لوظيفة كاتب يد الصدارة ؛ فحضر المخابرات التي دارت مع مندوبي نادر شاه ملك العجم بشأن الصلح. وكذلك كانت له اليد الطولى في ابرام معاهدة بلغراد. وبعدئذٍ عين بوظيفة رئيس افندي التي تعادل الآن وظيفة وزير الخارجية. ثم عين والياً على مصر ، فولاية حلب وأخيراً عين صدراً اعظم سنة ١٧٦٢م واستمر في الصدارة ست سنوات حتى توفي في ٢٤ رمضان سنة (١١٧٦هـــ ١٧٦٨م).

ولمحمد راغب باشا هذا عدة تآليف مهمة في السياسة وله ديوان شعر مشهور ، وكان محباً للعلوم وتقدمها وأسس بالاستانة مدرسة عالية الحق بها مكتبة جمعت انفس الكتب وأندر المؤلفات.

احداث حمص في هذه الحقبة

من المعروف ان حكام حمص في هذه الحقبة يعودون الى اسرتين مشهورتين : احداهما آل سويدان التي تسلطت على المدينة في الشطر الأول من هذه الحقبة والثانية آل العظم التي سيطرت على المدينة في الشطر الثاني.

ومن الحوادث ذات الأهمية والتي كان لها أثرها في حمص خلال هذه الفترة الزمنية الانقلابات الحكومية والفتن الكثيرة التي حدثت بسبب تناظر ظاهر العمر وأبي الذهب وأحمد باشا الجزار مما سنلم به بعض الإلمام في أزمنته وحينه.

ونظراً لعدم وجود ما يروي الظمأ في التواريخ العامة عن حمص فقد عثرنا على مذكرات خطية وجدناها عند آل الوفائي لمؤلف لم تتحقق هويته فلجأنا اليها ودققنا في أحداثها ووجدنا أنها تتضمن وقائع جرت خلال/ ٣٥/ سنة (١١٠٠ــ ١١٣٥هـ ، ١٦٨٨ــ ١٧٢٢م) كذلك رأينا تعليقات خطية على بعض الاسفار الدينية المحفوظة في بعض المكتبات القديمة.

وهذا وان كان جهد المعتل الا أنه ليس مما يهمل. وقد تركنا لصاحب المذكرات التحدث بلغته وفق كتابة يده حرصاً على الصدق في رواية الاخبار المدونة ، وحسبنا من هذا العمل أننا مهدنا السبيل أمام من يأتي بعدنا ممن يهمهم زيادة التقصي والتعمق في دراسة تاريخ بلدنا العزيز.

أولاًــ مجريات أحداث حمص في الثلث الأول من هذه الحقبة نلخصه بامانة عن المذكرات الخطية المشار اليها أعلاه ونرتبها سنة فسنة:

ــ سنة (١١٠٠هــ ١٦٨٨م) في العشر الأول من جمادى الأولى احترقت قلعة شمسين.

ــ سنة (١١٠١هــ ١٦٨٩م) حضر في شهر محرم كاتب السلطان ونزل عند المنزلجي. وقد قاتل حمزة باشا تركمان الحزورية فقتل منهم عشرة وخسر من رجاله ثلاثة. وتولى مصطفى باشا الكوبريللي الصدارة العظمى. وحضر العرب السكمان يطالبون باطلاق سراح الشيخ طاهر من ابرهيم قصاب باشي.

ــ وفي سنة (١١٠٢هـ ــ١٦٩٠م) وفي ٢ محرم وردت قصيدة من الشيخ عبد الغني النابلسي يطلب السماح للشيخ محي الدين الحمصي أن ينشدها بحضرة سيدنا خالد بن الوليد؛ فتليت ووضعت في الجدار الغربي خلف الحجرة.

وفي ٢٥ صفر من هذه السنة هاجم الاعراب حمص وأخذوا الماشية.

وفي ١٠ ربيع الأول الموافق أول كانون الأول سنة ١٦٩٠ مرت بحمص الخزنة السلطانية ؛ وفي ٢٠ منه رافق أمين الصرة الى الأستانة الشيخ محمد المفتي والنقيب الشيخ عبد الرزاق والحاج ابرهيم قصاب باشي ليشكوا الى الوزير مصطفى باشا الكوبريللي ، ضيق حمص وسوء احوالها. وقد توفي هنالكــ أي في الأستانةــ الحاج ابرهيم قصاب باشي.

وفي ٩ شوال من هذه السنة وصل نبأ بوفاة السلطان سليمان وجلوس السلطان احمد على العرش.

— في سنة (١١٠٣هـ — ١٦٩١م) وبتاريخ ٣ محرم وصل الخبر باستشهاد الصدر الأعظم مصطفى باشا كوبريللي.

وفي صفر صدر القرار بتعيين مصطفى آغا حاكماً لحمص.

وفي ١٧ صفر مر بحمص سلطان التتر عادل كراي، اثناء عودته من الحج، ونزل في السراي مع علي آغا الشمسيني، وأخبروا الناس عما أصاب الحجاج في الطريق من القتل والنهب وسبي النساء.

وفي ٢٨ جمادى الأولى، جاء الباشا الشامي الجديد مع امير الحج؛ وبنيت قبة مأذنة جامع الزاوية.

في ٢ رجب من هذه السنة بنى الشيخ رمضان الجنينة تحت السور وبهذا العمل سد طريق المسلمين بغير مسوغ شرعي.

وفي ١١ شوال تعين ابرهيم آغا حاكماً على حمص.

— في ٢٣ صفر سنة (١١٠٤هـ — ١٦٩٢م)؛ زينت مدينة حمص اذ ولد للسلطان احمد توأمان. ووصلت خزنة المال السلطانية في طريقها الى الأستانة، فأرسل ابرهيم آغا الحاكم مال حمص البالغ زنة حملين من النقود مع الخزنة الى السلطان.

وفي شهر رمضان من هذه السنة بنى الحاكم ابرهيم آغا، الفرن الذي كان للحاج ابرهيم والشيخ حسين والد الشيخ باكير المفتي. وكذلك فقد بنى الشيخ عبد الغني المغربي مجرى الماء من حمام الامير علي، وصنع لها حجرية على الطريق بشكل قنطرة مرتفعة تمكن بواسطتها من ايصال المياه بصورة مستمرة الى مراحيض الجامع الكبير.

في ٢٥ ذي الحجة انتهى بناء فرن ابرهيم آغا وكذلك دكاكين الجامع الكبير التي انشأها الشيخ عبد الغني المغربي، والحمام الصغير الذي صب نحاسه وأجره الى الجامع الكبير.

— وفي ٨ محرم سنة (١١٠٥هـ — ١٦٩٣م) وصل الى حمص العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي وحل ضيفاً مكرماً في بيت المفتي.

وفي ٤ ربيع الأول من هذه السنة وصل الباشا الطرابلسي (ارسلان باشا المطرجي) ونزل مع حاشيته بين الطاحونتين في ضواحي المدينة. وفي اليوم التالي سافر الى حماه مع بطانته، كما رافقه حاكم حمص ابرهيم آغا. وعادوا منها في ١٦ ربيع الثاني. وقد أقر الباشا ابرهيم آغا على حاكمية المدينة.

في أول ربيع الثاني بدىء باسكان التركمان في منطقة حمص، وأجيز لهم بالفلاحة والزراعة والبناء.

في ٩ جمادى الأخرى من هذا العام ولد لابرهيم آغا غلام ذكر من زوجته خديجة بنت المفتي.

وفي ٨ رجب ورد خبر بعزل الباشا الظالم الطرابلسي.

كان أول رمضان يوم اثنين الموافق ١٦ نيسان؛ وكان المفتي في قرية الغنطو عند علي العدية يحضر وليمة عرس وطهور. واغتنم التركمان الفرصة وقاموا بأعمال منكرة؛ اذ اعتدوا على اعراض النساء اللائي تجلببن بالسواد وحضرن مستغيثات بمحمد باشا خال ابرهيم آغا؛ وهن باكيات معولات. فأرسل الباشا قوة تمكنت من القاء القبض على جماعة منهم فأمر بجلدهم؛ ثم صفد أرجلهم بالأغلال والزناجير وطرحهم في السجن.

وقبل نهاية شهر رمضان، ورد خبر بأن ضاهر بن عبد العزيز امير العرب القى القبض على علي العدية وشقيقه طعمة، فأهانهما ولم يطلق سراحهما الا بعد أن قدما له فدية مقدارها الف غرش.

وفي ٦ شوال من هذه السنة أيضاً مر بحمص والي جده قادماً من الاستانة وحل في السراي عند ابرهيم آغا.

— ويوم الجمعة الواقع في ١٢ رجب سنة (١١٠٦ هـ — ١٦٩٤ م) ورد نبأ يخبر عن وفاة السلطان احمد وتنصيب السلطان مصطفى مكانه.

وفي ١٧ شوال وصل الامر بتعيين ابرهيم آغا حاكماً لحمص بعد أن عزل ابن دندش الذي حكم المدينة مدة شهرين.

وفي ٥ ذي القعدة من هذه السنة ورد الأمر من السلطان مصطفى بضرورة اعادة كل ما سبق أخذه من الاقوات من بلد ما الى الأهلين ولأجل تحقيق هذا الأمر حضر الشيخ

ياسين نقيب حماه والقبوجي والقاضي اسعد أفندي ونزلوا في الجامع الكبير واجلسوا كل طائفة من الأهلين على حدة. ثم أخذوا بكتابة وتدوين ما أخذ منهم حتى يتمكنوا من اعادتها اليهم.

وفي هذه السنة أيضاً ارسل السلطان اختام الوزارة الى علي باشا وأناط الحكم مكانه على ايالة طرابلس الى مملوكه ارسلان باشا المطرجي.

وفي أوائل صفر سنة (١١٠٧ هـ — ١٦٩٥ م) وصل الى حمص عدد من أهالي مدينة حماه فارين منها لشدة ما عانوه من ظلم حاكمها وشدته في سفك الدماء والأسر والنهب بسبب. وبلا سبب.

في ٢٣ صفر، مرت بحمص خزنة المال السلطانية ورافقها الى الآستانة من حمص الشيخ سليمان السباعي؛ ثم ورد خبر من حماه أن اصلان باشا أخذ المال الذي أرسله ابرهيم آغا حاكم حمص الى الوزير؛ كما أنه أمسك ابن الدقر وكيل الحاكم وأخذ منه الرسائل الموجهة للوزير.

في ١٦ ربيع الأول من هذا العام انجز الشيخ عبد الغني المغربي بناء السوق الجديد وقهوة المعلقة.

وفي ٢٨ شعبان عاد الى حمص الشيخ سليمان السباعي من الاستانة بعد أن استمع الباب العالي الى تشكياته.

وفي اواخر شوال من هذه السنة وصل الأمر بتولية الشيخ عبد الغني المغربي على الجامع الكبير.

في ١٢ ذي الحجة عمل ابن الفشكة عراضة حدثت من جرائها مقتلة عظيمة، وقام الاشراف على أخ فياض بك، وانطلقوا من البلد الى طرابلس بقصد الشكوى عليه. ولكنهم ما لبثوا أن عادوا فتصالحوا معه بعد لأي والقي القبض على ابن الفشكة فاهين؛ ثم اطلق سراحه.

في اواخر ربيع الأول سنة (١١٠٨ هـ — ١٦٩٦م) طافت مياه نهر العاصي في حماه فجرفت معها الجمال والبغال والمواشي والرجال وهدمت البيوت. وبسبب كثرة الامطار الهاطلة فقد حدث مثل ذلك في دمشق والقطيفة من جراء السيول.

وفي منتصف ربيع الثاني مرت بحمص خزنة المال السلطانية وهي عبارة عن/ ١٨/ حملاً من الذهب.

في منتصف شهر شعبان، خرج الاشراف والمؤذنون والخطباء بالاعلام الى طرابلس لاستقبال اصلان باشا (نكس الله اعلامه لإهانته الفقراء والمساكين مدة حكمه — هكذا وردت في المذكرات). وفي هذا اليوم اجتمع الناس في بيت نوح بحضور القاضي والمفتي والنقيب وكبار النصارى وطلبوا من الناس محاربة الاكراد ورفع تعدياتهم. ومكثوا في اجتماعهم حتى الصباح.

في رمضان من هذه السنة جاء حيدر بن دندش حاكماً على حمص من قبل اصلان باشا (نسأل الله هلاك الأول وعزل الثاني — هكذا جاءت في المذكرات).

وفي ١٨ شوال عاد عبد الله آغا والمفتي والنقيب من طرابلس فائزين بعزل ابن دندش عن حاكمية حمص.

في ٩ ذي الحجة من هذه السنة بينما كان نقيب الاشراف يتناول الطعام مع اثنين من ندمائه، سقطوا موتى على المائدة لسبب مجهول.

وفي ٩ صفر سنة (١١٠٩ هـ — ١٦٩٧ م) ورد نبأ الى حمص عن نهب الحجيج وقتل الرجال. وقد سافر عدد كبير من بلاد جبلة ومصياد لملاقاة حجاجهم.

في أول ربيع الأول توفي النقيب بكداش السكاف.

وفي ٣ ربيع الثاني ورد نبأ بقتل الوزير وموت والي صيدا وانتصار السلطان مصطفى بعد مقتل الوزير (والحقيقة أن السلطان فشل بذلك ولكن العثمانيين اعتادوا أن يقلبوا الواقع).

في أول رمضان من هذه السنة جاء فرمان من السلطان يتضمن أن حمص وحماه صارتا لأمر خزندار الوزير مباشرة.

وفي ٢٠ ذي القعدة توفي في المدينة الشيخ حسن الاشرفي، الولي العابد، والزاهد العالم العامل.

وفي هذا العام انعم بامارة الحج على ارسلان باشا وتولى ايالة طرابلس قبلان باشا.

في ١٢ صفر سنة (١١١٠ هـ — ١٦٩٨ م) جاء درويش بك بن زكزك، وأخبر

الشيخ علي المفتي بما قام به عبد الله آغا الحاكم ووالده من قطع دابر الشقاوة في المنطقة وكيفية قبضه على قطاع الطرق وقتلهم على الخازوق.

وفي ١٠ جمادى الثانية مرت بحمص الخزنة السلطانية ورافقها الى الأستانة الحاج علي الاقرع وسليمان بن حرب.

وفي ١٨ جمادى الثانية أيضاً وردت الاوامر بتزيين المدينة لأن السلطان مصطفى ولد له غلام ذكر.

وفي ٢٣ منه هدمت قهوة المعلقة وبني الفرن الذي عند باب التكية.

في ١١ رمضان وصل الى حمص الشيخ عبد الجليل السباعي بعد أن أمضى في مصر سبع سنوات طلباً للعلم.

في آخر شهر رمضان من سنة (١١١١هـ — ١٦٩٩م) قتل بأمر من الحاكم يوسف آغا، احمد بن شعبان الخالدي، وقد ثار الاشراف ونقيبهم لهذا الامر، ثم زال سوء التفاهم بين الجميع وهدأت الاحوال.

وعاد الى حمص سليمان وطعمه ابنا حرب من الأستانة بعد أن مرا بطرابلس مع ابرهيم آغا وقابلا فيها اصلان باشا المطرجي. وبعدئذٍ توجه ابرهيم آغا الى دمشق لمقابلة قبلان باشا (الذي طلبه لمحاسبته) بعد أن أصبح اميراً للحج.

وفي ٥ ذي الحجة حدث شجار بين غلمان النقيب الجديد والنقيب المتوفى واشتكى الجميع الى الحاكم الذي أمر بضرب الشيخ علي الحموي الحداد وسجنه.

— في ٦ صفر سنة (١١١٢هـ — ١٧٠٠م) جاء الى حمص من الاستانة الشيخ رمضان حاملاً معه أمر تعيين الشيخ عبد الرحيم لنقابة الاشراف.

وفي اواخر شهر صفر وصل الى حمص قادماً من حسياء ابرهيم آغا وتوجه في صباح اليوم التالي الى حماه لمقابلة اصلان باشا والشيخ ياسين؛ فلم يجد الأول في حماه فتبعه الى بلدة بعرين؛ وأحسن الباشا استقباله وخلع عليه وعلى أولاده، ثم رافقه الى طرابلس.

وأثناء غيابه؛ قرر الحمصيون اغلاق ابواب المدينة في وجهه، وكتبوا عنه: انه رجل ظالم؛ كما قالوا أيضاً عن الشيخ علي ابن المفتي: انه رجل لا وظيفة له ولا خطابة ولا تدريس بل هو جاهل مفسد يجب اخراجه من المدينة مع كل من يتبعه (اهلك الله الثمامين — هكذا يقول صاحب المذكرات).

في ١٣ جمادى الثانية سقط سقف طاحونة الرستن. وكذلك في هذا اليوم فرّ أهل قرية البريج من وجه عرب الجبل وسكنوا حمص.

وفي ٩ ذي القعدة من هذه السنة توفي الشيخ علي شيخ الطريقة القادرية وهو عالم فاضل وعامل محقق.

في منتصف شهر ذي الحجة من هذا العام ورد نبأ بوفاة أصلان باشا وفيه أيضاً وصل الى حمص حمد العباس، وصل في قرية سيدنا خالد بن الوليد. وفي ١٨ منه تعين حسين العباس حاكماً لحمص.

— وفي ٢٤ جمادى الأولى سنة (١١١٤هـ — ١٧٠٢م) توفي الشيخ عبد الغني المغربي ودفن في زاوية وقف ام نصر. وفي ٢٩ منه جاء الامر بتعيين الشيخ علي الأتاسي على قضاء حمص بناء على رغبة قاضي حلب.

— في أول محرم سنة (١١١٥هـ — ١٧٠٣م) سقط الشيخ صالح بن احمد بن البرم؛ وهو الحسيب النسيب من المأذنة، عند أذان الفجر، وانتقل الى رحمة ربه بعد ثلاثة أيام. وتوجه اسمعيل بك وأمير الآلاي والسباهية الى طرابلس لمقابلة الباشا الجديد — ابرهيم باشا العظم — الذي حل مكان اصلان باشا.

وفي هذه الأيام سقط سقف الجامع الكبير الذي بناه الشيخ عبد الغني المغربي. واستولى الشيخ ياسين الحموي على كل الرخام الذي لمارستان حمص وقف نور الدين الشهيد.

في ٤ ربيع الأول انتقل الى رحمة الله نقيب الأشراف الشيخ عبد الرحيم بن عبد العال ابن البدوي.

في ٢٠ ربيع الثاني وردت الاخبار تنبيء عن جلوس السلطان احمد على العرش. وفيه بني جسر الدنكزية.

وفي ٨ جمادى الثانية من هذه السنة؛ صنع باب جديد لباب هود، كما بنى في ١٢ منه الشيخ علي الاتاسي سداً لطاحونة المزرعة؛ وكان معلم البناء من مدينة حماه. وفي ٢٨ منه جاء محمد باشا كرد أغالي ومعه من البقر النشام والغنم والمعزى ما لا يعلم عدده غير الله ونزل على ضفاف نهر العاصي.

في ١١ رجب توفي حيدر بن دندش حاكم حمص السابق. وفي ٢٢ منه توجه عبده آغا حاكم حمص الى الآستانة.

في ١٣ محرم سنة (١١١٦ هـ — ١٧٠٤ م) وصل الى المدينة متسلم حمص الجديد الذي عينه ابرهيم باشا.

في ٢ ربيع الأول من هذه السنة وصل الحجاج الحمصيون وابلغوا عما جرى معهم في الطريق وكيف أن عربان البادية سلبوهم اشياءهم واموالهم ثم أخذوا بعض الرجال كرهائن.

وفي ٧ جمادى الثانية سقطت القبة التي عند باب الحمام الجديد على الفعلة فقتلت اثنين منهم.

في أول ذي الحجة من هذا العام وصلت مياه الساقية الى المدينة. وبعد العيد بيومين تعين باكير آغا حاكماً على حمص بأمر من قبل والي طرابلس اسمعيل باشا وتسلم عمله.

— في ٦ صفر سنة (١١١٧ هـ — ١٧٠٥ م) سرت اشاعة ان ابن حافظ المدينة، عذَّب رجلاً عذاباً شديداً لدرجة ان هذا القى بنفسه لشدة ما عانى من العذاب في نهر العاصي ومات.

في ١١ ربيع الثاني من هذه السنة توفي الشيخ بركات السعدي، ودفن في مسجده الذي كان يصلي فيه غربي داره. وفيه أيضاً تزوج سليمان الذمي العطار الملقب بأبي عريضة.

— في أول صفر سنة (١١١٨ هـ — ١٧٠٦ م) وصل الخبر بعزل الوزير وتنصيب علي باشا والياً على طرابلس مكانه. وقد ألقي هذا القبض على علي آغا الحصين ووضعه في قلعة طرابلس.

وفي ١٠ ربيع الأول من هذه السنة توفي المعلم حرفوش الذمي المعماري المعروف.

وفي أول جمادى الأولى وصل من جسياء ابرهيم آغا لمقابلة حاكم حمص مقصود آغا ونزل في السراي واجرى مصالحته مع وجهاء المدينة. كما وصل اليها والي طرابلس ونزل على ضفاف العاصي.

ويوم الجمعة حضر امير الحج الشامي ومعه يوسف أفندي حاكم حمص السابق. وصادف هذا اليوم عيد الصليب عند النصارى (٤ أيلول شرقي ١٧٠٦ م)

في آخر شعبان سافر مقصود آغا الحاكم الى بيته في طرابلس ، وقبل سفره ارسل كاخيته محمد الى الأستانة ومعه عريضة من قاضي حمص ومن مقصود آغا نفسه يطلبان فيها توجيه الحاكمية الى ابرهيم آغا.

— وفي ١٤ محرم سنة (١١١٩ هـ — ١٧٠٧ م) وصل الى حمص قاضي حماه ومفتيها ونقيب اشرافها ونزلوا عند ابرهيم آغا الحاكم. وفيه بدأ الشيخ شهاب الدين بن عبد المعطي بناء مسجد سيدنا حسن البصري.

وفي ٢٠ محرم أيضاً توجه الحاكم ابرهيم آغا لمقابلة محمد باشا والي طرابلس الملقب بحفظ اوغلي الموجود في جبلة.

وفي ربيع الثاني مر بحمص والي الشام الجديد ونزل على ضفاف نهر العاصي وفي اليوم التالي توجه الى دمشق وبرفقته السيد سليم النافعي الزهراوي.

وفي ٢٧ رجب حضر سلام باشا ونزل عند فياض بك المتسلم بحمص.

في ١٨ شوال شاع خبر مقتل جماعة من أهل بعلبك بأمر حاكمها. وسافر أهل القتلى الى دمشق مارين بحمص ليشكوا أمرهم الى الباشا.

وفي أول ذي الحجة توفي محمد باشا والد عبد الله آغا وخال ابرهيم آغا في بلدة بعلبك. وفي هذا اليوم أخلي سبيل سليمان آغا وأخوه موصلي آغا من عند حمد العباس بواسطة محمد آغا بن سالم التركماني. وفيه أيضاً توفي مفتي طرابلس هبة الله ، كما سافر النقيب الشيخ عبد الرحيم الى حماه لمقابلة الشيخ ياسين الحموي. وسافر أيضاً فياض بك المتسلم الى طرابلس لمقابلة الباشا.

— في أول ربيع الثاني سنة (١١٢٠ هـ — ١٧٠٨ م) توجه القاضي والمفتي والنقيب وزعماء الاحياء الى حماه لمقابلة ابن قبلان باشا وعادوا ومعهم الأمر بتسليم حكم المدينة الى ابرهيم آغا وعزل فياض بك.

وفي ٢٣ منه المصادف أول تموز جمع ابرهيم آغا جنداً من بلدة قارة وتوجه بهم لمحاربة حمد العباس ورفع شره واذاه عن الناس ؛ وبعد أن انتصر عليه توجه مع جنده الى جهات حماه.

في آخر جمادى الأولى اسلم الذمي ابن المراش الملقب « فا المقصورة » فظهر أنه حرامي ،

وبانت لديه سرقات كثيرة. فان كان اسلامه صحيحاً، باطناً وظاهراً، فاننا نسأل الله أن يتوب عليه، وأن كان مبطناً خوفاً من العقاب فربنا يهلكه ويدمره (هكذا وردت في المذكرات الخطية).

وفي أول جمادى الثانية عزل عبد الله آغا وأخذ الحكم عنه فياض بك.

وفي الثالث من رجب وص ل الى حمص عثمان باشا والي الشام المعزول ونزل على ضفاف العاصي.

في ١٤ رجب جاء من حماه كل من فياض بك وعبد الله آغا وابرهيم الشلبي والشيخ عبد القادر الحموي مع آمر قلعة طرابلس لاجراء المحاسبة.

وفي أول شعبان حضر ابرهيم آغا مع عرب يوسف لاصلاح ذات البين بين طوائف التركمان واجراء التحقيق عن اسباب الفتنة والقتل، وأخذ الدية من البعض ودفعها الى الآخرين. وبعد ثلاثة أيام توجه ابرهيم آغا الى حماه بعد احلال الصلح.

في نصف شعبان ألقي القبض على الحاكم فياض بك ونقل الى حماه وأثناء سفره تمكن من الفرار. كما وصل الى حمص والي الشام ناصيف باشا ونزل بجوار نهر العاصي.

وفي ١٧ شوال من هذه السنة وصل ابن قبلان باشا متسلم حمص وحماه ونزل في السراي. وفي ذات اليوم وصلت خزنة المال السلطانية من مصر، وأرسلت الى السلطان احمد في الاستانة.

في ١٣ ذي القعدة الموافق ١٥ كانون الثاني سنة ١٧٠٩م سمع ابرهيم الجوخدار في منتصف الليل أصوات صراخ في منزل علاء الدين كوجك شيخ. فأفاق مع أهل الحي ودخلوا الدار، فوجدوا علاء الدين المذكور ملقى في البئر، وقد عري من ثيابه وربطت خصيتاه بخيط ورقبته بحبل. ولم يعرف السبب الداعي لهذا الاجراء. وكان الحاج احمد التركماني قد شاهده مساء ذلك اليوم.

وفي ١٩ ذي الحجة من هذه السنة امسك ابن عبود السقا وحلقت لحيته، وفيه أيضاً ورد الأمر باعادة فياض بك الى حاكمية حمص.

— في شهر محرم سنة (١١٢١هـ — ١٧٠٩م) نظمت عريضة ضد ابرهيم آغا وحملها المفتي والقاضي ونقيب الاشراف وعمر وابرهيم الشلبي وفياض بك وسواهم

وتوجهوا بها الى طرابلس للشكوى على ابرهيم آغا ، وفي نفس الوقت سافر هذا الى طرابلس ليرد عن نفسه ما جاء بحقه.

وفي ربيع الأول تزوج عثمان أفندي قاضي حمص ؛ ثم سافر مع المفتي ونقيب الاشراف الى حماه بناء على طلب محمد باشا والي طرابلس ؛ ثم عادوا بعد مدة وقد جاءت نقابة الاشراف الى عبد القادر بن عبد النافع.

وفي أول ربيع الثاني من هذه السنة جاء نبأ ينعي فيه ابرهيم آغا في حسيا — رحمه الله وعفا عنه وسلّط على من كان السبب في ذلك لينتقم الله من أهل الفساد (هكذا وردت في المذكرات) — وفي هذا اليوم أيضاً بدأ الشيخ منلا عمر التركماني ببناء الجنينة من السراي القديمة الى الملك المجاهد.

في ٦ جمادى الثانية وردت الاخبار عن فتك والي الشام بعرب كليب وعن اعتقاله الرجال والنساء والأولاد وبيعه لهم في دمشق بأبخس الأثمان وقد فر من نجا منهم لاثنذين بمحمد العباس في البادية.

وفي شهر رجب نزل وجهاء حماه الى طرابلس لمقابلة واليها محمد باشا واخباره عن المظالم التي ترتكب باسمه في مدينة حماه.

وفي هذا الشهر أيضاً توجه القاضي عثمان أفندي الى بلدة حسيا ليقسم تركة ابرهيم آغا بين أولاده.

في اواسط شهر رمضان جاء سليمان آغا بن ابرهيم آغا من بلدة حسيا ومعه عدد من الرجال بالعدد الكاملة الى حمص ؛ ثم حملوا معهم ما كان لأبيه من مفروشات ونحاس واثاث.

وفي ١٩ رمضان من هذه السنة اسر حسين العباس الحجاج والقضاة قبل وصولهم الى حماه.

وفي ٢٨ منه تصالح المفتي مع عبد الله آغا وابن سالم بك والتركمان وتزوج عبد الله آغا السيدة عجايب بنت ابرهيم آغا.

في ٩ شوال من هذا العام كان مجيء السلطان احمد الى حمص ونزل في بيت نجم الدين وبسبب قدومه الميمون فقد جلب الماء من نهر العاصي على نواعير بسعي مع الوزير المعظم المرافق للسلطان.

وفي شهر ذي القعدة حدثت مظالم وتعديات في زمن حكم ابن سالم بلك وابن شيخ السوق اللذين اقامهما والي طرابلس على حمص.

— في شهر محرم سنة (١١٢٢هـ — ١٧١٠م) اجتمع الاهلون عند القاضي لأجل اقفال السوق وقد فر اسمعيل بن شيخ السوق لكثرة مظالمه خوفاً من الناس. كما وصل المتسلم الجديد للمدينة والمرسل من قبل حاكم الرقة حسين باشا.

ووصل أيضاً الى المدينة سليمان آغا قادماً من حسيا ومعه ابن بنت المراسخي وسلمه الى متسلم حمص ونزل في ضيافة عبد القادر النافعي.

وفي هذا الشهر أيضاً (محرم) جاءت الساقية المجاهدية والمياه تتدفق فيها كالبحر العجاج.

في شهر صفر خرج المشايخ الجندلية وفقراؤهم الى مسجد سيدنا خالد بن الوليد. وخرج الشيخ عبد القدوس الى جهة العاصي. فالجنادلة ذهبوا بعد العصر الى سيدنا جعفر الطيار وعبد القدوس وجماعته نزلوا الى المدينة، واركب ابن السيد داود القصاب الفرس وامره أن يدوس على الرجال وهم مبطوحون على الأرض على وجوههم وهو يثور ويصيح ياشيخاه.

في ٨ ربيع الأول من هذه السنة عزل السيد عبد القادر عن نقابة الاشراف وخلفه السيد عبد الرحيم.

وفي شهر ربيع الثاني ورد الخبر بمقتل الوزير الأول وتعيين النعمان محله. كما استدعي والي طرابلس ليصير قائمقاماً.

في جمادى الثانية وصل الى حمص اسمعيل بن شيخ السوق وما أن علم الأهالي حتى ثاروا وتوجه وفد منهم الى طرابلس لمقابلة الباشا الوالي. وما أن علم اسمعيل بالأمر حتى فر تحت جنح الليل الى جهة مجهولة.

وفي شهر رجب من هذا العام ارسل يوسف باشا والي الرقة يطلب من أهالي حمص ثمن ذخيرة. وفيه أيضاً ورد خبر بعزل النعمان؛ وأخذ والي حلب ليعين وزيراً بدلاً عنه؛ فتوجه المفتي والنقيب ووجهاء البلد الى حماه لوداعه.

في ٢٠ محرم سنة (١١٢٣هـ — ١٧١١م) جاء الى حمص احمد العباس وبرفقته الشقي اسمعيل بن شيخ السوق، الرجل الظالم المجرم. وقد غضب لذلك اهل المدينة.

وفي أول شهر صفر وردت رسالة من الشيخ عبد الجليل ؛ فيها وصف لما عاناه الحجاج من برد وعواصف ويذكر فيها أن العرب سجنوا الحجاج ثلاثة أيام ؛ وأن نصوح باشا اضطر أن يدفع لهم كمية من المال لاخلاء سبيلهم. وفي الرسالة يقول أيضاً : ان الخبر بقتل نصوح باشا هو عار من الصحة.

في أول ربيع الأول حضر القاضي والمفتي ووجهاء المدينة الذين ذهبوا الى حماه لاستقبال اسمعيل الريحاوي الذي تعين حاكماً لحمص.

وفي ١٢ ربيع الأول أيضاً اعتقل المجرم اسمعيل بن شيخ السوق وختمت بيوته وسيق ليلاً الى حماه.

في ربيع الثاني وردت الأخبار عن وفاة فياض بك وعن دفنه في قلعة المضيق.

في ٤ جمادى الأولى من هذه السنة وصل الى حمص الشيخ اسمعيل الريحاوي ونزل على ضفاف نهر العاصي وتنازل عن حكم المدينة الى سليمان آغا سويدان. ولكنه ما لبث في أول رجب أن حضر فجأة ونزل في السراي ؛ وفي اليوم التالي قصد منازل التركمان ونهب غلالهم وحصلت بينه وبينهم معركة هائلة لم يجرِ لها مثيل من قبل ، فقتل كثيرون وغرق في نهر العاصي عدد لا يستهان به ، وحدث نهب وسلب ، وانهزم الشيخ اسمعيل امام خصومه وقد أصيب بجراح ثخينة اثناء ذلك فالتجأ الى منزل الشيخ علي الاتاسي حيث توفي ودفن في قرية سيدنا خالد بن الوليد. وكان الأهلون كباراً وصغاراً قد صعدوا على الأسوار والتلال والقصور والاماكن العالية لمشاهدة الاحداث والمعارك التي كانت تجري.

وفي ٢١ شوال قام التركمان بعد ظهر هذا اليوم بشغب شديد وذاع بين الناس أن التركمان اعادوا الحجاج الى الشام ؛ فقامت المدينة على قدم وساق واغلقت الاسواق وتراكض الفرسان بخيولهم على سقوف الاسواق.

وفي اواخر شوال ورد نبأ عن وفاة شيخ الاسلام ومفتي السلطان ؛ فأمر القاضي علي أفندي بمنع الأذان واغلاق المساجد وحظر دخولها على الساجد والراجع. وفي هذا الشهر أيضاً جاء شديد الناصر الى الهرمل فقتل الرجال ونهب المواشي ثم وصل الى حمص ونزل بالقرب من الصومعة ؛ فاغلقت أبواب المدينة وحدث تبادل بالرصاص ؛ وصعد الأهلون الى الأسوار والتلال لمشاهدة ما يجري. وطلب شديد المذكور من مفتي حمص وقاضيها ان

يحضرا لمقابلته فرفضا ؛ وظل هذا ينتظر الى ما بعد الظهر ؛ عندئذٍ غادر ضواحي المدينة ؛ كما انطلق سليمان آغا الحاكم ليلاً الى حسيا.

في ١٢ ذي القعدة من هذا العالم ١١٢٣ وجاء التركمان واستاقوا خيل عبد الله آغا. وكان التركمان فريقين ؛ الزعبلية والجاكيسية. فلما أخذ الأولون ودائعهم في حمص تصدى لهم الآخرون عند الشيخ سليمان، فقرأ هؤلاء الفاتحة وصاحوا: الله أكبر، ثم حملوا وهم على ظهور خيولهم على خصومهم. وجرت بين الفريقين معركة هائلة تبادلا فيها اطلاق الرصاص كما استعمل الفريقان أيضاً السلاح الأبيض حتى اظلم الليل. وقد قتل اثناء هذه المعركة ابن الجاكيس واثنان آخران معه. وأرسل والي طرابلس متسلماً جديداً للمدينة لتدارك ما حصل. ولكن المتسلم الجديد وصل بعد انتهاء المعركة وشاهد آثارها المحزنة.

وفي شهر ذي الحجة، توجه المفتي وبرفقته ابرهيم شلبي الى مدينة طرابلس لمقابلة الباشا الوالي ومباحثته بشأن سليمان آغا الحاكم واموال حمص التي استولى عليها.

في الثاني من محرم سنة (١١٢٤ هـ — ١٧١٢ م) وصل نبأ الى المدينة بأن والي طرابلس اعتقل المفتي علي الأتاسي ومرافقه ابرهيم الشلبي واوثقهما بالجنازير. كما عرفنا أن السيد بن مصطفى بن الصياد والشيخ علي بن كرامة، خاطبا الباشا بشأنهما، ولكنه تجاهل ما حدث، ثم أخلى سبيلهما في الخامس من هذا الشهر.

وفي شهر صفر اوفد قره محمد باشا والي طرابلس، متسلماً جديداً لمدينة حمص وكان برفقته نقيب طرابلس.

في شهر ربيع الثاني من هذه السنة حدثت معارك هائلة بين فريقي التركمان فقتل الوالي عمر، كما قتل عدد آخر من الناس. وقد تهدم من جراء ذلك حائط الجنينة في التكية وجانباً من السور.

في ٢٠ ربيع الأول وقع عيد النصارى في ٥ نيسان. وقد اقفلت فيه الاسواق وابواب المدينة نظراً لقدوم الشيخ حمد العباس.

وفي ٢٣ من هذا الشهر بنيت ناعورة في التكية لايصال المياه الى الجامع الكبير.

في أول ربيع الثاني قتل الشيخ احمد الاشرفي تقطيعاً، حتى انهم حملوه في قناعة الى المدفن ؛ وثبت على ابنة شاروط انها اعانت على قتله فنفيت من المدينة.

وفي جمادى الثانية نزل عرب يوسف ومن معه من التركمان في منطقة الميدان خوفاً من حمد العباس. وفيه صدرت الاوامر من الباشا والي طرابلس الى عرب يوسف لمحاربة حمد العباس.

في شهر شوال من هذا العام توفي السيد عرب يوسف ودفن عند قبة يونس، ثم بوشر ببناء قبة على ضريحه.

وفي شهر ذي القعدة جاء شيخ افندي من حماه واستولى على الغنم والبقر والحمير فقامت في المدينة حركة تمرد ونضال أدت الى غرق كثيرين في نهر العاصي. واقفلت ابواب المدينة وتعالت أصوات النحيب والبكاء في كل الارجاء.

في شهر ذي الحجة جمع الأهلون مالاً لارسال موفد من قبلهم الى الأستانة ليعرض على الباب العالي ما صارت اليه حالة المدينة والناس من الضيق والبؤس، وما عانته من جور الحكام المتعاقبين.

— في اليوم الثاني من شهر محرم سنة (١١٢٦هـ— ١٧١٤م) حدثت في المدينة ضجة عظيمة، اذ سمعت اصوات طلقات نارية طيلة الليل. وكان الصياح يصمّ الآذان؛ فتوجه الحاكم الى طرابلس لمقابلة الباشا بعد أن سلم وكالته الى عبد الله آغا.

وفي ٦ منه صعد المؤذنون الى المآذن والأماكن المرتفعة ودعوا الناس الى الخروج من منازلهم لمشاهدة رأس نصوح باشا والي دمشق السابق الذي قتل بأمر من السلطان.

وفي ٢٢ منه ارسل والي طرابلس، متسلماً جديداً للمدينة. وفي هذه الأثناء وصل الى حمص افواج جديدة من العسكر، دون أن نعرف لذلك سبباً. وبعدئذٍ جاء كاخية يوسف باشا من دمشق ومعه بعض فضيقوا الخناق على الضعفاء والفقراء، لأجل الأستيلاء على الشعير.

وبعد بضعة أيام وصل الى حمص قره محمد باشا والي الشام، ثم سافر الى أدرنة. وجاء بعده طوبال يوسف باشا والي الرقة، فهدم الاسواق وكسر الابواب ودخل المنازل والبيوت واستولى على ما فيها من مؤونة ومن شعير وبرغل. وقد قاسى الناس من جراء ذلك عناءً شديداً.

وفي ٢٣ ربيع الأول الموافق ٢ نيسان كان عيد الكبير عند النصارى، وصار الذكر في

جامع آل طليمات حسب العادة. وفي هذا اليوم وصل الى حمص ابن دندش الذي تعين حاكماً لها.

في جمادى الأولى اعدم حسين آغا دندش الحاكم، رجلاً من قطاع الطرق بوضعه على الخازوق، ثم قطع رأسه ووضعه على جدار التكية؛ كما وضع الجثة على تل الصمد ارهاباً للمجرمين.

وفي جمادى الثانية من هذا العام أمر القاضي الشرعي بتلاوة سورة الدخان في المآذن لرفع البلاء عن الناس بسبب انقطاع الفحم والحطب. وفيه قام الاهلون وأخرجوا المفتي والقاضي والنقيب ووجهاء النصارى وأهل الحرف الى ضفة نهر العاصي لمقابلة الباشا والي طرابلس. وقد اغلقت الاسواق والجوامع والكنائس وبطل الأذان والصلاة فيها طيلة يومين كاملين حتى خرج حسين آغا دندش الحاكم من المدينة.

في شهر صفر سنة (١١٢٧هـ — ١٧٢٤م) سلب شيخ العرب من حاكم حمص حسين آغا دندش ما معه من المال وأخذ غنم قبيلته. وخسر ابن القصير من غنمه وخيله ما يوازي مقداره زنة ثلاثة أكياس.

في أول جمادى الأولى وصلت الى حمص عدة عربات تحمل الحنطة والزيت هدية من الباشا ابن العظم لمساعدة الفقراء والمحتاجين من أبناء مختلف الطوائف بحمص (زاده الله من فضله).

وفي جمادى الثانية حضر الى حمص ابن والي طرابلس ونزل في السراي ثم زار قبور الصحابة وصنع ثوب جوخ لضريح سيدنا خالد بن الوليد؛ وتبرع بثلاثين غرشاً لأجل بناء مغارة الجامع النوري الكبير.

في شهر رجب وصل الأمر بتعيين حمد العباس حاكماً على حمص.

وفي شهر شعبان حدثت معركة بين أبناء الغوصي وحزب منلاعمر وعمت الفوضى المدينة؛ وتوجه بعض الأهالي الى بيت القاضي ليتدارك الأمر وتمكن هذا بواسطة الجند من امساك بعض المشتبكين بالمعركة؛ فأوثقوا بالجنازير وقدمت الشكوى بحقهم الى الباشا الوالي.

وفي ربيع الثاني من سنة (١١٢٨هـ — ١٧١٥م) بينما كان بعض الناس على الساقية

يغسلون الثياب جاء البدو فأخذوا الثياب ونهبوا الغنم والحمير. ولكن حدث ان وصل الى مكان الحادث الشبلي آغا ومعه عدد من رجاله ففر البدو واسترد الاهلون ما فقدوه.

في آخر شعبان عادت العربان ثانية بقيادة شيخ افندي فاستولت على البقر والحمير وثياب الغسالات ونهبت ما كان لديهم من أوانٍ نحاسية بعد أن قتلوا بعض الرجال.

وفي شهر ذي الحجة مر بحمص علي باشا الكوبريللي الصدر الأعظم في طريقه الى بيت المقدس وكان معه قاضي حمص الجديد.

— في شهر محرم من سنة (١١٢٩هـ— ١٧١٦م) صار اظهار ضريح الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز الى الوجود.

وفي ربيع الأول من هذه السنة ورد خبر بوفاة امير مكة. وشاع أيضاً أن والي حلب قتل ابن العظم واعتقل اباه (وقاه الله لأنه فعل خيراً جزيلاً لأهل حمص وساعد الفقراء والمساكين بالحنطة والشعير والزيت).

في شهر رجب أرسل الوزير الى حمص المتسلم الجديد للمدينة ومعه سليمان المنزلجي وعزل سليمان آغا. وفيه جاء خبر وفاة حمد العباس؛ كما حضر ابنه حسين العباس مطالباً المدينة بالخوة.

وفي شهر شعبان من هذه السنة تم بناء مأذنة جامع عبد الله بن مسعود.

وفي شهر ذي القعدة ارسل ابن العظم (وقد ظهر كذب الخبر عن وفاته) نحو/ ٣٠/ شوال حنطة الى حمص معونة للفقراء. كما وصل أيضاً جوخدار الوزير ومعه الأمر باسناد حكم المدينة الى ضابط لواء حمص.

في شهر ذي الحجة من هذا العام القى ابرهيم آغا القبض على اثنين من قطاع الطرق ثم قطع رأسيهما ووضع واحداً منهما على باب السباع والثاني على باب التكية.

وفيه وردت الأخبار أن العرب اسروا حاكم حماه ونهبوا وقتلوا وقطعوا الطرقات على السابلة؛ ثم كسروا ابواب البيوت واستولوا على ما فيها من مؤن؛ فركب ابرهيم آغا على رأس/ ٢٠٠/ خيال مزودين بالبنادق والعدد الكاملة، وهاجم العرب وفرق شملهم وأهلك طغاتهم؛ فدعا له الحمويون بالخير واقاموا له عراضة عظيمة. وفرض ابرهيم آغا على كل فدان بندقية لأجل استئصال شأفة قطع الطرق. وأرسل سليمان آغا حنطة وشعير وذرة في أكياس كثيرة مع عبد الله آغا ومراد بن الدراق وأخذوا يبيعونها الى الناس.

في شهر محرم سنة (١١٣٠هـ — ١٧١٧م) توجه عبد الله آغا الى حماه حاملاً معه / ٥٠/ بندقية لأجل حماية المدينة من العرب. وقد تمكن من انقاذ حاكمها من الاسر، ولذلك انعم عليه ابرهيم الضابط بكسوة ثمينة.

وفي شهر جمادى الثانية من هذا العام خيم على الناس ضيق شديد، نظراً لقلة وجود الخبز. وكثيراً ما كان الرجل وامرأته وأولاده يقضون يومين أو ثلاثة أيام بدون أن يدخل رغيف واحد الى جوفهم. وفي هذا الشهر أيضاً عزل ابرهيم آغا وذهب الى دمشق وحل محله سليمان آغا.

في شهر ذي القعدة، صدرت ارادة سلطانية باعفاء أهل وسكان بلاد الشام وسائر البلاد الاسلامية من الضرائب الاضافية الباهظة، وبعدم تكليفهم باطعام أحد ما عدا السلطان والباشا، أما بقية الحاشية والموظفين فيطعمونهم بثمن يتقاضونه منهم.

— في شهر محرم من سنة (١١٣١هـ — ١٧١٨م) كثر عدد اللصوص وازدادت تعدياتهم وأخذ الرصاص يلعلع في الليالي بصورة مستمرة، وترك الناس الصلاة في المساجد من شدة الخوف.

وفي شهر ربيع الأول بدىء بنصب غرسات الكروم حول باب السباع وباب تدمر، وفي خندق القلعة وحول سور المدينة.

في شهر ربيع الثاني جاء طربوش البدوي، ونزل في قرية سيدنا خالد بن الوليد ومعه عدد كبير من العرب والكرد والنور والتركمان، واحضروا معهم غنماً وبقراً وسمناً؛ فقايضهم الناس؛ وكان يوماً مشهوداً لكثرة الماشية ووجود عدد كبير من الرجال والنساء للفرجة؛ على أن البعض تغالظ على ابرهيم بن عرار وعلى بنت باكير السراج فحصل من جراء ذلك معارك وتشابك بالأيدي وسرقة دراهم وكسر ابواب بيوت. وما لبث أن حضر حسين بن حمد العباس قبل الفجر وداهم الطربوش البدوي وملك القهوة فترك العرب البدوي وانضموا الى ابن العباس، فانهزم الأول تاركاً عياله.

وفي جمادى الأولى تعين ابن العظم حاكماً على حمص وحماه والمعرة لمدة سبع سنوات فاستبشر الناس خيراً.

في شهر رجب وصل الى حمص اسمعيل آغا ابن العظم، وقد احضر معه كميات كبيرة

من الحنطة والشعير لأجل توزيعها على الأهلين. كما أرسل مثلها الى دمشق نظراً للغلاء الشديد الذي صار فيها.

— وفي شهر محرم من سنة (١١٣٢ هـ — ١٧١٩ م) ورد الامر السلطاني القاضي بالسماح للتركمان بالسكن في المدينة وكذلك ببناء الضياع والبقاع.

في ربيع الثاني من هذا العام، تهدم قسم من الجامع النوري الكبير وبدىء بعمار ما تهدم في شهر ذي الحجة.

— في ربيع الأول من سنة (١١٣٣ هـ — ١٧٢٠ م) الموافق لشهر كانون الأول اشتد البرد، حتى تجمدت مياه الساقية واضطر الناس للجلوس في بيوتهم وبطلت حركة الاسواق.

وفي شهر رجب من هذه السنة وردت الاخبار عن الهزيمة المنكرة التي الحقها عرب الموالي بجيش السلطان.

في شهر رمضان بنى محمد آغا، ضابط لواء مدينة حمص طاحونة قرية الغنطو.

— في شهر محرم عام (١١٣٤ هـ — ١٧٢١ م) جهز حاكم حمص محمد آغا حملة كبيرة على بني كليب ونهب منازلهم لمخالفتهم الاوامر السلطانية.

في شهر ربيع الثاني من هذه السنة تهدمت قبة الحمام الصغير التي بناها الشيخ عبد الغني المغربي العمادي.

وفي ٥ جمادى الثانية، حضر الى حمص والي الشام مع جيشه عند العصر، ونزل في محلة الميدان ثم ارتحل في اليوم التالي الى طرابلس.

في شهر ذي القعدة من هذا العام وصل طبيب من اتباع الشيخ عبد الغني النابلسي من دمشق وحل في بيت المفتي الذي ارسله الى جامع عبد الله بن مسعود وهناك أخذ يعالج المرضى مع رفيقه علي الشامي.

في شهر محرم سنة (١١٣٥ هـ — ١٧٢٢ م) ركب الباشا ابن العظم ومعه محمد آغا وعسكر من التركمان بقصد قطع دابر الاشقياء.

وفي شهر صفر من هذه السنة وصل الى حمص رجب باشا فاستقبله بالترحاب اسمعيل باشا العظم.

في شهر ربيع الأول التي القبض على ابن الباروح ، وشهد عليه جماعة من المسلمين لمخالفته الشرع الاسلامي وظهرت عنده اموال طائلة.

وفي ربيع الثاني من هذا العام وردت الأخبار السيئة عن تعديات أحمد البدوي وما قام به من أعمال سلب ونهب للخيل والجمال والغنم والبقر وكم قتل من الرجال.

في شهر جمادى الثانية توفي الحافظ محمد آغا.

هنا ينتهي هذا السفر المفيد على ما فيه من اقتضاب. ولربما كان ذلك بسبب مرض واضعه أو وفاته ؛ ولولاه والحق يقال — لغمض علينا معرفة شيء عن حمص في الشطر الأول من هذه الحقبة.

اما من هو واضع هذه المذكرات ؛ فالروايات متعددة بشأنه ولا نستطيع أن نجزم بصحتها ؛ غير أننا نضع بين أيدي المحققين ما يمكن أخذه عن الكاتب نفسه اذ يقول في أحد المواضع : «ابن اخينا محمد بن عبد المنعم العطار» وفي موضع آخر : «أخينا الشيخ محمد الخطيب». ويقول أيضاً في مكان ثالث : «توفيت فاطمة بنت أخي الشيخ محمد الخطيب». ويقول أيضاً في مكان ثالث : «توفيت فاطمة بنت أخي في البريج رحمها الله وانتقم من زوجها البينباشي ابن عمر آغا» وفي مكان آخر : «توفيت زوجة ابن خالتنا السيد عبد القادر بنت عمر نقيب الاشراف» ويقول أيضاً في موضع آخر : «دخلت الى منزلنا ابنة صالحة مع نساء الشيخ عبد الرحيم نقيب الاشراف».

الجوائح الطبيعية التي أصابت حمص خلال هذه الفترة :

عدا ما ذكرنا من الاحداث السياسية والاجتماعية فلقد وجدنا في المذكرات الخطية التي ذكرناها أعلاه انباء عن جوائح حلت في حمص نذكر معظمها بتلخيص :

١ — في ١٦ جمادى الأولى سنة ١١٠٠ هـ و١٩ آذار ١٦٨٩ م مات ابن الحاج ابرهيم مهيار باشي دنقاً من شدة البرد والجليد ودفن في بلدة الرستن.

٢ — في ١٠ جمادى الأولى سنة ١١٠١ هـ وشباط سنة ١٦٩٠ م صار برد وثلج وجليد لم يشاهد مثله في السابق وقد هلك بسببه عدد كبير من عربان العباس.

٣ — في ١٥ صفر سنة ١١٠٢ هـ وتشرين الثاني سنة ١٦٩١ نزل برد حجمه بقدر بيضة الحمام.

٤ — في ختام ربيع الثاني سنة ١١٠٨هـ وايلول سنة ١٦٩٦م فاضت مياه نهر العاصي فجرفت البيوت والجمال والبغال.

٥ — في أول شهر شوال سنة ١١١٦هـ و٢٠ كانون الثاني سنة ١٧٠٥م كثر تهطال الثلج واشتد البرد. وقد وجد رجل ميتاً تحت الثلج في محلة الميدان وآخر عند خان السبيل وكلاهما من قرية دير بعلبه. وفي نصف شوال ورد خبر بأن محافظ سنجق الخزنة قد مات مع سبعين شخصاً كانوا برفقته من شدة الثلج والجليد.

٦ — في ١٢ ربيع الأول سنة ١١١٧هـ وحزيران ١٧٠٦م ثارت زوبعة شديدة سدت ما بين الخافقين اعقبها رعد وبرق هائلان وتلاهما مطر غزير أشبه بافواه القرب.

٧ — في شهر آذار سنة ١٧٠٩م نزلت صاعقة على مأذنة مسجد خالد بن الوليد فهدمتها كما هدمت بيتاً الى جواره فقتل فيه ثمانية رؤوس من المعزى؛ أما الرجال والاطفال فقد أخرجوا احياء من تحت الردم.

وفي شهر أيار من هذه السنة أيضاً فاضت مياه نهر العاصي، اثر نزول امطار غزيرة؛ فجرفت قفران العسل والزيت والقطن وكذلك النساء والاطفال كما هدمت بيوتاً ودوراً كثيرة.

٨ — في شهر ذي الحجة سنة ١١٢١هـ وشباط سنة ١٧١٠م حصل برد شديد على اثر مطر غزير فتهدم عدد من المنازل ونتج عن ذلك ضيق عظيم لكثرة الانهيارات والدلف وسقط بعض الضحايا.

٩ — في ربيع الأول سنة ١١٧٢هـ وآذار سنة ١٧١٥م حدثت عاصفة شديدة هوجاء اسقطت مأذنة الجامع النوري الكبير. وفي شهر أيار من هذه السنة حدثت عاصفة شديدة اخرى اسقطت برج القلعة.

١٠ — في ربيع الأول سنة ١١٣٣هـ وكانون الثاني سنة ١٧٢١م هطل الثلج واشتد البرد وتجمدت مياه الساقية، وقبع الناس في بيوتهم وبطلت حركة البيع والشراء. وفي شهر آذار من هذه السنة ماتت المواشي لشدة الصقيع؛ وسقط احد مصراعي باب المدينة الذي ينفذ منه الى قرية خالد بن الوليد.

١١ — في جمادى الأولى سنة ١١٣٤هـ وشباط سنة ١٧٢٢م وقعت صاعقة على ابن

جعفر بن عواد البستاني ورفيقه فقتلتهما كما سقطت صاعقة أخرى قرب مقبرة السيد خالد ابن الوليد على بعض البقر والبهائم فقتلتها.

ويذكر صاحب المذكرات جوائح الجراد التي أصابت المدينة خلال هذه الفترة ولذلك فاننا نذكر هنا أهمها محافظة على ما يرغب في معرفته من يأتي بعدنا من الباحثين:

— الجراد الذي وصل الى منطقة حمص في شهر آذار سنة ١٧٠٨م وغرز في الارض ثم فقّس في شهر أيار وأخذ بالزحف فامتلأت منه الدور والمساجد والأزقة فأكل الاشجار والأثمار. وكان كالبحر المتلاطم بالأمواج لا يحصى له عدد وخرج الناس لاتلافه افواجاً أفواجاً؛ فأضرموا النار في الشرق والغرب، واحترق معه كثير من الأشجار والأعشاب والهوام.

وفي شهر تموز طار الجراد الزحاف فملأ الأفق. وكان يسير تارة من الغرب الى الشرق وتارة بالعكس وكأنه بحر زاخر لا يعرف له أول من آخر. وظل كذلك حتى سلط الله عليه طير السمرمر فانهى أمره.

وذكر كاتب المذكرات عدة خسوفات للقمر. ولكنه ذكر كسوفاً كلياً تاماً واحداً للشمس وقد حدث في أوائل سنة ١٧٠٩م عند العصر.

الفصل الرابع والعشرون

حكام حمص

حكم حمص خلال هذه الفترة عدد لا يستهان به من الحكام؛ ذلك لأنه ما يكاد يجف الحبر على الورقة التي حملت تعيين الحاكم عل حمص حتى تظهر نميقة اخرى موقعة من الوالي نفسه تحمل قرار تعيين حاكم جديد. ولذا فاننا نكتفي بذكر اسماء اشهر من وردت اسماؤهم في المذكرات الخطية المشار الها سابقاً:

ابرهيم اغا سويدان، حيدر بن دندش، ظاهر بن عبد العزيز، باكير آغا، منصور آغا، فياض بك قصاب باشي، عبد الله آغا، اسمعيل الريحاوي، سلمان آغا بن ابرهيم آغا

سويدان، حسين بن دندش، اسمعيل شيخ السوق، اسمعيل العظم الذي تولى حكم حمص وحماه والمعرة سوية طيلة سبع سنوات.

وكانت بين اسمعيل العظم ومحمد آغا الجندي مودة وصداقة فاستدعاه الى دمشق وعينه محافظاً للحج. ومكث محمد آغا الجندي في هذه الوظيفة طيلة تسع سنوات ثم استقال منها لتقدمه في السن. فعينه سليمان باشا بن اسمعيل باشا العظم متسلماً لمدينة حمص سنة (١١٤٧ هـ — ١٧٣٤ م) فتولاها. وكانت المدة التي قضاها هذا الحاكم في عمله فترة خير للبلد اذ حقق لها بعض المشاريع العمرانية التي منها:

جر مياه الساقية الى المدينة سنة (١١٥١ هـ — ١٧٣٨ م) وايصاله الماء في السنة نفسها الى الجامع النوري الكبير، وانشاؤه البركة الكبيرة في عرضة الدار الخارجية للمسجد، وانشاؤه المصلى الواقع في الجهة الشمالية من صحن الجامع النوري الكبير سنة (١١٥٢ هـ — ١٧٣٩ م).

بعض الشخصيات الحمصية البارزة:

من مراجعة المذكرات الخطية وجدنا فيها اسماء بعض الشخصيات الحمصية البارزة في الشؤون السياسية والدينية والعلم. ولذلك عمدنا الى تدوين هذه الاسماء بشكل يستطيع معه المطالع التعرف عليهم أولاً ثم التدقيق عن كل فرد منهم اذا رغب التعمق في دراساته مبتدئين في ذكر السياسيين ثم رجال الدين والعلماء...

حسين العباس امير العرب، حمد العباس، الحاج ابرهيم قصاب باشي، محمد الأتاسي المفتي، الشيخ علي الأتاسي بن محمد، الشيخ عبد الفتاح السباعي، الشيخ سليم النافعي، الشيخ رمضان القاعي، الشيخ عبد الغني المغربي العمادي، الشيخ حسين الاشرفي، سليمان بن حرب، احمد بن علي باشا بن ضعضع، عبد الرحيم بن عبد العال ابن البدوي نقيب الاشراف، احمد بن السخم، ابرهيم الشلبي، طعمه بن بجبورة شيخ دير بعلبه، الحاج علي بن الاقرع، سليمان العطار ابو عريضة، الشيخ سليمان بن الصياد، الشيخ سليمان السباعي، والشيخ علي العدية.

ومن أشهر القضاة: حسين جعفر، محمد النوحي. أحمد الرومي، نعمان أفندي، احمد أفندي، وناب أيضاً في القضاء عدة مرات: عبد الوهاب عمر جاويش، وعبد الرحيم النقيب.

أما نقابة الاشراف فاشهر من تولاها: الشيخ عبد الرزاق، الشيخ عبد الرحيم، حجازي بن بيرم والشيخ عبد القادر النافعي الزهراوي؛ الذي رأينا في منازل احفاده قطعة خطية جميلة فيها أبيات من الشعر نظمها الشيخ عبد الله الحلبي الميقاتي في ٢٣ حزيران (١١٣٣هـ — ١٧٢١م) وفي اعلاها:

بيت النقابة والعلا النافعي الزهراوي

ثم يليها اربعة أبيات كل اثنين منها من بحر وقافية مختلفين.

بيت مجد سما لنفع البرايا كم روى عنهم المكارم راوي
هم نجوم والبدر منهم نقيب الشرفاء عبد القادر الزهراوي
يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى انه نار قبس
لا أوالي الدهرَ من عاداكم أنه آخر سطر من عبس

يشير الناظم بما اورده في عجز البيت الاخير الى آخر ما جاء في سورة عبس (٨٠: ٤٢) ونصه: «اولئك هم الكفرة الفجرة». ويقصد الاشارة الى: أنه لا يصادق من يعاديهم؛ اذ لا يعاديهم الاّ الكافر الفاجر.

وأما اشهر من تولى الافتاء في حمص فهم الشيخ محمد الاتاسي ثم ابنه الشيخ علي الاتاسي والشيخ عبد الفتاح السباعي والشيخ عبد الجليل السباعي.

هذه الاحداث هي أهم ما استطعنا تلخيصه من المذكرات الخطية وقد دوناها بأمانة ودقة. أما كلمتنا حول هذا الموضوع فهي أنه: لو أن صاحبها ألم بأسباب الحوادث التي اقتضبها وذكر نتائجها لكان خدم التاريخ الحمصي خدمة جليلة. لاسيا وأن جميع ما دونه هو مثال يحتذى للكتاب النزهاء الصادقين، غير المتحزبين؛ ولكنه على ما يظهر كان يكتب كل حادثة في يومها ثم توفاه الله قبل أن يتسنى له بلوغ النتائج لما سبق له تدوينه.

أحداث حمص بعد الفترة السابقة.

ونلخص هنا ما مر بمدينتنا حمص من احداث بعد الفترة الزمنية السابقة استناداً الى مراجع تاريخية متفرقة موثوقة:

انقلاب في حمص

في ٢١ آذار سنة ١٧٢٨ م ثار الأهلون في حمص ضد الدولة ، نظراً لتغيير الحكام بين حين وآخر ؛ اذ لا يكاد يمضي على تسلم الحاكم مهام وظيفته شهراً وأكثر قليلاً الا ويصدر القرار بعزله وتولية سواه.

وقد استولى الثائرون على أملاك بيت العظم وحصلت من جراء ذلك فتنة في المدينة لم يستطع الحاكم الجديد تطويقها وامتدت الأيدي الى ما ليس لها ووصل السلب والنهب الى كنيسة الاربعين شهيداً ، اذ نهب الثائرون كل ما فيها من قناديل فضية وأوانٍ ذهبية وايقونات أثرية واسفار قيمة (هذه الحادثة مدونة على سفر مخطوط في الكنيسة المشار اليها ، وكاتبها هو ابرهيم نصور قرلاق وتاريخها ٢٠ نيسان ١٧٢٨ م).

تجمد مياه نهر العاصي

في شهر تشرين الثاني من سنة ١٧٥٦ م هطل ثلج غزير دام عدة أيام ورافقه برد شديد قارس ، حتى تجمدت مياه نهر العاصي ، وبقيت طبقته العليا وكأنها صفيحة سميكة من الجليد. وأخذ الناس يعبرون عليها من الضفة الأولى الى الضفة الثانية بكل امان وراحة وكأنهم يسيرون على اليابسة وبذلك سهل عليهم التنقل من مكان الى آخر مستغنين عن الجسور (مجلة الكلمة ١ ص ٣٢٩).

آل العظم

بدأت شمس آل العظم بالظهور منذ أوائل سنة (١١٣٠ هـ — ١٧١٧ م) حتى وصلت دفة الأحكام الى هذه الاسرة في كل جهات البلاد الشامية.

اذ أنه في عام (١١٤٧ هـ — ١٧٣٤ م) انتقل أسعد باشا العظم من حكم ايالة صيدا الى ايالة دمشق وتولى ايالة صيدا اخوه سعد الدين باشا والي طرابلس كما تولى ولاية طرابلس سليمان باشا العظم.

عثمان باشا في حمص

حينما ثار علي بك المصري على الدولة العثمانية ، ارسل قوة بقيادة محمد بك أبي الذهب الى الحجاز فتمكن من الاستيلاء عليه واخراجه من طاعة الدولة العثمانية وضمه له. ثم وجهه بحملة ثانية الى البلاد الشامية لتحقيق ذات الهدف.

وكان في دمشق وقتئذٍ الوالي عثمان باشا الفارسي الأصل. وسار ابو الذهب بجيشه المؤلف من / ٤٠ / الف رجل، منهم سبعة آلاف مقاتل ومن تبقى فهم من المشايخ والخدام والتجار؛ وانضم اليه جيش الشيخ ضاهر العمر صاحب اراضي صفد — الذي اتفق مع علي بك المصري على الثورة ضد السلطنة العثمانية — وهو مؤلف من / ١٥٠٠ / بدوي وخيالة المتاولة.

وقرر ولاة كلس وحلب وطرابلس وصيدا أن يكمنوا للعدو في ضواحي دمشق وانتظروا القائد العام السر عسكر نعمان باشا الذي تأخر مختاراً في جهات حلب. فتولى عثمان باشا القيادة مكانه. وما أن احتدمت لظى المعركة حتى فر والياكلس وحلب مما دفع بعثمان باشا الى التقهقر حتى مدينة حمص تحت حماية / ٢٥ / رجلاً من أشد فرسانه وقد حدثت المعركة في منطقة داريا يوم الجمعة المصادف ١٤ صفر سنة ١١٨٥هـ و٣٠ أيار سنة ١٧٧١م.

ومن حمص ارسل عثمان باشا الى الأمير يوسف الشهابي يستحثه على انجاده بالرجال؛ كما أخذ هو بحشد الجنود من جهات حمص حتى تجمع لديه جيش كبير.

غير أن الأقدار غيرت من عزم أبي الذهب بعد دخوله مدينة دمشق، اذ ما لبث أن غادرها فجأة في الليل، اذ أنه على ما يظهر خشي نقمة الدولة العثمانية بعد تفرغها من الحرب مع روسيا وعاد الى مصر.

أما الحمصيون فيفاخرون ويزعمون أن أبا الذهب خشي ما استعدوا له فخاف النتيجة ولاذ بالفرار (الشهابي ص ٨٠٦).

ثورة الموالي

من احداث اواخر هذه الحقبة ثورة عرب الموالي المنتسبين الى آل حيار الضاربين في بادية حمص؛ وتصديهم بصورة متواصلة للأهلين سلباً ونهباً مما أقلق خاطر الحكومة. ونهض لكبت جماحهم الحاكم عبد الرحيم العظم على رأس قوة لا يستهان بها وبرفقته عبد الرزاق آغا الجندي قائد قلعة تلبيسة.

ولما بلغوا مضارب الموالي الذين عرفوا بمجيء القوة واستعدوا لها، حاربوها مستميتين؛ فكتب لهم الفوز في هذه المعركة التي لم تدم أكثر من نصف ساعة وسقط فيها معظم الجنود

قتلى. كما وقع حاكم حمص عبد الرحيم وعبد الرزاق الجندي اسيرين، فعرّاهما العرب وقتلوهما وقد حدث ذلك في عام (١١٨٩ هـ — ١٧٧٥ م).

وفي اليوم التالي مر بعض القرويين في تلك المنطقة فتعرفوا على جثة عبد الرزاق الجندي فحملوها الى حمص حيث سلموها الى أسرته التي دفنتها في تربة العائلة بالقرب من مسجد خالد بن الوليد.

الجزار وحمص

تولى أحمد باشا الجزار والي عكا، دمشق اربع مرات.

١ — من سنة (١١٩٨ — ١٢٠٠ هـ، ١٧٨٣ — ١٧٨٥ م)

٢ — من سنة (١٢٠٥ — ١٢١٠ هـ، ١٧٩٠ — ١٧٩٥ م).

٣ — من سنة (١٢١٣ — ١٢١٤ هـ، ١٧٩٨ — ١٧٩٩ م)

٤ — من سنة (١٢١٨ — ١٢١٩ هـ، ١٨٠٣ — ١٨٠٤ م)

وشمل ثقل نير أحمد باشا الحمصيين التابعين ولاية دمشق الذين شاركوا الدماشقة بالأنين من شدة جوره وظلمه. ولكثرة مظالمه ثار عليه فيمن ثاروا، أغلب الشخصيات الذين رقاهم الى المناصب العالية؛ وفي عدادهم سليم باشا نائبه في عكا. وتكاتف الزعماء وخلعوا طاعته، ثم ساروا لمحاصرته في عكا؛ وقد شجعهم على ذلك الأمير يوسف ملحم الشهابي. ولكن الجزار باغتهم بقوة لم يكونوا ينتظرونها فشتت شملهم، وفر كل زعيم منهم الى ناحية ولاذ سليم باشا مع رهط من رجاله الى مدينة حمص.

واستاء الجزار من الامير يوسف فكلف الامير علي والي حاصبيا أن يقوم برجاله لكف يد الأمير يوسف عن البقاع؛ فما كان من الأخير الا أن استنجد بسليم باشا من حمص لمساعدته في رد الغائلة عنه. وحضر هذا برجاله الى البقاع حيث حدثت بين الفريقين معركة هائلة تم فيها النصر لسليم باشا (الدبس ٧ ص ٤١٦).

مشاهير الحمصيين في هذه الحقبة

١ـــ خالد بن صنون :

هو خالد بن محمد بن زين الدين المعروف بابن صنون ؛ شيخ صالح ولد سنة (١٠٤٧ هـــ ١٦٣٧ م) . وكان يتردد الى دمشق ، ولبعض أهلها اعتقاد في كرامته وتقواه . اثنى عليه الشيخ العالم عبد الغني النابلسي وهو من اصحابه . وكانت وفاته في اواخر جمادى الأولى سنة (١١٠٣ هـــ ١٦٩١ م) ودفن في تربة الأشراف في محلة باب الدريب .

٢ـــ عبد الفتاح السباعي :

هو عبد الفتاح بن محمد السباعي ، شيخ عالم لوذعي ذو فضل . لم يتقيد في صغره بطلب العلم حتى بلغ الثلاثين ؛ فتبحر فيه وتفوق على أقرانه بمدة قصيرة ، وظهرت له مؤلفات في الفقه والنحو والتوحيد ؛ وأخذ طريقة الشاذلية عن الشيخ عبد الغني المغربي . وتولى افتاء حمص عدة سنوات . وكان بالاضافة الى ذلك شاعراً مجيداً مبدعاً وله قصائد رائعة جميلة . توفي في الأستانة سنة (١١١١ هـــ ١٦٩٩ م) ودفن باسكودار .

٣ـــ عز الدين خليفة :

هو عز الدين بن خليفة الحنفي الحمصي ، نزيل دمشق ؛ شيخ علامة متفنن ، نحوي مدقق ، أصله من حمص ولادة ونشأة ؛ قدم الى دمشق في صباه ، وخدم في المدرسة السميساطية ؛ ثم شرع في طلب العلم عن أجلة العلماء بدمشق فأحسن التحصيل . درس النحو في الجامع الأموي ، ثم ذهب الى القسطنطينية ؛ فوظف في المدرسة اليونسية بعد وفاة شيخه الودلي . وشغلته العلوم عن الزواج فظل عزباً حتى توفي في دمشق سنة (١١٢٩ هـــ ١٧١٦ م) ودفن في مقبرة مرج الدحداح (المرادي ٣ ص ٢٢٩) .

٤ـــ عبد الجليل السباعي :

هو عبد الجليل بن يحي السباعي الشافعي ، شيخ عالم فاضل ، رحل الى مصر وانقطع في جامعها الأزهر مدة طويلة فنال بمواظبته واجتهاده درجة عالية من التحصيل والمعرفة . وممن أخذ عنهم المحقق عبد الرؤوف البشبيشي والامام أحمد الخليفي وغيرهما . ثم عاد الى

حمص سنة (١١١٠ هـ — ١٦٩٨ م) فأحيا العلوم فيها واستفاد منه جمع غفير. وكان مدققاً حصيناً، له ورع وهيبة وجلال، طلق اليد، جواداً كريماً نحو المعوزين والفقراء. توفي سنة (١١٤٥هـ — ١٧٣٢ م) ودفن في ضاحية حمص، قرب مسجد خالد بن الوليد.

٥ — عبد اللطيف الاتاسي:

هو عبد اللطيف بن علي الأتاسي الحنفي؛ احد الأفاضل الأدباء المتفوقين. نال رتبة حسنة من الأدب، وكان له من العلم القدح المعلى. وجنح الى التعمق في فنون أخرى كالكيمياء وعلم الأرث والاوقاف. كما كان شاعراً مجيداً، له قصائد عدة جميلة؛ منها القصيدة التي مدح بها شيخ الاسلام المولى عبد الله بشمقجي حين عودته من الحج، ومطلعها:

قد عادت الشمس تشريفاً الى الحمل   والسعد اقبل يسعى بالغ الأمل

توفي في حمص سنة (١١٥٠ هـ — ١٧٣٧ م).

٦ — عمر البقراصي:

هو عمر بن يوسف الحنفي البقراصي؛ نزيل حمص. إمام عالم فاضل، جاء من بقراص (احدى مدن الروم) وقطن في مدينة حمص؛ وبنى فيها الجامع المعروف بجامع النخلة بعدما تهدم. وبنى أيضاً نحواً من ثلاثين حجرة لطلبة العلم، فأحيا بذلك محبة العلم في حمص وانتفع به كثيرون. كان ورعاً تقياً كثير العبادة، متهجداً، جريئاً لا تأخذه في الحق لومة لائم. مات في حمص سنة (١١٥٢ هـ — ١٧٣٩ م) ودفن تحت مغارة الجامع الذي بناه.

٧ — ابن الاشرف:

هو عبد المنعم بن خضر المعروف بابن الأشرف الحنفي؛ من بيت نسب مشهور بحمص. ولد في مدينة حمص ونشأ فيها؛ ثم ارتحل الى مصر وأخذ عن فحول علمائها؛ بعدئذٍ قصد الأستانة في أيام وزارة علي باشا بن الحكيم، فأهدى اليه ما وضعه من شرح لبدء الامالي؛ فأحسن اكرامه وحصل من شيخ الاسلام على رتبة تدريس الاشرفية في مدينة حلب؛ ثم أعطي افتاء مدينة طرابلس حتى توفي سنة (١١٦٠ هـ — ١٧٤٧ م).

٨ـ ابن أَشنَق :

هو ابرهيم بن أشنق الحمصي ؛ ولي صالح ، كان ينسج العباءات دون أن يفتر لسانه عن ذكر الله . توفي سنة (١١٦٠ هـ ـ ١٧٤٧ م) ودفن في حمص بمسجد وحشي ثوبان في الديوان من جهة الشرق (البستاني ، بطرس ١ ص ٢١٢) .

٩ـ الدراقي :

هو ابو بكر المعروف بالدراقي الحمصي ؛ ورع زاهد ، نسبت اليه كرامات كثيرة . توفي سنة (١١٦٥ هـ ـ ١٧٥١ م) (البستاني ، بطرس ٢ ص ٣١) .

١٠ـ عثمان البقراصي :

هو عثمان بن عمر البقراصي الحنفي ، عالم فاضل فصيح ، حمصي المحتد والنشأة تهذب على يدي أبيه عمر ونبغ في الافتاء ؛ تولى افتاء مدينة حماه واستقام بها مدة وانتفع من علمه جماعة من العلماء . توفي في حمص سنة (١١٧٠ هـ ـ ١٧٥٦ م) .

١١ـ عمر العنز :

هو عمر المعروف بالعنز الإدلبي ، نزيل حمص . أديب فاضل منجم ؛ مهر بالأدب والطب ؛ أدركته حرفة الأدب واستقام في حمص يقرىء ويفيد ، ولكنه كان سيء الطالع . له ديوان شعر جميل فيه قصيدة نبوية مطلعها :

للحب آيات حق للجمال محت وأثبتت حب من بالطرف قد لمحتْ

توفي في حمص سنة (١١٧٥ هـ ـ ١٧٦١ م) .

١٢ـ عبد الرزاق الجندي :

هو عبد الرزاق بن محمد بن احمد بن ياسين بن ابرهيم الجندي ، القصيري الاصل المعراوي المنبت . أديب حاذق ماهر ، أحسن صناعة الشعر ، وله في الأدب معرفة والمام . ولد سنة (١١٥٠ هـ ـ ١٧٣٧ م) وقرأ على الشيخ عمر العنز الإدلبي نزيل حمص ، وكان من ندماء مجلسه عثمان المعراوي البصير . وهو من سلالة بيت وسم بالأدب والعلم . انتقل والده الى خدمة الحكومة لانتسابه الى أسرة آل العظم حكام الشام . وتولى عبد الرزاق حكم قلعة تلبيسة بعد وفاة والده . وكانت هذه القلعة قد بناها سليمان باشا العظم ؛ وعينت

لها الحكومة العثمانية قوة من الانكشارية لحفظ طرقات الحج. وبالاضافة الى وظيفته في حكم القلعة فقد ولاه ولاة دمشق حكومة حمص وحماه أحياناً.

وفي سنة (١١٨٩ هـ — ١٧٧٥ م). قتل عبد الرزاق عبد الرحيم العظم في معركة مع عرب الموالي ودفن في التربة المقابلة لمقام السيد خالد بن الوليد.

ولعبد الرزاق الجندي مساجلات شعرية مع الشيخ سعيد السويدي البغدادي والشيخ عثمان البصير، ذكرها المرادي (٣ ص ١٦ — ٢١)؛ وله تشطير لقصيدة ابن الفارض: «قلبي يحدثني بأنك متلفي» وتشطير لقصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير.

١٣ — نعمة ويوسف اليازجي:

روى بريك في تاريخه (ص ٥ — ٧) ان اسمعيل باشا المعظم الذي وجهت اليه رتبة الوزارة وتولى دمشق سنة (١١٣٧ هـ — ١٧٢٤ م) كان أول وزير من بيت العظم وظلت وزارته ست سنوات حتى سنة (١١٤٣ هـ — ١٧٣٠ م)؛ وكان عادلاً في أحكامه. وفي مدة ولايته اختص بذاته اثنان من نصارى حمص وهما الأخوان نعمة ويوسف واتخذهما كتاباً لديوانه الخاص فاشتهر بهما اسم بيت اليازجي في حمص.

والأول نعمة، هو والد المطران مكاريوس الحمصي الذي عين مطراناً على حمص سنة ١٧٣٣ م اثر زيارة البطريرك سلبستروس للمدينة سنة ١٧٣٢ م (زفرات القلوب للخوري عيسى اسعد ص ٤٨٤).

١٤ — عبد الهادي المجذوب:

قال المرادي (٣ ص ١٤٢): «ان عبد الهادي المجذوب، هو أحد المباركين ومن أصحاب الكرامات؛ ولقد اجتمعت به في دار مفتي حمص الفاضل الشيخ عبد الحميد السباعي، حين توجهت للديار الرومية، فرأيته من العلماء الصلحاء. وأخبرني عنه البعض بأشياء وكرامات، كما أبلغني من اثق به من أهالي دمشق بكرامة ظهرت من المترجم معه شاهدها بالعيان. وكانت وفاته في رجب سنة (١١٩٣ هـ — ١٧٧٩ م).

١٥ — ابرهيم الاتاسي:

هو ابرهيم بن علي بن حسن الاتاسي الحنفي. عالم فقيه، ولد سنة (١١٢٢ هـ — ١٧١٠ م) وارتحل الى مصر واقام في جامع الازهر اعواماً حتى برع؛ وأجاز له شيوخه

الافتاء والتدريس . فعاد الى حمص ودرس بها وافتى . وكان من مشاهير زمنه . ثم تقلبت به الاحوال وجرت له امور أوجبت تكديره وهجرته من مدينته . ومن أهم اسبابها نزقه الشديد وسرعة غضبه . رحل الى حلب ثم الى الأستانة وأخيراً اعطي افتاء الحنفية في طرابلس الشام فعاد اليها وافتى فيها حتى مات سنة (١١٩٦ هـ — ١٧٨١ م).

ومما رواه المرحوم الشيخ ابرهيم الاتاسي ابن حفيد صاحب الترجمة للخوري عيسى اسعد (والدنا) بمذكرة محفوظة : الأسباب التي استدل بها عن نزق جده الأعلى القصة التالية :

«ان اسعد باشا العظم الذي كان يتولى حكم حمص وحماه ، جرت له ملاسنة مع ابرهيم اسمعه فيها كلمة شائنة استثقلها الأخير ولم يستطع احتمالها فأجابه عليها فوراً بكلمة جريئة : (ارى الشرك يقطر من عينيك). فنقم عليه الباشا وشكاه الى الصدارة العظمى التي قررت اقالته من الافتاء.

وشعر ابرهيم بخطورة الموقف ، فأم الأستانة ، وقصد دار المشيخة الاسلامية ، حيث رأى مجلساً حافلاً بالعلماء يبحثون عن مصدر تستند اليه فتوى كلفت بها المشيخة من الصدارة . وضاق ذرع العلماء دون الاهتداء الى ذلك المستند . فاستأذن ابرهيم بعرض معلوماته ، فأذن له ، فذكر وجه الفتوى ومستنداتها وأشار الى المصادر التي تؤيدها ، فروجعت وإذا بها تؤكد ما فاه به ابرهيم . وأكبر شيخ الاسلام أمره . ولما عرف من هو والباعث لقدومه ، عرض عليه السعي لاعادته الى فتوى ، فأبى ما دام أسعد باشا يتولى حكمها . فسعى له عندئذٍ بفتوى طرابلس فذهب اليها وأقام فيها حتى توفي . وفي طرابلس تزوج بفتاة طرابلسية ورزق منها ابنه عبد الستار جد أسرة الافتاء في حمص.

أما أساس اسرة — الأتاسي — فهي كما قال الحفيد : ان علياً خلف خمسة أولادهم : عبد الوهاب ويحي (جد محمد المحمود) وخليل وعبد اللطيف (لم يعقب) وابرهيم وهذا خلف ياسين وعبد الغني وعبد الستار .

وأتاسية حي باب الدريب متحدرة من ياسين».

١٦ — عبد الله اليازجي :

روى المؤرخ بريك (ص ٢٤ و٢٥) : «ان اسعد باشا العظم والي الشام (١١٥٦ — ١١٧٠ هـ ، ١٧٤٣ — ١٧٥٦ م) أقام في حمص وكيلاً عنه رجلاً مسيحياً اسمه عبد الله

اليازجي ؛ وكان هذا قد ترقى في المناصب الحكومية الى درجة عالية نظراً لعلومه العالية وتمكنه من عدة لغات ؛ ولذلك فقد سلم اليه الباشا حكومة حمص وما يليها . ولكن الباشا المذكور ما لبث سنة (١١٦٥ هـ — ١٧٥١ م) أن غضب عليه لسبب ما ، فاستحضره الى دمشق وسجنه وسلب جميع ما يملكه وضبط أرزاقه وكانت مما يتعذّر تقديره . وقيل إن سبب سخط الباشا عليه ناتج عن سببين :

الأول : تكبره وعجبه بذاته وعنجهيته .

والثاني : اطلاقه الحرية لاتباعه وانسبائه ليعيثوا في الأرض فساداً بدون رادع ؛ بل كان اذا شكاهم احد الناس دافع عنهم ورد عنهم الأذية .

وكانت هذه النكبة سبباً لافاقته من غروره . ولما شعر أسعد باشا بندمه وتأدبه ، اعاده الى مرتبته السابقة . وقيل إن عودة رضا الباشا عنه ، انما كانت لما عرف أن اليازجي كان ذا عطف ورأفة بالفقراء وخدام الله ؛ وأنه كان حاصلاً على رضى والدته التي كان يقبل يدها في كل صباح ويستمد دعاها ورضاها . حتى إنه كان وهو في أبان علو منزلته لم يهمل ما اعتبره واجباً ؛ فكان دعاؤها ودعاء المساكين والفقراء لأجله وسيلة لاستعادة عطف اسعد باشا عليه واعادته الى مكانته الأولى » .

حالة حمص العامة في هذه الحقبة

وأفضل ما يمكننا ذكره عن حالة مدينتنا في هذه الحقبة هو ما وصف به الوزير الفرنسي ادوار لاكروا الوضع العام لها في كتابه : «حالة البلاد السورية ص ٢١٣» اذ يقول :

«كانت سورية منقسمة الى قسمين ؛ يرأس الأول منها عثمان باشا في دمشق والثاني ، يرأسه الشيخ ضاهر العمر في عكا . وكان رجال الباب العالي يتمركزون على الأخص في الشمال والشرق في ايالات حلب وطرابلس ودمشق . ويقيم العصاة عادة في القسم الجنوبي حول عكا وصفد والرامة وغزة لمديد المساعدة الى المصريين . وكان الدروز والموارنة يقطنون بين القسمين فوق صيدا حتى ما وراء مدينة بيروت .

وكان عدد رجالهم المسلحين يقارب الـ/ ٤٠ / الفاً ؛ يستطيعون أن يميلوا كفة الميزان التي يريدونها ؛ ولكنهم كانوا منقسمين على أنفسهم كأكثر سكان سورية ؛ فبعضهم يميل الى العصاة والبعض الآخر الى السلطان .

وهكذا كانت الحالة في كل جهة من البلاد ؛ للسلطان اعوان وللعصاة اعوان. والمذابح تنشأ بعد كل معركة ؛ وكل فريق منهم يظن نفسه الاقوى ، والحروب الأهلية تزداد عنفاً وضراوة بالانتقامات الشخصية والاحقاد الدينية.

وكان اللصوص وقطاع الطرق يهددون سكان سورية من الغرب وكذلك كان البدو من الشرق.

وكثيراً ما كان البدو يغتنمون المشاغبات الداخلية فينقضون على القوافل ينهبونها أو يحرقون القرى والمزارع في الجهات الشرقية من البلاد. كما كان اسطول القراصنة في الغرب يهاجمون المدن الساحلية فيلتهمون الذخائر والميره.

وكان عثمان باشا رئيس جند السلطان العثماني يجند جيشه من لواء دمشق ومن لواء طرابلس حيث يقيم ابنه محمد. وفي كل حادثة كبيرة أو عصيان كتلك التي قام بها علي بك المصري ، تأتي جيوش ما بين النهرين لنجدة سورية وعلى رأسها باشاوات الموصل وكلس وحلب وماردين. وكان قائد الأكراد يلقب بالمجنون لشجاعته وتهوره ؛ وكان جنده خيالة كالبدو ينهبون ، ويسلبون ، يلبسون برانس حمراء تميزهم عن سواهم من الجنود.

ولم يكن للجيوش المجتمعة زي موحد ؛ بل كان لكل فريق منهم زي خاص به فهنالك العمائم من جميع الأنواع والاحجام والألوان. والكوفيات المزخرفة تشد على الرأس بالعقل المصنوعة من وبر الجمال ، والثياب البيضاء المخرجة باللون الأسود والواسعة الأكمام فتتدلى على الخواصر. والصداري القصيرة الكثيرة الازرار ذات الظهور الصفر ؛ والأعبئة الواسعة المخططة بالاسود والأبيض. والسراويل الكثيرة الهيئات ؛ والأحذية العديدة الاشكال والألوان ؛ والنعال الصفراء والأحذية السمراء.

وكان الزعماء يعرفون بثيابهم المطرزة بشرائط الذهب وبالورود الفضية التي تغطي اكفال خيولهم ونواصيها وصدورها. أما الأسلحة فمعظمها موروث من العصور الوسطى. فالمشاة كانوا يستعملون الفأس ؛ والخيالة ، الحراب الطويلة ؛ والجنود ، البندقية ذات الفتيل الواحد. وأخيراً أخذوا يستعملون البنادق والطبنجات ويكتبون على صفائح السيوف آيات قرآنية وينتضون الخناجر الطويلة المستقيمة».

هذا ما جاء في كتاب الوزير الفرنسي لاكروا ومن مطالعته يمكن للمطالع أن يكون فكرة عن حالة حمص وضواحيها في هذه الحقبة.

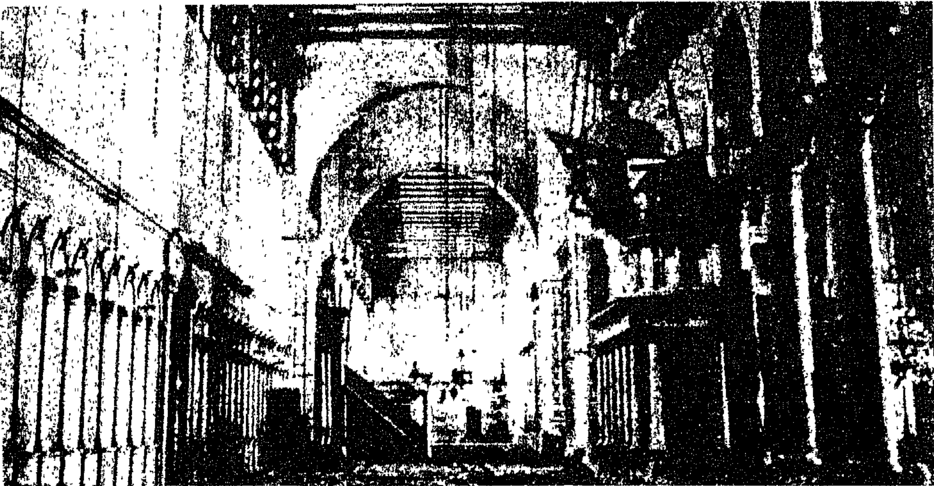
ونحب أن نضيف هنا ما جاء في كتاب (خطط الشام للعلامة محمد كرد علي ص ٣١٦)، ليكون خاتمة بحثنا عن أحداث حمص في الحقبة الثامنة :

«ان سلاطين هذا العصر كانوا وسطاً لا يستطيعون اتيان أي عمل نافع . ولم ينشأ في الدولة صدور عظام كأبناء كوبريللي . وكان همُّ نوابغ الشام دفع عادية خصومهم ، وكانوا دون من يأتي من الآستانة عقلاً وعدلاً؟.

وأهم من ظهر في هذا القرن الشيخ ظاهر العمر في الجنوب الذي دام حكمه في عكا وجوارها نحواً من اربعين سنة ؛ وقتل سنة (١١٨٩ هـ — ١٧٧٩ م).

وظهر في هذا القرن نقص محسوس في سكان البلاد حتى قلقت لذلك خواطر العقلاء . وقد روي أن عدد قرى حلب كان قبل استيلاء العثمانيين على البلاد/ ٣٢٠٠/ قرية فنزل عددها الى/ ٤٠٠/ قرية فقط . وهام الفلاحون على وجوههم في الجبال والأودية حيث يضعف تأثير ذوي السلطة . ولا عجب اذا تناقص عدد سكان مدينة حمص حتى بلغ العشرة آلاف فقط» .

وذكر صاحب الخطط أيضاً (٣ ص ١٩) : أن والي دمشق سنة (١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م) ذهب الى حماه وفتحها بالسيف ؛ وبالغ في الظلم والشدة حتى فر أغلب السكان وهجروا المدينة اتقاء لشره وتفرقوا في مختلف الانحاء فمنهم من توجه الى دمشق وحلب ومنهم من يمموا حمص وطرابلس ، وأصبحت حماه والحالة هذه أشبه بالقرية لقلة سكانها .



الحقبة التاسعة

حمص
في عصر العثمانيين الذي حاولوا التجدد فيه
١٢٠٣ — ١٣٠٣هـ ، ١٧٨٦ — ١٨٨٥م

الفصل الخامس والعشرون

كلمة عامة

جاءت الحقبة التاسعة على حمص ودول اوروبا العظمى وقتئذٍ تتنازع النفوذ في تركيا ؛ فانكلترا تبغي بسط نفوذها الاقتصادي على تركيا ؛ والنمسا وجهت لحاظها الى ما يجاورها من دول البلقان مؤملة في الاستيلاء عليها ؛ أما فرنسا فقد حاولت أن تمسك بخناق تركيا بحجة حماية الكاثوليك في بلادها ؛ كما تسلحت روسيا أيضاً بهذه الحجة لحماية الارثوذكس. وكانت هذه الرغبات والنزعات من أكبر العوامل التي أسهمت في خراب تركيا ؛ وأدى ذلك الى حدوث الفظائع التاريخية المخجلة وحصول الفتن الدموية التي انتهت بانسلاخ قسم كبير من أراضي الدولة العثمانية والتحاقها بدول أخرى أو استقلالها بذاتها.

في أوائل هذه الحقبة أفضى العرش العثماني الى السلطان سليم الثالث (١٢٠٣ — ١٢٢٢ هـ ، ١٧٨٨ — ١٨٠٧ م) واجتهد هذا السلطان العاقل أن يلم شعث الدولة ويعيد اليها رونقها السابق الذي تبدد في أيام سلاطين الحقبة السابقة ، لكنه جاء متأخراً ، فلم يستطع تحقيق بغيته ؛ فكان بين سلاطين آل عثمان كعمر بن عبد العزيز بين الخلفاء الأمويين.

وسارت الحالة على هذا المنوال في أيام خلفائه بالرغم من وجود اكفاء بينهم كمحمود الثاني (١٢٢٣ — ١٢٥٥ هـ، ١٨٠٨ — ١٨٦٠ م) الذي انقذ المملكة من شرور الانكشارية سنة ١٨٢٦ م؛ وعبد المجيد (١٢٥٥ — ١٢٧٧ هـ، ١٨٣٩ — ١٨٦٠ م) الذي أصدر خطي كلخانة في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ والهمايوني في ١٨ شباط سنة ١٨٥٦ وفيهما مبادىء قويمة، لو سير بموجبها لتحسنت حالة الدولة. لكن بالرغم من ذلك حدثت عدة أمور مخزية رجعت بالدولة الى الوراء؛ ولولا تناظر الدول الاوروبية مع بعضها ومحاولة كل منها الفوز بالغنيمة، لكانت الدولة العثمانية في خبر كان منذئذٍ.

وهدفنا الآن بعد هذه المقدمة الانتقال الى تلخيص الحوادث التي مرت بها مدينتنا حمص بصورة خاصة خلال هذه الحقبة ونذكرها في ما يلي:

— **السيول والبرد:**

في ٨ أيار سنة ١٧٨٩ وبعد شهر من تنصيب السلطان سليم الثالث على العرش وكانت السنة شديدة القر، كثيرة تهطال الثلوج. تدفقت السيول بغزارة فاجتاحت في طريقها العديد من الأبنية والأشجار؛ ونزل في ضواحي المدينة برد بحجم الخوخ، كما ماثل بيض الدجاج في جهات أخرى، فأتلف العقارات والمزروعات ونزل شهاب من صاعقة قضى على ثلاثة أفراس (مجلة النعمة ١ ص ٣٣٠).

— **السنة المالية:**

في أيام السلطان سليم المذكور رأى عثمان باشا مورللي، الصدر الاعظم أن تنظيم ميزانية الدولة يقضي بتحويل السنة القمرية الى سنة شمسية؛ وفضل أن تكون بداية تلك السنة في شهر آذار الذي اختارته الدولة الرومانية بداية لسنتها، فأبقى اعداد السنة الهجرية لسنة شهورها شمسية؛ ومنذئذٍ أخذ الفرق يزيد بن السنتين الهجرية القمرية وبين الهجرية المالية الشمسية حتى بلغ الفرق سنتين في اواخر أيام الدولة العثمانية بتراكم الفرق السنوي المؤلف من نحو عشرة أيام كل سنة. وقد وجد معارضون لهذه الفكرة ولكنهم رضخوا بعدئذٍ تحت تأثير القوة الحاكمة التي نفذت القرار اعتباراً من سنة (١٢٠٥ هـ — ١٧٩٠ م).

— **ابرهيم القالوش:**

لما فشل سليم باشا سنة (١٢٠٥ هـ — ١٧٩٠ م) بمنازلة احمد الجزار هرب مع

رجاله. وكان في عدادهم ابرهيم القالوش الحمصي الذي توجه نحو حصن الأكراد وصل ضيفاً على اولاد موسى الحنا حكام تلك المقاطعة؛ فأمنوه على حياته وأقام بينهم مكرماً معززاً.

ولما عرف الجزار بوجوده هناك أرسل يستقدمه اليه؛ فلم يلب طلبه. واذ لم تكن سلطة الجزار قد امتدت الى بلاد الحصن. فقد أرسل وفداً الى الأستانة يلتمس تعيينه حاكماً على ولاية الشام؛ وعاد الوفد ومعه الفرمان العالي بالتعيين. وسر الجزار نبيل بغيته اذ أصبح في امكانه ارغام حاكم الحصن على تسليم القالوش فعزل الحاكم واستحضر القالوش من الحصن. وفي الطريق عرض عليه رجال الجزار الاسلام لينجو فأبى؛ فقطعوا رأسه وعادوا به الى الجزار. اما اولاد القالوش فقد فروا الى عكار لائذين ببكاواتها (الشهابي ص ٨٦٧ ومشاقه: مشهد العيان ص ٥٦).

— **التركمان والنصيرية:**

في سنة (١٢١٠ هـ— ١٧٩٥ م) تصدى احد اغوات التركمان في قرية حزور لاثنين من النصيرية وهما سائران في الطريق، وقرنهما معاً في نير بدل ثورين وأمر تابعه فحرث عليهما الأرض كل النهار من الصباح الى المساء.

ولما علم ذووهما بما جرى شق ذلك على العلويين وأكبروا الحادث، فتألبت جموعهم في الجبال ثم تدفقوا كالسيل على بلاد التركمان فتغلبوا على ست عشرة قرية وقتلوا أهاليها بدون شفقة؛ ومن سلم من أولئك حياً فقد فر الى جهات حمص وحماه (المؤرخ محمد علي محلي).

— **الصدر الأعظم في حمص:**

في أوائل سنة (١٢١٤ هـ— ١٧٩٩ م) أعيدت ولاية الشام الى عبد الله باشا العظم مرة ثانية. وفي أيامه حضر يوسف باشا الصدر الأعظم بجيش لجب لطرد الفرنسيين من مصر. ولما وصل الى حمص استقدم اليه عبد الله باشا فحضر اليه للحال وتفاوضا في شؤون شتى ومنها تسليمه عبيد الأدهمي، الذي ألف عصابة يناهز عدد أفرادها الخمسين رجلاً وأخذ يسطو على منازل النصارى والمسلمين فيضطر هؤلاء لاسترضائه بالمال لدفع اذاه عنهم؛ وقد شكاه الأهلون الى الصدارة ولما عرف عبيد بما جرى لجأ الى الوالي الموجود في حماه؛ ولكن الصدر الأعظم شدد بطلبه فلم يستطع عبد الله باشا اخفاءه مدة أطول؛ لاسيما وأن البيانات التي تبين مكان وجوده أصبحت بين أيدي الصدر الأعظم؛ لذلك فقد

قبض عليه وسلمه الى الوزير والزنجير في عنقه ورجليه. وبعد أن اعتقل مدة قطع رأسه وأخفي أثره (حوادث الشام لميخائيل مشاقه ص ١٠).

— ابن سبح :

في اواخر أيام الوالي عبد الله باشا العظم ارسل الجزار امراً الى محمد بن عقيل يحمله قائد معه ألفا جندي لاعتقال عبد الرحمن المرادي وحسن الدفتر دار ومتسلم حمص ابن سبح وقتلهم فوراً.

ولما وصل ابن عقيل الى دمشق نفذ امر الجزار ونادى باسمه والياً على دمشق سنة (١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م). اما عبد الله باشا الذي شعر بتغير الدولة العثمانية عليه؛ فقد فر الى البرية، ولاذ بالعرب، ثم اتجه بعدئذٍ الى بغداد واستقر فيها (الخطط لكرد علي ٣ ص ٢٠).

— ابن الشيخ زين :

توفي احمد الجزار سنة (١٢١٩ هـ — ١٨٠٤ م) بعد أن حكم البلاد طيلة / ٢٩ / سنة ازهق خلالها ارواح العباد واثقل كاهل الشعب بالعسف والجور الذي كاد أن يكون من مبتكراته. لأنه كان يقتل الكبير والصغير من امراء وذوات وآغوات وعلماء؛ ثم يرضي السلطان بالاموال فيتغاضى عنه. وكان اذا عامل احد المغضوب عليهم بالرأفة واغضى عن قتله؛ جذم انفه ثم صلم اذنه اليمنى وقلع عينه حتى ولو كان من خواص حاشيته. ولم تسلم مدينة حمص وسكانها من آثارات ظلمه.

ومن ذلك ان احد شجعان حمص وفرسانها المعروف بابن الشيخ زين، دفعته مغامرته للاستخدام عند الجزار يوم كان في عكا، رغم النصائح التي أسداها اليه اهله وأصدقاؤه. فلما رآه الجزار اعجب بقامته الجبارة ورشاقة حركاته. وبعد أن شاهد من رجولته ما سره، عينه أميراً لاسطبله. وكان الجزار رغم ما يتوارد الى خزينته من الاموال، قابض اليد عن الانفاق، ولعله كما رأى بعضهم، كان يتوقع أن يتناول موظفوه من مال الظلم والاغتصاب ما ينفقونه على منزله.

ولم يكن الشاب الحمصي ممن يسمح لنفسه باغتصاب مال الغير ظلماً وعدواناً لينفقه على الاسطبل. فلما قل العلف ضعفت الخيل، واستعرضها الجزار مرة فرآها هزيلة، فسأله

عن سبب هزالها ؛ فأجابه بجرأة انما اذبلها انصراف وجه الأمير وقبض يده عنها. فساء الجزار هذا الجواب الساخر وأمر بجدع أنفه . وفر بعدئذٍ ابن الشيخ زين الى حمص وقضى بقية أيامه فيها مشوه الوجه .

ويروي المعمرون عن أجدادهم أن هيئة ابن الزين الجبارة وأنفه المجدوع ، كانت مما يلقي الرعب في قلوب ناظريه . ومن حوادثه أن العسكر أوفدوا يوماً الى محلة صليبة العصياتي لاعتقال رهط من ذوي الجرائم ؛ وضج أهل المحلة لما اجراه الجنود من خلع ابواب واعتداء على الناس الابرياء . وصادف أن ابن الشيخ زين المذكور كان في جامع الاشعري يتعبد وقد بلغ من العمر عتياً ؛ فلما سمع الجلبة خرج ليرى ما الخبر ، ولما أطل من باب المسجد ورآه الجند ، أدركهم رعب شديد فتركوا من جاؤوا يطلبونهم وفروا لا يلوون على شيء .

— خبز الندى :

في سنة (١٢٢٢ هـ — ١٨٠٧ م) حصل جفاف شديد وانحبس الغيث طيلة فترة فصل لشتاء ، ونقصت مياه نهر العاصي نقصاً عظيماً ، حتى استطاع الاولاد بسهولة اجتياز النهر من الجانب الواحد الى الآخر سيراً على الأقدام .

وانكشفت الأرض في بعض المواقع حتى صار الناس يلتقطون منها قطع الخزف وتراءى لبعضهم ان ذلك الموضع كان معملاً للفخار في الزمن القديم . ولكثرة عبور الناس في ذلك الموضع بالذات دعي بالعبار — وما زال اسمه هكذا حتى يومنا هذا — وخشي الحمصيون المجاعة وخيل اليهم أن احتباس الغيث سيؤدي حتماً الى اختناق البذار في الأرض . غير أن حكمة الله خذلت تصورات البشر ؛ فان الندى الثقيل الذي كان يهطل في كل سحر ، روى الأرض واحيا مواتها ؛ فظهرت السنابل في الربيع نحيلة ولكنها مليئة . ولما آن أوان الحصاد غلّت المزارع ما جمعه المزارعون بسرور . وكانت نضارة الحبوب مما يأخذ بالأبصار .

ولما طحن القمح وعجن الناس دقيقه ، كان مخبوزه أحسن خبز عرفه الحمصيون منذ أن أدركوا وجودهم في المدينة . وكان الباعة ينادون في الأسواق بصوت عالٍ : «خبز الندى يا شاري» اذ كان الخبز ذا منظر رائعٍ ليناً ونضارة وطعماً (مذكرات الشيخ محمد طه السكاف) .

رزق الدريدي : (سلوم).

كان في مدينة حمص، رجل نصراني يدعى رزق الدريدي، وهو ابو اسبر وموسى ومن حفدته الشهيد الحمصي رفيق رزق سلوم. وكان يتعاطى بيع النسيج، فحضر اليه رجل متوالي واشترى منه كمية من الأثواب المنسوجة؛ وبعدما حزمها ولم يجد معه ما يسدد به الثمن؛ طلب من رزق إمهاله مدة حتى يسدّد له دينه، فطلب هذا منه كفيلاً على القيمة؛ فأجابه الشاري: إن الله يكفلني. ورضي البائع بالله حسيباً وسلمه الأثواب.

ولما انتهت المدة ولم يحضر الشاري، سأل رزق عنه فذكر له بعضهم أنه في دمشق فقصدها. وبعد تجوله فيها طيلة ثلاثة أيام نمي اليه أن من يطلبه قد التحق بكاخية يوسف باشا. فلما وجده في أحد الشوارع طالبه بدينه وشدد عليه النكير حتى استاء منه الرجل، وسأله عن الفندق الذي ينزل فيه ليأتيه بالمبلغ اليه. ولبث رزق في الفندق ينتظره. وما مر ردح من الزمن، واذ بأربعة من الجند يعتقلونه ويسوقونه الى حيث لا يعلم. وبعد هنيهة وصلوا به الى مدخل حمام واذا به يجد على الباب عودين منصوبين وبينهما حبل ليعلق به. فجزع رزق وارتاع، وفهم أخيراً أنه لا بد من شنقه لأن الكاخية الموجود وقتئذٍ في الحمام قد أوعز اليهم باحضاره وشنقه ليراه معلقاً وهو خارج من مغتسله. فاسترحم رزق واستغاث فلم يلبَّ، وانما قيل له انهم سيقضون له لبانة يشتهيها قبل أن يموت، فطلب اليهم أن يسمحوا له باركيلة يتودع بامتصاص دخانها. فرأفوا به واحضروا له ما طلب.

وبينما هو كذلك اذ مر بالشارع عبود بك البحري؛ فاستغاث به رزق ودنا منه هذا وسأله عن حاله، فأخبره بقصته. ولما عرف عبود بك أنه من وطنه الأصلي حمص، أدركته به رأفة؛ فأمر أحد اتباعه أن يسرع باحضار كميات من أطباق الورد وعدة زجاجات عطرية؛ ثم دخل الحمام، فنثر الورد في الساحة الخارجية ونضح ماء العطر على الطنافس المفروشة للكاخية. ولم تمر بضعة دقائق حتى خرج الكاخية يسنده رجلان من خدمة الحمام.

فلما رأى الكاخية بحري بك واستنشق الروائح العطرية، فهم غرضه للحال، وكتم غيظه. ولما عرض عبود بك شفاعته بمواطنه الحمصي بعدما اخبره بواقعة حاله وصمت ظن ان الباشا مال للعفو عنه اذ أمر باحضاره ليلثم طرف قدميه. فجاء الدريدي خاشعاً، ولما دنا منه أخذ الباشا سكيناً خادة ورماه بها، فأصابت أصابع يد أحد اتباعه فقطعتها. وركض

الموجودون يحاولون تضميد الجرح ، وحصل هرج وجلبة اغتنمها الدريدي وفر هارباً لا يلوي على شيء ، ولاذ بمنزل بحري بك ؛ ولكن هذا نصحه بمغادرة دمشق فوراً والاّ قتل وأصابه هو أذىً بسببه. وهكذا خرج الدريدي من دمشق متوجهاً الى حمص بغير الطرقات المألوفة ومارّاً بصدد ثم اختفى في حمص بمنزل لا يهتدى إليه حتى انفرج الامر بعزل يوسف باشا سنة (١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م).

— **عبود البحري وشواذات يوسف باشا الكنج.**

يروي ميخائيل مشاقة الدمشقي في كتابه (حوادث الشام ص ٢٣) الحوادث التالية عن أعمال الوالي يوسف باشا وشواذاته:

ان كاتب يوسف باشا وبايعاز منه حسَّن لعبود بك البحري اعتناق الاسلام ، فوعده هذا بدرس القضية ؛ ولكنه في الوقت نفسه شعر أن المراد بذلك هو ارهاقه. ففر في الليل من المدينة مصطحباً معه اخوته ولائذاً بالأمير بشير في لبنان. ولما كان الباشا لا يستغني عن عبود المذكور نظراً لنزاهته وكفاءته ندم على ايعازه بما مر ، وأرسل له كتاباً مطمئناً ليعود الى عمله السابق. ولكن عبود بك لم يطمئن اليه. وأعاد يوسف باشا الكتابة بما ذكر آنفاً الى الأمير بشير طالباً منه اقناع البحري بالعودة ؛ وبأنه يتعهد بحمايته ، وهكذا عاد عبود بك الى وظيفته بعد أن دامت غيبته عنها أكثر من شهرين من الزمن.

ومن شواذات يوسف باشا المذكور ؛ أن الوهابيين في أيامه تفاقم امرهم وحضر رسل منهم يطلبون من الشام التسليم ؛ كما سرت شائعة بقدوم جديع القبلان بن قاسم وفاضل ابن عم مهنا شيخ عرب العنزة بجموع غفيرة لغزو الشام وتحقيق مراد الوهابيين ، فاشتد الجزع وعم الخوف ، ولا سيما بعدما عاد الحجاج الى المزيريب وحدثوا عن نهب اموالهم. وقد ذكروا أيضاً أن العرب الذين أوكل اليهم أمر حماية الحجيج ، هم الذين نهبوهم لأن يوسف باشا لم يدفع لهم الرسم المعتاد بل استولى عليه.

ومن شواذاته أيضاً:

أنه حظر على النصارى دخول الحمام مع المسلمين وخصص لهم يومين في الاسبوع للاغتسال وفي حمامين فقط.

وحظر أيضاً لبس القصب والتزين بالحلى الذهبية على جميع النساء من مسلمات ومسيحيات.

كما أمر بجعل وزن الرطل / ٧٥٠ / درهماً لجميع المواد التي تشرى وتباع ، غير مستثنٍ من ذلك الحرير والذهب والخضار.

وفرض ضريبة على أنوال المنسوجات / ١٥٠ / كيساً ، خصَّ النصارى بثلث الفريضة ومثلها سائر الحرف.

ولما سافر هذا الوالي الى نابلس ارسل الى وكيله شمشان آغا في دمشق أن يقتل اسمعيل آغا المهايني وهو من أفضل الشخصيات الدمشقية ومن أكثرها كرماً ووجاهة ولم يسبق له أن آذى احداً من الناس.

واثر عودته من نابلس أصدر أمره الى النصارى بأن يلبسوا السواد حتى السواد وبتعلية سقف ابواب الكنائس حتى اذا دخل المسلم لا يضطر لاحناء رأسه كما أمر أن لا يرفعوا أصواتهم أمام المسلمين.

وأصدر أمره الى المسلمين الذين بلغوا الرابعة عشرة أن يطلقوا لحاهم ويحنّوها ، وأن يكحلوا عيونهم ، وكل من يخالف هذا الأمر يعاقب بالجلد. كما أمر باقفال المقاهي عند غروب الشمس ، وحظر عمل المأكولات بالعجين والسمن ، وحظر على خدمه تقلية الطعام بغير الزيت.

وذكر مرة شيخه الكردي ، أن المال المشبوه لا يجوز أن يبتاع به ما يأكله ؛ فطلب من النصارى أن يسلفوه من مال الجزية خمسة أكياس عن ضريبة سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م) لكي يصرف منها على نفسه...

وأصدر أمراً حظر فيه على النصارى ارتداء الأخضر والزيتي ؛ ورأى مرة بعض الفلاحين قادمين من الجبل. ولم يعرفوا أن لبس الاخضر محظور على النصارى ؛ فأمرهم أن يسلموا والا قتلهم. فأسلم اثنان منهم وأبى الثالث وهو زحلي فأمر الباشا بقطع عنقه.

ولما تفاقم أمره اتفق العلماء المسلمون على مخاطبته وأن يفهموه أن ما يصدره من أوامر هو مخالف ومناف لمبادىء الاسلام وأن له عواقب رديئة ؛ كما أبلغوه أن شيخه الكردي هو الذي يسبب هذه الشواذات والمظالم. وظلوا يحاورونه بلطف حتى تمكنوا من اقناعه بطرد الشيخ الكردي من بطانته وهكذا ارتاحت البلاد من آراء وأفكار شيخه السامة (ميخائيل مشاقة ص ٢٣ — ٢٥).

— الجدري والتلقيح :

في عام (١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م) انتشر مرض الجدري في الأصقاع السورية. وفتك بالأهلين فتكاً ذريعاً. ونال مدينة حمص حظها منه. غير أن هذه الشدة دفعت بالسكان الى اللجوء الى الطرق العلمية والصحية لمكافحته واتقاء خطره. ومنذئذٍ أخذوا يستعملون اللقاح ضده الذي اكتشفه واخترعه الدكتور الانكليزي جنّر (١٧٤٩ — ١٨٢٣ م) واستعمله بعضهم سنة (١٢٢٢ هـ — ١٨٠٧ م) والذي أدخله الى سورية قنصل النمسا السيد لورلا سنة (١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م) في أيام الامير بشير الشهابي فأقدم عدد ليس بقليل من الحمصيين على التلقيح وبذلك نجوا من شر هذا الوباء الفتاك.

— عثمان محرم :

عثمان محرم من اعيان مدينة حمص وتجارها المشهود لهم بالاخلاق العالية والانسانية ومساعدة المحتاجين؛ ولذا فقد حسده بعضهم على ما اوتيه من نجاح في تجارته ومحبة من مواطنيه.

وكان متسلم حمص قد تشبع بالأفكار السامة عنه؛ فما أن ذهب عثمان الى دمشق لاشغال تجارية له فيها حتى سبقته الى واليها سليمان باشا الأنباء الشائنة والكاذبة عنه. فما أن وطئت أقدامه أرض دمشق سنة (١٢٢٧ هـ — ١٨١٢ م) حتى استقدمه الوالي ثم أمر بقتله بدون أي تحقيق؛ وصدف أن علي آغا متسلم دمشق الذي كان له معرفة وصلة وثيقة بعثمان عرف بالأمر وبما حدث لصديقه وببراءته مما اتهم به، فبادر للتوسط له عند الباشا الوالي وتمكن بعد جهد من نيل العفو عن قتله والاكتفاء بسجنه في القلعة.

وكان لهذا الحادث أثر سيء في النفوس وخشي التجار على أنفسهم وأموالهم فتواروا عن الانظار. غير أن مراجعات علي آغا المتكررة للباشا، لطفت الجو فأطلق سراح عثمان الذي عاد الى بلده وهو لا يصدق بالنجاة. وبذلك عاد الاطمئنان الى نفوس اصدقائه من التجار وزاولوا اعمالهم السابقة.

— زلزال شديد :

في الساعة الثالثة بعد منتصف ليل أول آب سنة (١٢٣٧ هـ — ١٨٢١ م) حدث زلزال شديد أدى الى تهديم منازل كثيرة في المدينة، لا سيما في الجهة الشمالية منها. وتتابعت بعدها

الهزات الخفيفة تتوالى بين حين وآخر طيلة شهرين لدرجة أن معظم السكان فروا الى البساتين للنوم فيها خشية من هبوط المنازل عليهم . وقد قتل تحت الردم من سكان حمص بسبب الزلازل هذه ما لا يقل عن مائة نسمة .

اما معظم النكبة التي لحقت بالبلاد السورية فقد أصابت مدينة حلب بصورة خاصة ؛ اذ مات تحت الردم ما يناهز الـ/ ١٥ / الف نسمة ، وفق ما رواه المؤرخ الطباخ في كتابه (اعلام النبلاء ٣ ص ٤٠٠ — ٤١٠) والذي نقل فيه قصيدة مخمسة لمحمد تقي الدين المطلبي وصف فيها كوارث الزلزال واشار فيها الى ما أصاب حمص اذ قال :

فكم خطوب بأرض الشام قد وقعت وفي حماة وحمص اعين دمعت

وفي المعرة كم من نسوة فجعت وأرض ريحا وسلقين لقد صدعت

وارض عينتاب ماجت في أهاليها

— **ابن خير الله الحاكم وثورة حمص** :

في اوائل سنة (١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م) أوعز الوالي الى متسلم حمص محمد آغا بن خير الله أن يحصل الفريضة المعروفة بالفروة . واستثقل الأهلون هذه الضريبة المستحدثة في وقت كانت فيه النفوس حانقة ثائرة لعوامل شتى من أهمها شدة هذا الحاكم وظلمه واستباحته الحرمات . فذهبوا الى المفتي واستخرجوا منه فتوى بقتله ، فأفتاهم بذلك ، حينئذٍ توجهوا الى منزله في ٢٦ أيار سنة ١٨٢٦ وقتلوه .

وبعد هذه الثورة باربعة أسابيع أي في ٢٤ حزيران وجه صالح باشا والي الشام قوة مع عزت بك الى حمص لتأديب الثائرين ؛ ولكن هذا لم يكن حريصاً على سره ، اذ وجه رسالة الى ملحم بك اليوزباشي ، يوصيه فيها باهتبال فرصة اجتماع الناس للصلاة يوم الجمعة ثم يطبق على المسجد فيعتقل كل من له صلة بالثورة ولسوء حظه وقع كتابه بأيدي بعض الحمصيين فانتشر النبأ وللحال اقفل الأهلون حوانيتهم وتقلدوا أسلحتهم وبادروا الى القشلاق الذي اعتصم به عزت بك ورجاله وحاصروهم مدة أربعة أيام . وفي اليوم الخامس تدخل بعض الاعيان مع الثائرين فافرجوا عن المحاصرين وتركوهم يغادرون المدينة .

ولكن عزت بك هذا عاد بعد بضعة أيام الى حمص ومعه قوة كبيرة من الجند ، نصبت سرادقاتها بالقرب من مقام السيد خالد بن الوليد . كما ربض اليوزباشي بقواته غربي المدينة .

وحوصرت المدينة مدة/ ٢٤/ يوماً واطلق عليها/ ٢٥٠/ قذيفة مدفع ، غير أن هذه القذائف لم تؤذ أحداً ، وظل الأهلون على ما هم عليه ؛ اذ اختاروا لتدبير الأمور حسن آغا الباكير الذي ما أن تسلم القيادة حتى عمد الى تحصين المواقع الضعيفة من الاسوار وتدريب المقاتلين. ولحسن الحظ فقد صدر الامر السلطاني بعزل الوالي صالح باشا لذلك رحل عزت بك عن المدينة.

ومكث حسن آغا الباكير متولياً حكم حمص طيلة خمسة اشهر. واثناء فترة حكمه صدر فرمان شاهاني ابطل بموجبه صريبة الفروة التي كانت السبب الرئيسي في قيام ثورة الحمصيين. فسر الناس سروراً عظيماً واقاموا مهرجانات طال أمدها حتى اوائل شهر شباط من العام التالي.

ولما تولى رؤوف باشا ولاية الشام سنة (١٢٤٤هـ — ١٨٢٨م) عين عمر أفندي التركماني حاكماً على حمص. وعامل هذا الأهلين بالرفق والتواضع ، فأحبوه وأكرموه وادوا له ما طلبته منهم الحكومة على اقساط.

وفي ٨ أيلول سنة (١٢٤٥ هـ — ١٨٢٩ م) أتى الشمَّري الى حمص والبس حسين آغا الجندي حلة الحاكم. ولكن الأهلين رفضوا هذا التعيين ، فحوصرت المدينة مرة أخرى. وأتى حسين آغا بقوة كبيرة يوم السبت الواقع في ١٧ تشرين الأول ووقع الصدام بين قواته وبين الأهلين ، ودامت الحالة على هذا المنوال حتى يوم الاثنين المصادف ١٠ تشرين الثاني ؛ اذ وصل الى المدينة عثمان باشا ومعه جيش لجب من جبال نابلس وعرب الكلبية والدروز. فاستسلم الناس للقوة. وجرد الباشا النصارى من أسلحتهم ، وفرض على المدينة غرامة نقدية مقدارها/ ٣٥٠/ كيساً مما أصاب الناس بالضيق الشديد وتثبت حسين آغا حاكماً على المدينة.

ـــ الحاكم حسين آغا وسليم الباكير:

بعد بضعة أشهر حصلت مناظرة بين المتسلم حسين آغا الجندي والسيد احمد بن عبد العزيز ؛ فحفظها عليه. وعلم بالأمر ابن عمه سليم آغا الباكير ، وكان سفاكاً جريئاً. فنقم على الحاكم وأخذ يتحين الفرص للثأر منه. وعندما لاحت له تباشيرها ، قدم الى المدينة ووراءه كوكبة من الفرسان ودخل السراي فوراً وأظهر لحفظتها أمراً مزوراً زعم فيه أنه تعين

حاكماً لحمص ؛ فانخدعت الضابطة به وائتمرت بأمره. فأمرهم بالذهاب الى منزل حسين آغا ؛ فساروا ومعهم القوة التي جاء بها سليم آغا وألقوا القبض على حسين آغا وأخرجوه خارج المنزل ونصبوا عوداً صلبوه عليه ، ثم أضرموا النار تحت جسمه حتى احترقت جثته وسلت وذابت. وكان لهذا العمل الوحشي أثر سيء جداً في نفوس الأهلين.

ولما عرفت حكومة دمشق بالامر الواقع أرسلت قوة لخضد شوكة المغامر السفاك فحاصرته في المدينة عدة أيام. ولما أزهق الحصار نفس سليم آغا ؛ أمر رجاله أن يحموا ظهره ، وخرج من أحد الأبواب شاهراً سيفه فاخترق صف الجند المرابط عند ذلك الباب ، والذين أدهشتهم جرأته ، وسار لا يلوي على شيء ؛ ثم لاذ بالدنادشة في المشتى ومكث لديهم حتى حضر والٍ تركي فأخذه بالأمان ، فلما استأمن ، قتله كعادة ولاة الاتراك في ذلك العهد.

— **ابرهيم البحري** :

من الضحايا الذين سفكت دماؤهم بسبب تغير الحكام ابرهيم بك البحري الحمصي ، رئيس كتاب حكومة دمشق المعروف بنزاهته وكفاءته وتفانيه في خدمة الدولة. اذ أنه لما تبدل الوالي السابق وتعين درويش باشا والياً على الشام. حدث حادث غير منتظر الوقوع. اذ أنه في عصر النهار الذي ذاع خبر التعيين فيه ؛ حضر ثلاثة أشخاص من محلة الميدان يفتشون على ابرهيم البحري كاتب الولاية. فقيل لهم إنه غادر السراي وذهب الى منزله في زقاق الحمزاوي فاسرعوا وراءه وأدركوه على الطريق. ولما وصلوا اليه ضربه أحدهم بالخنجر فأدماه وسقط البحري على الأرض ، ثم حاول النهوض والتوجه الى منزله ولكنه ما كاد يسير بضع خطوات حتى خر على الأديم ميتاً. واجتمع حوله بعض الناس ثم حملوه الى بيته حيث اهتم أهله بدفنه.

اما الحكومة العثمانية فلم تبال بما جرى لموظف كبير من موظفيها ، لأنه فهم بعدئذٍ ان الحاكم الجديد يريد تطهير السراي من كل الموظفين الكبار الذين كانوا يعملون لدى الوالي السابق...

— **اليهود واسكندر الحمصي** :

روى مؤلف كتاب (حوادث الشام ص ٤٧) : ان الصيارفة اليهود في دمشق الذين

اتسعت سيطرتهم في أيام سليمان باشا ، جاروا كثيراً على اسكندر الحمصي النصراني ، وسعوا لقتله. ولكن المذكور استطاع أن يفلت من عقابهم باعتناقه الدين الاسلامي.

ولما تولى الشام صالح باشا سنة (١٢٣٧ هـ — ١٨٢١ م) الذي كان متسلماً في أيام سليمان باشا وسبق له الاطلاع على اعمالهم ؛ أمر باعتقال الصيارفة اليهود وضبط دفاترهم وأخذ منهم ازيد من ثلاثة آلاف كيس وظلوا في السجن مدة طويلة. وكان ضابط السجن آنئذٍ اسكندر الحمصي الذي انخرط في الجيش بعد اسلامه وأصبح اسمه محمد هدايا ؛ وقد عانوا من انتقامه شدة عظيمة ؛ واضطروا أن يبيعوا حلي النساء ليسددوا ما طولبوا بتأديته للوالي ؛ واضطر كبيرهم روفائيل أن يفر الى بغداد بعد خروجه من السجن ولم يستطع أن يعود الى دمشق الا بعد أن قدم هدايا كثيرة وبلغ مجموع ما قدمه للخزينة خمسة آلاف كيس ؛ وصح في هؤلاء القوم القول المأثور : «الجزاء من جنس العمل».

— **وباء الطاعون** :

في عام (١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م) انتشر وباء الطاعون في شمالي سورية وانتقل الى مدينة حلب حيث كان يموت فيها يومياً ما يقارب الألف نسمة. ثم اتصل بحماه وحمص ومنها انتقل الى البقاع والمجدل ثم الى دمشق والناعمة والنبطية وبعض سواحل لبنان. وفي شهر شوال كان هذا الوباء الوبيل يعم كافة ارجاء البلاد وتلا هذه المصيبة مصيبة أخرى هي الجراد الذي داهم البلاد في شهر شعبان ، ولكن المطر أدركه فأهلكه.

وقد قدر عدد من هلك في جائحة الطاعون هذه بحوالي نصف سكان حمص وحماه (المجلة السورية ٤ ص ٣٢).

— **وفاة حسين باشا في حمص** :

على أثر احداث الفتنة التي وقعت في دمشق وأدت الى مقتل الوالي سليم باشا فيها ؛ أرسلت الدولة العثمانية حسين باشا لتهدئة الحالة ولتنظيم شؤون الحج ؛ وأسرع هذا بالحضور وكان قدومه سنة (١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م). ولما وصل الى مدينة حمص ، أصيب بمرض شديد ، لم تنجع فيه وسائل الطب المتوفرة في ذلك الوقت فتوفي ودفن في حمص (الحوادث ص ٥٢).

— حمص وابرهيم باشا المصري :

قيام محمد علي باشا والي مصر من قبل تركيا بمحاربة الوهابيين في الحجاز وانتصاره عليهم ثم محاربته السودانيين وبعدئذٍ اليونانيين في المورة والانتصارات العسكرية التي حققتها جيوشه في المعارك التي خاضتها ؛ وما كان سمعه من الامير بشير الشهابي عن السياسة السيئة التي تسير عليها الدولة العثمانية في سورية ؛ جعلته يطمح الى تأسيس دولة عربية كبرى نضم بالاضافة الى مصر سورية ولبنان وفلسطين. ولتحقيق هذا الهدف ؛ جهز حملة قوية عهد بقيادتها الى ابنه ابرهيم باشا وارسلها الى سورية متخذاً من رفض عبد الله باشا والي عكا ، اعادة المهاجرين المصريين الى بلادهم ذريعة لإشهاره الحرب على الدولة العثمانية.

وما أن علم الباب العالي بانتقاض محمد علي باشا حتى أوعز الى عثمان باشا والي حلب أن يتقدم بجيشه لصد ابرهيم باشا ودحره. ولكن عثمان المذكور لم يستطع القيام بما عهد اليه ؛ لأن ابرهيم باشا اخذ ينتقل من نصر الى نصر حتى اكتسح فلسطين وسورية والأناضول مذلّلاً بذلك أعظم قادة الدولة العثمانية وهو محمد باشا في معركة قدس بعد أن هزم عثمان باشا في معركة الزراعة. كما انتصر على حسين باشا في بيلان ورشيد باشا في قونيه. وكان قمة فوزه ومفتاح نجاحه الباهر في معاركه مع العثمانيين هو انتصاره في معركة حمص التي سنتحدث عنها في ما يلي :

معركة حمص :

عندما وصل الجيش المصري الزاحف الى بلدة النبك ، كلف ابرهيم باشا حليفه الامير بشير الشهابي الكبير ، أن يقيم في بلدة دير عطية لحماية مؤخرة الجيش المصري ، وتأمين المواصلات والمؤونة له. وتابع هو سيره مع قواته الى بلدة القصير حيث نصب السرادق على ضفاف نهر العاصي وحتى تكون هذه البلدة مركزاً للقيادة ، ثم سار بالجيش وعدده/ ٢٠ / ألفاً الى ضواحي بلدة قطينة حيث التقى بطلائع الجيش العثماني.

وكانت الجيوش العثمانية القادمة من الشمال التي يقودها الجنرال محمد باشا قد وصلت الى جنوبي حمص وانضمت إليها فلول المنهزمين من دمشق فأصبح تعداد جنودها يزيد عن خمسة وعشرين ألف جندي.

ورتب القادة العثمانيون جنودهم في جناحين ؛ ووقف الجناح الايمن في جزيرة يحيط بها

نهر العاصي ، ووزعوا مدافعهم بصورة لا تدع مجالاً لأن يكون مدفعان في موقع واحد. كما وقف الجناح الايسر الى شمالي نهر العاصي. وبهذا الترتيب العجيب ، وما أصاب قلوب الجنود العثمانيين من اليأس والقنوط والرعب ؛ هيأ القادة الأتراك أنفسهم للفشل.

اما ابرهيم باشا فقد ربض جناحه الأيسر على ضفة النهر ، وتمركز جناحه الأيمن في البادية ، ووزع الفرسان في اطراف الميدان ؛ كما أخفى مدفعيته عن الانظار في أمكنة اعدها لهذه الغاية.

ولقد اعتبر الخبراء العسكريون الاجانب يوم ٨ تموز من عام ١٨٣٢م يوماً تاريخياً عظيماً في تاريخ المعارك الحاسمة ؛ اذ حصدت مدفعية ابرهيم باشا فيه قلب العدو وميسرته حصداً ذريعاً ؛ ولم تستطع ميمنة العثمانيين تلبية استغاثة المستنجدين بها من رفاقهم لأن المدفعية المصرية جمدتهم في اماكنهم الضيقة. وهنا اندفع فرسان الجيش المصري على الاعداء وكأنهم البحر الزاخر وأصبح الميدان اتوناً متأججاً بما ارسلته المدافع من الحمم.

وما أن خيم الظلام وادلهم الليل ، حتى اطلق القادة العثمانيون الأعنة لخيولهم يطلبون النجاة ووراءهم من تبقى من جندهم قاصدين مدينة حلب.

ابرهيم باشا في مدينة حمص:

وفي يوم الأحد الواقع في ٩ تموز سنة ١٨٣٢م دخل ابرهيم باشا مدينة حمص فاستقبل بالزغاريد والأهازيج ؛ وأخذت النساء تنثر على رؤوس الجند ازهار الورود والياسمين بالاضافة الى ماء الزهر وانواع العطور المختلفة. ولقد غنم المصريون في هذه المعركة/ ٢١/ مدفعاً لم تثبت وجودها في المعركة السالف ذكرها وهي بحالة سليمة يضاف اليها الذخائر الوفيرة التي كان الجيش العثماني قد ملأ بها مخازن المدينة وثكناتها. وبلغ عدد قتلى الاتراك الفين واسراهم/ ١٥٠٠/ بينما بلغ عدد قتلى الجيش المصري/ ١٠٢/ وجرحاهم/ ٩٦١/ رجلاً فقط. (الهلال— ابرهيم في الميدان ص ٩٢— ٩٤).

وروى الدكتور ميخائيل مشاقه الدمشقي ما يلي: «ان ابرهيم باشا لما تسلم زمام الأحكام في حمص وجد بين الاسرى ثمانمائة أرمني كانوا في خدمة الجيش العثماني ؛ فأطلق سراحهم وارسلهم الى مطران الروم بحمص ، كما أرسل بقية الاسرى الى عكا. واما الجرحى وعددهم/ ٢٥٠/ جندياً فسلمهم الى الاطباء للعناية بهم مع الجرحى المصريين ، وأمر قاضي حمص ومفتيها بأن يوعزوا بدفن القتلى.

من آثار ابرهيم باشا في حمص الثكنة العسكرية التي كانت تعرف باسم المسلحة والتي بنيت عام ١٨٣٤ (وقد هدمت في الاربعينات من هذا القرن وأقيم مكانها دار الحكومة الحالية)؛ وقد حشر الناس لبنائها من كل فج وصوب.

ومن الملح الطريفة التي رواها بعضهم عن بنائها؛ أن ابرهيم باشا عندما اراد تلزيم البناء اشترط على الملتزمين أن يتكفلوا بثباتها على عواصف الدهر الف سنة. ولم يجسر على ذلك من الملتزمين الا رجل واحد اسمه بطرس خزام تقدم من الباشا وتكفل بتنفيذ هذا الشرط. وعندما لامه رفاقه لاقدامه على هذه المغامرة ضحك بطرس منهم قائلاً: إن وجدني الباشا أو وجد نفسه بعد ألف سنة على قيد الحياة فليفعل بي ما يشاء.

ونذكر هنا حادثة أخرى جرت في حمص خلال هذه الحرب:

في معركة حمص جرح الضابط العربي المصري محمد الطهطاوي عندما كان يطارد الاعداء في الفلاة، فحملته آنسة حمصية هي زمردة بنت محمد القاسم وعادت به الى حمص مع بعض الفرسان، ثم أخذت تمرضه وتواسيه وتعتني به في الوقت الذي كان فيه الجيش المصري يتابع زحفه نحو حلب. وعندما استعاد الجريح صحته صدر الأمر بنقله الى عكا. ولم تشأ زمردة تركه بعد أن ربط الحب بين قلبيهما، فسافرت معه، وهناك وافاهما والد الفتاة محمد حيث عقد قرانهما في ١٥ أيلول سنة ١٨٣٢م وشهدت عكا مهرجاناً لم يسبق له مثيل بزفاف زمردة الحمصية الى محمد الطهطاوي المصري (ابرهيم في الميدان ص ٩٦ و٩٧).

— **فارس المزيد:**

على أثر الغزوات التي حمي وطيسها في حوران وشمالي فلسطين بين القبائل العربية المختلفة؛ وظهر عجز الحكومة العثمانية عن وضع حد لتلك الغزوات والاصطدامات سنة ١٨٥٨، فقد نزع فارس المزيد رئيس قبيلة الحسنة (إحدى فروع العنزة) الضاربة قرب بلدة القريتين من أعمال حمص، الى الثورة والعصيان أيضاً. ولما طال الأمد على ثورته وخشي بأس الحكومة بعد أن ارتاحت من بعض مشاكلها الداخلية، توجه الى دمشق للتفاهم مع الباشا الوالي. ولكنه وهو في دمشق شعر أن الوالي يروم اعتقاله؛ فانسل من المدينة وعاد الى ثورته.

وكانت الحكومة العثمانية قد أناطت السهر على الأمن في بادية الشام بمحمد الخرفان زعيم قبيلة عربية أخرى. وأخذ فارس المزيد يتصدى للزعيم الجديد ويسلب جماعته، فما كان من هذا الاخير الاّ أن طلب مساعدة الأمير سليمان الحرفوش الذي جمع قوة من أهالي بعلبك— شيعة ونصارى— وهب لنجدته.

وطاردت هذه القوى المتحدة فارس المزيد في حمص وجهاتها حتى الى ما وراء حماه وهناك اشتبك الفريقان بمعركة حامية الوطيس، كان النصر في بدايتها للأمير سليمان وانصاره؛ ولكن حدث أنه بينما كان رجاله مشغولين ومنهمكين في نهب الاسلاب، داهم الحديديون القادمون من جهات حلب لنصرة فارس المزيد؛ الذي عاد فارتد مع قبيلته على الامير سليمان الحرفوش وكسره شر كسرة بعدما قتل من رجاله نحو/ ١٥٠/ رجلاً وفي عدادهم أحد الأمراء الحرافشة؛ كما قتل أيضاً في نفس المعركة محمد الخرفان نفسه. (من رسالة للقنصل الانكليزي برانت تاريخها ٢٠ تشرين الأول ١٨٥٨م).

— حادثة الستين المؤسفة:

في ٣٠ آب سنة ١٨٥٩ هاجم بعض الدروز بلدة بيت مري في لبنان، بعد أن أحرقوا ثلاث قرى مسيحية وقتلوا رجالها؛ ولكنهم فشلوا من تحقيق هدفهم في بيت مري.

وفي شهر نيسان سنة ١٨٦٠ ورد أمر سري الى خورشيد باشا والي بيروت من حكومته العثمانية بإهلاك المسيحيين في منطقته، وسمح هذا للدروز بمهاجمة دير القمر وهكذا سفكت الدماء البريئة طيلة ثلاثة أيام وناهز عدد ضحايا تلك المجزرة الألفين.

وامتدت تلك الفتنة الى دمشق واضطرم سعيرها بأمر من الوالي العثماني احمد باشا؛ ودام فيها القتل والنهب والحريق مدة خمسة أيام كاملة أي من ٩ تموز حتى ١٣ منه، قتل اثناءها/ ٨٥٠٠/ مسيحي ودمر/ ٣٨٠٠/ منزل وقدرت الأضرار والخسائر المادية بمئة مليون فرنك ذهبي؛ كما هلك بعد هذه المذبحة بالأمراض والضنك والخوف من جميع فئات السكان/ ٣٠/ الف نسمة.

أما التاريخ فقد حفظ بين دفتيه اسماء الأشخاص الانسانيين الذين اظهروا مروءة تذكر فتشكر أبان تلك النكبة التي أثارها الاستعمار العثماني الغاشم وولاته المتزمتين بمساهمة الدول الاوروبية الاستعمارية وخاصة منها انكلترا وفرنسا.

والى مطالع أسماء تلك الشخصيات النبيلة في البلاد السورية التي وقفت موقفاً وطنياً وانسانياً وأسهمت اسهاماً فعّالاً في دفع الجزرة عن مواطنيهم وهم :

في جبل لبنان : الأمير محمد ارسلان حاكم الشوف. وفي صيدا عقيله آغا الحلبي المغربي شيخ الهنادي. وفي دمشق الأمير عبد القادر الحسني الجزائري ومحمد آغا المهايني وسواهم (كشف اللثام نص ٢٠٩).

— مروءة الزعماء الحمصيين وموقفهم من حادثة الستين :

اما مدينة حمص وشمالي سورية فيرجع الفضل في صد هذه البلية عنها وعن كافة البلاد السورية الواقعة شمال وغرب حمص الى عاملين رئيسيين :

الأول : معرفة عبده آغا سويدان حاكم منطقة حسيا والبادية بما جرى في دمشق عن طريق رسالة بعث بها بعض متزمتيها مؤرخة في ٢٩ حزيران سنة ١٨٦٠ لاضرام نار الفتنة في شمالي سورية ، اذ القى القبض على الرسل وسجنهم لديه في حسيا ثم أرسل بدوره من أخبر رؤساء الاسر الاسلامية الكبرى بما يجري ويحاك في دمشق ويطلب منهم التكاتف والتآزر لدفع المكاره عن اخوانهم ومواطنيهم من الطائفة المسيحية.

والثاني : يعود الفضل فيه الى زعماء حمص ومن أشهرهم : عبد الرحمن الجندي وحجو الرفاعي ويوسف الموصلي واسمعيل القاضي ويحي الزهراوي وأبو سليم السباعي والشيخ سليم خلف وصالح الوفائي.

هؤلاء الاماثل وآخرون من كرام رجال المبادىء والأخلاق والوطنية ، تعهد كل واحد منهم بحماية سكان المحلة التي يقطن هو فيها من تعدي الاشرار والغوغاء مستعيناً برهط من الرجال الأشداء الذين أخذوا يتجولون في أحياء المدينة ليلاً ونهاراً ، وحاولوا بعملهم الانساني هذا دون سفك نقطة دم واحدة في حمص فحفظ لهم التاريخ بمداد من ذهب هذه المأثرة التي لم تقف حدودها عند مدينتهم الحبيبة فحسب بل عمت شمالي سورية كافة.

ونحن هنا اذ ندون احداث تاريخ حمص نشير اليها بصورة خاصة مفاخرين بالرابطة الوطنية التي ازدان بها الحمصيون واحلوها فوق كل رابطة اخرى. وبذلك فقد اجهضت ارض حمص تلك البذور الفاسدة التي عمل العثمانيون ومن ورائهم الدول الأجنبية المستعمرة على انعاشها.

— الأمير عبد القادر الجزائري في حمص

في شهر حزيران من عام ١٨٦١ وصل الى حمص الامير عبد القادر الجزائري الحسني في زيارة لمقام الصحابي خالد بن الوليد ومزار الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ؛ بعد أن كثر الالحاح عليه في تحقيق هذه الزيارة من قبل الاهلين الذين هبوا بأجمعهم لاستقباله خارج ابواب المدينة استقبالاً منقطع النظير. وقد رحب اثناء اللقاء به باسمهم العلامة المرحوم الشيخ خالد الأتاسي بقصيدة عصماء جاء في مطلعها :

حمد ربي بدت بأفق المناء شمس أنس جلت دياجي العناء

وجاء فيها أيضاً :

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بالامام الهمام ذي العلياء
قد سما نسبة لبيت رسول الله محي بـــعين سين وراء
عش سعيداً أنت المجاهد في الله ولا زلت أسعد السعداء

— الامير مجول المسري :

مجول المسرب هو ثالث ابناء الأمير صقّار المسري من عرب السبعة واخواه الكبيران هما محمد وقانع . وكانت مضارب هذه القبيلة في ضواحي حمص ؛ اذ انها في اشهر الصيف كانت تؤم الضاحية الشرقية للمدينة وفي الشتاء كانت تضرب شرقاً متجهة في الحماد حتى تصل في بعض الأحيان الى أراضي العراق.

وبعد أن انتهت احداث سنة الستين المؤلمة واستتب الامن في البلاد السورية ؛ خطر لسيدة انكليزية أن تشاهد هذه البقعة من الارض ذات الأثر التاريخي الذي يبعث في نفوس الاوروبيين رغبة حارة لارتيادها واكتناه ما ذكره المؤرخون عنها.

وغامرت هذه السيدة وتزودت بما تتي معه أخطار هذه الرحلة من الوسائل التي تؤمن مسيرها ، فزارت الهند حيث سبق لها التجول فيها ، ثم حولت أنظارها نحو بلاد الشام فاجتازت بلاد فارس واسترشدت قنصل انكلترا عما يقيها الأخطار فزودها بمعلوماته ورسائله وبدليل أمين من قبله ؛ فودعته واستأنفت السير ، ولما بلغت بلدة دير الزور اخبرها قنصلها

أن السير في البادية محفوف بالأخطار ان لم يرافقها زعماء البدو ذوو الهيبة والمكانة، وطلب اليها أن تتريث حتى ينتقي لها من يحسن القيام بهذه المهمة.

وكان الامير مجول كثيراً ما يندب لمرافقة المسافرين في البادية وايصالهم الى الاماكن الآمنة مقابل هدية مالية تقدم له؛ وانتظره القنصل حتى عاد من مهمة قضاها فاستقدمه اليه وعرض عليه مرافقة السيدة الانكليزية فقبل.

وسار مجول قرب هودجها ووجهته تدمر. واذ رأى من التفات السيدة اليه وكرمها الشيء الكثير، رغب أن يبرز أمامها مواهبه بغية نيل المزيد من اعجابها؛ ولذلك ارسل فأخبر أهله الضاربين في جهات تدمر طالباً منهم القيام بمظاهر طراد امامها استدراراً لبرها، فوافقوه على ذلك.

ولما وصل موكب السيدة الى وادي المنصف قرب أرك، اذ بغبار المسارية قد حجب نور الشمس. وللحال اطلق مجول لجواده العنان، وأخذ يطارد الفرسان القادمين ورمحه في يده؛ فما طارد الاّ لحق، وما طورد الاّ سبق. ولم تكن السيدة ممن شاهدوا الطراد فيما سلف، فخافت خوفاً شديداً وظنت أن هنالك قرصان برٍّ يرغبون أخذهم غنيمة. ومن شدة الخوف أخذت بالصراخ والاستغاثة وهنا عرف مجول بما خامرها من جزع فعاد إليها كالبرق وطمأن خاطرها وأفهمها أنها في مأمن من كل طارق، ما دام هو في ركابها؛ وعندئذٍ آبت للسيدة سكينتها ودهشت لما أبداه مجول من ضروب الفروسية فوق ما ازدان به من جمال الهيئة وحسن الفتوة.

وعرفت السيدة ان الفرسان هم من عشيرة مجول ولذلك اغدقت عليهم هباتها من مال وملابس وظلوا في ضيافتها طيلة مدة اقامتهم في تدمر. وكامرأة اوروبية لا تخشى التصريح عما في نفسها لم تكتم ميلها لمجول فعقد قرانه عليها في تدمر وقتئذٍ.

وكانت السيدة تبغي السفر الى دمشق ولكن مجول اقنعها بسكن حمص معتذراً عن زيارة دمشق معها نظراً لوجود خلاف بين عشيرته وبين قبائل الشام فوافقته على ذلك وابتاعت في حمص داراً في الحي المعروف برأس المقيصلة وسكنت هناك مدة سنة. ولكن ذلك المنزل لم يرقها لأنه في وسط المدينه وكانت نفسها تواقة الى السكن في الضواحي

فباعت البيت الى المرحوم عمر الدروبي وابتاعت كرماً في ضاحية المدينة وبنت فيه القصر المعروف الذي لا يزال حتى الآن يعرف من آثاره «بقصر مجول».

وسكنت هذه السيدة قصرها مدة ثلاث سنوات ؛ ثم رحلت مع زوجها الى دمشق ، فابتاعت فيها بستاناً بنت فيه سبعة منازل خصت نفسها باحدها ووهبت الباقي لرهط من العلماء الذين اهتموا بتلقينها اللغة العربية وتدريب زوجها على مطالعة القرآن الكريم وتفهم معانيه.

وقد روى المرحوم يوسف شاهين هذه الحادثة لوالدنا المرحوم الخوري عيسى اسعد كما ذكر أيضاً أنه كان تلميذاً في مدرسة الاميركان في بيت متراج حينما زارت السيدة مجول الانكليزية المدرسة سنة ١٨٦٤ ووزعت على التلاميذ كثيراً من الهدايا والحلوى والملبس.

— **محمود الناصر:**

محمود الناصر هو ابن ناصر بن مهنا من قبيلة الحسنة ؛ وهو ابن عم فارس المزيد المشهور. ومهنا ومزيد شقيقان ؛ وقد خلف مهنا ناصر وحمد ؛ وناصر خلف محموداً. اما مزيد فقد خلف عبد العزيز وفارس وراجح. وفارس خلف ملحم ومسعود الذي خلف فندي وهذا خلف طراد — الذي يعرفه كبار الحمصيين وكان نائباً في المجلس النيابي السوري — وطراد خلف تامر — النائب في المجلس النيابي السوري الأسبق ، وشيخ قبيلة الحسنة حالياً.

ولم تكن المودة طيبة بين محمود الناصر وعمه فارس المزيد. ولكن لما طغت الحكومة العثمانية وتمادت في ظلمها لعمه فارس ؛ ثارت في قلبه العواطف العائلية والقبلية والنخوة العربية فأعلن عصيانه على الدولة بشخص واليها في الشام وظل يناصبها العداء والهجمات طيلة خمسة أعوام حتى اعياها امره. ولما عجزت قوات الحكومة عن الوصول اله ؛ أعلن طاهر باشا قائد الجيش العثماني في الشام انه يؤمنه على نفسه اذا استسلم ورأى محمود أن المقاومة ليست بالأمر السهل المستطاع وخشي النتائج فانخدع بوعد القائد التركي وحضر فسلم نفسه اليه. ولكن هذا لم يف بوعده بل سايره مدة حتى اطمأن خاطره.

– حمص مركز متصرفية :

نشر السلطان عبد المجيد فرمانين سلطانيين، احدهما لدى توليه الحكم؛ والثاني في اواخر حكمه؛ ويعرف الأول بخط كلخانة صدر في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ م. ويعرف الثاني بالخط الهمايوني وصدر في ١٨ شباط سنة ١٨٥٦م. وكلاهما يقضيان بادخال اصلاحات ادارية في السلطنة العثمانية بحيث يتسنى للدولة معها التخلص من الانتقادات الشديدة التي وجهت اليها من الدول الاوروبية. لكن السلطان عجز عن تنفيذ الأول؛ ولما حاول تنفيذ بنود الفرمان الثاني، انعكست النتيجة؛ اذ ظهرت الفتنة العمياء في سورية ولبنان وذهب ضحيتها الوف من النفوس البريئة.

ولما تدخلت الدول الاوروبية متذرعة بحجة حماية المسيحيين، أظهر الوزير أحمد فؤاد باشا دهاءه وذكاءه. ومنذئذٍ اخذت البلاد السورية تتدرج نحو تحقيق اهدافها القومية والوطنية بعد أن عرفوا ما يكنه الاتراك لأمتهم العربية من كراهية وبغض. ولم يتم تطبيق أحكام الفرمانين المذكورين في أيام السلطان عبد المجيد وانما تمكن لوضعه موضع التنفيذ السلطان عبد العزيز الذي علا أريكة السلطنة سنة ١٨٦١م ونشر أول قانون للولايات سنة ١٨٦٤م وبموجبه عين خليل بك العظم متصرفاً لحمص وحماه وقد اتخذ هذا مدينة حمص مركزاً له في شهر تموز سنة ١٨٦٤م.

ولكن ما أن صدر القرار بتعيين هولو باشا العابد متصرفاً للمدينتين سنة ١٨٦٦م حتى نقل مركز عمله الى مدينة حماه. وبقيت مدينة حمص مركز قائمقامية فقط الى مطلع عهد الاستقلال الأول أيام الحكومة العربية سنة ١٩١٨م اذ أصبحت متصرفية.

– الحرب الروسية وطلب الرديف :

على أثر الخلاف بين الدولة العثمانية واميري الصرب والجبل الأسود؛ اجتاز الجيشان الجبلي والصربي الحدود التركية في أول تموز سنة ١٨٧٦م. وفي اواخر شهر آب رجحت كفة العثمانيين في المعارك؛ وأبت روسيا غض النظر عن مساعدة الأولين، وحاول القيصر اسكندر الثاني مع بعض دول اوروبا التدخل لحل الخلاف ولكن الدولة العثمانية رفضت

مطالب تلك الدول في ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٧٧ م مكتفية باعلان القانون الأساسي الذي أصدرته في ٢٣ كانون الأول سنة ١٨٧٦ م.

وانفردت روسيا بالاهتمام بشؤون سلاف البلقان، فاعلنت الحرب على تركيا في ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٧ م. ولم تدر المعارك بينهما فعلاً الا في شهر حزيران وتم للروس الظفر النهائي في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٨ م. وأصبحت جيوشهم بازاء الأستانة التي طالما شاقهم امتلاكها؛ ولم يبق امامهم أي عائق يحول دون دخولهم العاصمة العثمانية.

وهنا أسرع الاسطول الانكليزي بدخول الدردنيل ورسا تجاه الاستانة مما أجبر روسيا على عقد هدنة انتهت بمعاهدة صلح مؤرخة في ٣ آذار سنة ١٨٧٨.

وكانت الدولة العثمانية أثناء الحرب الروسية هذه قد طلبت كل نمر الرديف — الاحتياط — مما أقلق خواطر المسلمين في حمص على أولادهم المجندين؛ اذ كانت الاخبار السيئة تتسرب الى المدينة بالرغم من ادعاءات الحكومة العثمانية بانتصاراتها الوهمية وحاول بعض المتزمتين تحميل النصارى مسؤولية ما حدث؛ ولكن عقلاء المسلمين في حمص حالوا دون حدوث الفتنة بين المواطنين. وهكذا انتهت أيام تلك الشدة وتنفس الناس الصعداء حين وقعت الهدنة.

ومما تركته تلك الحرب الضروس من الأثر في نفوس الحمصيين موّالاً نظمه أحد الحمصيين المجندين والمدعو علي الزعبي ندونه هنا للذكرى:

ما بين طونا ودون عفت الأهل والعمر ورصاص زخ المطر قطاع منا العمر
يا مصيبة الشوم صابتنا بهذا العمر قيصر ترى لو نده ترفع له الرايات
ورجاله مرعبة تهجم على الرايات أنا سائلك خالقي ترفع لنا الرايات
تكسر عدانا وتزيد فينا العمر

وكان رجوع الرديف من ابناء حمص الى مدينتهم في ١٥ كانون الأول سنة ١٨٧٨ م.

— مدحت باشا في حمص ومشاريعه الاصلاحية:

لما استقال رشدي باشا من الصدارة العظمى لتقدمه في السن؛ خلفه مدحت باشا الشهير الذي ما لبث أن استصدر فرماناً بالدستور يحتوي على ١٩ مادة في ١٤ آذار

١٨٧٧ م. غير أن الحرب الروسية أوجدت حجة للسلطان عبد الحميد، فأمر باقفال مجلس المبعوثان بعد اربعة أشهر من اعلان الدستور.

واشتد خوف السلطان على نفسه، ولا سيما ممن خلع عمه عبد العزيز— واعني به مدحت باشا— الذي اشتهر باسم خالع السلطانين عبد العزيز ومراد وأمر بنقله الى ولايات بغداد والشام وازمير ومن هذه الاخيرة الى الطائف في الحجاز حيث قتل هناك في ١٠ نيسان ١٨٨٣ م.

غير أن مجيء مدحت باشا الى الشام ترك آثاراً حسنة فيها يحفظها له السوريون فقد أنشأ فيها المدارس وعبد الطرقات، ونشط الزراعة والصناعة؛ وضرب بيد من حديد على أيدي الموظفين المرتشين، ولقن الحكام والمحكومين دروساً في الوطنية والأخلاق والمسؤولية والشعور بالواجب. ولو طالت أيامه في سوريا لسبقت الشام الأستانة في حضارتها (كرد علي: الخطط ٥ ص ١٠٦). وأحسن ما يقال عنه ما دونه عثمان نوري في تاريخه:

«كان النزاع والجدال قائمين على قدمٍ وساقٍ بين أهالي سورية المتباينين في الدين؛ فلما وليها مدحت باشا، دخلت في طور السكينة والأمن؛ ولا سبيل الى اقرار النظام في بلاد تتأثر فيها الأفكار بالنفوذ الاجنبي بغير انتظام الادارة واجراء العدل وتنظيم المالية. وهذا ما عمله مدحت باشا بالرغم من ارادة السلطان عبد الحميد الذي كان يعرقل تحقيق امانيه».

قدم مدحت باشا الى حمص سنة ١٨٧٩ م واستقبل استقبالاً منقطع النظير والقى امامه العلامة طاهر الاتاسي مفتي المدينة— بعدئذٍ— قصيدة عصماء، ثم حل ضيفاً في منزل محمد الأتاسي مفتي حمص. وكان قائمقام المدينة رجل تركي اسمه عثمان شوقي بك، اما المتصرف فكان محمد باشا اليوسف ومركزه مدينة حماه.

من أهم أعمال مدحت باشا في حمص؛ أنه اهتم بتعبيد طريق الشوسة بين حمص وطرابلس الذي انجز العمل به في عام ١٨٨٣ ومشى الحنتور— الديلجانس— عليه لأول مرة بين حمص وطرابلس سنة ١٨٨٤. وكان مدير الشركة المستثمرة التي اشرفت على انجازه في طرابلس السيد عبد القادر المنلا ومديرها في حمص السيد نجيب امين الأتاسي. وبقيت هذه الشركة تقوم بعملها حتى مد الخط الحديدي بين رياق وحمص وحماه وحلب؛ فالغيت الشوسة بين حمص وحماة سنة (١٣٢٠ هـ— ١٩٠٢ م) ولكنها ظلت بين

حمص وطرابلس حتى مد الخط الحديدي بين طرابلس وحمص سنة ١٩١١م فالغيت الشركة نهائياً.

— **هواش بك النجادي:**

يتصل نسب هواش بن اسمعيل بن عثمان بن خيري بك، بالامير حسن بن مكزوم النجاري. ولد سنة ١٨٤٦م في قرية اللقبة التابعة لقضاء مصياف التي سكنها جده خيري بك لأول مرة مع جدته نازحاً اليها من اللاذقية.

ونزع والده اسمعيل بك الى الثورة على العثمانيين لما استقر في نفسه من المروءة والشهامة، وعدم الصبر على الضيم والذل الذي ارادت الدولة انزاله بعشيرته. وقد تمكنت الدولة من اخماد ثورته الأولى بأن عينته حاكماً على قضاء صافيتا، حيث يقيم أكثر ابناء عشيرته المتاورة. ولكن لم يمض ردح من الزمن حتى هب للثورة ثانية انتقاماً من العثمانيين الذين قتلوا بعض أصدقائه وأتباعه. وجردت الحكومة عليه حملة قوية، كان الحرب فيها سجالاً بينه وبين الدولة. ولما خشي اسمعيل المغبة بعد مدة لاذ بخاله علي الشلبي في قرية عين الكروم. ولكن هذا غدر بابن اخته طمعاً برشوة الحكومة وتزلفاً منها فاغتاله اثناء نومه عنده سنة ١٨٥٨. وكان هواش أكبر اولاده اذ ذاك صغيراً؛ فلما بلغ أشده اخذ مركز ابيه بين عشيرته.

وفي أيام المتصرف هولو باشا الذي عطف على العلويين ولا سيا المتاورة منهم؛ نال هواش مركزاً مرموقاً لدرجة أن مدحت باشا (ابا الاحرار) لما جاء الى سورية اتخذه صديقاً واعتمد عليه في تنفيذ اصلاحاته في المنطقة العلوية؛ كما احسن معاملة العلويين؛ بعد ان استدعى لمقابلته مشايخهم وافهمهم ما ينوي عمله لأجل مصلحتهم وخيرهم؛ وبأنه قرر أن يجعل بلادهم لواءً مستقلاً قاعدته بلدة الشيخ بدر.

عندئذٍ تحركت خواطر بعض اشراف دمشق وحماه. واتهموا مدحت باشا بأنه ينوي الاستقلال في تلك البقعة عن الدولة؛ ولاقت آراؤهم هوىً عند السلطان عبد الحميد الذي كان يكره مدحت باشا كرهاً عظيماً ويخشى بأسه فنقله الى ازمير؛ كما أساء الظن بهواش بك فاتهمه أنه متواطىء مع الامير عبد القادر الجزائري لالحاق سورية بالدولة الفرنسية ولذلك ارسل حمدي باشا والي سورية الى هواش يرجوه الحضور الى دمشق

لمباحثته في بعض المشاكل ولما وصل اعتقله سنة ١٨٨٢ ثم ارسله الى عكا حيث بقي معتقلاً اربع سنوات. واذ كانت لهواش بك صلة حسنة مع الحمصيين وتربطه ببعض شخصياتها صداقة متينة والتي منها: انه بناء على وساطة السيد ديونيسيوس مطران الروم الارثوذكس بحمص اعاد المواشي التي نهبت من أهالي قرية دير بعلبه. ولذلك توسط وجهاء حمص من مسلمين ومسيحيين لدى الوالي للإفراج عنه؛ فلم تقبل وساطتهم بل على العكس من ذلك فان الحكومة العثمانية بعد أن شاهدت هذه المحبة التي يكنها الحمصيون لهواش بك امرت بنفيه الى جزيرة رودس سنة ١٨٩٠ حيث قضى فيها ما بقي له من العمر اذ توفي سنة ١٨٩٦ م.

الفصل السادس والعشرون

ما ذكره الجوالون عن حمص في هذه الحقبة

نقتصر فيما يلي على ايراد اقوال ثلاثة من كبار الشخصيات العلمية الذين زاروا حمص خلال هذه الحقبة:

الأول: الدكتور ميخائيل مشاقه الدمشقي:

الدكتور ميخائيل مشاقه الدمشقي (١٨٠٠ هـ — ١٨٨٨ م) رجل مشهور وطبيب حاذق، رافق ابرهيم باشا المصري اثناء فتوحاته في البلاد السورية، وكتب الشيء الكثير عنها. وأبى أن تخلو كتابته من نقدات وجهها الى الحمصيين، يقضي العدل ان نرويها على عهدته وذمته؛ قال:

«مدينة حمص، جيدة التربة، معتدلة الهواء، متسعة الارجاء؛ تحيط بها قرى كثيرة؛ ولكن أكثرها خراب نظراً لاعتداء عرب البادية عليها. وأهالي المدينة نحو عشرين الف نسمة ثلثهم نصارى والباقي من المسلمين. ولم ارَ فيها نصرانياً غير مولع بالسكر. وكثيرون منهم يكتبون خطاً جميلاً. وقد خرج منها افراد مشهورون بالعقل والذكاء حال كون عامتهم تغلب عليهم السذاجة. وقد حكي لي قصص كثيرة عن سذاجتهم لا يسعني بسطها اذ قد

يكون مبالغ فيها. وانما اذكر ما شاهدته بعيني. وهو أنه في اليوم الثاني من دخولنا حمص ؛ عرض للأمير — أي لابرهيم باشا — أن في ناحية تل باب عمرو قتلى وجرحى من اولاد البلد يراد الكشف عنهم. فأرسلني الباشا للتحقيق في الامر. فوجدتهم ثمانية رجال ؛ اربعة منهم قتلى واربعة جرحى ؛ فسألت الجرحى عما أصابهم؟ فقالوا اننا اتينا هنا للفرجة على مكان العسكر فوجدنا كرة محشوة وفتيلها ظاهر. فاردنا أن نرى كيف تصعد وتهبط فأشعلنا الفتيل ووقفنا حولها ننتظر صعودها، ولا نعلم ما اعاقها عن الصعود، ثم انفجرت عندما اقتربنا منها واصابنا ما تراه. فأذنت في دفن الموتى وعالجت المرضى ورجعت. ثم عرضت واقعة الحال لابرهيم باشا فقال: اكتبها عندك لكي يقف منها المعلم بطرس كرامة على درجة ذكاء أهل بلده. وفي ما بعد كنت أتكلم مع عبود بحري بك فسألني عما رأيته في حمص ؛ فمدحت له هواءها وماءها. قال وما قولك في أهاليها؟ إني وجدت لهم دعوى على سعادتك وعلى المعلم بطرس كرامة، فقال مستغرباً، وما هي؟ قلت: انكما سلبتماهم نصيبهم من العقل والذكاء. فقال وكيف ذلك؟ فقصصت عليه قصة الكرة مما جعله يستلقي على ظهره من الضحك». (المقتطف المصرية ٣٠ ص ٨٠٨).

الثاني — الرحالة بورتر الانكليزي.

يمم الرحالة الانكليزي بورتر البلاد الشرقية بغية درس احوالها فطاف عدة اصقاع ثم طابت له السكنى في دمشق فقضى فيها خمسة اعوام. ثم عاد الى بلاده حيث الف كتاباً عن سياحته في الشرق في مجلدين يقع الأول في / ٣٩٥/ صفحة والثاني في / ٣٨٢/ وقد طبع هذا الكتاب في مدينة لندن سنة ١٨٥٥. وقد جاء في المجلد الثاني من كتابه عن مشاهداته في مدينة حمص ما ترجمته:

«مدينة حمص واقعة في سهل واسع يمتد في بعض المحلات حتى يلاقي الافق. وقد اغتنمت الساعات الأولى لوجودي فيها بالصعود الى تلال القلعة، وفحصت بدقة كل النواحي التي يمتد اليها البصر ؛ وسألت عن كل قرية وعن كل ما يستلفت الانتباه ويستحق الذكر.

وقد رافقني خلال هذه الجولة كاهن يوناني (يعني أنه من طائفة الروم الارثوذكس) اسمه الخوري عيسى الحامض، مشهود له أنه واحد من جلة العلماء في حمص كما رافقني

شخص آخر اسمه سليمان عوض ، من المنتمين الى الكنيسة السريانية القديمة ، وهو ذو خبرة واسعة في تلك الاصقاع ومعروف بفهمه وصدقه.

في الشمال يمتد السهل دون انكسار الى اربع تلال ؛ الاثنتان المركزيتان تدعيان (قرون حماه) والوادي الذي يفصلها والذي نجد فيه مدينة حماه هو على ١٣ درجة الى الشرق ؛ وعلى الطريق الموصل اليه على مسافة نحو ساعتين ونصف ترى تلاً وعليه خرابات وقرية تدعى بيضا (لعلها قرية تلبيسة).

ورأيت الى جهة الشرق قمم سلسلة جبال زرقاء ، حيث يوجد عدة قرى مبنية بيوتها بالحجارة كما قال لي سليمان وهي ناحية سلمية التي ذكرها ابو الفداء.

وتقع حمص على الجهة الشمالية من القلعة ؛ وهي من أنظف المدن التي رأيتها في سورية وأحسنها انتظاماً ؛ فأزقتها عموماً مبلطة تبليطاً متقناً. وجدران البيوت ، قائمة من الحجارة. ولذا لا يرى فيها وحل ولا غبار كما يرى في دمشق. وتحتوي البلدة على عشرين الفاً من السكان ؛ سبعة آلاف منهم مسيحيون ومعظمهم من الكنيسة الارثوذكسية وقليل من السريان القدماء».

ثم يسهب الرحالة في مقاله «جولة في مدينة حمص» بما يزيد عن / ٤٠ / صفحة. اما عن بحيرة حمص فيقول :

«بحيرة حمص او بحيرة قادس كما يسميها ابو الفداء ؛ عبارة عن صفيحة مائية صافية شيقة المنظر. وقد تأكدت بعد التحري ان طولها يزيد عن ستة اميال ، وأكبر عرض فيها ثلاثة أميال. والغالب انها بحيرة اصطناعية.

ويقع السد على بعد ستة أميال من حمص ، وعلى طول شاطىء النهر المقابل للبلدة تقوم بساتين حمص المتماثلة بالشهرة بجمالها وخصب أثمارها. وهكذا كان ينكشف امامي وحوالي وأنا واقف بين خرائب هذه القلعة القديمة ، سهل منبسط فسيح ، لا يشوه امتداده شيء ، ممتد على مسافات بعيدة الى كل جهة بدون هضبة أو أكمة تغير وحدة السهل واتساقه ؛ وقد خلا حتى من الأشجار المنفردة ، عدا كتلة صغيرة ، فيها غياض وادغال بساتين المدينة. وعلى مسافات بعيدة يقع نظرك على القرى ؛ ولولاها لما شعرت ان هنالك علامة لحياة أو لسكن.

ولا جرم أن طمع الاتراك وظلمهم ، قد سبب اتلاف وتدمير وخواء قسم من أجمل اقسام بلاد الشام . والبقية القليلة الباقية من السكان الذين لا يزالون متمسكين بأراضيهم ، بالكاد يستطيعون نيل حياة الشقاء والفقر لاضطرارهم الى تأدية — الخوة — لرؤساء البدو من جهة ، والضرائب الباهظة للباشوات الاتراك من جهة أخرى .

واذا نظرنا الى هذه البقعة نظرة أثرية ؛ اىما يلفت انتباهنا وجود تلك الهضاب أو التلال الاصطناعية التي يراها الناظر في كل قسم من السهول ؛ غير أن عددها يتكاثر على شواطىء نهر العاصي الطويلة . وهذه التلال ذات شكل منظم مخروطي ، يبلغ علو بعضها / ٢٥٠ / قدماً ؛ وترى جوانبها وقممها مغطاة بحصى مبعثرة ضاربة الى البياض ، كما لو كانت فيما سلف من بقايا خرب قديمة متماسكة بالطفال .

أما التلة التي ترتكز عليها قلعة حمص ، فهي من هذا الصنف . قطرها الأكبر / ٣٠٠ / يرد وارتفاعها / ٢٠٠ / قدم . وقد كانت قديماً محاطة بخندق عميق ، وأصبح الآن في بعض اقسامه مباءة للأقذار . وكانت جوانبها مرصوفة بمربعات من الحجر الاسود البركاني ؛ ولكن معظمه قد أخذ الآن لتبلط به شوارع المدينة . وكان موجوداً عند قمتها جدار شامخ ، متين البناء ، قائمة واجهته من مربعات من حجر كلسي ضخم ، ووسطه مؤلف من حجارة خشنة مغموسة بملاط متين . ولم يبق الآن ما يستحق الذكر في القلعة ؛ وما بقي إن هو الا بضع قطع من اجنحة الأبراج امام الجدار الشمالي ، وهي من الأصل الشرقي . وفي قمة القلعة عدة قطع من اعمدة حجر سماقي صلب هي بلا ريب بقايا الهيكل الفخم الذي كان يشغل هذا الموقع وقتاً ما .

ومدينة حمص ، لم يرد ذكرها في التوراة ، بيد أننا نراها يشير اليها المؤرخ اليهودي يوسيفوس ، وكذلك الجغرافيون الرومانيون الأوائل واسمها القديم اميزا كما يكتبه بتولمي ، وهو يضعها في مقاطعة افاميا . اما بليني فيدعوها هيميزا .

وبعد قليل من عصر هذين الكاتبين برز اسم اميزا الريفية الى الظهور في عداد ذكر المدن الكبرى في الامبراطورية الرومانية . وقد اشتهرت وامتازت سنين عديدة باحتوائها على هيكل فخم مكرس لعبادة الشمس . وقد كانت وظيفة رئيس الكهنة في هذا المركز المقدس معدودة في درجة عظمى من الاهمية والشرف . حتى إن اشرف الاسر الرومانية كانت تتطلع وتتوق الى تسنمها .

فني سنة ٢١٨ م تقلد شابان هذه الوظيفة سوية ولم يتخليا عنها الا حينما ارتقى احدهما عرش القيصرية الرومانية ، وارتقى الآخر الى رتبة أوغسطوس. وكان هذان الشابان : مرقس اوريليوس انطونيوس الملقب اليوغابال ، ومرقس اوريليوس سيفيروس الذي اشتهر بعدئذٍ باسم الامبراطور اسكندر سيفيروس.

وقبل هذا الوقت بفترة وجيزة كانت مدينة اميزا قد ارتفعت الى مقام مستعمرة رومانية بأمر من الامبراطور كاراكلاً ابن عم اليوغابال. ولكن هذا الأخير لما تسنم العرش جعل من مسقط رأسه — مدينة حمص — عاصمة ، أو أم المدائن كما يتضح من مقابلة قطع النقود.

ثم بعد نصف قرن تقريباً قتل في هذه المدينة أذينة زوج زنوبيا ملكة تدمر الشهيرة ؛ وذلك بعد وقت قصير من نيله بشجاعته المرموقة وحسن قيادته للجيوش وانتصاره على الفرس — لقب قيصر — الموجب للتباهي والافتخار. ثم بعد سنوات قليلة اندحرت جيوش الملكة زنوبيا نفسها امام القيصر الروماني في السهل المجاور للمدينة.

ولونجين الفيلسوف الجليل ، كان مستوطناً مدينة اميزا ، ويذهب بعض المؤرخين الى أنه ولد فيها. وحدث أنه أبان وجوده في حمص تعرف الى زنوبيا واكتسب صداقتها فعينته استاذاً لها في اللغة اليونانية وآدابها ومستشاراً خاصاً لها تعتمد عله في عظائم الامور. وبعد ذلك أصبحت هذه المدينة عاصمة ولاية أو اقليم فينيقيا في لبنان. كما كانت لفترة من الزمن أعلى درجة من مدينة دمشق.

فحمص كما صار يسميها العرب منذئذٍ قاست كثيراً من الاهوال والمصائب بسبب الحروب العامة التي انصبت بلاياها على سورية اثناء الحروب الصليبية وغزوات التتر والجهاد المستمر مع الامارات المحلية والحكام الصغار ولكنها لم تزل حتى الآن معدودة أكثر حركة وضجة بين المدن الداخلية في هذه المقاطعة».

الثالث — الجوالة الاميركي روبنسون

في عام ١٨٥٦ م زار الجوالة الاميركي الشهير روبنسون حمص وشاهد بحيرتها فأطال الكلام عنها ، مما قاله :

«يتكون من نهر العاصي على بعد ثلاث ساعات من ربلة نحو الشمال بحيرة ، تسمى بحيرة قادس أو بحيرة حمص التي طولها مسافة ساعتين وعرضها مسافة ساعة واحدة.

وطرفها الشمالي يبعد عن مدينة حمص مسيرة ساعتين. وأكثر اجزاء هذه البحيرة — حتى لا نقول كلها — صناعية ؛ فهي مؤلفة من سد قديم يعترض جريان مياه النهر ؛ وطول هذا السد من اربعمائة الى خمسمائة يرد ، وعلوه لا يتجاوز الاربعة عشر قدماً. وعلى طرفه الشمالي الغربي برج صغير. وفي الجهة الشمالية جزيرة صغيرة وتل. وقد ذكر ابو الفداء هذه البحيرة وسماها بحيرة قادس واعتبرها صناعية لأنه لو هدم السد لجرى الماء ولم يبق ثمة بحيرة بل نهر يجري. وكانت العامة قبل عهد أبي الفداء تنسب هذه البحيرة الصناعية الى الاسكندر الكبير المكدوني »

مشاهير الحمصيين في هذه الحقبة

١ — العطار

هو أحمد الشهاب بن عبد الله بن عسكر بن احمد الشهير بالعطار ، القارىء ، الحمصي الأصل ، الدمشقي المولد ، محدث العصر الغابر. رحل الى مصر وأخذ عن علمائها وأخذوا عنه ، ثم رجع الى دمشق ، وتصدر للتدريس ، فتخرج عليه كثير من علمائها وكان ركنها وأمام أئمتها ، واشتهر بفضله في سائر البلاد ، كما كان مرجع العلوم النقلية والعقلية. وتفرد في الحديث والتفسير وانتفع به خلق كثير. ولد سنة (١١٣٨ هـ — ١٧٢٥ م) وتوفي سنة (١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م) فرثاه العلامة ابن عابدين بما يأتي :

ليقدح الجهل في البلدان بالشرر ويسكن العلم في كتب وفي سطر
قد مات من كان للتعليم منتدباً يبدي فروعاً بلا كل ولا ضجر

الى أن يقول

وذاك خاتمة القوم الكرام ومن تزهو دمشق به كالكوكب السحري

٢ — المطران اثناسيوس مخلع

هو خير علامة لاهوتي فقيه ، طويل الباع في اللغتين العربية واليونانية. نشأ في دمشق من أسرة مخلع. ثم نذر العفة وترهب ، وترقى في الدرجات الكهنوتية بسرعة وسيم مطراناً

على ابرشية حمص سنة ١٧٩١ فرعاها بأمانة ، الى أن حدث خلاف بينه وبين بعض وجهاء طائفته فاستقال وانتدب لابرشية بيروت فساسها الى أن توفي سنة ١٨١٣ . وله آثار علمية كثيرة : منها تعريبه كتاب البوق الانجيلي ، وخدمة الاكاتيسطون . ومقالة في الايمان المسيحي . وتروى عنه نوادر كثيرة تدل على ذكائه وتضلعه في الفقه الاسلامي أيضاً (زفرات القلوب للعلامة عيسى اسعد ص ٤٨٩).

٣ــ المطران متوديوس :

هو أحد المطارنة الاعلام الذين تحفظ لهم حمص آثاراً طيبة . خدم ابرشية حمص بأمانة وصدق نحو ثلاثين سنة وتوفي سنة ١٨٤٧م . ومن جميل مآثره أنه اختار عدة شخصيات بارزة لمساعدته في خدمة الكهنوت . وهو الذي جدد بناء كنيسة القديس ايليان سنة ١٨٤٣ وانجزه سنة ١٨٤٥ بعد أن كانت عبارة عن بيت صغير لا يتسع لأكثر من عشرين شخصاً . ومن الكهنة الذين سامهم لخدمة الكنيسة : العالم الخوري الياس بن رزق الله سلامه ، والعالم الخوري عيسى الحامض (الطبيب أيضاً) والخوري يوسف رباحية الخطاط والموسيقي الشهير الذي ما برحت آثار مخطوطاته في الكنائس الحمصية حتى اليوم .

٤ــ ميخائيل البحري وأسرته :

هو ميخائيل بن عبود البحري . ولد في اواسط القرن الثامن عشر في حمص من أسرة ارثوذكسية المذهب . ولما شب آنس من نفسه ميلاً الى العلم والأدب ، فاتصل بالادباء وحصل منهم شيئاً كثيراً . ثم تزوج فرزق ثلاثة أولادهم : عبود وجرمانوس وحنا . وهو خال المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور وكاتب الامير بشير الشهابي الكبير . ثم اضطر للسفر الى دمشق فاستوطنها وعاشر افاضلها فكانت له فيها مكانة أدبية ، لم يحرزها أقرانه من النصارى آنئذٍ . وهناك اتصل ببعض الكاثوليك فاتبع نحلتهم سنة ١٧٧٠م وأظهر غيرة شديدة على الكثلكة . ولما تولى ابرهيم الصباغ تدبير شؤون الشيخ ضاهر العمر المالية سنة (١١٨٥هـــ ١٧٧١م) في عكا . سار اليه ميخائيل فأدخله في ديوان الكتابة وكان جميل الخط حسن الانشاء .

ولما قتل ضاهر العمر سنة (١١٩٠هـــ ١٧٧٦م) قصد ميخائيل الامير يوسف الشهابي في لبنان وخدمه مدة . ثم ارسله الشهابي بمأمورية الى احمد الجزار في عكا

فاستخدمه هذا مع بعض النصارى في ديوانه (ومنهم ميخائيل سكروج وابرهيم ابو قالوش ويوسف مارون والياس اده). غير أن الجزار اساء فيه النية يوماً فسجنه سنة (١٢٠٣ هـ — ١٧٨٨ م). وفي آخر عام (١٢٠٤ هـ — ١٧٨٩ م) أخلى سبيله بعدما جدع أنفه وأذنيه. وعاش ميخائيل بعدئذٍ معتزلاً الناس في بيروت حتى قضى نحبه سنة ١٨٠٣ م.

اما أولاده: فاشهرهم عبود بك الذي مدحه كثيراً الأمير حيدر الشهابي. وعمل عبود هذا لدى ابرهيم باشا اوزون في صيدا؛ ولما انتقل هذا الى حلب وخلفه في صيدا سليمان باشا رحل عبود الى دمشق واستخدم عند عبد الله باشا العظم واصبح من اخلص اصدقائه؛ فأعلى رتبته وجعله دفتر داراً (رئيس الديوان) واستخدم أيضاً أخويه جرمانوس وحنا. وفي سنة ١٨٠٧ م تولى الشام يوسف باشا الكنج فأحب عبود وعرض عليه الاسلام لينيله أعلى المناصب، فأبى عبود وفر الى جبل لبنان؛ ولكن يوسف باشا عاد فأمنه واستعاده لخدمته. وبعد مدة برح دمشق الى مصر واصبح كاتباً في الديوان وصحب ابرهيم باشا المصري ابان حروبه في بلاد الشام سنة (١٨٣٢ هـ — ١٨٤٠ م) وعاد معه الى مصر حيث توفي سنة ١٨٤٥ م.

اما حنا بك فانه ولد في حمص وسافر الى مصر ثم جاء الى دمشق مع ابرهيم باشا سنة ١٨٣٢ وعاد معه الى الديار المصرية. وكان متوسط القامة ذا عمامة بيضاء ولم يكن غيره يتعمم بمثلها. وبعنايته بنيت كنيسة الروم الكاثوليك في دمشق ووهب لهذه الطائفة أيضاً بيته في مدينة حمص. توفي في مصر سنة ١٨٤٣ م.

٥ — **الخوري سابا الكاتب**:

ولد سابا الكاتب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في مدينة حمص وكان خصماً للكثلكة. فلما زارت والدته دير المخلص بالقرب من مدينة صيدا وذهب لاحضارها؛ رأى من عطف الرهبان عليه وعلى والدته ما حبب اليه الرهبنة، فاندمج في سلكهم وسيم كاهناً بعد سنة من دخوله الدير. ثم ارسل الى مدرسة البروباغندا في روما سنة ١٧٨٦ حيث مكث فيها ٨ سنوات نال خلالها ارقى شهاداتها. وعاد الى دير المخلص فانتخب مطراناً على صيدا. وسنة ١٨١٤ عين مطراناً لحلب فرفض هذا التعيين. وسنة ١٨١٥ انتخب مطراناً لزحله ولكنه تنازل عنها لصديقه اغناطيوس عجوري. وفي سنة ١٨١٦ رشح للبطريركية خلفاً لمكاريوس الطويل ولكنه لم يقبل.

وكان المطران سابا الكاتب ، نديماً للأمير بشير الشهابي ، وصديقاً للمعلم حليم الصراف والقنصل باسيلي فخر في دمياط . وله مراسلات ومساجلات مع كبار علماء زمانه من فرنسيين والمان وايطاليين. وهو استاذ المعلم بطرس كرامه الحمصي في آداب اللغة العربية كما كان الواسطة في تعريفه بالامير بشير الشهابي الكبير. وتوفي سنة ١٨٢٧ م.

٦ — ميخائيل لطفي الحمصي :

هو من المؤرخين الصادقين ومن الادباء الاعلام. له مؤلفات عدة أشهرها تاريخ احمد باشا الجزار الذي انهاه في ٢٥ ايار ١٨٢٨ في القسطنطينية وضمنه نبذة عن تاريخ بلادنا من ظهور الاسلام الى عصره. عاش ميخائيل لطفي في اواخر القرن الثامن عشر واواسط القرن التاسع عشر ميلادي.

٧ — الشيخ امين الجندي :

هو الشيخ أمين بن خالد بن محمد الجندي الذي يتصل نسبه بعد **٣٣** جدّاً بالعباس بن عبد المطلب ، والسبب في تلقيب محمد بالجندي هو انظامه في سلك الجندية في عصره.

ولد الشيخ امين في حمص سنة ١٧٦٦ م وبدت عليه علائم الذكاء وحب العلم وسرعة الخاطر منذ حداثته . قرأ في حمص على الشيخين محمد الطيبي ويوسف الشمسي ، ثم قصد دمشق وأخذ عن مشائخها الاعلام امثال احمد العطار وعبد الرحمن الكزبري ومحمد الغزي. وبدأ بنظم الشعر حتى فاق فيه اقرانه. وله نوادر كثيرة منذ أن أخذ بزمام النظم ومنها : ان الناس وقتئذٍ تعودوا أن يقدموا للمدارس في ٢٧ رمضان خلعة بحفلة يحضرها الحاكم والاعيان. فنظم احدهم قصيدة لتلقى في الحفلة واعطاها لأحد تلامذته ، وأحب أمين رؤيتها قبل التلاوة فمنعه الناظم استخفافاً به . فاستاء جداً ثم تمكن بواسطة رفيق له من الاطلاع عليها ؛ فشطرها قبل نومه وكتب التشطير ، على ورقة القاها في التراها لتظهر وكأنها قديمة العهد . ثم اخذ يذيع بين التلاميذ ان القصيدة التي ادعى الشيخ انها من منظومه انما هي لغيره وقد نسبها لنفسه اختلاساً ، وأنه قد وقع على تشطيرها أيضاً لبعض الشعراء . ولما اتصلت الشائعة بالشيخ كاد يطير صوابه. وبعد تحقيق وتدقيق عرف بما فعله امين الجندي ، فاعتذر له وأصبح من ذلك الحين التلميذ النجيب المحترم الجانب.

وفي سنة (١١٩٤ هـ — ١٧٨٠ م) عاد الى حمص وأخذ ينثر منظوماته من قدود

وموشحات تأخذ بمجامع القلوب. واتصل خبره بآل الكيلاني في حماه فاستقدموه اليهم حيث امتدحهم بقصائد رنانة.

وفي عام (١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠ م) وشي به الى حاكم حمصي وأنه هجاه ؛ فطلبه ، ففر أمين الى حماه ولكن الحاكم بعث رجالاً خلفه تمكنوا من القاء القبض عليه وزجوه في السجن ، ومنعوا عنه الطعام الاّ ما يقيه غائلة الموت. وصدف أن سليم الباكير الدندشي دخل آنئذٍ مدينة حمص بمئتي رجل من عشيرته الدنادشة وفتك بحاكمها لثأر سابق له عنده وأخرج الشيخ أمين من سجنه.

كان الشيخ أمين عالماً فاضلاً جريئاً ، يمدح العادلين من الحكام ويهجو الحائدين عن جادة الحق. ولما وصلت الجيوش المصرية الى الشدم سنة ١٨٣٢ اطلق الشيخ قصائده في مدح ابرهيم باشا المصري ، فأحبه هذا وقربه اليه.

وفي عام ١٨٣٤ مرض امين مرضاً شديداً اعقبه فالج ؛ فنظم قصيدته التوسلية التي مطلعها : « توسلت بالمختار ارجي الوسائل ». واشتد عليه المرض سنة ١٨٤٠ فتوفي ودفن في مقبرة العائلة الى جوار مقام خالد بن الوليد.

٨ — المعلم بطرس كرامة :

هو بطرس بن ابرهيم كرامه ؛ ولد في حمص سنة ١٧٧٤ م وبها نشأ وتأدب وتمكن من العلوم. ثم هجر والده ابرهيم حمص مع ولده بطرس الى عكار ، ثم الى لبنان. ونظراً لأن بطرس كان يتقن التركية وينظم الشعر ، فقد فوض اليه الامير بشير الشهابي الكبير بارشاد وتوصية من الخوري سابا الكاتب تدريس ولديه خليل وأمين سنة ١٨١٠ م. وسر الأمير من المعلم بطرس ، لما رآه من نجابته واخلاصه ، فجعله معتمداً من قبله في كل ما له صلة بوالي عكا وبشؤون الدولة. وبقي المعلم بطرس ملازماً للأمير بشير لا يفارقه مطلقاً ؛ حتى إنه في عام ١٨٤٠ حينما نفي هذا الى مالطة رافقه اليها وبعدئذٍ الى الاستانة ؛ حيث اتصل ببعض رجال الدولة ، فعين مترجماً في البلاط وظل هنالك حتى قضى نحبه سنة ١٨٥١ بعد وفاة الامير بشير بسنة واحدة.

وكان المعلم بطرس ، شاعراً مجيداً ، فصيح اللسان ، مهيب الجانب ، عف النفس. وله ديوان شعر مطبوع فيه نحو سبعة آلاف بيت اسماه « سجع الحمامة » وآخر مخطوط عنوانه

«سلافة العقول في منظومات اسطنبول». موجود في مكتبة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف، بالاضافة الى موشحات وتأريخات مشهورة.

٩ — الشيخ زكريا الملوحي:

هو من أسرة حمصية نبغ منها عدة شخصيات في العلم وآخرون في الموسيقى ورخامة الصوت. ومن أوسعهم شهرة الشيخ زكريا الذي جمع بين رخامة الصوت وحسن التحصيل؛ فكان فقيهاً بارعاً ومحدثاً صادقاً وقارئاً مجيداً؛ تبعث قراءته خشعة في النفوس قلما يرى مثلها في سامعي سواه. وكان زكريا شاعراً مطبوعاً، لا تعسف في شعره ولا تصنع. وقد كف بصره، فلم يؤثر ذلك في انقاص مواهبه، بل على العكس؛ فان هذه المصيبة زادت من اجتهاده، فبرزت فيه شخصية ذواقة، يجد الناس على اختلاف مراتبهم في معشره ما يطرب، وما يوجب الاستزادة منه. ولقد ترك الشيخ زكريا قصائد عديدة وفي مواضيع شتى يحفظها ابناء واحفاد الذين قيلت فيهم.

ولد زكريا الملوحي في حمص في أواخر القرن الثامن عشر وتوفي فيها سنة ١٨٥٢م.

١٠ — الخوري عيسى الحامض:

هو الخوري عيسى بن سليمان الحامض، أحد نوابغ حمص في القرن التاسع عشر. نشأ من ذرية تغار على العلم والدين. امتهن لأول حياته التدريس وتثقف على يديه عدد ليس بقليل من رجالات حمص. ومال اثناء تدريسه الى الطب فتعمق في مطالعة مؤلفات اساطين هذا الفن؛ ثم تلقاه بالممارسة على رهط من اطباء الحملة المصرية (١٨٣٢ — ١٨٤٠) فنال ثقتهم بمقدرته وذكائه فشهدوا له بالبراعة وسمحوا له بممارسة المهنة مسجلين ذلك في محكمة حمص بتاريخ ٢٠ شعبان سنة (١٢٥٣هـ — ١٨٣٧م).

وانتدبه المطران متوديوس لخدمة الكنيسة في حمص بناء على رغبة الشعب الحمصي؛ وسيم كاهناً في سنة ١٨٣٧؛ ثم أصبح متقدماً في الكهنة. وتولى الخطابة والوعظ والارشاد في الكنائس؛ كما كان يقوم بوكالة الابرشية حين خلوها من المطارنة. وانتقل الى رحمة ربه في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤. وقد ذكره العلامة والرحالة الانكليزي بورتر في كتابه، على أثر زيارته لمدينة حمص، مقدراً فيه النبوغ والتفوق والعلم.

١١ — سليمان لطيف :

هو حمصي ، تنحدر أسرته من احدى القبائل الغسانية ، التي كانت تقطن بلدة ازرع في حوران سنة ١٥٩٥ . وجده الأعلى هو جرجس ابو حاتم الذي كان مديراً عاماً لأملاك آل مردم بك وعين ابنه لطيف متسلماً لبلدة الفرزل بالقرب من زحلة ، فتملك فيها . ثم انتقل بعدئذٍ مع بعض ابنائه الى حمص والذين من احفادهم سليمان .

وكان سليمان على علم وذكاء ومعرفة لغات ، فعين وكيلاً لقنصل فرنسا في حمص . وكان صاحب نفوذ كبير في الحكومة وقتئذٍ . ولما توفي سليمان سنة ١٨٧٠ جرت له جنازة حافلة اشتركت فيها الحكومة لأول مرة في حمص بصورة رسمية وقد رفع الصليب فيها علناً امام الجنازة في الطريق العام . اذ لم يكن يسمح برفعه امام الجنازات قبل ذلك التاريخ .

١٢ — برهان سمعان :

هو برهان بن داود بن عبد الله سمعان . وسمعان الجد الأعلى هو أول من سكن حمص منذ نيف وثلاثمائة سنة . وأصل هذه الاسرة من لبنان وهي فرع من عائلة شدياق . هجر لبنان وحضر الى حمص وكان جميل الخط ؛ روي أنه حين قدومه الى حمص اخذ يلهو بكتابة بيت شعر على احدى حجارة جدار القشلاق العسكري ؛ فمر به حاكم المدينة فأعجب بخطه واستقدمه إليه بعدئذٍ واتخذه كاتباً له .

وتسلسلت في ذريته روح الوظيفة فأخذوا يتعاطونها كابراً عن كابر الى أن اسندت مديرية المال الى المترجم له برهان الذي كان يتمتع بمزايا علمية ومقدرة حسابية مرموقة ، فكان أكبر مأمور مسيحي في حمص في عصره . وكان يحسن التركية والعربية اتقاناً فائقاً . ومما يروى عنه أنه كان متواضعاً جداً ، قليل الكلام ، كثير العمل ، يميل الى الجد دائماً في حديثه . توفي في حمص سنة ١٨٧٧ وله من العمر ٦٣ سنة .

٣ — الشيخ سعيد الاتاسي :

ولد الشيخ سعيد الأتاسي في حمص سنة ١٧٨٩ من أسرة اشتهرت بالعلم والفقه والمعرفة . نشأ في حمص ودرس على كبار رجال العلم من مواطنيه ثم أصبح مفتياً للمدينة . كان الشيخ سعيد جريئاً جسوراً مقداماً لا يهاب الوزر ولا يخشى طغيان الحكام ، بالاضافة الى علم غزير ودهاء موصوف . توفي في حمص سنة ١٨٥٠ ودفن فيها في مدافن العائلة .

١٤ — يوسف آغا الموصلي :

هو يوسف بن عبد الله الموصلي ؛ من أسرة عريقة يعتقد أنها تركمانية الأصل. ولد في حمص في اواخر القرن الثامن عشر ؛ ووصل في عهد ابرهيم باشا المصري الى مركز ممتاز حسده عليه عدد من كبار رجالات حمص ؛ لدرجة أن أحدهم حسَّن لابرهيم باشا أن يكلف الموصلي بتأمين اعاشة الجيش وأنه كفوء لذلك. فاستقدمه القائد المصري ليضع على كاهله هذا العبء الثقيل ، الذي رأى حاسده أنه سينوء بحمله. وعلم بالأمر بعض أصدقاء يوسف فخشوا أن يتراجع أمام الباشا فينقم عليه ويصل حاسده الى بغيته. فقابلوه وهو في الطريق لمقابلة الباشا وافهموه ما نسجه الخصم من أحابيل ، وتعهدوا له بتأمين كل ما يطلبه الباشا منه. ولذلك فانه عندما قابل ابرهيم باشا وكلفه هذا بتأمين اعاشة الجيش لم يتأخر عما طلبه منه ؛ وقام بمساعدة اصدقائه بالمطلوب خير قيام ؛ مما آل الى زيادة نفوذه وانخذال الحاسد.

ومما يذكره له مواطنوه بالخير والتقدير ، موقفه الرائع يوم حادثة الستين المشؤومة ودفاعه المشرف عن اخوانه ومواطنيه المسيحيين في مدينة حمص بالاشتراك مع حفنة طيبة من كرام رجالات البلد. وانتقل الى رحمة الله في اواخر سنة ١٨٦١.

١٥ — الشيخ سليم صافي :

هو سليم بن الشيخ نجيب صافي ، ولد في حمص سنة ١٨١٥ ، من سلالة اسرة هاشمية تنتمي الى السبط الحسن بن علي بن أبي طالب. سكنت اسرة صافي حمص في اواخر القرن العاشر للهجرة. نشأ سليم في كنف والديه على الورع والزهد فترعرع وهو طاهر القلب نقي السريرة مؤمناً. ثم اخذ علوم العربية والفقه عن الشيخ عبد الساتر الاتاسي مفتي حمص في عهده ، وعن غيره من العلماء. ثم اناط به المفتي امر القاء الدرس العام الذي كان بعهدته في مسجد خالد بن الوليد ؛ مما برهن عن نضجه في علوم الشريعة وأنه العالم العامل. اما شهرته الحقيقية فلم تكن بالعلم فحسب بل كانت بزهده بمباهج الدنيا وتفانيه في خدمة الفقراء ورعاية شؤونهم والتسامح مع جميع ابناء مدينته وعلى اختلاف مذاهبهم. انتقل الشيخ سليم الى رحمة الله في اواخر شهر ذي الحجة سنة (١٢٩٨ هـ — ١٨٨١ م) ودفن في حمص.

١٦ — عبد الرحمن الجندي :

هو عبد الرحمن آغا بن حسين الجندي ، ولد في حمص سنة (١٢٣٦ هـ — ١٨٢٠ م) ونشأ في بيئة علمية أدبية سياسية ، وتعلم وتهذب على أيدي كبار المربين في عصره . وفي سنة (١٢٦١ هـ — ١٨٤٤ م) عين متسلماً لحصن الاكراد ، فأمضى في وظيفته حوالي السنتين ، ثم عاد الى حمص وعين عضواً في مجلس ادارتها ثم رئيساً له حيث بقي أكثر سني حياته . وكان عبد الرحمن محباً للعلم والأدب والشعر فجمع مكتبة عامرة أورثها لابنه حافظ الذي استلم الافتاء في حمص فترة من الزمن .

ومن مواقفه المشرفة موقفه يوم حادثة الستين المشؤومة ؛ اذ أنه لما وصل من دمشق الى حمص احد ابناء اسرة رجوب التي كانت تتولى المحافظة على القوافل المتنقلة بين حمص ودمشق وروى اخبار الفتنة في الشام ، بادر عبد الرحمن لالقاء القبض عليه خوفاً من تسرب الخبر السيء الى بعض غوغاء المدينة . ثم جمع في منزله زعماء الأسر الكبيرة في مدينة حمص وطلب منهم حماية مواطنيهم المسيحيين وبفضله مع اخوانه نجت المدينة وقتئذٍ من شر كبير .

توفي عبد الرحمن الجندي في حمص في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٨٩ ودفن في مدافن اسرته بجوار مقام السيد خالد بن الوليد .

١٧ — يحيى الترجمان :

هو يحيى بن عبد الرحمن الترجمان . وهذا اللقب اكتسبه عبد الرحمن آغا الذي كان مديراً للشؤون الخارجية في ولاية دمشق ، وكان يشغل قبل ذلك وظيفة قائمقام في الحصن ثم في المعرة .

ولد يحيى في حمص سنة (١٢٤٩ هـ — ١٨٣٣ م) وتلقى علومه في مدارسها ثم في دمشق حيث اتقن اللغة التركية والفارسية بالاضافة الى لغته العربية ودرس القانون والنظم العثمانية وبرع فيهما .

وبعد انهاء دروسه تعين كاتباً لبلدية حمص ثم أصبح رئيساً لها نحواً من ثلاثين سنة ، ولما حضر مدحت باشا (ابو الدستور) الى حمص ارتأى تعيين السيد نجيب الأتاسي لرئاستها ولكنه لما حضر جلسة المجلس البلدي ولم يجد فيه من يتقن اللغة التركية كالسيد يحيى ،

اعاده الى الرئاسة معتذراً بلطف لاقصائه عن وظيفته السابقة. وتوفي يحيى الترجمان في ٦ شوال ١٣٠٦ هـ الموافق ٥ أيار سنة ١٨٨٩م.

١٨ — خالد الاتاسي:

هو خالد بن محمد الأتاسي، مفتي حمص وابن مفتيها ولد في حمص سنة (١٢٥٣ هـ — ١٨٣٧ م) ونشأ وتربى في بيئة علمية فنبغ وتفوق حتى أصبح مرجعاً لطلاب العلم والأدب والفقه يستقون من معينه أثر المعرفة وفنون العلوم. وبعد وفاة والده تسلم وظيفة الافتاء في حمص. ومن أشهر آثاره العلمية كتابه شرح المجلة في ستة مجلدات ضخمة طبعت على نفقة انجاله، ومن مؤلفاته التي ما زالت مخطوطة «الاجوبة النفائس في حكم ما اندرس من المقابر والمساجد والمدارس». وبالاضافة الى علمه الفقهي والديني والأدبي فقد كان شاعراً مجيداً له قصائد رائعة. من اولاده المرحوم الشيخ طاهر الاتاسي مفتي حمص الأسبق والمرحوم السيد هاشم الأتاسي من رؤساء الجمهورية السورية السابقين. وانتقل المرحوم خالد الأتاسي الى رحمة الله في شهر تشرين الأول سنة ١٩٠٨ ودفن في مقبرة الاسرة الأتاسية في حمص.

١٩ — الشيخ ناصيف اليازجي:

هو ناصيف بن عبد الله اليازجي الحمصي الأصل واللبناني المولد. هاجر جده سعد اليازجي من حمص سنة ١٦٩٠ لحيف وقع على أسرته.

ولد ناصيف في بلدة كفرشيما على الساحل اللبناني في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠م وتلقى علومه الابتدائية على راهب من بيت شباب يقال له القس متى. وكان والده من الاطباء المشهورين في وقته على مذهب ابن سينا، وكان شاعراً أديباً، فنشأ ولده ميالاً الى الأدب والشعر وأقبل على الدرس والمطالعة بنفسه، ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمره. وكان يستعير الكتب من الأدباء والأديار والمكاتب القديمة فيحفظ زبدتها وينسخ بعضها بخطه الجميل على القاعدة الفارسية، وامتلك ناصية اللغة والأدب والشعر والبلاغة؛ وله كتب في كل باب منها؛ لا تزال حتى يومنا هذا من أهم المراجع اللغوية، وأشهرها: فصل الخطاب في الصرف والنحو والاعراب؛ والخزانة؛ وجوف الفرا؛ وعقد الجمان؛ والطراز المعلم؛ وله في العروض والقافية: نقطة الدائرة؛ والجامعة؛ وله رسالة في المنطق، وقد

شرح ديوان المتنبي في كتاب اسماه : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. أما أشهر مؤلفاته واعظمها فمقاماته المعروفة : مجمع البحرين ، التي تبين قوة عارضته في النظم والنثر والتي أودعها من الفنون البديعية في بعض منظوماته كجناس ما لا يستحيل بالانعكاس ؛ والجناسات الخطية وغيرها ما لا يضطلع به إلا عن مقدرة ونبوغ فائقين. وله ثلاثة دواوين شعرية تعد من عيون الشعر.

اتصل الشيخ ناصيف في أوائل أيامه الأدبية بالامير بشير الشهابي الكبير فقربه اليه وجعله كاتباً عنده ؛ ومكث في خدمته نحواً من اثنتي عشرة سنة حينما نفي الامير بشير سنة ١٨٤٠ الى مالطا فارتحل ناصيف مع أسرته الى بيروت، وأقام بها منقطعاً للمطالعة والتأليف والتدريس ، فاشتهر ذكره في جميع انحاء البلاد العربية وراسله كبار الشعراء والأدباء من العراق ومصر. وقد طبع ما دار بينه وبينهم من أبحاث في رسالة خاصة أسماها : فاكهة الندماء.

وكان ناصيف يحفظ القرآن بتمامه ويعي من الشعر شيئاً كثيراً ولا سيما شعر المتنبي لشدة اعجابه به اذ كان يقول : كأن المتنبي يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون على الأرض.

توفي الشيخ ناصيف في بيروت فجأة وبالسكتة الدماغية في ٨ شباط سنة ١٨٧١م ودفن فيها.

٢٠ــ الشيخ مصطفى زين الدين :

ولد مصطفى زين الدين في مدينة حمص سنة ١٨٢٦ ونشأ فيها ودرس على علمائها فظهر ذكاؤه ونبوغه. وقد وهبه الله الصوت الجميل ، فأولع بالموسيقي وبرع في ادائها ؛ وتعرف عليه الشيخ ابو النصر اليافي شاعر المدينة فارفقه بنفسه ؛ ومنذئذ اخذ شيخنا يلحن القصائد التي ينظمها استاذه وينشدها بصوته الساحر الشجي ، فيبكي السامعين ويطربهم ويحلق بهم الى الاجواء العلوية. ثم أخذ بعدئذٍ ينظم وبرع في شعره الذي يعارض به الشاعر الحموي ــ الهلالي. اذ كان يحور شعر الهلالي من مديح بالاسياد والتغني بامجادهم الى مديح للمآكل والمشارب وغير ذلك ؛ والى المطالع مثالاً على ذلك قصيدة الهلالي في مدح احمد باشا الشمعة التي يقول فيها :

اما والسنا الوضاح من جيدها الفجر وسود ليال من ذوائبها العشر

ومن كأسها بالنجم وهي تديره ومن شهب الازرار بالشفع والوتر

فعارضه الشيخ مصطفى بقوله :

اما ولحوم الضان من غنم الحمر وكثرتها في العيد في موسم النحر
ومن دهنها كأس يلذ لشارب اليه اشتياقي لا الى الكأس والخمر

ورحل مصطفى الى الأستانة بصحبة استاذه اليافي حيث نزلا مكرمين عند عبد الله باشا أحد وزراء السلطان عبد العزيز. وهناك تعرف على كبار رجال الدولة ، فانتظمت اموره المادية بما أغدق عليه من منح وهدايا كثيرة. ثم عاد بعدئذٍ الى بلده حمص وقصد المدينة المنورة زائراً بصحبة عبد الله باشا المذكور.

ولشاعرنا مصطفى شعر رقيق في الغزل بوأه مكانة مرموقة بين شعراء عصره نذكره منه قوله :

رماني بسهم من لحاظ فواتك غزال له دانت أسود المعارك
فما البدر يحكيه ولا الغصن ان بدا أو اختال في توب البها في مسالك
يلذ لي التعذيب في حب من غدا وأصبح من دون البرية مالكي
فليت الكرى لما شواني بحبه اراقب زهو الليل ضمن الحيالك

ومن ذرية الشيخ مصطفى زين الدين الذين باهت بهم مدينة حمص سائر المدن العربية بجمال الصوت ابنه العبقري المغني والبلبل الغريد الموسيقي الكبير المرحوم نجيب زين الدين.

وأدركت المنيه شيخنا الشاعر والموسيقي سنة ١٩٠٠ وجرت له جنازة حافلة ، رثاه فيها الشعراء والعلماء وفي طليعتهم مفتي حمص الأسبق المرحوم الشيخ خالد الأتاسي.

٢١ — انيس مدور

هو أنيس بن مصطفى مدور ؛ ولد في حمص سنة ١٨١٨م ونشأ وترعرع في بيئة تجارية ، نجح والده في أعماله التجارية نجاحاً طيباً ، ولَّد في نفس ابنه الجرأة على تعاطي الاعمال التجارية الكبيرة المعروفة في تلك الأيام بالاضافة الى تجارة المواشي ، وهي تجارة الحرير ، فأصاب نجاحاً كبيراً وثروة طيبة دفعته الى شراء عدد من المنازل وقرية الحالوظ

وثلث قرية الغنطو. وكانت له صلة وثيقة بكبار موظفي الدولة العثمانية كمتصرفي طرابلس وحماه، وخاصة مع محمود ياسين باشا المتصرف في طرابلس ثم ملاطية ثم الموصل. وكانت انوال انيس هي التي تقدم الاثواب الموشحة بالقصب الفضي والذهبي الى المابين الهمايوني في الاستانة نظراً الى دقة عماله وفنهم الرفيع. ولدى اسرته عقد رسمي موقع من قائمقام حمص وقتئذٍ مصطفى صبري بالموافقة على الالتزام الذي تعهد به أنيس مدور بتقديم البدلات المقصبة لحاشية السلطان بسعر الواحدة/ ١٢٠٠/ قرشاً تركياً وذلك عام (١٢٩٠ هـ — ١٨٧٣ م) وكان المترجم له حسن المعشر كريم اليد؛ سريع الخاطر خدوماً لمواطنيه من سائر الملل وأدركته المنية يوم الخميس في ١٦ حزيران سنة ١٨٨٨م ودفن في حمص.

٢٢ — كامل دوامه:

هو كامل بن نعمان دوامه من أسرة حمصية عريقة. ولد بحمص سنة (١٢٥٧ هـ — ١٨٤٢ م) نجح والده في اعماله التجارية في مصر، ثم انتقل الى الأستانة واستقدم اسرته للسكن معه هناك؛ وكان كامل في دور الصبوة؛ فلما انهى دروسه الأولية؛ دخل المدرسة السلطانية وكانت مدتها وقتئذٍ تسع سنوات تعلم فيها اللغات الانكليزية والفرنسية والروسية واليونانية ولما نال شهادتها بتفوق أدخله والده في المكتب الذي أحدث جديداً لتخريج كبار موظفي الدولة ونال شهادته بعد سنتين؛ وعندئذٍ ارسله والده الى باريس فانتسب الى كلية الفنون ونال شهادتها بعد ثلاث سنوات، ثم عاد الى الأستانة فعينته الحكومة العثمانية مدرساً في المدرسة السلطانية، ومنها نقل الى قائمقامية المرقب ثم الى قائمقامية صور، ومنها استدعي لتسلم وظيفة كاتب في المابين.

ونظراً لأسلوب كامل الانشائي الرفيع في المراسلات فقد استلفت اليه انظار السلطان عبد الحميد؛ فعينه رئيساً لكتاب المابين حيث بقي مدة/ ٢٥/ سنة حاز ابانها على ثقة السلطان التامة لدرجة أنه انتدبه مفوضاً مطلق الصلاحية لمقابلة قيصر الروس لحل بعض المشاكل العالقة بين الدولتين، الامر الذي نجح فيه نجاحاً باهراً وسر منه القيصر. فدعاه لتناول الطعام معه على مائدة الاسرة الخاصة.

ثم انتدبه السلطان مرة ثانية لتفقد أحوال مسلمي الصين، فقام بما انتدب اليه خير قيام مما أعلى مكانته عند السلطان عبد الحميد حتى أصبحت كلمته لاترد.

وبهذا التأثير استطاع أن يخدم أبناء وطنه خدمات جلى ؛ إذ أوسع المجال لعدد كبير من مواطنيه الحمصيين لدخول المكاتب العالية في الآستانة مجاناً. وممن دخلوا بسعيه المكتب الملكي ونالوا شهادته من حمص : هاشم الأتاسي وعلاء الدين الدروبي ونجم الدين الدروبي وحكيم دوامه وفارس الفياض وعبد الحميد الحراكي وعبد القادر الحراكي وصبري مراد وسواهم من الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ البلاد السورية والعراقية في النواحي السياسية والإدارية والعلمية. وعين كامل دوامه عضواً في اللجنة الجغرافية العالية في ليشبونة سنة ١٨٩٦.

ومن مزاياه الشخصية : محبته الشديدة للعلم ورغبته الحارة في ايصاله الى كل من يمت اليه بصلة معرفة ، وبسطة كفه وتواضعه الجم ونزاهته المشهورة. وعندما شعر بدنو أجله لظهور سرطان في أنفه موضع المنظار ؛ فضل أن يقضي بقية حياته في مسقط رأسه حمص فجاءها حيث توفي سنة (١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م) ودفن فيها.

٢٣ — الشيخ عبد الهادي الوفائي :

شاعر رقيق الحاشية ؛ ولد في حمص سنة ١٨٤٣ وتعلم وتثقف على أيدي العلماء من اسرته وبلده كالشيخ صالح الوفائي وامين الاتاسي ومحمد الوفائي وخالد الدالاتي ، فنبغ ونبه ذكره ، ونظم القصائد الطوال وتغنى بذكر مدينته حمص وأشاد بجمال مغانيها وعادات ابنائها وكرمهم في شتى المناسبات ؛ نذكر على سبيل المثال هذه الأبيات رداً على الشاعر الحلبي عبد القادر المقدور الذي كان يتغنى بجمال مدينة حلب اذ يقول في مطلعها :

ما حمص الاّ رياض الأنس دع حلبا   فلا تحدِّث أيا مقدورنا كذبا
الله أكبر كم في حمص منتزه   يخاله جنة من أمَّه طربا

ومن مؤلفاته : كتاب اسماه : التاريخ ، دون فيه الحوادث التي عاصرها في دمشق وحمص وديوان شعر وخمس روايات تمثيلية شعرية وموشحات كثيرة ، طالما تغنى بها أهل الفن في بلده.

توفي الشيخ عبد الهادي في حمص سنة (١٣٢٨ هـ — ١٩٠٩ م) ودفن فيها.

الحقبة العاشرة

حمص
في عصرها الحديث

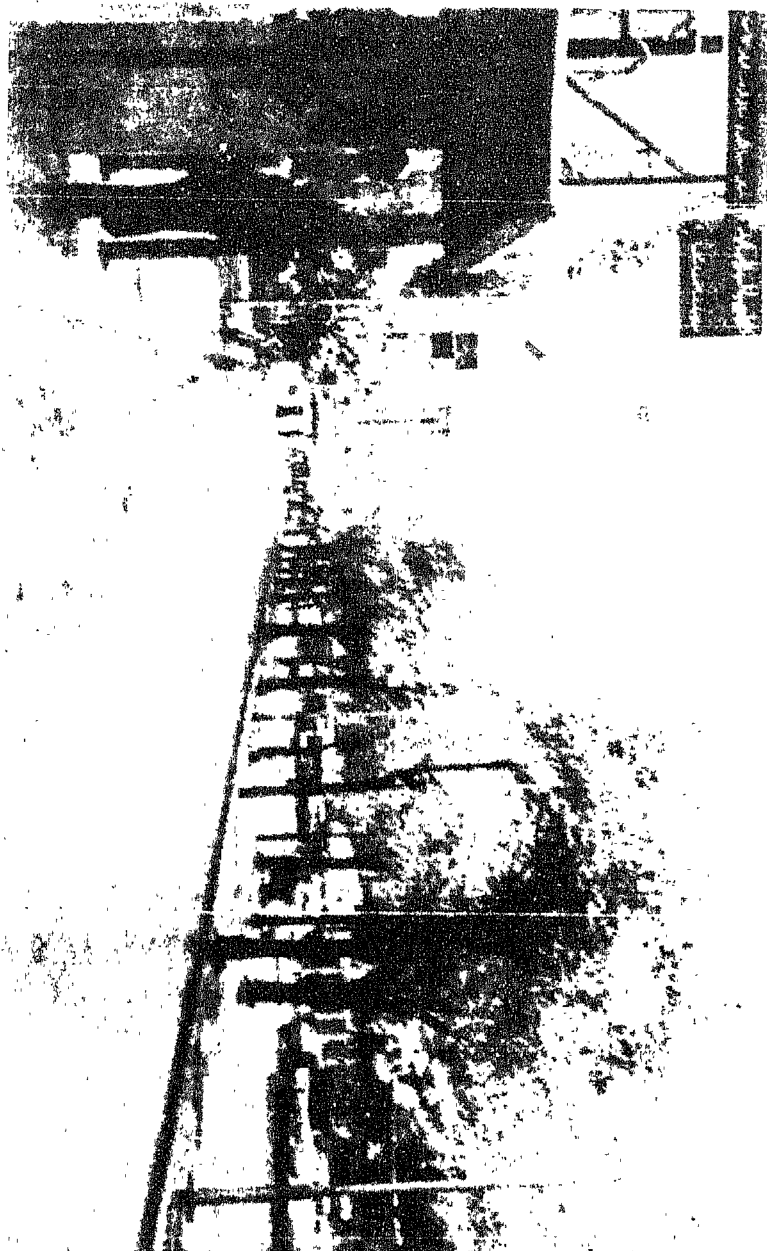
عصر العثمانيين الاخير، الاستقلال الأول، الانتداب الفرنسي، الاستقلال من سنة ١٨٨٦ــ ١٩٧٦

الفصل السابع والعشرون

كلمة عامة،

مرت مدينة حمص خلال هذه الحقبة بأحداث هامة كثيرة؛ اذ خلالها؛ اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وجرت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ــ ١٩١٨ واستقلت سورية في عهد فيصل الأول ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ وفرض الانتداب الفرنسي عليها ١٩٢٠ــ ١٩٤٣ والثورات السورية المتتالية والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ــ ١٩٤٥ والاستقلال التام ونكبة فلسطين والانقلابات العسكرية الثلاثة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٤ والوحدة بين مصر وسورية والانفصال وأخيراً عهد الحكم الاشتراكي بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي.

والحديث عن كل فترة من تلك الاحداث الهامة يحتاج الى كتاب خاص به. ولذا فقد عمدنا الى الايجاز ما أمكن، مع الالمام بها الماماً مفيداً بحيث يتسنى للمطالع الكريم معرفة ما جرى في وطنه وبذات الوقت تكون هذه الالمامة بمثابة لبنة متينة لطالب الاستزادة في الدراسة والتفاصيل يبني عليها أساس بناء معرفته الجديد.



كما وأننا افردنا فصلاً خاصاً نتحدث فيه عن تاريخ الهجرة الحمصية الى ديار الغرب مع ذكر اشهر المغتربين الماهدين ونوابغهم في الحقلين الاجتماعي والأدبي ممن طواهم الردى :

بلدة تدمر :

ظلت تدمر تتبع من الوجهة الادارية ناحية دير الزور ، الى أن شعرت الدولة العثمانية بأن علاقات سكان تدمر التجارية وقرب موقعها من مدينة حمص تدعو لالحاقها بهذه الاخيرة . ولذلك أصدر الوالي قراراً بالحاقها بقضاء حمص وقد تم ذلك فعلاً في ١ كانون الثاني سنة ١٨٨٦ .

القائمقام احسان بك

استصدر والي دمشق نظيف باشا امراً من السلطان بتعيين صهره احسان بك قائمقاماً على مدينة حمص وملحقاتها .

وبتاريخ ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨٨٨ وصل الى المدينة قائمقامها الجديد المذكور وباشر عمله الرسمي في السراي في اليوم التالي . ولكن ما أن مر على وجوده في حمص فترة وجيزة من الزمن حتى دب الخلاف بينه وبين وجهاء حمص وزعمائها نظراً للأعمال التعسفية التي كان يرتكبها بحق المواطنين . وعندئذٍ بادر عبد الحميد باشا الدروبي الى تنظيم عريضة وقعها الحمصيون ورفعها الى المابين وقد عددوا فيها الأعمال الجائرة التي ارتكبها القائمقام في المدينة وتاريخ العريضة أول آذار سنة ١٨٨٨ .

ولم يكتف الدروبي باشا بالعريضة المرسلة بل توجه بنفسه الى الاستانة لمتابعتها في ١٥ آذار من السنة نفسها مصطحباً معه في قفص حديدي نمراً حياً ليقدمه هدية الى الصدر الأعظم .

الجمعيات الخيرية :

انتخب السيد اثناسيوس عطاالله الشويفاتي مطراناً على حمص في ٢٥ آذار سنة ١٨٨٦ ، وحين حضوره لم يكن في المدينة من الجمعيات الارثوذكسية سوى المفوض الملي . وكان اعضاؤه وحدهم هم الذين يهتمون بالمدارس والكنائس والفقراء وغير ذلك من الشؤون ؛ ولذلك فقد عمد الى تأسيس جمعية مستقلة تعنى بشؤون الفقراء اسماها جمعية

عضد الفقراء في ١ حزيران ١٨٨٦ ثم أنشأ «لجنة المدارس الارثوذكسية» سنة ١٨٨٧ وبعدها أسس جمعية «القديس ايليان لدفن الموتى».

المشير حسني فوزي باشا

في ٦ أيار ١٨٨٦ وصل الى حمص المشير حسني وفوزي باشا الوكيل العام للحضرة السلطانية في أراضي الدولة العثمانية. وبعد أن تجول في املاك السلطان متفقداً ومستطلعاً احوالها طيلة يومين غادر حمص متوجهاً الى حماه ثم الى سلمية ومنها عاد الى طرابلس ماراً بحمص لتحقيق الغاية التي جاء من أجلها.

مجالس المدينة الحكومية

في ٢٠ آذار سنة ١٨٨٩ صدر القرار بتعيين اعضاء مجلس ادارة حمص على الشكل التالي:

السادة: يحيى الزهراوي، مصطفى الحسيني، عيسى فركوح وميخائيل السرياني.

وتعين لمحكمة البداية السادة: حافظ الجندي، كمال الأتاسي، سليمان الخوري ونقولا كرامة.

وأضيف الى اعضاء المجلس البلدي السادة: عبده شكور، جرجي شهدا وبطرس توما. ولعضوية غرفة التجارة السيدان: حنا رزق وندور طرابلسي. ولادارة املاك الدولة السيد: باسيل نصور.

الوالي نظيف باشا:

في ١٤ حزيران ١٨٨٩ أَمَّ حمص والي الشام نظيف باشا، وحل في منزل صهره القائمقام احسان بك. وبعد أن مكث في المدينة ثلاثة أيام بحجة الاستماع الى مراجعات الأهلين وشكاواهم غادرها الى حماه في ١٨ حزيران ثم عاد الى حمص في ٢٦ حزيران لمتابعة التحقيق في الدعاوى المقدمة من الجمهور الحمصي بحق صهره القائمقام ومكث في المدينة حتى تاريخ ٢ تموز ثم غادرها عائداً الى دمشق دون أن يبت في مطالب الأهلين. ولكن بتاريخ ١١ تموز ١٨٨٩ وكان يوم ثلاثاء وصلت الى دار الحكومة بحمص الارادة السنية التي قضت بعزل القائمقام احسان بك بعد أن ثبتت ادانته. وغادر هذا المدينة ليل يوم

الجمعة في ١٤ تموز متوجهاً الى دمشق ، وقد فهم ان عملية العزل هذه تمت بسعي عبد الحميد باشا الدروبي .

وبتاريخ ٢٨ تموز ١٨٨٩ وصل الى حمص قائمقامها الجديد محمود بك الشلبي الحيفاوي الأصل وحل ضيفاً في منزل نقيب الاشراف السيد محمود الجندلي . وقد عمد فوراً القائمقام الشلبي فور استلامه زمام عمله الى زيارة شخصيات المدينة البارزين وقادة الرأي فيها للتعرف عيهم واستجلاء رغبات الأهلين وطلباتهم كالمفتي والقاضي وآل الزهراوي ومطران الروم الارثوذكس ، مبدياً رغبته الصادقة في تحقيق كل مطلب عادل يأتيه من السكان .

المعارف والعلوم :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قامت الارساليات الاجنبية بتأسيس مدارس لها في مدينة حمص رغبة منها وسعياً وراء ضم عدد من التلامذة الذين يتعلمون في مدارسها الى طائفة تلك الارسالية . اذ أنه في عام ١٨٦٣ انشئت مدرسة الاميركان وتبعتها في عام ١٨٨٢ مدرسة الجزويت . وكان الارثوذكس العرب قد أسسوا أول مدرسة لهم في المدينة سنة ١٨٥٠ ولكن هذه المدرسة بقيت على حالتها البدائية ؛ كما وأن الحكومة العثمانية اسست المدرسةالرشدية السلطانية سنة ١٨٨٣ . وشعرت الطائفة الارثوذكسية وقتئذٍ بضرورة ترقية مدرستها خوفاً من الخسارة المعنوية التي ستصاب بها وحدها من جراء تعليم ابنائها في المدارس الاجنبية . ولذلك شمرت عن سواعد النشاط فرفعت من شأن مدرستها ووضعت انظمة ومنهاجاً جديداً للدروس فيها يعتبر وقتئذٍ من أفضل المناهج . وقد تضمن المنهج الجديد المواد التالية :

اللغة العربية وآدابها ، الصرف والنحو ، المعاني والبيان والعروض ، الحساب ، التعليم المسيحي ، التاريخ الكنسي والمدني ، الجغرافيا ، مبادىء اللغتين التركية واليونانية ، الفيزيولوجيا ، مبادئ الجبر والهندسة ، الطبيعيات والجيولوجيا وعلم الهيئة واللغة الفرنسية .

وقد بلغ عدد طلاب وطالبات المدارس الارثوذكسية بحمص سنة ١٨٨٩/ ١٨٩١ المدرسية / ٧٦٥/ طالباً وطالبة .

والي الشام الجديد ومجلس ادارة حمص :

على أثر وفاة الوالي نظيف باشا في أول كانون الأول ١٨٨٩ أصدرت الارادة الشاهانية بتعيين مصطفى عاصم باشا الذي كان والياً على بغداد ، والياً على بلاد الشام . وحضر هذا من العراق الى سورية عن طريق الصحراء ؛ فوصل الى حمص في مطلع شهر شباط ١٨٩٠ . وبعد أن استراح في المدينة يوماً ، توجه في اليوم التالي الى مدينة حماه وهناك اجتمع الى المتصرف ثم تجول في انحاء الولاية الشمالية ثم عاد الى حمص عن طريق سلمية في ١٤ شباط ومكث فيها طيلة يومين استمع ابانها الى رغبات الاهلين وحاجاتهم ؛ وعندئذٍ أصدر قراراً بتعيين اعضاء جدد لمجلس ادارة المدينة من السادة : عبد الحميد الدروبي ، عبد اللطيف الأتاسي ، عيسى فركوح ونقولا كرامة .

كسوف الشمس والكوليرا :

في ٥ حزيران ١٨٩٠ كسفت الشمس كسوفاً كاملاً دام من الساعة العاشرة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر . وفي اواسط شهر ايلول ظهرت في المدينة بعض الاصابات بالكوليرا (الهواء الأصفر) ثم ما لبث عدد الاصابات والوفيات أن ارتفع حتى أربى عدد المتوفين في شهر واحد على المائة شخص . ولم تنظف المدينة من هذا الوباء نهائياً الاَّ في اواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ .

صناعة الأقمشة :

يقول روبان : اذا تتبعنا انواع الاقمشة التي كانت تنتجها ولاية الشام نرى أنها كانت سنة ١٨٩١ كما يلي :

أولاً ــ الأقمشة القطنية ثم الآلاجه وأخيراً الديما . وقد بلغت قيمة محصولات اقمشة حمص وحماه في هذه السنة / ١٢ / مليوناً من الفرنكات وهما تفوقان أهمية الشام من جهة صناعة الأقمشة بحيث نرى أن عدد عمالها بلغ / ٢٨٠٠ / عامل بينما عدد عمال حمص وحدها يزيد عن / ٤٩٠٠ / عامل . في حين ان كراسي الحياكة في دمشق هو/ ٣٠٠٠/ وفي حمص/ ٧٠٠/ وفي حماه/ ٤٠٠٠/ كرسي .

الخط الحديدي بين بيروت ودمشق :

نشطت الحركة التجارية في البلاد السورية نشاطاً ملحوظاً في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ولم تعد وسائل النقل المتبعة آنئذٍ كافية لتقوم بتحقيق الغاية المرجوة منها : مما أوجب التفكير بضرورة احداث خط حديدي يصل بين بيروت ودمشق ليسد العجز الذي لم تستطع تأمينه مركبات الكارات وحوافل الدليجانس . ولذلك تقدم السيد حسن بيهم البيروتي بطلب لنيل امتياز مد الخط بين بيروت ودمشق فنال الموافقة في حزيران ١٨٩١ . ثم جرى التزاحم بعدئذٍ بين عدة شركات تباينت خططها لمد خط حديدي بين دمشق — حمص — حماه — حلب — بيره جلك . ونال الامتياز اخيراً بارادة سلطانية السيد يوسف مطران ، تاريخه ٣٠ أيار ١٨٩٣ الذي اسمى شركته : الشركة العثمانية لخطوط بيروت — دمشق — حوران . وتحددت مدة الامتياز والاستثمار / ٩٩ / سنة تنتهي في حزيران ١٩٩٢ .

وتمت حفلة فتح خط بيروت — دمشق في ٣ آب سنة ١٨٩٥ . وكان عرض هذا الخط / ١٠٥ / سانتمترات وطوله / ١٤٧ / كيلومتراً .

الجمعية الاقتصادية الأولى في حمص :

في نطاق العمل على رفع شأن المستوى الاقتصادي في المدينة ؛ وجه مطران الروم الارثوذكس دعوة الى رهط من كبار تجار المدينة ومن مختلف الطوائف للبحث في تعميم دواعي الراحة للفئة العاملة الكادحة التي تشكل غالبية السكان في المدينة . وعلى أثر هذا الاجتماع الذي عقد في بهو المطرانية في صيف ١٨٩٥ ؛ تقرر انشاء شركة مساهمة لصنع منسوجات وطنية تضارع المنسوجات الاجنبية وتقل نفقة عنها وبذلك يتمكن جميع المواطنين من شرائها ، فيقتصدون في نفقاتهم الشخصية اولاً وتنشط الصناعة الوطنية ثانياً . وبذلك يخف شراء المصنوعات الأجنبية ويزداد عدد العمال الوطنيين ويرتفع الدخل القومي للفرد في المدينة . وهكذا تأسست هذه الجمعية ودعيت : «الجمعية الاقتصادية لتحسين المنسوجات الحمصية» .

وسارت هذه الجمعية بخطوات واسعة ونجاح مرموق ؛ حتى كادت منسوجاتها تضارع المنسوجات الاوروبية رواءً مع تفوقها عليها في المتانة . ولو عمد جميع المواطنين وقتئذٍ لاستهلاك ما يلزمهم من منتوجات بلدهم لهانت امامهم سبل العيش . ولكن بعض ذوي

لثراء اخذتهم العنجهية ، فأبوا أن يرتدوا نسيج بلدهم وتابعهم في الإعراض عنها فئة من مقلدي الاجانب مما اضطر هذه الجمعية الى الافلاس بعد بضع سنين من تأسيسها وكان ذلك في عام ١٩٠٠.

الجمعية النسائية الأولى

لما رأت سيدات وآنسات المجتمع الحمصي ما تقوم به الجمعيات الخيرية من خدمات جلّى في حقل الخدمات العامة في مدينة حمص ، اجتمع رهط منهن للبحث في امكانية قيامهن بالواجب المترتب عليهن نحو بلدهن اسوة بالرجال وقررن تأسيس جمعية اطلقن عليها اسم «جمعية نور العفاف النسائية» وكان ذلك في عام ١٨٩٧.

ولقد قامت هذه الجمعية باعمال انسانية جليلة خلدت لها الذكر الطيب ، فقد مدت بسخاء يد المعونة للفقراء والمعوزين وأسهمت اسهاماً فعالاً في تأسيس وبناء مدرسة البنات الارثوذكسية وشيدت الطابق الثاني من المستوصف المعد لمعالجة المرضى الفقراء من سائر طوائف حمص كما بنت مستشفى القديسة بربارة في محلة الحميدية. وما برحت انشاءات هذه الجمعية تنطق بأعمالها الانسانية السابقة واللاحقة ، لأن تعمل تحت رئاسة المربية القديرة الآنسة نظلة سركيس.

حكومة حمص عام ١٨٩٨.

كان على رأس الحكومة في حمص عام ١٨٩٨ السادة :

القائمقام : امين بك. النائب : سليمانَ رشدي. المفتي : عبد اللطيف الاتاسي. مدير المال : حبيب مرهج. كاتب التحريرات : سعد الدين بك.

مجلس الادارة : القائمقام والنائب والمفتي ومدير المال وكاتب التحريرات ومحمد الحاج رسول وعيسى فركوح ويعقوب السرياني.

المحكمة : الرئيس : النائب. الاعضاء : حافظ الجندي ، سليمان الخوري وكمال الجندلي.

البنك الزراعي : الرئيس : محمد سعيد السباعي. الاعضاء : خالد الرفاعي ، جرجي شهدا وميخائيل زخور.

المجلس البلدي : الرئيس عبد الحميد الدروبي . الاعضاء مصطفى رسلان ، محيي الدين الدروبي ، راغب الأتاسي ، محمود سفور ، حنا فركوح ، جرجي شهدا وحنا أورفلي ، الكاتب : توفيق الأتاسي. الطبيب : حبيب جبور.

غرفة التجارة : الرئيس : صادق الأتاسي . الاعضاء : الحاج رسول الصوفي ، الشيخ سعيد الدروبي ، انطون طرابلسي وباسيل نصور.

غرفة الصناعة : الرئيس : عون الصوفي. الاعضاء : نصرو السيد ، خوري ادريس ، عيسى الحوش وانطون حلال.

عبد الحميد الزهراوي يكافح ظلم العثمانيين :

في صيف عام ١٨٩٥ توجه العالم الشيخ عبد الحميد الزهراوي الى الاستانة لأعمال تجارية. واثناء وجوده فيها عرف بنشاط الطلاب العرب السياسي ، عندئذٍ انصرف الزهراوي عن الأعمال التجارية وعمد الى التعمق في دراسة كتب العلم والأدب والسياسة في مكتبات الاستانة ؛ ثم أخذ ينشر في جريدة «المعلومات» التي كانت تصدر باللغة العربية المقالات التوجيهية والتثقيفية لأبناء الشعب العربي ويوجه الانتقادات العنيفة للأساليب اللاانسانية التي يتبعها الحكم العثماني في البلاد العربية ؛ عندئذٍ أمر السلطان عبد الحميد بوضعه تحت المراقبة في الاستانة. ثم فكر في ابعاده عن العاصمة ، فعرض عليه منصب قاضٍ في أحد الالوية التي يختارها ولكن مواطننا الزهراوي رفض باباء ما عرض عليه. فما كان من السلطان الا أن أمر بتوقيفه سنة ١٨٩٧ ثم ارسله للاقامة الجبرية في دمشق واجرى عليه راتباً شهرياً مقداره/ ٥٠٠/ قرش ذهبي. ولكن الشيخ الزهراوي تابع نشاطه الوطني في دمشق. ولذلك فقد القي عليه القبض وارسل مخفوراً الى الاستانة ؛ ثم اعيد الى مسقط رأسه حمص في آذار ١٨٩٨ وفرضت عليه الاقامة الاجبارية في منزله.

الخط الحديدي بين رياق — حمص — حلب

ذكرنا في ما سلف أن السيد يوسف مطران نال امتياز مد خط حديدي يصل بين دمشق وحلب. ولذا فقد بوشر العمل بمد هذا الخط الذي تقرر أن يكون عرضه/ ١٤٤/ سانتمتراً في أيار سنة ١٩٠١.

وجرى العمل في مد هذا الخط على مرحلتين : الأولى من رياق الى حماه ؛ والثانية من

حماه الى حلب. وبلغ طول القسم الأول/ ١٨٩ / كيلومتراً والثاني/ ١٤٥ / كيلومتراً. وقد أشرف على العمل المهندس شنو مدير الأشغال العامة الفرنسي الذي وصل في ٢٧ أيار ١٩٠١.

ولما تم تمديد القسم الأول حضرت لجنة خاصة لتسلم السكة برئاسة خيري بك مدير الخطوط الحديدية واجرت حفلة تدشين الخط في يوم الجمعة بتاريخ ٤ آب ١٩٠٢ كما بدىء باستثمار الخط يوم السبت الواقع في ٥ آب؛ واصبح منذ ذلك التاريخ بامكان المرء أن يجتاز المسافة بين بيروت وحماه بمدة لا تتجاوز الـ ١٢ ساعة. بعد أن كان يجتازها بثلاثة أيام في الديلجانس مع ارهاق شديد.

أما القسم الثاني من هذا الخط — أي خط حماه — حلب فقد ابتدأ العمل في مده في شهر آذار ١٩٠٥ بواسطة شركة فيتالي؛ وبلغ عدد العمال/ ١٢/ الف عامل وعدد المهندسين والمدراء/ ١٢٠/ شخصاً.

وتم تدشين هذا الخط بواسطة اللجنة المكلفة باستلامه ومعها السيد شنو الفرنسي بتاريخ ٣ تشرين الأول سنة ١٩٠٦. اذ ركبت اللجنة القطار من حماه متوجهة الى حلب التي وصل اليها القطار قبل منتصف الليل.

وصباح اليوم التالي وكان يوم خميس ووافق ذلك اليوم عيد مولد السلطان عبد الحميد؛ لبست حلب معالم الزينة واجتمع الناس حول محطة السكة الحديدية، وخطب في الجماهير المحتشدة الوالي والسيد شنو ونجيب عساف ومطران الارمن الكاثوليك وحسن بيهم، وبعد أن تناول بعض المدعوين الطعام، ختمت الحفلة بدعاء حار لفظه مفتي حلب لحفظ السلطان.

مأذنة جامع السراج

في اواخر ليل السبت الواقع في ١١ نيسان ١٩٠٣ هطلت أمطار غزيرة جداً. تخللتها رعود شديدة وصواعق عدة سقطت احداها على مأذنة جامع السراج في محلة باب تدمر فدكتها. ولم يحدث من جراء سقوطها أي ضرر في الانفس اذ أن تدمير المأذنة حدث قبل صلاة الفجر بحوالي الساعتين ولم يكن في المسجد أي انسان.

الوزير ناظم باشا ومسجد خالد بن الوليد :

في ٨ أيار ١٩٠٣ أمَّ مدينة حمص الوزير ناظم باشا . وبعد أن استراح فترة من الوقت توجه لزيارة مقام خالد بن الوليد ؛ واذ شاهد بناء المسجد المتداعي تأثر لذلك كثيراً ورفع الى السلطان كتاباً يلتمس منه فيه أن يصدر ارادته السنية بتجديد المسجد وبنائه بشكل هندسي يشابه الى حد بعيد جامع آيا صوفيا . وقد وافق السلطان على اقتراح الوزير وأوعز بالمباشرة في اعمال البناء .

الكوليرا (الهواء الأصفر) :

حل هذا الضيف الثقيل في مدينة حمص بتاريخ ١٤ تموز سنة ١٩٠٣ ، اذ توفي بتأثيره احد الأشخاص ولكن الطبيب المعالج نفى وفاة مريضه بذاك الوباء ، ولكن الاصابة الثانية التي وقعت بعد بضعة ايام وفي المنزل نفسه أكدت دخول ذلك الوباء الى المدينة .

وأخذ هذا الوباء يهاجم البيوت الآمنة كما اهتمت الحكومة المحلية للأمر فاتخذت الاحتياطات الوقائية اللازمة ؛ وبذل الاطباء لوقا وخوري وجبور جهوداً جبارة ، تذكر فتشكر في سبيل انقاذ المصابين ونجحوا في كثير من الحالات . ولكن وطأة الوباء كانت شديدة جداً لدرجة أن كل الجهود المبذولة لم تستطع التغلب عليها بسهولة . وبلغ معدل الوفيات بين المصابين ٩٥٪ كما بلغ عدد المتوفين المسيحيين نحواً من /٣٠٠/ شخص ومن المسلمين /١٥٠٠/ نسمة .

وظلت اعداد المتوفين تتصاعد حتى اواسط شهر آب ثم أخذت تتراجع حتى كادت تتلاشى في اواسط شهر ايلول . وبسبب هذا الوباء فقد انهارت اعمدة بيوت كثيرة في حمص لكثرة ما ترك هذا الوافد الثقيل خلفه من أيتام ولطحاء ؛ الأمر الذي دفع ببعض رجال الانسانية لانشاء جمعية عرفت باسم جمعية تربية الايتام الارثوذكسية . وقد مدت هذه الجمعية يد المعونة والعطف والاحسان الى جميع العائلات المنكوبة في حمص ومن كافة الطوائف وبهذا العمل خففت هذه الجمعية بعض ما لحق بالمدينة من بؤس وشقاء وحصلت على ثناء المجتمع الحمصي .

اما ذلك الوباء فقد انحسر نهائياً عن حمص بتاريخ ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ واعلن عن نظافتها التامة منه .

اعلان الدستور ونيابة الزهراوي عن حمص

على أثر تسنم السلطان عبد الحميد الثاني في ١٩ آب سنة ١٨٧٧ عرش السلطنة تظاهر برغبته في اصلاح امور الدولة واقامة المشاريع العمرانية والعمل على رفع مستوى الشعب وتثقيفه ومنحه الحرية الفكرية والتعبير عنها بكل الوسائل المشروعة. ولكنه ما لبث بعد أن قبض بيديه على الصولجان حتى أخذ ببذل الجهود للقضاء على المفكرين والمصلحين؛ فنفى واعدم واغرق في البوسفور المئات من الضحايا البريئة... ولما عيل صبر الشعب وطال ليله المظلم. قام بانتفاضة كبيرة عليه ترأسها رجال تركيا الفتاة فأنزلوا عبد الحميد عن عرشه في اواخر شهر تموز سنة ١٩٠٨ واعلنوا اقرار الدستور العثماني؛ الذي ساوى —كتابة فقط على حد تعبير المؤرخين— بين شعوب الامبراطورية العثمانية كافة.

وفور هذا الاعلان، انتخبت مدينة حمص ممثلها في مجلس المبعوثان فضيلة الشيخ عبد الحميد الزهراوي بأكثرية ساحقة في شهر أيلول سنة ١٩٠٨.

وفي اوائل شهر تشرين الأول سافر الشيخ الزهراوي الى الاستانة لتمثيل بلده وامته. وهنالك رفع فضيلته الصوت عالياً مطالباً بحقوق امته العربية وحريتها وتحقيق الحكم اللامركزي في البلاد العربية.

ولم يكتف الزهراوي بما تقدم بل أصدر في الاستانة جريدة الحضارة وجعلها منبراً لكل الشباب العرب الذين كانوا يتابعون دراساتهم العليا في الجامعات التركية، كما كان في الوقت نفسه على رأس معارضي سياسة التتريك والعنصرية التي كان ينتهجها رجال تركيا الفتاة.

الحياكة في حمص

مع فجر القرن العشرين اخذت الصناعة في حمص ترتقي وتتقدم شكلاً وفناً وكثرة، بشكل واضح ومرموق؛ ومدينة حماه التي كانت في طليعة المدن السورية في عالم الحياكة لم تستطع المحافظة على درجتها الأولى في هذا الحقل، لأن عدد كراسي الحياكة فيها تراجع حتى بلغ سنة ١٩٠٢/ ١١٠٠/ كرسي فقط بينما ارتفع عدد كراسي دمشق الى/ ٤٥٠٠/ كرسي. اما مدينة حمص فقد ارتفعت حتى وصلت الى المرتبة الثانية بين المدن السورية لأن عدد كراسيها بلغ/ ٨٠٠٠/ كرسي وغالبية هذه الأنوال مركزة بصورة خاصة على صناعة الأقمشة السورية.

وتابعت حمص تسلقها قمة المجد في هذه الصناعة حتى بلغ عدد كراسي انوال الحياكة فيها عام ١٩٠٩ ، عشرة آلاف كرسي أي أكثر بقليل من كراسي مدينة حلب في الوقت الذي تراجعت فيه كراسي مدينة حماه الى/ ١٠٠٠ / ردمشق الى/ ٢٥٠٠ / كرسي. وهكذا أصبحت مدينة حمص الأولى بين المدن السّورية في عالم النسيج والحياكة.

جريدة حمص ومطبعتها:

توضح في فكر العلامة المرحوم الخوري عيسى أسعد ، ضرورة انشاء جريدة في مدينة حمص ، تكون لسان حال الطائفة الارثوذكسية العربية أولاً وهمزة وصل بين ابناء حمص على اختلاف مللهم ونحلهم مع اخوانهم المغتربين. غير أن عدم وجود مطبعة في المدينة حال دون الاقدام على ابراز هذه الفكرة الى حيز التنفيذ. وما أن عرف المغترب الحمصي بشارة مرداوي بتلك الفكرة وهو من المهاجرين الماهدين الاوائل في سانباولو البرازيل حتى أظهر استعداده لاتمام ما ينقص مدينة حمص من معززات العلوم والآداب ؛ اذ ارسل كتاباً الى المطران اثناسيوس عطاالله يعلن فيه تبرعه بمطبعة حتى يصار الى انشاء الجريدة التي بحث في تأسيسها الخوري عيسى المذكور اعلاه.

وبالفعل فقد وصلت المطبعة في اوائل شهر آذار سنة ١٩٠٩ ؛ كما تسلمت الطائفة الارثوذكسية الرخصتين الرسميتين للمطبعة والجريدة وهما مؤرختان في ٢٥ نيسان ١٩٠٩ بتاريخ ١٩ أيار من السنة ذاتها.

وللحال تم اصلاح احد المساكن في المطرانية لتوضع فيه المطبعة ، كما خصص قسم منه للجريدة وادارتها. وبعد أن انتهت الاستعدادات الأولية في اصدار الجريدة ؛ فقد صدر العدد الأول من جريدة «حمص» بتاريخ ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ وهو يحمل المقالات الادبية والثقافية والتربوية المتنوعة باقلام كل من صاحب الامتياز المطران اثناسيوس عطاالله والخوري عيسى اسعد والدكتور كامل لوقا وداود قسطنطين الخوري وغيرهم من أدباء ومفكري حمص.

وما برحت جريدة حمص حتى اليوم تتابع تأدية رسالتها العلمية والأدبية ، ناقلة اخبار المقيمين في حمص الى اخوانهم وابنائهم واحفادهم المغتربين بأمانة وصدق واخلاص ؛ وتولى رئاسة تحريرها عدد من خيرة رجالات الفكر والوطنية كما انتهت اخيراً الى يد الأديب الوطني النائب في مجلس الشعب الدكتور فيليب كبا.

فاجعة السيل

في مساء ٢٧ ايلول ١٩٠٩ هطلت امطار غزيرة صحبها برد كبير بحجم البندق، استمر تهطاله أكثر من ثلاث ساعات. وحوالي منتصف الليل، لم يشعر القاطنون في المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية من المدينة؛ إلاَّ وقد احاطت بمنازلهم المياه المتدفقة والتي شكلت سيلاً عارماً بلغ ارتفاعه في بعض الأماكن خمسة أذرع، وفي البعض الآخر ثلاثة. ولم تلبث المنازل التي اعترضت سبيل السيل وغالبيتها مبني بالطين، حتى تهاوت على رؤوس قاطنيها، فدفن من دفن تحت الأنقاض، وجرف السيل الباقين. وارتفعت أصوات العويل والصراخ والاستغاثة في أجواء المدينة تطلب المعونة والنجدة. وهرع الناس من الأحياء المجاورة لمساعدة المنكوبين وإنقاذ من يمكن إنقاذه من مواطنيهم.

وانشطر السيل القادم الى المدينة من طريق قرية مسكنة الى شطرين: اتجه الأول منه الى حي باب السباع وباب التركمان والميدان باتجاه الساقية واتجه الشطر الثاني نحو باب تدمر والحميدية والخالدية جارفاً معه الابقار والاغنام والماعز والارزاق وجثث الضحايا البشرية.

وعلت مياه الساقية حتى غمرت الشارع الذي تمر فيه والشوارع المتفرعة عنه. وبقي هذا حالها حتى مساء اليوم التالي.

اما ما نال مدينة حمص من جراء هذا السيل المشؤوم فكان؛ ان تهدم من منازلها / ٣٦٧ / منزلاً. وقتل من السكان / ٩٢ / شخصاً منهم / ٦٧ / من المسلمين و / ٢٥ / من المسيحيين؛ وأصبح / ١٥٠٠ / نسمة من السكان بدون مأوى؛ كما قدرت الخسارة المادية بمليونين من الفرنكات الذهبية الفرنسية.

وفي الليلة التالية تشكلت اللجان لإسعاف المنكوبين وطيرت البرقيات الى المغتربين الحمصيين؛ ولبى الأهلون النداء بحمية وشهامة وكذلك الجاليات الحمصية في المهاجر. وكانت الارسالية الأولى من التبرعات هي ما بعثت بها الجالية الحمصية في سانباولو البرازيل ومقدارها / ٧٠٠ / ليرة انكليزية ذهبية؛ وتلتها الجالية السورية في مصر التي بعثت بـ / ٥٧ / ليرة انكليزية. ثم توالت بعدئذٍ تبرعات الجوالي الحمصية في الارجنتين والشيلي والولايات المتحدة مما كفكف دموع حمص وضمد جراحاتها.

وفي ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ داهم السيل ثانية مدينة حمص وقد قدم اليها من

جهة بلدة قطينة فتغلغل بين البيوت التي سبق أن هدمها السيل الأول ؛ ولكنه لما لم يجد ما يتلفه ابّان زحفه المشؤوم ، انضم الى مياه الساقية دون أن ينتج عنه أي ضرر يذكر.

مجلس معارف حمص

في أوائل شهر كانون الأول سنة ١٩٠٩ اجتمع في حمص ، رهط من رجال الفكر والعلم والأدب ، وتداولوا في أمر تشكيل مجلس يكون من اهدافه تعميم التعليم والمعرفة في المدينة وقضائها ، وانشاء المكاتب المجانية لتثقيف عقول الناشئة الحمصية وتغذيتها بالعلوم والآداب ، وبعد أن وافق المجتمعون على الفكرة ؛ أسسوا لهذه الغاية جمعية اطلقوا عليها اسم « مجلس المعارف لمدينة حمص » وانتخبوا من الموجودين هيئة ادارية للمجلس قوامها السادة :

نجم الدين الأتاسي رئيساً . والحاج عبد الرحمن الجندي ، حنا خباز ، كمال الجندلي ، الدكتور كامل لوقا ، محمد علوان ، الدكتور رمزي سمعان ، توفيق نجيب الأتاسي وشفيق رسلان اعضاء .

وقامت هذه الهيئة بالمهمة الملقاة على كاهلها طيلة سنة ونصف ولكنها ما لبثت أن انحلت ؛ اذ أن السلطة العثمانية وقفت في وجهها خوفاً من انتشار الوعي وبعث الروح العربية والوطنية في قلوب الناشئة الطالعة .

ثورة الفقراء

بتاريخ ١٣ آب ١٩١٠ وكان يوم سبت ؛ دفع الجوع المخيم فوق بيوت بعض الأسر الفقيرة في حمص الى تجمع عدد غفير منهم في الساحات العامة سعياً وراء رغيف يطعمه رب العائلة لأطفاله الجياع ؛ ولما لم يجدوه في المخابز اندفعت اعدادهم نحو المحلات والمخازن الكائنة حول ثكنة ابرهيم باشا المملوءة بالغلال والحبوب فانتهبتها واستولت على كل ما فيها ثم توجهت فئة منهم نحو محطة السكة الحديدية للاستيلاء على ما في عنابرها من غلال . واراد مدير المحطة يعقوب الشامي صدهم بالقوة ، ولكن المهاجمين تمكنوا منه محاولين قتله وصدف آنئذٍ أن مرَّ من هنا ادريس الشركسي وهو على جواده فأسرع لنجدته والهرب به . اما الثوار فقد استولوا على كميات الحنطة والشعير والفول الموجودة في الشاحنات ونقلوها

الى بيوتهم على الدواب ؛ وقدر العارفون عدد الأكياس المنهوبة من المحطة بـ/ ١٥٠٠ / كيس.

واتجه الثائرون بعدئذٍ الى خان الدالاتي فخان سلمية فنهبوا موجوداتها أيضاً ، ثم قصدوا ادارة الشوسة فانتهبت بعد مقاومة عنيفة ؛ وبعدئذٍ اتجه عدة الوف منهم الى محلة الحميدية لنهب خان الزهراوي ومخازن الياس الحداد فلم يتمكنوا من تحقيق بغيتهم لاستماتة آل الزهراوي في الدفاع عن ارزاقهم وارزاق جيرانهم.

وكان قائمقام المدينة قد ابرق الى والي دمشق فور اندلاع نيران هذه الثورة طالباً منه إرسال قوة كبيرة من الجند لإعادة الأمن والهدوء الى المدينة.

ولما وصلت هذه القوة في صباح اليوم التالي وباشرت اعمالها في ضبط الأمن والتفتيش على المنهوبات تمكنت وقتئذٍ من استعادة بعضها ؛ كما ألقت القبض على اربعين شخصاً وضعتهم رهن المحاكمة وكانت غالبية المقبوض عليهم من المساكين الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة ولا سند.

خط حمص — طرابلس الحديدي

في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٠ بوشر العمل بتمديد خط حديدي يصل بين حمص وطرابلس. وقد انتهى العمل به في اواخر شهر أيار سنة ١٩١١. ويوم الثلاثاء المصادف ٣٠ أيار من هذا العام جرت حفلة تدشين هذا الخط الذي بلغ طوله/ ١٠٢ / كيلومتر وعرضه/ ١٤٤ / سانتمتراً وبدىء استثماره في اليوم التالي.

ولما وقعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) عمدت الحكومة العثمانية الى اقتلاع قضبان الخط واستعملتها في تمديد خط بغداد — نصيبين. ولكن الخط اعيد الى ما كان عليه في السابق سنة ١٩٢١ بايعاز من المفوض السامي الفرنسي الجنرال غورو ، وقد بلغت نفقات اعادته وقتئذٍ/ ٢١/ مليون فرنك فرنسي.

التلجة الكبيرة

في الرابع عشر من شباط سنة ١٩١١ اخذ الثلج بالتهطال في مدينة حمص بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخها اذ كان يتوقف قليلاً ثم يعود الى سيرته الأولى بشكل أكثف

وأشد. وظل على هذه الحالة حتى الثلث الاخير من شهر آذار سنة ١٩١١ حتى غمر البيوت والشوارع. وبذل الأهلون الجهود الجبارة لجرف الثلوج عن اسطحة المنازل خوفاً من سقوطها على ساكنيها.

وقد عمد بعض الناس الى فتح انفاق في الثلج ليتمكنوا من الانتقال بين مكان وآخر وتمضية بعض الاوقات لتسلية ابنائهم.

وفي آخر شهر آذار اشرقت الشمس في سماء حمص لأول مرة ثم اخذ الثلج في الذوبان تدريجياً حتى لم يبق له أي أثر يذكر في العاشر من نيسان سنة ١٩١١.

الكهرباء في حمص وإنارة الشوارع

كثيراً وفي شتى المناسبات كان المغتربون الحمصيون يهبون بحمية واندفاع لمساعدة بلدهم وترقيته. ومثالاً على ذلك أن المغترب السيد عبده تقلا تبرع بارسال مولدين للكهرباء لانارة المطرانية والكلية الارثوذكسية التي استقى منها لبان المعرفة والعلم وعمدت الطائفة فوراً الى مد الاسلاك الكهربائية في المطرانية والكلية والمطبعة وكاتدرائية الاربعين شهيداً.

وفي أمسية ٢٨ أيار من عام ١٩١١ سطعت انوار الكهرباء ولأول مرة في مدينة حمص وفي المؤسسات المشار اليها.

وظلت المصابيح الكهربائية تبعث النور والبهجة كل مساء في منطقة بستان الديوان في حمص حتى تاريخ دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فكان من سيئاتها الكثيرة ان استولت على المولدين المذكورين بالقوة واعادت الظلمة الى تلك المؤسسات.

وكان سكان مدينة حمص يغوصون في الوحول والحفر ليلاً نظراً لعدم وجود نور يكفي لانارة سبل المارة في الشوارع. كما كانوا يتعرضون في كثير من الاحيان لعمليات السلب والاعتداءات المتكررة.

ولما استلم السيد عمر الأتاسي رئاسة بلدية حمص عمد فوراً الى شراء مائة مصباح كبير (لوكس) وقودها من البانزين ثم وزعها على شوارع المدينة الرئيسية وفي مفارق الطرق وما أن دخل شهر ايلول سنة ١٩١٢ على مدينة حمص الاَّ وكان النور يغمر شوارعها طيلة فترة

الليل. وبهذا التدبير الحكيم خفت حوادث النهب والسلب وتيسر امر السهر والسمر في المدينة.

البطريرك حداد في حمص

في الرابع عشر من شهر شباط سنة ۱۹۱۳ وصل الى حمص في القطار غبطة البطريرك العربي غريغوريوس حداد، قادماً من طرابلس وهو في طريقه الى دمشق. وفي المحطة جرى لغبطته استقبال رسمي وشعبي. وبعد برهة راحة استقل مع مستقبليه العربات الى دار المطرانية الارثوذكسية حيث تناول طعام الغذاء على مائدة المطران اثناسيوس مع القائمقام ورئيس البلدية ورهط من وجوه المدينة.

وعلى المائدة رحب بغبطته كل من سيادة المطران والخوري عيسى اسعد والسيد عادل الجندي بكلمات ترحيبية حارة رد عليها غبطته بخطاب بياني رائع شاكراً به لمدينة حمص وأبنائها المشهورين بصدقهم ووطنيتهم وحسن تكاتفهم وعلى اختلاف مللهم ونحلهم هذا الاستقبال الجميل.

وفي اليوم التالي غادر غبطته حمص متوجهاً الى مقره البطريركي في دمشق.

تنازل الصدر الاعظم ومقتل ناظر الحربية

في ربيع سنة ۱۹۱۳ ثار الضباط من انصار طلعت وانور على حكومة السلطان فاتجهوا مع جمهرة كبيرة من انصارهم ومؤيديهم وجنودهم الى وزارة الحربية. وهنا حاول ناظم باشا ناظر الحربية صدهم بعد أن خطب فيهم منددا ومنذراً وطالباً من الضباط والجنود العودة الى ثكناتهم وعندئذٍ لم يكن من الثائرين الا أن اطلقوا عليه النار فأردوه قتيلاً؛ ثم توجهوا نحو مقر الصدارة العظمى التي ما أن وصلوا الى باحتها الخارجية حتى أعلن كامل باشا — الصدر الاعظم وهو من زعماء حزب الاحرار — تنازله عن الصدارة.

وهنا رضخ السلطان الضعيف محمد رشاد لأوامر رجال حزب تركيا الفتاة الذين استلموا دفة الحكم وتقاسموا الوزارات ثم عمدوا بشدة وقسوة الى القضاء على كل معارض لسياستهم وعينوا احمد جمال باشا حاكماً عسكرياً للعاصمة؛ واطلقوا يده في سجن ونفي واعدام كل من يشاء من خصوم الحزب السياسيين؛ وفي ذات الوقت استلم طلعت باشا

وزارة الداخلية كما استلم انور باشا وزارة الحربية. وأناط حزب تركيا الفتاة الصدارة العظمى للدولة بسعيد حليم باشا المصري الأصل الذي لم يكن في الحقيقة الاّ دمية تتحرك بأيدي زعماء ذلك الحزب.

محاولة جر المياه النقية الى حمص

منذ اعلان الدستور العثماني تنبهت خواطر الحمصيين الى أمرين هامين: اولهما جر الماء النقي من نهر العاصي الى حمص؛ والثاني انارة المدينة بالكهرباء.

اما الماء فقد تألفت لتحقيق جره نقياً الى المدينة لجنة من غرفة التجارة مؤلفة من السادة: ابو النصر شمس الدين، احمد السطلي، انطون طرابلسي، حسن الرفاعي، باسيل سركيس، رفيق الحسن الاتاسي، سليم خشن، عبد الحميد عوف، عطا الله عطا الله ومحمد الدالاتي. وتقدم المذكورون بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩١٣ باستدعاء الى الحكومة المحلية يعلنون فيها عن رغبتهم في تحقيق جر المياه النقية الى حمص. وقد وافق القائمقام فؤاد خورشيد على ذلك وطلب منهم دراسة المشروع دراسة عملية وفنية، حتى اذا صحت عزيمتهم، رفع الالتماس الى المراجع العليا لإبراز المشروع الى حيز الوجود.

وفي ١٠ نيسان سنة ١٩١٤ حضر المهندس ادمون شيل وتفقد بنفسه شلال بحيرة قطينة ثم جسري الميماس والجديدة لاختيار الأفضل منها لجر المياه. كما شاهد القلعة وتفقدها ليرى اذا كانت تناسب لتكون خزاناً رئيسياً للماء.

وفي ١ أيار سنة ١٩١٤ سافر الى بيروت وفد من أعضاء الجمعية لمفاوضة شركة جكسون الانكليزية لعمل خرائط هذا المشروع وتقدير نفقاته؛ وتم الاتفاق مع هذه الشركة على أن يجهز مهندس الشركة السيد شيل اربع خرائط؛ اثنتين لجر الماء من الجديدة الى القلعة واثنتين لجره من بحيرة قطينة الى القلعة؛ ليرسل من كل منهما واحدة الى نظارة النافعة في الاستانة وحفظ الثانيتين بيد اللجنة؛ وأن يقدم خريطتين ايضاً لمد الكهرباء من شلال بحيرة قطينة الى المدينة وما يلزم المشروع من النفقات على أن يتقاضى المهندس المذكور على عمله اربعة آلاف فرنك. ودون الاتفاق بين الطرفين في صك منظم رسمي.

غير أن ذلك المشروع الحيوي لم يتحقق؛ لأن الحرب العالمية الأولى غمرت البلاد

بويلاتها ونكباتها ففشل المشروع واعيدت الاموال المجموعة الى أصحابها بعد أن حسم منها النفقات التي دفعت سابقاً.

العرب وتركيا خلال الحرب العالمية الأولى

الوطنية الكامنة في صدور ابناء الضاد ؛ والمنبعثة من اعماقهم ظلت حية طوال القرون الطويلة التي اناخ الاستعمار البغيض فيئه في ارجاء بلادهم ؛ ولقد ظن البعض أن الكوارث والنكبات المتواصلة التي أصابت الأمة العربية في تاريخها الطويل ستجعل قضية اذابتها في البوتقة العثمانية امراً قريب المنال.

ومع ذلك فان العرب ظلوا قوة متماسكة متلاحمة يعتزون بقوميتهم وبتاريخهم المجيد ويسعون جاهدين لتحقيق هدفهم الرئيسي الأكبر وهو «الاستقلال ثم الوحدة العربية».

ولم تكن رابطة الدم واللغة وحدها هي التي تربط بوشائجها المتينة بين العرب في مختلف ارجاء الوطن العربي. بل كان هنالك العامل الجغرافي والتاريخ المشترك لنضالات الأقاليم العربية وشعوبها وتحملهم النفي والتشريد، بالاضافة الى مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية المشتركة.

لهذه الأسباب مجتمعة اتفقت كلمة العرب على الرغبة في التحرر من نير المستعمرين. وكان من الطبيعي أن يتشبث ابناء الأمة العربية بقوميتهم منصرفين عن العنصرية التي كان المستعمرون الاجانب يثيرونها بين آونة وأخرى للقضاء على القومية العربية أولاً وتحقيق اطماعهم في سلب خيرات البلاد ثانياً.

والحقبة الاخيرة من تاريخنا هذا حفلت بالكثير من الانتفاضات على الحكم العثماني وانتهت اخيراً بالثورة العربية الكبرى تحت لواء الحسين شريف مكة ؛ التي حررت العرب من الاستعمار التركي ولكنها أوقعتهم بين براثن المستعمرين الفرنسيين والانكليز.

أما تلك الانتفاضات فقد جاءت نتيجة حتمية لآراء اركان النهضة العربية الادباء والسياسيين امثال الكواكبي والبستاني ومحمد عبده واليازجي الذين اسهموا الى حد بعيد في اسقاط العهد الحميدي الاستبدادي كما نادوا بتوحيد الأمة العربية وطالبوا باقامة العدالة والاصلاح الشامل في الوطن العربي. وهكذا اخذت فكرة تأسيس الجمعيات العربية تشق طريقها الى عالم النور. ومن هذه الجمعيات ماكان علنياً «كجمعية المنتدى العربي» وحزب

«اللامركزية العربي» الذي تأسس في القاهرة سنة ١٩١٢ وكان من اعضائه رشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي؛ وجمعية «البصرة الاصلاحية».

ومنها ما كان سرياً، وأشهرها «الجمعية القحطانية» التي امتازت ببرنامجها الجريء المطالب باستقلال البلاد العربية مع المحافظة على ولائها للتاج العثماني. وغالبية اعضاء هذه الجمعية اعدمهم السفاح التركي احمد جمال باشا ومنهم الشهداء الحمصيون: عبد الحميد الزهراوي ورفيق رزق سلوم والدكتور عزة الجندي. ثم جمعية «العربية الفتاة» التي تأسست في باريس سنة ١٩١١ ومن اهدافها المطالبة بالاستقلال التام للبلاد العربية ووحدة اجزائها ومن المنتسبين اليها شكري القوتلي، فارس الخوري والأمير فيصل بن الحسين. وجمعية «الجامعة العربية» التي انشأها رشيد رضا في القاهرة سنة ١٩٠٩ ومن اعضائها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ورفيق العظم. و«الجمعية الثورية القحطانية»، التي أسسها في مصر حقي العظم سنة ١٩١٣ وكانت ترى ضرورة الثورة على الاتراك لنيل الاستقلال لأن الحرية لا تمنح الا بقوة السلاح ومن برامجها قيام دولة عربية متحدة مستقلة عن العثمانيين وسواهم واعادة مجد العرب في عصورهم الذهبية ومن اعضائها الحمصيين عمر الاتاسي والخوري عيسى اسعد.

تلك كانت الاهداف التي سعى زعماء العرب ومفكروهم آنئذٍ لتحقيقها بعد أن تبين لهم بوضوح أن الاتحاديين شأنهم شأن بقية الحكام العثمانيين اذ انهم بمجرد أن استلموا دفة الحكم حتى قلبوا للشعب العربي ظهر المجن، وأخذوا في التنكيل بزعمائهم وغايتهم الرئيسية اذابة الفكر العربي عن طريق قتل المفكرين العرب وعندئذٍ يصبح باستطاعتهم صهر القومية العربية في البوتقة التركية.

بهذا الوضع المتفسخ للامبراطورية العثمانية، دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا والنمسا في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤؛ اذ اعلن السلطان محمد رشاد بصفته خليفة المسلمين الجهاد العام.

وكان احمد جمال باشا وزير البحرية وقائد الفيلق الرابع قد توجه من محطة حيدر باشا في الاستانة قاصداً سورية خلال الشهر المذكور اعلاه، كما كان الوزراء وكبار الشخصيات في وداعه وقتئذٍ، حيث وقف فيهم خطيباً معلناً على رؤوس الأشهاد، أنه لن يعود الى العاصمة قبل أن يفتتح بحد سيفه الديار المصرية ويطرد الانكليز منها.

لما وصل جمال باشا الى سورية ارتأى أن السياسة تقضي عليه بايجاد المحبة في قلوب الأهلين والتعلق بالعرش العثماني لذلك اوعز الى حكام المناطق السورية لايفاد بعض العلماء من رجال الدين والشخصيات البارزة بصفة وفد يمثل مناطقهم الى العاصمة العثمانية لمشاهدتها والتمتع بمناظرها الجميلة وزيارة جناق قلعة الحصينة : حتى اذا عادوا الى مدنهم تحدثوا عن عظمة الدولة العثمانية وقوتها.

وكان على رأس حكومة حمص آنئذٍ القائمقام امين التميمي ، الذي ما أن استلم أمر جمال باشا حتى استدعى رهطاً من اعيان المسلمين الى مجلس الادارة حيث ابلغهم اقتراح قائد الجيش الرابع بشأن زيارة الأستانة.

وخشي المجتمعون أن يكون في الأمر خدعة يراد من ورائها اعتقال كبار الشخصيات العربية في الأستانة حتى نهاية الحرب أو التنكيل بهم ، فأخذ كل واحد منهم يظهر اعتذاره من عدم تلبية هذا الطلب لأسباب مشروعة. اما القائمقام فقد صرف الموجودين ثم كتب الى احمد جمال رسالة يرشح فيها ثلاثة أشخاص ممن يقيمون في حمص لتلك الرحلة وهم : توفيق عبد اللطيف الاتاسي وجمال الدين الجمالي وعبد الرحمن سلام. بما أن الأخير بيروتي الأصل والثاني هو امام وخطيب المسجد النوري الكبير فقد ارتأى جمال باشا الاكتفاء بتوفيق الأتاسي لأنه من سلالة أكبر الأسر الحمصية أولاً ولأنه ابن وحفيد مفتي حمص ثانياً.

ولم يجد الأتاسي بداً من الاذعان لطلب جمال باشا فسافر مع موفدي المدن السورية الاخرى الى استانة في ٢٩ ايلول ١٩١٥ وعادوا الى مدنهم في ٢٧ تشرين الثاني من السنة ذاتها.

وكانت غاية جمال باشا من ارساله هذا الوفد تحقيق الاهداف التالية :

١ — عرض اخلاص السوريين لسدة الخلافة الاسلامية الكبرى.

٢ — مشاهدة عظمة الدولة العلية واستعداداتها الحربية الهائلة لارهاب السوريين حين يعود اعضاء الوفد ويتحدثون عما شاهدوه.

٣ — بث عواطف أهالي البلاد وتشجيعهم لأبنائهم المجندين الذين يعملون تحت لواء العلم العثماني.

الشهيدان الزهراوي وسلوم

في ذات الوقت الذي كان جمال باشا يتظاهر فيه بالحدب على السوريين والعطف على مطالبهم، امتدت يده الملطخة بالدماء الى زعماء العرب الأحرار ومفكريها وقادتها. اذ أنه في اواسط شهر آب من سنة ١٩١٥ التي القبض على عدد منهم كان في طليعتهم مواطننا الحمصي العالم الشيخ عبد الحميد الزهراوي. وبتاريخ ٢٧ أيلول من السنة ذاتها التي القبض أيضاً على مواطننا الضابط والمحامي رفيق رزق سلوم وتمت احالتهما مع رفاقهما الاحرار الى الديوان العرفي الذي شكله في بلدة عاليه.

وتعرض الاثنان اثناء اعتقالها لكافة انواع التعذيب ولا سيما الاخير منهما. وبعد محاكمة صورية حكم عليهما بالاعدام شنقاً حتى الموت بتهمة خيانة الدولة العلية. ثم نفذ الحكم بهما مع عدد من اخوانهما الأبطال في ساحة المرجة بدمشق في ٦ أيار سنة ١٩١٦ وهذا اليوم هو الذي جعله الشعب العربي في سورية ولبنان يوماً رسمياً للشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل استقلال بلادهم جاعلاً من تاريخ ٦ أيار من كل عام ذكرى خالدة وامثولة رائعة لكل أمة تمجد ابطالها وتتطلع لنيل حريتها واستقلالها.

ولم يكتف السفاح احمد جمال بتعليق احرار العرب على أعواد المشانق بل عمد الى اعتقال اعداد كبيرة من الشخصيات الوطنية البارزة وأوعز الى القائمقام التركي في حمص رشيد بك بأن يعتقل زعماءها الوطنيين فتسنى لبعضهم الفرار والاختفاء كالخوري عيسى أسعد وسواه واعتقل البعض الآخر وفي طليعتهم رئيس البلدية عمر الأتاسي الذي سجن في لبنان خمسة أشهر وابقي هناك بعدئذٍ تحت الاقامة الجبرية الى أن تمكن من الفرار ملتحقاً بالقوات العربية الثائرة في الحجاز. ونفي الى الأناضول من الاسرة الأتاسية السادة: عبد الجواد وصبري واحسان ونبيه ورضا وشكيب وسيف الدين؛ وشكري الجندي وشاكر ومحمود الزهراوي والدكتور أمين قزما وسواهم. وجل هؤلاء التي القبض عليهم في مطلع عام ١٩١٧ وظلوا في منفاهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

مساوىء الاتراك في حمص خلال الحرب

السيئات التي ارتكبها المستعمر التركي بحق الشعب العربي في سورية أكثر من أن تحصى ولذلك فاننا نكتفي بسرد بعض ما ارتكبه منها في مدينتنا حمص:

١ ـــ اوقف الاتراك التعليم في مدارس الاتحاد الوطني والكلية الارثوذكسة والكلية الوطنية الانجيلية ، وجعلوا من ابنية هذه المؤسسات العلمية مراكز لجنودهم.

٢ ـــ استولى الجيش التركي على المستشفيات وبنوع خاص على مستشفى جمعية نور العفاف النسائية في محلة الحميدية المختص بمعاينة علاج فقراء المدينة. ولم يتخلوا عنها الا في نهاية الحرب واثر مغادرتهم البلاد نهائياً مخلفين وراءهم في جميع ابنية المؤسسات العلمية والصحية الخراب والدمار والاقذار.

٣ ـــ المجاعة التي خيمت في سماء البلاد السورية واللبنانية وقضت على الألوف من السكان الفقراء الذين كانوا يتمنون لو قيض لهم أكل لحوم الكلاب والهررة ولطالما سمعنا ما كان يرويه لنا شيوخنا من معاصري تلك الفترة : انهم كانوا يسمعون الصراخ في حمص يتعالى في الليالي بكلمات رتيبة مؤثرة محزنة : «جوعان يا ناس». ولقد ساوت المصيبة بين الغني والفقير وامتدت الأيدي المحسنة لذوي الأخلاق الحميدة تتقاسم الرغيف مع الأيدي الفقيرة الممزوجة بالدم ؛ حتى عمَّ اليأس والقنوط جميع سكان المدينة. ولكن شاءت العدالة الإلهية أن تجلي دياجير الظلمة من فوق الرؤوس فتندحر جحافل الأتراك امام الجيش العربي المندفع من الجنوب والذي وصلت بعض كتائبه الى مدينة حمص يقودها ابن حمص المرحوم عمر الأتاسي فيدخلها معتمراً الكوفية والعقال «الشعار العربي» بتاريخ ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٨.

الحكومة العربية المحلية المؤقتة في حمص

ما أن دخل السيد عمر الأتاسي مدينة حمص على رأس القوة العربية حتى استقبله الأهلون بالزهور والورود والرياحين ؛ وأقيمت المهرجانات الشعبية وكان الجميع يهتفون بحياة العرب والاستقلال والوحدة. وبعد أن دخل الى دار الحكومة واستقبل عدداً من رجالات المدينة الاحرار خرج الى شرفة السراي واعلن بصوت جهوري للجمهور المحتشد في الساحات العامة : ان البلاد العربية أصبحت الآن مستقلة ؛ وقد تم طرد الاتراك من مدينة حمص وهم في طريق هزيمتهم الكاملة والتخلي عن بقية المناطق السورية الشمالية قريباً جداً. وبعدئذٍ أذاع على الملأ أنه شكل حكومة عربية مؤقتة في حمص لرعاية شؤون المواطنين وحفظ الأمن وهي مؤلفة من السادة رُفيق الحسن الأتاسي ، الخوري عيسى اسعد ، صبري الدروبي ، انطون طرابلسي ، شكري الجندي وصالح الجندلي.

ثم دعا السيد الأتاسي الأهلين الى التكاتف والتضامن و العمل على اقرار الأمن في المدينة وضواحيها ومساعدة الحكومة المؤقتة المحلية لتقوم بواجبها في خدمة الجمهور الحمصي على الوجه الأكمل.

واستجاب الناس بسرور بالغ لنداء رئيس الحكومة المحلية الجديد، وساد الأمن والنظام سائر احياء المدينة لدرجة أنه لم يسمع طيلة شهر كامل عن حدوث أية جريمة أو سرقة أو اعتداء.

الأمير فيصل في حمص


جلالة المغفور له الملك فيصل الأول

دخل الامير فيصل بن الشريف حسين مدينة دمشق في ٢ تشرين الأول سنة ١٩١٨على رأس قوات الجيش العربي. ثم رفع العلم العربي على سارية دار الحكومة بعداحتجابه عن سماء دمشق قروناً عدة.

وفي الخامس من تشرين الأول اذاع فيصل بلاغه الأول المتضمن أن البلاد ستكون من الآن فصاعداً تحت اوامر السلطة العسكرية العربية ريثما يتم تنظيم وتشكيل الحكومة المدنية.

وبتاريخ ٢٧ تشرين الأول توجه الأمير فيصل الى مدينة حمص بسيارة خاصة فوصل اليها حوالي ظهر ذلك اليوم حيث جرى له استقبال منقطع النظير امام دار الحكومة وأنشد امامه الطلاب الأناشيد الوطنية. وفي الباحة رحب بسمو واعضاء الحكومة المحلية ورئيسهم عمر الأتاسي والقى باسمهم الخوري عيسى اسعد خطاباً ترحيبياً وطنياً رائعاً؛ كما القى أيضاً السيد تيسير ظبيان باسم شباب المدينة كلمة ترحيبية أيضاً؛ ورد الأمير فيصل على الخطيبين شاكراً لأبناء مدينة البطل العربي خالد بن الوليد صدق وطنيتهم وحسن ترحيبهم به ونوه بتضحياتهم الجسام في سبيل نيل الاستقلال وطالباً منهم مساعدة الحكومة العربية لإجلاء المستعمرين الاتراك عما تبقى بأيديهم من مناطق عربية.

ومكث الأمير فيصل في المدينة مدة يومين استقبل أثناءها الوفود الغفيرة التي زحفت من المدينة وضواحيها للترحيب به ؛ ثم سافر إلى مدينة حماه ومنها الى مدينة حلب في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ حيث مكث فيها بضعة أيام عاد بعدها الى مدينة دمشق.

أهم الاحداث السورية في هذه الفترة :

— في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ احتلت قوة بحرية فرنسية مدينة بيروت.

— في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ احتلت قوة بحرية فرنسية مدينة اللاذقية.

— في ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٨ احتلت القوة البحرية الفرنسية ذاتها مدينة الاسكندرية

— في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨ غادر الأمير فيصل سوريا الى اوروبا لحضور مؤتمر فرسايل نيابة عن أبيه الشريف حسين.

— في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٨ ، وصل فيصل الى مرسيليا ثم توجه الى مدينة ليون ومنها الى ستراسبورد حيث تعرف بالجنرال غورو الذي قلده وسام جوقة الشرف في ٥ كانون الأول سنة ١٩١٨.

— في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ غادر فيصل مدينة ليون بقطار خاص.

— في ٣ كانون الأول ١٩١٨ اختلى الأمير فيصل بالكولونيل بركيون طالباً منه مصارحته عما يجري وراء الستار حتى لا يضيع وقته عبثاً في فرنسا ، فوعده هذا بمخابرة وزارة الخارجية الفرنسية لتحقيق امنيته.

— في ٤ كانون الأول ١٩١٨ وردت برقية تعلن ان الرئيس الفرنسي بوانكاريه سيقابل الامير يوم السبت في ٧ منه.

— في ٦ كانون الأول ١٩١٨ زار الامير فيصل حصون فردان.

— في ٧ كانون الأول ١٩١٨ وصل فيصل الى مدينة باريس. وفي الساعة الخامسة مساءً قابل رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكاريه.

— في ٩ كانون الأول ١٩١٨ اقيمت على شرف الامير مأدبة غذاء في وزارة الخارجية الفرنسية وفي المساء غادر فيصل باريس متوجهاً الى انكلترا يرافقه الكولونيل لورانس.

— في ٦ كانون الثاني ١٩١٩ عاد فيصل الى باريس للاشتراك في مؤتمر السلم ؛ ورفض كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسي قبوله ؛ لكن اللورد كرزون وزير الخارجية البريطاني تدخل في الموضوع وأوجب اشتراكه في المؤتمر.

— في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ حضر فيصل حفلة افتتاح مؤتمر الصلح.

— في ٦ شباط ١٩١٩ تكلم فيصل في المؤتمر ودافع عن قضية العرب وطالب بايجاد حكومة عربية موحدة لبلاد مستقلة على أن تستعين بمستشارين اجانب وتستخدمهم وقت الحاجة.

— في ٣٠ نيسان ١٩١٩ عاد فيصل من اوروبا بعد أن قرر المؤتمر تعيين لجنة كراين لاستفتاء الأهلين فيمن يريدون انتدابه عليهم لإرشادهم انكرترا أو فرنسا.

— في ١٠ حزيران ١٩١٩ وصلت لجنة كراين الى يافا ثم تجولت في ارجاء فلسطين وسورية، ولبنان مستطلعة ومستفتية طيلة شهرين. وقد ابدت هذه المناطق بغالبية سكانها الرغبة التامة في طلب الاستقلال والوحدة العربية الشاملة.

— في ١٠ ايلول ١٩١٩ تلقى الأمير فيصل برقية من رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج يستقدمه فيها الى لندن ومحدداً له يوم وصوله في ١٦ منه.

— في ١٣ أيلول ١٩١٩ وصل فيصل الى الاسكندرية وابحر منها مساء اليوم نفسه الى مرسيليا.

— في ١٥ ايلول ١٩١٩ توقفت السفينة فجأة قرب مالطة بحجة نفاذ الوقود وحاجة السفينة الى بعض الاصلاحات الضرورية.

— في ١٧ ايلول ١٩١٩ أبحرت السفينة الى مرسيليا فبلغتها في ١٨ منه وفي اليوم نفسه سافر فيصل الى باريس.

— في ١٩ أيلول ١٩١٩ وقع الاتفاق بين فرنسا وانكلترا على اقتسام الغنائم، اذ تنازلت انكلترا لفرنسا عن كيليكيا وسورية وتنازلت الاخيرة للأولى عن الموصل والعراق وشرقي الاردن وفلسطين. واستناداً الى التصريح الفرنسي الانكليزي فقد تم الاتفاق على ذلك بين فيصل وكليمنصو.

— في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٢٠ عاد فيصل الى دمشق وعرض الاتفاق المذكور على زعماء الحركة الوطنية فرفضوه بالاجماع.

— في ٧ آذار ١٩٢٠ تقرر ملكية فيصل بن الحسين على سورية المستقلة.

— في ٨ آذار ١٩٢٠ احتفل باعلان الملكية الدستورية في البلاد السورية وانتخاب الامير فيصل ملكاً دستورياً على سورية باسم فيصل الأول.

حمص والاستعمار الفرنسي

كانت حمص طليعة المدن السورية التي رفضت قبول الانتداب الفرنسي على سورية اذ أنه لما قرر مؤتمر الصلح في ١٩ أيلول ١٩١٩ منح فرنسا سلطة الانتداب على سورية ولبنان، أرسلت فرنسا جيوشها وبعض سياسييها الى لبنان؛ كما ظلت سورية محتفظة بحكومتها الوطنية العربية بالرغم مما تقرر ونشر. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن؛ ومن أين للعين أن تقاوم المخرز وقتئذٍ.

وفي ما يلي نبذة موجزة لتاريخ نضال مدينة حمص ضد المنتدبين الفرنسيين:

— في ١٣ كانون الأول ١٩١٩ هاجمت قوة من الحمصيين بلدة تلكلخ حيث كانت ترابط فيها قطعة من الجيش الفرنسي؛ وكان هدف هذا الهجوم ابلاغ العالم أن حمص تأبى قبول الانتداب الفرنسي عليها.

— في ١٢ آذار ١٩٢٠ نفذت حمص قرار المتصرفية ومنعت تصدير الحبوب الى المناطق التي يحتلها الفرنسيون.

— في ١٨ أيار ١٩٢٠ وافقت مدينة حمص باجماع آراء زعمائها ومن مختلف الطوائف على مقررات العاصمة برفض تام للانتداب الفرنسي على سورية.

— في ١٢ تموز ١٩٢٠ اصدر متصرف حمص حسني البرازي قراراً بتجنيد عشرين نمرة من مواليد سنة (١٢٩٧ — ١٣١٦ هـ، ١٨٧٩ — ١٨٩٩ م).

— في ١٣ تموز سنة ١٩٢٠ أصدر المتصرف قراراً بالغاء قراره السابق والاكتفاء بتجنيد ٧ نمر من ابناء المدينة من مواليد سنة (١٣١٠ — ١٣١٦ هـ، ١٨٩٢ — ١٨٩٩ م).

— في ١٤ تموز ١٩٢٠ انذر الجنرال باسم فرنسا الملك فيصل بضرورة تنفيذ مقررات مؤتمر فرسايل وقبول الانتداب الفرنسي على سورية مما دفع بالحمصيين الى المطالبة برفض هذا الانذار والدعوة الى الجهاد ضد المستعمرين الجدد.

— في ١٦ تموز ١٩٢٠ أصدرت قيادة الجيش العربي في حمص قراراً تستدعي فيه كل نمر المجندين. وفي اليوم نفسه وصلت برقية من وزارة الداخلية تتضمن نقل حسني البرازي متصرف حمص من متصرفية البلغاء وتعيين عمر الأتاسي متصرفاً على مدينة حمص بالوكالة.

— في ١٧ تموز ١٩٢٠ وصلت وفود الانصار من عرب الرولا وبني خالد والعمارات ومن الإسماعيليين والعلويين والدنادشة. وبلغ الحماس والغضب أشده بالأهلين حينما بلغهم أن حكومة فيصل لانت للمستعمرين، فثاروا الوفاً مؤلفة يطالبون باعلان الحرب على فرنسا. ولم يستطع وكيل المتصرف تهدئة الخواطر الا حينما اوضح للمتظاهرين ان الحكومة العربية في دمشق سائرة في هذا السبيل.

— في ١٨ تموز ١٩٢٠ امر اللواء يحي حياتي مفتش اركان حرب الجيش العربي؛ الزعيم زكي العظمة قائد منطقة حمص بالزحف لمحاربة الفرنسيين.

— في ٢١ تموز ١٩٢٠ وصل الجيش العربي الزاحف من حمص الى قرية خربة التين؛ وفي ٢٢ منه قصد بلدة كوزلاخر.

— في ٢٣ تموز ١٩٢٠ وصلت طلائع المحاربين الحمصيين الى جهات تلكلخ، واشتبكت في معركة حامية مع الفرنسيين استمرت ست ساعات، كان القتال فيها سجالاً لأول وهلة؛ ولكن مجيء نجدة للفرنسيين مؤلفة من طابور كامل للمشاة وثمانية رشاشات ومدفع جبلي ضخم اجبر الحملة العربية على التقهقر بعد أن استشهد من افرادها/ ١٠٠ / شهيد في عدادهم الضابط الحمصي الدكتور شكري الترجمان والسيد محمد بن الحاج سليم السباعي وغيرهما، كما سقط من الفرنسيين عدد من القتلى يقارب ذلك العدد.

— بهذه المؤثرات وبسواها احتدم الجنرال غورو غيظاً وأمر الجيش الفرنسي المزود باحدث انواع الأسلحة بالزحف على العاصمة السورية، واصطدمت القوة الفرنسية الزاحفة بالقوات العربية السورية المتمركزة في مضائق وادي التكية وخان ميسلون. واستمر القتال ٨ ساعات لم يستطع اثناءها الفرنسيون من زحزحة السوريين عن مواقعهم؛ واذ

تعذر على المدفعية الفرنسية اصابة اهدافها ؛ استغاث قائدها الفرنسي بالطائرات والدبابات التي سددت عجز المدفعية وامطرت المجاهدين الأبطال القلائل بالقذائف الهائلة والمتفجرات. عندئذٍ اضطر المجاهدون بعد ثباتهم في مواقعهم عشر ساعات كاملة الى التقهقر بعد أن استشهد قائدهم البطل يوسف العظمة وزير حربية سورية آنئذٍ. وقد حدثت تلك المعركة بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٠. وفي اليوم التالي دخل الجيش الفرنسي المحتل مدينة دمشق.

— على أثر المفاوضات بين القيادة الفرنسية والحكومة العربية خلال الأيام الثلاثة التي تلت معركة ميسلون، دخل الجيش الفرنسي مدينة حمص في الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء المصادف ٢٨ تموز ١٩٢٠ يتقدمه الكولونيل مانسيه شاهراً سيفه ؛ ولما بلغ هذا دار الحكومة أغمد سيفه ؛ ثم ترجل عن جواده ودخل الدار حيث كان في انتظاره بعض الناس فخطب في الموجودين خطبة مسهبة جاء في ختامها قوله : «ان يد فرنسا مبسوطة نحو اصدقائها ولكنها مقبوضة وشديدة نحو اعدائها».

— يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٢٠، عاد الملك فيصل الى دمشق لاجراء المفاوضات مع قادة الجيش الفرنسي ولكن اولئك امروه بوجوب مغادرة العاصمة فوراً ؛ وبعد مهلة قصيرة برح فيصل دمشق (وكان في وداعه عدد جد ضئيل من الوطنيين في طليعتهم البطريرك الارثوذكسي غريغوريوس حداد) متوجهاً الى درعا ولكنه اجبر هنالك على مغادرتها فبرحها الى حيفا ومنها انتقل الى اوروبا.

ومن ذلك التاريخ لم تهدأ الأحوال ولا الأحداث السياسية في سورية، لأن الثورات الوطنية في سورية تنشب الواحدة تلو الأخرى ضد المستعمرين الفرنسيين. فمن ثورة الشيخ صالح العلي في منطقة العلويين الى ثورة الزعيم ابرهيم هنانو في جبل الزاوية الى الثورة السورية الكبرى التي عمت جميع انحاء البلاد الى الاضرابات والاضطرابات المتواصلة والتي كانت باجمعها تهدف الى الاستقلال واجلاء المستعمرين عن الوطن العربي السوري.

ولو عمدنا الى تفصيل وقائع واحداث تلك الثورات والاضطرابات في كتابنا هذا لاحتاج الأمر الى مجلدات عدة. ولذلك آثرنا الاكتفاء بذكر الثورات التي لها علاقة مباشرة بتاريخ مدينة حمص وضواحيها بشكل يعطي المطالع صورة واضحة ومفيدة ولكنها موجزة...

ثورة الشيخ صالح العلي

اشتعلت الثورة العلوية في الثلث الأخير من عام ١٩١١ اثر اجتماع طارىء عقد في منزل آل المحمود في قلعة الخوابي. واستمرت تلك الثورة مدة سنتين كما شملت وعمت سلسلة جبال العلويين بأكملها تقريباً.

وكانت أولى بوادر الاستعداد لهذه الثورة؛ المؤتمر الذي عقد في منطقة الشيخ بدر معقل الزعيم الشيخ صالح العلي وحضره معظم الزعماء والاعيان العلويين حيث عاهدوا الله والوطن على العمل تحت لواء الزعيم الشيخ صالح حتى تنال البلاد استقلالها.

وأوجست السلطة الفرنسية المحتلة لتلك المنطقة وقتئذٍ، شراً يصيبها نتيجة لمقررات المؤتمر فعمدت الى اعتقال بعض الزعماء ومنهم عميد آل المحمود أحمد بك مما جعل شرارة الثورة تندلع لتبدأ المعارك الدامية.

وانطلق مصطفى آغا المحمود الذي كان لا يزال طليقاً مع بعض أفراد اسرته الى دمشق حيث اجتمع بالأمير فيصل ثم عاد الى مدينة حمص فاتخذها مقراً له ومركزاً، يوزع منها الاحتجاجات المختلفة ويوجهها الى المقامات العليا وقيادة الجيش المتحالف التي كانت جميعها تحت أمرة الجنرال البريطاني اللنبي.

وفعل مثل مصطفى ابن أخيه محمود بك الذي ما أن اعتقل الفرنسيون اخاه عبد القادر (عضو المؤتمر السوري) بعد والده احمد بك حتى قصد بيروت داعماً احتجاجات عمه بواسطة الجنرال فاين البريطاني.

ودرس الجنرال اللنبي اسباب الثورة — وكانت المقاومة قد بلغت اشدها حينئذٍ — فأوفد الى حمص بهيج بك الجوهري الصيداوي مع والي طرابلس نصوح بك الجوهري للتحقيق في دوافع تلك الثورة ومراميها.

وقابل الموفدان مصطفى ومحمود المحمود وتحدثا اليهما مطولاً؛ ثم عادا يحملان الأنباء المفصلة الى الجنرال اللنبي الذي أرسل الى الزعيم العلوي الشيخ صالح يطلب منه ايقاف المعارك والحضور لمقابلته وابلغه انه أصدر امره الى الجيش الفرنسي بالتوقف عن كل عمل عسكري. ووصل الموفدان بهيج ونصوح الجوهري الى مقر الشيخ صالح في الشيخ بدر بدلاً من طرطوس وابلغاه نص الرسالة.

وكان الشيخ صالح قد أرسل رسالة الى السيد رضا الركابي (وكان آنئذٍ رئيساً

للحكومة السورية) يقترح عليه فيها ايفاد مندوب عربي للاشتراك معه في المفاوضة ولكن هذا الاقتراح لم يعمل به لسبب ما برح مجهولاً حتى الآن.

وبعد مدة رابطت كتيبة من الجند البريطاني في الجبل مقابل المعسكر الفرنسي وتألفت لجنتان للمفاوضة: انكليزية برئاسة الكولونيل شمرست، وفرنسية برئاسة الكولونيل نيجر. وتم الاجتماع مع موفدي الشيخ صالح في منزل آل المحمود في قلعة الخوابي.

وكان الفرنسيون قد استقدموا احمد وعبد القادر المحمود ورفاقهما المعتقلين من سجن اللاذقية وضموا اليهم السيد امين ارسلان ووضعوهم في المعسكر الفرنسي هادفين من جراء ذلك الى اضعاف شوكة المقاومة اثناء المفاوضة والتأثير على معنويات الثائرين.

أما الشيخ صالح العلي، فكان قد احتاط للأمر قبل الاجتماع، فبعث فرق الثوار المجاهدين في المرتفعات المشرفة على مكان المجتمعين تحسباً من خيانة الفرنسيين وغدرهم. ولكن المؤتمر وقتئذٍ أسفر عن عقد هدنة بين الجانبين المتحاربين واطلق سراح المعتقلين؛ حيث خيم الهدوء على تلك المنطقة فترة وجيزة من الزمن.

ولكن ما أن عادت السلطة الفرنسية الى أعمالها العدوانية وتعدياتها التي اتبعتها باعتقال بعض آل المحمود في أوائل شهر كانون الثاني من عام ١٩٢٠ ونفت زعماءهم الى «نوفيل كاليدونيا» — احدى الجزر الماليزية — حتى جدد الشيخ صالح الثورة بصورة أشد واعظم يؤازره فيها أحمد بك المحمود الشيخ الجليل الكبير السن.

واستمرت هذه الثورة الجبارة في اشتعالها الى ما بعد سقوط دمشق بيد الفرنسيين بأربعة اشهر.

وعمد الشيخ صالح العلي الى التواري عن الانظار مدة جرت خلالها بينه وبين الفرنسيين مفاوضة لاستسلامه. وقد تم ذلك يوم الجمعة الواقع في ٢ حزيران سنة ١٩٢٢ في تمام الساعة السابعة مساءً في منزل الجنرال بيلوت في اللاذقية؛ وعلى اثر ذلك عاد الشيخ صالح العلي الى مقره في قرية الشيخ بدر بعد أن نال موافقة الجنرال المذكور على اقامته في مهبط رأسه (خطط الشام لمحمد كرد على ٣ ص ١٧٥).

الثورة السورية الكبرى

من ٣ تموز ١٩٢٥ لغاية ايار ١٩٢٩

فرضت الدولة الفرنسية المنتدبة على سورية حكماً عسكرياً. وتمتع المفوضون السامون الفرنسيون العسكريون الأوائل بسلطات واسعة، فقسموا البلاد السورية الى اربع دويلات هي: دولة دمشق، حلب، جبل العلويين وجبل الدروز. كما وضعوا للواء الاسكندرونة نظاماً خاصاً. وعمد الفرنسيون الى كبت الحريات عن طريق فرض الاحكام العرفية بين آن وآخر؛ وصبغوا التعليم بالصبغة الفرنسية وكموا أفواه الصحف الوطنية ووضعوا الزعماء الوطنيين تحت رقابة الأمن العام. واذا أضفنا الى ما سبق ذكره، ما رافق حالة البلاد الاقتصادية من تدهور بسبب سعي الموظفين الفرنسيين الذين انتشروا في كافة مصالح الدولة لعقد صفقات تجارية مع تجار فرنسيين يتقاسمون معهم ثروات البلاد حاصرين بانفسهم فقط حق التجارة الخارجية؛ عرف مدى ما أصاب الشعب العربي في سورية من ويلات؛ الأمر الذي دفع به من جديد للنضال والاستماتة في سبيل نيل حريته واستقلال وطنه. وبهذه العوامل مجتمعة اندلعت نيران الثورات المتعاقبة التي كان اعظمها واشدها ضراوة وأثراً — الثورة السورية الكبرى.

بدأت هذه الثورة في جبل الدروز — جبل العرب — في تموز عام ١٩٢٥ وامتدت صعوداً الى الشمال فبلغت دمشق وحمص وحماه وجبل الزاوية كما وصلت الى حدود لبنان غرباً.

وكان هدف الثورة الرئيسي هو توحيد مناطق البلاد السورية وتحريرها من الحكم الفرنسي واعلان استقلالها. وتضمن النداء الذي اذاعه القائد العام للثورة السورية سلطان باشا الاطرش المطالب التالية:

١ — وحدة البلاد السورية ، ساحلها وداخلها ، والاعتراف بها كدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالاً تاماً .

٢ — تشكيل حكومة وطنية شعبية تجمع مجلساً تأسيسياً يضع دستوراً للبلاد يقرر سيادة الأمة ، سيادة مطلقة على اراضيها .

٣ — سحب القوى المحتلة من البلاد السورية ، وتأليف جيش وطني لصيانة الأمن والدفاع عن البلاد .

٤ — تأييد مبدأ الثورة الفرنسية واعلان حقوق الانسان في الحرية والمساواة .

عندئذٍ عمد الفرنسيون الى اتخاذ اجراءات عنيفة جداً لمواجهة الثورة ، فقصفوا مدينة دمشق بالمدفعية الثقيلة مرات متعددة وكذلك فعلوا بالمدن السورية الثائرة والقوا القنابل على القرى وقطعوا الأشجار ومنعوا المياه عن البساتين حتى ذبلت موجوداتها وجفت ؛ وصادروا القرويين بالمئات في المناطق الثائرة وأطلقوا عليهم الرصاص دون تمييز .

وتمكن الفرنسيون في النتيجة من اخماد نيران تلك الثورة بعد أن ارهقتهم وكلفتهم غالياً في الاموال والرجال والسمعة .

وكانت خسارة سورية فادحة جداً في الارواح والممتلكات . ولكن الثورة المذكورة اعادت الثقة الى نفوس السوريين بضرورة متابعة النضال وبعثت فيهم روح التضامن والالفة بعدما ابدوه من اعمال بطولية خالدة أصبحت بعدئذٍ ذكرى لأيام مجيدة يتحدث بها الابناء عن مفاخر آبائهم واجدادهم .

وسرعان ما انطلقت شرارة الثورة الى سائر أنحاء القطر وقام أهالي حمص بواجبهم الوطني القومي والتحقت مجموعة من شبان المدينة بالثورة المنطلقة من منطقة القلمون حيث استشهد المناضل فؤاد رسلان بينما قامت مجموعة أخرى من الثوار بمهاجمة الحامية الفرنسية في المدينة وضواحيها وجمدت لواءً فرنسياً بكامله واستشهد كثير من أبناء المدينة المجاهدة .

فوجئت الحكومة الفرنسية باندلاع الثورات في كافة المناطق السورية فاستدعت

مفوضها السامي العسكري وعينت بدلاً عنه مفوضاً سامياً مدنياً هو هنري بونسو من كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنسية الذي أفصح لدى وصوله عن رغبته في إجراء انتخابات نيابية في سورية تحقيقاً لرغبات الأهلين. وجرت الانتخابات على دفعتين الأولى في ١٠ نيسان ١٩٢٨ حيث انتخب الشعب ممثليه القانونيين الذين انتخبوا بدورهم بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٢٨ أعضاء المجلس التأسيسي السوري.

وعن حمص وقضائها فازت القائمة الوطنية المؤلفة من السادة هاشم الأتاسي، مظهر رسلان، شكري الجندي، الشيخ عباس المنصور وأحمد الفياض.

وحينما اجتمع اعضاء المجلس التأسيسي السوري في دمشق لأول مرة في ٩ حزيران ١٩٢٨ انتخبوا لرئاسته السيد هاشم الأتاسي ولنيابة الرئاسة السيد فوزي الغزي.

وانعقدت جلسات المجلس بصورة متوالية حتى تاريخ ١٠ آب ١٩٢٨ وضعوا أثناءها اسس الدستور السوري في / ١١٥ / مادة فقط. وأضاف المفوض السامي مادة جديدة رغب في اضافتها الى صلب مواد الدستور وهي تنص على اعتراف المجلس التأسيسي بالانتداب الفرنسي وبسلطة المفوض السامي. ولكن المجلس رفض بالاجماع اضافة هذه المادة الى دستوره. عندئذٍ اصدر المفوض الفرنسي قراراً بتعليق جلسات المجلس مدة ثلاثة أشهر؛ حتى يتمكن اثناءها من تأمين العدد الكافي من النواب السوريين للتصديق على اضافة المادة المذكورة الى الدستور ومع ذلك فانه لم يستطع الوصول الى غايته ولذا فقد اصدر قراره بحل المجلس نهائياً وانصرف النواب الى مناطقهم.

وبتاريخ ١٢ أيار سنة ١٩٣٠ صدر عن المفوض السامي الفرنسي قراراً يتضمن موافقته على مواد الدستور السوري المذكور مضيفاً اليه المادة/ ١١٦ / التي سبق للمجلس السوري أن رفضها بصورة قاطعة.

المجلس الاستشاري السوري:

في ٢٠ أيار ١٩٣٠ أصدر المفوض الفرنسي السيد بونسو قراراً يعلن فيه عن بدء العمل

بدساتير خمسة للبلاد السورية وهي : دستور سورية ، دستور لبنان الكبير ، دستور سنجق الاسكندرونة ، دستور حكومة جبل الدروز ودستور حكومة اللاذقية.

وفي أواسط عام ١٩٣١ توجه المفوض الفرنسي الى فرنسا ثم عاد منها في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣١ وأصدر فور وصوله ثلاثة قرارات اولها يتضمن عزل حكومة الشيخ تاج الدين الحسيني السورية والثاني يقضي بتعيين مجلس استشاري سوري قوامه السادة : هاشم الأتاسي رئيساً ومصطفى برمدا ، حقي العظم ، صبحي بركات ، أحمد نامي ، الشيخ تاج الدين الحسيني ، جميل الألشي ، الدكتور رضا سعيد ورئيسي غرفتي تجارة دمشق وحلب. أما القرار الثالث فقد حدد فيه المفوض السامي موعداً لإجراء انتخابات نيابية جديدة في سورية.

المجلس النيابي السوري الأول

في السادس من نيسان سنة ١٩٣٢ جرت الانتخابات النيابية في سورية. وقد بذلت السلطة الفرنسية جهداً كبراً لتزييفها بكافة السبل والوسائل ولذلك لم يفز بالنيابة من القوائم الوطنية في كل سورية سوى/ ١٧/ نائباً في عدادهم نواب حمص السادة : هاشم الاتاسي ، مظهر رسلان ، رفيق الحسيني وابرهيم الضحية.

وفي السابع من حزيران سنة ١٩٣٢ التأم المجلس النيابي السوري وانتخب السيد محمد علي العابد رئيساً للجمهورية السورية الذي كلف بدوره السيد حقي العظم لتأليف الوزارة السورية العتيدة كما انتخب المجلس النيابي السيد صبحي بركات رئيساً له.

وكان الشعور الوطني والحماس والغضب بالشعب السوري قد بلغ ذروته اثر تزييف الانتخابات وفشل الوطنيين الاشراف فيها ووصول حفنة الممالئين للسلطة الفرنسية الى كراسي النيابة. وقد بلغ الأمر أشده لدى الطلاب الجامعيين ، وما كان من الطالب الجامعي الحمصي السيد عبد الباسط البني الا أن هاجم رئيس المجلس النيابي السيد صبحي بركات باعتباره اعظم مناصر ومؤازر للفرنسيين في محاولة لاغتياله ولكن الشرطي المرافق لبركات

بادر عبد الباسط باطلاق رصاص مسدسه على جسد الشاب المناضل الذي سقط عند باب البرلمان مضرجاً بدمائه ومستشهداً في سبيل وطنه وحريته وعروبته.

وزارة العظم والمعاهدة الأولى

شكل السيد حقي العظم وزارته بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٢٨ وقد اشترك فيها الوطنيون بممثلين هما : جميل مردم بك الدمشقي لوزارة المالية ومظهر رسلان — الحمصي — لوزارتي المعارف والعدلية. واثناء وجودهما في هذه الوزارة شعرا بالاحبولة التي يحيكها المفوض السامي الفرنسي بالاشتراك مع رئيس الوزارة السورية وذلك عن طريق التوقيع على معاهدة جائرة ترتبط فيها سورية بقيود شديدة تشدها وتربطها بعجلة الاستعمار الفرنسي ، فما كان من الوزيرين الوطنيين مردم بك ورسلان الا أن قدما استقالتهما بتاريخ ٣ أيار ١٩٣٣ واذاعا بذلك بلاغاً على الرأي العام السوري.

وشاركهما في الاستقالة من الوزارة أيضاً السيد سليم جنبرت ، الذي فضح اسرار المعاهدة المزيفة وبنودها المجحفة بحق الشعب السوري بشكل واضح ومدعوم بالحجج والارقام. وبذلك استطاع النواب الوطنيون من اذكاء روح الوطنية في صدور بقية النواب السوريين وما أن اجتمع المجلس النيابي السورى في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٣ في الجلسة الرسمية المخصصة لدراسة المعاهدة حتى رفض بالإجماع مشروع المعاهدة المشار إليها.

وبلغ المفوض السامي الفرنسي في بيروت ما جرى في برلمان دمشق من رفض لمشروع معاهدته فأصدر فوراً بتعليق أعمال المجلس السوري لمدة اربعة أيام ثم اتبعه بقرار آخر في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣ حل بمقتضاه المجلس النيابي السوري بصورة نهائية ، وعاد النواب السوريون كل الى منطقته وقد وحدتهم محبة الوطن لمتابعة نضالهم السلمى سعياً وراء الاستقلال التام غير المرتبط بأية التزامات ولأية جهة كانت.

الكتلة الوطنية

في شهر شباط سنة ١٩٣٤ سافر المفوض السامي الفرنسي الكونت دي مارتيل الى

فرنسا. وكان عدد كبير من زعماء سورية الوطنيين قد اجتمعوا في حمص في منزل السيد هاشم الأتاسي واسفر اجتماعهم عن قرار يتضمن متابعة النضال حتى تصل البلاد السورية الى غايتها في الحصول على نعمة الاستقلال التام وارتأوا أيضاً تشكيل حزب سياسي وضعوا له أهدافاً ونظاماً داخلياً وآخر خارجياً واطلقوا على تجمعهم هذا اسم: الكتلة الوطنية.

وتضمن نظامهم الأساسي/ ٤٠/ مادة. وتشكلت الهيئة الادارية لهذا الحزب على الوجه الآتي:

هاشم الأتاسي رئيساً، فارس الخوري نائباً للرئيس؛ جميل مردم بك سكرتيراً، شكري القوتلي اميناً للصندوق؛ سعدالله الجابري وعفيف الصلح عضوين.

وقد عمدت الكتلة الوطنية فوراً الى فتح مكاتب فرعية لها في كل من دمشق وحمص وحماه وحلب كما شكلت لجاناً فرعية لها في الأقضية السورية أيضاً.

الاضراب السوري الكبير

يوم الجمعة الواقع في ٢١ تشرين الأول ١٩٣٥ عقدت الكتلة الوطنية اجتماعاً كبيراً هاماً في مدينة بعلبك اللبنانية برئاسة السيد هاشم الاتاسي. درست خلاله الاوضاع الراهنة في سورية ثم قررت القيام بأعمال منظمة سلمية لتحقيق الاستقلال، والخروج بالبلاد من حالتها الشاذة التي تتخبط فيها نتيجة للأحكام التعسفية التي يفرضها المستعمرون، وانطلق المجتمعون الى مناطقهم حيث بدأ كل منهم في توعية الأهلين وفي توحيد كلمتهم.

عندئذٍ أصدر المفوض السامي الكونت دي مارتيل قراراً باغلاق مكاتب الكتلة الوطنية في دمشق وحلب ومصادرة موجوداتها كما اعتقل عدداً كبيراً من الشباب في طليعتهم السيد فخري البارودي.

وتنادى الشعب السوري للاضراب العام ومقابلة القوة بالقوة اذا لم تستجب السلطة لرغبات الأهلين في الحرية والاستقلال واطلاق سراح المعتقلين. ولما كان الفرنسيون قد ركبوا رؤوسهم وابوا الاستجابة للمطالب الحقة، كان لا بد للشعب العربي في سورية أن

يقوم بعمل حاسم جبار يستطيع معه تحقيق امانيه ، فكان الاضراب العام الكبير الذي شمل المدن السورية كافة كما شمل مراكز الأقضية أيضاً وذلك بتاريخ ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ واستمر طيلة/ ٤٠/ يوماً وانتهى برضوخ السلطة الفرنسية للأمر الواقع اذ أطلقت سراح المعتقلين وعزلت الحكومة القائمة وكلفت برئاسة الحكومة الجديدة رجلاً نزيهاً محايداً هو السيد عطا الأيوبي كما شكلت وفداً سورياً قوامه السادة هاشم الاتاسي رئيساً وعضوية السيدين مصطفى الشهابي وادمون حمصي من الوزراء يضاف اليهم السادة فارس الخوري ، سعد الله الجابري وجميل مردم بك وسكرتيرية الدكتور نعيم الانطاكي — للسفر الى فرنسا ومفاوضة الدولة الفرنسية بشأن عقد معاهدة معها تنص على الاعتراف باستقلال سورية ووحدة اراضيها وتسليم حكومتها الوطنية كل السلطات والادارات التي كان يشغلها الفرنسيون سابقاً .

شهداء حمص خلال الاضراب الكبير

اثر قيام السلطة الفرنسية باعتقال اعداد كبيرة من الشباب والطلاب في دمشق وفي بقية المدن السورية بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٣٦ وزع الشباب الوطني في حمص منشورات تدعو الأهلين لاقفال المتاجر واعلان سخطهم وشجبهم للاجراءات التعسفية التي يقوم بها الفرنسيون وتطالب الحمصيين بمتابعة اضرابهم وعدم النكوص عنه حتى تتحقق الآمال الوطنية ولبت المدينة نداء ابنائها فاضربت اضراباً عاماً شاملاً ، شمل كافة مرافقها الحيوية وأخذت التظاهرات الصاخبة تعم المدينة يومياً دون وقوع أية حوادث دموية تذكر الى أن كان يوم الجمعة الواقع في ٧ شباط ١٩٣٦ الذي سارت فيه تظاهرة طلابية كبيرة انضم إليها بعدئذٍ جمع غفير من المواطنين ناف عدده على عشرات الألوف ، وتدفقت بعدئذٍ هذه الجموع نحو المسجد النوري الكبير لتنطلق منه بعدئذٍ بمظاهرة سلمية اتجهت نحو دار الحكومة لتعلن رغبة الشعب في الاستقلال التام وتطالب السلطة بالإفراج عن المعتقلين .

وكان الفرنسيون منذ الصباح الباكر قد بثوا رجال الأمن مع مفارز عديدة من متطوعة الجراكسة ومن الجيش المختلط — لجيون ترانجيو — في مفارق الطرق المؤدية الى دور الحكومة واقامت الحواجز الشائكة للحيلولة بالقوة دون وصول المتظاهرين الى ساحة

السراي ؛ ولذلك كان لا بد من وقوع الاصطدام ، اذ صدرت الاوامر الى الجيش باطلاق النار على المتظاهرين الذين قابلوا الرصاص المنهمر عليهم بحجارة المقلاع يرمون بها رجال الاستعمار وبنتيجة ذلك سقط في ميدان الشرف الشهداء الابرار : زكريا الغبرا عوف ، الطالب عبد الحليم رشيد عبارة ، عبد الرزاق علوان الفران ، عبد الكريم مصطفى مطر ، خالد زعرور وعبد الحق حافظ شرف الدين ؛ كما أصيب برصاص المستعمرين ما يزيد عن السبعين شخصاً من المتظاهرين نقلوا الى المستشفيات الوطنية لمعالجتهم .

ولم ينقطع صوت ازيز الرصاص من سماء المدينة طيلة ذلك اليوم . وفي اليوم التالي شيعت المدينة ابطالها الشهداء باحتفال مهيب ذارفة عليهم الدموع السخية .

ويوم الثلاثاء في ١١ شباط ١٩٣٦ شيعت المدينة جثمان شهيدها البطل امين الشمالي الذي هاجم الاستحكامات الفرنسية في محلة الخالدية وانتزع رشاشاً منها أخذ يصلي بنيرانه جنود المستعمرين فأردى عدداً منهم ولكنه أصيب اصابة قاتلة نقل بعدها الى المستشفى حيث فارق الحياة .

وصباح يوم الاربعاء في ١٢ شباط انطلق طلاب التجهيز وطلاب الكلية الارثوذكسية في مظاهرة موحدة سلمية ضمت ما يقارب الالف طالب نحو دار الحكومة فتصدت لها قوات المتطوعة الجراكسة واطلقت عليهم النار ارهاباً فجرح البعض وتمكنت السلطة من اعتقال عدد من الطلاب ناف على الستين طالباً ونقلتهم الى مركز القيادة الفرنسية حيث أنزل بهم كافة أنواع التعذيب من ضرب ولكم وإهانة ورمي في مياه الساقية المتجمدة وقتئذٍ ، ومن الطلاب المعتقلين وقتئذٍ زيد ميرزا ومنير الخوري — مؤلف هذا الكتاب — .

الوفد السوري في باريس

غادر الوفد السوري دمشق متجهاً الى باريس في اواخر آذار سنة ١٩٣٦ لاجراء المفاوضات مع الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها وقتئذٍ السيد ليون بلوم وبعد مناقشات ومداولات استمرت عدة أشهر وضعت نصوص معاهدة تتضمن اعتراف الجمهورية الفرنسية باستقلال سورية ووحدة اجزائها (الاسكندرونة واللاذقية وجبل الدروز) وبتسليم المصالح المشتركة (الجمارك والجيش) بعد وقت قصير محدد الى حكومة الجمهورية السورية ، واحتفظت تلك المعاهدة لفرنسا ببعض الامتيازات واقامة بعض القواعد العسكرية في الاراضي السورية . (وقد اعتبرت تلك المعاهدة وقتئذٍ معجزة القرن

العشرين — على حد تعبير احد المفاوضين) كما تقرر أن تعرض هذه المعاهدة على مجلسي النواب السوري والفرنسي حتى اذا تم التصديق عليها من الجانبين نفذ مضمونها فوراً.

وبعودة الوفد السوري من باريس في شهر أيلول ١٩٣٦ جرت له استقبالات رسمية وشعبية رائعة كان من اجملها واروعها استقبال مدينة حمص التي خرجت بقضها وقضيضها وشبابها وشيبها الى الساحة الفسيحة التي أقامت فيها لجنة الاستقبال سرادقاً كبيراً قبل المحطة، اعد خصيصاً لاستراحة اعضاء الوفد ولاستقبال جماهير الشعب المرحة الهازجة.

ولدى وصول القطار الخاص المقل للوفد السوري مقابل السرادق، ترجل منه اعضاء الوفد ثم القى باسمهم السيد فارس الخوري كلمة وطنية رائعة شكر فيها مدينة حمص، مدينة الجهاد والابطال، مدينة البذل والتضحية ووحدة الصف على استقبالها الجميل هذا مؤكداً أن حمص بما قدمته من دماء ابنائها الزكية في ساح الوطنية والكرامة اسهم الى حد بعيد في وصول الأمة العربية في سورية الى نيل هذه المعاهدة... وبعد فترة من الراحة تابع الوفد سفره الى دمشق (تاريخ سورية السياسي للدكتور الأشرفي ص ١٥٩ — ١٨٨).

المجلس النيابي السوري والمعاهدة

بعد عودة الوفد السوري من فرنسا جرت الانتخابات النيابية في سورية في شهر تشرين الأول ١٩٣٦. وفاز بالنيابة عن حمص السادة: هاشم الاتاسي، مظهر رسلان، سليمان المعصراني، رفيق الحسيني وعبد الله فركوح.

بعد انتهاء الانتخابات في سورية قدم السيد محمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية استقالته الى المجلس النيابي فقبلها وانتخب مكانه السيد هاشم الأتاسي وبما أن كرسي السيد هاشم الأتاسي النيابي قد شغر فقد انتخبت حمص للنيابة عنها السيد مكرم الأتاسي.

واجتمع المجلس النيابي السوري وصدق على المعاهدة الفرنسية السورية، بينما تلكأ المجلس النيابي الفرنسي عن ابرامها؛ وأخذت الحكومات الفرنسية المتعاقبة تماطل وتسوف متذرعة بأدهى الأسباب لعرقلة اعمال الحكومات الوطنية السورية بواسطة المفوض السامي الفرنسي؛ فمن تخفيض لسعر الفرنك الى اقتطاع الجزء الغالي من سورية (لواء الاسكندرونة) وتسليمه لقمة سائغة الى تركيا بمؤامرة دنيئة مشتركة مع انكلترا في ٢٩

تشرين الثاني ١٩٣٨، الى محاولة ايجاد الفرقة في صفوف الأمة وطوائفها. وأخيراً استدعي المفوض الكونت دي مارتل الى فرنسا وتعين خلفاً له السيد غبريال بيو في كانون الثاني ١٩٣٩ الذي اعلن فور وصوله الى بيروت أن حكومته عدلت عن سياسة التعاقد والمعاهدة وبأنها ستعود الى سياسة الانتداب. وآنئذٍ لم تجد الوزارة الوطنية بداً من الانسحاب من الحكم وتبعها السيد هاشم الأتاسي فقدم استقالته من رئاسة الجمهورية السورية وعاد الى منزله في حمص في ١٠ تموز ١٩٣٩.

وبهذا انطوى العهد الوطني وظهر بوضوح للملأ عقم العمل الايجابي مع السلطة الفرنسية التي اظهرت انها لن تتخلى عن سياستها الاستعمارية اذ بادرت الى حكم البلاد بواسطة مجلس مديرين أناطت رئاسته بالسيد بهيج الخطيب ولاحقت الوطنيين وحكمت على عدد كبير منهم بالنفي والسجن وساد البلاد جوّ من الإرهاب والتعسف (تاريخ العرب المعاصر للخاني وخيمي وعفلق ص ٢٦٥).

الفصل الثامن والعشرون

سورية والحرب العالمية الثانية

نشبت الحرب العالمية الثانية في أول أيلول سنة ١٩٣٩ وانتهت في اوروبا بتاريخ ٧ أيار ١٩٤٥ وفي آسيا بتاريخ ١٤ آب ١٩٤٥ واشتركت فيها المانيا وايطاليا واليابان الى جانب فرنسا وانكلترة والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين وغالبية دول العالم الى الجانب الآخر.

من أهم الأسباب التي جعلت تلك الدول تخوض هذه الحرب الضروس فهي اقتصادية وسياسية واجتماعية نجتزئها فيما يلي:

١ — رغبة بعض الدول وخاصة المانيا وايطاليا واليابان في تأمين الشروط الاقتصادية الملائمة لنهوض بلادها الاقتصادي (المجال الحيوي).

٢ ــ نقمة بعض الدول وخاصة المانيا على الأوضاع التي فرضتها عليها بنود معاهدة الصلح، ثم رغبة هذه الدول في استعادة الاراضي التي سلبت منها في أعقاب الحرب العالمية الأولى ومحاولة الدول التي تطورت أوضاعها الداخلية (المانيا وايطاليا والاتحاد السوفياتي واليابان) تحقيق برامجها الوطنية والاقتصادية.

٣ ــ انهيار الاقتصاد الألماني والايطالي بعد الحرب العالمية الأولى أديا الى قيام الحزبين النازي في المانيا برئاسة ادولف هتلر، والفاشيستي في ايطاليا برئاسة بنيتو موسوليني اللذين حظيا لأول وهلة بتأييد الدول الاستعمارية الكبرى لوقوفها في وجه المد الشيوعي. ثم ما لبثت هذه الدول الاستعمارية المدعومة بالصهيونية العالمية ــ الناقمة على النازية ــ أن انقلبت على من ساهمت في تأييدهم أولاً، فعمدت الى اثارة الرأي العام العالمي وتأليبه ضد هذه المبادىء الجديدة وهكذا اشتد توتر الموقف الدولي واقترب العالم من حافة الحرب التي اندلعت شرارتها الأولى اثر مهاجمة المانيا الاراضي البولونية في أول أيلول ١٩٣٩ وبادرت فرنسا وانكلترا الى اعلان الحرب على المانيا تنفيذاً للمعاهدة المعقودة بينها وبين بولونيا.

اجتاحت الجيوش الألمانية غالبية الاراضي الاوروبية واحتلت اكثر دولها وانهزمت فرنسا في مدى ثلاثة أسابيع. ثم تطورت الامور فهاجمت الجيوش الألمانية الاتحاد السوفياتي فكان أن تغيرت كفة الميزان واذا بالنصر ينقلب الى فشل، فانهارت ايطاليا عام ١٩٤٣ وقتل موسوليني واستسلمت المانيا اثر دخول الجيش السوفياتي برلين في ٧ أيار ١٩٤٥ وانتحار هتلر. واستسلمت اليابان في ١٤ آب ١٩٤٥ اثر قذف مدينتي هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية الأميركية.

اما نتائج الحرب العالمية الثانية فكانت كما يلي:

تغيرت اوضاع الدول فبرز الاتحاد السوفياتي الى المكان الأول مع الولايات المتحدة الاميركية وفقدت اليابان والمانيا وايطاليا مكانتها وتراجعت انكلترا وفرنسا الى الدرجة الثانية؛ واستعادت بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ومعظم دول البلقان حريتها وأصبحت صديقة وحليفة للاتحاد السوفياتي. وتطورت أوضاع البلاد العربية فاستقلت سورية ولبنان استقلالاً تاماً؛ ودخلت الدول العربية منظمة الأمم المتحدة؛ وتأسست جامعة الدول العربية واتجه العلم خلال هذه الحرب وبعدها الى اختراع أفظع وسائل الهجوم والتخريب فاستخدمت الطاقة الذرية واستعملت في القنابل الذرية ثم الهيدروجينية.

أما سورية فمنذ أن اشتركت فرنسا في الحرب ، استلم الجيش الفرنسي فيها أعمال السلطة المدنية ، فقنن المواد الغذائية وفرض الرقابة على البريد والمطبوعات والبرقيات ، ولم يبق لحكومة المديرين المتعاونين مع الفرنسيين أية سلطة فعلية ؛ وصبر الشعب السوري على مضض تحت ضغط التدابير التعسفية المتخذة.

ثم تداعت فرنسا ودخلت الجيوش الألمانية باريس في حزيران ١٩٤٠ فاستقالت حكومتها ؛ وشكل الماريشال بيتان حكومة جعل مقرها في مدينة فيشي ووقع الهدنة مع المانيا وايطاليا ولكن فريقاً من رجال السياسة والضباط ، على رأسهم الجنرال شارل دي غول رفضوا الاستسلام وشكلوا حكومة «فرنسا الحرة» جعلوا مركزها مدينة لندن ودعوا الفرنسيين الى مواصلة الحرب الى جانب انكلترا وحلفائها.

وعمدت حكومة فيشي الى استبدال المفوض السامي غبريال بيو بالجنرال دانتز الموالي لها في كانون الأول سنة ١٩٤٠ . واغتنم الوطنيون فرصة مجيء المفوض الفرنسي الجديد فطالبوا بإبدال حكومة المديرية السورية بحكومة وطنية يرضى عنها الشعب السوري ؛ ولكن هذا رفض طلبهم . ولذلك عمت البلاد موجة من الاضطرابات والمظاهرات سقط خلالها عدد من الشهداء نذكر منهم شهداء حمص : يحي عبد القادر الحسامي ، الطالب ممدوح كرومه ، الطالب محمود عبد الحسيب الديك ؛ الأمر الذي أجبر الجنرال دانتز على اقالة حكومة المديرين رتكليف السيد خالد العظم بتأليف وزارة سورية جديدة في نيسان سنة ١٩٤١ .

ورافق الجنرال دانتز حين مجيئه الى سورية ولبنان لجنة المانية ايطالية لمراقبة تنفيذ شروط الهدنة . ولما حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق . اهتم الانكليز للأمروقرروا انتزاع سورية ولبنان من يد حكومة فيشي . اذ أنه بتاريخ ٨ حزيران ١٩٤١ عبرت قوات انكليزية وفرنسية حرة الحدود من جهة فلسطين وشرقي الاردن بحجة استخلاص سورية ولبنان من سيطرة الالمان الذين اصبحوا يشكلون خطراً عليهم وتمكنت هذه القوات من احتلال هذه البلاد في ١٣ تموز ١٩٤١ .

وكان الجنرال كاترو ممثل فرنسا الحرة والسير ماياز لاميسون ممثل بريطانيا في مصر قد اعلنا باسم دولتيهما أن جيوشهما انما تدخل سورية لانهاء عهد الانتداب الفرنسي عليها والاعتراف باستقلالها . وعلق الشعب العربي في سورية الآمال الجسام على وجود الجيوش

الحليفة ، ولكن الجنرال كاترو تباطأ في تحقيق وعده ؛ لذلك استأنف الأهلون نضالهم ؛ مما دفعه حينئذٍ لاذاعة بيانه الثاني في ايلول ١٩٤١ الذي اعلن فيه الغاء الانتداب واستقلال سورية وسيادتها وحريتها . ثم عين بقرار منه الشيخ تاج الدين الحسيني رئيساً للجمهورية وحسن الحكيم رئيساً للوزارة وأعاد من جديد الى سورية محافظتي اللاذقية وجبل الدروز في كانون الثاني سنة ١٩٤٢ .

ولكن الشعب السوري ظل يكافح سعياً وراء اعادة الحياة الدستورية للبلاد وتأليف حكومة وطنية يرضى عنها الشعب وتنبثق عن ارادته ، وقد تم له ما اراد حينما توفي الشيخ تاج الدين رئيس الجمهورية في اواخر عام ١٩٤٢ وتعينت حكومة حيادية انتقالية للاشراف على الانتخابات النيابية التي تمت في أوائل شهر آب ١٩٤٣ وفاز فيها النواب الوطنيون في كافة المناطق .

وبتاريخ ١٧ آب ١٩٤٣ التأم المجلس النيابي السوري في دمشق وانتخب السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية .

ومارست الحكومة الوطنية التي شكلت برئاسة السيد سعد الله الجابري الأعمال الدالّة على حسن العمل الاستقلالي فعينت ممثليها السياسيين لدى الدول الأجنبية التي اعترفت باستقلالها واجرت المفاوضات مع الدول العربية المستقلة لتأسيس جامعة الدول العربية . ثم استقالت هذه الوزارة لتحل مكانها وزارة وطنية ثانية شكلها السيد فارس الخوري الذي في عهده اعلنت سورية الحرب على المانيا واليابان بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٤٥ ودعيت سورية للاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو لتأسيس منظمة الأمم المتحدة .

في ربيع سنة ١٩٤٥ اعدت الحكومة السورية العدة لنقل قيادة القوات المسلحة الى الحكومة الوطنية . ولكن فرنسا أصرت على عقد معاهدة مع سورية تضمن لها بعض الامتيازات من احتفاظ بقواعد عسكرية في البلاد والاشراف على الاقتصاد والجمارك فترة من الزمن كما عمدت الى انزال قوات عسكرية جديدة في بيروت لارهاب الحكومة السورية ثم نقلت بعضها الى داخلية سورية .

وفي ٢٩ أيار ١٩٤٥ اطلق الفرنسيون قذائفهم على دمشق وبقية المدن السورية فدمروا قسماً من دار البرلمان السوري ثم هاجموا حامية المجلس النيابي التي كان يقودها الضابط الحمصي البطل طيب شريك ؛ واستماتت الحامية الوطنية في الدفاع ولم يتمكن الفرنسيون من دخول قاعات المجلس الا بعد أن استشهد جميع افراد الحامية الابطال .

وثار الشعب السوري في كل مكان واستولى على الثكنات العسكرية الفرنسية في غالبية المدن السورية كحماة ودرعا والسويداء ودير الزور والحسكة ؛ الأمر الذي أجبر الدول المتحالفة على التدخل ووقف القتال. وحاولت وقتئذٍ كلّ من انكلترا وفرنسا الاحتفاظ بقوات عسكرية لها في سورية ولبنان ؛ ولكن هيئة الأمم لما عقدت دورتها الأولى في لندن في كانون الثاني ١٩٤٦ استمعت الى الحجج الدامغة التي قدمتها سوية ولبنان ، وقررت في شهر آذار إجلاء جميع القوات الفرنسية والانكليزية عن الأراضي السورية في ١٧ نيسان ١٩٤٦ وعن لبنان في نهاية كانونالأول ١٩٤٦ وهكذا تم الجلاء عن سورية في وقته المحدد وحظيت بلادنا الحبيبة باستقلالها اتام غير المقيّد بمعاهدة أو شروط.

المحافظ الدكتور حيدر مردم بك

أصدرت الحكومة السورية مرسوماً جمهورياً في شهر نيسان ١٩٤١ بتعيين الدكتور حيدر مردم بك محافظاً لمدينة حمص. ويوم السبت الواقع في ١٩ نيسان تسلم المحافظ الجديد عمله. ولما كانت السلطة الفرنسية غير راضية عن تعيين احد الشباب الوطنيين المثقفين لهذا المنصب ؛ فقد عمدت الى احداث فتنة طائفية اثارها أحد موظفيها مغتنمة فرصة غياب المحافظ عن المدينة بسبب سفره الى دمشق لاحضار عائلته وذلك يوم الثلاثاء في ٢٢ نيسان ١٩٤١. ونتيجة لذلك هاجم الرعاع بعض المؤسسات العلمية وهشموا موجوداتها. وسرعان ما عرف بالفتنة المفتعلة الزعماء الحمصيون فتنادوا للاجتماع ولبتر جذور الفتنة من مهدها فتم لهم ما ارادوا.

أما المحافظ الجديد الذي عاد الى المدينة فور سماعه بالاخبار المكدرة ؛ فقد أوعز الى بلدية حمص بالتعويض الفوري على المتضررين من صندوقها الخاص بعد أن تفقد المؤسسات المنكوبة وواسى أصحابها وبذلك عادت المياه الى مجراها الطبيعي بعد فضح اسباب الفتنة.

وعلى أثر ذلكِ تنادى الشباب المثقف في حمص لاقامة حفلة تكريمية للمحافظ الدكتور حيدر مردم بك الذي يمثل الحيوية والنشاط والجيل الصاعد. وأقيمت الحفلة في بهو مقهى الروضة في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الخميس الواقع في ٨ ايار ١٩٤١ وحضرها كرام شخصيات المدينة العلمية والسياسية ؛ وألقي فيها كلمات وقصائد عدد من رجال

الفكر والعلم والوطنية في المدينة كالعلامة الخوري عيسى اسعد والنائب الاستاذ راتب الحسامي والشاعر محي الدين الدرويش؛ منوهين بما تعلقه المدينة على محافظها الشاب الثقيف من آمال بعد أن اهملتها طويلاً العهود السابقة.

الجيش الانكليزي في حمص

بعد أن قررت قيادة الجيوش المتحالفة استخلاص سورية ولبنان من حكومة فيشي ارسلت طائراتها وهي تحمل منشورات تعلن فيها أن الحكومتين البريطانية والفرنسية الحرة راغبتان في تحرير سورية ولبنان ومنحهما استقلالها التام وهي تطلب من الأهلين مؤازرتها؛ وقد تفاءل الناس وأخذوا ينتظرون تحقيق الآمال التي طالما داعبت افئدتهم.

ويوم الخميس في ٢٩ ايار ١٩٤١ اغارت طائرة بريطانية على حمص وقذفت قنبلة في المنخفض المعروف بجورة أبي صابون فقتلت العامل في البلدية محمد حبوش الزير وقضت على اربعة خراف كانت ترعى بالقرب منه..

وصباح الثلاثاء في ١٨ حزيران اغارت طائرة بريطانية اخرى على الثكنة العسكرية الفرنسية في حمص وأطلقت عليها نيران مدافعها الرشاشة.

وصباح يوم الخميس في ٢٦ حزيران مر في اجواء حمص ثلاث طائرات المانية تتعقبها ثلاث طائرات مطاردة بريطانية. وقد سبقت احدى الطائرات البريطانية رفيقتيها ولما لم تتمكن من اللحاق بالطائرات الالمانية اكتفت بالقاء قنبلة على مستودع للبترول في المحطة فانفجر واحترق من جراء ذلك عدد من الشاحنات. وكان لهذا الانفجار دوي هائل ارتجت له المدينة ومنازلها وتحطم زجاج النوافذ في كل الانحاء. كما تأثر بهذا حاجز رواق كنيسة الاربعين شهيداً في حي بستان الديوان؛ اذ قذف ما تحطم منه الى داخل الكنيسة واغمي على بعض النساء المصليات وخرج الباقون الى الباحة الخارجية والخوف يملأ نفوسهم؛ ومن هناك شاهدوا دخان حرائق المحطة وقد بلغ عنان السماء.

ويوم الخميس في ١٠ تموز ١٩٤١ حلقت الطائرات البريطانية في سماء حمص للاستكشاف فتصدت لها المدافع المضادة للطائرات واجبرتها على التراجع. وكانت القوات الحليفة قد وصلت طلائعها الى قرية مسكنة التي تبعد عن مدينة حمص /٨/كيلومترات. لذلك امر الجنرال دانتز المفوض السامي الفرنسي — الذي نقل مركز قيادته الى حمص بعد

انسحابه من بيروت — قواته باطلاق نيران مدافعها على المعسكر الحليف واستمر اطلاق القذائف طيلة ذلك اليوم دون أن تجيب المدفعية الحليفة على ذلك بأية طلقة.

وتوالى اطلاق القذائف في الأيام التالية كما يلي: يوم الجمعة بلغ عدد القذائف/ ٣٢٥/ قذيفة. ويوم السبت/ ١٠٩/ قذيفة. ويوم الأحد/ ١٩/ قذيفة.

وفي الساعة التاسعة من صباح يوم الاربعاء الواقع في ١٦ تموز ١٩٤١ دخلت الجيوش الانكليزية مدينة حمص مع كتيبة من جيش فرنسا الحرة. وتعين على الأثر الميجر داروين البريطاني ضابطاً للاستخبارات والارتباط وتعين الكولونيل دي زيسار — مندوباً لفرنسا الحرة في محافظة حمص.

نواب حمص في مجلس سنة ١٩٤٣

في أوائل شهر آب سنة ١٩٤٣ جرت الانتخابات النيابية في سورية وانتخبت حمص نوابها ففاز فيها السادة: عدنان الأتاسي، مظهر رسلان، حلمي الاتاسي، هاني السباعي، عبد الله فركوح وعيسى اليونس. واستمر هذا المجلس في عقد جلساته حتى أوائل أيار ١٩٤٧.

حمص والعدوان الفرنسي والجلاء

قاومت مدينة حمص العدوان الفرنسي اسوة بشقيقاتها المدن السورية الاخرى ومنعت التموين عن قطعات جيشه المرابطة في ثكنات المدينة منذ اواسط شهر أيار ١٩٤٥ وأخذ المتطوعون السوريون في الجيش الفرنسي يفرون مع أسلحتهم ملتحقين برجال المقاومة الوطنية الشعبية تلبية لشعورهم الوطني... وهنا تحرج مركز الفرنسيين لذلك اخذوا بالانتقام من السكان باطلاق نيران المدفعية من المدرسة الحربية ومن الثكنة العسكرية ومن القلعة على الأبنية السكنية وسكانها الابرياء اعتباراً من ٢٧ أيار وطيلة الأيام الاربعة التالية.

وحمل الأهلون اسلحتهم وأخذوا يصلون بنيرانها الفرنسيين في مناطق تجمعهم؛ وقد استشهد اثناء تلك المعارك عدد من شباب المدينة في عدادهم محمود سعدو العابد وشفيق القصير وغيرهما.

وتوقف اطلاق النار في اوائل شهر حزيران ١٩٤٥ اثر تدخل الجيش البريطاني الذي طلب من الحامية الفرنسية مغادرة المدينة وثكناتها وتم ذلك في ٧ حزيران ١٩٤٥.

وعلى أثر القرار المتخذ في مجلس الأمن والقاضي بجلاء القوات الاجنبية عن سورية قبل ١٧ نيسان ١٩٤٧؛ فقد اجرت الحكومة الوطنية السورية استعراضاً عسكرياً لجيشها الفتي الذي تسلمته من الفرنسيين مع معداته في كافة المدن السورية بتاريخ ١٧ نيسان.

وفي حمص استقبل الاهلون بالهتاف والتهليل العلم السوري الذي يتقدم قطعات جيشهم الحبيب وأخذوا ينثرون على الجنود والضباط الورود والازهار والعطورات من شرفات المنازل والاسطحة. وفي المساء اقيمت الزينات والحفلات الشعبية وطافت افواج الكشافة في شوارع المدينة وساحاتها وجميعها تعبر عما يخالج القلوب من بهجة وسعادة باستقلال البلاد ووحدة شعبها.

نواب حمص عام ١٩٤٧

في الانتخابات النيابية السورية التي تمت بتاريخ ١٨ آب ١٩٤٧ فاز فيها عن حمص السادة: هاني السباعي، عدنان الأتاسي، فرحان الجندلي، فيضي الاتاسي، مسلم حداد، محمود سويدان وعيسى السبالي.

قضية فلسطين وحمص

وعد بلفور باقامة وطن صهيوني في أرض فلسطين العربية؛ قضية نعي بعثتها بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى وأيدتها في التحقيق الدول الاستعمارية رغبة منها في استخدام العنصر الصهيوني لتحقيق مآربها. وتحت ستار حماية اليهود المضطهدين من المانيا النازية ظاهرياً، وايجاد ركيزة ثابتة للمستعمرين في الوطن العربي باطناً، تنادت تلك الدول لبحث ما أسموه المشكلة الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة التي شكلت لجنة فرعية للتحقيق عام ١٩٤٧.

وخرجت اللجنة المذكورة بتقرير أوصت فيه بتقسيم اراضي فلسطين الى ثلاثة أقسام:

١ — دولة عربية.

٢ — دولة يهودية.

٣ — منطقة دولية وتشمل مدينة القدس والأماكن المقدسة.

وعارض مندوبو الدول العربية في هيئة الأمم محتويات التقرير بشدة وطالبوا بالابقاء على وحدة اراضي فلسطين وعروبتها واستقلالها. ولكن الولايات المتحدة الاميركية تدخلت واستعملت نفوذها لدى دول هيئة الأمم التي تسير غالبيتها في فلكها ففاز قرار التقسيم باغلبية صوت واحد في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧. وعلى اثر ذلك اعلن مندوب بريطانيا بمسرحية متفق عليها مع الصهيونية العالمية أن حكومته ستسحب قواتها العسكرية من فلسطين في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨ متخلية عن انتدابها عليها.

ومنذئذٍ أخذت المنظمات الصهيونية الارهابية في فلسطين تقوم بعملياتها العسكرية ضد السكان العرب الابرياء تحت سمع بريطانيا وبتأييد سري لها. ولذا كان لا بد للدول العربية من مد يد المساعدة الى عرب فلسطين فدخلت جيوشها ارض فلسطين العربية في ١٥ أيار ١٩٤٨ لانقاذها من براثن العصابات الصهيونية.

سجلت الجيوش العربية لأول وهلة بعض الانتصارات ؛ اذ تقدم الجيش السوري في المنطقة الشمالية ؛ ووصل الجيش المصري الى ما يقارب الـ/ ٢٠/ ميلاً جنوبي تل أبيب ، ووصل الجيشان العراقي والاردني الى غربي القدس. وهنا جزعت الولايات المتحدة وبريطانيا فتقدمتا بمشروع قرار الى هيئة الأمم تطلبان فيه ايقاف القتال فوراً في فلسطين وفتح الباب أمام مفاوضات سلمية ؛ وكانت الغاية من ذلك إنقاذ الصهيونية من عثارها. واشتد ضغط هاتين الدولتين على الحكومات العربية التي جبنت وتخاذلت وقبلت بهدنة لمدة شهر اعتباراً من ٩ حزيران ١٩٤٨. ثم كلف مجلس الأمن الكونت برنادوت بالوساطة الدولية ولكن هذا ذهب ضحية رغبته الانسانية بضرورة تسليم منطقة النقب الى الدولة العربية المقترح إقامتها بموجب قرار التقسيم السابق. وقد اغتاله الصهاينة.

وسمحت تلك الهدنة للصهاينة بالتزود بمختلف انواع الاسلحة الثقيلة والطائرات والدبابات من فرنسا واميركا وبريطانيا في ذات الوقت الذي منعته فيه على العرب. حتى اذا ما انتهى اجل الهدنة واعادت الحرب سيرتها الأولى ظهر تفوق الصهاينة الحربي. ولكن العرب وخصوصاً الجيشين السوري والمصري ابديا من ضروب البسالة والتضحية الشيء الكثير وتمكن السوريون من الاستيلاء على مستعمرة مشمار هايردن المنيعة وهزموا قوات الصهاينة في تل العزيزيات مكبدينهم الخسائر الجسيمة. وتدخل مجلس الأمن ثانية والزم العرب بوقف القتال وفرضت الهدنة ثانية بعد أن ربح الصهاينة مناطق جديدة من فلسطين

اثر خيانة بعض ملوك العرب — كاللد والرملة ومنطقة النقب روصلوا الى ميناء ايلات على البحر الاحمر. ثم عقدوا اتفاقيات هدنة مع الدول العربية المجاورة احتفظ الصهاينة بموجبها بالقسم الأكبر من الاراضي الفلسطينية باستثناء قضاء غزة الذي بقي في أيدي الجيش المصري ومنطقة غربي نهر الاردن التي ضمها الملك عبد الله الى مملكته مع مدينة القدس القديمة.

ونتيجة لهذه الحرب غير المتكافئة فقد تشرد / ٩٠٠ / الف نسمة من الفلسطينيين العرب والتجأوا الى الدول العربية المجاورة، الأمر الذي دفع بهيئة الأمم إلى تشكيل لجنة دولية لاغاثة اللاجئين؛ كما أن بريطانيا واميركا وفرنسا حرصاً منها على سلامة ربيبتها اسرائيل أصدرت بياناً مشتركاً في شهر أيار ١٩٥٠ يتضمن تعهدها بالمحافظة على كيان الدولة اليهودية الحالي.

أثارت كارثة فلسطين الشعب العربي في كل مكان والهبت عواطفه وأشعرته بضرورة استعادة كرامته وأدرك أنه لن يستطيع مواجهة طغيان اسرائيل ومن وراءها الا بتوحيد صفوفه واصلاح الأوضاع السياسية في دوله المختلفة وانظمتها المهترئة وتقوية الاجهزة العسكرية والقيام بمشاريع اقتصادية جذرية للنهوض بالبلاد أولاً واسترداد الأراضي العربية السليبة — فلسطين والاسكندرونة — من مغتصبيها ثانياً — فكانت الانتفاضات الشعبية التي حدثت في سورية ومصر والعراق فأطاحت بعهود الرشوة والفساد والاقطاع ومطايا المستعمرين.

أما مدينة حمص فقد قدمت على مذبح الشهادة في اراضي فلسطين العربية رتلاً كبيراً من ابنائها البواسل الذين نذكرهم مدونين اسماءهم للتاريخ وهم الضباط الشهداء: فتحي محمد ابرهيم الأتاسي، مارسيل وجيه كرامه، فيصل محمد علي ناصيف، روحي عادل الأتاسي، عزمي بدر الدين الأتاسي، الوكيل الأول الطيار محي الدين عبد الوهاب الاتاسي والرقيب الأول ماجد الجاجه.

انقلاب حسني الزعيم

تنادت الاحزاب السورية المختلفة اثر الكارثة التي أصابت الشعب العربي في معركة فلسطين الى ضرورة اصلاح جهاز الدولة السورية وتقوية الجيش ووضع أسس واضحة

لسياسة الدولة المالية والاقتصادية والثقافية والتشريعية تتلاءم مع عهد الحرية والاستقلال ومواجهة العدو الرابض على الحدود الشمالية والجنوبية. وفوجىء الناس صبيحة يوم ٣٠ آذار ١٩٤٩ بالانقلاب العسكري الذي قام به الزعيم حسني الزعيم قائد القوات المسلحة السورية. ناثراً الوعود بتحقيق الاصلاحات التي طالب بها الشعب ولذا تقدم الرئيس شكري القوتلي باستقالته من رئاسة الجمهورية وغادر البلاد الى مصر. ولكن الزعيم حسني سرعان ما تنكر لوعوده وعهوده فاذا به يحكم البلاد حكماً ديكتاتورياً ويلاحق الاحرار ويكم الافواه ويرمي في السجون نخبة من شباب البلاد التقدميين؛ ثم يجري انتخابات صورية في البلاد ليفوز بكرسي رئاسة الجمهورية وبكلّ ما أراد. ولكن الأمر لم يطل معه اذ قام الجيش السوري ثانية بانقلاب جديد بقيادة الزعيم سامي الحناوي في ١٤ آب ١٩٤٩ فيلقي القبض على حسني الزعيم وعلى رئيس وزرائه الدكتور محسن البرازي ويعدمهما رمياً بالرصاص في اليوم نفسه.

اما قائد الانقلاب الثاني الجديد فقد اعلن عن رغبته في تسليم ادارة البلاد الداخلية الى وزارة مدنية وطنية يشترك فيها أغلبية الاحزاب السياسية في البلاد. وكان أن تشكلت حكومة وطنية برئاسة السيد هاشم الاتاسي وانسحبت قطعات الجيش السوري الى ثكناتها.

نواب حمص في الجمعية التأسيسية والانقلاب الثالث:

الحكومة السورية التي تشكلت برئاسة السيد هاشم الأتاسي دعت المواطنين لانتخاب مجلس نيابي جديد وعينت موعداً لذلك في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٩ وبنتيجة الانتخاب فاز بالنيابة عن حمص السادة: فيضي الأتاسي، سامي الطيارة، فرحان الجندلي، هاني السباعي، مسلم حداد، راتب الحسامي، عبد الحسيب رسلان واحسان الحصني.

وعمد نواب سورية الجدد الى المباشرة بوضع دستور جديد للبلاد يتلاءم مع نهضتها العمرانية والاجتماعية التي حققتها خلال الفترة الأخيرة، واثناء مناقشة مواد الدستور، اذ ببلاغ يصدره العقيد اديب الشيشكلي معاون رئيس الأركان العامة للجيش السوري يحمل فيه على رجال الانقلاب الثاني ويتهمهم بأنهم لم يحافظوا على استقلال البلاد بل شجعوا فكرة الاتحاد مع التاج الهاشمي. ثم عمد الى اعتقالهم ولكنه لم يتعرض وقتئذٍ للجمعية التأسيسية التي تابعت عملها وانجزت مواد الدستور ثم انقلبت الى مجلس نيابي.

وفي ٥ أيلول ١٩٥٠ جرى انتخاب السيد هاشم الأتاسي لرئاسة الجمهورية الذي عهد وقتئذٍ الى الدكتور ناظم القدسي بتشكيل الوزارة الجديدة.

كارثة الحريق

يوم الثلاثاء في ٢٧ حزيران ١٩٥٠ شب حريق هائل في المستودع العائد لشركة المقاولات والتجارة والكائن في حي المحطة بحمص، ثم سرت النار الى المواد المتفجرة والسوائل الموجودة فيه كالبنزين والمازوت والبترول فأحدثت انفجارات مروعة أدت الى وقوع كارثة اليمة ذهب ضحيتها عدد كبير من الرجال والاطفال الذين تجمعوا حول المكان اثر اندلاع النيران في المستودع؛ كما قتل أيضاً فريق من رجال الاطفاء والجيش والشرطة الذين كانوا يقومون بواجبهم لاخماد النيران. وبلغ عدد القتلى في هذه الكارثة / ٧٧/ قتيلاً والجرحى / ١٨٠ / واهتمت الحكومة لهذه النكبة فبادرت لاسعاف الجرحى ومواساة ذوي القتلى بتوزيع التبرعات المالية عليهم.

وأظهرت جماهير الشعب الحمصي عطفها وحدبها على ذوي الضحايا فانهالت التبرعات السخية على اللجنة المشكلة لتوزيعها على كل من أصابته تلك الكارثة المؤلمة. وكان في طليعة المتبرعين المواطن السيد شكري الشماس صاحب المستودع المذكور الذي بالرغم من خسارته المادية التي أصابته من جراء الحريق فقد أبت عليه مروءته إلّا أن يتبرّع بمبلغ / ١٥٠ / ألف ليرة سورية لأجل توزيعها على ذوي الضحايا مشاركة منه في تخفيف مصابهم.

الانقلاب العسكري الرابع

في ٣ كانون الأول ١٩٥١ قام الزعيم أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري جديد فاعتقل اعضاء الوزارة السورية التي تشكلت برئاسة الدكتور معروف الدواليبي، متهماً المجلس النيابي — وقد كانت غالبيته من حزب الشعب — بعرقلة اعمال الاصلاح. فاستقال رئيس الجمهورية السيد هاشم الأتاسي وعاد الى منزله في حمص. وعين الشيشكلي الزعيم فوزي سلو رئيساً للدولة؛ ثم حل المجلس النيابي وعطل الدستور واتبع ذلك باعلان دستور جديد للبلاد عن طريق استفتاء شعبي مصطنع اجراه لانتخابه رئيساً للجمهورية وغير شكل

الحكومة من حكم وزاري برلماني الى حكم رئاسي يجعل الوزراء مسؤولين عن عملهم امام رئيس الجمهورية فقط وتم ذلك في ٩ تشرين الأول سنة ١٩٥٣.

أما الأحزاب السياسية التي استفاقت من غفوتها بعد أن شعرت بما يبيته قائد الانقلاب من نوايا فقد تنادت الى عقد مؤتمر عام في حمص بتاريخ ٤ تموز ١٩٥٣ خرجوا منه بقرار نص على مقاطعة الانتخابات التي سيجريها في ٩ تشرين الأول ١٩٥٣ وشكلوا جبهة وطنية لمتابعة النضال ضد الحكم الدكتاتوري واقامة حكم جمهوري نيابي صحيح ينبثق عن انتخابات نزيهة حرة وأصدر المجتمعون وقتئذٍ بياناً يحمل تواقيعهم وتأييد الرئيس هاشم الأتاسي وسلطان باشا الاطرش.

اما الانتخابات النيابية التي اجريت في الوقت المحدد لها والتي قاطعتها غالبية ابناء الشعب فقد نجح فيها عن حمص السادة: منيب رسلان، مكرم الجندلي، فيليب فركوح، سامي الطيارة، محمد الدروبي، عبد الكريم الدندشي وانور عبيد.

ولكن الحكم التعسفي لم يستمر طويلاً، اذ وقع انفجار شعبي وعسكري بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٥٤؛ اضطر معه الزعيم الشيشكلي الى الاستقالة ومغادرة البلاد الى لبنان. وأعيد السيد هاشم الأتاسي الى كرسي رئاسة الجمهورية.

واستدعى السيد الأتاسي اعضاء المجلس النيابي السابق الى تحمل مسؤولياتهم الوطنية وكلف السيد صبري العسلي بتأليف وزارة سورية جديدة في ٣ آذار ١٩٥٤.

نواب حمص والوحدة العربية

بتاريخ ٢٤ و٢٥ ايلول من عام ١٩٥٤ جرت الانتخابات النيابية في سورية ونجح من حمص السادة عدنان الأتاسي[١]، هاني السباعي، فيضي الأتاسي، سليمان المعصراني[٢]، فرحان الجندلي، عبد الله فركوح، عبد الحسيب رسلان، مسلم حداد، علي عبد الكريم الدندشي واسبر يازجي.

---

(١) في آذار ١٩٥٧ اتهم السيد عدنان الأتاسي بالخيانة العظمى، وأصدرت المحكمة العسكرية قراراً بادانته ودعيت حمص لانتخاب نائب جديد بدلاً منه فانتخبت المحامي كمال كلاليب في ٥ أيار سنة ١٩٥٧.

(٢) توفي النائب سليمان المعصراني في صيف سنة ١٩٥٥ وأجريت الانتخابات لاشغال مركزه الشاغر فانتخبت حمص للنيابة عنها الاستاذ احمد الحاج يونس بتاريخ ١١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥.

وعقد المجلس النيابي الجديد أول اجتماع له يوم الخميس المصادف ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٥٤.

ولما كانت فترة رئاسة الجمهورية تنتهي في ١٦ آب ١٩٥٥. فقد جرى انتخاب رئيس جديد للجمهورية السورية في الموعد المحدد ففاز فيها السيد شكري القوتلي الذي تسلم منصبه في ١٨ آب من السنة ذاتها.



الرئيس شكري القوتلي

ومنذ ذلك الوقت وقبل ذلك بقليل تبلورت آراء شباب البلاد المثقف ورجال الفكر والوطنية فيها في اتباع سياسة عربية صحيحة ترمي الى التحرر التام من النفوذ الأجنبي ووضع أسس اجتماعية ثابتة ترمي الى رفع شأن العمال والفلاحين.

وبعد سعي دؤوب متواصل تحققت وحدة مصر وسورية فتأسست الجمهورية العربية المتحدة وانتخب رئيساً لها الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٩٥٨ بعد أن استقال السيد شكري القوتلي من رئاسة الجمهورية السورية. مجتزئين فيما يلي أهم أحداث تحقيق هذه الوحدة.

سورية والدفاع المشترك

واستجابة لمطالب الشعب كلف السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية السيد صبري العسلي بتأليف وزارة جديدة في ٢٩ كانون الأول ١٩٥٥ تتجاوب مع آراء القوى التقدمية في البلاد والتي تطالب بالتحرر التام من كل توجيه أجنبي وتتمسك بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز الى أحد المعسكرين الشرقي أو الغربي ومقاومة الاحلاف السياسية والعسكرية وخاصة حلف بغداد، والعمل بجدية على تحقيق الاتحاد مع مصر الثورة والقضاء على الاقطاع ورفع مستوى العامل والفلاح والسير في طريق الاشتراكية التعاونية الديموقراطية.

وأخذت الوزارة السورية الجديدة تعمل ضمن نطاق الاهداف المذكورة اعلاه واتجهت نيتها في اواخر عام ١٩٥٦ الى تحقيق اتحاد فدرالي بين سورية ومصر كمرحلة أولى نحو تحقيق وحدة متكاملة واستطاعت بتاريخ ١١ ايلول ١٩٥٦ أن تحقق الاتحاد العسكري بين الدولتين بموجب اتفاقية الدفاع المشترك.

وكنتيجة لفوز العناصر الوطنية في الانتخابات النيابية التي جرت في الاردن بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٥٦ تشكلت حكومة وطنية متحررة من النفوذ الأجنبي بادرت بدورها الى الانضمام الى معاهدة الدفاع المشترك بين سورية ومصر. وهكذا عقدت في ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ اتفاقية تجمع جيوش الأقطار العربية المشار اليها تحت قيادة واحدة؛ اختير لها المشير عبد الحكيم عامر قائد القوات المصرية.

وفد مجلس الأمة المصري في سورية

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ وصل الى دمشق وفد من اعضاء مجلس الأمة المصري برئاسة السيد انور السادات للاشتراك في جلسة رسمية يعقدها المجلس النيابي السوري.

وعقدت الجلسة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ برئاسة السيد أكرم الحوراني رئيس المجلس النيابي السوري وحضور اعضاء وفد مجلس الأمة المصري. والقى الرئيس السوري كلمة مطولة عن نضال الأمة العربية في شتى امصارها وعن وحدة شعور ابنائها ودعا الى توحيد القطرين المستقلين سورية ومصر حتى يكون في اتحادهما النواة الطيبة الخيّرة للوحدة العربية المنشورة.

ثم كلف رئيس الوفد المصري بادارة الجلسة . وقد القى هذا كلمة مسهبة جاء فيها : انه يحمل الى الشعب العربي في سورية رغبة اخوانهم في وادي النيل في اتمام الوحدة الكاملة بين القطرين .

ووقف على الأثر رئيس الوزراء السوري السيد صبري العسلي ليعلن باسم الحكومة السورية : «انها تلبية للروح الأصيلة الواضحة لدى جميع طبقات الشعب واعتقاداً منها بوجوب استكمال اسباب الاتحاد الاخرى ، لن ترضى بهذه الحدود الضيقة من الاتحاد ؛ بل ترى ان ما تحقق حتى اليوم ليس الاّ الجزء الأقل مما يمليه الواجب الوطني والواقع القومي ؛ ولسوف يعمل هذان الجزءان من الوطن العربي على المضي في طريق الاتحاد الكامل في جميع مرافق الدولتين» .

ثم تلي في المجلس نص القرار التاريخي الذي اتخذته لجنتا الشؤون الخارجية في مجلس النواب المصري والسوري في اجتماعهما المشترك يوم الاحد في ١٧/ ١١/ ١٩٥٧ وهذا نصه :

«استجابة لرغبة الشعب العربي في دنيا العرب ، وتحقيقاً لمبادىء الدستورين المصري والسوري بأن شعبهما انما هو جزء من الأمة العربية ؛ ولما كانت وحدة الاقطار العربية امنية الأمة الغالية ؛ وكان العمل لتحقيق هذا الهدف السامي المقدس واجباً قومياً على كل عربي ، وامانة في عنق نواب الشعب العربي ؛ وكان الاستعمار يقف عقبة كأداء في سبيل تحقيق هذه الوحدة ويعمل جاهداً على ابقاء الأمة العربية مجزأة مشتتة الشمل بما يحيك لها من مؤامرات ويصطنع لها من احداث ليمنع عليها الاتحاد والتحرر . وكانت مصر وسورية الشقيقتان قد كافحتا الاستعمار فانتزعتا استقلالهما ووطدتا سيادتهما وانتهجتا في سياستهما الخارجية نهجاً حيادياً مستقلاً بين القوى المتصارعة ، مستوحى من مصالحهما القومية واهدافهما المشتركة واما نيهما المتبادلة فحققتا نصراً حاسماً في مضمار التحرر بفضل وعي ونضال الشعب العربي الموحد ؛ وكان تحقيق ما تم بين البلدين حتى اليوم ليعتبر بمثابة الحجر الأساسي في اقامة اتحاد عربي بينهما سواء أكان ذلك في الميدان العسكري حيث تحقق توحيد الجيشين وأخذت القوات المصرية والسورية تعمل تحت قيادة موحدة ، وأصبح اتحاد الجيشين المصري والسوري نواة الجيش العربي الموحد ؛ أم كان ذلك في المضمار الثقافي الذي وضعت الدولتان أسسه المكينة المتينة . وكانت المباحثات دائرة بين القطرين لوضع

نظام اقتصادي موجه متكامل وموحد . وهي في طريقها الى الاقرار بعد استكمال وضع أسس هذه السياسة الاقتصادية والعمل على تنفيذها. وكانت الظروف الداخلية والأحداث الخارجية التي تعصف بالعالم العربي تفرض عليه أن يحث الخطا لاقامة هذا الاتحاد حفظاً لكيانه ، وتوطيداً لاستقلاله ، وتثبيتاً لحريته ، وتعزيزاً لكرامته ، وللمساهمة في انتزاع حرية وسيادة واستقلال الشعب العربي الذي ما زال يناضل المستعمرين ، ويكافح الغاصبين ، وللنضال الدائب ضد مؤامرات الصهيونية العالمية التي ما زالت تكيد للشعب العربي وتعمل على تفكيك اواصره وبذر الخلافات بينه وتؤلب عليه قوى العدوان الغاشمة ؛ وبالنظر الى أن هذا الاتحاد سوف يحمي القومية العربية ويقيم جبهة عربية متينة في وجه الاطماع الاستعمارية .

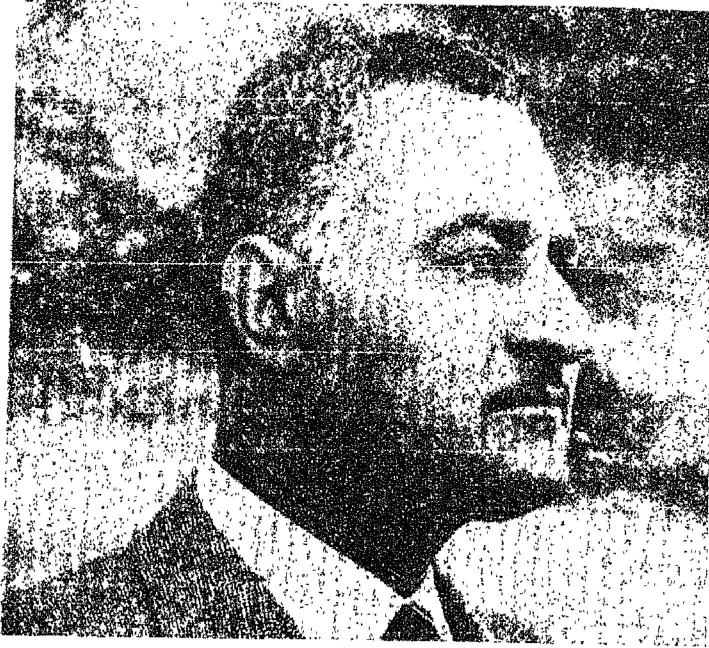
لهذه الأسباب مجتمعة فان اعضاء وفد مجلس الأمة المصري واعضاء لجنة الشؤون الخارجية السورية المجتمعين معاً في دمشق بجلسة مشتركة بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٧٧ و١٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ وبعد اطلاعها على الخطوات والاتفاقات التي عقدت بين القطرين في النواحي الثقافية والعسكرية ، وبعد استعراضهم أسس سياسة القطرين الخارجية يقترحون الاقتراع على القرار التالي :

ان نواب المجلسين اذ يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر وسورية باقامة اتحاد فيدرالي بين القطرين يباركون الخطوات العملية التي اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية في سبيل تحقيق هذا الاتحاد ويدعون حكومتي مصر وسورية للدخول فوراً في مباحثات مشتركة بغية استكمال اسباب تنفيذ هذا الاتحاد» .

الجمهورية العربية المتحدة

تنفيذاً لقرار المجلسين النيابيين السوري والمصري ؛ توجه الى مصر السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية يرافقه السيد صبري العسلي رئيس الوزراء لاعلان قيام الوحدة .

وفي جلسة تاريخية عقدت في قصر القبة بالقاهرة في أول شباط ١٩٥٨ اجتمع الرئيس السوري شكري القوتلي والرئيس المصري جمال عبد الناصر بممثلي جمهوريتي سورية ومصر ؛ وكانت غاية هذا الاجتماع التداول في الاجراءات النهائية لتحقيق ارادة الشعب العربي وتنفيذ ما نص عليه دستور الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة



الرئيس جمال عبد الناصر

العربية ؛ لذلك تذاكروا ما قرره كل من مجلس الأمة المصري ومجلس النواب السوري ، من الموافقة الإجماعية على قيام الوحدة بين البلدين كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ؛ وانتهوا الى أن هذه الوحدة التي هي ثمرة القومية العربية ، هي طريق العرب الى الحرية والسيادة وسبيل من سبل الانسانية للتعاون والسلام ؛ ولذلك فان واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأماني الى حيز التنفيذ في عزم ثابت وأصرار قوي. ولذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وايمانهم الكامل وثقتهم العميقة في وجوب توحيد سورية ومصر في دولة واحدة اسمها : «الجمهورية العربية المتحدة» كما يعلنون اتفاقهم الاجماعي على أن يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية ديموقراطياً رئاسياً يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسؤولين امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد ويكون لهذه الجمهورية علم واحد ، يظلل شعباً واحداً وجيشاً واحداً في وحدة يتساوى فيها أبناؤها في الحقوق والواجبات ... الخ ... (النص الكامل لهذا البيان التاريخي يراجعه من يرغب في كتاب الجمهورية العربية المتحدة لمحمد عطاص ١٥٠ — ١٧٤).

والقى هذا البيان من شرفة قصر رئاسة الجمهورية في القاهرة السيد صبري العسلي
القى الرئيس شكري القوتلي خطاباً تاريخياً تضمن موافقته ومباركته لنص البيان و
الرئيس جمال عبد الناصر بخطاب جامع جاء فيه :

«في هذا اليوم يقرر الشعب العربي في سورية ومصر مشيئته في قيام دولة جديد
دولة عظمى قوية تنبع ارادتها من شعبها ومن ضميرها ... هذه الجمهورية المتحدة ست
سنداً للعرب جميعاً ... ستعادي من يعاديها ، وتسالم من يسالمها ... اننا نشعر اليوم
القومية العربية تتحقق حتماً ... ننظر الى المستقبل فنشعر انه سيكون مليئاً بالعزة والكر
وننظر الى الماضي لنقول : ان الماضي لن يعود أبداً ، ولن يسيطر علينا أجنبي ولا يستبد
مستبد. بل اننا سنتجه الى الأمام نبني ونشيد لنرفع من مستوانا ونزيد من قوتنا حتى
يتكرر ما فات. وسنعمل جميعاً على تثبيت اهداف القومية العربية وأسسها وسنعمل
الوطن العربي ومع الشعب العربي في كل مكان».

الجلستان النيابيتان التاريخيتان

في الساعة الخامسة من بعد ظهر الاربعاء الواقع في السادس من شباط سنة ١٩٥٨
عقد الاجتماع التاريخي في كل من دمشق والقاهرة لمجلسي : النيابي السوري والأمة المصر
في وقت واحد حيث استمع اعضاء المجلسين لبيان الرئيسين جمال عبد الناصر وشكر
القوتلي يعلنان امامهما بصورة رسمية عن مولد الجمهورية العربية المتحدة. وقد اختتم الرئيس
السوري السيد شكري القوتلي بيانه بالفقرة التاريخية التالية :

«انني اذ أسلم الامانة الغالية ، طيب النفس ، قرير العين ، واثقاً مطمئناً ، أرشح لرئاسة
الجمهورية العربية المتحدة امام مجلسكم الكريم في هذه الجلسة القومية التاريخية ، الرجل
المؤمن والقائد العربي الملهم الرئيس جمال عبد الناصر ، وسأكون غداً في يوم الاستفتاء يو
الواحد والعشرين من شهر شباط ١٩٥٨ أول من يقوم بواجبه كمواطن لانتخاب الرئيس
القائد الذي وضع ثورة مصر في خدمة القومية العربية ، كما وضع نفسه في خدمة ام
ليعمل في سبيل حريتها ومجدها ورخائها».

يوم الاستفتاء

يوم الجمعة في ٢١ شباط ١٩٥٨ كان موعد الشعب العربي في سورية ومصر للاشترا

باستفتاء حول قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب رئيس لها وبنتيجة الاستفتاء الذي بلغت الموافقة فيه بنسبة ٩٥٪ من مجموع المقترعين وفاز الرئيس عبد الناصر برئاسة الجمهورية دون أن يكون له أي منافس. وعلى أثر ظهور النتيجة عمت الافراح القطرين الشقيقين وانطلقت المظاهرات التأييدية وأقيمت الزينات في كل مكان.

وتشكلت الوزارة الوحدوية الأولى بقرار من الرئيس جمال عبد الناصر فتعين لنيابة رئيس الجمهورية السادة: المشير عبد الحكيم عامر، أكرم الحوراني وعبد اللطيف البغدادي وصبري العسلي وتعين لرئاسة المجلس التنفيذي السوري المهندس نور الدين كحاله (حمص) ودخل الوزارة أيضاً مواطننا الأستاذ احمد الحاج يونس كوزير للزراعة وعين الفريق جمال الفيصل (حمص) قائداً للجيش الأول.

عبد الناصر وتيتو في حمص

بعد اعلان الوحدة بين سورية ومصر جاء الرئيس عبد الناصر الى دمشق وهناك قرر مشاركة الشعب السوري ابتهاجه باعلان الوحدة على ان يزور المدن السورية الكبرى بعد أن أمضى في دمشق يومين كاملين. ووصل سيادته الى حمص يوم الاربعاء الواقع في ٢٥ شباط ١٩٥٨ وكان برفقته الرئيس اليوغوسلافي الماريشال تيتو وقرينته والامير البدر ولي عهد اليمن.

وكان الأهالي قد اعدوا لسيادته استقبالاً منقطع النظير وتعالت الهتافات بحياته وحياة الوحدة وأخذت الاصوات تتعالى طالبة من القائد القاء كلمة فيهم. ولبى الرئيس الطلب فأطل من شرفة دار الحكومة والقى في عشرات الألوف المحتشدة كلمة وطنية رائعة وتلاه الضيف الكبير الماريشال تيتو فالقى كلمة باللغة اليوغوسلافية ترجمت فوراً الى اللغة العربية عبر فيها عن شكره للحفاوة البالغة التي أبداها ابناء مدينة حمص نحوه ونحو زوجته وبلاده الصديقة.

بعدئذٍ انتقل الرئيس وضيوفه الى نادي الشرق حيث تناولوا طعام الغذاء ثم تفقد الأعمال الجارية في مصفاة البترول ومنها انتقل لمشاهدة معمل السكر. وفي المساء غادر سيادته مع مرافقيه المدينة متوجهاً الى حماه.

ويوم الأحد الواقع في ٢١ شباط ١٩٦٠ زار الرئيس عبد الناصر مدينة حمص للمرة

الثانية وجرى له فيها استقبال حافل رائع . وبعد أن نال قسطاً من الراحة غادرها الى دمشق مودعاً من قبل الألوف المحتشدة في باحة السراي بالاهازيج والهتافات.

امير قطر في حمص

في الساعة العاشرة من قبل ظهر يوم الجمعة في ١٣ أيار ١٩٦٠ وصل الى حمص سمو الأمير الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر في زيارة رسمية. وكان في استقباله خارج المدينة المحافظ الاستاذ مصطفى رام حمداني والعميد اركان حرب حكمت الداية قائد المنطقة الوسطى والاستاذ عبد المجيد الطرابلسي نائب رئيس الاتحاد القومي ولفيف من رؤساء دوائر الدولة ، وبعد مصافحة الامير لمستقبليه والتحدث اليهم توجه معهم الى نادي الضباط حيث أقيمت على شرفه مأدبة غداء عامرة. وبعد ظهر ذلك اليوم ودع الامير القطري مستقبليه شاكراً ثم توجه الى مدينة تدمر لمشاهدة معالمها الاثرية الخالدة.

البانديت نهرو

بعد أن زار رئيس الوزارة الهندية البانديت جواهر لال نهرو دمشق وحلب ؛ ابدى رغبته في مشاهدة بلدة تدمر وآثارها ؛ ولهذا فانه في صباح يوم الجمعة المصادف ٢٧ أيار سنة ١٩٦٠ حطت طائرة الضيف الكبير الذي هو أحد اعمدة السلام والحياد الايجابي في العالم — في مطار تدمر العسكري وكان برفقته وزير الاقتصاد والتربية التنفيذيين واللواء محمد الجراح الامين العام المساعد للشرطة والأمن.

وفي المطار استقبل الضيف الكبير كل من محافظ حمص الاستاذ مصطفى رام حمداني والعميد قائد المنطقة الوسطى والعقيد قائد شرطة المحافظة والنقيب قائد منطقة تدمر ورئيس شعبة الدعاية والأنباء واعضاء الاتحاد القومي. وصافحهم البانديت نهرو فرداً فرداً بعد أن قدمت اليه احدى طالبات مدرسة الشهيد اسعد العمير باقة من الورود وأطلقت رفيقاتها حمامات السلام البيضاء أمامه. وبعد أن عزفت موسيقى الجيش النشيدين الهندي والعربي ، توجه الموكب بالسيارات الى الأماكن الاثرية لتفقدها وفي داخل المدرج الاثري قدمت الطالبات امام الضيف ومرافقيه رقصة السماح. وكانت موسيقى فوج المضرية الكشفي الحمصي تعزف الأناشيد القومية الجميلة. وبعد أن تجول الضيف الكبير بين الآثار مبدياً اعجابه الشديد بمن شيدها وبناها انتقل الى فندق زنوبيا مع مرافقيه حيث تناول طعام

الغذاء بدعوة من الحكومة العربية. وهناك استفسر عن بعض الانماط التاريخية المتعلقة بحياة أذينة وزنوبيا العربيين فقدم له الشرح الوافي عنهما. وفي الساعة الواحدة والنصف عاد الى المطار فاستقل الطائرة مع مرافقيه متوجهاً الى دمشق ومودعاً بالحفاوة والاكرام.

اعضاء مجلس الأمة الحمصيين

في ١٨ تموز ١٩٦٠ صدر عن الرئيس جمال عبد الناصر قراراً عين بموجبه اعضاء مجلس الأمة المنبثق عن الاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة وكان نواب حمص في المجلس المذكور السادة: راتب الحسامي (الذي انتخب وكيلاً لرئيس مجلس الأمة) المهندس لطفي الخاص، الاستاذ ابو النور طياره، المحامي عبد المجيد طرابلسي، الدكتور فيليب كبا، الدكتور اسحق شهلا، المهندس مسلم حداد، المحامي اسعد سعد الدين، المحامي جهاد الضاحي، الدكتور شوقي الاتاسي، المحامي طيب الخوجه، المحامي منيب رسلان، السيد بدر الدين العبد الله، السيد مصطفى الاحمد الدندشي، السيد حسين الشليل، الشيخ تامر طراد الملحم، الشيخ راكان المرشد، الاستاذ علي حسن الضحية والسيد محمد شعلان حمدان.

عبد الناصر يزور حمص للمرة الثالثة

في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الأحد في ١٦ تشرين الأول ١٩٦٠ وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى بلدة الرستن قادماً من مدينة حماه حيث كان في استقباله جمهور كبير من الأهلين يتقدمهم محافظ المدينة وقائد المنطقة الوسطى. وبعد أن تفقد سيادته الأعمال الجارية في سد الرستن واستمع الى طلبات سكان المنطقة، تابع ومرافقوه المسير حتى وصلوا الى مشارف مدينة حمص في الساعة الرابعة حيث كانت الجماهير الغفيرة من أهالي حمص تنتظره. وأخذ الموكب منذئذٍ يشق طريقه بصعوبة بالغة نظراً لكثافة وضخامة اعداد المستقبلين الهازجين حتى وصل الى دار الحكومة بعد ساعة ونصف وهناك استقبل رجال الدين والوزراء السابقين والنواب والقضاة وممثلي الاتحاد القومي والنقابات.

وفي المساء تناول سيادته طعام العشاء على مائدة الفريق جمال الفيصل قائد الجيش الأول.

كما أمضى سيادته ليلته في منزل محافظ المدينة وفي الصباح الباكر غادر عبد الناصر حمص بطريق الجو متوجهاً الى دمشق.

مكتشفات أثرية

اثناء الحفريات التي جرت في مقبرة بني السباعي المحاذية لمسجد خالد بن الوليد والتي تمت بقصد تجميل المدينة والمسجد المذكور، عثر على مكتشفات اثرية هامة يرجع عهدها الى القرن الميلادي الأول وهي: تمثال لفينوس من المرمر الصافي؛ تمثال زجاجي لشخصية بيزنطية؛ اميال عاجية للكحل؛ تفاخات زجاجية دقيقة الصنع ذات اشكال مخروطية وكروية وبيضوية؛ قاطعة ورق على شكل مدية من عاج الفيل عليها نقوش دقيقة جميلة؛ ست علب عاجية اسطوانية الشكل مع ادوات زينة للنساء؛ اساور مختلفة من الزجاج؛ قرط ذهبي عادي؛ قرط ذهبي كالسلسال؛ ورقة ذهبية دقيقة الصنع؛ خاتم زجاجي عليه حروف ونقوش بيزنطية. كمية من الاقراط الذهبية ذات اقراص في وسطها اسطوانة من العاج ضمنها عروة وبداخلها تعويذة مسجلة على رق غزال؛ كمية كبيرة من قطع النقود الرومانية؛ أوان فخارية الأحجام والأشكال.



جامع خالد بن الوليد.. من أروع الآثار الاسلامية الباقية ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من حمص.

وحملت بعثة مديرية الآثار معها الى دمشق هذه المكتشفات لمعالجتها وتنظيفها واستجلاء الدراسات التاريخية عنها على أن تعيدها الى متحف حمص الذي تقرر اقامته بالقرب من باحة مسجد خالد بن الوليد في اواسط عام ١٩٦٢.

وفي مغارة أخرى من المقبرة ذاتها اكتشفت آثار عظيمة جداً وتماثيل رائعة ودهانات تبدو وكأنها جديدة جداً يعود تاريخها الى ما قبل التاريخ الميلادي ؛ كما عثر على باب تلك المغارة لرسم لملكة باهرة الجمال يزين رأسها تاج جميل الشكل، وقد دهنت الجدران الداخلية والخارجية لتلك المغارة بدهانات زيتية وبألوان متعددة.

رئيس الجمهورية السورية في حمص

يوم الخميس في ٢ آب ١٩٦٢ زار رئيس الجمهورية السورية الدكتور ناظم القدسي، مدينة حمص، يرافقه عدد من الوزراء وقائد الجيش اللواء زهر الدين واستقبله في بلدة حسياء محافظ المدينة وقائد المنطقة الوسطى. وأقيمت على شرفه في مقصف ديك الجن في الميماس، حفلة غذاء حضرها ما يربو على/ ٥٠٠/ مدعو من ابناء المدينة. وفي الساعة الخامسة مساءً انتقل الى الكلية العسكرية حيث احتفل بتخريج فوج جديد من الضباط السوريين واطلق على تلك الدورة اسم «دورة الجزائر».

وصباح اليوم التالي زار الرئيس القدسي وصحبه مصفاة البترول في ضاحية حمص الغربية وعند الظهر أدى الصلاة في مسجد الصحابي خالد بن الوليد ثم غادر المدينة متوجهاً مع مرافقيه الى حماه فحلب.

الأحداث السياسية

في ٢٨ ايلول سنة ١٩٦١ استمع الناس بدهشة وذهول الى اذاعة دمشق تقول بلسان احد المذيعين: ان الجيش قام بانقلاب سلمي غايته تصحيح الاوضاع في الإقليم السوري؛ ثم أخذ يتلو بيانات تحمل ارقاماً متسلسلة، تتضمن تهديداً مبطناً للفئات الوحدوية؛ وما لبث المذيع عند الظهيرة أن اعلن في بلاغه العاشر: ان الغاية من هذا الانقلاب هي اعادة استقلال سورية وفصلها عن الوحدة مع مصر.

وعلم بعدئذٍ أن الذين قاموا بهذا العمل هم: المقدم حيدر الكزبري، العقيد موفق عصاصة والعقيد عبد الكريم النحلاوي.

واستدعى الانقلابيون الدكتور مأمون الكزبري وكلفوه بتأليف وزارة سورية جديدة وعينوا لقيادة الجيش اللواء عبد الكريم زهر الدين ولرئاسة الأركان اللواء نامق كمال.

وعمدت الوزارة السورية الجديدة الى اجراء انتخابات نيابية على أسس الدستور السوري المقرر في عام ١٩٤٨ فنجح عن حمص وأقضيتها السادة: راتب الحسامي، فيضي الاتاسي، طيب الخوجه، محمد علي مشعل، سامي الطيارة، عبد الله فركوح، هاني السباعي، مسلم حداد، فرحان الجندلي، سعيد تلاوي، منيب رسلان، احمد الضحية، احمد الفياض، خليل دعاس الجرجس، عبد الكريم دباح الدندشي ومنصور توفيق الحسن.

وفور اجتماع المجلس النيابي المذكور جرى انتخاب رئيس للجمهورية العربية السورية ففاز بها الدكتور ناظم القدسي الذي كلف الدكتور معروف الدواليبي بتشكيل الوزارة في مطلع ١٩٦٢.

وسارت احوال البلاد في الاقتصادية نحو الانهيار شيئاً فشيئاً. ولما كان الشعب العربي في سورية وهو المؤمن بحتمية الوحدة وبضرورة التمسك بأهدابها أخذ يستفيق من هول اللطمة التي جاءته على أيدي نفر من الانتهازيين والوصوليين فقد أبدى تذمره وتبرمه ثم رفع صوته عالياً وقوياً مطالباً بتصحيح الاوضاع والعودة بالبلاد الى وحدة عربية مدروسة يتجنب معها الاخطاء التي حدثت في الماضي.

وتظاهر من بيدهم الامر من المسؤولين بأنهم سيلبون رغبة الشعب لذلك قاموا بانقلاب عسكري على السلطة الادارية الحاكمة في ٢٨ آذار ١٩٦٢ واعتقلوا رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة وحلوا المجلس النيابي واعلنوا أنهم سيشكلون وزارة تسعى لاعادة روابط الوحدة العربية الى ما كانت عليه بأسس مدروسة، واجراء انتخابات نيابية حرة نزيهة في القريب العاجل.

وتحقيقاً لذلك، أطلق سراح رئيس الجمهورية وأعيد الى منصبه وأنيط به تعيين مجلس وزاري جديد، فكلف هذا السيد احمد بشير العظمة برئاسة الوزارة الجديدة التي اشترك فيها الدكتور عبد الله عبد الدايم — الحمصي النشأة — كوزير للاعلام.

بدأت هذه الوزارة عملها باذاعة بيان، تعلن فيه انها ستسعى جاهدة لتحقيق رغبات الأمة في الوحدة والحرية والاشتراكية. ولكن ما أن مضى شهر من الزمن على تشكيل هذه

الحكومة حتى بدا جلياً للعيان أن غالبية اعضائها غير راغبة في اعادة الوحدة بل انها تتمسك بديمومة الانفصال. وعندئذٍ لم يجد الدكتور عبد الدايم أمامه مفراً من الاستقالة من تلك الوزارة التي لم يقبل الاشتراك فيها الا على أساس تحقيق الوحدة المدروسة واذاع ذلك في بيان وزعه على الصحف المحلية والعالمية.

وتابعت الوزارة المشار اليها مسيرها في الطريق الملتوي، كما عاد الشعب الى ثورته وغضبه، وكان لا بد لدهاقنة السياسة من الهائه بتغيير الشكل فاستعيض من وزارة العظمة بوزارة اخرى ترأسها السيد خالد العظم، لم تكن في الحقيقة اصلح من سابقتها.

وبقي الشعب العربي السوري في واد والحكومة في واد آخر، حتى قامت ثورة الرابع عشر من رمضان ١٩٦٣ في العراق فأطاحت بحكم عبد الكريم قاسم وأناطت رئاسة الجمهورية العراقية بالسيد عبد السلام عارف ورئاسة الحكومة باللواء أحمد حسن البكر. وكانت تلك الحركة بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي.

وهنا قرر الشعب العربي في سورية أن يضرب الرجعية والانتهازية الضربة القاضية فتآلفت قلوب الفئات والاحزاب الوحدوية والتقدمية على العمل المشترك لتحقيق الهدف الأسمى لمبادئها. واستجاب الجيش السوري لتلك الرغبة المقدسة فزحفت قطعات منه في ٨ آذار ١٩٦٣ بقيادة اللواء زياد الحريري الى دمشق وأطاحت بالحكم الرجعي الفاسد وأطلقت سراح جميع المعتقلين السياسيين والعسكريين؛ وشكلت مجلساً لقيادة الثورة ترأسه مواطننا الفريق لؤي سامي الأتاسي الذي أصدر قراراً بتكليف الوزارة الوحدوية الأولى التي شكلها الأستاذ صلاح الدين البيطار واشترك فيها من حمص الدكتور سامي الدروبي كوزير للتربية والدكتور جمال الأتاسي كوزير للاعلام والاستاذ جهاد الضاحي كوزير للمواصلات.

ما أن أذيع نبأ تشكيل الوزارة الجديدة حتى انهالت عليها وعلى قيادة المجلس الوطني للثورة عشرات الألوف من البرقيات التي تحمل التهاني والتأييد من كافة ارجاء الوطن العربي، كما تلقت اعتراف الدول العربية والأجنبية ومنها برقية السيد علي صبري، رئيس المجلس التنفيذي في الجمهورية العربية المتحدة وأخرى من المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية وثالثة من المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية؛ كما تلقت بعدئذٍ برقية من الرئيس جمال عبد الناصر يعترف فيها بالحكم الجديد.

بعد اسبوع فقط ، توجه الى القاهرة وفد سوري للمفاوضة بشأن اقامة وحدة اتحادية ثلاثية بين مصر وسورية والعراق فأقرت الفكرة مبدئياً ، ثم توجه بعدئذٍ الى القاهرة وفد سوري آخر لاستكمال دراسة المشروع الوحدوي الثلاثي ، وقد تم الاتفاق آنئذٍ على توقيع ميثاق اطلق عليه اسم ميثاق ١٧ نيسان الذي كان من أهم نصوصه :

١ — أن تقوم دولة اتحادية باسم الجمهورية العربية المتحدة على أساس الاتحاد الحر بين كل من مصر وسورية والعراق ، وتكون أسماء الأعضاء بالدولة الاتحادية : القطر المصري ، القطر السوري والقطر العراقي .

٢ — ان يكون لكل جمهورية عربيه مستقلة تؤمن بمبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة حق في أن تنضم الى هذه الدولة بارادة شعبية حرة .

وقد أعلن نص الميثاق في وقت واحد في كل من القاهرة ودمشق وبغداد حيث جرت في كل مدن الاقطار المذكورة المظاهرات الضخمة وهي تهتف بأصوات جماهيرها للوحدة العربية والحرية والاشتراكية .

وفي ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٧٠ قام الفريق حافظ الأسد بحركته التصحيحية وفي عام ١٩٧٢ أجري الانتخاب لرئاسة الجمهورية العربية السورية ففاز بها الفريق حافظ الأسد .

ثم أنه في عام ١٩٧٨ جرى في سورية اعادة انتخاب الفريق الأسد لرئاسة الجمهورية العربية السورية باجماع حزبي وشعبي...



قاعة شرقية في حمص يعود بناؤها الى عام ١٨٢٩م

الفصل التاسع والعشرون

النهضة العلمية والثقافية في مدينة حمص
خلال القرن العشرين

سبق وذكرنا أن حمص سارت بخطوات واسعة في مضمار العلم والثقافة خلال القرن التاسع عشر ، اذ أنشأت عدداً من المدارس الابتدائية والتكميلية فاقت بعددها غالبية المدن السورية بالنسبة الى عدد سكانها . ومنذ مطلع القرن العشرين اخذت المدارس الثانوية تظهر في ارجائها مما يجبرنا على ذكر أهمها في هذه العجالة وهي من المدارس الخاصة :

١ — مدرسة البنات الارثوذكسية

لما كان البناء الذي اعد كمدرسة للبنات أصبح بحالة لا يصح استعماله للدراسة ؛ لذلك عمد مطران الطائفة الارثوذكسية اثناسيوس عطاالله الى استثارة حمية الأهلين وكرمهم لايجاد بناء جديد يليق بتعليم فتيات المدينة وتثقيفهن ، يكون مستوفياً كل الوسائل الايضاحية والصحية ، ولبى الشعب نداءه ولم ينتهِ عام ١٩٠٢ حتى كان البناء قد انجز وجاء آية في حسن الهندسة والاتقان وأخذت البنات من مختلف طوائف المدينة تتهافتن على تلقي العلوم في هذا المعهد الراقي ؛ وقد أسهم في تكاليف البناء أيضاً الجمعية الفلسطينية التي تبرعت بمبلغ /٨٠٠/ ليرة ذهبية لإنجاز بناء هذا المشروع التربوي الجليل .

٢ — الكلية الوطنية الانجيلية

لما تسلم العالم الجليل المرحوم حنا خباز ادارة المدارس الانجيلية الاميركية في مدينة حمص ، شعر أنه من المتوجب عليه كمواطن حمصي مثقف ان ينهض بمستوى التعليم في تلك المدارس وذلك عن طريق بناء مدرسة فخمة تستوعب الاعداد الكبيرة من الطلاب الراغبين في تلقي العلوم العالية . ولكي يحقق هذه الامنية بدأ جولة في ارجاء الوطن السوري ثم انتقل الى الديار المصرية يستمد المساعدات المادية من الحمصيين المقيمين هناك . ولبى المواطنون المغتربون نداءه نظراً لمكانته الثقافية والاجتماعية . وتمكن بتلك المساعدات ومؤازرة اللجنة المؤلفة من السادة : سليم ختن ، رشيد غراب وحافظ عبود فارس سنة ١٩٠٦ من شراء ارض واسعة في محلة باب السباع . ولم يمر عام ١٩٠٨ الا وكان بناء الكلية الجميل قد

انتصب شامخاً في تلك البقعة وقد احتشد فيه مئات الطلاب من سوريين ولبنانيين وعراقيين ينتسبون الى فرعها الداخلي ويتلقون العلوم الثانوية التي تؤهلهم للانتساب الى مختلف جامعات العالم.

٣ـ الكلية الارثوذكسية (الغسانية)

قال العلامة حنا خباز اثر انجازه بناء الكلية الانجيلية الوطنية في اجتماع ضم رهطاً من شخصيات المدينة المثقفة: «لقد بنيت في بلدي حمص كليتين» فقيل له وكيف ذلك؟ فأجاب: ان الطائفة الارثوذكسية الكريمة، لا بد لها وهي التي تجمع بين ابنائها العديد من المتعلمين والمثقفين أن تقوم ببناء كلية اخرى وفي وقت قريب جداً». وبالفعل فقد صحت توقعاته، اذ أن المطران عطاالله بادر فوراً الى تشكيل لجنة أوكل اليها دراسة مشروع بناء مدرسة كبرى للتعليم العالي، يستغني معها ابناء الطائفة من تلقي علومهم في المدارس الاجنبية الراقية. وتمكنت تلك اللجنة بعد أن شحذت همم المواطنين واستندت الأكف طيلة سنتين من انجاز بناء الكلية الفخم الحسن الهندسة في اواخر عام ١٩٠٩ وقد بلغت نفقات البناء وتجهيزاته العلمية/ ٥٠٠٠/ ليرة ذهبية. وبوشر التدريس في الكلية المذكورة مع مطلع عام ١٩١٠.

وفي ليل ٢ شباط ١٩٣٣ شب حريق هائل في بناء الكلية أتى على كل ما احتوته من اموال وثياب ومكتبة ومختبر وتجهيزات رياضية وكشفية؛ ونجا الأساتذة والطلاب الداخليون بفضل العناية الالهية وبطولة احد تلامذتها الشماس الياس معوض (البطريرك الأرثوذكسي الراحل) الذي تمكن من خلع أحد القضبان الحديدية لنافذة غرفة النوم الكبرى التي منها تدلى الأساتذة والطلاب الى الباحة الخارجية للمدرسة.

ولم تتوقف الكلية عن التدريس الا بضعة أيام اذ عمدت لجنة المدارس الى نقل الطلاب الى مدرسة الاناث حيث اتموا سنتهم الدراسية ثم عادوا الى كليتهم في العام الدراسي التالي بعد أن أعيد ترميم بناء الكلية بفضل التبرعات السخية التي ارسلها المغتربون الحمصيون وعلى رأسهم المرحوم راغب كتيلون.

الحركة الكشفية في حمص

اشتركت الفرق الكشفية في حمص في كل النشاطات الرياضية والأخلاقية والوطنية

التي كانت قد بدأت تظهر الى عالم الوجود خلال الثورة السورية الكبرى ؛ ولكن ذلك كان يتم بصورة متواضعة جداً. ولكن ما أن نجح الوطنيون في الانتخابات النيابية السورية سنة ١٩٤٣ حتى نشطت الحركة الكشفية نشاطاً مرموقاً وملحوظاً ، اذ أسهم الكشافون في حمص اسهاماً رائعاً في جميع الحركات النضالية والوطنية ضد المستعمرين الفرنسيين. وما أن دخل عام ١٩٤٤ التاريخ حتى كانت الافواج الكشفية في حمص قد اتحدت جميعها في بوتقة : «كشاف سورية».

وكانت افواج كشافة حمص تحت قيادة المفوض الكشفي الاستاذ منيب رسلان ، وبلغ تعداد الكشافين العاملين في الافواج الأهلية الخاصة أكثر من الفي كشاف هم من خيرة الشبان الوطنيين علماً وثقافة ووطنية.

أما أشهر الافواج الكشفية وقتئذٍ فهي : فوج العاصي ويقوده الأستاذ عبد المتعال الحسامي ؛ فوج المضرية ويقوده السيد حامد السباعي ويساعده السيد حلمي أتماز السباعي ، فوج الغسانية ويقوده الاستاذ منير الخوري ويساعده السيد بيترو عبود ؛ فوج الفاروق ويقوده الاستاذ محمد الجندلي ويساعده الاستاذ ابو النور طياره ؛ فوج الفتوة ويقوده السيد جمعة الأتاسي ويساعده الاستاذ ساطع حسني الأتاسي ؛ فوج الهلال ويقوده السيد عفيف غراب — ثم السيد رودريك انبوبا ويساعدهما الأستاذ فهمي القاعي وفوج السريانية ويقوده السيد اميل قره ويساعده السيد وجيه كريدي.

وبمناسبة شفاء رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي من مرضه ، فقد دعت وزارة المعارف السورية — التربية — الافواج الكشفية السورية للقيام باستعراض كشفي كبير يقام في دمشق يوم الجمعة الواقع في ٢٣ حزيران سنة ١٩٤٤ ويحضره رئيس الجمهورية ورئيسا مجلسي النواب والوزراء والسفراء والوزراء والنواب يدلل على مدى ما يعلقه المواطنون على ابنائهم في حسن تنظيمهم وانضباطهم.

ولبت مفوضية حمص الدعوة ووجهت الى دمشق على متن قطار خاص نخبة من كشافي المدينة ناف عددهم على الستمائة كشاف بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٤٤.

وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة المذكور آنفاً جرى الاستعراض الكشفي الكبير في شارع بيروت — بدمشق امام المنصة الكبرى التي جلس عليها فخامة رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي ورئيس مجلس النواب فارس الخوري ورئيس مجلس الوزراء سعد الله الجابري والوزراء والسفراء من ممثلي الدول العربية والأجنبية والنواب.

ولفتت الافواج الكشفية الحمصية الانظار بنظامها الرائع وتكاتف قطعاتها وافرادها ولاسيما فوج الغسانية الذي نال المرتبة الثانية بين سائر الافواج السورية الكشفية المشتركة في ذلك الاستعراض مما استحق عليه علمه وسام الزنبقة الذهبية الذي علقه عليه بيده المفوض الكشفي الاستاذ منيب رسلان بحضور محافظ حمص الأستاذ فؤاد الحلبي في حفلة شيقة أقيمت في النادي الارثوذكسي بحمص بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٤٤.

ومنذ ذلك التاريخ والحركة الكشفية تتابع تقدمها وازدهارها الى جانب مثيلتها في النشاط العسكري وزميلتها — الفتوة — في مدينة حمص

دار الكتب الوطنية

وكان لا بد لشباب حمص المثقف بعد أن نالت سورية استقلالها، من التفكير جدياً بايجاد ملتقى للمثقفين والأدباء والعلماء وذلك يكون في بناء دار تضم مكتبة وطنية عامة تسد حاجات شباب المدينة المتعطش لارتشاف كؤوس الثقافة والعلم لأنهم بمواردهم المادية الضئيلة المحدودة لا يستطيعون شراء الكتب الثمينة والمراجع القيمة للاستفادة مما تضمه بين جوانبها من كنوز علمية وأدبية وتاريخية واقتصادية.

ولذلك عقدوا عدة اجتماعات خرجوا منها اخيراً بضرورة عرض الفكرة على رئاسة بلدية حمص ومجلسها وتحقيقها بأسرع وقت ممكن.

ولما عرضت الفكرة على المجلس البلدي عام ١٩٤٥ وافق عليها بالاجماع ثم بادر الى تخصيص المال اللازم لانشاء بناء خاص فوق بناية المرآب التابع لها كما كلف مهندس البلدية بوضع التصميم الكامل للبناء بشرط أن تكون مواصفاته قريبة الشبه من أبنية دور الكتب العالمية.

وقام مهندس البلدية بما كلف به ثم عرض المخطط التنظيمي للدار على المجلس البلدي فأجرى عليه بعض التعديلات الطفيفة وبوشر بعدئذٍ باعمال البناء.

ومع بزوغ شمس أول نيسان سنة ١٩٤٧ كانت بناية دار الكتب الوطنية الجميلة قد اكتملت وشابهت الى حد بعيد — وبشكل مصغر — لدار الكتب الوطنية في لندن.

ولما كان امر ادارة دار الكتب الوطنية وتنظيم كتبها ووثائقها بحاجة الى أخصائيين في علم المكتبات فقد أصدر المحافظ — رئيس البلدية — قراراً بتعيين الاستاذ راتب الاتاسي اميناً

للدار والاخصائي في فن المكتبات الاستاذ منير الخوري اميناً مساعداً له يكون مسؤولاً عن تنظيم المكتبة وفهرست كتبها وفق احدث الطرق العالمية ؛ وأصدر المحافظ أيضاً عدة قرارات بتعيين الكتاب والمناولين والملاحظ لانجاز الاعمال واستقبال المطالعين.

وبتاريخ ١٥ أيار سنة ١٩٤٧ فتحت الدار ابوابها لاستقبال المطالعين وأخذت وفود الاساتذة والطلاب والمثقفين والعمال من نساء ورجال يأمونها للمطالعة حيث كانوا يقابلون بالترحاب والارشاد.

ولم يمضِ على تأسيس الدار سوى بضع سنوات حتى كانت مكتبتها تذخر بنفائس الكتب والموسوعات والمراجع بفضل اللجنة التي كانت تشرف على انتقاء الكتب وشرائها من مكتبات سوريا ولبنان والمؤلفة من الاساتذة نصوح الاخرس ورفيق فاخوري ومنير الخوري. وأصبحت دار الكتب الوطنية في حمص تعتبر احدى أوائل الدور السورية تنظيماً وحسن ادارة وقد ناف عدد مجلداتها خلال عام ١٩٥٧ على/ ٢٠ / الف مجلد علاوة على المجلات الأدبية والعلمية والصحف العربية المختلفة المصادر— وهذه المراجع والمجلات تشمل اللغات العربية والفرنسية والانكليزية. وبلغ عدد رواد الدار من مطالعين ومطالعات خلال عام ١٩٥٧ / ما يقارب الـ/ ٥٠ / الف مطالع ومطالعة.

وفي عام ١٩٥٨ تحولت دار الكتب الوطنية الى المركز الثقافي العربي والحقت بوزارة الثقافة والارشاد السورية وقد نقلت موجوداتها الى مقر جديد أعد لها في حي المحطة منذ عدة أعوام. وهي ما برحت حتى الآن تقوم بواجبها التثقيفي والتربوي بنشاط ملحوظ

دار المعلمين الريفية

مع مطلع العام الدراسي لعام ١٩٦٠ / ١٩٦١ افتتح الاستاذ عبد العزيز عثمان مدير التربية والتعليم في حمص دار المعلمين الريفية التي تعتبر اضخم مدرسة من نوعها في الشرق الأوسط ؛ اذ أقيمت على مساحة / ٣٧٨ / دونماً من الأرض. وأبنيتها تتألف من بناء خاص للتدريس ، وعشرة أبنية للمهاجع ، وعشرة اخرى للدواجن والألبان ، ومنحلة ومستشفى وبناء خاص للمدرسين.

وتتسع المدرسة لـ / ٣٢٠ / طالباً داخلياً. وبلغت تكاليف البناء حوالي مليوني ليرة سورية وتكاليف التجهيزات مائة ألف ليرة سورية.

ولدى افتتاح المدرسة داوم فيها/ ٢٦٠ / طالباً. ولم تتم حفلة تدشين المدرسة رسمياً الا في شهر شباط سنة ١٩٦١ خلال اعياد الوحدة بعد أن تم انجاز كل الابنية الفرعية فيها.

الصحافة في حمص

عندما يتحدث المرء المنصف عن الصحافة في حمص وما عانته من ضغط واضطهاد خلال عهود الاستعمار الاجنبي والداخلي ؛ لا بد له أن يحني الهام احتراماً وتقديراً لأولئك الصحفيين الافذاذ الذين اسهموا الى حد بعيد في نشر العلوم والمعارف والثقافة في صفوف المواطنين، ونقل مختلف الآراء والافكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى جميع ابناء الشعب، الأمر الذي يوجب علينا وعلى أقل تقدير أن نقدم لمطالعي هذا الكتاب جدولاً يتضمن اسماء تلك الصحف والمجلات وتاريخ صدورها واسماء مؤسسيها.

جريدة «حمص»	١٩٠٩	الطائفة الأرثوذكسية
جريدة «صدى سوريا»	١٩٢٠	نسيب شاهين
جريدة «الشرق»	١٩٢٣	أديب الساعاتي
مجلة «البحث»	١٩٣٠	رفيق فاخوري، نبيه سلامهومحيي الدين الدرويش
جريدة «الضحى»	١٩٤٤	سليمان المعصراني
مجلة «الهدى»	١٩٤٦	قاسم شاغوري
جريدة «السوري الجديد»	١٩٤٨	فيضي الأتاسي وتوفيق الشامي
جريدة «الفجر»	١٩٥١	احمد نورس السواح
جريدة «القافلة»	١٩٥٣	احمد الحاج يونس
جريدة «العروبة»	١٩٥٧	محمد الازهري
جريدة «الخمائل»	١٩٦٢	محيي الدين الدرويش
جريدة «صوت البلد»	١٩٦٣	حسن الشامي
جريدة «الثورة»	١٩٦	خزب البعث السوري.

النهضة الاقتصادية والعمرانية

خلال القرن العشرين

وكما تمكنت حمص بفترة وجيزة من استعادة مكانتها العلمية فقد شقت طريقها أيضاً في النواحي الاقتصادية والعمرانية ، نظراً لما يتمتع به سكانها من ثقافة وحسن تقدير للأمور وتحسس بكل ما يجري في العالم المتمدن من تطورات ولذلك كانت خطواتها ثابتة وقوية في هذا الميدان نراها في بعض الأمثلة التي رعاها الآباء وتابع اقتفاءها الأبناء :

شارع ابن عوف

في عام ١٩٢٢ تم افتتاح شارع ابن عوف في عهد رئيس بلدية حمص محمد ابرهيم الأتاسي وفق مخطط فني وضع لهذه الغاية. ويبدأ هذا الشارع شمالي دار الحكومة (التي أصبحت الآن ابنية فخمة تعود للميتمين الاسلامي والمسيحي والى الهلال الأحمر السوري) ماراً بسوق الخضار وينتهي بشارع باب السباع بحيث يشطر المدينة الى شطرين غربي وشرقي. ويبلغ طول الشارع/ ٣٥٠/ متراً بعرض/ ١٢/ متراً.

وفتح هذا الشارع الرئيسي اقتضى استملاك قسم كبير من سوق الحسبة الذي كان مخصصاً لبيع الفحم والاسماك والخضار وكان ضيق الممرات والمنافذ ، تعاف الأنفس المرور فيه نظراً للروائح الكريهة المنبعثة منه ؛ فأصبح وقتئذٍ من أجمل الشوارع تكتنفه المحلات الحسنة التنسيق ويقصده الألوف من السكان ؛ كما أنه قرب المسافة كثيراً بين محلة ظهر المغارة ودار الحكومة (سابقاً).

ساعة الكنيسة الارثوذكسية :

عرف الحمصيون المغتربون منهم بنوع خاص بغيرتهم على وطنهم وبلدهم حمص وتقديم مساعداتهم لها في المكان المناسب. وقد حركت العاطفة الوطنية المغترب السيد سليم نسطة في المكسيك فابتاع ساعة كبيرة أهداها الى كاتدرائية الاربعين شهيداً. ووصلت الساعة الى بيروت في ١٢ تشرين الثاني ١٩٢١ واعفيت من الرسوم الجمركية. وكانت الطائفة قد بنت قاعدة لها فوق سطح الكنيسة من الجهة الغربية الشمالية وضعت عليها الساعة التي تم



حمص — شارع السرايا

انجاز تركيبها عليها في صيف عام ١٩٢٣ . وأخذت دقاتها تسمع معلنة الأوقات بانتظام لجميع سكان المنطقة الشرقية في مدينة حمص.

الماء والكهرباء لحمص

لما كانت المدينة وسكانها وقد تزايد عددهم بحاجة الى شرب المياه النقية بعد أن ظهرت الاوساخ في مياه الساقية وأضحت مصفاتها لا تفي بتنقية مياهها . واهتم المجلس البلدي للأمر واستدعى ما يقارب الخمسين شخصية من مثقفي المدينة ومتموليها للتداول في هذا الموضوع الحيوي في أول تموز سنة ١٩٢٧ . وبعد تداول الآراء وعجمها اقترح السيد مظهر رسلان تأليف لجنة خاصة لدرس تزويد حمص بالقوة الكهربائية بالاضافة الى أمر الماء النقي ونال اقتراحه موافقة الجميع وعلى الأثر انتخبت لجنة من سبعة أشخاص أضيف اليها رئيس البلدية.محمد ابرهيم الأتاسي وكانت اللجنة مؤلفة من السادة : هاشم الأتاسي ، محيي الدين الدروبي ، انطون طرابلسي ، علي الجندلي ، مظهر رسلان ، شكري الجندي وشفيق الحسامي .

وظلت اللجنة تعمل وتواصل الدراسات حتى شهر آذار سنة ١٩٣٠ اذ تسلم المجلس البلدي مسؤولية العمل لتحقيق تلك الأمنية فعقد جلسة خاصة اقر خلالها تلزيم جر الماء الى شركة التنوير التي تعهدت بانارة حمص وحماه بالكهرباء مقابل / ٩٨ / الف ليرة سورية على أن يجر الماء من مياه نهر العاصي في منطقة الجديدة الى مرتفع جسر الحمراء حيث يبنى خزان كبير لتصفية المياه وفق احدث انواع التصفية والتنقية . ومن هذا الخزان توزع المياه في الأنابيب والقساطل الى كافة احياء المدينة وتعيين آخر موعد لاستلام هذا التلزيم في شهر تموز من عام ١٩٣١ .

في شهر أيلول سنة ١٩٣٠ رجع الى حمص رئيس المجلس البلدي من بيروت بعدما تمكن من استدانة مبلغ / ١٥ / الف ليرة ذهبية من شركة الكهرباء لانفاقها على مشروع جر المياه الى المدينة على أن تسدد هذه المبالغ للشركة في أقساط مبينة .

في ٢٠ نيسان ١٩٣١ عقد المجلس البلدي جلسة خاصة حضرها متصرف اللواء وشارك فيها/ ٢٠ / شخصية بارزة في الحقل الاقتصادي للبحث في تحديد اسعار الماء والطرق المستحسنة لتوزيعه . وبعد مداولات طويلة تقرر أن يستوفي ثمن المتر المكعب من الماء/

٢٠ / ليرة عثمانية ذهبية فيصبح ملكاً لصاحبه على أن يدفع عنه كل سنة مبلغ / ١٢ / ليرة سورية فقط. اما الذين لا يرغبون في التملك بل يفضلون الاشتراك فعليهم أن يدفعوا عن كل متر مكعب من الماء سنوياً مبلغ / ٢٦ / ليرة سورية.

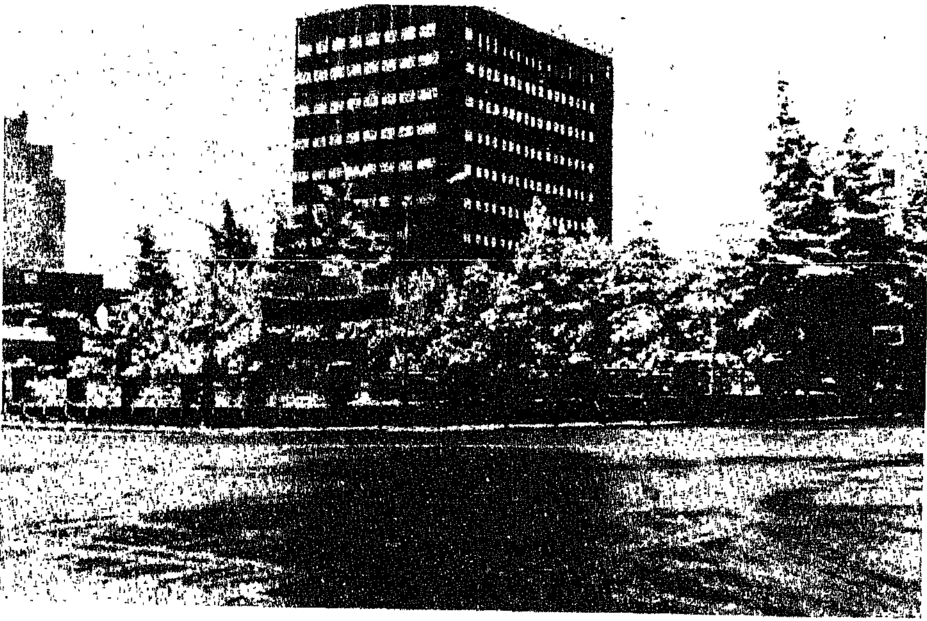
في شهر شباط سنة ١٩٣٣ ، تمَّ بناء خزان الماء في الهضبة الواقعة في محلة الخالدية وقد بلغ ارتفاعه / ٢٥ / متراً ويتسع لكمية / ٢٥٠ / متراً مكعباً من الماء. وقد أخذ سكان مدينة حمص بشرب المياه النقية اعتباراً من أول عام ١٩٣٤.

أما الكهرباء ، فكانت الحكومة السورية قد تعاقدت مع شركة الترمواي والتنوير في بيروت على منحها امتياز توزيع القوة الكهربائية في كل من مدينتي حمص وحماه بتاريخ ١٨ آذار ١٩٢٩. وفي شهر نيسان من العام نفسه بوشر في انشاء المعمل المولد للكهرباء على شلال نهر العاصي في قرية الغجر. وقد تم تمديد الاسلاك الكهربائية والكابلات في كل من مدينتي حمص وحماه في آن واحد وتوزعت فيهما الأضواء الكهربائية بتاريخ أول شهر كانون الثاني من عام ١٩٣٢.

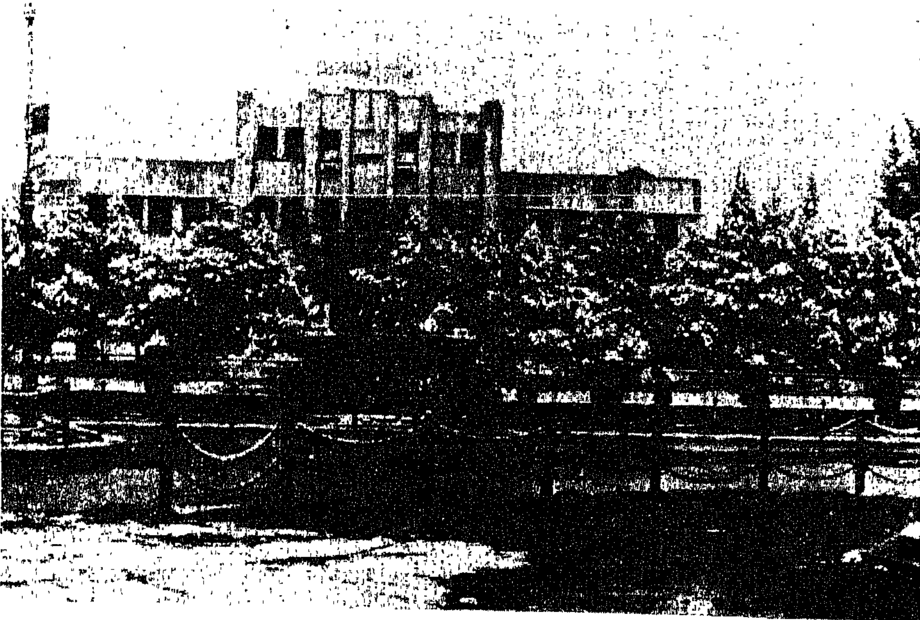
وهكذا بدت حمص بمظهرها المضيء الجديد بعد أن شعت فيها الأضواء الكهربائية مما ساعد على رقي الحركة الصناعية فيها. وتخلصت البلدية من المتاعب التي كانت تلحق بها بسبب تنوير مصابيحها بواسطة البترول واقامة الحراسة عليها من عبث العابثين.

الثكنة العسكرية

كان للثكنة العسكرية القديمة التي يعود تاريخها لعهد المماليك ، والتي تقع بين باب السوق ودار الحكومة (بنايات الميتمين الاسلامي والارثوذكسي حالياً) بابان احدهما يقع مقابل الجامع النوري الكبير والآخر يطل على أول شارع ابن عوف. وكانت بنايات هذه الثكنة تشكل بحد ذاتها حجراً عثرة في إعمار هذه البقعة الواسعة من الأرض كما تشوه منظر الابنية الحديثة التي تواجه الثكنة من جوانبها الاربعة. ولذلك قررت البلدية استملاكها وتحويلها الى شوارع فسيحة تقيم على جنباتها البنايات الجميلة ووضعت لتحقيق ذلك مشروعاً للاستملاك وتصميماً للأبنية بتاريخ تشرين الأول ١٩٢٩ ، وبدأت بتنفيذه بعد أن استدانت من مصرف سورية ولبنان مبلغ / ١٠٣ / آلاف ليرة سورية وفي الوقت ذاته استملكت البلدية أيضاً المخازن المحيطة بالثكنة ثم هدمتها ومسحت ارضها ثم قسمتها الى /



حمص — بناية بلدية حمص



من مناظر حمص الحديثة — أوتيل المدينة

١٢ / قطعة مفصولة عن بعضها بشوارع عريضة منظمة ، ثم عرضت تلك القطع لبيعها من الراغبين فتم بيعها كلها بوقت وجيز.

وادعت دائرة الأوقاف الإسلامية انه كان في القشلة المذكورة مسجد يقيم الجنود الصلاة فيه ، واثر مفاوضات طال امدها وافقت البلدية على التنازل لدائرة الاوقاف عن قطعة من تلك الارض مشترطة أن يبنى فيها بالفعل مسجد يؤمه المصلون وعلى هذا فقد تم بناء المسجد فوق عدد من المحلات الجميلة الحديثة الطراز واطلق عليه اسم مسجد الصحابي الجليل أبي بكر الصديق.

وهكذا تم في الثلاثينيات من القرن العشرين تحويل ارض الثكنة العسكرية القديمة الى منظر جميل عمراني رائع اذ شيدت على قطعها البنايات الضخمة كأوتيل قصر رغدان ومصرف سورية ولبنان وبناية كسبي وأكشر وعجم اوغلي وبناية حصني خوري وسواها.

ولا يزال هذا الموقع يشكل بمجموعة ابنيته أحدث منطقة تجارية عمرانية في مدينة حمص وأكثرها حركة وازدحاماً ونشاطاً.

سد بحيرة حمص

يذكر المؤرخون أن سداً أقيم على ضفاف بحيرة حمص يعود تاريخ بنائه الى الألف الثاني قبل الميلاد. وأن هذا السد أصلح ورمم في عهد الاسكندر المكدوني وتجدد في زمن الامبراطور الروماني ديوكلتيان (٢٨٤ — ٣٠٤) وبذلك أصبحت البحيرة خزاناً مهماً ساعد على ري قسم كبير من سهول حمص الممتدة غربي المدينة وشمالها.

وفي عام ١٩٣٨ ظهر التصدع في بعض جوانب السد المذكور لذلك قررت الحكومة اجراء الاصلاحات الضرورية وزيادة اعلاء السد مقدار مترين مع توسيع رقعته. وبعد انجاز العمل أصبحت مساحة البحيرة عشرات الكيلومترات المربعة وأضحى ما تستوعبه من الماء يقدر بـ/ ٢٠٠ / مليون متر مكعب ، بعد أن كان/ ٩٠ / مليوناً من الامتار المكعبة فقط.

وينصرف الخبراء في الوزارة السورية المختصة بشؤون الري الى تحقيق مشروع توسيع رقعة السد وزيادة علوه أيضاً حتى تستوعب البحيرة ما لا يقل عن/ ٤٠٠ / مليون متر مكعب من الماء.

وبتنظيم هذه البحيرة لمحمول مياه نهر العاصي فقد ساعدت على ارواء هضبة (تلبيسة — الرستن). وفي عام ١٩٥٢ وصلت مياه قناة الري الى بساتين مدينة حماه وروتها.

مصفاة البترول

وتمشياً مع النهضة الاقتصادية في البلاد، تعاقدت الحكومة السورية مع شركة تكنو أكسبورت التشيكوسلوفاكية لإقامة مصفاة للبترول في الجهة الغربية من مدينة حمص تتولى تكرير البترول وتوزيعه الى المدن السورية بواسطة الأنابيب.

وبدأ العمل في تشييد المصفاة وصهاريجها في عام ١٩٥٧ والتزم اعمال البناء نخبة من المهندسين الحمصيين الاكفاء.

اما مساحة المصفاة فتزيد على/ ٥٠٠/ الف متر مربع وباستطاعتها أن تكرر في العام الواحد أكثر من مليون طن من البترول الخام ويعمل فيها أكثر من/ ٥٠٠/ موظف وعامل ومهندس يعيلون ما يقارب الثلاثة آلاف نسمة.

وانجزت اعمال بناء المصفاة في آخر شهر حزيران سنة ١٩٥٩ واحتفل بتدشين هذا المشروع الاقتصادي الهام في شهر آب سنة ١٩٥٩ بحضور الوزراء التنفيذيين في الاقليم السوري — خلال الوحدة مع مصر — وجمهور كبير من المواطنين.

وبعد انجاز مشروع مد خط أنابيب البترول من قرة تشوك الى مرفأ طرطوس الذي مر بحمص، اخذ النفط يتدفق عبر هذا الخط في عام ١٩٦٩ بعد أن جرى توسيع مصفاة حمص التي ارتفعت كميات ما تكرره من البترول الى/ ٢,٧/ مليوني طن وسبعمائة الف طن؛ وبذلك تمكنت المصفاة من تأمين احتياجات القطر السوري من المنتجات البترولية.

وفي اثناء حرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ مع اسرائيل اصيبت بعض منشآت المصفاة بقذائف الطيران الصهيوني فتعطلت عن العمل فترة من الزمن ولكن الحكومة العربية السورية سرعان ما وجهت عنايتها لتصليحها واستطاعت أن تعيد الى المصفاة حيويتها السابقة خلال عام ١٩٧٤.

والى المطالع جدولٌ يتضمن انتاج المصفاة خلال عام ١٩٧٠، والذي تزايد كثيراً في السنوات الاخيرة.

		طن
غاز البوتان		٣٥,١٧٣
البنزين		٣٨٤,٠٠٠
الكاز		٣٣٥,٠٠٠
المازوت		٨٦٥,٠٠٠
الفيول اويل		٦٠٩,٠٠٠
الاسفلت		١١٠,٠٠٠
الكبريت		٠٣٦,٠٠٠
الفحم		٣٢٨,٠٠٠

وتعتبر مصفاة البترول في حمص من المصافي البترولية الضخمة في الشرق الأوسط من حيث عدد الوحدات الإنتاجية المحتوية عليها ولأنها تعمل وفق أحدث التصميات وطرق التكرير المالية.

معمل السكر في حمص

في عام ١٩٤٥ أقيم في الضاحية الشمالية لمدينة حمص أول معمل لانتاج السكر في سورية. وبعد أن تمت اعمال تركيب ادوات المصنع وبدأ انتاجه، اعتمد في الدرجة الأولى على عملية التكرير للسكر الخام المستورد من الخارج.

ثم لما أن نمت زراعة الشمندر السكري وقويت في البلاد السورية أخذ المعمل يتوسع في استخراج السكر من هذه المزروعات.

وفي عام ١٩٥٨ أقيم معمل آخر في بلدة عدرا قرب دمشق؛ كما أقيم معمل ثالث سنة ١٩٦٧ في منطقة الغاب لانتاج السكر وبلغ انتاج المعامل الثلاثة من السكر الأبيض خلال سنة ١٩٦٨ مقدار / ٨٣٩٤٧/ طناً معظمه يتركز في معمل حمص.

وفي السنوات الأخيرة زيدت وحدات معمل السكر في حمص مما رفع مقدار انتاجه في عام ١٩٧٦ الى ما يقارب ضعفي ما كان ينتجه في سنواته الأولى.

مصنع الاسمنت

في ١١ أيلول ١٩٦٠ تم افتتاح معمل الاسمنت الذي أنشأته شركة مساهمة من الحمصيين برأسمال قدره / ١٠ / ملايين ليرة سورية بحضور وزير الصناعة السوري المهندس وجيه السمان الذي قال في كلمته حين الافتتاح : ان هذا المعمل هو الرابع من امثاله في سورية ؛ وأن طاقته الانتاجية تبلغ / ١٠٠ / ألف طن سنوياً ؛ كما ذكر أيضاً أن مدينة حمص بحكم موقعها الجغرافي وبثقافة أهلها ماضية في طريق التنمية بخطوات جبارة ؛ وبأن هذه المدينة ستحتل المكانة الأولى في صناعة الاقليم السوري.

وبلغ انتاج هذا المعمل من الاسمنت في سنة ١٩٦٦ مقدار / ١٠٦٣٦٠ / طناً وارتفع سنة ١٩٦٩ الى / ١٢٠٨٠٤ / طن.

مصانع الغزول والمنسوجات والدباغة

قبل أن ننهي حديثنا عن المصانع . لا بد لنا من ذكر المصانع الكثيرة التي انشئت حديثاً في مدينة حمص وخاصة مصانع صناعة الغزول والمنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية التي تشكل أكبر نسبة من مجموعة الانتاج الصناعي فيها بالاضافة الى معملي الصباغ والصابون والى مؤسسات حلج الأقطان.

ونتوقف قليلاً لنذكر أن معامل صناعة الغزول المختلفة في مدن دمشق وحلب وحمص فيها / ١٥٤٥٤٨ / مغزلاً للقطن انتجت / ١٩٦٧٨ / طناً ؛ تقدم حمص وحدها ما يقدر بخمس الانتاج العام في سنة ١٩٦٩.

وهكذا فان الصناعة الوطنية من مسوجات القطن والحرير استطاعت أن تسد الجانب الأكبر من احتياجات الاستهلاك المحلي من هذه المنتجات ومما ساعد على ارتفاع انتاج هذه المصانع وضع الحكومة العربية السوزية الحالية لقوانين تحمي هذه الصناعة من المضاربات الاجنبية.

معمل السماء الآزوتي

تأسس هذا المعمل في عام ١٩٧٤ وفور الانتهاء من انجازات بنائه وتركيب ادوات المصنع في أماكنها في عام ١٩٧٦ . قام بتفقده الاستاذ عبد الله الاحمر عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي وكان يرافقه الأستاذ اسماعيل عكله محافظ حمص في ٢٥ /

١١ / ١٩٧٦ وبعد أن تجولا في ارجاء المصنع واطلعا على واقعه وعلى سير العمل في مشروع التربل سوبرفوسفات ومشروع معمل الامونيا يوريا ابديا استحسانهما لما شاهدا ، وهنآ ادارة المعمل وعماله على اخلاصهم وحثاهم على متابعة نشاطهم وزيادة انتاج مصنعهم.

المجمع الحرفي

بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٩٧٦ احتفل في مدينة حمص وتحت رعاية الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية بإرساء حجر الأساس لمشروع المجمع الحرفي في المنطقة الصناعية والذي تبلغ تكاليفه نصف مليون ليرة سورية ، وبوضع حجر الأساس أيضاً لبناء / ٨٥ / وحدة سكنية للحرفيين تبلغ كلفتها الاجمالية حوالي اربعة ملايين ومائتين وخمسين ألف ليرة سورية وقد تمت حفلات ارساء احجار الأساس المذكور خلال غمرة الاحتفالات بالذكرى السادسة للحركة التصحيحية.

الوحدات السكنية في منطقة الوعر

اثر تزايد عدد سكان المدينة بشكل ملحوظ عمدت الحكومة الحالية الى بناء وحدات من المساكن الشعبية في منطقة الوعر الواقعة الى الغرب الشمالي من المدينة فحققت انشاء / ٥٦ / وحدة سكنية في عام ١٩٦٣ وارتفع العدد الى / ١٥٨ / وحدة في عام ١٩٦٩ كما تم اصلاح القسم الأكبر من المساكن الشعبية المبنية في ذات المنطقة. ثم تسلمت بلدية حمص هذه المساكن وقامت بتوزيعها بعدئذٍ على الأهلين بأسعار مخفضة جداً وبأقساط طويلة الأمد للتسديد.



الفصل الثلاثون

اعلام الحمصيين في هذه الحقبة

الشيخ ابرهيم اليازجي

هو ابرهيم بن الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني ، الحمصي الأرومة ، ولد سنة ١٨٤٨ وتخرج على أبيه في اللغة العربية فحفظ القرآن الكريم وتعمق في دراسة قواعد اللغة لدرجة أن انقادت اليه نواصي البلاغة والبيان وتعلم اللغتين الفرنسية والانكليزية فاتقنهما ، وتولى التدريس في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ، وعمل في الصحافة ، وترأس تحرير مجلات النجاح سنة ١٨٧٢ ثم الطبيب سنة ١٨٨٤ فالبيان سنة ١٨٩٧ ، وأخيراً مجلة الضياء التي تولى اصدارها من عام ١٨٩٨ حتى تاريخ وفاته في مصر سنة ١٩٠٦ . ونقل جثمانه الى بيروت حيث دفن مع أبيه وأخويه في محلة الزيتونة.

وبالاضافة الى انهماك الشيخ ابرهيم في العمل الصحفي فقد ترك مؤلفات لغوية تعتبر من دعائم اللغة العربية مثل : لغة الجرائد ، اماني لغوية ، اغلاط العرب ، اللغة العامية واللغة الفصحى ، اللغة والعصر ، اغلاط لسان العرب ، شرح ديوان العرف الطيب للمتنبي وعشرات المؤلفات غيرها.

وهو شاعر عبقري قومي عربي ، أكثر شعره واقواه ما تعلق منه بقوميته العربية وافتخاره بها ، واروع قصائده الوطنية القصيدة التي مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب   فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ

والتي يقول فيها :

خلوا التعصب عنكم واستووا عصباً   على الوئام لدفع الظلم تعتصبُ
هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم   وغادر الشمل منكم وهو منشعبُ
وحكم العلج فيكم مع مهانته   يقتادكم لهواه حين ينقلبُ
ألستمُ من سطوا في الارض واقتحموا   شرقاً وغرباً وعزوا أينما ذهبوا
ومن أذلوا الملوك الصيد فارتعدت   وزلزل الأرض مما تحتها الرهبُ
فمالكم ويحكم أصبحتمُ هملاً   ووجه عزكمُ بالهون منقلبُ
لا دولة لكمُ يشتد ازركمُ   فيها ولا ناصر للخطب ينتدبُ



الشيخ ابراهيم اليازجي
١٨٤٧ — ١٨٧١



الشيخ ابراهيم الحوراني

وكان اليازجي يحن الى موطن اجداده الأصلي — حمص — فيتغنى بذكرها ويشيد بجمال افنانها ومنتزهاتها اذ يقول في احدى قصائده :

وسقى الله أرض حمص وحيَّتْ نفحات الرضا خصيب عراها
هي فردوسي القديم ومنها ثمرات الحياة كان جناها

وفي المكان الذي دفن فيه في بيروت صنعت له الجالية السورية العربية تمثالاً من البرونز اقامته على مدفنه تقديراً منها لنبوغه ووطنيته وفضله على اللغة العربية وابنائها.

وفي عام ١٩٧٣ نقلت الحكومة التمثال من مكانه بمناسبة الحفريات الجارية في تلك المنطقة الى باحة وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة — قصر اليونسكو — في مدينة بيروت.

الشيخ ابرهيم الحوراني

ولد ابرهيم في مدينة حلب من أب حمصي سنة ١٨٤٤. ولما بلغ الثالثة من العمر، عاد به والده الى مسقط رأسه حمص وفيها تعلم القراءة والكتابة وحفظ القصائد؛ وبرز ذكاؤه بنوع خاص في الحساب والشعر وحل المسائل الحسابية المستعصية؛ وأخذ ينظم الشعر بلغة عذبة سهلة وهو في العاشرة. ولما بلغ السادسة عشرة سافر الى عبيه (لبنان) فتعمق في دراسة الرياضيات والصرف والنحو والجغرافيا. وفي عام ١٨٧٠ تولى تدريس اللغة العربية

وآدابها والجبر والهندسة في الكلية السورية (الجامعة الاميركية) في بيروت كما تولى اصدار النشرة الاسبوعية للمرسلين الاميركان سنة ١٨٨٠.

مؤلفاته كثيرة منها: محاسن القبة الزرقاء. ابطال مذهب داروين، الضوء المشرق في علم المنطق، الاعراب في نهج الاعراب. تفسير التوراة، تاريخ الاصلاح وله ديوان شعر أيضاً، ينضمن بعضه قصائد يتغنى فيها بموطنه حمص وفي احداها يقول:

يامي لست اخا الصبابة فاسألي عمن يهيم بغير هذا المنزلِ
ما تبتغين من الذي هجر الهوى كبراً وحطته النوازل من علِ
يا آل حمص كلكم أهلي اذا قام اليراع مقام حد المفصل

ويعتبر كبار النقاد الشيخ ابرهيم الحوراني انه من اعلام العرب المبرزين في الشعر والرياضيات والفلك. توفي في بيروت يوم الاربعاء في ٣ شباط سنة ١٩١٦.

مصطفى باشا الحسيني

هو مصطفى بن حسين الحسيني؛ ولد في حمص سنة ١٨٢٧ ونشأ وتعلم فيها ودرس اصول اللغتين العربية والتركية على والده. ثم انتسب الى الدولة وتدرج في وظائفها فاستلم رئاسة ديوان المتصرفية أيام المتصرف هولو باشا العابد؛ ثم أصبح رئيساً لأملاك الدولة ونال رتبة الباشوية من السلطان عبد الحميد سنة ١٨٩٣ تقديراً لنشاطه في خدمة بلده.

توفي مصطفى الحسيني في مدينة حمص ودفن في المسجد الذي بناه ويحمل اسمه حتى الآن.

عبد الحميد باشا الدروبي

ولد عبد الحميد الدروبي في حمص في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ وفيها نشأ وتعلم. توصل بجده وبجهده من امتلاك ثروة طائلة دفعته الى تسنم زعامة مدينة حمص فترة من الزمن ونال رتبة الباشوية سنة ١٨٨٢ واستلم رئاسة البلدية أكثر من ثلاث مرات، كما تعين عضواً في مجلس الادارة عشرات السنين. وكان لرأيه الثاقب المقام الأول لدى السلطة الحاكمة والأهلين في آن واحد.

توفي عبد الحميد الدروبي سنة ١٩١٥ ودفن في مدينة حمص.

الطبيب عزة الجندي

تموز ١٩٢٦



الدكتور عزة الجندي

الدكتور عزة الجندي

هو عزة بن محمد بن سليمان الجندي. ولد في حمص سنة ١٨٨٢ وفيها تلقى علومه الأولية كما تلقى علومه الثانوية في دمشق والطب في الآستانة.

عمل عزة منذ مطلع شبابه في خدمة القضية العربية وفي سبيل استقلال بلاده عن الدولة العثمانية فانتسب الى الجمعية اللامركزية وأصبح عضواً عاملاً فيها ورئيساً للجنة التنفيذية السرية وتعرض مراراً للنفي والتشريد، ولما ضاقت نفوس المستعمرين بأعماله الوطنية، استدعاه السفاح أحمد جمال باشا لمقابلته في دمشق في فندق دامسكوس بالاس وهناك أمر باغتياله. ودفن عزة خلسة وبأمر من السفاح في مكان لا يزال مجهولاً حتى الآن. وكان ذلك في أواخر عام ١٩١٥.

والشهيد الدكتور عزة الجندي هو أول ضحية من ضحايا الأمة العربية الذين استشهدوا على مذبح الاستقلال والقومية العربية من قبل السفاح التركي جمال باشا.

رزق الله عبود

هو رزق الله بن نعمة الله عبود؛ ولد في حمص سنة ١٨٨١ ونشأ فيها. تلقى علومه الأولية في المدارس الارثوذكسية، ثم انصرف الى المطالعة والدراسة على نفسه حتى أصبح

من الادباء الذين يشار اليهم بالبنان. له مقالات أدبية كثيرة نشرتها له المجلات العربية الصادرة في عصره؛ وله ديوان شعر لم يطبع. الف كتاب اليوبيل الفضي للمطران اثناسيوس عطاالله سنة ١٩١١. علّم في المدارس الارثوذكسية في حمص، وله فضل عميم على الناشئة الحمصية، توفي سنة ١٩١٦ ودفن في حمص.

الشيخ عبد الحميد الزهراوي

هو عبد الحميد بن محمد شاكر الزهراوي، ولد في حمص سنة ١٨٧١ وتعلم فيها على أيدي علماء عصره. ثم اجتهد في التحصيل على نفسه واذ به يصبح المرجع الأول للمثقفين والأدباء في مدينته. قام بعدة رحلات الى الأستانة واوروبا ومصر. أصدر في حمص جريدة المنبر السرية التي كان ينتقد فيها بجرأة متناهية أعمال الحكومة العثمانية وجورها وعسف حكامها سنة ١٨٩٤ وكان يحررها ويطبعها ويوزعها بنفسه.وضع تحت المراقبة زمناً طويلاً، ثم نفي الى الأستانة وأعيد الى حمص للاقامة الاجبارية فيها فعكف على التأليف واذ بعبقريته تنتج المؤلفات التالية: نظام الحب والبغض، خديجة أم المؤمنين، رسالة في النحو، رسالة في المنطق، كتاب في الفقه وديوان شعر وغير ذلك.

وعندما أعلن الدستور العثماني انتخب الزهراوي نائباً عن حمص في مجلس المبعوثان في الاستانة حيث لمع اسمه وأصدر هناك جريدة الحضارة. ولكن وطنيته وتمسكه بقوميته العربية ودفاعه عنها ازعجت الاتحاديين فأوعزوا بعدم انتخابه ثانية. ولما عقد المؤتمر العربي في باريس للمطالبة بالحكم اللامركزي انتخب الشيخ الزهراوي بإجماع الآراء رئيساً للمؤتمر. واهتمت الحكومة العثمانية للأمر وارسلت اليه موفداً خاصاً لاقناعه بالعودة لتحقيق طلبات المؤتمرين فعاد الى الاستانة عام ١٩١٣ وعين عضواً في مجل الأعيان.

وما أن دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى الى جانب المانيا وعينت السفاح احمد جمال باشا حاكماً عاماً على سورية حتى أعلن هذا الاحكام العرفية فيها وبادر للانتقام من رجالات العرب الوطنيين ومفكريهم وكان في طليعتهم بالطبع الشيخ الزهراوي الذي أصدرت المحكمة العرفية في عاليه حكمها عليه بالاعدام شنقاً في ساحة المرجة بدمشق وقد نفذ فيه الحكم وفي رفاقه شهداء القومية العربية الأوائل يوم السبت المصادف ٦ أيار سنة ١٩١٦ ودفن في مقبرة الشهداء بدمشق.



الشيخ عبد الحميد الزهراوي



المحامي رفيق سلوم

المحامي رفيق رزق سلوم

هو رفيق بن موسى رزق سلوم الدريدي ؛ ولد في حمص سنة ١٨٩١ وتلقى دروسه الأولية في المدارس الارثوذكسية . ونظراً لنبوغه وتفوقه على أترابه ارسله المطران اثناسيوس عطاالله الى دير البلمند بالقرب من طرابلس ، حيث لبس الثوب الرهباني . وهناك تلقى علومه الثانوية واللاهوت ، ونال شهادته مبرزاً على جميع اقرانه . ثم عاد الى حمص وزاول التدريس سنة في مدارسها . ولكن روحه الوطنية ورغبته في خدمة وطنه الأكبر جعلته ينزع عنه الثوب الاكليريكي ويتوجه الى بيروت حيث انتسب الى الجامعة الاميركية ونال شهادتها . وأثر عودته الى مدينته حمص تعرف على العلامة الشيخ عبد الحميد الزهراوي الذي اعجب به كثيراً واشار عليه بدراسة الحقوق في الأستانة ففعل .

في الأستانة انكب رفيق على الدراسة وأخذ ينشر المقالات الأدبية والوطنية في الجرائد والمجلات العربية ويسهم في تحرير جريدة الحضارة التي كان يصدرها الزهراوي . وألف كتابيه : حياة البلاد في علم الاقتصاد ، وحقوق الدول . وحينما نال رفيق شهادة الحقوق ، كانت الدولة العثمانية قد اشتركت في الحرب العالمية الأولى فانتسب الى الجيش اجبارياً برتبة ضابط .

ولما كان رفيق رزق سلوم من الأشخاص الذين كانوا يعملون في سبيل حرية بلادهم واستقلالها عن الدولة العثمانية ، فقد القي عليه القبض بأمر من السفاح احمد جمال باشا في

٢٧ أيلول سنة ١٩١٥ في دمشق والحق به جميع انواع وصنوف التعذيب والارهاب مما ينوء بتحمله الثقلان ، وأخيراً حكم عليه المجلس العرفي في عاليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم شنقاً في ساحة المرجة بدمشق مع استاذه الزهراوي في ٦ أيار سنة ١٩١٦ ودفن في المقبرة الارثوذكسية بدمشق.

علاء الدين الدروبي

هو علاء الدين بن عبد الحميد باشا الدروبي . ولد في حمص سنة ١٨٧٠ وتعلم فيها ، ثم انتقل الى الأستانة حيث درس في المدرسة الملكية وتخرج منها وتعين قائمقاماً في تركيا. وأخذت مواهبه تظهر في اثناء عمله الاداري فتعين متصرفاً. ولما انهزمت تركيا في الحرب العالمية الأولى ، عاد الى وطنه سورية وعمل مع الوطنيين على تأسيس الدولة السورية واشترك في الوزارة التي شكلها السيد هاشم الأتاسي سنة ١٩٢٠ ايام الملك فيصل الأول كوزير للداخلية.

ولما غادر الملك فيصل سورية كلف علاء الدين من قبل الفرنسيين في اواخر ١٩٢٠ بتأليف وزارة سورية جديدة ففعل . ولما ثار أهل حوران على الفرنسيين توجه على رأس وفد وزاري الى درعا لتهدئة الحالة ، ولدى وصول القطار الذي يقله الى قرية خربة غزالة ، هاجمه الثائرون مع مرافقيه فأصيب بعدة رصاصات قضت عليه في شهر ايلول سنة ١٩٢٠ ، ثم نقل جثمانه الى حمص حيث دفن فيها .

انيس سلوم

هو أنيس بن ناصيف سلوم ؛ ولد في حمص سنة ١٨٦٢ وأتم فيها دروسه الابتدائية ؛ ثم انتقل الى عبيه في لبنان وتخرج من كليتها . ثم عاد الى حماه وأسس فيها مدرسة ابتدائية . وتبحر في اللغة العربية وآدابها ، ونظم الشعر وحفظ كثيراً من آيات القرآن الكريم ، كما تعمق في دراسة علم اللاهوت . وفي سنة ١٨٨٣ تعين راعياً للكنيسة الانجيلية في حماه . وفي سنة ١٩٠٩ انتخب عضواً في المجلس العمومي في ولاية سورية عن مدينة حماه . وفي عام ١٩١٦ نفاه السفاح احمد جمال باشا الى ولاية سيواس في تركيا نظراً لنشاطه الوطني وتمسكه بقوميته العربية وبقي في منفاه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، فعاد الى دمشق



المرحوم أنيس سلوم في كهولته



المرحوم أنيس سلوم في أواخر حياته

وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي. له مؤلفات عدة في اللغة وعلم الاجتماع وفي الاقتصاد وعلم النفس اضافة الى ديوان شعر. توفي في دمشق في شهر كانون الأول سنة ١٩٣١ ودفن فيها.

حبيب سلامة

هو المعلم حبيب بن بطرس سلامة، سليل أسرة اشتهرت بتذوقها العلم والمعرفة والأخلاق الرضية والوطنية الصادقة. ولد في حمص سنة ١٨٦٤ ونشأ فيها وتأدب وتعلم في مدارس الطائفة الارثوذكسية الابتدائية، ثم درس على نفسه وتعمق في قواعد اللغة العربية حتى أصبح مرجعاً رئيسياً لطلاب المعرفة في هذه المادة، الأمر الذي دفع الطائفة الارثوذكسية لتسليمه دفة تعليم هذه المادة في مدارسها.



حبيب سلامة

ونظراً للكفاءة التي أظهرها خلال قيامه بمهمة التعليم فقد انيط به ادارة المدارس الارثوذكسية الابتدائية في حمص فقام بوظيفته خير قيام. وقد ظل المعلم حبيب سلامه يقوم بواجباته التربوية الممتازة حتى تاريخ وفاته في عام ١٩٣٣ حيث دفن في حمص، واشتهر المعلم حبيب سلامة بنزاهته وعفته واخلاقه الرضية ومقدرته الفائقة في تدريس قواعد اللغة العربية وتقريبها من افهام الطلاب وتحبيبها اليهم مما جعله محتفظاً بمحبتهم وتقديرهم طيلة حياته واحترامهم لذكراه بعد وفاته.

ابو الخير الجندي

هو ابو الخير بن محمد الجندي. ولد في حمص سنة ١٨٦٧ ونشأ وتعلم فيها، ثم تثقف على أيدي علمائها وانتسب الى خدمة الدولة وتدرج في الوظائف العالية. وخلال الحرب العالمية الأولى نفي الى الأناضول مع عدد من افراد أسرته نظراً لميوله القومية. وبعد انتهاء تلك الحرب عاد الى وطنه وتعين متصرفاً على حوران في ٢٥ أيار ١٩٢٠. وفي عهده جرى اغتيال رئيس واعضاء الحكومة السورية في خربة غزالة فاعتبرته السلطة الفرنسية مسؤولاً عما حدث وأصدرت قراراً بفصله في ٦ شباط ١٩٢١.

وفي عام ١٩٢٩ عين ثانية متصرفاً على دير الزور والجزيرة. ولما أحيل على التقاعد في عام ١٩٣١ عاد الى مدينته حمص ومكث فيها حتى وافاه الأجل في كانون الأول سنة ١٩٣٩.

وأبو الخير الجندي، شاعر مجيد وسياسي اداري بارع ومؤرخ حصيف؛ من مؤلفاته: تاريخ العترة النبوية وتاريخ العباسيين.

طاهر الأتاسي

هو طاهر بن خالد الأتاسي، ولد في حمص سنة ١٨٥٤ ودرس فيها، ثم انتقل الى دمشق حيث تثقف ثقافة دينية وأدبية على أيدي كبار العلماء وظهرت مواهبه لأبصار ذوي الرأي فعينته الدولة لوظيفة قاض في حوران ثم في نابلس ثم في القدس والبصرة وغيرها. وفي عام ١٩١٤ عهد اليه بمنصب الافتاء في مدينة حمص فظل يشغله بكفاءة متناهية وعلم غزير حتى وافاه الأجل في شهر نيسان ١٩٤٠.

والمفتي طاهر الأتاسي، عالم كبير وفقيه مشرع وبحاثة مدقق وشاعر محلق. وكانت مستعصيات المسائل الفقهية ثابتة من كل انحاء البلاد السورية والعربية فيفتي فيها باحكام ودقة.

من مؤلفاته: شرح المجلة؛ في سبع مجلدات ضخمة بالاضافة الى مؤلفات شرعية اخرى لم تطبع؛ كما أنه ترك ديوان شعر كبير لم يطبع أيضاً.

يوسف شاهين



يوسف شاهين

هو يوسف بن يعقوب شاهين، ولد في حمص سنة ١٩٥٣ وتلقى علومه الابتدائية على أساتذة عصره؛ ثم درس على نفسه وتعمق في دراسة قواعد اللغة العربية حتى أصبح حجة المدينة الأول فيها. ثم تولى تدريس هذه المادة في المدارس الارثوذكسية كما استلم ادارة مدرسة البنات للطائفةالمذكورة أكثر من نصف قرن وعلى يديه تخرج أكثر نوابغ حمص بالاضافة الى ألوف من الطلاب.

له مؤلفات تمثيلية كثيرة اشهرها مسرحية «كوروس» ومسرحية «سميراميس» بالاشتراك مع الأستاذ داود الخوري وديوان شعر لم يطبع. وقد وافاه الأجل في نيسان من عام ١٩٤٤ ودفن في حمص.

خالد الحكيم

هو خالد بن ياسين الحكيم؛ ولد في حمص سنة ١٨٧٨ وتعلم فيها علومه الأولية، ثم انتقل الى دمشق ومنها الى الأستانة حيث تخرج من جامعاتها مهندساً عسكرياً. تعين مديراً ثانياً لمعامل الأسلحة في الأستانة وهناك تعرف الى أكثر رجالات العرب العاملين في سبيل نيل الاستقلال لبلادهم وعلى رأسهم مواطنه الشيخ عبد الحميد الزهراوي.

ولما نشبت الحرب في طرابلس الغرب ضد الايطاليين التحق بالمجاهدين وظل يجاهد معهم هنالك أكثر من سنتين وبعدئذٍ لجأ مع اخوانه الى مصر ومنها الى سورية . ولما اشتركت تركيا في الحرب العالمية الأولى دخل الجيش العثماني برتبة ضابط ؛ ولكنه لما شعر بنوايا جمال باشا الخبيثة والمبيتة ضد مفكري العرب وقادتهم ؛ فر على رأس / ٧٠ / مجاهداً وثائراً مخترقاً الصحراء وميمماً وجهه شطر مكة المكرمة ملتحقاً بثورة الشريف حسين.

وما أن اتضح له خطل السياسة التي يتبعها الشريف حسين والأمير فيصل وثقتهما التامة بمواعيد الانكليز وصدق نواياهم نحو البلاد العربية ؛ حتى تنكر لها وأخذ يحمل على سياستهما الملتوية بصراحة وجرأة وصدق وتفكير عميق.

اشترك السيد خالد الحكيم في معركة ميسلون في تموز من عام ١٩٢٠ ثم انتقل الى مصر بعد أن حكم عليه الفرنسيون بالاعدام ومنها انتقل الى نجد بدعوة من سلطانها عبد العزيز آل سعود ليتولى لديه وظيفة المستشار الخاص.

ولما اكتشف البترول في اراضي نجد ؛ أراد السيد الحكيم استثماره بأيد عربية ؛ ولكن بطانة السوء اوغرت صدر الملك عبد العزيز عليه ، فاضطر الى الاستقالة من وظيفته وعاد الى دمشق حيث مرض فيها مرضه الاخير الذي لازمه طيلة سنتين حتى وافاه الأجل في حزيران عام ١٩٤٤.

ويعتبر المرحوم خالد الحكيم من اوسع رجالات العرب ثقافة ومن أخلصهم وأصدقهم وطنية واباءً وأشدهم تمسكاً بالمبدأ الذي يؤمن به.

الخوري عيسى اسعد

هو عيسى بن أسعد بن ناصيف الشيخ ؛ ولد في حمص سنة ١٨٧٨ من أسرة غسانية عريقة ، تولت حكم وادي النصارى طيلة ثلاثة قرون. تلقى علومه الابتدائية في المدرسة لارثوذكسية ثم أخذ يدرس على نفسه وعلى علماء حمص العلوم المختلفة وتعلم اللغات ليونانية والعبرانية والسريانية وتعمق في دراسة اللغة العربية وآدابها وحفظ القرآن الكريم والانجيل الشريف ، وأصبح مرجعاً علمياً يعتد به في سورية. علّم في الكلية الارثوذكسية التاريخ وآداب اللغة العربية وفلسفة الدين المسيحي. سيم كاهناً سنة ١٩٠٥ وتولى رئاسة تحرير جريدة حمص حتى عام ١٩٣١ . اشترك في النضال ضد العثمانيين مع اخوانه امثال



الخوري عيسى أسعد

الزهراوي ورزق سلوم وعمر الأتاسي ، ولوحق من قبل السفاح احمد جمال باشا فتوارى عن الأنظار حتى انجابت الغيمة عن سماء سورية . وكانت الأنباء قد وصلت الى الجالية العربية في البرازيل معلنة اعدامه من قبل السفاح ، فرثاه المغتربون واقاموا له حفلة تأبينية في البرازيل وقتئذ .

في سنة ١٩١٨ تولى امانة سر الحكومة العربية المؤقتة التي ترأسها في حمص السيد عمر الأتاسي وتابع الخوري عيسى نضاله ضد الاستعمار الفرنسي بجرأة متناهية ؛ وكانت خطبه الوطنية تلهب الجماهير حماسة ، وناصر الثورة السورية الكبرى بصورة فعالة لطالما اخفى الثائرين في منزله عن اعين الفرنسيين .

في عام ١٩٣٣ تولى المعتمدية البطريركية في مدينة انطاكية لمدة سنتين ، ثم تولى وكالة المطرانية الارثوذكسية طيلة ما تبقى من فترة حياته اذ توفي في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٩ ودفن في باحة الكنيسة الكاتدرائية في مدفن خاص تكريماً لما قدمه لأمته ووطنه وطائفته من خدمات جلى .

هو علامة كبير ومؤلف حصيف وخطيب منوه ؛ قوي الحجة ، جميل المنطق ، حسن المجلس ؛ له مؤلفات كثيرة مطبوعة اشهرها : الطرفة النقية في تاريخ الكنيسة المسيحية ، الجواب الهادي ، سلاسل تاريخية لبطاركة الشرق ، تاريخ القديس الحمصي ايليان ، الخلاصة الجلية ، تاريخ الافغان ، زفرات القلوب ، اساس الاسرة ، اثار النصرانية في الديار الشامية ، لماذا أنا ارثوذكسي ، نحن وشهود يهوه ، نغمات الالهام في أناجيل الآلام ، بوارق الآمال .

وله مؤلفات كثيرة غير مطبوعة في اللغة والأدب والتاريخ والاجتماع تزيد على العشرين مؤلفاً ضخماً ونفيساً .

حنا خباز



حنا خباز

ولد حنا خباز في حمص سنة ١٨٧١ وفيها تلقى علومه الأولية ثم درس على نفسه فأتقن قواعد اللغة العربية ثم ذهب الى صيدا فتتلمذ في مدرسة الاميركان الى جانب العلامة فارس الخوري ونال شهادتها ، ثم عاد الى حمص ليعلم في المدرسة الانجيلية ، ولكنه ما لبث أن عاد الى بيروت لينتسب الى مدرسة اللاهوت الاميركية وينال شهادتها سنة ١٨٩٥ ، وفي عام ١٩٠١ تعين واعظاً لكنيسة حمص الانجيلية ومديراً لمدارسها ؛ وعندئذٍ قرر أن يؤسس أول مدرسة ثانوية في مدينته ونجح في تحقيق امنيته ، واذا بأول صرح ثانوي يشاد في حمص يظهر الى الوجود عام ١٩٠٨ .

وتعرض الخباز كثيراً لنقمة المستعمرين العثمانيين مما اضطره لمغادرة حمص الى مصر عام ١٩١٤ ومنها سافر بجولة حول العالم . وفي سنة ١٩٢٢ عاد الى حمص وتبرع بكل ما جمعه من أموال الى الكلية الوطنية الانجيلية التي شيدها . ثم غادر المدينة الى مصر والسودان اثر

خلاف نشب بينه وبين بعض اعضاء مجلس طائفته ، حيث مكث هناك من سنة ١٩٢٦ — ١٩٣٨ عاد بعدها الى دمشق بوظيفة رئيس للطائفة الانجيلية التي مارسها حتى عام ١٩٤٨ ؛ وبعدئذٍ انتقل الى بلدة سوق الغرب في لبنان اثر اصابته بضعف في القلب وبقي فيها حتى وافاه الأجل بتاريخ ٢٦ تموز سنة ١٩٥٥ ودفن في بيروت .

والخباز عالم كبير وخطيب منوه ، سريع الخاطر ، بديهي النكتة ، متين اللغة ، وطني مؤمن صلب العقيدة . له مؤلفات مطبوعة كثيرة هي : معلنات الصليب ، حقائق لا تدحض ، انت والكتاب ، الأدلة السنية ، حول الكرة الأرضية ، فرنسا وسورية ، البرج القديم ، المعارك الفاصلة في التاريخ ، رواية — قناصة الملوك — جمهورية افلاطون ، الفلاسفة في كل العصور ، فلاسفة الادهار ، فارس الخوري ، اسرائيل . كما أصدر مجلة جادة الرشاد طيلة / ٥ / سنوات في حمص . وله عدة مؤلفات علمية وأدبية وتاريخية لم تطبع بعد .

عبد الباسط الصوفي

هو عبد الباسط بن ابو الخير الصوفي ؛ ولد في حمص سنة ١٩٣١ وفيها تلقى علومه الأولية والثانوية ثم انتسب الى الجامعة السورية بدمشق حيث نال شهادة مجاز في الأدب العربي عام ١٩٥٦ . وفي سنة ١٩٥٧ تعين مدرساً للأدب العربي في تجهيز دير الزور وبعدئذٍ انتدبته وزارة التربية السورية للتدريس في مدارس غينيا مع البعثة الثقافية العربية فقام بمهمته خير قيام ؛ ولكنه أصيب وهو هناك بمرض عضال استعصى على الأطباء مداواته في تلك المنطقة ؛ فطلب اعادته الى وطنه ؛ ولكن امنيته لم تتحقق اذ تعذر على المسؤولين نقله وهو طريح الفراش والآلام .



عبد الباسط الصوفي

وتألم عبد الباسط كثيراً ولم تتحمل اعصابه المرهفة الاسقام والاهمال فمات منتحراً في كوناكري في شهر تموز سنة ١٩٦٠ ونقل جثمانه الى حمص حيث ووري الثرى.

وعبد الباسط الصوفي ، شاعر عبقري ملهم ، ويعتبر من شعراء الطليعة العربية في عصرنا الحديث ، رهيف الحس ، دقيق التصوير والملاحظة ، وطني التفكير ، عربي النزعة ، انساني نبيل ، رشيق العبارة. له مئات من القصائد الشعرية في مختلف الموضوعات ، وله ديوان شعر اسماه : «أبيات ريفية» وديوان شعر جامع أيضاً لم يطبع حتى الآن بالاضافة الى عشرات من المقالات الأدبية والاجتماعية المنشورة في مختلف المجلات والجرائد العربية.

الرئيس هاشم الأتاسي

هو هاشم بن خالد الأتاسي ، ولد في حمص سنة ١٨٦٩ وتلقى علومه الابتدائية فيها والثانوية في الاستانة وتخرج من الكلية الملكية فيها ؛ ثم تعين قائمقاماً في عكا سنة ١٨٩٧ ثم متصرفاً لمدينة بيروت سنة ١٩١٣. وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري الأول سنة ١٩٢٠ الذي انتخب الامير فيصل ملكاً على سورية. وفي عام ١٩٢٨ انتخب بالاجماع رئيساً للجمعية التأسيسية التي وضعت دستوراً للبلاد السورية. ووقف هاشم الأتاسي وقفة صلبة في وجه الفرنسيين مدافعاً عن وطنه ومطالباً باستقلاله. في عام ١٩٣٦ انتخب رئيساً للجمهورية السورية وظل فيها حتى تموز عام ١٩٣٩ اذ استقال منها احتجاجاً على تدخل الفرنسيين في شؤون البلاد الداخلية. وفي سنة ١٩٤٩ انتخب ثانية لرئاسة الجمهورية وبقي في منصبه حتى كانون الأول سنة ١٩٥٢ حينما استقال منها يوم أن عطل العقيد أديب الشيشكلي الحياة الدستورية في سورية. وعلى أثر الحركة الانقلابية التي قام بها الشعب والجيش واطاح بحكم الديكتاتورية سنة ١٩٥٤ أعيد الأتاسي الى منصبه حيث تابع جهاده في خدمة أمته حتى مطلع عام ١٩٥٦ حينما انتهت مدة رئاسته فعاد الى منزله في حمص ومكث في مهبط رأسه حتى وافاه الأجل في ٦ كانون الأول سنة ١٩٦٠.

ويعتبر هاشم الأتاسي المعلم الأول للوطنيين في دنيا البلاد السورية ورائدهم وقدوتهم المثلى في عالم النضال والتضحية والبذل وأشدهم اخلاصاً وتمسكاً بالمبادىء القويمة ومن اجملهم خُلقاً وخلقاً وترفعاً عن الصغائر.



الرئيس الأتاسي

وصفي قرنفلي

هو وصفي بن كامل قرنفلي ، ولد في حمص سنة ١٩١١ وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في الكلية الارثوذكسية ؛ عمل كموظف في دائرة المساحة حتى تقاعد ، زار مصر سنة ١٩٣١ ومكث فيها بضعة أشهر مطالعاً ومنقباً في المكتبات الكبرى ؛ درس اللغة العربية وتعمق فيها على يدي اللغوي الكبير المرحوم يوسف شاهين. ونظم الشعر وهو في مطلع شبابه واعتبر احد قادة طليعة الشعراء السوريين المعاصرين نظراً لما اتسم به شعره من طلاوة وسلاسة وقوة في التعبير ، اضافة الى لغة عربية متينة.

كان الشاعر وصفي ، مرهف الحس والشعور ، انساني النزعة. أما قصائده الغزلية والوطنية فهي في الذروة من المستوى الرفيع ويزيد تعداد ابياتها عن العشرة آلاف بيت من الشعر.


الشاعر وصفي قرنفلي

في عام ١٩٦٩ أصيب بالشلل، فتألم وبكى وظل طريح الفراش يصارع المرض الشديد حتى وافاه الأجل عام ١٩٧٢ ودفن في مدينته الحبيبة حمص.

وأثناء مرضه، كرمته وزارة الثقافة والارشاد السورية بأن منحته وسام الاستحقاق السوري وطبعت له أحد دواوين شعره «وراء السراب».

الدكتور سامي الدروبي

هو سامي بن مصباح الدروبي، ولد في حمص سنة ١٩٢٢ وفيها تلقى علومه الابتدائية والثانوية، ثم تابع دراسته الجامعية في كلية التربية ـ جامعة دمشق ـ حيث نال شهادة ليسانس في التربية وعلم النفس وبعدئذٍ توجه الى فرنسا حيث نال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس.

عمل الدكتور سامي منذ مطلع شبابه في الحقل الوطني وناضل ضد الاستعمار الفرنسي وانتقل في جهاده الوطني الى محاربة الاقطاعية عن طريق اعتناقه المبادىء الاشتراكية بانتمائه الى حزب البعث العربي الاشتراكي.

عين الدكتور سامي الدروبي استاذاً في جامعة دمشق ولما حدثت الانتفاضة البعثية في ٨ آذار ١٩٦٣ اشترك في الوزارة الأولى التي شكلها الأستاذ صلاح الدين البيطار كوزير للتربية. وبعد استقالة الوزارة المذكورة عُيِّن كسفير لسورية في القاهرة حيث تمكن بوظيفته واخلاصه لقوميته العربية من رأب الصدع بين سورية ومصر ـ الذي حصل يوم انفصام عرى الوحدة بينهما ـ كما حظي باعجاب ومحبة وتكريم الرئيس جمال عبد الناصر. ثم نقل الدكتور سامي الى اسبانيا كسفير لسورية فيها.

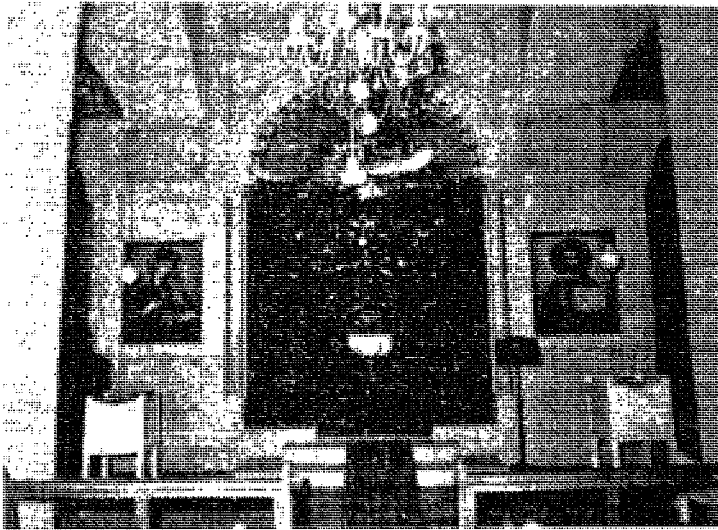
وخلال السنوات الأخيرة عانى سامي الدروبي كثيراً من ضعف في صحته اثر اصابته بمرض في قلبه لازمه حتى اواخر أيامه اذ وافاه الأجل في دمشق في ١١ شباط ١٩٧٦ ونقل

جثمانه الى حمص حيث دفن باحتفال مهيب جداً اشترك فيه الوزراء والنواب وقادة حزب البعث وجمهور غفير جداً من أصدقائه ومواطنيه.

ويعتبر الدكتور سامي الدروبي احد أبرز المفكرين القوميين الوحدويين وقد مارس التأليف والترجمة منذ الاربعينات وله أكثر من خمسين مؤلفاً في حقول الفلسفة وعلم النفس والتربية؛ كما أغنى المكتبة العربية بما قام به من ترجمات لأمهات الكتب من ركائز التراث العالمي بلغة أدبية راقية، قل من جاراه بها من الأدباء المترجمين وكان آخرها الترجمة الكاملة لأعمال الأديب الروسي الكبير فيودور ديستيوفسكي.

انتمى الدكتور الدروبي الى اتحاد الكتاب العرب وعين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٦٩ وهو يحمل عدداً محترماً من الأوسمة العربية والسورية والأجنبية.

* * *



كنيسة (أم الزنار) من الكنائس القديمة في حمص وقد عثر فيها على زنار السيدة العذراء

الفصل الخامس

حمص في دنيا الاغتراب

ليس الحديث عن تاريخ هجرة الحمصيين ومآثرهم واعمالهم الوطنية والاجتماعية والانسانية بالأمر الذي يمكن الاحاطة به احاطة تامة في صفحات قلائل من كتابنا هذا ؛ ولكننا استجابة لضميرنا القومي ولرغبة الحمصيين المقيمين في الافصاح عن مشاعرهم نحو اخوانهم المغتربين المنتشرين تحت كل سماء ، واظهاراً للحق امام الجيل الصاعد المقيم حتى يقتدوا بعصاميي مدينتهم الذين نزحوا عن وطنهم وهم لا يملكون أكثر من قوت أيام معدودة ؛ واذا بهم في ديار غربتهم يسيطرون بكدهم وجدهم واخلاصهم على مرافق تلك البلاد التجارية والصناعية ؛ دون أن ينسوا الوطن الذي محضهم حبه والبلد الذي نشأوا وترعرعوا تحت سمائه فكانوا يغدقون عليه وعلى كل مشروع انساني يقوم فيه ؛ من فيض ايديهم السخية وقلوبهم العامرة ، عاطفة حب لا تخبو لها نار ولا يقر لها قرار.

لأجل كل هذا رأيت من واجبي أن أشير ولو بايجاز الى الجمعيات والمؤسسات التي أنشأها مواطنونا في ديار غربتهم والى بعض عصاميينا هناك ممن طوت اجسادهم يد المنون ولكن اعمالهم الانسانية خلدت اسماءهم في سجل الخلود مستعيناً في تسجيل هذه الوقائع على مؤلفات ومذكرات الأديب المهجري الكبير صديقنا المرحوم الاستاذ نظير زيتون.

لقد دفعت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابان العهدين العثماني والفرنسي عدداً من ابناء حمص الى مغادرة بلدهم سعياً وراء الرزق والحرية ، لا سيما وأن اخبار القارة الاميركية وثرواتها الطائلة ، كانت تروى في المدينة فتملأ الاذهان وتثمل النفوس. وما هي الا سنوات قلائل تمضي على هجرة بعض الماهدين الأوائل الى اميركا حتى وصلت الى أهليهم الرسائل تحمل في طياتها الشيكات المالية ؛ فكانت الشرارة التي بلورت فكرة الهجرة لدى الكثيرين من الشباب فتهافتوا على السفر بواسطة السماسرة دون أن يدركوا الى أية جهة يسيرون اليها ؛ لأن القسم الأكبر منهم كان يسافر وفق المخطط الذي تضعه لهم شركات الملاحة ؛ فبعضهم يحط رجاله في الولايات المتحدة والآخر في المكسيك والثالث في

البرازيل والرابع في الارجنتين والخامس في التشيلي والسادس في الاوروغواي والسابع في كندا والثامن في البيرو والتاسع في الأكوادور والعاشر في كولومبيا ... والخ.

ولم يكن الماهدون الأولون من الحمصيين المغتربين على معرفة بلغة تلك البلاد وعاداتها وتقاليدها؛ أو أنهم كانوا يحملون ثروة معهم تعينهم على تثبيت اقدامهم في تلك المناطق، بل كان جل ما لديهم عزيمة شماء واباء واخلاص ورغبة صادقة في نيل عمل شريف وجمع ثروة يعودون بها الى وطنهم الأم غانمين فائزين، وسرعان ما اندمجوا في المحيط الذي حلوا فيه، فعملوا بنشاط واخلاص وقاسوا من المشقات ما يدك الراسيات. ونقلوا على ظهورهم (الكشة) في مجاهل تلك البلاد وعانوا من التباريح والتعب والاحتقار — أول الأمر — الواناً واشكالاً؛ ولكنهم كانوا بجلدهم وعنادهم أشبه بالجبال الراسخة؛ ففازوا بأمانيهم، وكان نجاحهم معجزة نادرة ونصراً للألمعية والخلق الكريم والدأب المستمر.

بدأت الهجرة الحمصية الى اميركا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وتزايدت في مطلع القرن العشرين، وتوقفت خلال الحرب العالمية الأولى، ثم تابعت نشاطها بعدئذٍ حتى بداية الحرب العالمية الثانية ولكنها منذئذٍ ولا سيما بعد أن نالت البلاد السورية استقلالها، ضعفت حتى كادت تتلاشى في يومنا هذا.

ومن المؤكد ان عدد المغتربين الحمصيين والمتحدرين من اصلابهم في سائر انحاء المعمورة يزيد عن عدد الحمصيين المقيمين في مدينة حمص في الوقت الحاضر.

والحمصي في ديار هجرته متمسك بقوميته، حريص على التغني بجمال مدينته والتغني بمباهجها، شديد الحنان الى اسواقها وبيوتاتها وحجارتها السود. وكل ما كان ينشئه في بلد اغترابه من جمعيات ومعاهد ومستشفيات ومنتديات كان يطلق عليه اسم مدينته الحبيبة «حمص» فهناك جمعية «الشبيبة الحمصية» في سانباولو البرازيل، وجمعية «الشبيبة الحمصية» في بيونس ايرس — الارجنتين، وجمعية «الشبيبة الحمصية» في سانتياغو — الشيلي، وجمعية «الشبيبة الحمصية» في فالبارئيسو — الشيلي، وجمعيات «الاخاء الحمصي، في كل من نيويورك ونيوجرسي وكاليفورنيا في الولايات المتحدة وفي المكسيك أيضاً؛ وهناك أيضاً «النادي الحمصي» في كل من سانباولو — البرازيل وبيونس ايرس — الارجنتين؛ وكذلك جمعية «السيدات الحمصيات» في سانباولو — البرازيل وبيروت — لبنان.

ثم تطور تفكير الحمصيين المغتربين واذا به ينطلق الى رحاب قوميته العربية وينظر بعين الحب والعطف الى كل ارجاء وطنه العربي الكبير واذا بمؤسساته الجديدة تحمل اسماء «المصح السوري» و«النادي الرياضي السوري» و«محفل نجمة سورية» و«الاتحاد السوري» في البرازيل. و«النادي السوري» و«المستوصف السوري» و«النادي الرياضي السوري» في الشيلي. ثم «المدارس العربية» في البرازيل و«الجمعية العربية» في كل من الارجنتين والشيلي وغيرها كثير.

المغتربون في البرازيل

من أبرز مظاهر الحمصي المغترب تمسكه بتقاليده العريقة وابائه وتشجيعه الأدب وتكريمه اعلام بلاده ونشره الروح الوطنية في صدور ابنائه ويتجلى ذلك في حفلات الأندية الحمصية التي بقدر ما ذخرت منابرها بحملة لواء الأدب والفن، اتسعت ابهاؤها لاستقبال الوزراء والنواب والسفراء العرب في مهرجانات اجتماعية ووطنية وخطابية حافلة.

ولقد استقبل النادي الحمصي في سانباولو واستمع الى خطب السادة يوسف السودا سفير لبنان ومحمد رستم وزير مصر المفوض وتوفيق اليازجي مستشار السفارة السورية وسامي الخوري وفريد اللحام القنصلين السوريين وعمر أبي ريشه وابو النور طيارة السفيرين السوريين والمطارنة اغناطيوس حريكة ونيفون سابا واليكسندروس جحا وبولس الخوري، كما استمع الى أكرم زعيتر ونصري المعلوف والدكتور جورج حداد وحبيب جاماتي وصلاح الدين البيطار رئيس بعثة الجمهورية العربية المتحدة وقتئذٍ واغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك السريان الارثوذكس والفريق جمال الفيصل وسواهم من الشخصيات العربية الزائرة.

وأقام النادي الحمصي السانباولي أيضاً حفلات تأبينية تذكارية في ابهائه لأشهر قادة الفكر العربي في القرن العشرين مثل: المنفلوطي وفرح انطون والبطريرك غريغوريوس حداد والمطران اثناسيوس عطالله وسعد زغلول وسليمان البستاني والخوري عيسى اسعد ونسيب عريضه وسلوى سلامه اطلس وحسني عراب وحنا خباز وسواهم.

ويعود الفضل في تسنم النادي الحمصي السانباولي ذروة الأدب والوطنية الى نفر من الغُيُر الماهدين النابهين الذين سهروا عليه واحسنوا توجيهه وادارته، امثال المرحومين:



المثلث الرحمات المطران اثاسيوس عطاالله مطران حمص
١٨٨٦ — ١٩٢٣

جبران بندقي ، خليل ديب ، خليل طرابلسي ، شفيق فرح ، مدحت غراب ، جميل الخوري ، اسعد عبدالله الحداد ، نجيب سالم ، توفيق خماسيه ، عزيز سمين ، داود الخوري ، توفيق داود الخوري ، خير الله نصور ، مراد طرابلسي ، داود شكور ، نظير زيتون ، توفيق بندقي وجورج بندقي وسواهم ، والى الأفاضل الاحياء الذين ما برحوا يسيرون على خطوات من سبقوهم الى عالم الخلود في صدق الوطنية وخدمة أمتهم العربية .

ويتجلى أيضاً أثر المغترب الحمصي متألقاً في الميدان الاجتماعي والانساني ؛ اذ أسست جمعية الشبيبة الحمصية سنة ١٩٢٣ الميتم السوري في سانباولو — البرازيل وهو يضم / ١١ / صرحاً فخماً وكنيسة ومدرسة ابتدائية كبيرة تبرع بتشييدها المرحوم اسعد عبد الله الحداد ودعيت باسمه تخليداً لذكراه يتلقى فيها الأيتام اللغة العربية الى جانب اللغة البرتغالية . ومن الشخصيات المغتربة البارزة التي أسهمت في انجاح هذا المشروع الانساني المرحوم بشارة عيسى المحرداوي الذي بنى أول دار في الميتم المذكور كما كان أول من ساهم بمبلغ



المطران الكسندروس جحا مطران حمص ١٩٤٠

كبير من المال لتشييد بناء الميتم الارثوذكسي في حي الحميدية بحمص سنة ١٩٢٥ ، ونجيب سالم ووديع اسكندر معلوف ، وتوفيق خماسمية والياس وجورج ونسيب محفوظ والياس الشويري ورزق الله جورج طحان وحبيب وتوما وغطاس وسرحان خوري وابرهيم ديب وحسيب خماسمية ومرهج حنون وميخائيل ملوحي والراهبة الحاجة مريم رمان وسواهم الذين بفضل تبرعاتهم ورعايتهم ومؤازرة الجالية لهم ، لم يعد لليتيم الحمصي البائس من وجود في المهجر البرازيلي.

ونرى في سانباولو أيضاً «جمعية السيدات الحمصيات» التي انشأت المصح السوري وأقامت له صرحاً على احدث طراز علمي يتسع لمئات الأسرة في اجمل بقعة من ضواحي المدينة «كامبوس دي جوردان» يتعالج فيه المصابون بالامراض الصدرية من ابناء العروبة على اختلاف مللهم ونحلهم بالمجان وتحت اشراف أقدر الاطباء الاخصائيين ؛ واذا ما ذكر هذا المشروع الانساني الجليل لا بد لنا أن نذكر اسماء السيدات اللواتي يعود اليهن الفضل في

تحقيقه والاشراف عليه بحدب وعطف ورعاية : نبيهة عبد الله شحفة ، ندوى طرابلسي ، اميليا سالم عطا الله ، اليس عبود رزق الله ، هيلانه تقلا يازجي ، حسيبة خوري اسطفان ، اميليا قريبة شحفة ، جوزفينا قريبة لطيف ، روزينا فركوح ناصر ، فدوى حصني ، ايقوني نحاس قريبة ، حفيظة خماسميه ملوحي ، ليديا اسطفان ديب ، ماريا طرابلسي ، سوريا طرابلسي عبود ، ليديا حداد ملكي ، مدالينا سلامه عبود ، اولغا عبود شحفه ؛ توفيقه عاقل سلوم ، ايلين انطون عيسى ، ماريا اسطفان هنود ، تمام شامي شكور ، جسماني هنود ديب ، ليديا اخرس بيطار وغيرهن من المحسنات.

وهنالك ايضاً «جمعية اليد البيضاء النسائية الحمصية» التي تأسست لأول وهلة لمساعدة العائلات المستورة مالياً ؛ ثم عدلت غايتها يوم أن ترأستها السيدة اولغا خماسمية جورج لتنشئ داراً للعجزة هي الآن من أجمل وأفخم المباني في مدينة سانباولو. وفي هذه



أسعد عبد الله حداد



كريمة أسعد عبد الله حداد

الدار يتسنى لمن اعجزته الشيخوخة ، العيش في راحة واطمئنان بال ، وكأنه ينزل في احسن الفنادق وارقاها . ومن السيدات الكريمات اللواتي يعود اليهن الفضل في اقامة هذا المشروع ورعايته : حسيبه بلان خماسمية ، حسيبه خوري اسطفان ، اميليا بلان نعمه ، روجينا خوري عفيش ، نظيره خوري قرعوني ، وديعة هزار ، ماري جبرا ، اولغا لطيف حليتو ، اوليندا بوريحان ، ليلى سليمان سعد ، اديليا بلان حداد ، باسمه غصن ، ليديا لطيف قربه ، نللي بدر خماسمية ، فوزية خريستوفي ، زيلدا خماسميه طالب ، فيكتوريا خليل شبشب ، ابارسيدا ابو صعب ، فيوليتا نرشي نقاش ، فريزه مرهج محرداوي ، صولا شكور حليتو ، كارمن شبشب سعد واليزا اسطفان بندقي وغيرهن من الفاضلات .

وكذلك أسس المغتربون الحمصيون المسلمون في سانباولو جمعية اسموها : « الجمعية الخيرية الاسلامية » ؛ غايتها الأولى مساعدة الحمصيين المغتربين الفقراء من المسلمين وبناء مسجد في سانباولو ونصرة الوطن الأم في المناسبات الضرورية . وتولى رئاسة هذه الجمعية المواطن الحمصي ابو الهدى الجندي وشاركه في مجلس ادارتها عدد من خيرة مواطنينا علماً واخلاقاً وتفانياً كالسادة : محمد وفا ، عبد الهادي النجار ، صالح ابو صلاح وعثمان الجندي .



بشاره المحرداوي

واستطاعت هذه الجمعية بما بذلته من تضحيات وبما تلقته من تبرعات مادية دفعها بحمية وغيرة اخوانهم الحمصيون المسيحيون المغتربون من تشييد المسجد العربي الجميل في مدينة سانباولو والذي يسمع فيه الآن صوت المؤذن العندليبي يرتفع مسبحاً الله باللغة العربية الفصحى الى جانب ترانيم اجراس الكاتدرائية الارثوذكسية العربية الفخمة.

وقبل أن نهي حديثنا عن جاليتنا في البرازيل؛ لا بد لنا من التنويه بالجهد الفردي الشاق الذي قام به مواطننا الاريحي المرحوم الدكتور عارف سلامه سنة ١٩٤٩، اذ أسس المدارس العربية وأشرف عليها وسهر من اجلها الليالي الطوال، وغايته من ذلك تعليم ابناء الحمصيين لغتهم الأصلية، خوفاً عليها من الاندثار عند الاحفاد الذين ولدوا على الأرض البرازيلية. وبالرغم من الصعوبات والنفقات المادية التي اثقلت كاهله واللامبالاة بمشروعه العظيم من قبل مختلف الحكومات العربية وقتئذٍ — مع الأسف — فقد استمر في خدمة وطنه وامته عدة سنوات تعاقد خلالها مع عدد من الأساتذة الغيورين لالقاء الدروس في مدارسه المنتشرة في عدة نواحٍ من مدينة سانباولو وكان التعليم في تلك المدارس بالمجان للجميع. ولما انتقل الدكتور عارف الى عالم الخلود سنة ١٩٦٥ انطفأت شعلة تلك المؤسسات الثقافية ولم يقم بعده من يملأ الفراغ الذي تركه فقيدنا الكبير.

المغتربون في الأرجنتين

منذ ما يقارب الستين عاماً مضى ، تأسست في بونس ايرس الارجنتين جمعية «الشبيبة الحمصية» التي دأبت على جمع صفوف الحمصيين المغتربين في بوتقة تضم شملهم وتسهم في دفع الأذية عنهم وتقديم المساعدات المادية والأدبية الى الوطن الأم حمص وكان الدعامة المرحومان الكريمان راغب كيتلون وميخائيل سرحان اورفلي.

وفي عام ١٩٣٧ قامت هذه الجمعية بتشييد ناديها الفخم الذي يعتبر الآن أفخم بناء يمتلكه العرب في الأرجنتين وأطلقت عليه اسم النادي الحمصي ؛ كما ابدلت اسمها من جمعية الشبيبة الحمصية الى جمعية «النادي الحمصي» ومن الشخصيات المغتربة البارزة التي أسست هذا النادي المرحومون : راغب كيتلون ، يوسف سركيس ، عبد المسيح عبود ، اسبر شقرا ، متري عبود ، نديم مرشد عبود ، بنايوت مرشد كيتلون ، ابرهيم وربلي وغيرهم كثيرون من الذين ما برحوا على قيد الحياة يتابعون خطى من سبقوهم الى عالم الخلود.

ويعتبر النادي الحمصي في بونس ايرس «بيت العروبة في الارجنتين» اذ أنه لم يترك أية سانحة أو ذكرى وطنية أو قومية عربية الاّ وجعل منها عيداً قومياً ومهرجاناً يردد على اسماع الجالية العربية صوت العروبة المدوي الناطق بالصدق والحق في ارجاء المهجر الارجنتيني ؛ كما وأنه في كل الحالات التي حلت أو تحل بالوطن العربي نائبة أو كارثة الاّ وكان النادي الحمصي السبّاق الى غسل الدموع وتضميد الجراح فمن كارثة فلسطين ثم العدوان الثلاثي على مصر في بور سعيد سنة ١٩٥٦ الى سائر مشاريع حمص الخيرية الكثيرة ، جميعها تشهد بما بذله هذا النادي من جهود ومن معونات مادية كبيرة وتعلن للملأ ما تحلى به رؤساؤه وأعضاؤه من وطنية واخلاص وتضحية.

تولى رئاسة هذا النادي المحسن الكبير المرحوم راغب كيتلون طيلة / ١٥ / عاماً متتالية كما تولاها أيضاً السادة : نديم مرشد عبود ، بهيج عبود ، بنايوت كيتلون ، قسطنطين فركوح وابرهيم اورفلي وسواهم ... كما تولى رئاسته أيضاً الالمعي الأديب والوطني المناضل السيد رامز بتراكي شقرا الذي يعتبره المغتربون والمقيمون اللولب الدائم الحركة والنشاط في خدمة القضية العربية في المهجر الارجنتيني.

المغتربون في الشيلي

ذكرت الأديبة الكبيرة المرحومة ماري يني قرينة المحسن الحمصي السيد ابرهيم عطاالله في كتابها «تاريخ الشيلي» ما تمكنت من معرفته عن تاريخ هجرة الحمصيين الى الشيلي ما يلي :

«ان اوائل من وطأت اقدامهم أرض الشيلي من ابناء حمص هم الأخوان ملحم ورشيد عوض الحجار وشقيقتهما يمنى وزوجها سليمان البحر وذلك بين سنة ١٨٨٥ — ١٨٩٠ ثم تبعهم ابرهيم سابا ، انطون وعيسى وحبيب سليمان طنوس ، عوض عبد الله الحجار وشقيقاه نجيب وانيس ، داود تقلا ، حنا موسى سيف وزوجته حسيبة زكور» .

ويقدر عدد الحمصيين المغتربين الآن والمتحدرين من اصلابهم في المهجر الشيلاني بما لا يقل عن العشرين الف نسمة ؛ تستوطن غالبيتهم في العاصمة سانتياغو وفي مدينة فالبارئيسو المرفأ الرئيسي للبلاد .

في عام ١٩١١ أسس الحمصيون في العاصمة الشيلانية — سانتياغو — الجمعية الأهلية التي اقتصرت عضويتها على أسرة حجار واقربائها ، والتي كانت غايتها مساعدة المحتاجين من هذه الأسرة ؛ ثم انحلت هذه الجمعية بعد مدة وجيزة لتندمج في جمعية «الاخاء الحمصي» التي تأسست سنة ١٩١٢ ، والتي اندمجت بدورها في جمعية «الشبيبة الحمصية» المؤسسة سنة ١٩١٣ من قبل المغتربين الحمصيين : ابرهيم عطاالله ، جميل شوحي ، عبد المسيح كيتلون ، جميل حجار ، انيس قندلفت ، سابا ناصر ، صابر الاخرس ، سابا ابرهيم سابا ، شحود حجار ، عبدو غاتا ، فريز محيسن ، زكي كيتلون ، سرحان بندوق ، راغب بحر وعزيز حموي .

وجمعية الشبيبة الحمصية المشار اليها تقوم اليوم بأعمال انسانية خيرية ووطنية جمة ؛ اذ ترسل المساعدات المادية والأدبية الى الوطن الأم في شتى المناسبات . وهي تحتضن في مدينة سانتياغو مشروع المستوصف السوري الذي يتطبب فيه وينال منه الادوية والعلاج بالمجان شهرياً ما بين الف والف خمسمائة نسمة .

وفي الشيلي أيضاً «النادي السوري» الذي تولى رئاسته سنوات عدة المغترب الحمصي حافظ اللبان (سفير الشيلي الاسبق في سورية ولبنان) وأمانة سره الأديب الألمعي سعد الله

خوري — شقيق المؤلف ونجل العلامة الخوري عيسى اسعد — وهو المنتدى الذي يجمع في العاصمة الشيلانية شتات العرب المغتربين في حفلاتهم الأدبية والاجتماعية والوطنية.

واضافة الى المؤسسات السابقة فقد تأسست في الاربعينات جبهة التحرير العربية التي انقلبت مؤخراً الى جمعية «الاتحاد القومي العربي» والتي اخذت على عاتقها عبء الدفاع عن القضايا العربية في المهجر الشيلاني ودفع أكاذيب الصهاينة وأذنابهم بهمة ونشاط كبيرين تعجز عنه سفارات الدول العربية. ويتولى رئاسة هذه الجمعية مواطننا الحمصي الأديب المفكر الأستاذ نصر الله مسوح تؤازره حفنة ممتازة تعتبر من خيرة رجال حمص المغتربين في تلك البلاد.

أما في مدينة فالبارئيسوالشيلي، فقد تأسست فيها جمعية تحمل اسم «الجامعة الحمصية» سنة ١٩١٤ وكان أول رئيس لها السيد سليمان عبد الله الخوري. وبعد أن مر على تأسيسها بضع سنوات فقد حولت اسمها الى جمعية «الشبيبة الحمصية» التي اسهم في انجاحها ورفعة شأنها الرجل الانساني المرحوم عبد المسيح ملوك كما تولى رئاستها بعدئذٍ بمقدرة ونشاط وغيرة مواطننا الحمصي المرحوم راغب طوق.

وهذه الجمعية ما برحت تقوم بأكثر مما يفرضه عليها الواجب، اذ أن عينها لا يغمض لها جفن عن كل عمل أو مشروع خيري وانساني، ووطني يقوم في مدينتهم الحبيبة حمص أو في وطنهم الغالي سورية الا وتكون لأياديها السمحة الندية ثمرات فيه.

وفي مدينة فالبارئيسوتأسست أيضاً سنة ١٩٣٣ جمعية اطلق عليها اسم جمعية «السيدات الحمصيات» وغايتها مساعدة المحتاجين من المغتربين وانشاء مستوصف عربي لتخفيف أوجاع المرضى ومداواتهم بالمجان. وقد تم تحقيق هذا المشروع الانساني بفضل نخبة من السيدات الحمصيات الفاضلات المغتربات امثال: مدلين حلبي عبد النور، ليديا ملوك قرنفلي، ايفون عبد النور ملوك، سيلفيا زهر مهنا، اولغا زهر خوري، فيكتوريا عبود حموي، استيليا عبود طوق، عفيفه ملوك زهر، ماريا عبد النور حلال، ماري كياس قاعي وروسا طحان وغيرهن من كرام السيدات العاملات.

المغتربون في المكسيك

يرجع تاريخ هجرة أول حمصي الى بلاد المكسيك الى مطلع القرن العشرين ومن

الماهدين الأوائل السادة : يعقوب ديب وسليم نسطه وغيرهما . ويشكل الحمصيون الآن في ديار المكسيك جالية صغيرة يتراوح عدد افرادها بين ١٠٠ والف نسمة منتشرة في سائر انحاء تلك البلاد الواسعة وغالبية افراد هذه الجالية تقطن العاصمة مكسيكو .

وفي هذه العاصمة أسس الحمصيون المغتربون جمعية اطلقوا عليها اسم جمعية «الاخاء الحمصي» التي تقوم بأعمال خيرية كثيرة دون أن تنسى تزويد الوطن الأم بشتى المساعدات حين الملمات .

والجالية الحمصية في المكسيك بالرغم من ضآلة عدد افرادها فهي تتمتع برصيد كبير من التفوق في الحقلين التجاري والصناعي بالاضافة الى سمعة عطرة ممتازة محضتهم ثقة الشعب المكسيكي وحكوماته المختلفة الآراء ؛ وأصبح الآن لكلمتهم الصائبة الحكيمة القول الفصل حين تأسيس المشاريع الخيرية أو الأدبية أو الوطنية يرجع اليها جميع ابناء الجاليات العربية التي تستوطن المكسيك .

ومن الحمصيين الذين استطاعوا بجدهم تسنم المراكز الاجتماعية والأدبية والتجارية المرموقة في المكسيك السادة : يعقوب ديب وابناؤه ، وصفي وانور ووليم والدكتور اميليو وجميل وفيكتور ويولندا وأولغا ، وسليم نسطه وابناؤه ، خليل نسطه وابناؤه ، كامل ناصيف وزوجته زكية سلامه وابنتهما ايلينا ، واليكسي وعفيف وفيكتور وانور واميل وانيتا مبيض ، وجورج وعفيف جبيلي ، وعفيف قنواتي ، وجيه سمان واولاده رياض وجميل ونزيه ، نعيم نجيب عبود واولاده كمال واميل وفوزي وجميل ، ناجي الخوري وانطوان يوسف الخوري وغيرهم من كرام الشخصيات التي وصل بعضها الى مراكز حساسة عالية في الدولة المكسيكية .

المغتربون في الولايات المتحدة

بدأت هجرة الحمصيين الى الولايات المتحدة الاميركية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، وتركزت بنوع واضح في مدينة نيويورك . ومن الماهدين الحمصيين الاوائل السادة : نقولا وعيسى عوض فصحية وامين مرهج وسليم شحفه ؛ ثم تبعهم عدد آخر من المغتربين نذكر منهم : كامل غصن ، نقولا الحطاب ، حاتم نحاس ، جبران عوض فصحيه ؛ كامل وعزيز ختن ، توفيق وصادق وعارف وكامل اورفلي ، الدكتور كامل سلمان الخوري

وغيرهم. ومع دخول القرن العشرين تبعت تلك القافلة أرتال جديدة تضم عدداً من الأسر الحمصية المعروفة مثل: عائلات: غراب، نحاس، اورفلي، حداد، طرابلسي، خوري، اسكندر، كباش، عريضه، خباز، فركوح، نادر، حلال، معماري، نرشي، عاقل، حموي، صباغ، شغري، فرح، كنعان، فارس، زيتون، شحفه وسواها.

وبعد أن كانت هجرة الحمصيين تتركز مستقرة لأول وهلة في نيويورك وضواحيها فقد أخذت تشق طريقها الى مختلف انحاء الولايات الاميركية؛ اذ توجه قسم من المغتربين الى ولاية اوهايو والآخر الى نيوجرسي والثالث الى متسيفين والرابع الى كاليفورنيا والخامس الى فلوريدا والسادس الى فيلادلفيا والسابع الى... ومن الأمور المسلم بها أن الحمصي المغترب لا يقصد أية ولاية أميركية — في الوقت الحاضر؛ الا ويجد فيها بعض أبناء حمص الذين يرحبون به بكرم موروث وبشاشة وايناس يخففان عنه لواعج الاغتراب ويقدر عدد أفراد الجالية الحمصية والمتحدرين من أصلابهم في الولايات المتحدة الأميركية بما لا يقل عن الخمسة عشر ألف نسمة، ترتع غالبيتهم المطلقة في بحبوحة من العيش بالاضافة الى نجاح اعمالهم التجارية ونبوغ عدد كبير من ابنائهم في شتى انواع العلوم ونحن نذكر كمثال حي على نبوغ الحمصيين وتفوقهم المهندس المخترع النابغة الدكتور جرير حداد نجل الأديب الكبير الصحفي المرحوم الأستاذ عبد المسيح حداد الذي يتولى في الوقت الحاضر منصب رئيس شركة الآلات التجارية العالمية «آي — بي — ام» وهي أكبر شركة تجارية كهربائية الكترونية في العالم. وهو الذي اخترع الآلة الحاسبة الجبارة الالكترونية رقم ٧٠١ التي لا تخطئ.

وبالرغم من تبوتق القسم الأكبر من الجالية الحمصية في الولايات المتحدة بالبوتقة الاميركية فان قسماً لا يستهان به منهم ما برح يحن الى بلده ويحافظ على سمعته وكرامته ويحتفظ لوطنه بالحب والعطف ويمده في المناسبات بالمساعدات المادية والأدبية. ولذا رأينا ولادة: جمعية «الاخاء الحمصي» في بروكلن نيويورك برعاية اسر عوض واورفلي وختن وغراب وخوري، منذ اوائل القرن العشرين والتي لا تزال على قيد الحياة تقوم بتأدية دورها الوطني والانساني. والى جانبها نرى في باترس نيوجرسي جمعية «الاخاء الحمصي» أيضاً التي تأسست سنة ١٩١٥ وغايتها مديد العون الى المحتاجين ودعم الأعمال الخيرية العربية في المهجر ومؤازرة الميتمين الاسلامي والمسيحي في حمص. ويناهز اليوم عدد اعضاء الجمعية العاملين الخمسين شخصاً بين سيدات وسادة.

وفي اواسط هذا القرن — القرن العشرين — تأسست في لوس انجلوس — كاليفورنيا جمعية «الاخاء الحمصي» أيضاً وأيضاً لتكون منبراً يستمع منه المغتربون الى كلمات الخطباء الذين ينقلون اليهم انباء وطنهم الحبيب وبلدهم الطيب. ولطالما مدت هذه الجمعية المشاريع الوطنية والاجتماعية القائمة في بلادهم بالمعونة المادية والأدبية. ومن الذين يشار اليهم من رؤساء تلك الجمعية كرمز للتضحية والعمل المثمر السادة: عبد الله نادر، فؤاد حموي، فهد انيس زيتون.

ولم يقتصر عمل الحمصيين في الولايات المتحدة على الحقلين التجاري والصناعي والتقني بل رأيناهم في طليعة من يهب للمحافظة على الأدب العربي واللغة العربية في ذلك المهجر فالاستاذ الألمعي الكبير المرحوم عبد المسيح حداد أصدر منذ أكثر من خمسين سنة جريدة «السائح» التي كانت المنتدى الأدبي الرفيع لحملة الاقلام والفكر العربي في الولايات المتحدة الاميركية امثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وامين الريحاني ورشيد أيوب ووليم كاتسفليس وايليا أبو ماضي والشاعرين الحمصيين العبقريين نسيب عريضه وندره الحداد وسواهم من اعضاء الرابطة القلمية الذين يعتبرون بحق من أبرز قادة الفكر العربي في عصرنا الحاضر.

كما سبق لمواطننا الحمصي الشاعر المرحوم الأستاذ نسيب عريضة أن أسس مجلة «الفنون» في نيويورك التي لم تكتب لها الحياة أكثر من ثلاث سنوات والتي اعتبرت حين ظهورها أرقى مجلة أدبية عربية عرفها المغتربون.

المغتربون في لبنان

الحديث عن هجرة الحمصيين الى لبنان واستيطانهم فيه يختلف عن مثيله الى بقية الاقطار اذ أن سورية ولبنان كانا يشكلان وحدة مترابطة متراصة لا تفرق بينهما حدود أو سدود، بل تشدهما الى بعضهما البعض رابطة عميقة الجذور في التاريخ القديم والحديث لم تنفصم عراها شكلاً الا حينما وقعت القطيعة السياسية بينهما عام ١٩٥١.

وكان سكان القطرين يتنقلون بين المدن المختلفة يعملون فيها براحة واطمئنان وكأنهم لم يغادروا مهبط رأسهم؛ ولذلك انتقلت عائلات كثيرة في القرون الاخيرة الى لبنان فاستوطن بعضها في المدن كزحلة وطرابلس وبيروت وبعلبك وصيدا، كما انتقل في الوقت ذاته عدد

من الأسر اللبنانية الى سورية واستوطن بعضهم مدينة حمص وأصبحوا مع مرور الزمن اعضاء في الاسرة الحمصية.

ولو أردنا التبسط في هذا الموضوع لتطلب ذلك منا كتاباً خاصاً، الأمر الذي قد نستدركه في كتابنا — تاريخ الاسر الحمصية — الذي باشرنا في اعداده، وقد آثرنا هنا الاكتفاء بذكر الهجرة الحمصية الى لبنان الخاصة بالحقبة العاشرة من مؤلفنا هذا.

لقد أمَّ مدينة بيروت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر نفر من تجار حمص وغايتهم دراسة الوضع التجاري فيها وامكانية العمل نظراً لمركز بيروت الاقتصادي كثغر رئيسي هام للبلاد العربية. وسرعان ما وجدوا أن ابواب الرزق مشرعة أمام المجتهدين المكدين؛ فشمروا عن سواعد العزيمة ومضوا يشقون الطريق وكلهم نشاط وصدق وأمل، واذا بهم بعد فترة وجيزة من الزمن من ابرز الشخصيات التجارية المشهورين بصدقهم واخلاصهم في عملهم وحسن معاملاتهم مع تجار لبنان.

ومن اوائل الماهدين الحمصيين الذين قطنوا مدينة بيروت، ونجحوا وأثروا في تجارتهم: روفائيل حنا رزق وشقيقه عبد المسيح ونوري عيسى رزق وكامل زخور وعبد السلام السباعي وسواهم؛ وبعد سنوات قلائل استوطن بيروت عدد من الأسر الحمصية المعروفة نذكر منها: آل عبد الملك، شاليش، الدربي، اتاسي، سمعان، تقلا، سباعي — التي أصبح احد افرادها السيد عبد الكريم رئيساً للمجلس البلدي في بيروت — نبكي، صروف، حموي، فركوح، زعرور، شبوع، دويري، صباغ، صيرفي، شعاع، زيتون، كبا، الأسعد، سلستي، عبود، فارس، سوح، شماس، حداد، عريضه، شقرا، كرامه، سمين، خباز، سرياني، ديب، جقليص، قصير، لويس، اسكندر، شهدا، يبرودي، شراك، شكور، معصراني، غراب، شمسي باشا، رمضان، شامي، رفيعه، خوري وحصني مما جعل عدد الحمصيين والمتحدرين منهم يشكلون الآن في بيروت وحدها أكثر من الف نسمة وفي سائر انحاء لبنان حوالي خمسة آلاف نسمة.

في عام ١٩٥٤ دفعت الحمية والغيرة والمروءة عدداً من السيدات الحمصيات المستوطنات مدينة بيروت الى تأليف جمعية اطلقن عليها اسم «الجمعية الخيرية للسيدات الحمصيات في بيروت» وغايتها مساعدة العائلات الحمصية المستورة وتخفيف آلام البائسين منها وتقديم المعونة المادية لمشاريع مدينتهم حمص الانسانية.

وعقدت الجمعية اجتماعها الأول في منزل السيد حافظ اللبان الحمصي وسفير الشيلي في سورية ولبنان وقتئذٍ ــ واسفر الاجتماع عن اقرار مشروع تأسيس الجمعية المذكورة التي تقدمت الى وزارة الداخلية اللبنانية بطلب الاجازة الرسمية فنالتها في اواخر عام ١٩٥٤ باسم السيدات المؤسسات: نعيمه بهيج عريضه، روزيت شفيق عريضه، سميه جان سوسو، ايفون قسطنطين كرامه، وجيهة رفيق الأسعد، ليلى عبد الكريم صباغ، اليس توفيق صباغ وماري انطون شقرا.

وأخذت هذه الجمعية تعمل جاهدة في سبيل تحقيق الغاية النبيلة التي من أجلها تأسست، ونجحت الى حد بعيد في ذلك، اذ أن يدها الخيرة خففت من آلام المحتاجين في بيروت كما اسهمت ولا تزال في مؤازرة المشاريع الخيرية في البلد الأم حمص. وتضم الجمعية الآن في عضويتها عدداً من السيدات الحمصيات يتجاوز عددهن الخمسين عضوة.

المغتربون الحمصيون في بقية انحاء العالم

لم يترك الحمصيون بقعة من بقاع العالم الا وقد امها نفر منهم، فبعضهم ذهب الى اليابان والفليبين والهند وسيلان واستوطنوا فيها وهم قلة؛ والبعض الآخر سكن العراق والحجاز واليمن والاردن في آسيا وآخرون استوطنوا فرنسا وانكلترا وروسيا والمانيا واليونان في اوروبا وكندا وكولومبيا وفنزويلا والاكوادور والبيرو وكوبا وترينيداد والارغواي في القارة الاميركية والسودان والحبشة في افريقيا.

وكم كنا نود الحديث عن المشاريع الانسانية التي حققوها في ديار هجرتهم لو أنهم شكلوا هناك جمعيات أو نوادي تربط بينهم وتحقق امنياتنا وامنياتهم وتحمل الطابع الوطني للبلد الذي انشأهم ولكن قلة عددهم في تلك الامصار، حال بينهم وبين تنفيذ ما أردناه جميعاً لذلك كان عملهم فردياً، اقتصر على المساعدات المادية الشخصية التي كان يرسلها الى بلده بعض المجلين منهم في الحقل التجاري.

اما الهجرة الى مصر فقد ضربنا صفحاً عن ذكرها لأن الحمصيين هناك بالرغم من وفرة عددهم واحتلالهم مراكز اجتماعية مرموقة فانهم مع الأسف لم يشكلوا أية مؤسسة أو جمعية تحمل اسم حمص، لذلك نكتفي هنا بذكر اسماء بعض الأسر الحمصية المنتشرة في المدن

المصرية المختلفة : فركوح ، اورفلي ، طرابلسي ، اخرس ، لطيف ، حصني ، لوقا ، توكل ، رزق ، خوري انطاكي ، خوري ، ناصر ، عوض ، قربه ، شوشه ، قرنفلي ، جمال الدين ، حداد ، طلبات ، عبود ، حسامي ، حموي ، فيصل وغيرها من العائلات المقيمة في القاهرة والاسكندرية وطنطا والزقازيق والتي يشكل عدد افرادها ما لا يقل عن العشرة آلاف نسمة.

* * *

اعلام الحمصيين المغتربين

١ — المعلم داود الخوري


داود قسطنطين الخوري
١٨٦٠ — ١٩٣٩

هو داود بن قسطنطين الخوري ؛ ولد في حمص سنة ١٨٦٠ وفيها تلقى علومه الأولية ، ثم عمد الى المطالعة واذا به يصبح بعد زمن قصير في طليعة الادباء المجلين في بلده ، وتنفتح عبقريته عن شعر رقيق ،وفن تصويري توضح في قصائده وفي مؤلفاته التمثيلية الرائعة : «جنفياف ، اليتيمة المسكوبيه ، الصدف المدهشة ، عمر بن الخطاب ، العجوز ، الابن الضال ، وجابر عثرات الكرام». التي مثلت كلها على مسارح الاندية الأدبية في حمص والمهاجر عشرات المرات ونالت استحسان واعجاب المشاهدين.

عمل داود الخوري لأول عهده في الوظائف الحكومية في حمص ، ولكنه سرعان ما عدل الى خدمة العلم والأدب. تولى التدريس في المدارس الأرثوذكسية بحمص فأفاد المجتمع فائدة جلّى اذ تخرج على يديه مئات الطلاب اضحوا بعدئذٍ من أرقى رجالات المدينة علماً وثقافة وأخلاقاً لأنه سكب في عقولهم عصارة روحه وفكره.

رزق المعلم داود بأبناء وبنات هم من خيرة رجالات حمص المغتربة في المهجر البرازيلي علماً واخلاقاً ووطنية وغيرية.

في عام ١٩٢٥ هاجر المعلم داود الى البرازيل بدعوة من الجاله، ورحبت به الجالية الحمصية وأكرمته الاكرام الذي يليق به نظراً لفضله العميم على الكثيرين من افرادها. وفي شهر شباط سنة ١٩٣٩ وافاه الأجل ودفن في مدينة سانباولو، وأقيمت لذكراه الحفلات التأبينية من قبل تلامذته واصدقائه في البرازيل والولايات المتحدة وفي مدينته حمص وكلها كانت تعدد مزاياه وصفاته الحميدة ومنوهة عن غزارة علمه ومتحدثة عن أفضاله العلمية عليهم.

٢ — بدري فركوح

هو بدري بن سليم فركوح؛ ولد في حمص سنة ١٩٠٢ ونشأ وتعلم فيها ثم هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية حيث عمل في حقل التجارة. وظهر نبوغه الأدبي في شعر عاطفي رقيق جمعه في ديوان شعر مطبوع اسماه «قيثارة الشباب» وله قصائد عاطفية ووطنية أخرى لم تطبع.

ولم يعمر بدري فركوح اذ وافاه الأجل وهو في نضرة الشباب في مدينة نيويورك سنة ١٩٤٢ ودفن فيها.

٣ — بيترو طرابلسي

هو المرحوم بيترو بن صادق توما طرابلسي؛ ولد في نيويورك سنة ١٩٠٧ وعاد مع والديه الى موطنهما الأصلي حمص سنة ١٩١١ حيث تلقى علومه في مدرسة الروم الارثوذكس ثم تركها قبل نيله الشهادة الاعدادية ليساعد والده في اعاشة عائلته فامتهن الصياغة.

وكانت مواهبه الفنية قد تفتحت براعمها وهو في المدرسة فلحّن ونظم الشعر وشغف بالتعمق في دراسة الأدب العربي القديم. ولما عاد الى نيويورك سنة ١٩٢٤ تبلورت مواهبه الفنية الموسيقية وسطعت شمس شاعريته.

درس علم النوتة الافرنجية والف مقطوعات موسيقية غربية كثيرة ممتازة. وكان بيترو

يعتبر نفسه ملحناً اولاً وشاعراً ثانياً ؛ ومع ذلك فان نتاجه الشعري كان أكثر من نتاجه الموسيقي. اعجب به ايليا أبو ماضي واحبه ونشر له الكثير من شعره في مجلته (السمير) وكانت علاقته الروحية شديدة الاواصر مع نسيب عريضه وعبد المسيح حداد وغيرهما.

تزوج بيترو سنة ١٩٣٧ ورزق بولدين. ولكنه أصيب في عام ١٩٤٢ بمرض عضال اصابه في الدماغ فوافاه الأجل في ايلول من السنة المذكورة وخسر الفن والأدب والفضيلة بوفاته ركناً قوياً.


نسيب عريضه

٤ — نسيب عريضه

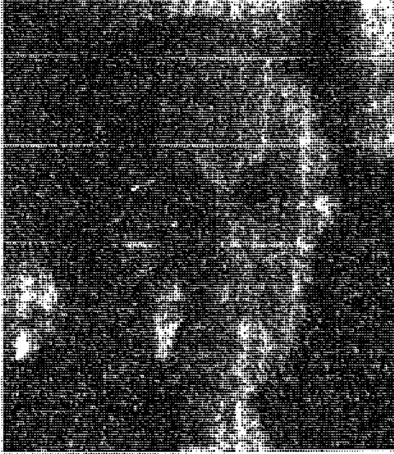
هو نسيب بن اسعد عريضه ، ولد في حمص سنة ١٨٨٨ ونشأ فيها وتلقى علومه الأولية في المدرسة الارثوذكسية ثم انتقل الى لناصرة لمتابعة دراسته الثانوية. وهناك تعرف الى التلميذ ميخائيل نعيمه فتصادقا وتحابا. وبعد نيله شهادتها ،هاجر الى الولايات المتحدة وزاول مهنة الأدب فنظم الشعر وتفوق في شعر الحنين الى الوطن. انشأ مجلة «الفنون» التي عاشت ثلاث سنوات فقط ، واضطر نسيب بعدئذٍ الى ايقافها للعجز المادي الذي أصيب به. ثم حرر في جريدة «مرآة الغرب» ؛ وأخذ يتسلق قمة المجد في الشعر فيبدع في الوصف ويحيي تراث الشعراء الذين اسدل الاهمال على اسمائهم ستراً كثيفاً — كديك الجن الحمصي وأبي فراس الحمداني — وهكذا تغلغل شعره الانساني الرقيق الى الارواح فأسكرها برحيقه وبصدق احاسيسه.

أسس الرابطة القلمية في الولايات المتحدة مع اخوانه اساطين الأدب العربي في المهجر : جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمه ، ندره وعبد المسيح حداد ، رشيد ايوب ، ايليا أبي ماضي ، امين الريحاني ووليم كاتسفليس.

لنسيب عريضه ديوان شعر مطبوع اسماه «الارواح الحائرة» وديوان شعر آخر لم يطبع.

انتقل الى رحمة ربه في شهر آذار سنة ١٩٤٦ ودفن في مدينة نيويورك. ومن أجمل قصائده في الوطنية والحنين تلك التي يتغنى فيها بمدينته الحبيبة حمص والتي مطلعها «يا حمص يا أم الحجار السود».

٥ — سلوى سلامه اطلس


سلوى سلامه اطلس

هي سلوى بنت بطرس سلامه؛ ولدت في حمص سنة ١٨٨٣ وتعلمت في مدرسة البنات الارثوذكسية وظهرت عليها علائم الذكاء والنبوغ فتعهدها بالعناية شقيقاها الاستاذان حبيب وقبلان. واذا بها تتمكن من اللغة العربية والتاريخ والرياضيات وينبه أمرها عندما بدأت في نشر المقالات الادبية والاجتماعية في المجلات العربية المعروفة وقتئذٍ.

وفي عام ١٩١٣ اقترنت بالكاتب الكبير والشاعر المبدع الاستاذ جورج اطلس وهاجرت معه الى البرازيل حيث اصدرت مجلة «الكرمة»، التي اعتبرت أرقى مجلة عربية في دنيا المهاجر. وظلت سلوى تحررها منفردة بعد وفاة زوجها سنة ١٩٢٦ حتى وافاها الأجل في شباط سنة ١٩٤٩ ودفنت في سانباولو.

وبوفاة السيدة سلوى توقفت مجلة الكرمة عن الصدور وكانت خسارة الجالية العربية في المهجر جسيمة من الوجهتين الأدبية والمعنوية.

اما ما امتازت به سلوى سلامه اطلس فيتلخص بأنها كانت: أديبة لوذعية محلقة وشاعرة رقيقة العاطفة وخطيبة مفوهة تلهب العواطف الى جانب وطنية عربية صادقة وخلق هو في ذروة السمو والاخلاص والتضحية والمحبة.

٦ — ندرة حداد

هو ندرة بن عبده حداد، ولد في حمص سنة ١٨٨١ وتلقى علومه في المدرسة

الارثوذكسية ، هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٩٧ وعمل في التجارة في نيويورك لأول وهلة ثم مال الى الأدب والصحافة وأخذ يساعد شقيقه الأديب المهجري الكبير عبد المسيح في تحرير جريدته «السائح» ثم توظف في احد المحلات المصرفية.

ويعتبر ندره حداد من اعظم الشعراء المهجريين ومن دعائم النهضة الأدبية. وهو من مؤسسي الرابطة القلمية في نيويورك، لقب بشاعر حمص. كان نسيجاً وحده في عفة القلب واليد واللسان، فجاء شعره مرآة نفسه عذوبة وبساطة ونعومة وصفاء؛ فهو بهذا من اولئك الشعراء المجددين بأوزان الشعر العربي وان كان من أشد المحافظين لغة.

في نظمه ايثار للايجاز، وقد اولع بالبحور الشعرية القصيرة المجزأة؛ ويتسم شعره كما تتسم آثار الرابطيين عامة بحيرة النفس والتشكك؛ وهو صادق العزيمة، بعيد جداً عن التعصب الديني، قدوة في نظافة النفس والوجدان وفي المحبة والتسامح.

لندره حداد ديوان شعر مطبوع اسماه «اوراق الخريف» طبع في نيويورك سنة ١٩٤٠ يقع في ٣٠٨ صفحات.

توفي في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٠ ودفن في مدينة نيويورك واقامت له جمعية اصدقاء المغتربين في حمص حفلة تأبينية كبرى شملها برعايته رئيس الجمهورية السورية السيد هاشم الأتاسي وقتئذٍ؛ معددة الخسارة الجسيمة للأدب والشعر بفقده.

٧ــ حسني غراب

هو حسني بن رشيد غراب، ولد في حمص سنة ١٨٩٩ وتلقى علومه في المدرسة الانجيلية فيها ثم في مدرسة طرابلس الاميركية وتخرج منها عام ١٩١٤ ثم عاد الى مدينة حمص فعمل فيها معلماً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ثم انتسب الى خدمة الدولة كموظف في مصلحة املاك الدولة ولكنه ما لبث أن هاجر الى البرازيل حيث عمل في التجارة حتى وافاه الأجل سنة ١٩٥٠.

وحسني غراب شاعر مهجري مجيد، متمكن من اللغة العربية وآدابها؛ قال عنه الشاعر الكبير عمر ابو ريشه: «انه اصفى شعراء المهجر ديباجة». حفظ شعر الأقدمين ونسج على منوال المجيدين منهم. امتاز برقة عاطفته في النثر، كما امتاز بروحه الانسانية الكريمة. نزع للشعر السياسي استجابة لعاطفته الوطنية المتأججة.

لم ينصرف للأدب والتحرير الا في ساعات الفراغ القليلة أو في المناسبات ، وكثيراً ما نشر وكتب في مجلة «العصبة الأندلسية» في البرازيل ، التي كان احد اعضائها البارزين.

وأقيمت لذكراه بعد وفاته حفلات تأبينية في دنيا المهاجر. وفي وطنه حمص التي أحيت ذكراه جمعية أصدقاء المغتربين بلسان خطبائها.

ومن قصائده التي تحمل الرقة في شعره العاطفي نحو مدينته حمص الأبيات الشعرية التالية :

ابعد حمص لنا دمع يراق على — منازل أم بنا من حادث هلع
دار نحنُّ اليها كلما ذكرت — كأنما هي من أكبادنا قطع
وملعب للصبا نأسى لفرقته — كأنه من سواد العين منتزع

ومن شعره الوطني هذه الابيات كنموذج :

وطن لو خير الحسن لما — اختار الأه من الدنيا مقر
يشتهي كل غريب قربه — وقضاء الله يأبى والقدر
عفوك اللهم إن همنا به — وعبدناه تراباً وحجر

٨ــ جبران توماني

هو جبران قبلان توماني ؛ ولد في حمص سنة ١٨٩٩ وتعلم فيها. ثم عمد الى المطالعة على نفسه ، وأصبح من الأدباء المرموقين بعد أن امتلك ناصية اللغتين العربية والفرنسية. وفي عام ١٩٢٦ تعين مفتشاً عاماً للسكك الحديدية في سورية ولكنه لم يمكث فيها طويلاً بل استقال من الخدمة وهاجر مع أسرته الى الشيلي بالرغم من مركزه الاجتماعي الكبير في وطنه ؛ وهناك استطاع بجده ونشاطه واخلاصه من الاثراء في عمله التجاري. وفي سنة ١٩٥٢ عينته الحكومة الشيلانية قنصلاً عاماً لها في سورية ولبنان. وما أن وطأت قدماه أرض سورية الحبيبة حتى زار مهبط رأسه مدينة حمص حيث رحب به خيرة رجالاتها وأدباؤها ، وأحلته بلده سويداء قلبها.

خدم جبران توماني ، وطنيه الأول والثاني باخلاص وكفاءة في وظيفته الجديدة مدة سنة ونصف ؛ ولكن نفسه الأبية الطموحة الحرة ؛ ما لبثت أن عافت قيود الوظيفة ، فعاد

الى الشيلي ليقدم استقالته . وليتوجه بعدئذٍ الى سانباولو البرازيل لزيارة ولده ؛ ولكن المنية لم ترحمه ، اذ انتقل فجأة الى دار الخلود سنة ١٩٥٤ ودفن في سانباولو.

وجبران توماني ، أديب لوذعي وكاتب قدير وخطيب مفوه ، له مقالات أدبية واجتماعية ، نشرها في مختلف المجلات العربية والمهجرية . وقد خدم الجالية الحمصية في المهجر الشيلاني خدمات انسانية جلى تذكر لتشكر.

٩ — داود شكور



الأديب الكبير داود شكور

هو داود بن الخوري نقولا شكور ؛ ولد في حمص سنة ١٨٩٣ وتعلم في مدارسها علومه الابتدائية والتكميلية ثم هاجر مع والديه الى البرازيل حيث تابع دراسته العالية في الاقتصاد والتجارة حيث نال شهادتها سنة ١٩١٧ ثم انصرف الى العمل التجاري الذي نجح فيه نجاحاً بارزاً.

«ولم تكن التجارة هدف داود الرئيسي بل كانت سبباً من اسباب الحياة لأنه مال الى العلم والأدب والاجتماع والعمل الوطني وتعمق في دراسة الأدب العربي ولغته وتاريخه واذا بالمعاني تنقاد اليه فيصوغها آيات بيانية رائعة ، كأنها السهل الممتنع والماء العذب الزلال واللجين المذاب في بوتقة صافية».

هو اديب مفكر ، وكاتب لوذعي ، وأمير من أمراء المنابر في الخطابة ووطني عربي أصيل. لذلك كان من مؤسسي «العصبة الاندلسية» التي ضمت كبار أدباء المغتربين ؛ ومن مؤسسي الميتم السوري ، ومن مؤسسي الحزب الوطني السوري والنادي الرياضي السوري والنادي الحمصي والكاتدرائية الارثوذكسية وأمين سر المجلس المالي الأرثوذكسي في البرازيل. والى داود شكور وصلابته وعنفوانه ورجولته وصداقته مع رجال الحكم استطاع الابقاء على اسم النادي الحمصي كما هو يوم أن أصدرت الحكومة البرازيلية أمراً برفع الأسماء الأجنبية عن كافة المؤسسات في البرازيل.

توفي داود شكور في البرازيل سنة ١٩٦٣ ودفن في سانباولو مأسوفاً على علمه ووطنيته.

١٠ ــ عبد المسيح حداد

هو عبد المسيح بن عبده حداد ؛ ولد في حمص سنة ١٨٨٨ وتلقى علومه الابتدائية في المدرسة الارثوذكسية . ثم انتقل الى دار المعلمين الروسية في الناصرة وتخرج منها ، ثم عاد الى حمص وتابع دراسته في المدرسة الانجيلية .

هاجر عبد المسيح الى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٣ . وفي عام ١٩١٢ أصدر جريدة « السائح » باللغة العربية التي أصبحت لسان « الرابطة القلمية » منذ تأسيسها ، كما أصبحت تلك الجريدة المنافحة عن مصالح العرب، وامجادهم وتراثهم .

في عام ١٩٢٠ أسس مع زملاء له اعلام مثل : جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمه ، نسيب عريضه ، ايليا ابو ماضي ، ندره حداد ، رشيد ايوب ، وليم كاتسفليس وغيرهم جامعة أدبية عرفت باسم « الرابطة القلمية » . واطلق اعضاؤها على انفسهم لقب « العمال » ، ونذروا حياتهم لخدمة الفكر الحر . وبرز كل فرد منهم في ناحية من نواحي العبقرية . جبران في روحانياته ، ونعيمه في فلسفياته ، وابو ماضي في شعره التأملي ، وعريضه في حنينه وعاطفياته وعبد المسيح حداد في حكاياته المهجرية .

وعلى صفحات جريدته « السائح » تبارت أقلام الأدباء من أهل الهجرة وأهل الوطن . وكانت الجريدة في كل عام تصدر عدداً أدبياً خاصاً يحمل انتاج المهجريين .

عاش في ديار الغربة ما يزيد عن الـ ٥٥ عاماً لم تكتحل فيها عيناه برؤية الوطن حتى عام ١٩٦٠ فزاره وجال في ربوعه بدعوة من الحكومة السورية وحل في مهبط رأسه حمص عزيزاً مكرماً ، فغاص قلمه بكتاب من كتب العشق الوطني اسماه « انطباعات مغترب »

(وكان لنا جلسة أدبية وطنية حافلة في مدينة بيروت معه اذ تلقينا منه رسالة للاجتماع به حين مروره هناك حيث تبادلنا الأحاديث الوطنية وذكرياتنا عمن نحب من المفكرين والأدباء الذين طوتهم يد المنون من احبائنا وأصدقائنا) .

عاد عبد المسيح بعد هذه الزيارة الى اميركا وقلبه نشوان بما رأى من نهضة البلاد العربية وتطورها . وكان قد وطد العزم على نشر ما انطوى من آثار الرابطة القلمية وأن يكتب ذكرياته عن زملائه فيها ، ولكن الموت كان له بالمرصاد اذ توفي في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٦٣ ودفن في نيويورك .

له مؤلفات أدبية واجتماعية متعددة منها : «حكايات المهجر» بالاضافة الى افتتاحياته الرائعة لجريدة السائح طيلة ٥١ سنة في مختلف شؤون الأدب والنقد والسياسة والاجتماع ؛ وهو شاعر نقاد وأديب مبدع وصحافي لامع ووطني عربي أصيل.

١١ — نصر سمعان


الشاعر المهجري الكبير نصر سمعان

ولد نصر سمعان في بلدة القصير من اعمال حمص سنة ١٩٠٥ من ابوين حمصيين اذ كان والده يعمل هناك. وفي القصير تلقى نصر علومه الابتدائية ثم انتقل الى حمص لمتابعة دروسه في المدرسة الارثوذكسية ومكث فيها حتى عام ١٩١٥ اذ اقفلت المدارس لاشتراك تركيا في الحرب العالمية الأولى فعاد الى بلدة القصير وانكب على المطالعة والتعمق في دراسة اللغة العربية وآدابها.

وكان للمآسي التي شاهدها نصر خلال الحرب المذكورة الفضل في تفتق عواطفه واذا بشاعريته الدافقة تتوثب وتتفجر عن موهبة صقلها النبوغ وروتها العبقرية، فهاجر الى البرازيل فراراً من جحيم الاستعمارين التركي والفرنسي مع رفيقه وصديقه حسني غراب ١٩٢٠ وهناك حمل راية الجهاد وأخذ يستنهض الهمم بشعر عاطفي وطني فياض للانتفاض على الظلم والاستبداد.

انتسب نصر سمعان الى العصبة الأندلسية في البرازيل وتولى الخطابة في النادي الحمصي سنوات عدة. وكانت قصائده الوطنية الرائعة تلهب عواطف المغتربين وتدفعهم دفعاً لمؤازرة مشاريع وطنهم الانسانية والعمرانية.

وفي ١٠ أيار سنة ١٩٦٧ وافته المنية في سانباولو البرازيل ودفن فيها.

ولنصر سمعان ديوان شعر مطبوع طبعته الجالية الحمصية في البرازيل سنة ١٩٧٢ على نفقتها ويقع في / ٢٥٦/ صفحة احياءً لذكراه وتقديراً لنبوغه ووطنيته.

١٢ — نظير زيتون



نظير زيتون

هو نظير بن عيسى زيتون، ولد في حمص سنة ١٨٩٦ وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في الكلية الأرثوذكسية ثم في الكلية الانجيلية. وفي عام ١٩١٢ هاجر الى البرازيل حيث انصرف الى العمل التجاري حتى سنة ١٩٢٦، اذ تولى وقتئذٍ رئاسة تحرير جريدة «فتى لبنان» اليومية التي كان يصدرها في سانباولو الشيخ رشيد عطية، فلازمه في العمل الصحفي متدرباً على يديه طيلة/ ١٥/ عاماً وبقي في زمالته حتى سنة ١٩٤٠ تاريخ احتجابها.

زار نظير، بعض جمهوريات اميركا اللاتينية، وعاد الى الوطن الأم زائراً سنة ١٩٥٠ بعد أن غاب عنه/ ٣٦/ سنة ومكث فيه حتى وافاه الأجل في مدينة حمص بتاريخ ٣ آب سنة ١٩٦٧.

ابان وجوده في سانباولو اشترك في تأسيس العصبة الاندلسية التي طبعت على غرار الرابطة القلمية في نيويورك، الا أنها كانت اغزر من تلك انتاجاً، واطول عمراً وأوسع جواً وارحب ارجاءً. وكانت مجلتها «العصبة» التي عمرت ١٥ سنة في طليعة المجلات العربية انتاجاً واخراجاً ومادة وغذاءً فكرياً وعقلياً.

واشترك نظير أيضاً في تأسيس مجمع الثقافة العربية البرازيلي الذي كان من اهدافه تدريس اللغة العربية في جامعة سانباولو ونشر الأدب العربي في البرازيل، كما ساهم في اعمال اخرى في حقول الجمعيات والأدب والحركات الوطنية والقومية. وملأ أوقات فراغه بإعداد الوافر من المؤلفات والروايات والترجمة مما نشر مطبوعاً على حدة أو منشوراً متسلسلاً على صفحات «فتى لبنان».

ونظير زيتون هو أحد طلائع الكتاب العرب المعاصرين، عضو في المجمع اللغوي في القاهرة. ينضح ادبه الجم وانتاجه الثري بثقافة واسعة وتفكير عميق، جريء محلل، له نظرات شديدة نافذة في شؤون الفكر والعقل والقلم.

وهو صحافي حر الرأي ، عف الكف ، عمل في خدمة الصحافة العربية في البرازيل محرراً ومنشئاً ، خطيب مسبوك اللفظ ، كريمه ، أنيق العبارة والتركيب ، حلو الصور والتشابيه ، اختصاصي بتاريخ الأدب المهجري قلَّ من يدانيه فيه احاطة وعلماً واطلاعاً. وهو مناضل قومي ، نافح دون أمجاد العرب بقلمه ولسانه.

من مؤلفاته : رسالة في استقلال البرازيل ، سقوط الامبراطورية الروسية ، هيرودس الكبير ، يسوع المصلوب ، الشعلة ، في ذروة الوطنية والانسانية (الميتم السوري بسانباولو) ، من وراء القبر ، الشهيدان الزهراوي وسلوم وغيرها. ومن مؤلفاته غير المطبوعة : احاديث مع المغتربين في العالم الجديد ، عناصر الأدب العربي في البرازيل ، الشاعر القروي في سباته وسجعاته.

ومن الكتب التي تولى نظير زيتون ترجمتها الى اللغة العربية وكلها مطبوع : ذنوب الآباء ، النبي الأبيض — ٥ اجزاء ، ابن الله تأليف مكسيم غوركي ، إرلندا المناضلة ، الراهب سرجيوس لتولستوي ، فلسطين العربية — دراسات الكتاب انكليز ، ومركيزه سانطوس.

وقبل أن ننهي الحديث عن ادباء حمص في المهجر الذين طواهم الردى لا بد لنا أن نذكر أيضاً اسماء بعض من حملوا مشعل الفكر أيضاً في ديار غربتهم معتذرين عن تفصيل اعمالهم لانقطاع صلة الكتابة بيننا وبين اقاربهم الذين امتنعوا عن اجابتنا على رسائلنا المتكررة حول هذا الموضوع : كالعالم المفكر والأديب اللوذعي المرحوم رشيد شكور في البرازيل وتوفيق مسوح في الارجنتين وتوفيق شوحي في الشيلي ، الأديبان النقادان المفكران. كما وأننا ننوه ايضاً بفضل عدد آخر من كبار المحسنين المغتربين الذين تفانوا في خدمة المشاريع الانسانية والعمرانية في وطنهم الأم سورية وفي مهبط رأسهم حمص امثال المرحومين اسعد عبد الله الحداد وزوجته كرجيه صباغ حداد وبشارة عيسى محرداوي ونجيب سالم وتوفيق ديمتري حاسميه وجبران وجورج بندقي ، وابرهيم ديب وتوفيق داود الخوري وحسني عطاالله في البرازيل وراغب كيتلون وميخائيل اورفلي وبتراكي ومرهج واسبر شقرا في الارجنتين وراغب طوق وماري بني عطاالله في الشيلي وجبران عوض فصحية في الولايات المتحدة ويعقوب ديب وانور مبيض في المكسيك الذين طوتهم يد الردى ولكنها لم تستطع ستر الميراث والاعمال الانسانية والخيرية التي قدموها لبلدهم الحبيب حمص ولوطنهم الأم سورية...

جدول رقم ١

الشخصيات الحمصية التي تولت المناصب السامية في الدولة من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٧٨.

رئاسة الجمهورية السورية	:	السيد هاشم الأتاسي
« « «	:	الدكتور نور الدين الأتاسي
رئاسة مجلس قيادة الثورة	:	الفريق لؤي سامي الأتاسي
نائب رئيس جمهورية	:	المهندس نور الدين كحاله
رئاسة مجلس الوزراء	:	السيد علاء الدين الدروبي
نائب رئيس مجلس الأمة	:	السيد راتب الحسامي
نائب رئيس مجلس الوزراء	:	اللواء مصطفى طلاس
الوزير	:	الدكتور جمال الأتاسي
		« عدنان الأتاسي
		السيد فيضي الأتاسي
		« مكرم الأتاسي
		الدكتور حافظ الجمالي
		« فرحان الجندلي
		السيد احمد الحاج يونس
		اللواء رفعت خانكان
		الدكتور سامي الدروبي
		السيد عبد الحسيب رسلان
		« مظهر رسلان
		« هاني السباعي
		« جهاد الضاحي
		الدكتور سامي طياره
		« عبد الله عبد الدايم
		المهندس سميح فاخوري
		الدكتور شاكر الفحام
		السيد يوسف الفيصل

رئيس أركان الجيش السوري	:	اللواء يوسف شكور
قائد الجيش الأول	:	الفريق جمال الفيصل
السفير	:	السيد فوزي الصفوه
»	:	» ابو النور طياره
»	:	» جودة الأتاسي

جدول رقم ٢

حكام مدينة حمص خلال الحقبة العاشرة

القائمقام	:	محمود باشا البرازي	١٨٨٧ — ١٨٨٨
»	:	احسان بك	١٨٨٨ — ١٨٨٩
»	:	محمود بك الشلبي	١٨٨٩ — ١٨٩١
»	:	الأمير علي الجزائري	١٨٩١ — ١٨٩٦
»	:	احسان بك (ثانية)	١٨٩٦ — ١٨٩٨
»	:	امين بك التميمي	١٨٩٨ — ١٩٠١
»	:	عبد الرحمن بك توفيق	١٩٠١ — ١٩٠٨
»	:	عطا بك الأيوبي	١٩٠٨ — ١٩١٢
»	:	اسعد بك (تركي)	١٩١٢ — ١٩١٣
»	:	رشيد بك (تركي)	١٩١٣ — ١٩١٥
»	:	كمال بك (تركي)	١٩١٥ ١٩١٧
»	:	علي كمال بك (تركي)	١٩١٧ — ١٩١٨
المتصرف	:	عمر الأتاسي	١٩١٨ — ١٩١٩
»	:	هاشم الأتاسي	١٩١٩ — ١٩٢٠
»	:	حسني البرازي	١٩٢٠ — ١٩٢٠
»	:	عمر الأتاسي (ثانية)	١٩٢٠ — ١٩٢١
»	:	فوزي الملكي	١٩٢١ — ١٩٢٦
»	:	محمد الحسن الموصلي (وكالة)	١٩٢٦ — ١٩٢٧
»	:	راشد البرازي	١٩٢٧ — ١٩٢٨
»	:	جميل الدهان	١٩٢٨ — ١٩٤١

المحافظ	: الدكتور حيدر مردم بك	١٩٤١ — ١٩٤٢
»	: فؤاد الحلبي	١٩٤٢ — ١٩٤٦
»	: عمر العداس	١٩٤٦ — ١٩٤٧
»	: عبد القادر الميداني	١٩٤٧ — ١٩٤٨
»	: عارف العنبري	(١ نيسان ١٩٤٨ — ١٦ آب ١٩٤٨)
»	: بشير فؤاد	١٩٤٨ — ١٩٥٠
»	: سعيد السيد	١٩٥٠ — ١٩٥٢
»	: محمد نور الله	١٩٥٢ — ١٩٥٤
»	: رشدي الحامد	١٩٥٤ — ١٩٥٥
»	: جميل القربي	١٩٥٥ — ١٩٥٦
»	: سعيد السيد (ثانية)	١٩٥٦ — ١٩٥٧
»	: زكي المحاسني	١٩٥٧ — ١٩٥٨
»	: سعيد الحاج (وكالة)	١٩٥٨ — ١٩٥٩
»	: مصطفى رام حمداني	١٢/ ٥/ ١٩٥٩ — ٢٣/ ١٠/ ١٩٦١
»	: جمال النعماني	١٩/ ١٠/ ١٩٦١ — ١١/ ١٢/ ١٩٦١
»	: مصطفى رام حمداني (ثانية)	١٢/ ١٢/ ١٩٦١ — ٤/ ٧/ ١٩٦٣
»	: محمد سعيد خدام	٤/ ٧/ ١٩٦٣ — ٢٥/ ٢/ ١٩٦٤
المحافظ	: عبد الفتاح البوشي	٢٥/ ٢/ ١٩٦٤ — ٤/ ١٠/ ١٩٦٤
»	: مصطفى النابلسي	١٤/ ١١/ ١٩٦٤ — ٢٣/ ٤/ ١٩٦٦
»	: محمد سعيد طالب	١٦/ ٤/ ١٩٦٦ — ٢٤/ ١١/ ١٩٦٦
»	: محمد موسى الكفري	٢٨/ ١١/ ١٩٦٦ — ١٩/ ١٢/ ١٩٦٦ توفي بحادث سيارة
»	: سليمان الاذن	١١/ ٢/ ١٩٦٧ — ١٤/ ١٠/ ١٩٦٧
»	: جبر الكفري	١٤/ ١٠/ ١٩٦٧ — ١٩/ ٦/ ١٩٦٩
»	: مروان الصباغ	٢/ ٧/ ١٩٦٩ — ٤/ ٤/ ١٩٧١
»	: اسماعيل يوسفي	١٨/ ٦/ ١٩٧١ — ٩/ ٦/ ١٩٧٣
»	: نزار قولي	٢٠/ ٦/ ١٩٧٣ — ٤/ ١١/ ١٩٧٤
»	: اسماعيل عكلا	٤/ ١١/ ١٩٧٤ — ٢٣/ ٥/ ١٩٧٨
»	: محمود قدور	٢٤/ ٥/ ١٩٧٨ — ٤/ ٦/ ١٩٨٠
»	: فؤاد العبسي	٤/ ٦/ ١٩٨٠ —

جدول رقم ٣

المفوضون السامون الفرنسيون في سورية ولبنان خلال فترة الانتداب

السيد جورج بيكو	٩ نيسان ١٩١٨
الجنرال غورو	٨ تشرين الأول ١٩١٩
الجنرال ويغاند	٩ أيار ١٩٢٣
الجنرال ساراي	٢ كانون الثاني ١٩٢٥
السيد دي جوفنيل	٢ كانون الأول ١٩٢٦
السيد هنري بونسو	١٢ تشرين الأول ١٩٢٧
الكونت دي مارتيل	١٢ تشرين الأول ١٩٣٣
السيد غبريال بيو	١٢ كانون الثاني ١٩٣٩
الجنرال دانتز	١٩٤٠
الجنرال كاترو	١٥ تموز ١٩٤١
الجنرال بينيه	١٩٤٢ــ ١٩٤٥

جدول رقم ٤

اسماء المستشارين الفرنسيين في حمص خلال فترة الانتداب الفرنسي

القومندان بولانجيه	١٩٢٠ــ ١٩٢١
الكابيتين لابادي	١٩٢١ــ ١٩٢٢
القومندان كوستليير	١٩٢٢ــ ك[١] ١٩٢٢
الكابيتين لاكروني	١٩٢٣ــ ١٩٢٤
الكابيتين ميترو	١٩٢٤ــ ١٩٢٦
القومندان لابادي (ثانية)	أيار ١٩٢٦ــ تموز ١٩٢٦
القومندان بورجوا	١٩٢٦ــ ١٩٢٧
السيد فوكنو	١٩٢٧ــ ١٩٢٩
القومندان بلا	١٩٢٩ــ ١٩٣١

الكابيتين كياروني	حزيران ١٩٣١ — آب ١٩٣١
السيد كاهور	١٩٣١ — ١٩٣٥
السيد شيفيار	١٩٣٥ — ١٩٣٦
السيد كاهور (ثانية)	١٩٣٦ — ١٩٣٨
السيد برتلو	١٩٣٨ — ١٩٤١
الكولونيل دي زيان	١٩٤١ — ١٩٤٥



أسواق حمص القديمة ، كانت من أسواق الشرق الشهيرة ، حيث توزع انتاجها محلياً وعالمياً.

بعض المراجع العربية المعتمدة

١ — ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي : **الكامل في التاريخ** : دار صادر (١٣ مجلد) بيروت ١٩٦٥.

٢ — ابن بطوطه، شمس الدين ابو عبد الله محمد : **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار** ؛ دار صادر — بيروت ١٩٦٠.

٣ — ابن تغري بردي، جمال الدين : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (١٢ ج) دار الكتب المصرية — القاهرة ١٩٣٨.

٤ — ابن جبير، ابو الحسين محمد : **رحلة ابن جبير** ؛ دار الكتاب اللبناني — بيروت ١٩٥٩.

٥ — ابن حوقل النصيبي : **صورة الأرض** — بيروت ١٨٩٠.

٦ — ابن خلدون، عبد الرحمن : **المقدمة وكتاب العبر في اخبار العرب واجيالهم ودولهم** القاهرة — (٦ اجزاء) ١٩٦٠.

٧ — ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان** القاهرة (١٣ جزءاً) ١٩٤٨.

٨ — ابن شداد، عز الدين محمد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** تحقيق الدكتور سامي الدهان — دمشق ١٩٦٢.

٩ — ابن طولون، شمس الدين الدمشقي **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان** القاهرة (جزءان) ١٩٦٤.

١٠ — ابن العديم، كمال الدين : **زبدة الطلب من تاريخ حلب** دمشق ١٩٥١.

١١ — ابن الوردي، زين الدين عمر : **تتمة المختصر في اخبار البشر** بيروت (جزءان) ١٩٧٠.

١٢ — ابن يحيى، صالح : **تاريخ بيروت** تحقيق الدكتور كمال الصليبي دار المشرق - بيروت ١٩٦٨.

١٣ — ابو الفداء، الملك عماد الدين اسماعيل : **المختصر في تاريخ البشر** المكتبة العصرية — صيدا — لبنان ١٩٥٩.

١٤ــ ابو النصر، عمر: **سوريا ولبنان حتى اوائل القرن التاسع عشر** بيروت ١٩٢٧.

١٥ــ الادريسي، الشريف محمد بن عبد العزيز **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** بون ــ المانيا ــ ١٨٨٥.

١٦ــ اسعد، الخوري عيسى: **انارة الأذهان في تاريخ القديس الحمصي ايليان**، مطبعة جريدة حمص ١٩٢٨.

١٧ــ اسعد الخوري عيسى: **زفرات القلوب لفقد الراعي الصالح المحبوب المطران اثناسيوس عطا الله** مطبعة السلامة ــ حمص ١٩٣٢.

١٨ــ اسعد الخوري عيسى: **الطرفة النقية في تاريخ الكنية المسيحية** مطبعة جريدة حمص ١٩٢٤.

١٩ــ الاصطخري، ابو اسحق ابرهيم **المسالك والممالك** ــ القاهرة ١٩٦١.

٢٠ــ الاصفهاني، العماد ابو عبد الله محمد: **الفتح القسي في الفتح القدسي** القاهرة ــ ١٩٦٥.

٢١ــ انطونيوس، جورج: يقظة العرب **ترجمة الاسد وعباس** ــ بيروت ١٩٦٢.

٢٢ــ البلاذري، احمد: **فتوح البلدان** ــ عدة طبعات ــ القاهرة ــ (طبعة ١٩٥٦).

٢٣ــ بيهم، محمد جميل: **قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور** (جزءان) دار الكشاف ــ بيروت ١٩٥٠.

٢٤ــ جريدة حمص، الطائفة الارثوذكسية: **اعداد جريدة حمص** منذ صدورها عام ١٩٠٩ وحتى عام ١٩٧٦.

٢٥ــ جمال باشا، احمد: **الايضاحات السياسية مع المذكرات** تعريب علي احمد شكري ــ دمشق ١٩٢٣.

٢٦ــ الجندي، ادهم: **اعلام الادب والفن** (جزءان) دمشق ١٩٥٤ ــ ١٩٥٨.

٢٧ــ الجندي، ادهم: **شهداء الحرب العالمية الأولى** مطبعة العروبة ــ دمشق ١٩٦٠.

٢٨ــ حتى، فيليب: **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** ترجمة: جورج حداد (جزءان) دار الثقافة ــ بيروت ١٩٥٨.

٢٩ــ خباز، حنا: **فرنسا وسوريا** (جزءان) القاهرة ــ مطبعة علم الدين ١٩٢٨.

٣٠ــ الخوري، اميل وعادل اسماعيل: **السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة ١٧٨٩ ــ ١٩٥٨** (٤ اجزاء) بيروت ــ داز النشر للسياسة والتاريخ ١٩٦٤.

٣١ــ داغر، يوسف اسعد: **مصادر الدراسة الأدبية** (٤ مجلدات) منشورات الجامعة اللبنانية ــ بيروت ١٩٥٠ ــ ١٩٧٢.

٣٢ــ الدبس ، المطران يوسف : **تاريخ سوريا** (٨ اجزاء) بيروت ــ المطبعة العمومية ١٨٩٣ــ ١٩٠٢ .

٣٣ ــ ديورانت ، ل . ول : **قصة الحضارة ــ الشرق الأدنى** ترجمة : الدكتور محمد مصطفى زيادة جامعة الدول العربية ــ القاهرة ١٩٥٠ .

٣٤ــ رستم ، اسد : **حروب ابرهيم باشا المصري في سوريا والأناضول** القاهرة ــ المطبعة السورية ١٩٢٧ .

٣٥ــ زكريا ، وصفي : **جولة أثرية في بعض البلاد الشامية** دمشق : المطبعة الحديثة ١٩٣٤ .

٣٦ ــ سورية ، وزارة الاعلام . **سورية الثورة في عامها الحادي عشر ١٩٧٤** وزارة الاعلام السورية ــ دمشق ١٩٧٤ .

٣٧ ــ الطباخ ، راغب : **اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء** (٥ اجزاء) حلب ١٩٣٠ .

٣٨ــ الطبري ، ابن جرير : **تاريخ الأمم والملوك** بيروت ــ دار القاموس الحديث (تا تاريخ للطبع) .

٣٩ ــ عبده ، عبد خلف ورفاقه : **تاريخ العرب الحديث والمعاصر** (جزءان) ــ وزارة التربية السورية ــ دمشق ١٩٧٠ .

٤٠ ــ عبود ، رزق الله نعمة الله : **تذكار اليوبيل الفضي للمطران اثناسيوس عطا الله** مطبعة جريدة حمص ــ حمص ١٩١١ .

٤١ ــ العطار ، نادر : **تاريخ سوريا في العصور الحديثة** دمشق : مطبعة الانشاء ١٩٦٢ .

٤٢ ــ الغزي ، نجم الدين **الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة** (٣ اجزاء) بيروت ١٩٤٥ .

٤٣ ــ فروخ ، عمر وزكي النقاش **تاريخ سوريا ولبنان** (٤ اجزاء) مطبعة الكشاف ــ بيروت ١٩٤٦ .

٤٤ ــ قلفاط ، نخله : **تاريخ ملوك المسلمين** بيروت ١٨٩١ .

٤٥ ــ كرد علي ، محمد : **خطط الشام** (٦ اجزاء) دمشق ١٩٢٠ ــ ١٩٢٦ .

٤٦ ــ لانجر ، وليم : **موسوعة تاريخ العالم** مترجمة عن الانجليزية (٤ اجزاء) ــ القاهرة ١٩٦٣ .

٤٧ ــ مسعد ، بولس : **الدولة العثمانية في سوريا ولبنان من سنة ١٥١٧ ــ ١٩١٦** القاهرة ١٩١٦ .

٤٨ ــ المسعودي ، ابو الحسن : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (٤ اجزاء) بيروت ــ دار الاندلس ١٩٦٠ .

٤٩ ــ مشاقة ، ميخائيل : **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان** بيروت ــ ١٩٠٨ .

٥٠ — المعلوف ، عيسى اسكندر : **تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني** المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٦٦ .

٥١ — معلوف ، الأب لويس : **تقويم البشير** من سنة ١٩٢٠ — ١٩٥٠ بيروت : المطبعة الكاثوليكية .

٥٢ — المقريزي : **السلوك لمعرفة دول الملوك** (٦ اجزاء) القاهرة ١٩٥٦ .

٥٣ — مؤلف مجهول : **تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي** مطبعة الاتحاد — دمشق ١٩٦٠ .

٥٤ — الواقدي ، ابو عبد الله محمد : **فتوح الشام** (جزءان) القاهرة — المطبعة المصرية ١٩٣٥ .

٥٥ — ياقوت الحموي ، يعقوب : **معجم البلدان** (٥ اجزاء) — بيروت : دار صادر ١٩٥٧ .

٥٦ — اليعقوبي ، احمد : **تاريخ اليعقوبي** بيروت — ١٩٦٣ .

٥٧ — يني ، جرجي : **تاريخ سوريا** بيروت ١٨٨١ .

بعض المراجع الأجنبية المعتمدة

(1) AZURI, NASSER H. : **Middle East Cronicle - Studies on the Arab - Israeli war of octiber 1973.** - Wilmette, I illinois, U.S.A. Medina Iniv. Press. International, 1975.

(2) BERCHEM & FATIO.: **Voyage en Syrie.** Paris, 1922.

(3) CAHEN; CLAUDE.: **Une Chronique Syrienne du VI siècle.** Paris, 1940.

(4) CHARLES - ROUX.: **La France et les chrétiens d'Orient.** Paris 1939.

(5) CLEVELAND; RAY L.: **The Middle East and South Asia 1979. Stryher - Past Publication.** Washington, D.C., U.S.A. 1979.

(6) DEMOMBYNES; GAUDEFROY.: **La Syrie à l'époque des Mamlouks.** Paris 1923.

(7) DUSSAUD; RENÉ.: **Topographie historique de la Syrie Antique et Médievale.** Paris, 1927.

(8) FEDDEN; ROBIN.: **Syria.** London, ENGLAND, 1954.

(9) GROUSSET; RENE.: **Histoire des Croisades (3 vol).** Paris, 1934 - 1936

(10) HITTI; PHILIP.: **SYRIA, a short history.** London, Macmillan & Co, 1959.

(11) HOMO, LEON.: **Histoire d'Orient.** Paris, lib. A. Fayard 1954.

(12) HOURANI; H.: **SYRIA and LEBANON.** London: Oxford univ. Press. 1954.

(13) HUREAU, JEAN.: **La Syrie aujourd'hui.** Paris, Editions J A. 51 Av. des termes 1977.

(14) LAMMENS; HENRI.: **Histoire de la Syrie (2 vol).** Beyrouth, Imp. Catholique 1921.

(15) MASCATI; S.: **Histoire et civilisation des peuples sémetiques.** Paris, Payot 1955.

(16) RAY, R.: **Les colonies françaises de Syrie aux XIIe et XIIIe siècles,** Paris, 1883.

(17) SAUVAGET; J.: **Un relais du Barid Mamelauk.** Le Caire, 1935.

(18) STRABO; **The Geography of Strabo Trans. HEL. Jonas,** London 1961.

(19) ENCYCLOPEDIA BRITANICA.: **(SYRIA: vol 17).** William Benton publ. Chicago, U s.A., London ENG. 1977.





الأستاذ منير الحوراني عيسى اسعد

من كتاب زفرات القلوب

حفلة ازاحة الستار عن تمثال المطران اثناسيوس عطاالله

بقلم الخوري عيسى أسعد

الكنيسة الارثوذكسية الحمصية في التاريخ

إثر مقتل استيفانوس أول الشهداء ثار اضطهاد عام على الكنيسة في اورشليم القدس، «فتشتت الجميع في جنبات اليهودية والسامرة، ما خلا الرسل»... (اعمال الرسل ٨ : ٣). وتجاوزوا السامرة : «وكان الذين تبددوا من جرى الاضطهاد الذي حدث بداعي استفانوس، قد اجتازوا حتى فينيقية وقبرس وانطاكية... فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب» (اعمال ١١ : ١٩ — ٢١).

وعلى مقربة من دمشق ابرق بغتة نور من السماء حول بولس، فاهتدى الى الرب يسوع، وطفق يبشر في دمشق ثم العربية (حوران)، ثم صعد الى القدس، فهرب إلى قيصرية عاصمة فلسطين (بين حيفا ويافا). ومن هناك انطلق الى كيليكيا، من حيث استقدمه برنابا الى انطاكية. فانتقل ثقل البشارة من اورشليم اليها. وصارت منطلق بولس في رحلاته التبشيرية. وفيها دعي، اولاً، التلاميذ مسيحيين (اعمال ورسالة بولس الى أهل غلاطية).

الطرق كانت برية وبحرية . من انطاكية الى باقي المدن السورية والقدس كانت توجد خطوط برية ، منها خط يعبر منطقة الغاب بجوار نهر العاصي . إثر الاضطهاد المذكور اعلاه اجتاز المضطهَدون حتى فينيقية وقبرس وانطاكية . وبولس في دمشق وحوران . وليست حمص بنائية عن هذه الأمكنة بل هي منها تقريباً على منتصف الطرق . فالبشارة عمت باكرا بلادنا السورية .

ولكن متى وصلت حمص؟ هنالك روايات لم تثبت امام النقد العلمي المعاصر[١] . هارنالك الألماني يرى ان المسيحية لم تدخل حمص بدون الاصطدام بعقبات كأداء ، وأن المسيحية لم تصبح أكثرية في جارتها بعلبك الا قبيل الاسلام . ويتساءل الأب لامنس عما اذا كان علينا أن نقبل بوضع مماثل في حمص . ثم يلاحظ أن المستندات خالية من أي ذكر لذلك سوى التنويه بوجود مسيحيين ويهود في منطقة حمص[١] .

الأب لامنس لاحظ في دراسته عن الكتابات المسيحية في حمص وجوارها أنها نادرة في حمص ووافرة في منطقة حمص حيث عثر الباحثون على كتابات ونقوش[١] . ولفت الأب لي كليريك الانظار الى ندرة الكتابات حتى في عصر حمص الذهبي أيامَ الامبراطورات والأباطرة المولودين في حمص أو جوارها* ، في القرن الثالث . وزاد أن المسيحية كانت راسخة في حمص منذ القرن الرابع على الأقل[١] .

جعل المستشرقون أوضاع حمص عائقاً كبيراً في وجه المسيحية ، لأنها كانت مدينة كهنوتية تعيش على موارد الحج واستثمار الاقوال التنبؤية وبيع التعاويذ والطلاسم[١] . ويُسرف ديسو فيذهب الى أن الوثنية استمرت فيها حتى اواسط القرون الوسطى[١] . الا أن عبادة الشمس في هيكل الشمس ربما استمرت حتى حوالي نهاية القرن الخامس على ما استدلّ الأب لامنس من وصف[١] فيستوس روفوس افينيوس** **Aviennus** . ثم استحال الهيكل الى كنيسة في تاريخ لاحق . ومن الممكن في رأي ويدنكتون أن يكون الجامع الكبير هو مكان هذا الهيكل[١] .

---

* جوليا دومنا بنت باسانوس كاهن هيكل الشمس زوجة الامبراطور الروماني سبتيموس سويروس ووالدة ولديه الامبراطورين كاراكلا وجيتا Geta ؛ جوليا سومياس Sœmias ؛ جوليا ممايا **Mammaea** ايلاغابال كاهن هيكل الشمس في حمص ثم امبراطور ؛ اسكندر سويروس .

** الذي امتدح ذكاء أهل حمص .

ما نعرفه هو أن حمصياً صار اسقفاً على روما في العام ١٥٤ خلفاً لبيوس الأول. واستمر حتى العام ١٦٥ حاملاً اسم انيكتوس Anicet [٢]تعيّد له روما في ١٧ نيسان.

ونعرف أيضاً أن اضطهاد داكيوس في اواسط القرن الثالث اودى بحياة الشهيدين غالكتيون وزوجته ابيستمي في العام ٢٥٣، وربما في العام ٢٥٠. وتعيّد لهما الكنيسة شرقاً وغرباً في ٥ تشرين الثاني.

القرن الثالث هو قرن اباطرة روما الحمصيين. كانت لهم اهتمامات دينية لم تحذف المسيحية من مجالها. وفي العام ٢٧٢ كان سلوانس اسقفاً.افسابيوس القيصري اسقف قيصرية فلسطين ابو التاريخ الكنسي هو من معاصري سلوانس. أتى على ذكره في كتابه الشهير «التاريخ الكنسي». جاء لديه أن سلوانس كان اسقفاً للكنائس المحيطة بحمص. وكان طاعناً في السن، قد قضى في الأسقفية ٤٠ عاماً، لما ثار الاضطهاد. فاعلن وصاحبيه ايمانهم بالمسيح. فتم تسليمهم طعمةً الى الوحوش. فانتظموا في طغمة الشهداء. وكان ذلك في سنة استشهاد بطرس الاسكندري.

البحاثون جعلوا وفاة بطرس في العام ٢٥ / ١١ / ٣١٢[٣] على الأصح أو ٣١١[٤]، فيكون بدء اسقفية القديس سلوانس العام ٢٧٢، لا قبل ذلك كما ذهب بعضهم[٥]. ويكون الاضطهاد قد وقع في عهد مكسيمينوس دايا Maximin Daïa .فهذا اقتسم الشرق في العام ٣١١ مع ليسينيوس، ففاز بآسيا الصغرى وسوريا ومصر. فباشر اضطهاداً قاسياً ضد المسيحيين في سوريا ومصر وباقي الولايات.

أما حياة مار اليان فتجعل رفقةَ القديس سلوانوس، الشماسَ لوقا والقارئَ ماكيوسَ وجوليانوسَ* (مار اليان). تعيد كنيستنا الارثوذكسية للأولين في ٢٩ كانون الثاني وللأخير في ٦ شباط. السنكسار اليوناني يسجل في الحقبة نفسها استشهاد قديس حمصي في عهد ليسينيوس. واسم القديس باليونانية Abibos أي حبيب. فاسمه عربي صريح. هو مولود في حمص انما عاش شماساً في فينيقيا حيث استشهد. لا نعرف بالدقة تاريخ استشهاده، انما نعرف من التاريخ العام أن ليسينيوس وقسطنطين الكبير اتفقا في العام ٣١٣ على قسمة

---

* الاسم لاتيني، فيلفظ جوليانوس، انما تأثرنا باليوناني فنلفظه يوليانوس.

الامبراطورية فساد الأول على الشرق. ساندت الوثنية هذا، بينما ساندت المسيحية قسطنطينَ. فغلب هذا ليسينيوسَ في النصف الثاني من العام ٣٢٣[٧].

في هذا القرن الرابع لم تكن حمص نَكِرَةً. فعهد الأباطرة الحمصيين والامبراطورات الحمصيات والامراء والأميرات وكبار الموظفين الحمصيين في الامبراطورية الرومانية انعش المدينة انّما انعاش وادخلها الى صميم الحياة الرومانية. ابتدأت العملية في عهد الامبراطور دوميتيانوس Domitien (٨١— ٩٦). وأعطاها مارك اوريليوس (١٦١— ١٨٠) حق سكّ العملة وجعلها قاعدةَ سوريا اللبنانية. اما الامبراطور ايلاغابال الحمصي الأصل (٢١٨— ٢٢٢) فقد انزلها منزلة المدن الايطالية، أي جعلها خاضعة للحقوق اللاتينية[٨]. ولذلك كانت في القرن الرابع مدينةً مزدهرةً بالحضارة والثقافة كما وصفها الشاعر الجغرافي افينوس Aviennus في النصف الثاني من القرن الرابع.

من خلف سلوانوس؟ ليست لدينا معلومات مفصلة عن اساقفة حمص وسلسلتهم. نعرف نتفاً من هنا وهناك. والفجوات عديدة.

أناتوليوس

نعرف في القرن الرابع أن اسقف حمص أناتوليوس قد حضر المجمع المسكوني الأول المنعقد في مدينة نيقية (تركيا) في العام ٣٢٥[١٠] (غالباً: برئاسة اسقف انطاكية افستاطيوس). وقد حضر أيضاً المجمعَ المكاني الانطاكي المنعقد في أنطاكية في ربيع العام ٣٤١[١١] فهو اذن احد آباء المجمع المسكوني الأول الذين تعيد لهم الكنيسة الارثوذكسية في الأحد السادس من الفصحيات.

الا أن المجمع الأنطاكي المذكور المعروف بمجمع التدشين أسقط أثناسيوس الاسكندري وعرض على أحد أعضائه افسابيوس أن يحلّ محله. رفض افسابيوس محتجاً بأن اهالي الاسكندرية متعلقون بأسقفهم. فعين المجمع غريغوريوس[١٢].

ولد افسابيوس في عائلة نبيلة من مدينة الرها (اورفه) وتعلّق منذ صباه بالكتب الدينية. فقد كان الناس فيها يدرّبون الأطفال على حفظ الكتاب المقدس. وتعلم اليونانية على يدي معلم في الرها تلمذه على الأداب اليونانية. وتعلم تفسير الكتب المقدسة على أيدي افسابيوس الذي صار اسقفاً على قيصرية فلسطين وبتروفيلوس Patrophilos الذي صار اسقفاً على بيسان في فلسطين. ثم انتقل الى انطاكية. فصادق إفرونيوس اسقف انطاكية. عُرِضَت عليه الأسقفية، فرفض وفرّ الى الاسكندرية، حيث كرّس نفسه لدراسة الفلسفة. عاد الى انطاكية، فأقام معرفة حميمة مع اسقفها الجديد بلاكيتوس. حضر مجمع التدشين في انطاكية في العام ٣٤١. عرض عليه المجمع أن يخلف اثناسيوس الاسكندري الذي خلعه المجمع المذكور. وحاول بطل المؤامرات (افسابيوس اسقف القسطنطينية) بكل الوسائل اقناعه. فقد كان الحاضرون يرون أن فصاحته وقداسته تستطيعان أن تسدّا الفراغ الذي يتركه اثناسيوس في عيون شعبه. المؤرخ سوزومينوس يقول إنه رفض العرض محتجاً بأن الشعب في الاسكندرية متمسك باثناسيوس. المؤرخ سقراط يقول إن افسابيوس القسطنطينية رسمه. ويبدو أن سلفه اناتوليوس كان قد مات في تلك الأثناء فعرض عليه المجمع منصبَ حمص فقبله. وهو معروف في التاريخ باسم «افسابيوس الحمصي».

الا أنه لم ينجح في حمص، فتعرض تعيينه لصخب شعبي بلغ حد الثورة، فاضطر معه أن يغادر المدينة الى صديقه جيورجيوس المصري اسقف اللاذقية. كانت التهمة الموجهة اليه أنه يتعاطى علم التنجيم. كواستن الاختصاصي الأكبر بآباء الكنيسة يرى أن الحمصيين انزعجوا من علمه الغزير. قاده جيورجيوس الى انطاكية، فتدبر أمر عودته الى حمص، مع اسقف انطاكية بلاكتيوس ومع ناركيسوس اسقف نيرونياس. وهي التي ذكر ثيئوذوريتوس في القرن التالي ان اسمها صار ايرينوبوليس (أي مدينة السلام) في كيليكيا الثانية. عاد الى حمص ليواجه تهمة أخرى الا وهي التعاطف مع اراء سابليوس القائل بأن الأقانيم ثلاثة أوجه لواحد. فترك حمص وأتى وسكن في انطاكية منصرفاً الى الدراسات.

جيورجيوس اللاذقية كتب حياته. وعنه نقل سقراط وسوزومينوس. الأخير يتهم الحسّاد بالتآمر على افسابيوس لأنهم لم يتحملوا مشاهدتهم قداسته. جيورجيوس ذكر أن

الامبراطور قسطنديوس اصطحبه في حربه ضد الفرس وروى العجائب التي صنعها الله على يديه. القديس ايرونيموس خصّه باطراء نادر في كتابه عن حياة الرجال المشهورين. وذكر مؤلفاته وبراعته في الخطابة. وكذلك سوزومينوس.

ايرونيموس ذكر أن ديودوروس اسقف طرسوس (كيليكيا) رئيس المدرسة الأنطاكية (وصديق باسيليوس الكبير ومعلم يوحنا فم الذهب) سار على نهج افسابيوس الا أنه لم يستطع أن يجاريه في البلاغة لجهله الاداب اليونانية. ويذكر أيضاً أن يوحنا كاهن الكنيسة في انطاكية (أي يوحنا فم الذهب) هو على نهج افسابيوس.

لم يحفظ لنا التاريخ الا النذر اليسير من مؤلفاته التي ذكر ايرونيموس وسواه أنها عديدة جداً. يرى البعض انه كان معتدلاً لا متطرفاً، وأنه ترك اثراً طيباً في محيطه، وأنه كان مسالماً. ولكن ما زلنا ننتظر دراسة شاملة عميقة لآثاره.* لا نرى في الباقي لنا منها عبارة الـ omoousios (المساوي بالجوهر أو الأفضل: ذو الجوهر الواحد بعينه) التي استعملها المجمع النيقاوي ليسوع في دستور الايمان. ويرى البعض أنه كان ضد تطرفات الاريوسيين. الا أن اساتذته (افسابيوس قيصرية وبتروفيلوس بيسان) وأصدقاءه الامبراطور قسطنديوس وافسابيوس القسطنطينية (رأس التآمر الأريوسي) ونارکسیوس نيرونياس وجيورجيوس اللاذقية وسواهم كانوا اريوسيين أو يميلون الى الاريوسية. ولذلك لا يبرّىء ايرونيموس وثيئوذوريتوس قورش* ساحته من تهمة الاريوسية، لذلك نرى قاموس الروحانية الكاثوليكي الفرنسي لا يعتبره ذي «قماشة» قداسة (العمود ١٦٩٤). أما صديقه جيورجيوس اللاذقي فقد صار فيما بعد بطل حملة رسائل الى الأقطار تدعو الى السلم والمصالحة.

استشهد ثيئوذوريتوس به في كتابه «المتسول». Iranitès

اما وفاته فكانت في عهد الامبراطور قسطنديوس. يجعلها الباحثون في العام ٣٥٩. حدثت في انطاكية حيث دفن[١٣]. وفي هذا العصر كانت في حمص كنيسة مشهورة

---

* Jérôme, Chron. sub ann X. Constantü
Théodoret, Haereticarum fabul. comp. I, 25 in P. Gr 83.

وجديرة بأن يشاهدها الانسان لروعتها[١٤] . هي حتماً غير هيكل الشمس السابق ذكره. ولكن من الممكن أن تكون منافسة له.

بولس المعترف اسقف القسطنطينية في حمص

كان قسطنديوس في انطاكية لما نشب صراع مرير بين الارثوذكس والاريوسيين في العاصمة، اذ استعاد الارثوذكس اسقفهم بولس. فأسرع قسطنديوس في السفر الى العاصمة وأمر بأن يُساق اسقف القسطنطينية بولس الى حمص، وذلك في العام ٣٤٢[١٥] .

بولس الأول اسقف حمص

لا نعرف تاريخ حلول بولس في كرسي حمص. ولكن انعقد في العام ٣٥٩ بأمر قسطنديوس مجمع في سلفكية (سلوقية) ايسافريا Isauria الواقعة شمال كيليكيا. حيث ترقد القديسة تقلا. حضره ١٥٠ عضواً. وقّع بولس اعمال هذا المجمع المؤيد لباسيليوس اسقف انقيرا. مذهبه نصف اريوسي. القديس غريغوريوس اللاهوتي يكفّر اعمال هذا المجمع[١٥ مكرر] .

الا أن قسطنديوس مات فخلفه يوليانوس الجاحد (٣٦١ — ٣٦٣). بدأ متساهلاً مع المسيحيين ثم انقلب عليهم. مات في ٢٦ / ٦ / ٣٦٣. فخلفه الامبراطور جوفيانوس المؤيد للمجمع النيقاوي الارثوذكسي. الا أنه مات فجاءة في شباط ٣٦٤. فخلفه في الشرق والس valens الاريوسي (٣٦٤ — ٣٧٨)[١٦] . في أيام جوفيان الارثوذكسي انعقد في انطاكية مجمع في العام ٣٦٣. يبدو من كلام سوزومينوس أن كثيرين قد حضروه مؤيدين نيقية ولفظة «المساوي بالجوهر». وقد حضره بولس حمص (خلافاً لما يرى الأب نصرالله زاعماً أن حمص لم تتمثل فيه). وفي ربيع العام ٣٦٧ انعقد مجمع في تيانا Tyana (كبادوكية). يذكر سوزومينوس حضور افسابيوس اسقف قيصرية كبادوكية واثناسيوس انقيرا وبيلاجيوس اللاذقية وزينون صور وبولس حمص واوترينس ملاطية وغريغوريوس نزينزوس (أبي غريغوريوس اللاهوتي) وكثيرين. ويروي سقراط قصة التفاهم مع

ليبيريوس اسقف روما على عقيدة نيقية[١٧] . لا غرابة في هذا الانقلاب على الاريوسية. فالاضطهاد انتزع تواقيع اساقفة الدنيا للاريوسية الا توقيع اثناسيوس الاسكندرية وايلاريون بواتييه بفرنسا Poitiers . من جهة اخرى المؤرخون المعاصرون يستغربون مزاجية اساقفة الشرق وتواقيعهم المتناقضة للأباطرة في القرون الغابرة[١٨] .

وفي أيام بولس اقدم الامبراطور يوليانوس الجاحد ، في العام ٣٦٣ ، على هدم « الكنيسة القديمة » وتحويل « الكنيسة الكبرى » الى معبد وثني[١٩] . فوضع انصار العبادة السابقة ، في الكنيسة الكبرى ، صنماً لباخوس اله الخمر[٢٠] . وبعد موت يوليانوس استعاد المسيحيون الكنيسة . المسعودي (المتوفي ٩٥٦) زار حمص . وأتى على ذكر كنيسة قد بنتها الملكة هيلانة . تقوم على ٤ أركان . وهي من عجائب البنيان في الدنيا[٢١] . هل هو شاهد عيان؟؟ نعرف أن معبداً وثنياً قائماً على ٣ أعمدة في افاميا قد هدمه اسقفها في العام ٤٠٠[٢٢] . هل هناك التباس في معلومات المسعودي؟؟

غاسيوس ؟؟[٢٣] .

هناك رأي يقول ان غاسيوس قد خلف بولس وأنه كان صديقاً للقديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي .

كرياكوس[٢٣]

هناك من يجعل كرياكوس مطراناً لحمص ، ويعتبره صديقاً للذهبي الفم ، قد قاسى (من أجل الذهبي) اضطهاداً والسجن في تدمر من قبل الامبراطور اركاديوس . ديفريس يجعله خليفة بولس مباشرة معتمداً على نص في حياة الذهبي الفم بقلم بلاديوس[٢٣] . الا أن هونغمان اقام الدليل على أن الأمر يتعلق بقراءة فاسدة للنص[٢٤] .

نيميسيوس ، Nemesios

ليس لدينا معلومات عن حياته . نيقولاوس بوليتوس يرى أنه مخضرم القرنين الرابع والخامس . يرى البعض أن كتابه « في طبيعة الانسان »[٢٥] قد صُنِّف حوالي العام ٤٠٠ .

الرجل متأثر بأفلاطون. الا انه صاحب أول انثروبولوجيا مسيحية تركت أبعد الآثار على اللاحقين غرباً وشرقاً. تأثر بها اينيوس اسقف غزة (٤٥٠ — ٥٣٤) الذي كان نفسه يكتب بعبارات افلاطون. وكذلك لاونديوس البيزنطي (٤٧٥— ٥٤٢/ ٣) ومكسيموس المعترف (٥٨٠ — ٦٦٢) في جداله مع بيروس، وانستاسيوس السينائي (٦٣٠— ٦٧٠) ويوحنا الدمشقي (٦٧٤/ ٥— ٧٤٩) وعبد الله بن الفضل الانطاكي (القرن ١١). وقد ترجم حنين بن اسحق الكتاب الى العربية ونسبه الى غريغوريوس النيسسي خطأً. قال نيميسيوس بسبق وجود الارواح وازلية العالم مثل افلاطون. الا أن اللاحقين، بدءاً من اينيوس غزة، عدّلوا افكاره حتى اكتست الرداء المسيحي السليم لدى مكسيموس والدمشقي. والكتاب مترجم الى عدة لغات قديمة وحديثة. نيقولاوس بوليتوس هو صاحب احدث دراسة عن نيميسيوس حافلة بالمراجع.

متى توفاه الله؟ لا ندري. انما نعلم أن اسقف حمص في مجمع افسس المسكوني في العام ٤٣١ كان بولس، بينما لم تكن حمص ممثلة في المجمع المسكوني الثاني في العام ٣٨١*.

هناك خلاف بين الباحثين عن ارتقاء حمص الى رتبة المتروبوليتية في تنظيمات عهد ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩—٣٩٥). في عهده صارت حمص قاعدة فينيقية اللبنانية الادارية. الحقت بها دمشق وبعلبك وتدمر. هناك من يقول انها بقيت تابعة لمتروبولية دمشق. وهناك من يقول انها لم تصر متروبوليتية إلا في العام ٤٥٣ بعد اكتشاف رأس المعمدان.

بولس الثاني

كان بولس مطراناً في حمص اثناء الدعوة الى انعقاد المجمع المسكوني الثالث في افسس الواقعة على حوالي ٤٠ كيلومتراً من مدينة ازمير (تركيا). وكان ذلك في العام ٤٣١. سافر بولس الى افسس وكيلاً عن معلمه وصديقه اكاكيوس مطران حلب الطاعن في السن، اذ

* هل كانت انذاك شاغرة؟؟؟ لو كان نيميسيوس اسقفها آنذاك، اما كان يحضره؟؟؟ لا جواب.

بلغ من العمر عتياً، فأدرك المائة والعشرة اعواماً. وكان اكاكيوس مناضلاً قديماً قد قاسى الاضطهاد ايام تسلط الاريوسيين. الا أنه حالف ثيئوفيلوس Théophilos اسقف الاسكندرية ضد يوحنا فم الذهب اسقف القسطنطينية الانطاكي الأصل. وثيئوفيلوس هذا هو خال كيرللس أسقف الاسكندرية في ذلك الحين. وكان نسطوريوس الانطاكي اسقفاً على القسطنطينية. وكان المجمع الثاني المسكوني (٣٨١) قد رفع رتبة اسقف القسطنطينية.

اصطدم كيرللس ونسطوريوس عقائدياً[٢٧]. اندلع الصراع السوري– المصري، وخوفُ مصر من نفوذ السوريين في القسطنطينية. وكان الامبراطور ثيئودوسيوس الثاني ضعيفاً. فعصفت بالكنيسة زوبعة اوشكت أن تكون اخطر من الزوبعة الاريوسية بسبب فقدان الرجالات المماثلين لرجال القرن الرابع.

في هذه الأزمة العاصفة برز أكاكيوس حلب وتلميذه بولس حمص خشبةَ خلاص. وقفا في الصراع موقفاً حكيماً يتمثل في «شعرة معاوية». اتى بولسُ افسسَ. ولكنه لم يحضر المجمع في ٢٢/ ٦/ ٤٣١ برئاسة كيرللس مدعوماً بموفدي بابا روما شلستينوس Célestin . وقف الى جانب يوحنا اسقف انطاكية.

كان نسطوريوس ينكر قولَ الكنيسة في مريم العذراء «أم الله». ردود كيرللس الاسكندري حوت عبارة مستقاة من كتاب منسوب الى اثناسيوس الكبير بينما أثبت التحقيق اللاحق ان الكتاب من تأليف ابوليناريوس اسقف اللاذقية القائل بالطبيعة الواحدة في يسوع. وكان الانطاكيون قد شهروا الحرب عليه. لذلك استولى سوء التفاهم على العقول. الا أن حسن تفهم كيرللس الاسكندري وثيئوذوريتوس اسقف قورش[٢٨] السورية، ساعد على التقارب. فيوحنا اسقف انطاكية ما كان على مستوى القضية. انما كان يتأثر بثيئوذوريتوس. انتهت الضغوط والرسائل الى سفر بولس حمص الى الاسكندرية باسم يوحنا اسقف انطاكية واكاكيوس اسقف حلب[*]. فقام بولس بالمهمة بلباقة تامة وفهم وفطنة وحميمية، متجنباً وضع العصي في دواليب التفاهم. اهتبل كيرللس المناسبة لقيادة المفاوضات بنبل وهدوء وبقدر من الاستيثاق.

---

* كان اكاكيوس حلب والأساقفة المجتمعون في انطاكية قد اوحوا بذلك، فتقرر سفر بولس.

رفض كيرللس الاشتراك مع بولس الا اذا حرم خطياً نسطوريوس، وقبل بانتخاب مكسيميانوس اسقفاً للقسطنطينية كخليفة لنسطوريوس. قبل بولس وتلا الوثيقة علناً في الكنيسة. واعتذر بولس لكيرللس بأن الشرقيين ما ارادوا اهانته انما فعلوا ذلك عن بساطة وعدم شعور. فقبل كيرللس الاعتذار. ولذلك تكلم بولس في كنيسة الاسكندرية في ٢٥ كانون الأول ٤٣٢ و١ كانون الثاني ٤٣٣. طلب كيرللس أن يوافق يوحنا الانطاكي على خلع نسطوريوس وشجب اخطائه. فسافر ارستولاوس (مندوب القصر) الى انطاكية فوقع يوحنا والأكثر تقدماً بين الشرقيين؛ الا أن بعضهم امتنع.

وعاد بولس ثانية الى الاسكندرية يحمل رسالة يوحنا الانطاكي. وهي الى حد بعيد مشابهة لرسالته وصحبه الموجهة الى القصر في اوائل آب ٤٣١. وهذا يدل على أن سوء التفاهم واهواء الناس هي التي جعلت الصراع عاصفاً. وافق كيرللس على رسالة يوحنا، وجاوب عليها بعبارات مماثلة. واستقبل المصريون بولس بتهليلات الفرح. وفي ٢٣ نيسان ٤٣٣ اعلن كيرللس لشعبه النبأ السار وتلا على مسامعه الرسالة التي استلمها من انطاكية. وهكذا وضعت الحرب اوزارها. وكل فريق تباهى بالنصر[٢٩]. الا أن النار لم تنطفىء الا موقتاً لتندلع بعد ١٥ عاماً. المجمع الثالث فصل فصلاً نهائياً مسألة وحدة الاقنوم وذكر الطبيعتين الا أنه لم يحدد نهائياً مسألة اتحاد الطبيعتين وشكله. هذا كان قدر المجمعين الرابع والخامس المسكونيين.

بومبيانوس Pompeianos

وقع صراع على أسقفية حمص. دومنوس اسقف انطاكية وثيئوذوريتوس اسقف قورش رشحا لها بومبيانوس، ورسمه دومنوس. ولكن اساقفة فينيقيا اللبنانية (قاعدتها حمص) رسموا آخر اسمه بطرس. انما فشلوا في توسيده السدة. ديفريس يظن أنهم من اتباع كيرللس الاسكندري. فقد بقي له محازبون كثيرون في سوريا. في العام ٤٤٣ وجه اليه صديقه ثيئوذوريتوس رسالة توصية برجل يصفه بـ «العجيب والممتاز كيلستنيانوس» (ربما كيليستياكوس). فهذا الرجل نجا من البربر لا يلوي الا على السحر ورحمة الراحمين. وتصحبه زوجته واولاده وخَدَمُه. ويقول انه يعرف قلة موارد بومبيانوس الا أنه يعتمد على سخائه ويوصيه بترقيق قلوب الموسرين في حمص على انسان كان غنياً ففقد ماله، فكان المال بذلك لا يدوم.

وفي العام ٤٤٥ انعقد في انطاكية مجمع ليبتّ في أمر باسيليوس بيريه. فحضره بومبيانوس. توفاه الله بين العام المذكور والعام ٤٥٠. ففي هذه السنة قبل تموز وجه ثيئوذوريتوس الى اورانيوس اسقف حمص الرسالتين ١٢٢ و١٢٣ من رسائله. مارتن يميل الى جعل وفاته بُعَيْدَ ٤٤٥ (٣).

اورانيوس

يبدو أن جماعة بطرس تحركوا بعد موت بومبيانوس. لذلك لقي تنصيب اورانيوس صعوبات واضطر أن يفرّ الى قورش ليلتجئ حيناً لدى صديقه الحميم ثيئوذوريتوس، ولكن تسلم منصبه فيما بعد، فنراه فيها في العام ٤٤٩ *. اذ في هذه السنة انعقد مجمع في أفسس يدعم اوطيخا برئاسة ديوسقوروس الاسكندري، ويحارب ثيئوذوريتوس وصحبه. وفيها تم نفي الاخير الى دير نسك فيه في منطقة افاميا في بلدة Nikertai واسمها اليوم «حورته». في مجمع افسس المذكور تقدم كاهن راهب اسمه مركيلس الى مجمع أفسس بعريضة يتهم فيها اورانيوس باختلاس المنصب. ولكن اورانيوس لم يحضر ذلك المجمع. وفيه أيضاً توجه اتهام الى فاليريوس اسقف اللاذقية اللبنانية (هي تل مندو في جنوب بحيرة حمص) بأنه نسطوري متواطئ في رسامة اورانيوس. وكان اورانيوس وفياً لثيئوذوريتوس فقابل معروفه معه بمعروف مماثل، فاهتم بحاجاته المادية في منفاه في «حورته». وتبادلا الرسائل فحفظ لنا التاريخ الرسالتين ١٢٢ و١٢٣ من ثيئوذوريتوس الى اورانيوس الذي نصحه بالرصانة. وكان ثيئوذوريتوس اثناءها في منفاه في حورته.

في العام ٤٥١ انعقد المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية قرب القسطنطينية. لم يحضره اورانيوس بالذات انما ارسل رئيس الشمامسة (الارشيدياكون) بورفيريوس الذي حضر المجمع ووقّع باسم اورانيوس. واستمر اورانيوس على ولائه للمجمع الخلقيدوني. ولما وجّه الامبراطور لاون في تشرين الأول من العام ٤٥٧ رسائل يطرح فيها سؤالين على كل المطارنة (متعلّقَين بالتمسك بمجمع خلقيدونية وضدّ تيموثاوس الاسكندرية) عقد أساقفة فينيقيا الثانية اجتماعاً حضره اورانيوس، فوقّعوا للامبراطور ايجاباً. ولكن لا نرى في مجمع

---

* وقد حضر في شباط ٤٤٨ محاكمة هيباس في صور وفي ايلول ٤٤٨ محاكمته في بيروت (٣٢).

القسطنطينية لعام ٤٥٩ أي اسقف من فينيقيا اللبنانية. فلا غرابة إن لم يحضره، اذن، اورانيوس. ولم يحضره سوى ٩ أساقفة انطاكيين(٣١).

الا أن حمص نعمت في أيامه بفرحة كبرى. ففي ٢٤ شباط ٤٥٢ تم في دير المغارة في حمص اكتشاف رأس يوحنا المعمدان المعروف باسم الاكتشاف الثاني*. كان الارشمندريت مركيلوس رئيس دير قريب من دير المغارة. وقد كان الاسقف اورانيوس قد فوّض اليه أمره بعد أن ازاح منه الكاهن افسطاتيوس. فاكتشف مركيلوس رأس المعمدان في التاريخ المذكور، فاهتزّت له المدينة. وفي ٢٦ تشرين الأول ٤٥٢ تم تدشين الكنيسة على اسم المعمدان وايداع رأسه (المعمدان) فيها باحتفال مهيب. وقد تولّى مركيلوس نفسه تدوين الاحداث وسمّى اورانيوس: «الأسقف الاقدس اورانيوس». وكان سويروس طالباً بعد في بيروت. فأتى حمص ليزور الرأس. وتخشّع هناك الحاج (السائح) انطونينوس بليزانس Antonin de Plaisance . وكان الرأس لا يزال موجوداً في حمص في العام ٥٧٠. ويؤيد وجود الرأس المؤرخ مركيلينوس أيضاً(٣٤). وقد اعتمدنا بالنسبة لتاريخ الاكتشاف والتدشين رأي بيترس.

المحققون يقولون إن ترقية حمص لمرتبة متروبولية تمت، اكراماً لهذا الاكتشاف، في السنة التالية أي العام ٤٥٣. ففي عهد ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ — ٣٩٥) صارت حمص في التقسيمات الادارية فقط قاعدة (متروبولية) فينيقيا اللبنانية. انما بقي اسقفها تابعاً لمتروبوليت دمشق. في العام ٤٥٣ أصبحت متروبولية بدون ناخبين مثل بيروت وحلب أي متروبولية شرف(٣٥). سويروس (اسقف انطاكية ٥١٢ — ٥١٨) دعاها كذلك مراراً في رسائله(٣٦). بالاستناد الى المصادر يناقش ديفريس Devreesse المسألة، فيرى اضطراباً في التسمية، ليقول إن حمص لم تحتفظ دوماً بلقب متروبولية(٣٧). يعتمد على ملالاس ليعتبرها متروبولية في تقسيمات ثيئوذوسيوس.

وفي أيام اورانيوس عاشت في حمص سيدة أصلها من القسطنطينية اسمها Volney مطرونة، كانت في وقت العثور على رأس المعمدان. تركت زوجها دوميتيانوس لتدخل في

---

* الميناون في الاودية ٧ يجعل الاكتشاف واقعاً في القسطنطينية. ميخائيل عساف حائر في سنكسارة. سيرد فيما بعد ذكر الاكتشاف الثالث في حمص.

احد اديرة الميتروبولية. ثم هربت من وجه زوجها الى اورشليم. ثم ترهبت في القسطنطينية حيث ماتت. عيدها في السنكسار اليوناني يقع في ٩ تشرين الثاني.

بعد اورانيوس يلفّ الصمت معلوماتنا. انما في العام* ٤٩١ أو ٤٩٢ أغار عرب على حمص ومنطقة افاميا فاعملوا فيها الخراب والدمار. وقتلوا ٤٠٠ راهبة وقدَّموهن ضحايا للالهة «العزّى». وهي الاهة عربية وثنية ورد اسمها في القرآن. واثناءها كان الأب القديس ابراميوس ينسك في دير مجاور لحمص وله من العمر حوال ١٨ عاماً. فغادر الدير وسافر مع رئيس الدير الى القسطنطينية. ثم صار اسقفاً وتخلّى عن منصبه ونسك في دير مار سابا حيث توفي بين العام ٥٤٣ و٥٥٣[٣٨].

انما لا تشير الوثائق التاريخية الى حضور أي اسقف من حمص المجامع التي عقدها خصوم المجمع الخلقيدوني (السريان الارثوذكس اليوم) في نهاية القرن الخامس. والمعروف تاريخياً في السنين اللاحقة أن سوريا الثانية وفينيقيا الثانية بقيتا معقلاً للخلقيدونيين الارثوذكس. وما زالت حتى اليوم مناطق انتشار الارثوذكس الكثيفة تقع ضمن شبه منحرف يمتد من حمص حتى محرده والسقيلبية (محافظة حماه) شرقاً وطرابلس واللاذقية غرباً. والمهاجرون من هذه المناطق الى سواها (داخلياً أو خارجياً) يبلغون مئات الألوف العديدة التي لا يمكن احصاؤها، اذ نُسيَ أصل الكثير منها عبر ١٤ قرناً.

يجزم نصر الله بأن اورانيوس هو آخر اسقف خلقيدوني معروف لدينا حتى الفتح العربي ص ٢٢٨. ولكنه يناقض نفسه في الصفحة التالية ليذكر أشعياء الأرمني. وهناك سواه.

جوليانوس واشعياء

عندما انقلب الامبراطور انسطاسيوس (٤٩١ — ٥١٨) على الارثوذكس وعاد الى اعداء خلقيدونية، قلب كثيراً من الاوضاع في الامبراطورية وسط مقاومات شديدة هددته

---

* ديفريس ينسب الغزو الى الملك اللخمي المنذر. الأب نصرالله يؤخر الغزو حتى العام ٥٠٥ على يد المنذر ملك الحيرة (ص ٢٣٤). الا أن كيرللس بيسان يذكر ان ولادة ابراميوس كانت في بداية عهد الامبراطور زينون (٢٩/ ١/ ٤٧٤ — ٤٩١)، وأن الغزو وقع لما كان عمره تقريباً ١٨ عاماً. فيكون استنتاج شتاين وفيستوجيير صحيحاً أي العام ٤٩١ أو ٤٩٢. فالمنذر ملك حوالي العام ٥٠٦، فهاجم فلسطين والعربية (أي ولاية البتراء) بوحشية ضارية، وارتكب في ديار بكر كل انواع الجرائم. وشتاين يقول بأننا لا نعرف نوع العرب المهاجمين. حتماً كانوا وثنيين يعبدون «العزّى».

مراراً بالاسقاط . وشمل التغيير الكرسي الانطاكي. فتم اسقاط بطريركنا وتنصيب سويروس (٥١٢ــ ٥١٨) بحضور ١٢ اسقفاً لم يكن بينهم اسقف حمص. انما أقام عليها جوليانوس[٣٩] (غير الخلقيدوني) اثناء عهده أي ما بين ٥١٢ و٥١٨. وبعد وفاة الامبراطور انسطاسيوس اعتلى العرش الامبراطور الخلقيدوني جوستينوس، فتبدلت الاحوال، فحلَّ في حمص الاسقف الارثوذكسي اشعياء الارمني (بعد ٥١٩)، وخُلِعَ سويروس من انطاكية. كتب سويروس من منفاه الى اتباعه في حمص ليحذرهم من الاسقف اشعياء، زاعماً أن ابيفانيوس مجيِّدون في بمفيليا قد رسمه وهو مدنف. ولكن في وصية ابيفانيوس جاء ان اشعياء هو كاهن لا اسقف[٤٠]. ويستحلف سويروس اكليروس حمص أن لا يدع نفسه ينخدع بهذه «الرجاسة المتنتة» التي تسعى لاقتحام المنصب المتروبوليتي[٤١].

الامبراطور جوستنيانوس* ينظم المنطقة

في خريف العام ٥٢٧ اجرى الامبراطور جوستنيانوس اصلاحاً في التنظيم العسكري في الشرق، فشق الى اثنين الدوقية التي تتاخم فينيقية اللبنانية التي كانت حمص قاعدة لها. فصارت تدمر مقر دوق duc ودمشق مركز دوق آخر. فاعاد (جوستنيانوس) بنيان تدمر وحصَّنها[٤٢].

المجمع الخامس المسكوني

انعقد في القسطنطينية في العام ٥٥٣. حضره ثلاثون اسقفاً انطاكياً منهم ٥ من فينيقيا الثانية. ولكن لم يكن بينهم أسقف حمص. وقد حضره رهبان دير مار مارون في منطقة افامية، اذ كانوا متحمسين للخلقيدونية المتأصلة في المنطقة كما سبق القول[٤٣]، بينما لم يحضر احد من حمص.

* الاسم لاتيني، فنلفظه جوستنيانوس. ولكن بتأثير اليوناني يكتبه البعض يوستنيانوس. وكذلك جوستان.

زوئيلوس

في كتابة مؤرخة في العام ٥٥٥ مكتشفة في تل عامري (شمال شرق المشرفة) ورد اسم «الجزيل الاحترام والقداسة ايلو». الا أن اللفظة مبتورة في وسطها. بقي منها I... lou. الأب موترد يرى فيها تحويراً شعبياً لاسم زوئيلوس الى يوئيلوس. ولا يمكن الجزم فيما اذا كان زوئيلوس اسقفاً لحمص أم السلمية القريبة أيضاً(٤٤).

حمص متروبولية مستقلة

في وثائق عهد البطريرك الانطاكي انسطاسيوس الأول الذي ارتقى العرش مرتين (٥٥٩ — ٥٧٠ و٥٩٣ — ٥٩٨)، ترقت حمص في العام ٥٧٠ الى درجة متروبوليتية مستقلة لها ٤ ناخبين. وتذكر الحاشية التنقيحية ١١ اسقفاً تابعين لمتروبوليت دمشق(٤٥). هونغمن يعتبر الأسقفيات الاربع قد تبعت حمص في العام ٥٧٠. كاتب مقال «حمص» في قاموس التاريخ والجغرافيا الكنسيين يرى أن ذلك تم على الترجيح بعد اكتشاف رأس يوحنا للمرة الثالثة في العام ٧٦١. فتبعتها ٤ أسقفيات (عرقا*، اكسافسيته، تدمر، ستيفانوبوليس أو فنيثالا**)، كما الأمر في نبذة من القرن العاشر(٤٦).

وقد ورد لدى ثيئوفانيس المؤرخ أنه كان لحمص في نهاية القرن السادس رئيس archon(٤٧).

وذكر ديفريس أن جيورجيوس القبرصي جعلها في أعلى اللائحة حتى قبل دمشق(٤٨).

قديسون حمصيون في القرن السادس

يذكر ثيئوذوريتوس في الفصل ١٧ من تاريخه للرهبنة في سوريا الاسقف ابراهيم (ابراهاميس). هذا كان من منطقة القورشية أي منطقة القديس مار مارون. صار رئيساً

* في عكار بلبنان.

** جوسية الخراب لدى رزق الله عبود في «اليوبيل». ويذكر لائحة اسقفيات تابعة لحمص في القرن الخامس. عددها ١٤. اما التحقيق المعاصر لم يثبت صحتها، وفي القرن العاشر اصبحت عرقه ابرشية مستقلة (رستم ٢ : ١٢٦).

لرهبنة في قرية كبرى من قرى حمص سكانها وثنيون. وكان رجلاً باراً. ثم صار اسقفاً على حران في شمال سوريا (القسم المغتصب). رقد في الرب في العام ٤٢٢. لم يذكر الكاتب اسم القرية.

الا أن القرن الذي ازدهى بالقديسين هو القرن السادس.

القديس سمعان المتباله

قديس عاش في حمص وتوفي في اواخر القرن الخامس. تعيد له الكنيسة ولرفيقه يوحنا في ٢١ تموز.

القديس رومانوس المرنم

المعلومات عن حياته محدودة. ولد في حمص حوالي العام ٤٩٠ ومات في القسطنطينية حوالي العام ٥٦٠. هو أكبر شاعر بيزنطي كما يقول كبار المختصين. ويكاد يقع الاجماع على أنه هو منشىء المديح الذي لا يجلس فيه Akathiston . عيده في ١ تشرين الأول.

القديس توما المتباله

ليس قاطعاً أنه من ابرشية حمص. فقد يكون من أبرشية أفاميه. توفي في العام ٥٥١ في انطاكية. عيده في السنكسار اليوناني في ٢٤ نيسان.

ابراميوس

لم اعثر في السواعي اليوناني على اسم للقديس ابراميوس المار ذكره. انما رواية حياته تدعوه قديساً[(٤٨ مكرر)] .

القرن السابع

هذا القرن شاهد اجتياح الفرس لشرقنا والعدوان على كنيستنا[(٤٨ مثلث)] . الا أن هرقل استعاد المنطقة وحاول صلحاً فاشلاً مع بطريرك السريان اثناسيوس الجمال في اجتماع عقدوه

في منبج (يرابوليس)، وذلك في العام ٦٣١. وقد حضره باسيليوس اسقف حمص وتوما اسقف تدمر(٤٩).

واعقب ذلك بعد قليل الفتح العربي، فاستقبله السكان ورحبوا به. وفي الصلح تمّ انتزاع ربع كنيسة القديس يوحنا. هذا على رأي البلاذري(٥٠). أما المقدسي فقال بالنصف. وروى ياقوت الحموي أن قسماً من سكان حمص أُخلاها(٥١). وكانت حمص مركز تمردات وعصيان. فاضطهاد العام ٧٧٣ أدّى الى فرار الأهالي أيضاً الى بيزنطية(٥٢).

في العام ٦٦٥ مات مطران حمص حرقاً. لا نعرف اسمه. ثيئوفانيس المؤرّخ البيزنطي لم يمدّنا بأي تفصيل. حاول الأب لامنس* تفسير ذلك بظروف حمص الخاصة بعد مقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموماً. فجعل الأمر فعل رعاع. ونوّه بأن المسيحيين كانوا لا يزالون انذاك كثيرين وأقوياء كما في باقي المدن السورية. وبقي الأمر كذلك حتى في عهد العباسيين(٥٣)، معتمِداً في رأيه على البلاذري (ص ١٣٤ من طبعة دي غوييه).

هذه الميتة تجعله شهيداً. وذكره فقط من قبل ثيئوفانيس البيزنطي يجعله ارثوذكسي المذهب.

القرن الثامن

في السنوات العشر الاخيرات من العهد الأموي (٧٤٠ — ٧٥٠) تحولت حمص الى مسرح للثورات. وعمَّ الأمر بعد ذلك البلاد السورية حتى اختلَّ حبل الأمن، وصار المرء مضطراً الى كتابة تاريخ كل بلد أو كل قرية. فقد كانت سوريا معقلَ ثورات ضد حكم العباسيين(٥٤).

ارسل المهدي في العام ٧٨٢ جيشه الى حمص ليجعل المسيحيين فيها ينكرون الايمان وذلك كرد فعل على انهزاماته امام البيزنطيين. وقد تكرر الأمر في العام ٩٢٤ وفي أواسط القرن العاشر. وأدى اضطهاد الواثق الى سقوط عدّة شهداء وهدم عدة كنائس في دمشق(٥٥).

---

* الأب لامنس ذكر العام ٤٦ للهجرة= ٦٦٦ للميلاد (ص ٨) ثيئوفانيس ذكر العام ٦٦٥ لوفاة المطران.

انما في هذا القرن، بالدقة في العام ٧٦١، تم العثور للمرة الثالثة على رأس يوحنا المعمدان، وذلك في دير المغارة نفسه المجاور لحمص. فتم نقله الى الكنيسة الكبرى في جو عابق بالحبور[٥٦] . وتعيّد له الكنيسة مع الاكتشاف الأول في ٢٤ شباط. ومر معنا قولٌ بأن حمص قد تبعتها بهذه المناسبة ٤ اسقفيات.

لاون مطران حمص

نعلم من كتابة سريانية من نهاية القرن الثامن أن ثيئوذوريتوس هو البطريرك الانطاكي وأن اخاه لاون هو مطران حمص. في سلسلة البطاركة كان ثيئوذوروس (لا ثيئوذوريتوس) الأول بطريركاً منذ ٧٦٧ الى ٧٨٧*. الاختلاف بين الاسمين بسيط[٥٧].

وتجدر الملاحظة أن بطريرك السريان في القرن الثاني عشر ميخائيل الكبير (المتوفي ١١٩٩) نظم لائحة اساقفة السريان في حمص. تبدأ بالعام ٧٩٣ وتنتهي في أيامه. معجم التاريخ والجغرافيا توقف عند هذا الحد بدون عثور على لائحة اساقفة لاحقة. حتى في لائحة ميخائيل فجوة من ٦٠ سنة تقريباً[٥٨]. الا أنه في العام ١٩١٨ تم انتخاب افرام برصوم مطراناً على سوريا ولبنان**. وهو لاحقاً البطريرك مار افرام برصوم المقيم في حمص، كما نقرأ على لوحة موضوعة على تمثاله في المطرانية بحمص.

القديس ثيئوذوروس

صار مطراناً على حمص فيما بين القرنين الثامن والتاسع. معلوماتنا عنه نادرة[٥٩]

القرن التاسع

في عهد المأمون، وقع اضطهاد عام في سوريا وفلسطين، وذلك في العام ٨١٤، فهرب مسيحيون عديدون الى قبرص وبيزنطية[٦٠]. وفي عهد الواثق (٨٤٢ – ٨٤٧) كان المسيحيون في حالة يرثى لها[٦١].

---

* أسد رستم اعطى هذا التاريخ في السلسلة واعطى تاريخ ٧٤٧ — ٧٩٧ في المتن (ص ١٢٣ من المجلد الثاني).

** ولذلك لا صحةَ لزعم الأب لامنس انه في زمان احراق مطرانها (٦٦٥) كان لحمص مطرانان احدهما ارثوذكسي والآخر يعقوبي كما في أيامنا (ص ٣، الحاشية ٢).

ولكن هذه الاحداث مرتبطة غالباً بالحالة العامة في سوريا في عهد العباسيين، كما نراها في كتاب الدكتورة امينة البيطار.

ففي العام ٨٥٥ اندلعت الثورة في حمص ضد المتوكل العباسي. وشارك فيها المسيحيون. فكان سواد السكان فيها مسيحيين. فصدرت الاوامر بهدم الكنائس وطرد المسيحيين من المدينة، فأُعطوا مهلة ثلاثة أيام للتنفيذ، والا تم تأديب المخالفين. وتم ضم القسم الباقي من الكنيسة. ولم يستطع المتوكل القضاء عليها الا بصعوبة وضحايا. وعاقب الثائرين وقتل منهم وصلب زعماءهم على الأبواب(٦٢).

الأب لامنس يلاحظ بالاستناد الى السائح فيليبالد Willibald — الذي مر على حمص في اواخر عهد الامويين (أي اواسط القرن الثامن) — أن سوريا ما زالت محتفظه بمظهرها كبلد مسيحي(٦٣). ويعلق على تصرفات المتوكل ليقول إن في المدن الكبرى في سورية كان ما يزال المسيحيون يؤلفون كمية هامة من السكان(٦٤). وقد استعمل حتي بالانكليزية لحادثة حمص عبارة تدل على أن سكانها كانوا ما زالوا مسيحيين باغلبية ساحقة أي سوادهم مسيحي أيام المتوكل(٦٥).

Which was evindently still predominantly Christian.

القرون ١٠ — ١٤

لا نعرف شيئاً عن مطارنة حمص منذ القديس ثيئوذوروس المار ذكره حتى سمعان (١٣٥٥).

فالمنطقة خضعت خلال هذه الفترة لاضطرابات وحروب وفتوحات وفتن. وفي العام ١١٥٧ ضربها زلزال كبير أعمل فيها التخريب. وكانت قد تعرضت في القرنين الخامس والسادس للزلازل.

في ظروف كهذه ينقبض الناس عن الكتابة أو تزول الوثائق. انما نعرف من التاريخ العام للكرسي الانطاكي ان الارثوذكس نزحوا الى السواحل بكثافة في القرن العاشر (رستم ٢ : ١٢٦).

سمعان مطران حمص

كل ما نعرفه عنه هو أنه اشترك في العام ١٣٥٥ في انتخاب البطريرك الانطاكي بخوميوس (١٣٥٥ — ١٣٦٨ أو ١٣٧٠)[٦٦].

افسابيوس

لا نعرف شيئاً عنه. وأمره مشكوك فيه[٦٧].

نيميسيوس

لا نعرف شيئاً عنه. وأمره مشكوك فيه[٦٨].

ايليا الأشلّ

كان مطراناً على حمص قبل القرن الخامس عشر. وله مقالة «يذكر فيها أسباب تنازله عن الاسقفية ويتطرق من ذلك الى التكلم عن شرف وعظمة الكهنوت». وتوجد نسخة مخطوطة منها في مكتبة اوكسفورد[٦٩].

بخوميوس الحوراني

كان مطراناً على حمص ثم صار بطريركاً (١٤١٠ — ١٤١١) باسم بخوميوس الثاني[٧٠].

مكاريوس بن الصباغ

هو مكاريوس بن وهبة بن المعلم عيسى الصباغ. كان مطراناً على حماه. ترملت حمص فتم تكليفه رعاية ابرشية حمص. وكان في العام ١٥٦٣ موجوداً في حمص. وفي أيامه ورد ذكر كنيسة الاربعين شهيداً في مخطوط[٧١].

يواكيم بن زيادة

أصله من قرية السيسانية (منطقة صافيتا) زهد في الدنيا وترهب، ثم ترقّى في الدرجات الكهنوتية. وفي العام ١٥٧٥ تمت رسامته مطراناً على حمص، فبقي يسوسها ١٨ عاماً، حتى تم انتخابه بطريركاً في العام ١٥٩٣، فاحسن رعاية الكنيسة طيلة ١١ عاماً، ثم استقال في العام ١٦٠٤ بسبب فقده نظره. وتوفي في دير القديسة كاترينا بطور سينا[٧٢].

غريغوريوس

صار مطراناً في ١٨ نيسان ١٥٩٤[٧٣].

يواكيم بن معتوق

اصله من قرية قطينة (ابرشية حمص). من التعليقات على كتب يبدو أنه كان مطراناً في السنوات ١٥٩٩ الى ١٦١٣. ولا ندري عنه شيئاً قبل ذلك أو بعده، سوى أنه استقبل البطريرك اثناسيوس الثالث في العام ١٦١١، اذ زار حمص[٧٤].

لعازر (او عازار)

خلف يواكيم. وخضع لنفوذ ابن سيفا حاكم طرابلس، فاشترك مع سمعان مطران حماه وديونيسيوس مطران الحصن في انتخاب بطريرك منشق اسمه كيرللس بن الدباس. وتم ذلك في اميون (الكورة — لبنان) في العام ١٦١٨ حيث تم تنصيبه. مع أن البطريرك اغناطيوس كان حياً بعد. وفي العام ١٦٢٤ اشتد الخلاف بين كيرللس وملاتيوس مطران حلب فاستقدم كيرللس لعازر حمص وسمعان حماه واغناطيوس باياس (كيليكيا) فاحتفلوا معاً بعيد الفصح وعقدوا معه مجمعاً في اليوم التالي[٧٥].

يواكيم

استفحل الانشقاق بين البطريرك اغناطيوس والبطريرك المزيف كيرللس. وتبدلت

الامور بخلف يواكيم لعازر ، فحضر في العام ١٦٢٨ مجمع رأس بعلبك (دير السيدة) الذي وضع حداً للانشقاق مدعوماً بالأمير فخر الدين المعني . وقد قام المجمع المذكور باصلاحات قانونية ــ اجتماعية هامة ، فسنّ قانوناً للبطريركية الانطاكية وكافح عيوباً عديدة . وتم في المجمع تجريد كيرللس . فنفاه الأمير فخر الدين الى مغارة الراهب[٧٦] .

فيلوثيئوس Philothéos

خلف يواكيم . هو ابن الحاج فرج الله بن الحاج يوحنا بن القس نصر الله . كان متزوجاً فترمل . صار ابنه ابراهيم وحفيداه منه جبرائيل وفضول كهنة . ورسم في العام ١٦٣١ اخاه نصر الله كاهناً . اشترك في العام ١٦٣٥ في رسامة مكاريوس بن الزعيم مطراناً لحلب . واشترك في العام نفسه في تتويج افتيميوس الرابع الصاقزي بطريركاً . وكان سمعان مطران حماه الذي حضر مجمع رأس بعلبك (١٦٢٨) قد مات ، فأوكلت امور حماه الى فيلوثيئوس* ريثما يتم انتخاب خلفه ملاتيوس . واشترك الاثنان في تتويج مكاريوس بن الزعيم بطريركاً ، وذلك في ١٢ تشرين الثاني ١٦٤٧ ، ورافقاه الى دمشق . وفي العام ١٦٤٩ زار البطريرك مكاريوس القرى المسيحية الواقعة بين طرابلس وحماه وعيّد الفصح في حماه دون أن يمر على حمص . فلربما كان مطرانها قد مات[٧٧] .

اثناسيوس (١٦٥١ ــ ١٦٥٩)

تمت رسامته في ١٣/ ٦/ ١٦٥١ . في الاعوام ١٦٥٧ ــ ١٦٥٩ قام البطريرك مكاريوس بن الزعيم برحلة في بلاد البلقان . فاستدعى الدمشقيون اثناسيوس ليتولج اعمال البطريركية ، فارتكب اساءات استعمال فاحشة . ولما عاد مكاريوس في العام ١٦٥٩ مر على حمص واقتاده معه الى دمشق فانعقد مجمع في ٢٨ آب ١٦٥٩ (حساباً شرقياً) وأصدر حكماً بتجريد اثناسيوس من الكهنوت . ثم مات قبل ١٦٦٤[٧٨] .

---

* في مخطوط مؤرخ في ١٦٤١ ورد انه وكيل حماه .

نيقولاوس

خلفه نيقولاوس. كان في العام ١٦٦١ يسوس ابرشيتي حمص وعكار. ربما بسبب ترمل عكار[٧٩].

انثيموس

خلف انثيموس نيقولاوس وتوفي في العام ١٦٧٠[٨٠].

يواكيم

في العام ١٦٧٢ رسم شماساً. وربما بقي في المنصب الى العام ١٧٠٠ أو الى ما بعده[٨١].

خريستوذولوس

كان في العام ١٧٠٤ والعام ١٧١١ مطراناً. هذا ما نعرفه عنه فقط. ولا نعرف ذكراً لأحد بينه وبين مكاريوس الآتي ذكره. وكانت الأيام عسيرة في زمنه. وربما كان حياً لما ثار الأهالي في ٢١ اذار ١٧٢٨ على آل العظم وهجم الرعاع على الكنيسة، فاعملوا فيها النهب والتخريب والتحطيم. انما جاء في «الحقائق الوضية» (ص ١١٤) ان مطران حمص في العام ١٧٢٩ كان اغناطيوس الذي كان يُبطن الكثلكة[٨٢].

مكاريوس

زار البطريرك الانطاكي حمص في العام ١٧٣٢. وكانت مترملة. وفي العام ١٧٣٣ رسم لها مكاريوس مطراناً وارسله اليها[٨٣].

ثيئوفيلوس

كان في العام ١٧٤٧ مطراناً. وفي أيامه اهدى البطريرك سلفستروس ايقونة مار اليان لكنيسة مار اليان وايقونتي السيد والسيدة لكنيسة الاربعين. وهما اليوم في كنيسة القديس جيورجيوس بحي الحميدية. والصور من رسم سيلفسترس نفسه الذي كان رسَّاماً[٨٤].

جراسيموس

كان مطراناً على حمص بين العامين ١٧٦٢ و١٧٨٤. في أيامه مرَّ البطريرك فيليمون على حمص وذلك في زيارة رعوية (١٧٦٧).

لا نعرف لا بداية عهد جراسيموس ولا نهايتها. انما يبدو أن الكنيسة عرفت انتعاشاً في أيامه. انما بدت حمص للرحالة الفرنسي فولني Volney (الذي زارها بين العامين ١٧٨٣ و١٧٨٥) «قرية كبيرة متهدمة»، يتألف سكانها من الفي نسمة. بعضهم من الارثوذكس وبعضهم من المسلمين. لم يذكر أية طائفة أخرى[٨٥].

اما أسباب التهدم فقد تكون عائدة الى هجمات البدو. فسائحة فرنسية ذكرت تهشيمهم العراق في القرنين ١٧ و١٨. وعلمت بمخطوطة في الجامعة الاميركية تذكر هجمات البدو التخريبية على حمص قبل ٣ قرون أي في قرن هجماتهم على العراق. وفي متن هذا الكتاب الشيء الكثير عنها. فقد سيطر البدو على الداخل السوري والجنوب الغربي من العراق وانعدم الأمن وبارت الأراضي حتى الساحل أحياناً.

انثيموس (١٧٨٨ — ١٧٩١)

معلوماتنا عنه نادرة. لا نلحظ في عهده ما لاحظنا في عهد سلفه من نشاط وعمل[٨٦].

اثناسيوس مخلع (١٧٩١ — ١٨٠٥؟)

هو من عائلة مخلع الدمشقية. على أثر مرض المَّ بأخيه نذر العفة ان شفاه الله. تقبل الله النذر، ففكَّ خطبته وترهب، فتزوج اخوه خطيبته. ترهب وزهد. تضلع من اللغتين اليونانية والعربية. فألَّف وترجم. ترجم في العام ١٧٨٠ عن اليونانية «البوق الانجيلي» المطبوع في بيروت بمساعي الشماس غريغوريوس حداد (البطريرك غريغوريوس لاحقاً)، ومديح العذراء الذي لا يجلس فيه (اكاثستون)، و«مقالة في الايمان الارثوذكسي» للبطريرك الاورشليمي انثيموس اللاهوتي الشهير (غير مطبوعة). وفي العام ١٧٩٩ انشأ

مقالاً في «اونيون» * و«اونيته» * * . وأنشأ كتاباً في الفضائل والرذائل يقابل بينها محرضاً على اقتناء الفضائل ومحاربة الرذائل .

تم انتخابه ورسامته مطراناً على حمص في العام ١٧٩١ . في ١٥ كانون الأول ١٧٩١ قدم البطريرك دانيال الصاقزي في القسطنطينية استقالته ، وأشار بانتداب انثيموس اسقف هيلينوبوليس خلفاً له . فوافق المجمع القسطنطيني . وحصلت القسطنطينية على براءة سلطانية له ، فأتى المشرق وعرض البراءة على أحمد باشا الجزار والي عكا . ثم انطلق منها الى دمشق .

ولكن المطارنة الانطاكيين اجتمعوا في العام ١٧٩٢ وانتخبوا اثناسيوس بطريركاً . فمجمع ١٧٦٧ قرر حقهم ووافق على القرار بطريرك القسطنطينية وكنيسته (رستم ٣ : ١٥٧) . وكان المطارنة والشعب قد ملّوا غطرسة العنصر اليوناني * وتسلطه ووصاية بطريركية القسطنطينية التي تسلب المجمع الانطاكي حقه في انتخاب بطاركته . فهاجت الخواطر وأدلهمّ الخطب . فخشي اثناسيوس الفتنة والاخطار والتدخلات الغريبة ، فتنازل عن حقه وبشّر بالسلام والوفاق وقبول الامر الواقع ، فكان كبير النفس جليلها .

وقد بقي في حمص حتى العام ١٨٠٥ (؟؟) . ورعاها ببراعة يحظى باحترام فئات سكانها . وتروى عنه لطائف تدل على حضور ذهنه وسرعة بديهته واطلاعه على العلوم الاسلامية . الا أنه اصطدم ببعض الوجهاء ، فاستقال ، وسافر الى دمشق حيث بقي الى أن تم تعيينه مطراناً على بيروت . فبقي فيها الى وفاته في العام ١٨١٣ ، بعد أن انشأ فيها مكتبة نفيسة (٨٧) .

يواكيم

ربما تم تعيين يواكيم مطران سلمية وكيلاً في مطرانية حمص بعد استقالة اثناسيوس ، اذ نراه فيها في العامين ١٨١٠ و١٨١٢ (٨٨) .

* unité * * union

* تسمية «يوناني» تسمية لغوية أكثر منها عرقية . فلفظة «روم» هي التي كانت مستعملة قديماً ، نسبة الى الامبراطورية الرومانية الشرقية (عاصمتها القسطنطينية) . وترجمة «روم الى الأجنبية grec greeck غير صحيحة بل Romain Roman

رسم لحمص بعد ١٨١٢ . يبدو أن اقامته فيها كانت قصيرة . فقد نشب خلاف بينه (وبين) الشعب ، فاستقال على إثره[٨٩] .

مثوديوس (١٨٢١ — ١٨٤٧)

صار مطراناً في كانون الأول ١٨٢١ . كان قويم الايمان مخلصاً دؤوباً على العمل ، حسن الرعاية . جمَّل حمص بنفر من الكهنة الفهماء الاتقياء النشيطين العاملين . منهم الخوري جرجس الفراء التقي والخوري عيسى الطبيب «الحامض» (أحد نوابغ حمص في القرن التاسع عشر) ، والخوري يوسف رباحيه (ساعد المطران الايمن في بناء كنيسة مار اليان) . والخوري جرجس الانطاكي الاداري اللبق .

يبدو عهده عهد بداية نهضة .

في بداية عهده سخط السلطان العثماني محمود على أهالي قبرص فأمر بقتل اساقفتها . وكانت ازمة تحرر اليونان من النير العثماني في أشدّها . فأرسل البطريرك الانطاكي مثوديوس في ٢٢ تشرين الثاني ١٨٢١ مطرانَ حمص مثوديوسَ ويوانيكوسَ مطران حماه وجناديوسَ مطران صيدنايا ليرسموا اساقفة يحلّون محل المغدورين .

وفي أيامه تم احتلال ابراهيم باشا لسوريا ، فلعب النفوذ الفرنسي دوره لتثبيت اقدام الكثلكة . فصار بعض ارثوذكس حمص كاثوليكيين (١٨٢٨ — ١٨٣٤) .

وكانت الاحوال في الكرسي الانطاكي قد بلغت حداً مذرياً جداً . فاستعان البطريرك الانطاكي وصحبه بروسيا . فوجهوا اليها في العام ١٨٤٢ بياناً بطريركياً حمله مطران بعلبك . وقد وقعه مثوديوس حمص وثمانية مطارنة .

وقد توفاه الله في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٤٧[٩٠] .

غريغوريوس (١٨٤٩ — ١٨٥٩)

بعد وفاة مثوديوس تولى الخوري عيسى الحامض وكالة الابرشية في العامين ١٨٤٨

و١٨٤٩. ثم صار غريغوريوس في العام ١٨٤٩ مطراناً لها. أصله من معلولا في جبال القلمون. كان حاد الطباع، لذلك لم يأتلف مع الرعية، فقضى السنوات العشر في تصادم ومناقشات لا تنتهي. في النهاية اضطر الى الاستقالة (١٨٥٩)؛ فبقيت الابرشية بلا مطران حتى العام ١٨٦٦. فتولى رعايتها كهنتها. قام بالوكالة الخوري عيسى الحامض حتى وفاته في العام ١٨٦٤ بالاشتراك مع الخوري جرجس الانطاكي حتى رسامة المطران ديونيسيوس (١٨٦٦)[٩١].

ديونيسيوس

كما قلنا: بقيت الابرشية شاغرة من ١٨٥٩ حتى ١٨٦٦. خلال هذه الفترة بلغ التطاحن الاوروبي على المنطقة أشدّه، فاستعد للرحيل الى ديار الغرب مَن استعدَّ حتى زاد اليوم عدد المهاجرين اضعافاً عن عدد المقيمين. ففتنة ١٨٦٠ بدت انذارَ خطر لكثيرين.

وفي العام ١٨٦٥ (آب) زار البطريرك ايروثيئوس حمص وتفقد شؤونها. وهو احد مشاهير بطاركة انطاكية العاملين الذين لا تعصف في عقولهم العصبية القومية (كان يونانياً). فرسم لها في العام ١٨٦٦ المطران ديونيسيوس، فقدمها في حزيران من العام نفسه. وديونيسيوس هذا رومي الأصل من بلاد الأناضول. تسلّم الأعمال بهمة ونشاط. وكانت الاحوال في الامبراطورية العثمانية قد أخذت بالتبدل بعد صدور الخط الهمايوني في ١٨ شباط ١٨٥٦ وقانون التبعة العثمانية (١٨٥٩) اللذين ساويا بين المواطنين العثمانيين. وكانت حركة الاصلاحات التشريعية بضغط فرنسا وبريطانيا قد هبّت على الامبراطورية بعد تحرر اليونان وتخوف فرنسا وبريطانيا من المزاحمة الروسية. فصدر في العام ١٨٣٨ خط كلخانة ثم التشريعات المدنية المنقولة عن فرنسا عدا القانون المدني (مجلة الاحكام العدلية) والاحوال الشخصية. ولذلك نرى المسيحيين في عهد ديونيسيوس يحتلون مناصب في الحكومة بنسبة جيدة.

من جهة اخرى، كان الارثوذكس قد نشطوا صناعياً فبرعوا في صناعة النسيج وجنوا منها ارباحاً طائلةً، فكانوا وجه المدينة الاقتصادي المرموق. في العام ١٨٨٨ مر على حمص الأب الفرنسي اليسوعي جوليان. فأصدر كتاباً عن رحلته في العام ١٨٩٣. ذكر ازدهار ارثوذكس حمص وعددهم البالغ ١٤ الفاً. أما السريان الارثوذكس فألف وكذلك

الروم الكاثوليك. البروتستانت عددهم ١٠٠ والموارنة عددهم ٧٠. طبعاً الاحصائيات في ذلك الزمان ليست دقيقة مثل اليوم. رأينا سابقاً أن ڤولني Volney الذي زار حمص العام ١٧٨٣ ذكر أن سكانها ارثوذكس ومسلمون وعددهم جميعاً الفان. خلال قرن وخمس سنوات ازداد عدد الارثوذكس جداً. اما السريان فتسميتهم الشائعة في حمص على ما ذكر «اليوبيل» (ص ٦٦) وحتى اليوم فهي «الصدية» لأنهم من صدد. ودخلت الكثلكة حمص كما أسلفنا فشجعها بدءاً من العام ١٨٣٢ يوحنا بك البحري الحمصي الكاثوليكي كاتب ابراهيم باشا المصري (اليوبيل ص ٦٧).

وفي العام ١٨٥٧ قدم قس بروتستانتي اميركي يدعى «ولسن» حمصا، ففشل ثم قدم سواه في العام ١٨٦٠، دون أن يحرز نجاحاً يذكر (اليوبيل ص ٦٨). وفي العام ١٨٨٢ قدمها الرهبان اليسوعيون دون نجاح يذكر سوى اقبال الناس على تعلّم اللغة الفرنسية (اليوبيل، ص ٦٨ — ٦٩). وهذا يؤيد الرأي السابق ان حمص كانت دوماً قاعدة للارثوذكسية، وأن خط حمص** - افاميا*** فالبحر غرباً هو خط ارثوذكسي اصيل.

في هذه الاحوال الاجتماعية والاقتصادية استطاع ديونيسيوس أن يلمع. وكان متواضعاً ذا شعبية في الطبقة العاملة. الا أن تصارع الوجهاء ساق الأمور الى انشقاق، فانفرد فريق في الصلاة لوحده في كنيسة مار اليان، وذلك اثر اصطحابه الى دار الحكومة أحد الوجيهين البارزين المتخاصمين دون الآخر. وانحصر اتباع المطران بكنيسة الاربعين شهيداً. وحميت معركة الشكاوى الى البطريرك والعرائض المعاكسة. فألّف البطريرك وفداً من المطران اغابيوس (اداسيس) والارشمندريتيين حنانيا اليان رئيس البلمند واثناسيوس عطاالله رئيس دير مار الياس شويا (ضهور الشوير — لبنان) وشماسين. وصلوا حمص في ١٧ أيار ١٨٨٤، فنجحوا في اقامة السلام وعادوا في ٢٧ أيار الى دمشق.

---

* هذا من بلاد الأناضول لا من بلاد اليونان الحالية. فتسميته «رومي» أصح من تسميته «يوناني». في القرن الماضي كان الناس يسمونهم «اروام» جمع رومي وروميّة [٩٢].

** قاعدة فينيقيا الثانية (فينيقيا اللبنانية) قديماً.

*** المندثرة (قلعة المضيق — حماه) قاعدة سوريا الثانية. انما بقي لنا تجمع ارثوذكسي واسع في قرى محردة والسقيلبية وكفربهم وان كان المهاجرون منها ومن حماه كثيرين جداً.

وفي عهده ، تمتعت الكنيسة بكهنة جليلين عاملين نشيطين ساهرين . وكان ذا نفوذ لدى السلطات يتدخل لفضّ مشاكل الناس .

وفي ٢ شباط ١٨٨٥ رقد في الرب[٩٣] .

المطران اثناسيوس عطالله ١٨٥٣ — ١٩٢٣

ولد في ١١ اذار ١٨٥٣ في قصبة الشويفات من أبوين تقيين هما : الياس عطالله فرح ونجمة ابنة يوسف الشويري ، فتفاءل أبوه بولادته خيراً ، وسماه أسعد لاقبال مواسمه وتوفير خيراته في تلك السنة .

ولما ترعرع ، وضعه أبوه في مدرسة القصبة الابتدائية . ثم التحق بمدرسة سوق الغرب . وفي ١٨٧١ رسمه غبطة البطريرك ايروثيوس راهباً متوحداً . وفي حزيران ١٨٧٢ رسمه شماساً إنجيلياً ، وعام ١٨٧٦ أقامه رئيساً لشمامسة الكرسي الأنطاكي . وفي ١٨٨٣ أصبح أرشمندريتاً . وفي ٢٥ اذار ١٨٨٦ تمت رسامته في بيروت مطراناً لمدينة حمص .

أعماله : اهتم بترقية الطائفة روحياً ، فصار يتمم الصلوات البيعية باللغة العربية . وعيّن يومي الثلاثاء والخميس لتفسير الكتاب المقدس وشرح العقائد الأرثوذكسية . وأسس عدة جمعيات دينية . وجدّد بناء كنيسة الأربعين شهيداً ١٨٩٠ . وأصلح المدارس الأرثوذكسية بإدخال العلوم الحديثة . وجهّزها بالمدرسين المؤهلين علمياً وتربوياً . وفي ١٩٠٤ شاد الميتم الأرثوذكسي . وفي ١٩٠٩ أصدر جريدة حمص . وفي ١٨٨٨ بنى كنيسة القديس جاورجيوس في قرية كفرام . وفي ١٨٩١ بنى كنيسة السيدة في أم شرشوح . وفي ١٨٩٥ بنى مدرسة في قرية الدوير . وتوفاه الله ١٩٢٣ ، فأقيم له نصب تذكاري في باحة كنيسة الأربعين شهيداً .

المطران ابيفانيوس زائد ١٨٩٠ — ١٩٨٢

واسمه خليل بن موسى الزائد. ولد في قرية دير عطيه (القلمون) تلقى دروسه الأولى في المدرسة الروسية. وفي صيف ١٩٠٤ التحق بالمدرسة الاكليريكية في دير البلمند. وكان من أذكى طلابها، وفي عام ١٩٠٩ أرسله البطريرك غريغوريوس حداد الى موسكو، فأحرز شهادة التصوير الكنسي، وأتقن الروسية، وعاد الى دمشق. ورسم شماساً إنجيلياً ٢٤ أيلول ١٩١١. ثم عاد الى موسكو ليدرس الفنون الجميلة في الأكاديمية العليا. وعاد ثانية الى دمشق ١٩١٤. وفي عام ١٩١٨ أصبح رئيس شمامسة، وبدأ بتدريس الآداب العربية في الثانوية الأرثوذكسية في دمشق. وظهرت موهبته الأدبية في مقالاته التي كان ينشرها في مجلة «الرابطة الأدبية». وانتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً في لجنته الفنية. انتخبه المجمع الأنطاكي المقدس في ٢٨ آب ١٩٢٥ متروبوليتاً على حمص وتوابعها وتأخرت شرطونيته بسبب الثورة العربية الكبرى الى صباح الخميس في أول كانون الثاني ١٩٢٦.

كان علماً من أعلام الموسيقى والأدب والفن إضافة الى تعمقه بالعلوم اللاهوتية وفي رسم الأيقونات إضافة الى شاعرية فياضة. وسار في طريق الإصلاح التي رسمها الطيب الذكر اثناسيوس عطالله واضعاً ذكاءه الحاد وعبقريته الفذّة في خدمة البلد والطائفة. وفي عام ١٩٤١ التحق بأبرشية عكار بناء على قرارات المجمع الأنطاكي المقدس وبقي فيها حتى وفاته.

المطران الكسندروس جحا ١٨٨٦ — ١٩٦٨

واسمه أسعد بن بشاره جحا وُلِدَ في ٢٣ شباط ١٨٨٦ في بلده بشمزين (الكورة) دخل مدرسة القرية فظهرت عليه دلائل النجابة والنزعة الى الترهب وفي عام ١٩٠١ التحق بالمدرسة الاكليريكية في دير البلمند وتخرّج منها عام ١٩٠٧ ويذكر أساتذته طهارة سريرته واستقامة نفسه وفي عام ١٩٠٨ رسمه المطران الكسندروس طحان متروبوليت طرابلس آنذاك شماساً إنجيلياً ثم تولى إدارة المدارس الأرثوذكسية في انطاكية فأحدث انقلاباً في مناهج التعليم وتحققت نهضة فكرية شملت مدينة انطاكية كلّها. بدأ بنظم الشعر وكتابة

الرسائل البليغة فكان في خطبه بليغاً قوي التأثير يستحوذ على أذهان سامعيه ببيانه وقوة حجته. وفي عام ١٩١٢ غادر انطاكية ليلتحق بالسيمنار الروسي في مدينة قازان وحاز على شهادة العلوم اللاهوتية والفلسفية ١٩١٨ وغادر روسيا ١٩٢٠ ليصبح بعد عام رئيساً لدير البلمند وفي ١٩٢٥ عين رئيساً لدير مار جرجس الحميراء فنظم شؤون الدير وضبط أملاكه وفي حزيران ١٩٣٤ انتخبه المجمع الأنطاكي مطراناً على مدينة طرابلس وبقي يرعاها حتى ٣ تشرين الثاني ١٩٤٠ حيث انتقل بقرار من المجمع الأنطاكي المقدس الى أبرشية حمص ليرعى أبناءها بعطفه الأبوي ويمدّهم بالمثل الصالح ويمنحهم من بركته الرسولية وفي عام ١٩٤٩ قام سيادته بزيارة رعائية للجوالي الحمصية في البرازيل والأرجنتين وتشيلي. وفي عام ١٩٥٨ منحته الأكاديمية الروسية اللاهوتية لقب دكتور في اللاهوت. ومن مؤلفاته: تاريخ الكنيسة ترجمه عن الروسية، والقديس يوحنا الذهبي الفم، وبحث في اخوة الرب، ومجموعة مقالات. وقد بنى كنيسة السيدة البشارة في حي المحطة وأوصى بأن يدفن فيها.

المطران الكسي عبد الكريم

واسمه اميل ابن الخوري ايليا عبد الكريم ولد في سبنية حدث بيروت في ٢٨ أيلول ١٩٣٦. أنهى دراسته في مدرسة الثلاثة أقمار في بيروت ثم في الكلية العامة للجامعة الأميركية للقسم الفرنسي فرع الفلسفة. دخل الرهبنة عام ١٩٥٢ في مطرانية بيروت ثم التحق بالأكاديمية الروحية للكنيسة الروسية ١٩٥٦ حيث درس اللاهوت ورسم شماساً إنجيلياً ثم متوحداً في الكهنة وأرشمندريتاً واستلم بعدها رئاسة الامطوش الأنطاكي في موسكو معتمداً بطريركياً لدى الكنيسة الروسية حتى تاريخ انتخابه مطراناً على أبرشية حمص في ٧/ ١٠/ ١٩٦٩. تمت سيامته مطراناً على حمص وتوابعها في دير مار الياس شويا البطريركي بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٦٩. وصل الأبرشية في ١٦/ ١٢/ ١٩٦٩ وبدأ رعاية شؤونها بحكمة الشيوخ وهمة الشباب متسلحاً بثقافة أكاديمية عالية وجلد في العمل فأعاد تنظيم الجمعيات والمؤسسات ووضعها أمام مسؤولياتها وهكذا وجد مجالاً واسعاً للعمل الصالح الذي فطر عليه منذ الصغر.

وأول عمل قام به هو ترميم دير القديس ايليان وتكليف الأخوين موروشان من رومانيا بتزيين جدرانها وسقفها برسوم الفريسك الشرقية ووضع عدة مشاريع نفذ أكثرها في المدينة والريف نذكر منها :

١ – مشروع بناء ملحق للثانوية الغسانية في حي المحطة.

٢ – بناء كنيسة في المشرفة الجديدة.

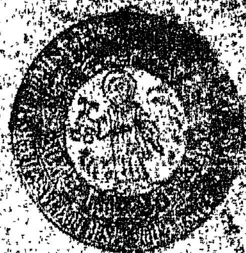
٣ – بناء كنيسة جديدة في الوريدة.

٤ – مشروع بناء متكامل من ثلاثة طوابق تحتوي على محلات تجارية ومستوصف وناد الى جانب الكنيسة الجديدة في رباح.

٥ – تأمين أراضي جديدة من البلدية لبناء كنائس جديدة تخدم التوسع السكاني في حمص مع تأمين الأراضي لتكون مقبرة خارج المنطقة السكنية للمستقبل وذلك بتخصيص غرفة لكل منها في المطرانية يجمع فيها الأواني والبدلات الكهنوتية والمكتبة والمؤلفات والهدايا التي تخص كلاً منهما.

والمشروع الأهم الذي توصل سيادته الى تحقيقه هو جمع شمل الطائفة برباط المحبة والسلام وتكامل وحدة الأبرشية بين المدينة والريف.





الله محبة

ثيودوسيوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

[illegible]

لائحة مطارنة حمص

١ — مكاريوس الصباغ بن وهبة ابن المعلم عيسى الصباغ كان مطراناً على حماه وكلف برعاية ابرشية حمص سنة ١٥٦٣.

٢ — يواكيم بن زيادة أصله من السيسانية احدى قرى الحصن سيم مطراناً على حمص ١٥٧٥ حتى عام ١٥٩٣ حيث أصبح بطريركاً لمدة ١١ سنة.

٣ — يواكيم بن معتوق أصله من قرية قطينة سيم على حمص ١٥٩٣ وظل الى ما بعد ١٦١٣.

٤ — عازار. تورد المخطوطات الكنسية اسم عازار مطراناً لحمص بعد يواكيم معتوق وأنه ارغم مع سمعان مطران حماه وديونيسيوس مطران الحصن على سيامة كيرلس الدباس بطريرك انطاكية سنة ١٦١٨ وأنه خدم قداس الفصح مع كيرلس المذكور في حلب سنة ١٦٢٤.

٥ — يواكيم يأتي في المخطوطات الكنسية اسم يواكيم آخر بعد عازار. وقد رأينا اسمه بين مطارنة الكرسي الانطاكي الذين عقدوا مجمعاً في دير السيدة بقرية رأس بعلبك سنة ١٦٢٨ وكان عدد المجتمعين ١١ مطراناً سمعان (حماه) يواكيم (حمص) ملاتيوس (حلب) مكاريوس (صور وصيداوي) نيقولاوس (حوران) أبيفانيوس (بعلبك) يواكيم (طرابلس) سمعان (الصيدناوي) يواكيم (الزبداني) يوحنا (القاري) اغناطيوس (البانياس).

٦ — فيلوتاوس ابن الحاج فرج الله ابن الحاج يوحنا ابن القس نصر الله كان مزوجاً وله ولد اسمه ابرهيم رسم كاهناً ١٦٣١ — ١٦٤١.

٧ — اثناسيوس لا يعلم متى تسقف اثناسيوس المذكور على حمص، ولكننا نعلم من تعليق للبطريرك مكاريوس الزعيم على الجبل موجود في منزل الحاج باسيل الخوري بانطاكية أنه توفي قبل ١٦٦٤ (٧١٧٢).

٨ — نيقولاوس ابن الحاج عيسى بن عبد الله أخي أبي الكرم الملكي المذهب الحمصي الأصل وقد دلت المخطوطات الكنسية على أنه ساس أبرشيتي حمص وعكار حوالى ١٦٦١.

٩ — انثيموس لا نعرف عن هذا المطران شيئاً زيادة عما ذكره المرحوم رزق الله عبود من أنه خلف نيقولاوس في مطرانية حمص وتوفي ١٦٧٠.

١٠ — يواكيم تسقف على حمص ١٦٧٢ (٧١٨٠).

١١ — خريستوذولس. هذا المطران استدللنا عليه من مخطوطين كنسيين اولها في كنيسة الاربعين (رقم ٢٩) والثاني في كنيسة مار اليان (رقم ١٠). دلَّ الأول على وجوده مطراناً لحمص سنة ١٧٠٤ والثاني سنة ١٧١١.

في ٢١ اذار سنة ١٧٢٨ حصل انقلاب في حكومة حمص ذهبت فيه املاك بيت العظم. وأتى فريق من المسلمين في الساعة الرابعة من هذا النهار وكان الباب الحديدي غير مقفل،

فدخلوا الكنيسة ونهبوا جميع ما فيها من ايقونات وقناديل فضية تزيد على الاربعين والاواني المقدسة الفضية والذهبية والكتب ما اذخر فيها من عهد الأسلاف مما علت فتحته وكسروا الايقونسطاس وقلعوا الحجارة من عتبة الهيكل.

١٢ — مكاريوس هو المطران مكاريوس الحمصي ابن المقدس نعمة الكاتب ابن المقدس عبد الله الكاتب عين مطراناً لحمص سنة ١٧٣٣ على اثر زيارة البطريرك سلبسترس لحمص سنة ١٧٣٢.

١٣ — تيوفيلدلوس: اهتدينا الى مخطوط هو التريودي رقم ٦٦ علق عليه أن قد أوقفه نعمة الله بن المقدس عبد الله الكاتب (وهو والد المطران مكاريوس) في ٧ تموز سنة ١٧٤٧ بشهادة المطران ثيوفيلوس مطران حمص.

١٤ — جراسيموس رأينا اسمه في موضعين اولها على ايقونة الصعود (رقم ١٧) التي قدمتها كلمة ابن المقدس يوسف الطرابلسي سنة ١٧٦٢ في أيام المطران جراسيموس وثانيهما— على ايقونة مولد الصايغ التي أوقفت لكنيسة الأربعين سنة ١٧٧١ في زمن رئاسته أيضاً.

١٥ — انثيموس عثر على تعليقات على المخطوطات اولها: ان ديب اللاذقي انهى نسخ كتاب الناموس (البينداليون) الكنسي في ١٢ نيسان سنة ٧٢٩٨ (١٧٩٠) في أيام رئاسة السيد انثيموس مطران حمص والسفر المذكور محفوظ في المطرانية الارثوذكسية. ثانيهما— اسطاثيكون مؤرخ في تموز ١٧٩٠ وجهه البطريرك دانيال الى المطران افتيموس ذكره المرحوم رزق الله عبود وقال انه محفوظ في مكتبه.

١٦ — اثناسيوس مخلع (١٧٩١ — ١٨٠٥) نشأ في دمشق من أسرة مخلع في عام ١٨٠٥ نشأ خلاف بينه وبين بعض الوجهاء فاستقال وانتدب لأبرشية بيروت.

١٧ — يواكيم، يظهر أن مسند البطريركية الانطاكية عين يواكيم مطران سلمية وكيلاً لحمص على أثر استقالة المطران اثناسيوس سنة ١٨٠٥. ومما دلت على وجوده في حمص ثلاثة أثار الأول تعليق كتاب برلام ويواصف (رقم ٤٠) مؤداه أنه أوقف لكنيسة الاربعين سنة ١٨١٠ عن يد المطران يواكيم الوكيل لحمص.

١٨ — صموئيل البلغاري يظهر أن هذا المطران سلم بعد سنة ١٨١٢ ومدة اقامته بحمص لم تطل اذ حصل خلاف بينه وبين الشعب.

١٩ — متوديوس خدم الابرشية مدة ثلاثين سنة ورقد بالرب في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٤٧ بناء عنه القديس اليان بعهده.

٢٠ — غريغوريوس ١٨٤٩ — ١٨٥٩ من قرية معلولا في القلمون استقال.

٢١ — ديونيسوس ١٨٦٦ — ١٨٨٥. ديونيسوس الأناضولي قدم حمص في حزيران ١٨٦٦ الى أن رقد بالرب في ٢ شباط سنة ١٨٨٥.

٢٢ — اثناسيوس عطاالله ١٨٨٦ — ١٩٢٣.

مراجع تاريخ كنيسة حمص
المراجع الأجنبية

1- a- JOSEPH NASRALLAH, Proche Orient Chrétie, en 1971, p. 215-217

b- HARNACK, Mission und Ausbreitung des Christentums, I, p. 385, 489 n. 2; II, p. 99, 113, 206; Lammens, p, 3-4 (Mélanges 1906).

c- HENRI LAMMENS, Notes épigraphiques et topographiques sur l'Emésène, dans le Musée belge, revue de philologie classique, T. V, p. 265, n. 1; 1902, t. VI, p. 42-45. n. 78; Etudes sur le règne du Califê Omaiyade Moâwia 1er, Mélanges de la Faculte orientale, Beyrouth 1906; p. 3; Dictionnaire d'archéologie et de liturgies chrétiennes; art. Emésène col. 2723-4; col. 2723-30.

d- H. LECLERCQ, Dict. d'arch. et de lit., Emésène, col. 2723.

e- LAMMENS, p. 3; cf. ZDMG, XXXI, p. 94-96.

f- RENE DUSSAUD, Histoire et religion des Nosairis, p. 157.

g- LAMMENS, p. 3; Müller, Géographi graeci minores, II, p. 186-7.

h- WADDINGTON, Inscriptions grecques et latines recueillies en Grèce et en Asie mineure, t. III, 1ère partie, p. 590, n. 2570; Dict. d'arch., Emésène, col. 2726-7.

(2) LIBER POUTIFICALIS, éd. Duchesne, I, p. 203.

(3) EUSEBE DE CESAREE, Histoire ecclésiastique, tome 3, VIII, 13: 3-4, p. 28, 51, et IX, 6: 1; tome 2, p. 230 (mort de Pierre d'Alexandrie en Novembre 312), Sources chrétiennes, éd. du Cerf. Paris.; cf. P. Allard, Histoire des persécutions, tome II, p. 97 et 140-142.
H. Delahaye, Les Martyrs d Egypte, p. 25-26
Derwas J. Chitty, The desertt a city, Mowbray, Oxford, 1977, ch. I (et le désert devint une cité, Bellefontaine, 1980; p. 23).

(4) Catholic Encycl. art.

(a) Sylvanus جعل وفاته العام ٣٠٣ واسقفيته ٢٦٣ — ٣٠٣

(b) جعل وفاته العام ٢٨٤ واسقفيته ٢٤٤ — ٢٨٤.

(5) NASRALLAH, art. cit. p, 218-219; Gabriel Saâdé. St. Elian.

(6) JAWAD BOULOS, les peuples et les civilisations du Proche Orient, tome III, p. 220, éd., Mouton, 1964.

(7) Id., p. 221

(8) JEAN BABELON, Impératrices syriennes, éd., Albin Michel, Paris; 1957, p. 20-21

(9) BABELON, p. 24-25.

(10) H. GELZER, Patrum Nicaenorum nomina, p. LX (49), 14 (60). 63 (48); v. Nazrallah, p. 219, n 29.

(11) MANSI, CONC. collect. amplisaim, II. 1307 B

(12) SOZOMENOS III, 5,6; Socrate, II, 8-9-10.

(13) JEROME, De Viris Illustribus, 91, 95 (119 et 129).
Epiphanios, Panarion, 66. 21, P.G. XLII, 66.
THéodoret de Cyr, hist. eccl. I, 7
Théodoret de Cyr. Iranitès,
Théodoret de Cyr, Patrologie greque, tome 83 col, 312-317, 377, 381
Socrate, Hist. eccl. II,8-10: Patrologie, tome LXVII, 197-200.
Sozonos, Hist. eccl. III, 5, 6, 14
Quasten, Patrology, vol. III
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques art. Eusèbe d'Emèse, col. 1462-1463.
Nasrallah. p. 219-222
Dictionnaire de spiritualité, IV, col. 1690-1695

(14) SOZOMENOS, III, 17

(15) Stein, hist du bas-empire, tome I, p. 133
Liban; Or. 59, 95-98; t. IV, p. 2560; Socrate II, 11-12

(15)bis Epiphanios, Panarion, 73: 26
Mansi, III, 321 A
Grégoire de Nazianze. oratio. 21:22

(16) BOULOS, III, p. 240-242
A.A. Vasiliev, Hist. of the bysantine empire, I, 70-78.

(17) SOZOMENOS, VI, 11-12
Socrate IV, 12, 13, 20
Nasrallah, p. 222-223

(18) FLICHE et MARTIN, Hist. tome, IV, p. 288, 290, 294..
Tixeront, Hist. des dogmes, tome III, p. 172

اسبيرو جبور ، سر التدبير الالهي ، المنشورات الارثوذكسية ، ١٩٨٠ ، ص ٤٦ .

(19) Théophanès, éd. de Boor, I, 48

(20) CHRONICON PASCHALE, Patro. gr. XCII, 741 B.

الأب نصر الله يجعل في الصفحة نفسها بدءَ ملك ايلاغابال في العام ٢١٨ الى ٢٢٢ ومنحَه الحقوق اللاتينية لحمص العام ٢١٧ نقلاً عن Babelon . جواد بولس وقاموس المنجد وسواهما أخذوا بالعام ٢١٨ . وقال نصر الله بأن الامبراطور انطونيوس التقي هو الذي منح حمص حق سكّ العملة ، خلافاً لقول Babelon (ص ٢١٤) . فاقتضى التنويه .

٢١ ــ المسعودي، مروج الذهب، النبذة ٧٣٥ من طبعة Pellat بيروت.

(22) FLICHE et MARTIN, Hist. générale de l'Eglise, tome IV, Bloud et Gay; Paris.

٢٣ ــ المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ٤ : ٢٠٤.

(23) Le Patriarcat d'Antioche, Paris 1945, p. 42 n. 1; 204
D H.G.C., art. Emèse col 398
Palladius, Dialogues, P G. XLVII, 71, Dialog. de vita Joan. n. Chrysis. 12, 15. Edit., Coleman-Norton.

(24) HONIGMANN, The Patriarcate of Antioch. Arevision of Le Quien and the Notitia Antiochena, in Traditio, vol. IV, 1947, p. 146
Nasrallah, p. 223

(25) P.Gr. XL. col. 503-818; Quasten, Patrology, t. III.

(26) NIKOLAOS POLITON, pégai... tou Nemesiou Emésès, Athènes, 1979, p. 25-27 et 13-18
Nasrallah, 223-224
Basile Tatakis, la philosophie bysantine, P.U F., Paris 1949; p. 34 et 119
Johannes Quasten, Patrology, vol III

٢٧ ــ راجع تاريخ القضية وطبيعتها اللاهوتية في احدث المراجع التالية :
أ ــ اسبيرو جبور، سر التجسد الالهي (فيه تصحيح لبعض اخطاء المراجع الاخرى).

b- Grillmeir, Christ in ch. Tradition (Le Ch. dans la Trad chr.)
c- Grillmeir et Bach, Das Konzil von Chalkedon (3 vol)
d- Sellers, The concil of Chalcedon
e- Fliche et Martin, Hist. tome, IV
f- A. D'Alès, Le concile d'Ephèse. Beauchesne; Paris 1931.
g- Tixeront, tome 3, Gabalda; Paris, 1922
h- Théodoret, épître 112 à Domnus en mai - juin 449; Sources chr.
i- Sévère d'Antioche, Contra grammaticum, III,2, tr. Lebon, t. II, p 10 et s
j- Synodicon. XXXVI-XXXVIII I XXX
k- Mansi, Conciliorum Amplissima Collectio.
l- Schwartz, Acta Conci. œcum. (A.C O)
m- Héfédé- Leclercq, Histoire des Conciles.

المراجع الاربعة الاخيرة تحوي اعمال المجامع والوثائق. في تاريخ الكنيسة الانطاكية لأسد رستم وتاريخ الكنيسة المسيحية للمطران الكسندروس جحا وكل تواريخ الكنيسة وتواريخ بيزنطية (بالعربية : تاريخ الروم لرستم وتاريخ بيزنطية لنبيه عاقل) لمحات عن الموضوع.

٢٨ ــ موقعها الجغرافي وارد في الخريطة المضمومة الى كراسة «مار مارون» لاسبيرو جبور. هي مدينة سورية اندثرت بالجوار من منطقة إعزاز بمحافظة حلب.

٢٩ ــ دالس متحيز بقدر لطيف للبابا وكيرللس. يورد تباهي كيرللس بالنصر (٢٢٢ ــ ٢٢٣) ويُهمل

تباهي الانطاكيين بالنصر أيضا (جبور، سر التدبير، ص ٣٥). رسائل ثيئوذوريتوس اللاحقة لا تخفي ذلك. والمنتصر هو الإيمان الارثوذكسي فقط.

(30) Actes syriaques du convile d'Ephèse de 449, in Flemming, Akten der Ephesinischen Synode vom Jar. 449, Berlin, 1917, p. 126, 18.
Martin, Actes du brigandage d'Ephèse (449), 1874, p 146 et note 6, 149.
Mansi, VII, 325 c
Schwartz, Act. conc. II, 1 p. 426-442.
Théodoret de Cyr, Correspondance, tome II, p. 99-101; Sources chr.
Devresse, le Patriarcat d'Antioche, Gabalda, 1945.

(31) MARTIN, Actes du brigandage d'Ephèse, p. 146-9;
Revue des Sciences ecclesiastiques, tome X, 1874, p. 398-402).
Mansi VI, 944 D, 981 A; VIII 402 D:
Mansi VII, 559 A et Evagrius, Hist. Eccl. II, IX.
Schwartz, A.C O. II, 1, 2, p. 145 n. 124
Patr. gr. 85 col. 1620-21
Théodoret, correspondance, tome III, lettres 122 et 123; Sources chr.
Devresse, p. 136-40
Peeters, la passion de St. Julien d'Emèse (in Anal.Bolland., tome 47 p. 42 n. 2

(32) POST-NICENE FATHERS, series 2, vol. III, p. 298 n. 2

(33) DUCANGE, Traité hist. du Chef de Saint Jean Baptiste, 1665, p. 208-215 (Acta SS., Jun., IV, 1707, pp. 716-718, Migne. Patr. Lat., tome 67, col. 420 - 424) et p. 215-229 (Acta SS. Jun. IV, 1707, pp. 724-28; Migne, P.L., tome 67, col. 424-430; B.H.G., n. 840-45); Denys le Petit, tr. de Marcel in B.H.L., n. 4291-4292
Nasralleh, p. 226-8
P. Peeters, La Passion de St. Julien d'Emèse, in Anal. Bolland. t. XL VII, 1929, pp. 47-49

(34) p. 54
Zacharias Scholasticos, Vie de Sévère, Patr. orient, t. II, p. 92
Antoninus Placentinus, Itenerarium, c. 46, p. 190. 13. 217, 23. (Edit. P. Geyer, Itinera Hierosolymitana,, pp. 180, 190)
Marcellin, chronique,. an. 453, Mon. Germ, Hist. anc. Antiquiss., XI, p. 84-85; Chron. Pasc. anno 453 d'après Muralt, Essai de chronographie bysantine de 395 à 1057, 1963, p. 65.
ERnest Honigmann, évêques et évêchés monophysites d'Asie antérieure au VIe siècle , Imprimerie orientaliste, Louvain, 1951; p. 33

(35) HONIGMAN, évêques, p. 33 et Notica Antiochena, p. 85
Devresse, Patriar, p 122 et 123
D.H.G.E., art. Emèse.
Nasrallah, p. 227-228

(36) Sévère d'Antioche, I, 5, p. 38 [35]; II, 3, p. 232 [208]; 254 [226]; Epist. 25. P.O. XII, p. 222 [50]- 248 [76]
Honigman, évêques, p. 33.
Nasrallah, p. 228 n 80.
The sixth book of the Select Letters of Severus, in the Syriac VERSION OF Athanasius of Nisibis, ed., and trans. by E.W. Brooks.

(37) DEVRESSE, Patriar., p. 127-123
Nasrallah, p. 228 et n. 78-83

(38) CYRILLE DE SCYTHOPOLIS, Les Moines d'Orient III / 3 tr. par A.J. Festugière, éd. du Cerf, 1963, p. 1 et n. 1, 2, 3 et 4; p. 23 et n. 43, 44, 45 et 46.
Stein, Hist. du Bas-Empire, tome II, p. 91
Devreesse, Hist. du Patriarcat d'Ant., p. 259

حياة ابراميوس الكاملة موجودة فقط في مخطوط عربي موجود في لينغراد، ذكره المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي في مقال نشره في المشرق ١٩٢٥ ص ٦٨١ — ٦٨٢. وكان المستشرق الألماني الأب جورج غراف قد نشر المخطوطة مع تنقيح (ناجح غالباً) للألفاظ في الحواشي وذلك في المشرق ١٩٠٥ ص ٢٥٨ — ٢٦٥. فالمخطوطة قديمة ومكتوبة في دير مار سابا بفلسطين. اعتمد الأب Festugière على ما تبقى من الأصل اليوناني وترجمة النسخة العربية الى اللاتينية ليصوغ حياة ابراميوس في نص كامل (في الجزء المذكور أعلاه ص ٧٣— ٧٩. انظر الحاشية ١ ص ٧٣).

(39) The sixth book, I, 5, p. 38'(35)
Honigmann, évêques, p. 33 et 256.

(40) The sixth book, II, 3, p. 231-257 (2-7-229); cf. IX, 1, p. 473 (418); cf. Devreesse, Théodore de Mopsueste, p. 229
Honigmann, évêques, p. 33-34 et 256.
Nasrallah, p. 229

(41) The sixth book, II, 3, p. 254 in fine [226]

(42) MALALAS 426, 441, 120 B
Procope, de aedif. II, 10-12
Stein, Hist, du bas-empire, t. II p. 289

(43) MANSI, tome VIII, col. 426
Fliche et martin, tome V, p. 481.

(44) I.G.L.S., inscription n. 2507
Mouterde, Mélanges Maspéro, vol. II, Institut français d'Archéologie orientale du Caire, t. LXVII, p. 69, note 1.
Nasrallah, p. 229 et n. 86.

(45) Echos d'Oreint, 1907, t. X, p. 90-101,139-145; 363-368; Orient chrétien, 1909. tome XIV, p. 209-211 et 215-217; cf. 1919, tome XXI, p. 446, note.
Honigmann, évêques, p. 35 et 98.
Honigmann, Byz. Zertschrigt, XXV, 1925, p. 66, 73, 84-85.
Nasrallah, p. 228 et note 79.
D.H.G.E., tome III, col.581-2

(46) D.H.G.E. Emèse; Echos d'Orient X, 1907, p. 96.

(47) THEOPHANES, Simocata. II, 3,1
Devreesse, Hist., p. 122 (n. 1, p. 345).

٤٨ — مكرر — اسبيرو جبور ، قديسون من حمص

(48) bis- Nasrallah, p 229-234
Théodoret de Cyr, Histoire Philothée, ch. XVII.
Canivet, le monachisme syrien, par. 52, 80, 87, 150 et 177

(48) tierce- - FLICHE et MARTIN, Hist., de l'Egl. tome V, p. 111 (cf. p. 479).
Michel le Syrien, tr. Chabot, II, 379-81

(49) THEOPHANES, a. 6121
Fliche et Martin, Hist. tome V, 115
Louis Duchesne, l'Eglise au VI s., Paris 1925; p. 398, n. 1 (cf. Michel, XI, 3)
Devreesse, Hist. p 102, note 7

يصلح كتاب الدكتور أسد رستم «تاريخ كنيسة انطاكية» مرجعاً يسد في العربية فراغاً في تاريخ هذه الحقبات.

(50) LAMMENS, Etudes, p. 4 et n 1

٥٠ — البلاذري — فتوح البلدان ، ص ٣٠ — ٣١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٣٣٩
المقدسي — احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٦ — طبعة ليدن.

٥١ — ياقوت ، معجم ، المجلد ٣ ص ٣٣٩.

(52) THEOPHENÊS, ad aun 6264, p. 446-53
D.H.G.E., art. Antioche

(53) D.H.G.E., art. Emése.
Lammens, Etudes, p. 2-3, 8, 9, 10, 12, 13 et 14

٥٤ — الدكتورة أمينة بيطار ، الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ، دمشق ١٩٨٠.
الكتاب محاولة ناجحة اجمالاً لمادّة جديرة بالتقصي الواسع.
الدكتور فيليب حتي ، تاريخ سوريا ، المجلد ٢ ص ١٨٦.
الدكتور أسد رستم ، تاريخ كنيسة انطاكية ، المجلد ٢ ص ١٢٣ و٣٦١.

(55) D.H.G.E., t. III, col. 599 et s.
Théophanès, ad. ann. 6272 p. 452

(56) THEOPHENÈS, ad. ann. 6252, p. 431
D.H.G.E., tome III col 598 et V col. 397

(57) MOUTERDE, Mélanges de l'Université St. Joseph, XVIII. Beyrouth, 1934; p. 3-6
Devreesse, Hist. p. 121

٥٧ — الدكتور رستم ٢ : ١٢٣ و ٣٦١

(58) D.H.G.E., art. Emèse.

(58) D.H.G.E., art. Emèse

(59) Vita S. STEPHANES, SABAITEE, n. 112; A.S. juillet, III, 548 AB; D.M.G.E.

(60) THEOPHANES, ad ann. 6305, p 499
D.H.G.E., tome, III, col. 599
Lammens, La Syrie, tome II, p. 133; 1924

٦٠ــ الطبري ، المجلد ٣ ص ٨٣٠ .

(61) BAM HEBRA SAS, Chronicon ecclesiasticum, p. 384-6
D.,H.G.E , tome III, col. 599

٦٢ــ الطبري ٣ ، ١٤٢٢ ــ ٢٤ (المجلد ٧ ص ٣٧٤ سنة ٢٤١ من الطبعة الحديدة) ابن الأثير ٧ ،
ص ٥٩ــ ٦٠ وص ٣٥٤ (سنة ٢٣٥).
اليعقوبي ٢ ، ص ٥٩٩ (راجع ص ١٢٨ ــ ١٢٩).
ابن خلدون ٣ ، ص ٢٧٦ ــ ٧٧ .

(62) Chronicon syriacum, p. 165

فيليب حتي ، سوريا ، المجلد ٢ ، ص ١٦٩ (من الطبعة العربية و٥٤٤ من الطبعة الانكليزية) .

فيليب حتي ، سوريا ، المجلد ٢ ، ص ١٦٩ (ص ٥٤٤ من الانكليزي) .

(63) LAMMENS, La Syrie, II, p. 118-120 et 137-38; cf. p' 87

(64) LAMMENS, La Syrie, II, p. 138

حتي ٢ : ١٦٩

(65) HITTI, Hist. of Syria, Macmillan and Co, London, 1951 ; p. 544

(66) MIKLOSICH et MULLER, Acta et diplomata graeca me dii aevi. II, 465
Le Quien, O.C. Col. 767
D.H.G.E , art. Emèse.

٦٦ــ الدكتور أسد رستم ، تاريخ كنيسة انطاكية ، المجلد ٢ ص ٣٢٩ و٣٦٢ . ولكن ينبغي تصحيح النص لديه في الصفحتين المذكورتين لجهة مدة خلافة نخوميوس الأول .

(67) PAPADOPOULOS KERAMEUS, la bibliothèque jerusalimitaine, tome III, 37 (en grec)

(68) PAPADOPOULOS, IV, 252, 363.

٦٩ــ المشرق ، المجلد ٦ ، ص ١١١ و١١٢ . رزق الله عبود ، يوبيل المطران اثناسيوس عطاالله ،
حمص ، ١٩١١ ، ص ٣٩.

٧٠ــ المشرق ، المجلد ٦ ، ص ٣٩
الدكتور رستم ، تاريخ كنيسة انطاكية ٢ ، ص ٣٣١ و٣٦٢ . مجلة المحبة ، المجلد ١ ص ١٩٧ و١٩٩ .

Constantius, Patriarchs, of Antioch in Neal, Hist of church of Antioch, p. 178

٧١ - الخوري عيسى أسعد ، زفرات القلوب ، ١٩٣٢ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

٧٢ - يوبيل المطران أثناسيوس ، ص ٤٠ .
الخوري عيسى اسعد ، زفرات القلوب ص ٤٧٥ . الخوري ميخائيل بريك ، تاريخ الشام ، ص ٥٣ — ٥٤ . أسد رستم ، تاريخ كنيسة انطاكية ، المجلد ٣ ص ٣٢ .

(73) W. REGEL, Analecta bysantina-russica, p. 119
D H.G.E., art, Emèse.

٧٤ — عيسى اسعد ، زفرات ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧ .
اليوبيل ، ص ٤١
مجلة المنار ، المجلد ١ ص ٢٣٠
أسد رستم ، تاريخ كنيسة انطاكية ، المجلد ٣ ص ٣٧ .

٧٥ — عيسى أسعد ، زفرات ، ص ٤٧٧ .
اليوبيل ، ص ٤١
مجلة النعمة ، المجلد ٣ ص ١٩ — ٢٠
أسد رستم ، ٣ ص ٣٧ — ٣٩ .

٧٦ — اسعد ، ص ٧٨ ويوبيل ، ص ٤٠ والنعمة ٣ : ٢١ والمنار ١ : ٢٣١ ورستم ٣ : ٣٩ — ٤٣ ، الحقائق الوضيَّة ، ص ٥٥ — ٥٨ ، وسفرة البطريرك مكاريوس للخوري قسطنطين الباشا ، ص ٣٨ .

٧٧ — اسعد ، ص ٤٧٨ — ٤٧٩ ، ويوبيل ، ص ٤٢ والمنار ٣ : ١١٧ والنعمة ٣ : ١٠٤ وحبيب الزيات ، خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، ص ١٠٢ — ١٠٣ ورستم ٣ : ٤٥ و٤٨ — ٥١ .

٧٨ — اسعد ، ص ٤٨٠ ورستم ٣ : ٥٤ — ٥٦ وسفرة البطريرك مكاريوس ص ٨١ — ٨٢
Proche-Orient chrétien, III, 1953, p. 349.

٧٩ — اسعد ص ٤٨٠ ويوبيل ، ص ٤٢ - ٤٣

٨٠ — اسعد ص ٤٨١ ويوبيل ، ص ٤٣ .

٨١ — اسعد ، ص ٤٨٢ واليوبيل ، ص ٤٣ .

٨٢ — اسعد ، ص ٤٨٢ واسد رستم ٣ : ١٥٢ — ١٥٣ .

٨٣ اسعد ، ص ٤٨٤ — ٨٥ واليوبيل ، ص ٤٣ .
مختصر تاريخ الروم الملكيين الكاثوليكيين ، ص ٥٢ .

٨٤— اسعد ، ٤٨٥ — ٤٨٦ .

٨٥— اسعد ٤٨٧ — ٤٨٨ واليوبيل ، ص ٤٤ وبريك ، تاريخ الشام ص ٨٧ ورستم ٣ : ١٥٧ — ١٥٨ .

(85) VOLNEY, (C.F) Voyage en Syrie et en Egypte (1709) in Carlos Chad, les dynastes d'Emèse, Beyrouth 1972, p. 9

نقولا زيادة ؛ مجلة العربي ، ص ٣١ — ٣٢ من العدد ٣٠١

(86) Ecclésiastike Aléthia, II, 1882, p. 262, (en grec)
D.H.G.E., Emèse.

٨٦— اسعد ، ص ٤٨٩ ، يوبيل ٤٤ .

(87) Constantius, Patriarchs of Antioch, Neale, op. cit., p. 188- 9.

٨٧— اسعد ، ص ٤٨٩ — ٤٩٢ ، اليوبيل ، ص ٤٥ — ٤٧ ، أمين ظاهر خيرالله ، الارج الزاكي ، ١٨٩٩ ؛ ص ٣٦ ؛ اسد رستم ، تاريخ كنيسة انطاكية ، المجلد ٣ ، ص ١٧٠ — ١٧١ و١٥٧ .

٨٨— اسعد ، ص ٤٩٢ — ٤٩٣ ويوبيل ، ص ٤٧ .

٨٩— اسعد ، ص ٤٩٤ ويوبيل ، ص ٤٧ .

٩٠— اسعد ، ص ٤٩٤ — ٤٩٩ ويوبيل ، ص ٤٨ — ٤٧ ورستم ٣ : ١٧٧ و١٩١ — ١٩٢ ومكسيموس مظلوم ، النبذة ، ص ١ — ٢

(90) NEALE, State of the Chrurch of Antioch, Appendix II, 210-212 (Patriarchs of Antioch).
Mansi XL, 94 B, 417 A
D.H.G.E. Emèse

(91) B.D. KALLIPHON, Ekpaideutika et ecclèsiastca, p. 214.

٩١— اسعد ، ص ٤٩٩ ويوبيل ، ص ٤٨ .

٩٢— اسعد ، ص ٥٠٤ البند ١٤ .

٩٣— اسعد ، ص ٥٠٠ — ٥٠٦ ؛ اليوبيل ، ص ٤٨ — ٥٠ و٦٦ — ٦٨ .

(93) Jullien, Sinai et Syrie, Lille 1893; p. 188.

ويذكر الأب جوليان في الصفحة ١٦٦ ان زحلة مدينة حديثة بناها مسيحيون قدموا اليها من سهل بعلبك ، وحمص وحماه ليضعوا انفسهم تحت حماية أمراء الجبل . وسكانها حوالي ١٥٠٠٠ . وميخائيل بريك الكاهن في دمشق (تاريخ الشام) يذكر اضمحلال احوال الارثوذكس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وتبدد شملهم وهربهم الى الجبال وقبرص ومصر (ص ٩٤ ، ٩٩ وو... ورستم ٣ : ١٦٤ — ١٦٦ والمنار ٣ : ١١٨) .

الفهرس العام لكتاب تاريخ حمص

بقسميه الأول والثاني

فهرس القسم الأول

— مقدمة عامة للقسمين صفحة ٧ - ٣١

١ — **الحقبة الأولى** : حمص في أيام الروثان والعمالقة الأموريين ٢٣٠٠— ١٩٠٠ ق.م ص ٣٢ — ٧٠

٢ — **الحقبة الثانية** : حمص في أيام المصريين الهكسوس والحثين والمتيانيين١٩٠٠ - ١٢٢٥ق.م ص ٧١ — ١١٨

٣ — **الحقبة الثالثة** : حمص في أيام الفينيقيين والعبرانيين والآراميين ١٢٢٥— ٧٤٠ ق.م ص ١١٩ — ١٦٨

٤ — **الحقبة الرابعة** : حمص في أيام أشور وكلدة وفارس ٧٣٢— ٣٣١ ق.م. ص ١٦٩ - ٢١١

٥ — **الحقبة الخامسة** : حمص في أيام خلفاء الاسكندر السلوقيين ٣٣١— ٨٠ ق.م ص ٢١٢ - ٢٥٧

٦ — **الحقبة السادسة**. حمص في أيام حكومتها الوطنية ٨٠ ق.م — ٧٩م ص ٢٥٨ — ٢٩٥

٧ — **الحقبة السابعة** : حمص في أيام الرومان عموما وأسرة باسيان القيصرية خصوصا٧٩م - ٢٣٥م ص ٢٩٦ - ٣٤٣

٨ — **الحقبة الثامنة** : حمص في أيام التدامرة ٢٣٦ — ٢٧٣م ص ٣٤٤ — ٣٨٢

٩ — **الحقبة التاسعة** : حمص في دور المسيحية الأول سنة ١— ٣٠٥م ص ٣٨٣ — ٤٠٢

١٠ — **الحقبة العاشرة** : حمص بعد النصرانية وقبل الاسلام ٣٠٥— ٦٢٢م ص ٤٠٣ — ٤٣٦

ختام : عظات وعبر من تاريخ حمص العام.

فهرس القسم الثاني

١ — **الحقبة الأولى** ص ١٩ — ٦٧

لمحة جغرافية عن مدينة حمص ص ١٩ — ٢٣

— الفصل الأول : حمص في صدر الاسلام ص ٢٥ — ٣٢

— الفصل الثاني : فتح حمص ص ٣٢ — ٣٨

— الفصل الثالث : حمص في أيام الخلفاء الراشدين ص ٣٨ — ٦٧

٢ — **الحقبة الثانية** ص ٦٨ — ١١٧

— الفصل الرابع : حمص في أيام بني أميّة ص ٦٨ — ٨٥

— الفصل الخامس : أمراء حمص في زمن الأمويين ص ٨٦ — ٩٦

— الفصل السادس : مشاهير الرجال زمن الأمويين ص ٩٧ — ١٠٤

— الفصل السابع : شعراء بني أمية وحمص ص ١٠٥ — ١١٧

٣ — **الحقبة الثالثة** ص ١١٨ — ١٦١

— الفصل الثامن : حمص في زمن العباسيين ص ١١٨ — ١٢٩

— الفصل التاسع : حوادث حمص في هذه الحقبة ص ١٢٩ — ١٤٥

— الفصل العاشر : أمراء حمص في هذه الحقبة ص ١٤٥ — ١٦١

٤ ـ الحقبة الرابعة ص ١٦٢ — ١٩٦
ـ الفصل الحادي عشر: حمص في عصر العباسيين الثاني ص ١٦٢ — ١٨١
ـ الفصل الثاني عشر: حمص والعلوم خلال هذه الحقبة ص ١٨١ — ١٨٤
ـ الفصل الثالث عشر: الشعراء الذين ماسّوا حمص ص ١٨٥ — ١٩٦
٥ ـ الحقبة الخامسة ص ١٩٧ — ٢٤٠
ـ الفصل الرابع عشر: حمص في عهد السلاجقة ص ١٩٧ — ٢١٧
ـ الفصل الخامس عشر: حمص في أيام الأيوبيين ص ٢١٨ — ٢٣٣
ـ الفصل السادس عشر: أمراء حمص في الحقبة الخامسة ص ٢٣٣ — ٢٤٠
٦ ـ الحقبة السادسة ص ٢٤١ — ٢٨٦
ـ الفصل السابع عشر: حمص أيام المماليك ص ٢٤١ — ٢٦٠
ـ الفصل الثامن عشر: الجغرافيون وحمص ص ٢٦١ — ٢٧٧
ـ الفصل التاسع عشر: مشاهير الحمصيين خلال هذه الحقبة ص ٢٧٨ — ٢٨٦
٧ ـ الحقبة السابعة ص ٢٨٧ — ٣٢٣
ـ الفصل العشرون: حمص في العصر العثماني الأول ص ٢٨٧ — ٢٩٨
ـ الفصل الحادي والعشرون: فخر الدين المعني الكبير ص ٢٩٩ — ٣١٠
ـ الفصل الثاني والعشرون: الرحالة الجغرافيون وحمص ص ٣١٠ — ٣٢٣
٨ ـ الحقبة الثامنة ص ٣٢٤ — ٣٦٠
ـ الفصل الثالث والعشرون: فترة تقهقر الدولة العثمانية ص ٣٢٤ — ٣٤٧
ـ الفصل الرابع والعشرون: حكام حمص ومشاهيرها ص ٣٤٧ — ٣٦٠
٩ ـ الحقبة التاسعة ص ٣٦١ — ٤٠٤
ـ الفصل الخامس والعشرون: حمص في عصر العثمانيين ص ٣٦١ — ٣٨٦
ـ الفصل السادس والعشرون: الجغرافيون وحمص ص ٣٨٦ — ٤٠٤
١٠ ـ الحقبة العاشرة ص ٤٠٥ — ٥٠٦
ـ الفصل السابع والعشرون: حمص منذ العصر العثماني الأخير حتى عام ١٩٧٦ ص ٤٠٥ — ٤٤٦
ـ الفصل الثامن والعشرون: الحرب العالمية الثانية وحمص ص ٤٤٦ — ٤٧٢
ـ الفصل التاسع والعشرون: نهضة حمص العلمية والثقافية والاجتماعية ص ٤٧٣ — ٤٨٨
ـ الفصل الثلاثون: أعلام الحمصيين ص ٤٨٩ — ٥٠٦
فصل خاص بحمص المغتربة ص ٥٠٧ — ٥٣٣

الملاحق

الملحق ١ : الجداول جـ١ ـ الشخصيات الحمصية التي تولَّت المناصب العالية في الدولة السورية
ص ٥٣٤

جـ ٢ ـ حكام حمص ـ «المتصرّفون والمحافظون» ص ٥٣٥ — ٥٣٦

جـ٣ ـ المفوضون الفرنسيون السامون ص ٥٣٧

جـ٤ ـ المستشارون الفرنسيون في حمص ص ٥٣٧ — ٥٣٨

الملحق ٢ : بعض المراجع العربية والأجنبية المعتمدة
ص ٥٣٩ — ٥٤٣

الملحق ٣ : من كتاب زفرات القلوب للخوري عيسى أسعد
ص ٥٤٥ — ٥٧٨

الملحق ٤ : لائحة مطارنة حمص ص ٥٧٩ — ٥٨١

الملحق ٥ : مراجع تاريخ كنيسة حمص ص ٥٨٢ — ٥٩٠

الفهرس العام لكتاب تاريخ حمص بقسميه الأول والثاني ص ٥٩١ — ٥٩٢